

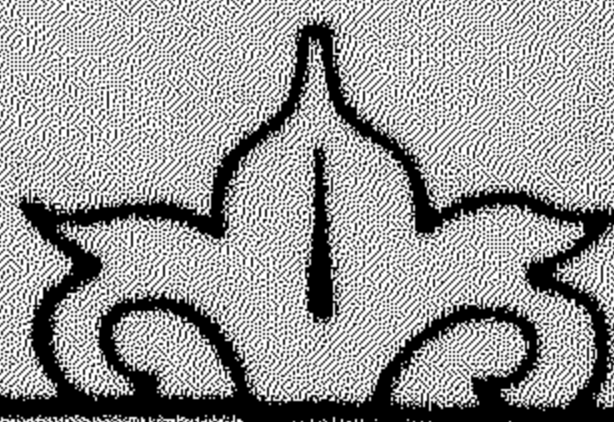
المكتطف

العمراوية في الازمات

دارون ومذاهب بعد سنة

لبن

سيرة العالم الاكبر



AL MUKTATAF

كتاب آلام وأحلام

بقلم توفيق مفرج

اقوال كبار الكتاب عنه في المجالات والصحف

- (١) خليل بك مطران من قصيدة في الاهرام : —
هذا هو الشعر الطليق الذي ليس له كاتبه بالاسير
رقت معانيه والفاظه فهو شعاع الوحي وهي الاثير
 - (٢) من مقالة للدكتور محمد حسين بك هيكل رئيس تحرير السياسة : —
اذا قدرت هذا الجمال الذي ذكرته في كتاب الاستاذ مفرج فذلك لاني احسست حين
قراءته بهذه الهزة التي يحس الانسان بها امام الجمال الفني
 - (٣) من مقال الاستاذ اميل افندي زيدان في المصور : —
الاستاذ توفيق مفرج من خيرة الادباء المجددين تنشر له المجالات القطع الادبية والقصص
الاجتماعية فيقبل عايتها المتأدبون ويطالعونها بلهفة واعجاب لما تشتمل عليه من المعاني الشعرية
والعظات البالغة والزعات المبتكرة — وقد احسن بجمع وتنسيق «آلام وأحلام» ذلك التنسيق
الجميل فألبسها حلة رائعة من الاتقان وسكبها في اجمل قالب تصدر به الكتب من المطابع
 - (٤) من خطاب قليني باشا فهمي صاحب المذكرات المشهورة : —
كتاب نفيس وجدت فيه تسلية للخواطر وترويحاً للنفوس
 - (٥) من خطاب للكاتب الكبير محمد فريد وجدي : —
لم اقرأ من الشعر المنشور اجود ولا اطيب مما قرأته في كتابك «آلام وأحلام» فأنت كما
ابدعت فيما كتبت ابدعت فيما صنعت فجاء عمالك كله ابداعاً في ابداع
 - (٦) اللطائف المصورة : —
كتاب «آلام وأحلام» مجموعة قصائد من الشعر المنشور لم نقرأ في سموتخيالاتها وعلو
معانيها ورقتها وفصاحتها ما يعادلها . فهو كتاب جديد في بابه ، جديد في طلاوته ومباحثه .
جديد في طبعه وتنظيمه وتنسيقه بحيث اننا نقول انه لم يطبع باللغة العربية كتاب مثل هذا
الطبع الانيق
 - (٧) الاستاذ نقولا افندي الحداد رئيس تحرير مجلة السيدات والرجال : —
نفحات ادبية فذة في ايجاز مبانيها وفي اعجاز معانيها والحق انه نمط مبتكر في التصوير
الشعري وبدعة جديدة في موسيقى البيان العربي
- والكتاب يطلب من مكتبة الوفد بباب اللوق بمصر وسواها من المكاتب المشهورة

لزيادة جميع المحاصيل واخصاب اراضيكم استعملوا

سماد نترات الصودا الشيلي

السماد الازوتي الطبيعي الوحيد

يحتوي على ١٥-١٦ ٪ من الازوت النتريني سريع الذوبان

يحسن نوع المحصول وصحة الكائنات الحية التي تتناوله
بسبب اليود الذي يحتويه

اكثر الاسمدة شيوعاً واستعمالاً

اطلبوا الاستعلامات والنشرات مجاناً من :

الادارة الزراعية لاتحاد منتجي نترات الشيلي

القاهرة — ٤١ شارع قصر النيل تليفون نمرة ٤٦٠١٤

الاسكندرية — ١ شارع فؤاد تليفون نمرة ٧٦٦٤

المقتطف

بشأن علمية صناعية زراعية

لنشرها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرساً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات أميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرققون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرساً مصرياً في مصر و ٩٥ غرساً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تمد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت له خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science
and Literature.

Published in Cairo Egypt

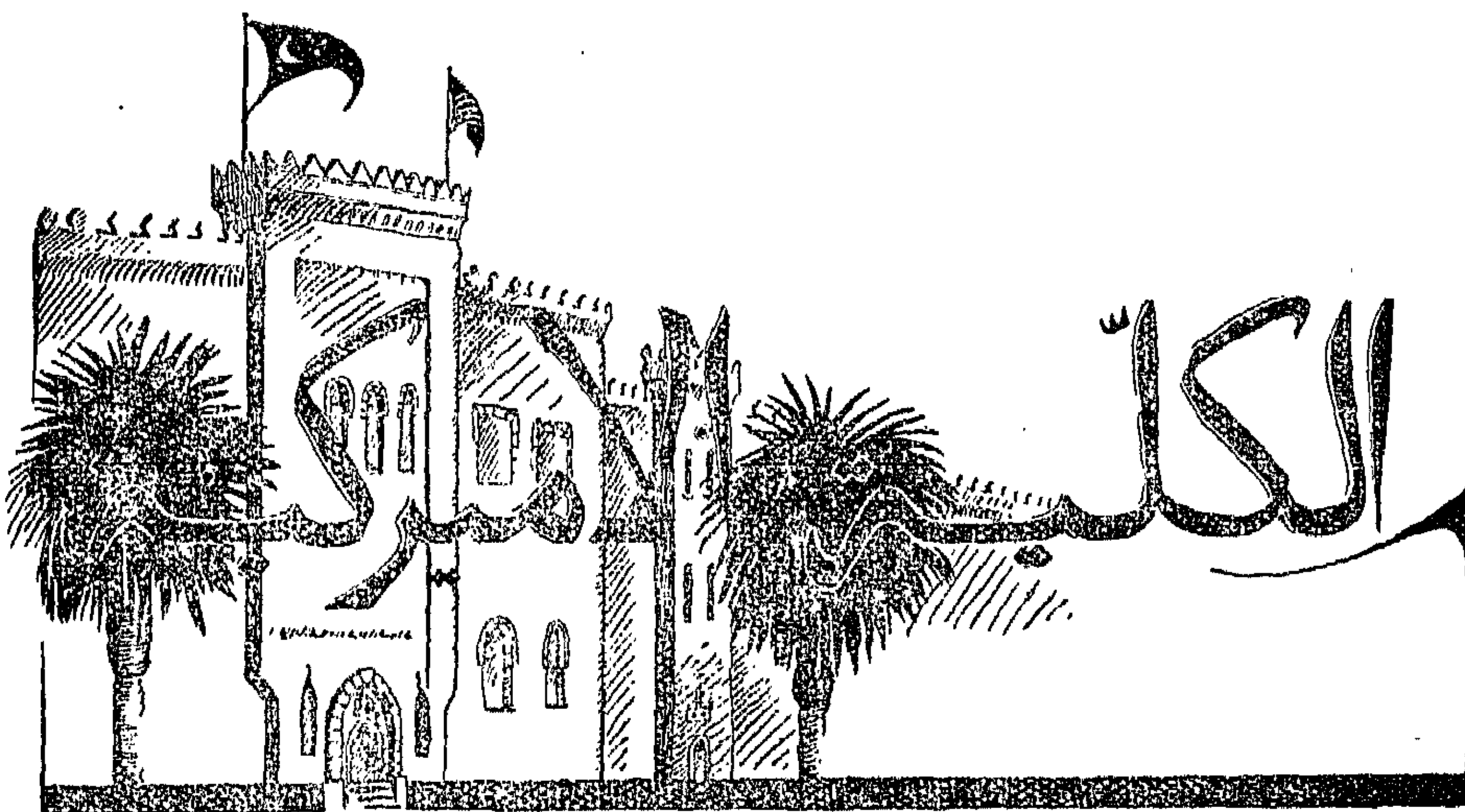
Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimer

EDITED BY F. SARRUF

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars

وكلاء المقتطف ومجلات الاشتراك

- في القاهرة ادارة المقتطف بشارع القاصد رقم ١ — بباب اللوق
 في الاسكندرية والبحيرة مصطفى افندي سلامه
 في الغربية والدقهلية والشرقية والمحافظات محمد افندي صالح في طنطا
 في بني سويف — فرج افندي غبريال
 في اسيوط — ناشد افندي مينا المصري
 في جرجا — الشيخ عبد الهادي احمد
 في المنيا — ابو الليل افندي راشد
 في بيروت — سوريا — جورج افندي عبود الاشقر في المطبعة الاميركية
 في دمشق — القمرية
 في القدس الشريف ويافا وحيفا الخواجات بولس سعيد ووديع سعيد
 اصحاب مكتبة فلسطين العلمية
 في حمص — سورية — الخوري عيسى اسعد
 في الناصرة القس اسعد منصور
 في حلب — شارع السويقة — السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة المصرية
 في صيدا نقولا افندي حريصي داغر — صيدلية الهلال
 في حماه السيد طاهر افندي النعساني
 في البرازيل Snr. Miguel N. Farah
 Caixa Postal 1393
 Sao Paulo Brazil
 في الارجنتين Sr. Fuad Ribeiz
 Cordoba 499
 Buenos Aires, Rep. Argentina
 في الولايات المتحدة والمكسيك وكوبا Mr. N. Arida
 169 Court St.
 Brooklyn N.Y.
 U. S. A.



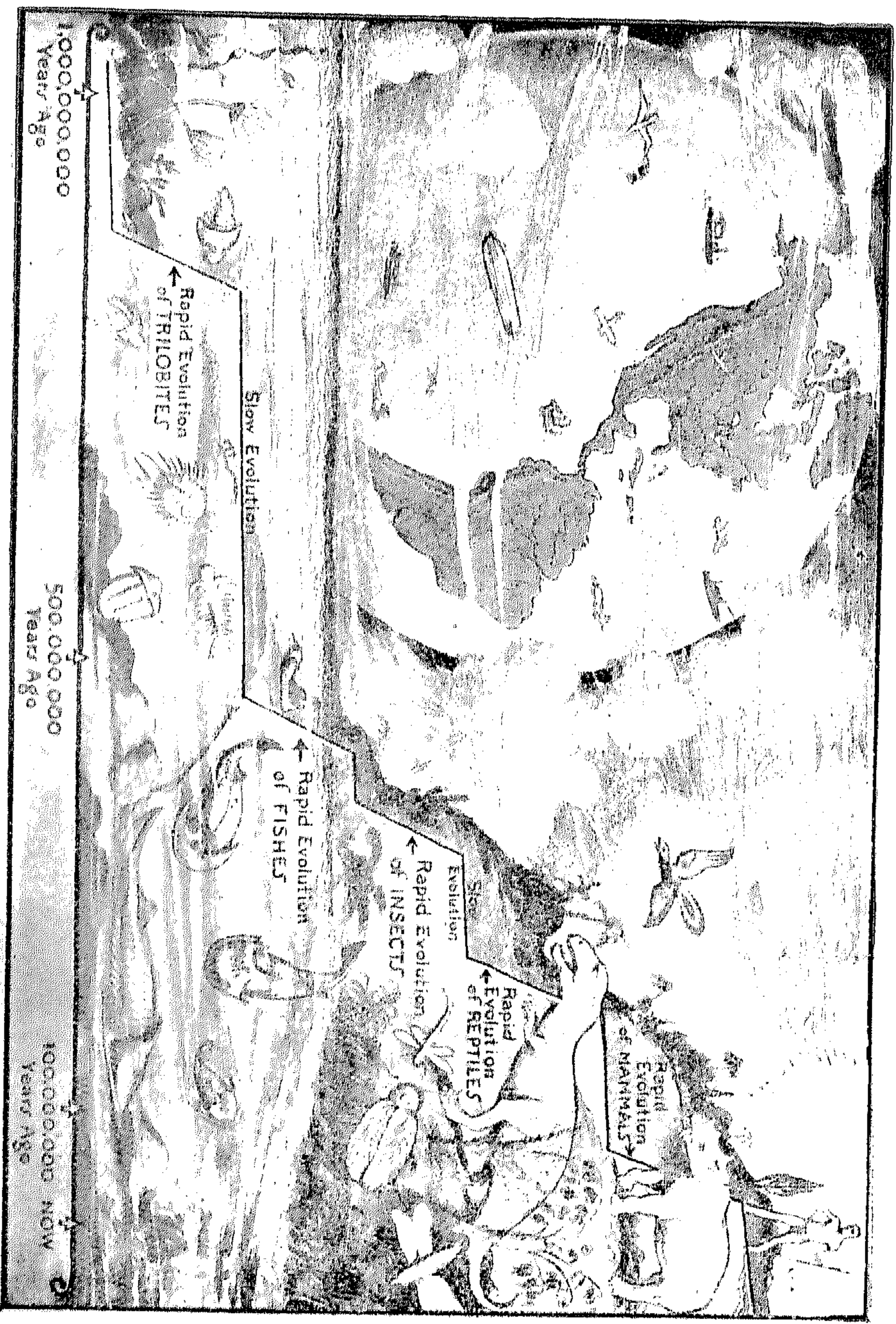
بناء الجامعة الاميركية بالقاهرة

الكلية الاميركية للاداب والعلوم بالقاهرة

تمتاز هذه الكلية بفخامة بنائها ، وحسن موقعها ، وكفاية اساتذتها ، وأخذها بأحدث أساليب التربية ، فهي تعد الطلبة للحياة فوق اعدادهم للامتحان ، وتعنى بصحتهم عنايتها بأخلاقهم وعقولهم ، وتدريبهم على البحث والدرس في مكتبتها الحافلة بألوف المجلدات ، وتهيء لهم دراسة العلوم من طريق المشاهدة والتجربة في معاملها المستكملة الاجهزة والمعدات ، وتقويهم في اللغة الانكليزية بشكل يدعو الى الاعجاب والفخر وبالكلية عدا قسمها الداخلي المتوافرة فيه جميع وسائل الراحة الحديثة الاقسام الثلاثة الآتية : —

- (١) القسم الثانوي ويتبع منهج وزارة المعارف المصرية ويؤهل الطلبة لنيل شهادة الدراسة الثانوية بقسميها : الكفاءة والبالوريا
- (٢) القسم الاستعدادي وهو قسم ثانوي على النظام الغربي والتدريس فيه باللغة الانكليزية
- (٣) قسم الكلية ويؤهل الطلبة للكلية الفنية والاجنبية او نيل درجة بكالوريوس في الآداب او العلوم

وجميع المعلومات تطلب بالبريد باسم عميد الكلية بشارع القصر العيني رقم ١١٣ أو بمقابلة الموظف المختص من ٩ — ١٢ يومياً ما عدا ايام الاحاد تليفون ٤٣٠٠٦



رسم يوضح « أن الأشعة الكونية في نشوء الأحياء وتطورها » فالتك ترى الكرة الأرضية في نصف الصورة اليسر وزاويته العليا مغمورة بفيض من هذه الأشعة. وفي نصف الصورة الأيمن وزاويته ترى رسماً يوضح مراتب النشوء

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الاول من المجلد الحادي والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٢

٢٥ محرم سنة ١٣٥١

دارون ومذهبه

بعد خمسين سنة

تحول المذهب واتجاهاته الحديثة

في ١٩ ابريل سنة ١٨٨٢ مات تشارلز دارون ، الذي قال فيه الاستاذ وليم باتسن « ان دارون لم يخلّف نظرية بل علماً » والسر فرنسيس غلتن احد مؤسسي علم الوراثة الحديث وعلم الیوجنية : « ان كتاب اصل الانواع دستور (Magna Carta) الحريات الفكرية . والاستاذ هنري فرفيلد اوزبورن « حلقات تحرير العقل من قيود الاوهام ثلاث : الاولى لكوبرنكس الفلكي . والثانية كتاب اصل الانواع لدارون . والثالثة كتاب تسلسل الانسان لدارون كذلك . فهو في تاريخ المعارف ثاني ارسطوطاليس » . فيجدر بنا ان نقف هنيهة عند ذكرى وفاته سائلين : اين نحن الآن من آراء دارون كما بسطها في اشهر كتبه « اصل الانواع » و « تسلسل الانسان » ؟

ان مقام « نظرية التطور العضوي » — وهي في رأي طائفة كبيرة من العلماء اعظم ما اضيف الى مجموعة الفكر الانساني في القرن التاسع عشر — لا يزال يحوطه كثير من الابهام في اذهان العامة ، لكثرة الحقائق التي كشف عنها الباحثون في ميدان علوم الاحياء بعد وفاة دارون وتشعب مدلولاتها ، واضطراب ما يكتبه الكتاب المعارضون عن انهيار نظريته من دون ان يحشموا انفسهم مؤونة البحث العلمي في حقيقة ما يقال في تفسير الحقائق الجديدة ومعرفة صلتها بنظرية دارون الاصلية

ما اضافه دارون

ان ما اضافه دارون الى البحث في هذا الموضوع ذو ناحيتين . (فأولاً) جمع من الادلة المؤيدة لحدوث التطور العضوي طائفة تفوق ما جمعه غيره من الباحثين . ويكفي ان نعلم في هذه الناحية ان رحلته على السفينة « بيغل » استغرقت خمس سنوات لم ين في خلالها عن جمع المشاهدات الطبيعية وتدوينها ، وانه قضى ثمانى سنوات وهو يبحث في السريديا (Cirripedia) وهي طائفة من الحيوانات الدنيا فكشف له البحث القناع عن ناموس الانتخاب الطبيعي . ثم ان اعداد كتابه « اصل الانواع » وتمحيصه استغرق احدى وعشرين سنة ولو لم يتفق للعالم ولس Wallace ان اهتدى حينئذ الى تعليل تحول الانواع بالانتخاب الطبيعي وعزم على نشر ذلك ، لما نشر دارون كتابه سنة ١٨٥٩ كما فعل

و (ثانياً) انه اول من اخرج مذهباً علمياً معقولاً لتعليل الطريقة التي تم بها التطور . كان بعض العلماء الفلاسفة قد تناولوا هذا الموضوع قبل دارون ، ولكن احداً منهم لم يوفق الى نظرية توضح اسلوبه . فظل زعماء الفكر العلمي معرضين عن تأييد « حقيقة التطور » حتى اخرج دارون اصل الانواع وكتبه الاخرى . ولا بد من ان نقول هنا ان العالم « الفرد رسل ولس » يحسب حقاً قسيم دارون في نخر اكتشاف مبدأ « الانتخاب الطبيعي » . ولكن كلا منهما اكتشفه على حدة . فدارون استخلصه من مشاهداته الواسعة النطاق لتغير الاحياء . ثم قرأ كتاب ملثوس (الذي ذهب فيه الى ان عدد السكان اسرع زيادة من موارد الغذاء) فخطر على باله ان ثمة تنازع بين الاحياء وان التباينات الموافقة للبيئة تبقى وغير الموافقة تندثر فينجم عن ذلك نوع جديد من الاحياء . اما ولس فاكتشف هذا المبدأ في ومضة وحي اذ كان يعاني سكرات الحمى سنة ١٨٥٧ ، وكان قد قرأ كتاب « رحلة البيغل » الذي وضعه دارون فبعث بخلاصة فكرته في رسالة موجزة الى دارون جاء فيها « واذا كان هذا الرأي على جانب كاف من الخطر فأرجو عرضه على السر تشارلز ليل » (الجيولوجي الكبير)

ماذا يفعل دارون ؟ كان قد قضى عشرين سنة وهو يعالج هذا الاكتشاف محاولاً تأييده بألوف الادلة الطبيعية ، فهل يضرب ببخته عرض الحائط مؤثراً نشر رسالة ولس على كتابه او يخفي رسالة ولس الى ان تظهر آراؤه ؟ ولو انه فعل هذا لقلنا استولى عليه ضعف الطبيعة البشرية واشفق على عشرين سنة من حياته تذهب هباءً . ولكنه عزم في الحال ان ينشر رسالة ولس ، التي اوّتمن عليها . ولولا اصرار العالميشن هوكر (النباتي) وليل (الجيولوجي) — وكان قد تناقش معهما في مذهبه من قبل — على وجوب تلخيص آرائه في رسالة تتلى مع رسالة ولس في آن واحد لما فعل

اما عن ثبوت وقوع التطور فأمر لا ريبه فيه . وما زال العلماء يجمعون الادلة حتى اصبح

التطور في نظر كل عالم يؤبه له « حقيقة » لا جدال فيها . وأما عن طريقة التطور فثمة اختلاف . فقد كان الاتجاه من نحو ثلاثين سنة الى اقبال « نظرية الانتخاب الطبيعي » ورفض حساباتها كافية لتعليل التحوّل المشهود في الاحياء . فاذا يطلع القارئ على قول احد الكتاب المبسطين للعلم بأن « المذهب الداروني قد قضى عليه » فالغالب ان الكاتب يشير الى هذا الاتجاه الخاص ، اي عدم التسليم بكفاية « الانتخاب الطبيعي » لتعليل التطور . « ولكن الاعتراض على « الانتخاب الطبيعي » قد ضعفت وطأته الآن — على حد قول الاستاذ جوليان هكسلي — وفي الحقائق الجديدة التي كشفت في العقد الاخير ، والآراء التي بنيت عليها ما يحمل علماء الاحياء على التسليم بأن الانتخاب الطبيعي — هو كما قال دارون نفسه — اهم العوامل الحديثة للتباينات في الحيوان والنبات التي تجمعها لفظة تطور » . فلنعمد الآن الى تلخيص ما اصاب « مذهب التطور » من التحول بعد وفاة دارون

ادلة التطور

نلتفت اولاً الى الادلة المثبتة لحقيقة النشوء . في هذا الميدان ارتقت علوم الاحياء ارتقاءً عظيماً ، فكشف الباحثون عن تاريخ تطور الحياة كما يبدو في آثار الحيوانات والنباتات المتحجرة . فلما كتب دارون كتابه « اصل الانواع » لم يعرف الباحثون سلسلة كاملة من الآثار المتحجرة تبين ارتقاء نوع واحد من انواع الحيوان . ونظرة واحدة الى ذلك الكتاب تبين ما كان يشعر به دارون من الغصة والحسرة لوجود هذه الهوة بين الرأي والواقع . ولكن الهوة قد ردمت الآن . وفي استطاعة الباحثين ان يتابعوا تطور الحياة كما يبدو في الآثار المتحجرة التي خلفتها طائفة كبيرة من الحيوانات والنباتات . والمثل الاشهر الذي يضرب في هذا الصدد هو « تطور الفرس » . ولكن ثمة مجموعات كاملة تبين تطور الفيل والرتسا والوبر وغيرها . والخلاصة انه حيث نجد مجموعة وافية من آثار متحجرة لحيوان معين او لنبات معين ، نجد دليلاً قاطعاً على حدوث تطور متدرج من البسيط الى المختص المعقد وهو اساس النشوء . وقد كان الانسان البدائي والقردة يعيشون في احوال لا تؤاتي حفظها كلهم آثاراً متحجرة في بطن الارض . ومع ذلك لدى علماء الاحياء وعلماء تاريخ الانسان ادلة جلية على حدوث التطور . فبين الطراز الذي يمثله قرد من القروء العليا ذو دماغ متوسط الحجم وفكين بارزين وذقن مرتدة ، وبين الانسان الحديث ذي الدماغ الكبير والفكين الصغيرين والاسنان الدقيقة والذقن البارزة ، نجد آثار ستة امثلة او سبعة من الاحياء متوسطة بينهما متدرجة في صفاتها كانت بمثابة مراحل قطعها الثاني في تطورهم من الطراز الاول . ولا يمرُّ عقد من السنين الا ويأتي بامثلة جديدة . ففي السنوات العشر الاخيرة كشفت جمجمة الجليل في كهف تبغا بفلسطين ،

وجهجة جنوب افريقية في تو نغز بالترنسقال، وجهجة بكين بالصين

اما الادلة الاخرى فليس هنا مقام بسطها وانما نكتفي بالاشارة اليها اشارة موجزة. فدليل التفرق الجغرافي من اوضحها دلالة واكثرها استرعاء للعناية . واذا كانت الحال الحاضرة لم تنشأ بفعل التطور، فكيف نستطيع ان نعلل ان حيوانات الجزائر المنشورة في المحيطات محصورة في نطاق يشمل الحيوانات التي تقطع البحار على اجنحة التيارات الهوائية او عالقة بارجل الطيور . اوخذ جزائر ارخبيل غالاباغوس ، التي يقال انها قمم براكين كانت قائمة على سطح شبه جزيرة، فاما حدث لشبه الجزيرة ما اغرقها ظلمت قمم البراكين جزائر منشورة على سطح الماء . فمن الحيوانات الخاصة بهذه الجزائر «السلاحف الضخمة او الجبارة» . ولهذا النوع من الحيوان عشرة اصناف مختلفة موزعة على جزائر الارخبيل العشر . والاصناف التي على الجزائر النائية اشد تبايناً من الاصناف التي على الجزائر المتجاورة . ثم انك تجد خمسة اصناف مختلفة في نواح مختلفة من جزيرة واحدة هي اكبر الجزائر مساحة وتعرف بجزيرة «البمرل» . فاذا نحن انعمنا النظر في هذه الحقائق لم نجد سبيلاً الى تعليلها الا اذا فرضنا ان هذه الاصناف المتباينة نشأت من اصل واحد كان يقطن شبه الجزيرة ، وانها تغيرت تغيراً طفيفاً متدرجاً بحسب احوال الجزيرة ، وان الحواجز المائية منعت التزاوج المفضي الى اشتراك الطائفة كلها في ما اصابه بعضها من التغير — لا يخفى ان هذه السلاحف الجبارة لا تستطيع السباحة — اما اختلاف الاصناف على جزيرة واحدة فلعل سببه تكوين سطح الجزيرة نفسها وقيام حواجز بين البقاع التي تقطنها الطوائف المختلفة فتمنع اتصالها ، لان الجزيرة اصلها بركاني وسبل السير فيها وعرة . ويقال ان دارون زار هذه الجزائر اذ جاءها في رحلة « البيغل » فلاحظ ان لكل جزيرة منها صنفاً خاصاً بها من هذه السلاحف فقال ان هذه المشاهدة « قربته من عمل الخلق نفسه »

ثم هناك الادلة المستمدة من البناء التشريحي . فذراع الانسان، وجناح الخفاش، وزعنف الحوت ، وقائمة الحصان الامامية ، وجناح الطائر ، وذراع الزرافة كلها اعضاء مختلفة الشكل والمظهر . ولكنها مع ذلك تحتوي على نفس العظام الاساسية والعضلات والاعوية الدموية والاعصاب . ما اصعب تعليل هذا التشابه الكائن بين هذه الاعضاء بمذهب الخلق المستقل ! على ان فكرة النشوء تطلق الضوء في طريق فهم هذا التشابه العميق رغم الاختلاف السطحي . ثم هناك الدليل المستمد من علم الاجنة ، ومؤداه ان نمو الفرد يلخص لنا تطور السلالة التي يمت اليها، والدليل المبني على درس الاعضاء الاثرية وتعليلها بعدم الاستعمال فتضمر ولكنها لا تضمحل ، والدليل المستخرج من تجارب مؤصلي الحيوانات والنباتات، فالحماسة البيتية نشأت تحت رعاية الانسان من الحماسة الجبلية

اضف الى ذلك ما عثر عليه الباحثون في انحاء الارض من الحقائق الجديدة عن تحول

الانواع . فقد وجدوا مثلاً أنه يندر ان تجد نوعاً واحداً من النبات او الحيوان وقد جمد من دون تحويل في بقاع واسعة . ومعظم الانواع يمكن تقسيمها الى اقسام اصغر تعرف « بارداف الانواع » (شرف) sub - species وهي تعرف كذلك بالسلالات الجغرافية . والفروق بين ارداف الانواع هذه دقيقة جداً ، ولكن اذا قام بين ردفي نوع فاصل جغرافي يصعب عليهما اجتيازهُ انبتت الصلة بين الردفين واصبح كل منهما طرازاً جديداً Type . وهذا يبين لنا فعل التطور كما هو جارٍ الآن . فالنوع يتحول الى سلالات جغرافية جديدة يشتهر الاختلاف بينها باشتداد الفواصل . ثم ان بين كل الطوائف التي يتكون منها نوع معين فروقاً طفيفة جداً تجعل اسم « النوع » مجرد اصطلاح تصنيفي لان تيار الحياة لا يعرف الجمود فهو دائماً التجزؤ الى جداول وسواقٍ ، ودرس هذه التحولات الجغرافية يرينا مراحل التجزؤ هذا فيما يتعلق « بحقيقة » التطور . فان الادلة المتجمعة من ميادين البحث الحيوي تثبت اثباتاً قاطعاً للشك وليس ثمة عالم يؤبه له ينكر وقوعها

طريقة التطور

ولست الحال كذلك فيما يتعلق بالطريقة أو الاسلوب الذي جرى عليه التطور . فثمة بين العلماء تضارب في الآراء . ويمكننا تلخيص رأي دارون بقولنا : — كل الحيوانات والنباتات تخلف من النسل اكثر مما يحتمل بلوغه مدى الحياة . واذا نجد بينها نزاعاً على البقاء . ولما كان التغير أو التباين (Variation) حقيقة شاملة لا ريبه فيها فلا بد ان تجد اختلافاً أو تغييراً — مهما يكن طفيفاً — بين افراد النسل . ففي النزاع على البقاء يكون بقاء الافراد الذين يتصفون بتغيرات موافقة تعدتهم للحياة الجديدة ، اكثر احتمالاً من بقاء الافراد الذين لم يتصفوا بهذه الصفات أو ما يشبهها ، فيعجزون عن مجاراة عوامل البيئة فيقضي عليهم قبل نموهم واختلافهم نسلاً . ثم ان طائفة ليست قليلة من هذه التغيرات تورث ، فينتقل بعض التحسين في النسل ، الذي تم بهذا الانتقاء أو الانتخاب ، الى الجيل الثاني ، فيبدأ الحياة على مستوى اعلى قليلاً من الجيل السابق . فاذا تواتر هذا الفعل في اجيال متتابة حدث ارتقاء مطرد . وقد دعاه دارون بالانتخاب الطبيعي . ولتأييد هذا الرأي اشار الى ما ينعله مربو الحيوانات الداجنة ، « بالانتخاب الصناعي » فيغيرون شكلها وطبائعها

والفرق الاساسي الوحيد بين رأي دارون هذا وبين الرأي الحديث في الموضوع دائر حول « تورث التغيرات » التي تحدث في الاحياء . ففي القرن التاسع ، وعلوم الاحياء لا تزال ضيقة النطاق ، كان يتعذر على دارون ان يفرق بين طائفتين من التغيرات — الاولى التغيرات التي تحدث بفعل البيئة وتغير عادات الحيوانات وسلوكه وهي لا تورث . والثانية التغيرات

التي تنشأ من تحول في بناء الكائن الحي ذاته ، وهذه توارث . ومن الواضح ان التغيرات التي من النوع الثاني — وتعرف الآن عادة بالتحولات الفجائية Mutations — هي التغيرات التي ينطبق عليها فعل الانتخاب الطبيعي فينتخب منها ما يصلح وينبذ منها ما لا يصلح والعقبة الكبيرة التي حالت دون تسليم العلماء بعد وفاة دارون بصلاح مبدأ الانتخاب الطبيعي لتعليل التطور ان التحولات الفجائية لم تسد مسد التغيرات التي تقتضيها النظرية . فمعظم التحولات الفجائية التي تناولها البحث اولاً ظهر انها اختلافات كبيرة في صفات الحي الذي تظهر فيه ، فقالوا اذا كانت هذه التحولات اساس التطور وجب القول بأنه يتم قفزاً ، بدلاً من ان يتم تدريجاً على نحو ما هو ثابت في سلاسل الآثار المتحجرة لحيوانات ونباتات مختلفة . ثم ظهر ان بعض هذه التحولات الفجائية قد لا يناسب الحي الذي يظهر فيه بدلاً من ان يناسبه ، وعليه فلا يصح حسابها اساساً للنشوء عن طريق الملاءمة

على ان الماضي في البحث اثبت ان الى جنب التحولات الفجائية الكبيرة ، تقع تحولات فجائية صغيرة . والواقع ان هذه التحولات هي الغالبة ، وانما يصعب اكتشافها . ثم ثبت ان التحولات الفجائية الكبيرة تُفقد الحي الذي تظهر فيه التوازن ومن هنا ضررها . اما التحولات الصغيرة فأكثرها مفيد او غير ضار . ومعظم علماء الاحياء الآن متفقون على ان الانتخاب الطبيعي هو افعلى عوامل التطور . وانه يتم بانتخاب ما يلائم البيئة الجديدة من التحولات الفجائية الصغيرة

فصل مبرير

وقد فتح الاستاذ ملر الاميركي في العقد الاخير فصلاً جديداً من فصول « التطور » باكتشافه طريقة تصطنع هذه التحولات الضئيلة . ففي الاحوال الطبيعية السائدة نرى التحولات الفجائية نادرة الوقوع ، ولعلها لا تزيد على تحول واحد في ١٠ آلاف فرد من صنف ما . ولكن الاستاذ ملر اثبت ان تصويب اشعة اكس من امواج ذات طول معين الى ذبان الفاكهة مثلاً يسرع ظهور التحولات الفجائية فيه . وخطر اكتشافه من الوجهة النظرية افساد القول بأن حدوث التحولات الفجائية في الاحياء يقع من تلقاء نفسه ، واننا نعجز عن السيطرة عليه او التأثير فيه ، كما عجزنا عن التأثير في انحلال العناصر المشعة اسراعاً أو ابطاءً . ثم ان له خطراً عملياً ، لأنه قد يمكننا من استعمال هذه الطريقة ، بعد فهمها كل الفهم ، في احداث التحولات في النباتات والحيوانات ، مما يمهّد السبيل الى اسراع الانتخاب الصناعي ، بدلاً من انتظار التحولات الطبيعية ، وهي بطيئة كما قدمنا

وقد تلا الاستاذ ملر استاذ اميركي آخر يدعى الاستاذ جود سپيد (من اساتذة جامعة كاليفورنيا) فعالج صنفاً من نبات التبغ بأشعة اكس فاستحدث منه صنفاً جديداً . ثم تناول بابكوك وكلنز (من جامعة كاليفورنيا) تجربة الاستاذ ملر وحولاًها قليلاً . ذلك انهما وضعوا

طائفة من ذبان الفاكهة في نفق مخفور تحت مدينة سان فرنسكو حيث اشعاع الصخور شديد جداً . فتعرضت لبعض الاشعة المنطلقة من الراديوم او الصخور المشعة التي تحتوي على مركباته فنشأت منها اصناف جديدة لها صفات لا عهد للطائفة الاولى بها قبل تعريضها لهذه الاشعة — كلون الاجنحة وطولها وقصرها ولون العيون وغير ذلك

ويرى الاستاذ جولي استاذ الجيولوجيا في جامعة دبلن — ويجاريه بعض الفلاسفة — ان الاشعة الكونية هي التي بعثت الحياة على سلم النشوء . فالمعلوم في علوم الاحياء ان النشوء سار سيراً بطيئاً جداً بعد ظهور الحياة على الارض ثم اسرع قبيل العصر الكمبري وفي اثنائه ظهرت الوف من الانواع الجديدة . وهذا يمكن تعليله بأن الاشعة الكونية لا تأتينا من كل انحاء الفضاء على السواء ، وان النظام الشمسي في سيره السريع في الفضاء يخترق آناء منطقة تكثر فيها الاشعة الكونية فتتفعل في الاحياء فعل اشعة اكس في ذبان الفاكهة فتكثر فيها التحولات الفجائية فيسرع التطور وتكثر الانواع . ثم يخترق منطقة اخرى — بعد عصور طويلة — تضعف فيها الاشعة فيبطؤ النشوء وهكذا دواليك

مرى الحياة على الارض

من الاتجاهات التي جدت في هذا الميدان بعد دارون ما يرتبط بطول الزمن الذي استغرقة تطور الاحياء . ففي القرن الماضي حسب لورد كلفن ان عمر الارض لا يزيد على ٤٠ مليوناً من السنين . فكان ذلك في نظر البيولوجيين قصيراً جداً لا يكفي لتطور الاحياء وبلوغها في تنوعها وتخصصها المرتبة التي بلغتها . فلما كشف عن الراديوم ، انقابت المسألة ونقح علماء الطبيعة رأيهم في عمر الارض ، فاذا هو اطول جداً مما ذهب اليه كلفن ، فاعتبط بذلك علماء الاحياء لان ذلك يفسح المجال لفعل التطور البطيء

فالعناصر المشعة تمكن علماء الطبيعة من تقدير عمر الصخور التي في قشرة الارض تقديراً لا يحتمل كثيراً من الخطأ . فالراديوم يفقد قوته فقداً بطيئاً بانحلال ذراته ، فاذا مضى عليه ١٦٠٠ سنة أصبحت قوته في نهايتها نصف ما كانت في بدايتها . والسبب ان الراديوم يتحول الى شيء ليس راديوماً — سمه نفاية الراديوم — فجرام من الراديوم يتحول نصفه في اثناء ١٦٠٠ سنة من راديوم صاف الى نفاية الراديوم واذن فقوة الراديوم قد نقصت نصفها لان قدر الراديوم قد نقص نصفه . فاذا أعطينا مزيجاً من الراديوم ونفايته كان في الامكان أن نعلم مدى تحول الراديوم حتى أصبح له هذا القدر من النفاية . وما يعلم عن الراديوم يعلم عن العناصر المشعة المختلفة . فقد قاس العلماء مدى انحلالها وتحولها من شكل الى آخر فعنصر الاورانيوم يستغرق نحو ٤٥٠٠ مليون سنة ليتم فيه هذا الفعل

وفي قشرة الارض يعثر الجيولوجيون على قدر من الاورانيوم ونفايته في صخر من الصخور .

وقد ثبت ان مقدار النفاية في كل ما وجد اقل من مقدار الاورانيوم نفسه، أي أنه لم يعض على الاورانيوم ٤٥٠٠ مليون سنة وهي المدة التي يستغرقها لتحول نصفه الى نفاية. على هذا الاساس يقدر العلماء عمر الارض بنحو ٣٠٠٠ مليون سنة وعمر الصخور الرسوبية بما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون سنة والمرجح ان الحياة ظهرت على الارض من نحو الف مليون سنة. ولما كانت الصخور الاولى قد تعرضت لضغط شديد وحرارة عالية في اثناء تكون القشرة الارضية فمعظم آثار الاحياء الاولى قد زالت، أو هي لشدة الضغط والحرارة لا تمكن معرفتها الآن. واقدام الصخور الرسوبية التي توجد فيها آثار متحجرة للاحياء يرجع تكوينها الى نحو ٥٠٠ مليون سنة، وكانت اشهر طوائف الحيوانات قد ظهرت حينئذ مثل الديدان، والاحياء السرطانية، والاسفنج اما الحيوانات الفقارية فلم تظهر إلا من نحو ٤٠٠ مليون سنة. ولم تستعمر الاحياء اليابسة إلا من نحو ٣٠٠ مليون سنة وفي ذلك تقدمت النباتات على الحيوانات. اما الحيوانات الفقارية التي استعمرت اليابسة أولاً فهي الامفيبات (مثل السامندر) وظهرت الزحافات من نحو ٢٥٠ مليون سنة ثم الطيور، واما الحيوانات الثديية فمن نحو ١٥٠ مليون سنة. على ان الطيور والحيوانات الثديية الاولى كانت تختلف كل الاختلاف عن مثيلاتها في هذا العصر. فالطيور والثدييات التي من الطراز الحديث ترد الى فترة تتباين من ٥٠ الى ١٠٠ مليون سنة. وهذا يصح كذلك على النباتات الزهرية واعلى انواع الحشرات

ان زمن وجود الانسان على الارض، ازاء هذه العصور المتطاولة يكاد يكون كطرفه عين. فاقدم آثار الانسان وادواته ترجع الى مدة لا تزيد على مليون سنة. وليس ثمة شك في ان انفصال الانسان عن اصله المشترك مع القرد تم من نحو خمسة ملايين سنة الى عشرة ملايين. وكان الانسان الاول اشد شبيهاً بالقروء منا. فالانسان العصري من الوجهة البيولوجية حديث العهد لان معظم الآثار التي خالفها لا ترد إلى ما قبل ١٠٠ الف سنة

بهذه الروح يجب ان ينظر الانسان الى مستقبله. فعلماء الطبيعة والفلك يقولون بان امامنا عصوراً متطاولة لا تقل عن العصور التي وراءنا، وقد تنقضي ١٠٠٠ مليون سنة اخرى قبلما تبرد الارض حتى تصبح الحياة على سطحها متعذرة وهي طول المدة التي استغرقها نشوء الجنس البشري من النطفة الحية الاولى. فليس ثمة سبب يحملنا على الاعتقاد باننا القمة التي يمكن ان تبلغها الحياة. وباتساع نطاق المعارف يجب ان يتمكن الانسان من الاكباب على ترقية جنسه. فالزمن امامه ممتد الى ثنانيا المستقبل البعيد، وهو الكائن الوحيد، على ما نعلم، المتصف بصفة الشعور (Consciousness) بها يستطيع ان يتجرد عن نفسه هنيهة ليرى علاقته بالكون الذي يحيط به ومصير السيار الذي يقطنه. بها يستطيع، اذا شاء، ان يكون الامين على فعل التطور فيسير به الى غايته المجيدة !

الذين يريدون تدمير اموالهم فيها خوفاً من زيادة جانب الدين في موازناتها العالمية . ومع ذلك فان مدى نجاحها يتوقف على بذاتها لجاراتها في منع كل منها الاموال الاجنبية من ان تثمر فيها فلنا في هذا مثل بليغ على « التنافر » بين الافراد والامم . ان كل امة في محاولتها تحسين حالتها بالنسبة الى حالة جاراتها ، تسلك سبلاً تضر برخاء جاراتها . ولما كان عملها غير مقتصر عليها ، فانها تخسر بما تفعله جاراتها من هذا القبيل اكثر مما تجنيه بعملها هي . والواقع ان معظم العلاجات المقترحة الآن هي من هذا النوع الفتاك . فالمسابقة الى نقص اجور العمال ، وتعليق الحواجز الجمركية ، وتصفية الممتلكات والودائع الخارجية ، وتخفيض قيمة العملة ، وحث الناس على التوفير ، كلها من هذا القبيل . ولا يخفى ان خرج الانسان الواحد دخل الآخر . فاذا امتنعنا عن الاتفاق وفرنا ولا ريب مبلغاً من المال ، ولكننا ننقص بعملنا هذا ثروة آخر . فاذا فعل كل الناس الفعل نفسه نقصت الثروة العامة . فقد يضطر احد الناس ان ينقص نفقاته اضطراراً فيفعل وليس ثمة من يلومه . ولكن عمله هذا ، يجب الا يحسب عملاً وطنياً نبيلاً اذا لم يفعله مضطراً . فالتمول العصري اشبه شيء بربان لا يحب السفر الا في البحر الرهو . فاذا هبت العاصفة تخلى عما يجب عليه من تبعة الملاحه ، بل هو ، في محاولته تخليص نفسه باغراق جاره ، كأنه يحرق المركب الذي قد يعود به سالماً الى البر .

ومن نكد الدنيا ان الذهن العام قد تربي تربية بعيدة عن الحقيقة والمنطق السليم . فالانسان المتوسط قد تعلم ، بما يكتب ويقال ، ان ما يقضي به عقله السليم ، من ان التبادل اساس الفلاح ، قول باطل . ولقد فقد الناس ثقتهم بالعلاجات الناجعة ، لان تطبيقها كان يعوزها الجرأة والحزم . ولعل الاختبار القاسي علمنا فاصبحنا اميل الى الاخذ بنواصي الحكمة . ولكن زعماء الامم السياسيين كانت تعوزهم البصيرة والجرأة والحزم في تطبيق العلاجات الناجعة تطبيقاً حاسماً . فاستفحلت الازمة حتى لقد يفقد النظام المالي العالمي مرونته ومقدرته على الانتعاش وفي الوقت نفسه نرى مشكلة التعويضات وديون الحرب غيمة قائمة يكفهر بها الجو . ونحن نعلم ان ليس ثمة امل في تسديد مبالغ كبيرة منها . ومشكلتها ليست مشكلة مالية ، بل سياسية ونفسية معاً . فاذا اقترح الفرنسيون ، في المستقبل القريب ، اقتراحاً معتدلاً معقولاً ، لتصفية المسألة تصفية نهائية فالراجح ان الالمان يقبلون ، رغم اعتراضهم بعجزهم عن الدفع ، وعندئذ انهم يحسنون فعلاً بالقبول . ولكن الظواهر تدل على ان الفرنسيين مصممون على رفض اي حل من هذا القبيل مؤثرين خلق حالة تحمل المانيا على اعلان عجزها رسمياً عن التسديد . فرجال السياسة الفرنسيون (ومثلهم رجال السياسة الاميريكيون اذ يعربون صراحة عن رأيهم) يفضلون ، بسبب المناورات الحزبية في بلادهم ان يخسروا كل شيء بعجز المانيا ، على التسليم بقبول مبلغ معتدل منها . ثم انهم يرون ان عدم التسليم بنقص التعويضات وتوقف المانيا عن الدفع ، حجب يمكن استعمالها

ضد ألمانيا في حل المسائل المعلقة بين البلدين التي خلقتها معاهدة فرساي. وعليه فليست أرى شعاعة أمل في هذه الناحية من الاقتصاد الدولي

— ٣ —

لقد رسمت الصورة بأقلم الألوان . فهل للصورة وجهة أخرى ؟ وما هي عناصر الأمل التي يمكن تبينها في هذا القتام ؟ وأي عمل مفيد نستطيع القيام به لاجتناب الكارثة ؟

الباعث الأول

على الأمل أن النظام المالي أبدى حتى الآن قدرة غريبة على احتمال العبء الذي اناخته عليه الأزمة الحالية. ولو أن أحد تنبأ من سنة أن الحالة سوف تبلغ ما بلغت إليه الآن، لما كان أحد يستطيع أن يتصور أن الأمور تسير

في اعنتها الطبيعية كما هي سائرة الآن . وإن مقدرة النظام الرأسمالي على تحمل تبعه أخطائه من دون أن ينهار أقوى بواعث الأمل على إمكان تأليب القوى المعمرة لانتزاع الفوز من أنياب الفشل ثم أنني أرى أن خروج بريطانيا عن قاعدة الذهب حادث خطير لم يتح لنا بعد أن نقدر الفائدة العظيمة التي تجني منه . فانا اعتقد أنه ينطوي على مغزى مفيد في دائرة واسعة النطاق.

ولو أن بريطانيا تمكنت من الاحتفاظ بالذهب أساساً لعملتها، لكانت حالة العالم أبعث على اليأس، والأفلاس أوسع انتشاراً. ذلك أن عمل بريطانيا أسفر عن نتيجتين خطيرتين . الأولى أنه وضع حداً لهبوط أثمان العروض بالعملة المحلية المختلفة ، في بلدان مترامية فوق سطح الكرة. أذكر أسماء البلدان المرتبطة بالجنيه الاسترليني بدلاً من الذهب تجد بينها استراليا والجزائر التي حولها والهند

وسيلان ومالايا وأفريقية الشرقية والغربية ، ومصر والبلدان السكنديناوية — ثم هناك جنوب اميركا وكندا واليابان فانها مرتبطة بالاسترليني فعلاً أن لم يكن اسماً. وانك لا تجد في خارج أوروبا الآ

لا نجد موضوعاً اجمع لعناية الناس في هذا العهد من موضوع «الازمة الاقتصادية العالمية» وبواعثها ووسائل علاجها. لذلك عنيان بنواحي هذا البحث فنشرنا «رواية الازمات الاقتصادية» « وقصة الجنيه الاسترليني » وبحثاً في « مال التعويض وديون الحرب ». وهما نحن اليوم نلخص فصلاً لعالم من اكبر علماء الاقتصاد المعاصرين «جون مينرديكينز» الذي كان الممثل الأول للخزينة البريطانية في مؤتمر فرساي ومؤلف « رسالة في الاحتمال » و« نظرية النقد: مجردة ومطبقة » و« النتائج الاقتصادية لمعاهدات السلام »

الولايات المتحدة وجنوب افريقية بلاداً لا تزال عملتها على اساس الذهب . وليس بين الامم الكبيرة الا فرنسا والولايات المتحدة الاميركية حيث العيار الذهبي اساساً حر المعاملات والخروج عن قاعدة الذهب افضى الى تخفيف الضغط الناشئ عن ارتفاع سعر العملة وانخفاض سعر البضائع . ففي بلدان مترامية يحصل المنتج الآن على اسعار لبضاعته — بعملته

الخاصة ببلاده — اذا قيست بديونه ونفقات انتاجها لم تكن باعثة على السخط . وهذه الحوادث قريبة العهد لم تفز بالعناية الوافية بها بعد . وثمة بلدان كثيرة ، يصح ان نقول عنها ، انها من الوجهة المالية والاقتصادية قد اخذت ترتفع من الحضيض ، بعد خروج بريطانيا عن قاعدة الذهب . وهذا قول يصح على استراليا مثلاً . وعندى انه قد يصدق على الأرجنتين والبرازيل . وقد تحسنت الحال في الهند تحسناً بادياً ، حيث خرج الذهب ، الذي كان مخبوءاً قبلاً بسبب غلاء الجنيه الاسترليني ، فساعد خروجه على حل المشكلة المالية فيها

اما بريطانيا نفسها فاننا ننسى غالباً التحول الكبير الذي تم فيها بعد سبتمبر الماضي . وهذا التحول ان لم يكن تحسناً مطلقاً فانه نسبي على الاقل . فعمالها العاطلون عن العمل يقللون الآن ٢٠٠٠٠٠ عامل عما كانوا عليه في سبتمبر الماضي — وليس هذا مما يصدق على اي بلد صناعي آخر . وقد تم هذا رغمًا من ارتفاع الاجور الفعلية وهو من بواعث التشجيع للمستقبل . فبريطانيا في الاعمال التي تمتاز بها اصبحت الآن ارخص منتج في العالم ، والقوى التي أطلقت بخروج بريطانيا عن قاعدة الذهب جعلتها اكثر البلدان فلاحاً

ولكن ثمة نتيجة ثانية من انقسام امم الارض الى فريقين — الفريق الذي خرج عن قاعدة الذهب والآخر الذي لا يزال محتفظاً بها — فالفريق الثاني بما له من الديون جعل يضغط على اسعار السندات فانخفضت فاتجه تيار الذهب اليه تسديداً لما له من الديون . واما الفريق الاول فهو الذي كان متأثراً بهذا الضغط وكان الذهب يخرج منه متجهاً الى الاول . فخرج هذا الفريق عن قاعدة الذهب خطوة في سبيل اعادة التوازن الاقتصادي . وسوف يظهر اثره المباشر في فرنسا ، التي ينتظر ان تضعف مكانتها كأمة دائنة قبل آخر سنة ١٩٣٢ . واهم البواعث عليه هو — توقف المانيا عن دفع مال التعويضات ، وخسارة فرنسا من اموال السياح الذين كانوا يؤمنونها من اميركا وانكلترا وغيرهما ، وضعف تجارة الصادرات فيها ازاء البلدان التي خرجت عن قاعدة الذهب (لان بقاء فرنسا على قاعدة الذهب يجعل ثمن بضائعها في بلاد ما اعلى من ثمن البضائع الانكليزية) وازدياد مقادير الذهب في خزائنها

وقد لا يتم الاثر نفسه في الولايات المتحدة الاميركية بمثل السرعة التي يتم بها في فرنسا ، لان اموال السياح الاميركيين التي تخسرهما فرنسا هي وفر في حساب اميركا . ولكن الاتجاه واحد ، تم عاجلاً او آجلاً . ولا بد ان يأتي يوم يعدل فيه الذهب الخارج من الهند والمستخرج من المناجم الذهب المخزون في فرنسا واميركا . وهكذا بدأت حركة قد تنتهي الى تعديل فعل « التقلص المالي » . والمسألة الآن « هل يتم ذلك قبل انهيار النظام المالي العالمي ؟ » فاذا تم فالراجح ان السبيل بمهّد لعمل مشترك ، وارجح ان يكون بزعامة بريطانيا ، غرضه توسيع نطاق رؤوس الاموال ورفع اثمان العروض في بلدان العالم . واذا لم يتم فاني لا ارى الا زوال نظام

« الكريدي » القائم الآن فيتلوه نظام جديد يقوم على اسس جديدة وما يلي هوفي رأيي تسلسل الحوادث التي قد تفضي الى الخروج من المأزق الذي نحن فيه — اسوقها من دون ان ابدى رأيي في احتمال حدوثها . قد تتلاشى الازمة قبل حدوث الانهيار ولعل ذلك واقع الآن . ولعلنا اجتزنا اوعر الحوائل في بضعة الشهور التي انقضت . وفي الوقت نفسه يخف الضغط التقلصي الذي تحدثه فرنسا والولايات المتحدة الاميركية بفعل ما لهما من الديون الخارجية ، اذ تقل ديونهما بفعل القوى التي وصفت . وحينئذ ندخل طوراً تكون فيه النقود رخيصة . وهذه هي المرحلة التي كان يبدأ عندها الانتعاش في الازمات السابقة . على اني لست واثقاً من ان رخص النقود يكفي الآن ، لان صاحب المال ، وقد تبددت اوهامه في اثناء الازمة ، قد لا يرضى باقراضها الا اذا اعطي فائدة كبيرة لا يرجو المقرض ان يجني ربحاً يوازىها . فاذا حدث هذا فلا مناص من ان تطول الازمة وقد لا تنتهي الا بتدخل الحكومات لتشجيع تثير الاموال وتأيينه

— ٣ —

ويجب ان نذكر أن الازمة التي نعانيها ليست ازمة « فقر » بل ازمة « كثرة وفيض » . ان ما نشكوه ليس سببه بخل الطبيعة وإمساكها بل هو ضعفنا وخطأنا في جني ثمار العلم والطبيعة التي تغدق علينا ثمارها . ان الاصوات التي تدعو الى ان سبيل الخلاص هو سبيل التوفير الدقيق والامتناع عن الانفاق لهي اصوات الحق ومن الواضح ان حل المشكلة الاقتصادية العالمية اليوم اصعب منه في السنة الماضية . ولكنني اعتقد اننا نستطيع الآن — كما كنت اعتقد حينئذ — الخروج من المأزق اذا اخذنا زمامنا بأيدينا . فالحوائل دون الانتعاش ليست حوائل مادية . بل هي قائمة في معرفة اولي الحل والربط وأحكامهم ، ومن نكد الحياة ان معتقداتهم نشأت من خبرتهم في احوال ماضية لا تماثل قط احوالنا الآن . ففي فرنسا نجد اتجاه الشعب والحكومة مناقضاً لمنطق الآراء والحوادث الذي بسطت . وفي الولايات المتحدة يتحتم على المشتغل بالشؤون العامة ان يقول لغواً كثيراً للاحتفاظ بمكانته العامة . اما في بريطانيا فعندي ان آراء رجال البنوك اسلم وانما الامر الذي نخافه في لندن هو الاحجام عن التصرف تصرفاً جريئاً وليس اجدي على حسن المصير الاقتصادي من ان تتقدم الولايات المتحدة الاميركية صفوف الامم بحل مشكلاتها الخاصة فيكون ذلك باعثاً ومثلاً للامم الاخرى . ولكنني والحق يقال لست ارى في المستقبل القريب ما يجعل انتعاش الصناعة الاميركية محتملاً . بل ارى ان الولايات المتحدة سوف تقتفي اثر غيرها . ولذلك أجرؤ فأمل أن الانتعاش سوف يبدأ في بريطانيا والبلدان التي ترى في بريطانيا مركزاً للزعامة المالية . انه شعاع ضئيل من الامل ، ولكن النور الذي أتبينه في النواحي الاخرى أضال

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للكاتب الدكتور عبد الرحمن شهبندر

مصر الأسرة الشرقية

﴿ الأسرة ﴾ : يطلق الغربيون كلمة (فاميليا) على الأسرة وهي كلمة رومانية انتقلت الى اللغات الاوربية الحاضرة بلفظها ، واصل اشتقاقها من كلمة (فامل) بمعنى الرقيق او الممتلك الدليل الذي يمتلكه السيد، ويدل هذا الاشتقاق الوضيع على معناها في الازمنة الخالية ، ثم شملت فيما بعد غير ذلك من الممتلكات المنزلية في الاشياء والاشخاص ، ففي الشريعة الخامسة من شرائع الالواح الاثني عشر الرومانية التي وضعت في القرن الخامس قبل المسيح ان الرجل اذا مات من غير وصية يوصي بها ولم يكن له وارث شرعي فان اقرب المتصلين به باواصر القرابة العصبية — من جهة الذكور فقط — يرث (الفاميليا) التي يخلفها من بعده وهي الثروة «العائلية» بانواعها في الاشخاص والاشياء وقد لا تختلف هذه النظرة كثيراً عن نظرة العرب في الجاهلية اذ كان الميت يورث من بعده الاشياء والاشخاص معاً حتى امرأته فيحل لابنائها من غيرها ان يتزوجوها كما اسلفنا وان لهذه النظرة الابتدائية الى المرأة بانها سلعة اقتصادية اشباهاً ونظائر في الاقوام المتوحشة ، وعندنا ان المساومة على المهور في الشعوب التي قطعت شوطاً في المدنية بعيداً هي من بقايا هذه النظرة الابتدائية الحقيرة . ويمكننا ان نضع قاعدة عامة فخواها ان الوسط الذي يبنى فيه الزواج من الاساس على مقياس الفائدة الاقتصادية هو وسط ابتدائي في الروح الخيمة عليه ولو كان في حواضر البلدان الغربية في اوربا واميركا

ومما نورده في هذا الباب عن القبائل المتوحشة ونظرتها الى المرأة والزواج نظرة اقتصادية بحثاً ما حدثنا به صديقنا الفاضل الدكتور راجي خباز عن قبيلة (الدنكا) — وهي قبيلة منتشرة في الاصحاح من اعالي النيل الى بحر الغزال — فقد قال ان الزواج بين افرادها يجري من غير شيء من الشعائر سوى الرقص والغناء ويتم باتفاق اهل الخطوبة مع الخاطب على المهر وهو من البقر دائماً ، لان البقرة هي مقياس النقد عندهم . والاساس في الزواج هو استيلاد الاولاد لاستخدامهم في مصالح الزوج الاقتصادية . وكثيراً ما استولد الرجل العاقر امرأته من رجل آخر على طريقة زواج الاستبضاع في الجاهلية فان لم تلد بهذه العارية حقه ان يعيدها

الى اهلها ويسترد مهرها من البقر ولو بعد عشرين سنة . والبقرة المؤداة مهراً تبقى في مثل هذه الحال وقفاً على الزوج ينتفع بها فما ولدته يكون له وماتت يكون عليه . لكن هذا الحق الموقوف يسقط حالما تلد الزوجة ولداً ، كأن المولود الجديد يعادل البقرة في الاعتبار الاقتصادي ومن عادة (الدنكا) ان الزوجة اذا ماتت في اثناء الولادة وهي بكريّة تعد زانية زنى بها احد اهلها ، وتذكر وهي تلد جميع من اتصلوا بها فمن صادف اسمه نزول المولود يكون اباه حتماً ، ولكن مع ذلك لا يحق له ان يدعيه بل يبقى للزوج صاحب البقر فكأن الزوج والحالة هذه قد ادّى قيمة البضاعة — (على بوليصة الشحن) — فصارت ملكه ولا عبرة بالذي صنعها . واذا كان لرجل ابنة غير متزوجة فولدت ولداً فان هذا المولود يكون ملكاً له — لا لأنه جده لأمه بل لأنه امهر جدته بقرّاً حين تزوجها ، فالنفيد مملوك بحق البقر لا بحق القرابة ، واذا اشتكى زوج من زوجة انها زنت برجل حق له ان يقاضيه ويأخذ منه بقرة ثمن الزنا ، ويتكرر هذا الحق بتكرّر العمل المنكر مرتين او ثلاثاً ثم يزول اذ تصبح المرأة مومساً . والدنكيون مقتيون — يتزوجون نساء آبائهم من بعدهم — ولكن مع كل هذه الاوضاع الاقتصادية الابتدائية فهناك من حين الى آخر زواج قائم على الحب المتبادل والهرب الى الاقطار البعيدة فراراً من ضريبة البقر

﴿ الانقلابات الاقتصادية الحديثة وتأثيرها في الاسرة ﴾ : ذكرنا بشيء من التفصيل العامل الاقتصادي في الشؤون الزوجية وعرضنا للمتوحشين لان مجتمعهم بسيط وذو فائدة في فهم المجتمع المدني المعقد ونزيد على ذلك ان الاسرة بقيت الى زمن قريب في جميع انحاء العالم وحدة اقتصادية من الطراز الاول ففيها كانت تصنع الغزول والانوال وانواع الحياكة والادوات الزراعية وغير ذلك من الآلات . هذا كان حال اوربا واميركا في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ولا يزال في كثير من انحاء الشرق . بل ان المصنوعات البيتية في يومنا هذا ربما بلغت ملايين الريالات في الولايات المتحدة ، الا ان التطورات الخطيرة التي اصابته الغربيين في شؤونهم في السنين الخمسين الاخيرة احدثت انقلاباً عظيماً في حياتهم « العائلية » وتهدد هذه التطورات الوحدة البيتية من اساسها على الرغم من جميع المواعظ والخطب والعقائد التي استحكمت في نفوس البشر الوف السنين ، لان اشتراك المرأة الغربية في الصناعة وسعيها لاكتساب المال بالاعمال ونزولها الى حلقة الصراع في المشروعات الخاصة والعامة وطرقها ابواب الحكومات والشركات للتوظيف كل ذلك اعطاها من قوة الاستغناء ما جعل ارتباطها بالاسرة اختياريّاً وتعلقها بالرجل « كفيّاً » حتى اصبحت البيوت كما قال احد الاساتذة عبارة عن مساكن او (بنسيونات) يؤمها الناس فيؤدي كل واحد منهم قسطه من المصروف ويحيا حياة مستقلة . واذا كانت المرأة من الوجهة الحيوية مخلوقاً يحمل ويلد الاولاد ومن الوجهة النفسية والاجتماعية معلماً في روضة الاطفال ومعلماً في الدروس الابتدائية فمن ادعى دواعي الاسف

ان تصبح هذه الوظائف الكبيرة في اوربا وأمريكا مهددة من الاساس لان المنازل هناك لم تعد مساكن السواد من النساء بل مساكنهن المعامل والمصانع والمكاتب والحوانيت ودوائر الحكومات . فهل تبلغ الحاجة الاقتصادية في العالم العربي يا ترى مبلغاً تضطر معه المرأة الى هجر بيتها في طلب الرزق كما تفعل زميلتها الغربية ام يبقى لديها متسع تحافظ فيه على القيام بوظائفها الطبيعية التي خلقت في بدنها منذ ظهر هذا المخلوق الذي ندعوه بشراً على ظهر الارض ؟ هذا سؤال يتوقف الجواب عنه على سير المدنية في العالم العربي في المستقبل وهل يكون هذا السير طبق المدنية الغربية ام سيراً خاصاً له ميزاته القومية وتقاليده الوطنية . ولا مرء ان السيدة الشرقية ستبقى الى زمن بعيد امرأة وان كثرت بيننا النساء المترجلات او المحترفات وصاحبات المهن ذلك لان نتيجة الصدام بين الحضارتين الشرقية والغربية هي مثل سائر انواع الصدام بين القديم والحديث حضارة معتدلة بين الاثنتين او تسوية وسط في الشؤون التي تتناول جواهر الحياة — اما اذا كانت هذه الشؤون جوهرية فالتقليد والمجاعة امر لا مفر منه . يعني ان الانقلاب الاقتصادي الحاضر اذا كان من لوازمه الضرورية المبرمة نزول المرأة الى حلبة العمل الخارجية وهذا ما لا نؤمن به — فلا مفر لنسائنا من المجاعة وتكليف النفس والا فالحكم قاس يتعلق بالبقاء او الانقراض ولا ثالث لهما

وقد دل الاحصاء في العالم الغربي على العمل العظيم الذي تضطرب به المرأة في الاقتصاديات ففي الولايات المتحدة في سنة ١٩٢٠ مثلاً كان اكثر من خمسة عشر في المائة ممن يتناولون الاجور في المصانع والاعمال الميكانيكية نساء فوق العاشرة من العمر . اما نحن وقد نشأنا في بلاد واسعة لم تبلغ المزاوجة الاقتصادية فيها ما بلغته في ديار الغرب فنشك كثيراً في الربح الذي يجنيه المجتمع من خروج المرأة عما خلقت له ، واذا كنا من اكبر انصار تحرير المرأة — وقد حررناها في بيوتنا فعلاً في اعصاب الاوقات وحاربنا استعبادها كما نحارب اقصى انواع الظلم والاستعمار — فهذا لا يمنع ان نكون من القائلين بأن الطبيعة حكمت على المرأة وعلى الرجل بتقسيم الاعمال ووسمت كل منهما بوسم خاص للدلالة على هذا التقسيم ، لذلك ترى في موقفنا الحاضر الميسور ان قطرة من اللبن تدرّ مع الحنان من ثدي المرأة في فم رضيعها خير من كومة من الابرز تجمعها لتثبت بها احتقارها للاسرة واستغناءها عن الرجل . وارجو الا يستنتج القاريء من كلامي هذا انني عدو عمل النساء في جميع الاحوال بل ارى ان العمل الذي يقوم بأود البنت فيحول دون تهافتها على اول عريس تلتقاه خير من بقاءها كلاً على عاتق اهلها بحيث تعرض في سوق الزواج بأرخص الاسعار

اننا نريد ان يعمل النساء ولكن في الحدود المستبانة من روح كلامنا وفي المنطقة التي تسينها لهن الخلقة والطبيعة . والقاعدة التي يمكن الركون اليها في هذا الصدد هي ان يكون

عمل المرأة الخارجي هو لدفع الحاجة اكثر منه لجلب الثروة ، ولا مرء في ان اشتراك النساء في كثير من الاعمال التي اقتصت بالرجل قد خيب آمال اشد الناس اندفاعاً في تأييد هذا الاشتراك والدعوة اليه ، فقد يخضن غمار السياسة ويمارسن حقوق الانتخاب مثلاً ولكن رأي معظمهن عند التصويت قد يبنى على مظاهر لا تهتم الدولة ولا تروق الرجال المديرين ، ومن افزع الكوارث التي تنصب على رأس المجتمع البشري ان يتخض الرجل وتترجل المرأة ﴿ تولد الميزات العقلية الاجتماعية في الاسرة ﴾ : من اعظم الحجج التي يدلي بها علماء الاجتماع على وجوب الاحتفاظ بالاسرة ونظامها هي الميزات العقلية الاجتماعية التي يكتسبها الابناء في حجر ابويهم وبين اخوتهم واخواتهم . فالبيت مدرسة نفسية من الطراز الاول يتعلم فيها النشء الحب والتعاون والايثار والصبر وكبح جماح النفس بالطرق العملية فتولد في افراده الارادة ويرتقي الحزم وهذه كلها صفات عقلية يبنى عليها المجتمع وزواها يذهب بجميع تلك الخصائص التي ميزت الجمعية البشرية عن قطع من السائمة « وفن المعيشة المشتركة بالوثام والاستفادة هو فن اساسه الحب الناشئ عن الوحدة العائلية »

﴿ تحرير الافكار واثره في الروابط العائلية ﴾ : لقد انسابت عوامل تحرير الافكار الى جميع الطبقات ودخلت معظم البيوت حتى البيوت التي تنقاد للطريقة القديمة حيث يطبع الابناء بطابع الوالد المبجل عادة ويسرون على سننه في كل شيء فغيرت هذه العوامل هذا الطابع العقلي او القالب الروحي ولم يعد الشذوذ عن سيرة الوالد في السياسة والافكار انشقاقاً يستحق صاحبه الجزاء والاضطهاد . ولا سلطة اليوم في ديار الغرب لوالد على ولده في النحلة والفكرة والمذهب السياسي الا ما كان بسبيل البرهان والاقناع والاتفاق

وغني عن البيان ان مثل هذا التحول يقوي الفردية الاجتماعية العالية متى كان سليماً ومبنيّاً على قواعد التربية الحرة ، ولا خوف منه على كيان الاسرة بل الواجب ان يشجع الى درجة معقولة ، ذلك لان الجمود مرض عضال والسير في الحياة اجيالا متتابعة على نمط واحد يحول دون الارتقاء . وقد تغيرت نظرات الناس في السياسة والعقيدة والتهذيب منذ جيل الى اليوم تغيراً كلياً حتى صارت الصدمات القاسية التي كان يلاقها بعض زعماء الاصلاح امثال الشيخ طاهر الجزائري في سورية وشكري افندي الالوسي في العراق والشيخ محمد عبده او قاسم بك امين في مصر اشبه في نظرنا بمداعبات ومهارات منها بمواقف جديّة ذلك لان الرأي العام اخذ في الاختمار وصار الطعن في الرجال للعقائد التي يدينون بها عن اخلاص سمجاً تأنفه النفوس . بل لا نخطيء اذا قلنا ان القضية انعكست وصار الاستسلام الاعمى للعقائد والنظريات التي درج عليها الآباء والجدود من غير تمحيص علمي عيباً يتجنبه النابهون . ومن اهم التطورات الفكرية التي استجدت في ميدان العلم الا يقبل الباحث رأياً من غير ان يعرضه لمطارق الشك

واذا نام المتقدمون على راحة اليقين فقد صحونا نحن على تعب الشك لكن هذا الشك قد ادى الى ما نراه من الانقلاب الخطير في العلوم المادية والمعنوية

﴿هل نتبع الغرب في تصغير الاسرة﴾ : ان الضرورات الاقتصادية الحديثة حكمت على الغربيين بتصغير اسرتهم اذ عرفوا ان الاولاد الكثيرين الذين ينشأون في بيت معوز وينحشرون في غرف ضيقة ولا يحصلون على غير الكفاف من العيش والراحة والزهة ثم اضعف من ولد واحد او ولدين اثنين يترعرعان في رخاء ويتمتعان من عناية الابوين بالقسط الوافر مادة ومعنى . واذا نحن لم ننكر ان العادات الاجتماعية الطبيعية تضمن الضمان الكافي في الاسرة الكبيرة حيث ينمو الاطفال في بيئة تتناسب مع مداركهم وتدرجهم في المشاعر والعواطف والاختيار وهم بعيدون عن الاختلاط الدائم بالمراهقين والبالغين الا ان الاضرار التي تصيبهم من العسر وقلة ذات اليد تربي كثيراً على هذه الفضائل الاجتماعية . وقد لاحظ اهل التتبع ان الميل الى تصغير الاسرة في ديار الغرب سار كتفاً الى كتف مع تناقص الاراضي الزراعية وضيق ميادين العمل . اما الناس في عالمنا العربي فلا تزال هذه الاراضي متسعة امامهم في كثير من الاقطار كبلاد العراق مثلاً حيث يوجد نحو ١٣ مليون فدان لاربعة ملايين من السكان والديار الشامية حيث عشر الارض فقط (او نحو ستة آلاف ميل مربع) يستثمر بالطرق الزراعية . اما مصر ففيها نحو سبعة ملايين فدان لخمس عشرة مليوناً من الاهلين وهذا يقضي بشيء من الاشراف على المواليد وضبطها وتحديدتها في القريب العاجل هذا اذا شاء ابناء وادي النيل ان يحسنوا النسل في النوع لا في المقدار

وقد لوحظ ان هنالك عوامل متعددة هي السبب في صغر الاسرة في بلدان الغرب منها التأخر في سن الزواج وتحديد المواليد وانتشار الامراض المعقمة وغير ذلك من العوامل . ففي كتاب للدكتور (مورو) عنوانه « الامراض الاجتماعية والاسرة » ان خمساً وسبعين في المائة من العمليات الجراحية التي تعمل للنساء وثمانين في المائة من جميع الوفيات الناشئة عن الالتهابات الخاصة بهن هي مسببة عن العدوى التناسلية . وعنده ان خمسين في المائة من النساء المصابة بالامراض التناسلية تصبح عقيمة وان معظم الزواج العاقر ليس اختياراً بل اضطراراً بسبب الامراض . وعلاوة على ذلك فالمشروبات الروحية — عند كثير من علماء الطب — متى استحكمت في الآباء اضعفت النسل وانقصته ، يدلنا على ذلك ما قام به الدكتور (هدج) من التجارب التي اجراها على الكلاب اذ وجد ان ثلاثة وعشرين جرواً نزلت من صلب كلبين ابوين اسقيا الخمر لم يعش منها غير سبعة عشر في المائة في حين عاش تسعون في المائة من خمسة واربعين جرواً من ابوين لم يذوقا طعم الراح ثم اننا لا يهملنا عدد المواليد بقدر ما تهملنا الطاقة على تربيتهم والعناية بهم . وقد ثبت ان اشتغال المرأة المتزوجة في المعامل يقلل من هذه العناية ويدعو الى هلاك الكثير منهم .

وقد أجرى الدكتور (جورج ريد) وهو طبيب مقاطعة (ستفوردشير) في انكلترا احصاء في هذا الصدد فتبين له ان الوفيات في الاطفال دون السنة الواحدة من العمر في ست مدن من مدن الخزايفين هي ١٤٦ في كل الف من مواليد النساء اللاتي تلاقين بيوتهن في حين ان الوفيات تبلغ ٢٠٩ عند النساء المشتغلات في المعامل واللاتي تغادرن دورهن في النهار . لكن الدكتور (جورج روبرتس) طبيب الصحة في (برمنجهام) وجد ان سوء الحال الناتج عن الفقر في الاسرة هو اشد فتكاً في الاطفال من اشتغال الامهات خارج الدور . واما في اميركا فقد دلّ الاحصاء في مقاطعة (فول ريفر) من ولاية (ماساشوستس) على ان وفيات الاطفال بسبب الاسهال والتهاب المعدة والامعاء في البيوت التي تشتغل نساؤها في المعامل تزيد ثمانين في المائة على الوفيات في البيوت التي تلاقين نساؤها ، اضافة الى ذلك ان هذه البيوت هي اقوم نظاماً ورجالها اعدل مزاجاً وابنائها اقوى بنية وعلاقتها الزوجية احكم ارتباطاً

على ان واجب الاحاطة بالموضوع يقضي علينا بالاشارة الى ان انصار اشتراك المرأة في الاعمال يدعون ان الضرر اللاحق بالاطفال ليس ناشئاً عن اشتغال المرأة بل عن سبب آخر هو الفقر وان المرأة لولا فقر زوجها ما اضطرت الى الخروج من بيتها في طلب الرزق ، وخلاصة مذهبهم « ان النساء يستطعن العمل في جميع الميادين الصناعية الحاضرة مع الاحتفاظ ليس بمقياس صحتهم فقط بل برفع هذا المقياس ايضاً ، غير ان الواجب يقضي بأن تكون العمارات التي يشتغلن فيها صحية ومبنية على اصول الفنية وان يعلمن هن ومن يستخدمهن في الاعمال قواعد الصحة العملية البسيطة »

ولامراء ان اهم الاسباب في نقص المواليد هي ارادة الآباء والامهات اما لعجزهم عن اعالة الاولاد او لانصراف الوالد الى المناصب والاعمال ورغبة الوالدة في تحقيق اللذائذ والمسرات بحيث يريان الاولاد عقبة في سبيلهما وان توفر المال لديها وهذا الامر شائع في الغرب دون الشرق — حتى الآن واما ما يقال عن ضعف بعض الاقوام وانحلال قوتهم الايلادية وسيرهم في طريق العقم كما هو حال الفرنسيين مثلاً فهو موضوع دقيق يتطلب بحثاً اخصائياً لا يتسع له هذا المقال ، ومما هو ثابت ان الوسائل الصحية الحاضرة والعناية بالمرضى والمتعبين واصحاب العاهات كل ذلك ممكن الملايين من البشر ان يعيشوا ويتزوجوا ويتوالدوا مع انهم لو تركوا وشأنهم لقضى عليهم الموت من غير شفقة ولا رحمة . وهكذا نرى ان وسائل المجتمع العلمية قد حالت دون تنفيذ قانون الانتخاب الطبيعي وتطبيق بقاء الانسب . ومن يدري ان بعض الاقوام قد صرفت من قواها الحيوية واستنزفت من مخزونها الاستنتاجية ورأس مالها القومي ما وصلها الى درجة التوقف والانحلال شأن تلك الاجناس البيولوجية الاثرية الكبرى التي انقرضت ولم تترك من عظمتها الا هياكلها العظيمة بين طبقات الغبراء وتحت سطح الماء

ميزة الحضارة الغربية

للاستاذ سامي الجريديني

ميزة المدنية الغربية النظام والحرية — النظام المستمد من القانون او من الشريعة ، والخضوع لهذا النظام او لهذه الشريعة باعتبار انها تمثل ارادة الهيئة الاجتماعية وضميرها وباعتبار ان في الخضوع لها مصلحة الفرد والجمعية . ويفقد النظام مزيته وتفقد الشريعة قيمتها اذا كان الخضوع لها على اعتبار انها ارادة قوة لا تُردُّ ارضية كانت هذه القوة ام سماوية فالشريعة وهو ما يعبرون عنه بكلمة (Loi أو Law) ليست مشيئة القوي بل محاولة الوصول الى العدل ولذا كان من اركان بنيانها أن تنشأ وتنمو وتتكيف وتتغير حتى تبلغ اسمى مطامح الانسان الادبية .

ولم تكن الحضارة الغربية قبل خضوعها للمدنية اليونان والرومان واتخاذها هذه الحضارة طعماً تمثلته ثم هذبته ورقته على هذا المبدأ في تفهم الشريعة بل كانت مثل الحضارات الشرقية تقديس الشريعة على انها ارادة واحد قهار لا على انها عدل وعلى انها لا تتغير الا بمشيئة السيد وما مشيئته الا حاجة في نفسه إن كان ارضياً أو احجية لا تفسر ان كان سماوياً

ومن صفات الشريعة أو النظام انها وليدة الخلق وليس الخلق ناشئاً عنها . فالقانون — أو الشريعة — أو النظام أو الناموس يجب أن يكون معبراً عما في ضمير الجمعية من خلق رفيع . فالخطيئة ليست في انتهاك القانون بل في انتهاك المبدأ الادبي الذي نشأ القانون منه . ولذا وجب أن يكون الناموس متغيراً متبدلاً مترقياً ماشياً وراء رقي الاخلاق السامية . لأن اخلاق البشر ابتدأت سافلة وأخذت ترتقي مع الزمن والتكيف بالوسط

إذا نظرنا الى الشريعة بهذا المنظار تبين لنا السر في ان الرجل الكريم هو الرجل الذي يخضع للقانون ويساعد على اطاعته ليس لأن تنفيذه منوط بالشرطة بل لأنه يرى في تنفيذه كرامته فيملكه الشرط أو الوعد سواء أكان مكتوباً أم نطقت به شفاه . فالعهد الادبي يجب أن يسبق العهد المادي

ويترتب على هذا المبدأ مبدأ آخر هو النظر الى الشريعة كوسيلة للخير العام لا كأمر من ذي سلطان . ومن ثم يتعين على كل أحد أن يحوطها بعنايته ويحافظ على تنفيذها لا أن يتملص من قيودها وينظر اليها نظر عدو

فالمدينة الغربية في أرقى مظاهرها تفرض في شعب متمدين أن يعم كل أفراد شعور لا بطاعة القانون لحسب بل بالرضا به وبالمساعدة على تنفيذه واحترامه بحيث صار يُعَدُّ الشعب متمديناً متى كانت افراده ينظرون الى القانون نظراً الى أداة وضعوها هم لفائدتهم وان في احترامها وفي المساعدة على تنفيذها عائدة خير للفرد وللجمعية . فقياس المدنية الحققة في الفرد هو في تضامنه مع الحكومة في العمل بالقانون لا بالمساعدة على التملص من قيوده . فمن ساعد مجرماً على الافلات من حكم القانون ليس خليقاً بأن يكون عضواً في جمعية ذات حضارة حقيقية، وواجبه ازاء القانون واجب الشرطي حذوكم النعل بالنعل . ولذا ترى في الشعوب التي لم تضرب بقسط وافر في الحضارة ميلاً الى الهروب من القانون وسروراً بل إعجاباً اذا رأوا المجرم يقاوم الحكومة ولا تجدهم يطيعون القانون الا رهبة من عقاب او طمعاً في ثواب وهناك مبدأ آخر يستمد من مركز النظام في الحضارة هو أن للجمعية التي يجب أن يكون النظام لفائدتها الحق في أن تضعه هي لنفسها

لأنه اذا كان الاصل في الناموس أن يتكيف حتى يطابق ضمير الجمعية وأن يكون لفائدة الجمعية فلقد صار لافراد هذه الجمعية أو لخيارهم الحق كل الحق في أن يتولوا أمره بأيديهم، وها نحن نرى الآن كل أعضاء اسرة الحضارة الغربية يقدسون هذا الحق ويستعملونه على اختلاف في الشكل افضى الى اختلاف في أنواع الحكومات

وقد يختلف رأي بعض الناس في صحة هذه النظرية ويشككون في هل كان من الاصلح والاجدر أن يتولى الشعب امر التقنين أو أن يتركه لسواه ولكن ما لا شك فيه هو ان الحضارة الغربية قد اقرت المبدأ وأخذت به إن خيراً أو شراً فصار ميزة من ميزاتها

فالنظام أو الشريعة أو القانون الذي جعلناه ركناً من أركان الحضارة الغربية جعلنا لفائدة المجموع لا لفائدة الفرد . وانه في أرقى درجاته محاولة تطبيق المبادئ الخلقية السامية فيكون نتيجة الاخلاق لا سببها . وانه آلة متغيرة متكيفة غرضها مطمح أدبي عال . وانه على كل أحد أن يطيع هذا النظام وأن يساعد على تنفيذه . وأن حق وضعه وتغييره من حقوق المجموع لا من حقوق الفرد مهما كانت سلطته

هذا معنى النظام في عرف الحضارة الغربية وهو أول ميزات هذه الحضارة

أما الركن الثاني فهو الحرية وهو ثان في الترتيب ولكنه أول في خطورة الشأن الايمان بالحرية نخر من مفاخر الحضارة الغربية لم تشاركها فيه الحضارات الاخرى ما تقدم منها وما تأخر

وما هي الحرية ؟ إنها تستعصى على التفسير وتكبر عن أن تحد
فهي روح حية لا كلمة أو حرف ميت ولذا استحال على الناس تعريفها ويستحيل علينا
تحديدنا فنكتفي بأن نذكرها ونقول إنها عقيدة ترسخ في نفس الفرد او الجماعة على أن لا
تهتدى الا بهدى النور الداخلي المنبعث من وجدانها فتكيف عقلها وضميرها وكل طرق
معايشها على هدى هذا النور

على اننا اذا بحثنا في تفسير هدى هذا النور فقد نستطيع القول بأن آثار الحرية تظهر
في امور ثلاثة :

اول هذه المظاهر حرية الضمير او حرية العقيدة وهي هذا الحق الذي يجعلك تحكم
مبادئك الادبية السامية في أعمالك ضارباً صفحاً عما يفرضه القانون أو ينص عليه العرف او
يقضي به الرأي العام

هذه هي الحرية التي خلقت الانبياء فجعلتهم وهم بشرٌ يعيشون في وسطٍ يخالفهم، أن
يقوموا على هذا الوسط فغيروا من عقيدته وبدلوا من افكاره وفكوا عنه رباط القديم. وهي
هي التي جعلت من جاء بعدهم يشكون فيما وضع للعالم من تعليم ونظام فحادوا عما رسم وساروا
طريقاً يختلف عما عبده لهم هؤلاء الانبياء . ولكنه دليل على أنهم يهتدون بهدى الانبياء
نفسه هدى الحرية اذ يحكمون الضمير لا التعليم والروح لا الحرف

فلو اكتفى البشر بحرية رجل عظيم قام ووضع لهم نظاماً وظلّوا دهرهم عليه لما كانت
للحرية معنى اذ تقف وتجمد ويصبح النظام الذي كان نافعا في بدء وضعه عقياً ميتاً اذا لم
تتعده حريات أخرى بتبديل وتغيير وتكييف . فعلى حرية الضمير قامت عبادة الاصنام
وعبادة الحيوان . وعبادة أرباب متفرقين الى عبادة واحد قهار أو رحيم . وحرية الضمير هي
التي تمكن بعض الناس ألا يعبدوا لا أولئك ولا هؤلاء وألا يرضوا أن يبين لهم غيرهم ما
يعبدون وما لا يعبدون

لقد اطلقت المدنية الغربية هذه الحرية من عقالها بعد جهاد طويل ملأ التاريخ ناراً ودماً
فصرنا الآن وهي ركن من اعظم اركانها

وثاني هذه المظاهر حرية الفكر وهي هذا الحق الذي يجعلك تحكم عقلك فيما يقع تحت
حواسك أو فوق حواسك فلا تعبأ بما قررتة التقاليد أو ما سار عليه الجمهور . حرية الفكر
خلقت العلم وما اوجده العلم من نور وما هبأه من سعادة عقلية ومادية . وحرية الفكر أطلقت
العقل من عقاله فاستكشف اسرار الطبيعة وسخرها لخدمته ولهنائته . وحرية الفكر تسيّر ابن
آدم في طريق جديد لا يعرف له اول ولا يدرك له آخر

ولا نستطيع أن نميز تمييزاً قاطعاً محدوداً بين حرية الفكر وحرية الضمير فإننا لانعرف اين تنتهي الواحدة وتبتدىء الاخرى لاننا نراها متصلتين ابداً آخذة هذه برقبة تلك

وثالث هذه المظاهر الحرية السياسية وهي وليدة الظاهرتين السابقتين ولكنها اكثر منهما أثراً للعين لارتباطها بحياة الانسان الاجتماعية من كل وجوها
فالحرية السياسية هي خلع نير السلطة المستبدة والحق في التشريع . هذان الاساسان كوناهما وعليهما قامت ونمت وظهرت بمظهرها الرائع في الحضارة الغربية في هذه الايام
أجل الطرف في تاريخ الشرق واقرأ بانعام فلسفة حضاراته تجددها بعيدة عن الحرية التي فسرناها لك بعداً شاسعاً . فكأن الروح الشرقية موحدة لا غير والتوحيد يفرض اجتماع كل الصفات في شيء واحد ومنها السلطة المدنية ومتى تم لكائن واحد ان يجمع السلطان في شخصه سار حتماً الى الاستبداد فالى انتزاع الحرية من الجمهور

وان الحضارة التي لا تقوم على الحرية لحضارة مادية يابسة لا تلبث ان تموت عاقراً . فقد تزهو في وقت معلوم لغرض معلوم ثم تنظر فاذا بها كأن لم تغن بالامس . فالحضارات في الشرق — دع عنك الحضارات الاسلامية في أرقى مظاهرها — تركت لنا الاهرام وتركت الابراج وخلفت الهياكل والمقابر وقد تكون قد وضعت مباديء الهندسة أو الفلك ولكنها لم تترك لنا روحاً حية ميراثاً للابناء عن الآباء . انها ابقت آثاراً مادية قد تبقى على الدهور ولكنها تركت شعوباً يتلقفها الفاتحون غاز في اثر غاز . ذلك ان المادة شيء والروح شيء آخر

وان الحضارة التي لا تخلف في تركتها روحاً حية وتجمع كل ثروة العالم المادية لحضارة فقيرة جد الفقر

قد يرى القارىء تضارباً في وصفنا المدنية الغربية بالنظام والحرية وهما ركنان يتناقضان كثيراً اما نحن فنقول ان سر هذه الحضارة هو في اجتماع هذين النقيضين . فان الجهاد لنيل الحرية يجعل النظام حياً متغيراً متكيفاً كما ان حب النظام يحفظ هذه الحرية من التدهور الى الفوضى . على انهما ليسا بنقيضين بالمعنى الصحيح بل حالتي نفس متمدينة متمكنة من شعب اخذ امره بيده وإننا نرى أن للمدنية الغربية ميزة أخرى قد تكون وليدة الركنين اللذين شرحنا ظاهراتهما ولكنها بارزة بروزاً جديراً بان يحلها محلاً منفصلاً عن ذينك الركنين ، تلك ميزة الاندماج والتكيف

فالمدينة الغربية لم تنتبذ لها مكاناً قصيماً عن بقية المدنيات بل اخذت عن سواها وامتصت وتمثلت ما اخذته وهي لا تزال تتطور شأن كل مخلوق حي والشعوب المتحضرة بالحضارة الغربية ليست إلا نسلاً خليطاً قوام نسبه الاندماج بسواه

والتطور مع هذا السوى . وانه ليجدر بنا أن نتفهم هذا الخلق تفهماً حقاً . فرحابة الصدر في الشعوب وحب الاختلاط وازالة ما يمنع الاندماج خير ما يتاح لشعب يرغب في حياة خليفة بهذا المدن

هذه الروح خلقت الامة الانكليزية وخلقت امة اعظم هي الامة الاميركية بل هي ام القوميات الاوربية كلها

ولكننا لم نعبأ بها في الشرق . فالترك مثلاً حكموا دهوراً على غير هذه القاعدة وكم يكون ملكهم عظيماً لو أدمجوا الارمن أو العرب أو الروم واندمجوا بهم اذاً لكانت هناك قومية تركية ولكنهم كانوا إلى العصبية أميل : الدينية ساعة والجنسية ساعة أخرى

بل انظر الى تلاميذهم من سوريين ولبنانيين وفلسطينيين وعراقيين ومصريين ترزوح الانزواء ظاهرة ظهوراً فاضحاً . فاللبناني يغضب اذا جاوره ارمني وأحب أن يدخل قوميته والفلسطيني تقوم قيامته اذ يرى الحضارة الحالية تنصف اليهود وتعدهم بشراً لهم ما لجميع البشر من حقوق في آمال ومطامح

كل هذه آيات تدل على ان الشرقي بعيد عن الفكرة السخية في تكوين القوميات القائمة عليها الحضارة الحالية

ولهذا الخلق الذي نحن به متخلقون اسباب شتى ليس في المقام متسع لبحثها ولكنها مهما تعددت الاسباب فالاشياء بنتائجها والنتيجة المتحصلة من تاريخ حياتنا السياسية والاجتماعية لا تتفق مع ما قدمنا من ميزات الحضارة الغربية

وليس معنى ذلك اننا اقوام لا نليق بشخصيات دولة مستقلة . لا ، وليس معنى ذلك اننا لن نكون اصحاب سطوة ونفوذ دولي او اصحاب حكومات توافق اخلاقنا فنعيش دنيانا عيشة راضية . لا ، بل معنى ذلك اننا بعيدون بعداً غير شاسع في بعض الاحيان وشاسعاً في بعضها عن الحضارة الغربية الحقيقية المتسلطة على العالم الآن

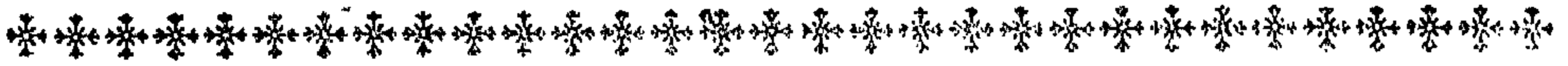
وقد يكون في هذا البعد السعادة عند بعضنا او الشقاء عند البعض الآخر فهذا ليس في بحثنا وليس الذي نقصد اليه . انما نقصد ان نبين اننا قد أخذنا كثيراً من اساليب الحضارة الغربية فنقلنا الكثير من قوانينها ومن طرق معاشها ومن دساتير حكوماتها فهل نقلنا مثل ذلك من الاسس التي قامت عليها هذه الدساتير والقوانين وطرق المعاش ، وأهمها أساس القومية كما شرحناه في كل ما تقدم ؟ هذه هي النقطة ، أو على رأي شكسبير هذا هو السؤال إننا نخشى أن نكون قد شرعنا في البناء على غير أساس متين فأخذنا في هندسة البناء الظاهر وفي زخرفة الجدران والابواب وأهملنا الاساس . وليس ذلك تعمداً منا ولا جهلاً بل ميراثاً ورثناه عن آبائنا أو عن الارض التي أنبتتنا (عن كتاب « الرسائل الضائعة »)



الدمقراطية في الازمات

للكنور ولهم موزو

استاذ التاريخ وعلم السياسة في معهد كاليفورنيا
ورئيس قسم التاريخ في مجمع تقدم العلوم الاميري



ليس مثل الازمات كاشفاً لمواطن الضعف في النظام الديمقراطي . ان حسناته تبدو جليلة بهية في ايام السلم والرخاء ، اذ يسهل حفظ الشعب مكتفياً بحكومته راضياً عن حاله . ذلك ان الرخاء يفحم النقاد ، ويحمل المنتخبين على تأييد أية زعامة او القناعة بغير زعامة على الاطلاق . ولكن اذا وقعت امة وظهرها الى الجدار تدافع عن كيانها في حرب ، او اذا ارتج نظامها الصناعي فأصبح على شفا الانهيار ، بدت مواطن الضعف في النظام الديمقراطي كأساس للحكم ، فتعصف بالشعب ريح القلق والانقلاب

وانت اذا وجهت النظر الى بلدان اوربا رأيت النظام الديمقراطي في السنوات العشر الاخيرة قد اخذ يفقد ما له من الثقة في نفوس الجماهير ، فزال جانب كبير من الحماسة له ، التي فاضت بها النفوس على اثر الحرب الكبرى . فمن ناحية اليسار تهاجم الشيوعية ، ومن ناحية اليمين تطغى عليه الناشستية . نعم ان اعداءه في غير روسيا وايطاليا ، لم يفوزوا بالنصر الكامل عليه ، ولكنهم يتقدمون الى النصر بقدم ثابتة . وليس ثمة مجال للدهشة ، أن نرى المانيا تنقلب فاشستية واسبانيا شيوعية ، اذا لم تداو الازمة الاقتصادية — وهي مصدر القلق فيهما — وتخفف وطأتها . حتى في انكلترا ، لقد اصيب النظام التقليدي القائم على الحكومة الوزارية المستندة الى حزب معين ، بصدمة قوية اذ تألفت حكومة ائتلافية ، وسلم بحق بعض الوزراء في معارضة زملائهم في الوزارة ، فأصبحت الحكومة الانكليزية وكأنها بيت منقسم على نفسه . ومن المتعذر ان تتصور كيف يتم لنظام التبعية الوزارية في انكلترا العمل في ظل النظام الجديد . ولسنا نرى النظام الديمقراطي قد سلم من التقهقر الا في فرنسا . على ان فرنسا جمهورية ذات روح امبراطورية والضائقة الاقتصادية كانت فيها اخف وطأة منها في البلدان الاخرى

ان النظام الديمقراطي هو احدث المراتب التي وصل اليها تطورها السياسي . ولكنه ليس آخرها . وهو بوجه عام نتيجة التطور السياسي في المائة — بل الخمسين — سنة الماضية .

حتى اشد انصاره ايماناً به لم ينتظر منه ان يكون نظاماً دائماً للحكم . فتوماس جفرسن مثلاً — الرئيس الديمقراطي الاميركي — لم ينتظر منه ذلك . ولقد كان جفرسن انفذ بصيرة من سائر رجال السياسة في عصره ، الى مواطن القوة والضعف في نظام تسوده وتسيطر عليه رغبات شعب شتيت العناصر . لذلك ذهب الى ان ارتقاء الصناعة وتجمع الناس في المدن ، قد يحمل الحكومة الشعبية ، عبئاً تنوء به

وقد كان جفرسن على صواب في تفسيره للتاريخ السياسي . فقد ادرك ان شكل الحكومة يجب ان يكون ذا صلة بأحوال المعيشة ، وان هذه الاحوال قد تتبدل تبديلاً كبيراً في اثناء قرن كامل . لذلك انذر ابناء قومه ، بوجوب استعدادهم لتعديل اوضاعهم السياسية ، عصرراً ، لئلا تنبت الصلة بين الحكومة وآمال الشعب ، التي وجدت الحكومة لتخدمها . وقد كان جفرسن مؤمناً بالحكومة الديمقراطية لانه كان يعتقد انها افضل اشكال الحكومات التي تلبي حاجات عصره ، ذلك ان عصره كان عصر حياة بسيطة ، يخرج فيه الناس رزقهم من الارض ، والصناعات قليلة ضيقة النطاق ، والمدن صغيرة ، والمساواة الاقتصادية بين افراد الامة تكاد تكون في قربها الى الغاية ، ابعد ما وصل اليه الناس

ولكنه لم يكن يؤمن بأن نظاماً حكومياً قائماً على سيطرة العامة ، يفي بحاجات كل الامم في كل العصور . بل ان الرجوع الى كتاباته يجلو لنا اصراره في حث الاجيال المقبلة على تقليب النظر في الانظمة القديمة ونبذ ما يتنافر منها مع حقائق الحياة في العصر الجديد . ومن اقواله البليغة « هذا العالم يجب ان يكون ملك الجيل الحالي لا ملك الاجيال السابقة »

حلت الحكومات الشعبية الجديدة محل الحكومات الاستبدادية (الاوتقراطية) في الفترة الواقعة بين الثورة الفرنسية ومعاهدة فرساي (١٩١٩) ولكن النظام الاوتقراطي لم يضعف ويهر لأنه ينطوي على خلل اساسي فيه . ففي عصر الفدنية (الاقطاع) كان النظام الحكومي الوحيد الملائم لاحوال العصر . ومضت قرون لا عمل للحكومة اهم من عمل الدفاع عن سلامة البلاد وحفظ الامن والنظام فيها ، فاستغرق هذان العاملان كل وقت الحكومة وقواها . فالملوك والامراء حكموا البلدان حينئذ لانهم كانوا الاشخاص الوحيدين الذين يستطيعون ان يجمعوا قوى البلاد تحت امرتهم في الازمات المتعاقبة تعاقباً سريعاً

ورويداً رويداً ضاقت رقعة العمل الدفاعي الذي تقوم به الحكومة ، اذ زادت تبعاتها الایجابية . ثم قضت الحال بزيادة الدخل فأتسع نطاق الضرائب التي تجبي من الشعب ، فجعل دافعوا الضرائب يطالبون بحق اشتراكهم في تقرير خطة الحكومة العامة . وهكذا حلت « حكومة دافع الضرائب » محل « حكومة ملك يملك بحق الهي » . على ان حكومة ملاك

الأرض ودافعي الضرائب لم تمنح حكومة ديمقراطية كما نفهمها الآن . فانها منعت حق الاقتراع عن طائفة كبيرة من ابناء الامة البالغين سنّ الرشد . اما المذهب القائل بان كل الرجال لهم حق في الاشتراك في السيطرة على الحكومة ، بصرف النظر عما يملكون أو يدفعون من الضرائب ، فوليد الثورة العظيمة التي اكتسحت فرنسا في اواخر القرن الثامن عشر ، فرددت اصداؤها بلدان العالم الغربي

ان الديمقراطية بمعناها العصري جاءت بعد اعلان حقوق الانسان و شيوع فلسفة المساواة . ولما كانت قائمة على اساس المساواة بين الانسان ، كان لا بدّ لنجاحها ، من بيئة تحققت فيها المساواة الاجتماعية والاقتصادية بعض التحقيق . ثم هي تتطلب ان تكون مسائل الحكومة بسيطة يستطيع الذهن العام ان يدركها ويبت فيها . وقد تحققت هذه الاحوال الى حدّ ما ، في اوربا واميركا في الجانب الاكبر من القرن التاسع عشر . فقد كانت المشكلات الكبرى في ذلك العصر مشكلات سياسية . اما المشكلات الاقتصادية القليلة التي عرضت للحكومات حينئذ ، فكانت غير معقدة تعقيداً يخرج عن طوق الذهن العام

وكلّ هذا قد تحوّل الآن . فالسياسة والاقتصاد متداخلان تداخلاً لا انفصام لهما . فليس ثمة مشكلة سياسية لا تنطوي على اعتبارات اقتصادية . وليس ثمة مشكلة اقتصادية لا تراها مشتبكة بمسائل السياسة المعقدة . والعامّة لا تدرك عادة ، الى ايّ مدى اتسع نطاق الاعمال الحكومية في الخمسين سنة الماضية ، وبوجه خاص في ربع القرن المنصرم . فبعد الحكومة تصل اليوم الى كل صغيرة من صغار الحياة الاقتصادية العالمية . ان اقامة الحواجز الجمركية يحوّل تيارات التجارة الدولية . ونظام الضرائب يبعث الحياة في النهضة الصناعية أو يخنقها في المهد . وسيطرة الحكومة على البنوك والعملة ونظام الاعتمادات المالية ، يمكنها من رفع مستوى الاسعار أو خفضه . ثم ان قوانينها المختلفة تمكنها من السيطرة على اسباب المواصلات والمخاطبات ، وقد تبلغ هذه السيطرة في بعض الاحيان حدّاً ، لا يختلف كثيراً عن مبادئ الحكومة لهذه الاسباب المختلفة . اضع الى ذلك ان انتشار التأمين الاجتماعي — وبوجه خاص التأمين ضدّ العطالة عن العمل — قد جلب في اثره طائفة من المشكلات الاقتصادية ، عجزت الحكومات الاوربية عن حلّها حتى الساعة

لقد انقضى «عهد الفردية» وعصر «دع الامور تجري في اعنتها» (Laissez-Faire) والراجع ان لا رجعة لهما . ان الديمقراطية جاءت مع الفلسفة الفردية ، واقتربت بالمذهب القائل ان افضل الحكومات اقلها تدخلاً في شؤون رعاياها . وقد زال هذا المذهب وحلّ محله القول بان «الحكومة يجب ألاّ تمتنع عن شيء اذا كانت تستطيع ان تتفوق في اجادته

على الافراد أو الشركات». وليس ثمة مطعن في هذا القول اذا سُمح للحكومات ان تعتمد على احكام الخبراء في معالجة المشكلات التي تعرض لها. ولكن هذا لايسمح به للحكومات المؤلفة بحسب اصول النظام الديمقراطي الحديث. اذاً لا بد للحكومات الديمقراطية من ان تسير بحسب رغبات الشعب، لانها تقوم على قول روسو بان «الاكثرية دائماً في جانب الصواب»، ولو ثبت بكل دليل عملي انها على خطأ». فعرض المسائل الاقتصادية المعقدة على الجماهير نصف الامية لا يعدو ان يكون عرضاً لها على محكمة الجهل العليا. واذن يصح ان نتساءل، تساؤلاً جدياً، كيف يرضى العالم، وتعدد مسائله ومشكلاته آخذ في الازدياد، ان تدار دفعةً سفينته بهذه الطريقة؟

انظر الى مشكلات العالم في هذا العصر، فمعظمها ناشى عن قصر باع رجال السياسة. فالمعاهدات التي وضعت بعد الحرب الكبرى، مبنية على اساس «تقرير المصير» وقد رسمت فيها حدود البلدان المختلفة وفقاً لانتشار السلالات والاقوام المختلفة. فلم يعن احد من واضعي هذه المعاهدات بدرس الاضطراب الاقتصادي الذي قد يورثه هذا التخطيط السياسي الجديد. فقد انشأوا مثلاً جمهورية النمسا الجديدة من دون ان يمنحوها المصادر الاقتصادية التي تعيش بها. فحملوا بذلك حكومة النمسا على عقد — او محاولة عقد — معاهدة جمركية مع المانيا، فكانت تلك المحاولة حائلاً آخر دون التفاهم بين المانيا وفرنسا

ثم ان هذا التخطيط الجديد حمل البلدان المستقلة الجديدة على انشاء الحواجز الجمركية، فاضطربت مسالك التجارة القديمة، وانقطعت الصناعات المختلفة عن اسواقها الطبيعية، وانشئت صناعات جديدة انشاءً مفتعلاً. وهذه الصناعات الجديدة «الحماية بالحواجز الجمركية» استندت اموالاً بالقناطر، واخذت على نفسها تعهدات مالية لا تسوغها حالتها المالية — وهكذا امتدت سلسلة الاخطاء، حدود جديدة، حواجز جمركية جديدة، فصناعات جديدة، فتعهد فافلاس، حلقات آخذة بعضها بعناق بعض

ثم ان انشاء الدساتير الديمقراطية الجديدة في بلدان اوربا على اثر الحرب الكبرى كان ذا صلة باشتداد الضائقة الاقتصادية. فالمانيا والنمسا والمجر وبولونيا وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا اسرعت جميعاً الى اقتباس النظام الديمقراطي في الحكم وجميع ملابساته مثل الاقتراع العام، والتمثيل النسبي، والتبعية الوزارية، والاستفتاء وما اليها. والنص على التمثيل النسبي في هذه الدساتير كان خطأً فاضحاً، لانه مهّد السبيل الى انحلال الاحزاب الى طوائف صغيرة ثم استناد الحكومات المختلفة الى كتل متباينة من هذه الطوائف. وهذا بدوره افضى الى الجهود الحكومي لسهولة قيام معارضة قوية في وجه الحكومة المتقلدة زمام الاحكام. ان احوال اوربا في العشر السنوات الماضية كانت تقتضي زعامة قوية وتأيداً لهذه الزعامة من المجالس النيابية، ولكن

الساتير الديمقراطية الحديثة في اوربا جعلت كلا الامرين مستحيلاً
ثم ان الديمقراطية الجديدة اتجهت في شؤون الاجتماع اتجاهاً طريفاً . فالسلطة السياسية
انتقلت الى ايدي اولئك الذين يرغبون في تأييد الحكومة لمصالحهم الخاصة . لذلك ترى
الحكومات الديمقراطية الحديثة وقد اقبلت على تحسين الحال الاجتماعية بمشروعاتها المختلفة
كالتأمين ضد العطالة عن العمل والتأمين الصحي وتوسيع نطاق التعليم المجاني والمعالجة المجانية
والانفاق على هذه المشروعات كان من وراء مقدرة تلك الحكومات من الناحية المالية المجرّدة .
فلما تعذر عليها جبي الضرائب اللازمة لسد هذه النفقات حدث في الميزانيات المختلفة عجز
سدّت ثغرتة بطرق صدّعت اركان الثقة بالحكومة ، والمصارف والمنشآت المالية بوجه عام .
حتى في انكلترا ، سرى زعر مالي عام لارباء النفقات على الإيرادات — وسببه في الغالب الاموال
التي كانت تنفق عادة على العمال العاطلين تلبية لمطالب المقترعين الذين منحوا حكومة العمال
اصواتهم في الانتخاب السابق

وهذا الذعر المالي افضى الى حشد الذهب وهروب رؤوس الاموال فنقصت الاموال
المودعة في البنوك نقصاً سريعاً وسحبت الاموال الاجنبية من النمسا والمانيا وانكلترا . واضطر
ا كبر بنك في النمسا ان يقفل ابوابه . وطلبت المانيا موراتوريوم . وخرجت انكلترا عن قاعدة
الذهب . ان سلسلة الحوادث التي افضت الى هذه الحوادث الخطيرة سلسلة معقدة . ولكن
لا ريب في ان السبب الاساسي هو الخلل في تدبير اموال الحكومات والتبذير في انفاقه في
المصالح العامة ، والاختلال في موازنة الدخل والخرج ، فافضى ذلك الى العجز واحتمال التضخم
المالي ، وكل هذا يجب ان نسنده الى الديمقراطية الجديدة

ان التبرم العام بالوضع الديمقراطي الذي يساور الجماعات الاوربية اشدّ الآن منه في
اي عهد سابق . فاذا شئنا للديمقراطية النجاة من الزوال وجب على الولايات المتحدة الاميركية
ان تفعل ذلك ، والسنتان المقبلتان يثبتان لنا مكاننا من المقدرة والعجز . اننا لا نستطيع ان
ننجي الديمقراطية ، بالغاء ديون اوربا لنا ، ولا باقراضها ديوناً جديدة ، بل بتدبير شؤوننا اولاً ،
بنقص النفقات العامة في حكومتنا ، وزيادة ابواب الدخل من دون ارهاق الصناعات ، ورفضنا
المشروعات الاجتماعية المرهقة للخزينة والتي قد تنقلب فتضرّ الذين عملت لنفعهم ، واعادة
الثقة العامة بمنشآتنا المالية . وبكلمة يمكن تنجية الديمقراطية باقامة البرهان على ان امة ديمقراطية
واحدة تستطيع الاحتفاظ برباطة جأشها في عالم قد جُنّ

العوامل الوراثية والغدد الصماء

للكنور شريف عسيران

بيننا في مقالاتنا السابقة ان تنوع الصفات يتوقف على تنوع العوامل وشرحنا كيفية التنوع ولكننا لم نبين في اي دور من ادوار الحياة يحصل هذا التنوع . وهو ما نتناوله الآن : من المعلوم ان لتكوين الجنين ادواراً مختلفة والعوامل الوراثية لا تقوم بوظائفها دفعة واحدة بل توزعها على مختلف ادوار التكوين فمنها ما تعمل في الدور الاول ومنها في الدور الثاني وغيرها في الدور المتأخر وقد يكون ثمة نقص في بعض العوامل فتمتد دور تلك العوامل تتلشى الصفة المختصة بها لانها ناقصة

ذكرنا في بحثنا عن الجنس انه يوجد نوع من العوامل المميتة تؤول الى موت الجنين وبيننا كيف يزيد عدد وفيات الذكور عن الاناث قبل الولادة لان في الاولى اكساً واحداً وفي الثانية اكسين فاذا كان الاكس معيوباً في الذكر فصيره الموت واما الانثى فتحمل اكسين فاذا اعتل احدهما فالآخر يسد مسده . فعوامل كهذه تقوم بوظيفتها في ادوار التكوين الاولى ولكن غيرها تقوم بوظيفتها في الدور الذي بعده وهذا ما اختبروه في الفئران الصفر . فقد احدثوا نقصاً في احد العوامل المختصة به اخراج هذا اللون فاذا كان في الفرد حاملان عاديان او عامل عادي وعامل معيوب نشأ صحيحاً واذا كان العاملان معيوبين مات ذلك الجنين وقد وجدوا بالفعل بعض الاجنة الصفراء ميتة في بطن الام . والشيء نفسه ينطبق على النباتات فان المادة الخضراء (الكلوروفيل) ضرورية لحياتها فالنباتات التي فيها نقص هذا العامل تنمو نمواً طبيعياً الى ان يأتي دور الكلوروفيل فلا تخضر بل تموت بسبب فقد هذه المادة فاذا لقحنا النبتة المفقود منها الكلوروفيل في هذا الدور بهذه المادة فانها تخضر وتعيش

وفي الكروموسوم الرابع من عوامل ذباب الفواكه عامل وظيفته تهيئة الالوان الاساسية لتكوين مادة العين فاذا نزعنا مادة هذا العامل فان الذبابة تنمو نمواً طبيعياً الى ان يصل دور هذا العامل المعيوب فتتشأ الذبابة عمياء بسبب فقد اللون المذكور . والسبب نفسه يعزى الى ضعف العقل في البشر (Feeble-mindedness) . يشترك في تكوين الدماغ عدة عوامل فاذا كان ثمة عيب في بعضها نشأ الدماغ ناقصاً ولا يقوم بوظيفته الطبيعية حق القيام وهذا النقص او الضعف يورث بطريقة مندل

ان لبعض العوامل تأثيراً خاصاً كالعوامل التي ذكرناها فتؤثر في العين او الدماغ او اعضاء التناسل الخ، ولغيرها تأثير عام وقد درس رل (Raymond Pearl) هذه الحقيقة في ذباب الفواكه فوجد بعضها يعيش عمراً طويلاً تام النشاط والقوة والبعض الآخر يحيى حياة قصيرة يعيش في خلالها نحيفاً ضعيفاً خاملاً ونسب طول الحياة وقصرها الى العوامل العامة التي لها سيطرة على كل الجسم وهذه الصفة ناشئة عن وجود عامل واحد له تأثير عام وهي تورث اما بقانون مندل او بالاتصال الجنسي. ومن رأي مورغن ان العوامل التي لها تأثير خاص تؤثر في عامة الجسم ايضاً. فيكون طول الحياة وقصرها وراثياً بحسب هذا التعليل

سبب اختلاف الصفات باختلاف العوامل بيننا قبلاً ان خلايا ذوات الثدي وغيرها تختلف في بدء تكونها اختلافاً بيئياً في خلايا الذكر مجموعة من الكروموسومات واكس واحد وفي خلايا الانثى اكرسان ويختلف تطور البيضة التي فيها اكرس واحد عن التي فيها اكرسان. كذلك تختلف التفاعلات الكيماوية في الاثنتين ولكن في ادوار التكوين الاولى لا يمكن التمييز بين الجنسين في ذوات الثدي وقد وجدوا انه ينشأ في القسم الظهري من الجرذان او الارانب بقعة خاصة تتألف من عدة خلايا تتكون منها فيما بعد نطفة الذكر ونطفة الانثى وتسمى هذه البقعة الغدة الجرثومية (Germinal) فتكبر بعض خلاياها وينشق من هذا البعض نطفة الذكر ونطفة الانثى وتدعى تلك الخلايا حينئذ بالخلايا التناسلية (Genital Cells) وتكون الغدة الجرثومية في بادىء الامر واحدة في الجنسين وبعد ذلك يظهر اول فرق بين خلايا الذكر وخلايا الانثى فالاولى تنقسم وتصغر وتتكون منها نطفة الذكر الاولى مع الصفات التي ترافقها اما خلايا الانثى فتظل كما هي في الوقت الذي تتنوع فيه خلايا الذكر التناسلية فهذه تتنوع قبل تنوع خلايا الانثى التناسلية وبعد مضي وقت من نشوء خلايا الذكر تأخذ خلايا الانثى بالتنوع وبدلاً من ان تنقسم وتصغر تكبر رويداً رويداً وتكون البيضة او نطفة الانثى

ان صفات الذكورة والانوثة نومان الصفات الجنسية الاولى وهي الفروق بين اعضاء التناسل الرئيسية والصفات الجنسية الثانوية واهما خشونة الصوت ونعومته ونمو الشعر او عدمه وشكل الجسم وتناسب اعضائه كعرض الكتفين وضيق الخصرين في الذكور وعكسهما في الاناث ونشوء قرن او عدم نشوئه الى غير ذلك من الفروق الثانوية بين الجنسين. ونذكر الآن بعض التجارب التي ترشدنا الى سر هذه الفروق الجنسية. فلو نزعنا من ذكر صغير جداً الغدة التناسلية او الخصيتين لم تظهر في هذا الذكر صفات الذكور الثانوية كخشونة الصوت وعرض الكتفين ونمو اللحية والشارب الى غير ذلك. والشيء نفسه يحدث في الانثى اذا استأصلنا المبيضين فلا تظهر فيها نعومة الصوت وضيق الكتفين وفقدان اللحية او القرن الى غير ذلك

ومن هنا نستدل ان للصفات الجنسية الثانوية علاقة بالغدد التناسلية لان هذه الصفات ليست ناشئة عن الكروموسومات . فخلايا الانثى فيها عدد الكروموسومات الكامل للنوع ولكن فقدان الخلايا التناسلية لا يفسح مجالاً لظهور الصفات الجنسية الثانوية فيها ونفس الشيء يصدق على خلايا الذكر . فكيف تحدث الغدد التناسلية هذه التغيرات . ان نقل هذه الغدد من جنس الى آخر يكشف لنا الستار عن مخبات هذا التأثير وهذا ما فعله شتيناخ Steinach ومورز C. Moores وغيرها فانهم نزعوا المبيضين من صغار الاناث ووضعوها الخصيتين مكانهما فنمت تلك الاناث دون ان تظهر فيها الصفات الجنسية الثانوية بل ظهرت فيها صفات الذكر وكذلك نزعوا خصيتي الذكر ولقحوها مكانهما مبيضي انثى فظهرت فيه صفات الانثى الثانوية عوضاً عن صفات الذكر فينبغي ان يكون في الخصيتين والمبيضين عامل خاص غير العوامل الوراثية يؤثر في نشوء الصفات الجنسية الثانوية لاننا اذا استأصلنا هذين العضوين فلا تظهر تلك الصفات مع ان عدد الكروموسومات المخصص للنوع موجود . فلا بد من وجود افراز داخلي في هذه الاعضاء يفعل الفعل المذكور . واذا صحت نظرية الافراز الداخلي لذكورنا ان نجعل دم الذكر يسري في الانثى فتظهر فيها صفات الذكورة وهذا ما فعلته الطبيعة . فقد وجد لي F. R. Lillie ان الماشية كالبقر والغنم وما اشبه تلد احياناً توأمين احدهما ذكر والاخر خليط من ذكر وانثى ورأى هذا البحاث ان الجهاز الدموي يكون متصلاً في حالات كهذه . وقد بينا ان مميزات الذكر الجنسية تظهر قبل مميزات الانثى ففي دور من ادوار النمو يسري دم الذكر وهو في بدء تكونه الى دم الانثى التي لم تتميز خلاياها التناسلية بعد فينشأ فيها مزيج من صفات الانثى وصفات الذكر فالصفات الجنسية الثانوية تتوقف على وجود الافراز الداخلي ولكنها تتوقف ايضاً على اكثرية الخلايا الموجودة فان كانت من نوع الانوثة تتغلب هذه الصفات والعكس بالعكس . فصفات الذكورة والانوثة تتوقف على الافرازات الداخلية التي تذهب رأساً الى الدم ويقال لها الهرمون (Hormone) وهي كلمة يونانية معناها «يهيج» ويسمون بها ايضاً الافراز الداخلي . ففي الانثى نوع خاص من الافرازات الداخلية تولد صفات الانوثة وفي الذكر افرازات مثلها تولد صفات الذكورة ، ولكن الانوثة والذكورة تتوقفان على الكروموسومات فالتى فيها اكس واحد تكون ذكراً والتي فيها اكسان انثى والكروموسومات تولد الصفات الجنسية بواسطة الافرازات الداخلية . فالصفات الجنسية تتوقف في ذوات الثدي على هذه الافرازات وتأثيرها الجنسي محدود في الطيور وفي الحشرات لا تتوقف الصفات الجنسية عليها

﴿ الغدد الصماء او العديمة الاقية ﴾ — ان لافرازات هذه الغدد شأنًا لا يقل عن العوامل الوراثية وقد عزوا اليها طول المرء وقصره واخلاقه وسلوكه وقالوا انها هي المسيطرة على شخصيته باجمعها فالشباب والشيخوخة منوطان بها والجن والشجاعة اثر من آثارها وقد اثار

ضجة في عالم الطب والعلم واستغل النفعيون هذه الفكرة فبالغوا وحرّفوا حباً بالكسب وخبط غيرهم خبط عشواء فنسبوا اليها المعجزات . ولهذا رأينا ان نبحث فيها باختصار متوخين الحقيقة ومقتصرين على ما هو ثابت علمياً وطبيعياً ، ولكي لا نشوش ذهن القارئ الكريم نبحث عنها بانتظام . ففي الجسم ثلاثة انواع من الغدد الاولى التي لها اقية خاصة تحمل افرازها الى الخارج كغدد اللعاب وغدد المعدة والأمعاء والمرارة وغيرها والثانية الغدد التي ليس لها اقية تحمل افرازها الى الخارج بل تفرزه الى الدم او السائل المفاوي رأساً وهي بيت القصيد من بحثنا . والثالثة الغدد المشتركة اي التي فيها نوعان من الافراز الاول تحمله اقية خاصة والثاني يذهب الى الدم رأساً كافراز الغدد العديمة الاقية ومثلها الخصيتان والمبيضان . فالغدد الصماء الرئيسية خمسة

(١) الغدة الدرقية والغدد المجاورة لها (The Thyroid and Parathyroid Glands)

(٢) الغدة الصعترية (Thymus Gland)

(٣) الغدتان اللتان فوق الكلية (Superarenal Glands)

(٤) الغدة النخمية (Pituitary glands)

(٥) الغدة الصنوبرية (Pineal body) ونبحث عن كل منها باختصار مبينين اهميتها الحقيقية

﴿ الغدة الدرقية ﴾ — تتألف هذه الغدة من فصّين كل منهما على جانب من جانبي القصبة Trachea عند اتحاده بالحنجرة وطولها نحو ٥ — ٦ سنتيمترات . لقد درسوا هذه الغدة في الضفادع درساً مدققاً في جميع الحيوانات البرمائية (الامفيلية) ما عدا النور اليسير يتولد فرخ صغير له ذنب وخياشيم ولكنه خلو من الاطراف وهو يستطيع السباحة ويسمى هذا الفرخ Tadpole في دور من ادوار حياته تتلاشى الخياشيم والذنب وينشأ له ساقاً فيحدث فيه تبدلات داخلية وخارجية تصيره ضفدعاً . فما هو سبب هذا التطور ؟ Metamorphosis وجد جودر نالتش J. F. Gudernatch اننا لو اطعمنا فروخ ضفادع صغيرة جداً قطعاً من هذه الغدة فانها تتبدل الى ضفادع سريعاً اي تتلاشى خياشيمها وذنبها ويظهر لها ساقان ولكنها تكون صغيرة كالذبابة فيحصل التبدل بسبب اطعامها هذه الغدة وهي صغيرة بعد . وبالواسطة نفسها جعلوا فرخ الضفدع من النوع الضخم Bull-frog الذي لا يتطور عادة قبل السنة الثانية أو الثالثة من عمره ان يتطور في السنة الاولى فبعد اسبوعين من اطعامه هذه الغدة يتطور ويصير ضفدعاً . ويحدث عكس ذلك اذا استأصلنا الغدة الدرقية من هذه الحيوانات فانها تنمو وتكبر ولكنها لا تتطور اي لا تتلاشى خياشيمها ويظهر لها ساقان .

وقد اكتشف Kendall سنة ١٩١٤ خلاصة هذه الغدة أو الافراز الداخلي الذي تفرزه واسمه ثيروكسين Thyroxin فالمبلغرام منه يزيد الاستحالات الغذائية Metabolism في الشخص ٢ بالمائة عن معدلها ولهذا الافراز تأثير فعال في نمو الجسم والعقل كما سئرى ويعزى فعله الى وجود معدن اليود Iodine فيه . واول من اكتشف هذه الحقيقة W. W. Swinge وقد قدروا انه يوجد ١ — ٢ ملغرام من معدن اليود في كل غرام من وزن الغدة .

تنمو الغدة الدرقية تدريجاً كسائر اجزاء الجسم ولا تفرز افرازها الا في دور معين من ادوار الحياة فمتى جاء ذلك الدور تفرز الافراز الداخلي وتحدث تأثيرها الخاص فيتطور فرخ الضفدع الى ضفدع . ومما يجب ملاحظته ان تأثير هذه الافرازات الداخلية يختلف باختلاف اجزاء الجسم وباختلاف الانواع والاصناف وقد درسوا هذه الحقيقة في الحيوانات البرمائية فوجدوا ان تأثير افراز هذه الغدة ناجم عن اسرعه استجابة الغذاء (مatabolism) فاذا افرطنا في اطعام فرخ الضفدع الغدة الدرقية خف وزنه كثيراً فتتلف انسجة جسمه ويموت واذا استمررنا على اطعامه تنشأ فيه علامات تشبه الموت جوعاً ونفس الشيء يحدث في الحالة الطبيعية في اثناء تطوره فان افراز الغدة الدرقية يتلف الخياشيم والذنب وبعض اجزاء الامعاء فيتلاشى مايتلف بالامتصاص ولا يبقى من الامعاء الا جزء قصير ولكن هذا الافراز لا يفعل بالاطراف ما فعله بغيرها بل على الضد يجعلها تنمو وتنوع الى اصابع وعقد ومفاصل . واعضاء التناسل لا تتأثر به فلا تتلاشى ولا تزداد سرعة نموها بل تظل سائرة بحالتها الطبيعية كأن لم يكن ذلك الافراز . وقد عزوا تنوع فعله الى تنوع السيروبلازم ولا تزال حقيقة امره مجهولة . وفي بعض انواع الحيوانات البرمائية تؤثر بازعانف ولا تؤثر بالذنب فتأثيرها يختلف باختلاف نوع الحيوان فال Axolotl حردون كبير ذو خياشيم خارجية حمراء بارزة وذنب صالح للسباحة وغيرها من الاوصاف التي تؤهلها للعيش في الماء فاذا اطعمناه الغدة الدرقية تطور سريعاً كما تتطور فرخ الضفدع فتتلاشى خياشيمه ويتغير شكل جسمه ويعود غير صالح للعيش في الماء فيزحف على اليابسة ويصير Amblystoma اي نوع الحردون الذي يعيش على اليابسة . وليس عدم تطوره في الماء ناشئاً عن فقدان خلاصة هذه الغدة بل الغدة موجودة بحالتها الطبيعية ولكن عدم تأثيرها في حالة كهذه لا يزال مجهولاً . وللغدة الدرقية تأثير كبيراً في نمو الانسان الجسدي والعقلي فالاشخاص الذين تكون هذه الغدة ضعيفة فيهم أو معدومة ينشئون فداماً أو بلهاً ويدعى هذا المرض القدم^(١) Cretinism وهو يحدث في الاطفال والاولاد والبالغين ويقال له في الكبار مكسدما Myxoedema واهم علاماته ضعف شديد وتوقف نمو

(١) القدم لغة العمي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم

الجسم وهزال وفقر دم وخشونة الشعر وسقوطه احياناً وانحطاط في القوى العقلية الى غير ذلك مما لا حاجة الى الاطالة فيه لان البحث عنه من المواضيع الطبية . والاقزام هم الاقوام القصار القامة وهذا القصر ناشئ عن نقص في الغدة الدرقية والقصر ينتقل فيهم بالوراثة واشهر قزم في التاريخ جفري هدرسن Jeffrey Hudson الذي ولد في انكلترا سنة ١٦١٩ من ابوين معتدلي القامة ولما كان عمره ثمان سنوات وطوله قدم ونصف قدمه والده هدية الى دوقة بوكنهاشير ودعت الدوقة يوماً ما الملك شارلس الاول الى قصرها احتفالاً به وقدمت له هذا القزم كقطعة حلوى فابتهج به الملك وابقاه في بلاطه ومنحه لقب « فارس » لاجل السخرية وبقي طوله ١٨ بوصة (انتش) من سن الثمانية حتى بلغ الثلاثين ولما مات كان عمره ٦٣ سنة وطوله ٣ اقدام وتسع بوصات . وكان له شأن في حياته فاختطفته بحارة الدانمارك ثم باعه قرصان البرابرة عبداً فهرب ورجع الى انكلترا وصار زعيماً في الجيش الملكي وقد قتل رجلاً صحيحاً لأنه سخر منه وأخيراً سجن لأنه قام بحركة ضد رجال الدين

وتضخم هذه الغدة يسبب مرض الغوتر Exophthalmic Goiter وكثيراً ما نشاهد في القسم الامامي من عنق النساء على الاخص تضخماً ناشئاً عن تضخم الغدة المذكورة ومتى ازداد التضخم يسبب جحوظاً في العينين وخفقاناً في القلب وبطئاً في ضرباته ورعشة واضطراباً في العقل وضعف في القوى الى غير ذلك . وقد نسبوا هذا التضخم الى قلة الايودين في الغدة فالسا كنون قرب البحر حيث يتوفر هذا المعدن لا يصيبهم هذا المرض اما السا كنون على شواطئ البحيرات فمعرضون له . والخلاصة ان لافراز هذه الغدة تأثيراً في نمو الجسم والعقل فضعفها او تلاشيها يعرض المرء للموت وتضخمها يسبب امراضاً فتاكاً فاذا اعطي المصابين بمرض من امراضها خلاصة هذه الغدة فانهم يشفون من مرضهم

﴿ الغدد المجاورة للغدة الدرقية ﴾ — ان هذه غدد صغيرة طول الواحدة منها نحو ٦—٧ مليمترات وعددها اربعة وموقعها في الوجه الخلفي من فصي الغدة الدرقية حيث يوجد غدتان وراء كل فص . وقد وجدوا ان استئصالها في الحيوانات يؤدي الى الموت . ويرجح الباحثون ان وظيفتها تنظيم المواد الكلسية (الجيرية) والسيطرة عايتها فافرازها الداخلي منوط به تمثيل المواد الكلسية فاذا كانت ضعيفة تقل المواد الكلسية في الدم ويتعرض الفرد لحالات عصبية قتالة . وكثيراً ما يصاب الاطفال بتشنجات عصبية يرافقها هزات عنيفة يسميها الناس « هزة الحائط » ويعزون هذا المرض الى قلة المواد الكلسية الناشئة عن ضعف هذه الغدة واعطاء المريض خلاصتها يزيل هذا المرض وقد نسبوا اليها مقاومة السموم التي تنشأ في الجسم وملاشاة تأثيرها . هذا ما هو معروف عنها حتى الآن

« لها تنمة »

مملكة الخيال

منى ان تكن حقاً تكن أحسن المنى والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

أهنية قطع الضحى ام جيلا
ماضراً فخر ك لو تلاً وانياً
عاجلت أحلام الدجى فطويتها
ما كان انهاها . يلون سحرها
ويشير فيهن الحياة شهية
راض الشفاء الشامسات على الهوى
وحنا على بؤس العفاة فما رأوا
خلع النظارة والشباب عليهم
نعم وان كانت تحول مع الضحى

يوم العفاة لقد خلقت طويلا
فلعلها تغني العيون قليلا
والروح ترشف جامها المعسولا
صور المنى ويرفها تدليلا
والحب أرعن والشباب منيلا
فضحكهم يهمن الحوار عليلا
من عثرة الأ رأوه مقيلا
والحب والمستع العذاب الاولى
اي المباهج لم تكن لتحولا

كفروا بقدرته . واومن أنها
تحنو على القلب الجريح فيثنى
وترف إن حمي الهجير غمامة
وتحول البید الظماء خائلاً
فكانها — فيما تزخرف من منى —

تحوي الوجود وتملك التحويلا
ريان من رحمتها مطولا
وندى وظلا في الهجير ظليلا
مسكرى وربعا ضاحكا مأهولا
أس تحاول كفه التجميلا

ان الذي خلق « الحقيقة » علقماً
تتصارحان — ولا ترى إحداها
تدعو (المنى) زمر القلوب (واختبها)
والكون بين الضرتين مقسم
واعذر على البغي القلوب فطالما
اما الدجى — والفجر من اعدائه —

خلق « المنى » للواردين شمولا
ظفراً — لتبسط حكمها وتطولا
تدعو بصائر في الوغى وعقولا
فاشهد قبيلاً يستبيح قبيلاً
قيدت وذلل صعبها تدليلا
فلقد بصرت به ينخر جديلا

قل للحقيقة : ان قسوت فرما
ان تملك الدنيا وسر كنوزها

فك الزمان أسيرك المكبولا
لم تملكى الاحلام والتأميلا

افق المنى احني وأرحب عالمًا
صوفي الكنوز عن العناء فلا ترى
وتخيرها للقوي سلافة
واذا شكا العاني فسوطك واسمعي
وتنكري للنائمين على الطوى
ما كان جودك للسعادة ضامنًا

وأحنُ أفياءً وأزين سولا
عين إلى تلك الكنوز سبيلًا
وغنى وطرفًا ناعسًا مكحولًا
نغم الآلوهة زفرة وعويلا
الله قد خلق « المنى » لتديلا
صدقًا وبخلك بالشقاء كفيلا

هذي الحياة عنت لبأسك رهبةً
وزماجرًا قامت على غمائها
ملكك يدك هواءها وبحارها
العلم يحكم وحده متعسفًا
والعلم ان ملك القلوب فسمه
والعلم ان ملك القلوب فسمها
لا نبض ما خفقت به لكنه
اما الاكف نخيرها ذو جنة
العلم سخرها وحسب العلم ان
عفى على حرم الخيال وقدمه
ولقد وقفت به أناشد غائبًا
وبكيت - أجزيه - ورُبُّ مدامع

فتسمعي لجبا بها وصهيلًا
من حكمك العاني القوي دليلًا
والكون اجمع عرضه والطولا
لا قلب في سلطانها وميولا
وحشية وادع الحضارة غيلا
حجرًا ننوء بعبثه محمولا
صوت الحديد غدا يصل صليلا
حطم الباب وعالج الازميلا
تزن الامور جميعها وتكيلا
او ما ترى حرم الخيال أزيلا
ققل الخليط وما اطاق ققولا
خفن كربًا او شفين غليلا

عهدي به والشعر في ادواحه
خضل المروج ترف انداء المنى
وجلا لك الدنيا - على ما تشتهي
وأعاد مطوي العصور - وأدما
منح الخلود ولا ميول ولا هوى
غزل يحاور من احب وسره
تتغير الالوان . تغمر نفسه

يغشى القلوب اغانيًا وهديلا
فيه السرائر بكرة واصيلا
منها - يملق حيسك المختولا
يحنو بأدمعه على هابيلا
فأبى وآثر غربة ورحيلا
ان فارق التكبير والتهليلا
بالحسن : لا نزرًا ولا مملولا

وتبدل الألوان . نعمة خالد لم يدر في فردوسه التبديلا
 وترى بأفياء الجمائل عزة * * * تحنو لتحتضن النهود جميلا
 فالنعم برؤية عاشقين تلاقيا سحراً وقد هوت النجوم افولا
 واعذر جميلاً حين جن جنونه فسطا ولا غزلاً ولا تأهيلا
 نشوان يجذبها إليه — ولا يرى إثمًا — ويلهب عريها تقبيلا
 يترشف الشجر الشهوي سلافة ويرفه كالاقحوان بليلا
 ودمى وردن على الغدير وما اتقت * * * حسناء هن الشاعر الضليلا (١)
 حتى اذا أخفى البرود وسامها أمراً رأتها من الحياء جليلا
 عطفت تناشده العفاف وأتلمت جيداً — كالألاء الصباح — اسيلا
 فأبى وتسرع نحوه عريانة خجلى — لقد حب الجمال خجولا
 وتطالع المجنون في اسماله * * * شلواً بأنياب السقام أكيلا
 خذلته نعماء العيون وسخرت للعبقرية ذلك المخذولا
 فهو صريعاً : بالرمال مكفناً بمدامع الصبح البليل غسيلا
 وفقى قریش (٢) وهو يقتل طرفه * * * ليرى الثرياً والهأ مغبولا
 عبثت لتشهد منه أية لوعة تجزى واي هوى ملح تولى
 وسكينة (٣) والشعر في ابوابها * * * والحسن يبعث شجوه فيقولوا
 نشوى الدلال . تعب من خمر الهوى سكرأ ويمنعها الحياء تمبلا

(١) امرؤ القيس بن حجر ويشير الشاعر هنا الى حكايته مع ابنة عمه — وكانت هوى له — حين أخفى بردها وبرود رفيقات لها — وكان يسبحن في غدير — فلما انتهين من الماء لهواً وابتزاداً . أبى عليهن البرود . الا ان يأخذنها منه واحدة فواحدة حاريات . وقد نزلن عند هواء الا ابنة عمه فقد تعللت وسوفت . ثم رضيت واذعنت
 (٢) جاء في الاغانى ان عمر بن ابي ربيعة كان مدهاً بالثريا وكانت عرصة ذلك جمالا وتماماً وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو عليها كل غداة اذا كانت بالطائف فيسئل الركبان من الطائف عن الاخبار قبلهم . فاتي يوماً بعضهم فسأله عن اخبارهم فقال ما استطرفنا خبراً الا انني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً طالياً على امرأة من قریش اسمها اسم نجم في السماء فقال عمر الثريا قال نعم فوجه فرسه الطائف يركضه ملؤ فوجهه وسلك طريق كذا وهي اخشن الطرق واقربها حتى انتهت الى الثريا وقد توقفت وهي تتشوف له وتشرف فوجدتها سليمة عميمة فانبرها الخبر فضحك . وقالت والله أنا أمرتهم لاخبر مالي عندك . والى هذه القصة يشير الشاعر في أبياته هذه (٣) سكينة بنت الحسين وهي من اطرف نساء التاريخ العربي القديم

ملئ العيون مفاتناً لكنها ملئ القلوب عللاً اعزاً أثيلاً
وقف العفاف يذود عن ذاك اللهي - الأملنى - شرس الندياد بخيلاً
وتذيع جتها عميراً ربما اخذ الشذا القدسي عن جبريلاً

وأبا نواس في مجالس لهوه قسم الليالي سكرة وذهولا
حالي الدعاب هفا وعلل ذنبه للاميين فأحسن التعليلا
حسب الحياة سلافة ومهفهاً والباقيات من الحياة فضولا
لم يهو غير الحسن في خفرائه وأحبه عند القيان ذليلاً
من كل نافرة فاب جهشها ألفيت عقد نطاقها محلولاً

وترى ابن برد^(١) وهو في نزواته كالليث مرهوب السطا معزولا
هتك الفضائح بعد صون وانتضى للمالكين بيانه المصقولا
فرموه بالاشراك ثم تلمسوا من حاسديه شاهداً مقبولا
حتى اذا عز الشهود تمحلوا فراوا شهوداً في القريض عدولا
زعمته أهواء السياسة كافراً تالله ما بالكفر راح قتيلاً

متجاورين . ترى بكل بليلة عند الغدير خلية وخليلاً
متنادمين على الحمايل انشدوا غرد النسيب ورتلوا التنزيلاً

سقى لنعماء الخيال ولا رأت عيناى ربعاً من هواء محيلاً
اثمت بزينته الحضارة واقتضت شر التقاضي دينها الممطولا
شوهاء تحلم بالقبور ولا ترى الآلى الاسى والشكل والترميلاً
ويعيد منطقها الضجيج تناسقاً والحب علماً قد أعد فصولاً
فاذا اردت الحب . فابغ نعيمه عند الكتاب وحاذر التأويل
وتعلم الحركات من صفحاته والدمع كيف تروضه فيسيلاً
واحذق معاتبة النجوم ولومها متوجعاً وتعمد التطويلاً

(١) بشار بن برد وقد قتلته السياسة باسم الدين

فن الكياسة في كتابك ان ترى بين النجوم على هوائك عذولا

حرم الخيال فدى رؤاك حضارةً قد مثلتك لتخطأ التمثيلا
هيهات حسنك من جمال خادع غش العيون وأحكم التضميلا

إني لألمح في الغيوب رسالةً وأرى وراء الغيب منك رسولا
وكتاب حق لا يبالي في الهدى ان خالف المعقول والمنقولا
انجيل عيسى في الحنان وان يكن في غير ذلك — يخالف الانجيلا
وبيان أحمد قوة وعذوبة ونهى ورأياً في الحياة جميلا
عفى على مدنية صخبانة يذر الخلي ضجيجها مشغولا
جبارة لا عطف في أقدارها عجل وما خلق الزمان عجولا
يمنى تعدد لك المتاع واختها تلد الشقاء وتخلق التنكيلا
تبني وتهدم كالحياة وربما غزلت لتنكث خيطها المغزولا
لا عطف يخفق في الصدور ولا هوى كذبتك عينك بل رأيت طلولا
والعلم . ويل العلم يوم حسابه . ان كان عن نزواتها مسؤولا

هذا كتاب الغيب فيه رحمةً تسع البرية مترفاً ومعيلا
غسل الوجود من الضغائن والهوى لتحل روح الله فيه حلولا
ودعا « الضمير » محاسباً متأثقاً فكأنه من آل اسرائيلا
وتلاقت الانساب . يغمر عطفه منها فروعاً سمحةً وأصولا
ساوت بساطته الشعوب فما ترى فيها هجيناً او تعد أصيلا
وحنت على النفس الاثيم . فأبصرت إثم النفوس على النفوس دخيلا
ولدت أخيلة الشرائع فكرةً فما بأحضان الحضارة غولا
خلقت له الاسماء وهو كناية وتخيلت ألوانه تخيلا
ورمت به الانسان في نعمائه فتصيدته مكبلاً مغلولا
لم ترض تعذيب الحياة فسخرت بعد الردى لعقابه « المجهولا »
فكأنما تلك الشرائع تقتضي عند النفوس ضغائنًا وذحولا

بدوي الجبل

٢٢ مارس ١٩٣٢

واني انا ايضاً كنت ذكرت في مقالتي عن « العلاقات بين الفرنك والمسلمين » التي نشرتها سنة ١٩١٥ في مجلة « الشرق المسيحي » الروسية ان خبر هذه الرسالة لم يرد الا في مجموعة آداب عربية يرجع عهدها الى العصر الرابع عشر او الخامس عشر^(١) وما ذلك الا لاننا كلانا لم ننتبه الى ان الرسالة ذكرت لأول مرة في مصدر قديم — من العصر العاشر — يعرفه كل من يشتغل بالعلوم العربية وهو كتاب الفهرست لابن النديم (في باب حروف الهجاء)^(٢) حيث قيل عن حروف الهجاء عند الفرنك اي عن الحروف اللاتينية ما نصه « وحروفهم تشبه حروف اليونان الا انها احسن منها لانها اكثر استواء فقد رأيناها احياناً على سيوف الفرنك وكتببت ملكة الفرنك كتاباً الى (الخليفة) المكتفي على حرير ابيض وارسلته مع خادم (اي خصي) قدم الى املاكها من الغرب (من افرقية الشمالية) تطلب من المكتفي مهراً (صداقاً) وتعرب فيه عن رغبتها في زواجه واسم هذا الخادم ألبا — Alba (?) وهو من خدام ابن الاغلب^(٣) ظاهر من اول نظرة ان الغزولي لم يأخذ عبارته عن الفهرست بل — وهذا هو الأرجح — عن مصدر آخر اقدم وأصح في ما يتعلق على الاقل بهذا الخبر لان تيودورا كانت — على قدر ما نعلم ونستطيع ان نحكم — في هذا الوقت امرأة السناطور تيوفيلكت وعليه يصعب ان نفرض انها عرضت نفسها على المكتفي كما يصعب ان يكون بلغها شيء اكيد عن الخليفة وانه كان شاباً وجميل المنظر^(٤) (توفي المكتفي سنة ٩٠٨ وله من العمر ٣١ او ٣٢ سنة)

يؤخذ من عبارات الغزولي ان في رسالة « ملكة الفرنك » مضادة بين بزنتية « ورومية الكبرى » القديمة وهذا محتمل لانه يتفق مع وجدان رجال ذلك العصر وميولهم السياسية والى ذلك اشار العالم غريغوروفس في كلامه عن النقود التي صكها البابا سرجيوس الثالث وكتب عليها salus patriae (سلامة الوطن) وانها هاجت ذكرى رومية القديمة^(٥) وعزها السالف . اما ما جاء في الرسالة عن المحالفة (او « الصلة » كما في الرسالة) بين بزنتية والخليفة فهو غير صحيح ولا هو يتفق مع التاريخ في شيء . نعم ان المكتفي وملك الروم ليون السادس تراسلا وتهاديا سنة ٩٠٣ (٢٩١ هـ)^(٦) الا ان الحرب عادت فشبت بينهما حتى ان فداء الاسرى الذي كانوا شرعوا فيه في ايلول من سنة ٩٠٥ (٢٩٣ هـ) لم يتم لان الروم انصرفوا بغتة بمن كان معهم من اسرى المسلمين فحسب ذلك المسلمون غدرأ^(٧) منهم ولم تتجدد المكاتبة بين

(١) مجلد ٣ ص ٢٦٤ (٢) كتاب الفهرست ص ٢٠ من طبعة اوربا (٣) المراد هنا زيادة الله

الثالث آخر امراء الاغليين (٩٠٣—٩٠٩) (٤) الطبري ١١: ٤٠٤ « وكان ربة جيلا وقيق السكول حسن الشعر وافر الجمة وافر اللحية » و (كتاب الصلة لعريب ص ١٢ ب . ج)

(٥) راجع كتابه Kleine Schriften ١: ١٦٢ (٦) طالع عن ذلك تأليف الاستاذ امفاسيليف

« بزنتية والعرب » ٢: ١٣٧ — (في الروسية) وهناك تجد المصادر

(٧) وقد ذكر ذلك الطبري (١١ : ٣٩٣) والمسمودي في مروجه بعبارات واحدة

الطرفين عن الصلح والفداء إلا في سنة ٩٠٧ أما الفداء فلم يقع فعلاً إلا في سنة ٩٠٨ وذلك في خلافة المقتدر (٩٠٨ - ٩٣٢)

يصعب علينا ان نبت في هل كان الغرض من رسالة تيودورا الحصول على منافع سياسية معلومة اي انها ارادت كما يفترض الاستاذ صاحب المقالة ان تفوز بمساعدة من الخليفة ضد عرب افريقيا الذين كانوا يسطون وقتلهم من مستعمرتهم على شاطئ نهر غاريليانو Gariliano^(١) على مقاطعتها الرومانية وينهبون ويقتلون اهلها وذلك في قبيل مساعدة تقديمها له ضد بنظية. على انه يظهر من رواية الفهرست ان اصحاب رومية لم يكونوا يفكرون في ارسال شخص ذي منصب يتفق مع خطورة مهمته السياسية وانما انتهزت الملكة تيودورا فرصة سفر احد الخدم (الخصيان) الآتين من بلاد الاغلبين^(٢) الى الشرق لترسل معه رسالة الى خليفة بغداد الا اننا لا نعلم هل كان هذا الخادم اسر في احدي المناوشات التي وقعت بين الرومانيين وعرب المستعمرة المذكورة او انه هجر اراضي الاغلبين لما اصابه من ولاة الامر فيها كما اننا لا نعلم هل كان يومئذ في بغداد من كان يحسن قراءة وفهم رسالة كتبت باللاتينية او ان الخادم المذكور تولى هذا الامر بنفسه

يدخل في سنة ٢٩٣ الهجرية جميع الوقت الذي يبتدىء من نوفمبر (تشرين ثاني) من سنة ٩٠٥ م وينتهي في اكتوبر (تشرين اول) من سنة ٩٠٦ والذي نعلمه عن هذه السنة ان المكتفي قضاها كلها في بغداد ففي ٢١ ايار^(٣) (مايو) من سنة ٩٠٦ اخرجت مضاربه من بغداد وضربت في باب الشماسية وهو الباب الشمالي الواقع على الجانب الايسر في بغداد الشرقية ومن هذا الباب كانت تبتدىء الطريق الى العراق وسوريا وقد كان الداعي الى اخراج مضارب الخليفة ان المكتفي كان ينوي الخروج الى سوريا ليقمع الثورة التي ظهرت وقتئذ في مصر الا انه ورد في اليوم الثاني خبر انتقام الثورة وان قائد السلطان واصحابه ظفروا بالخليجي زعيم الخارجين على الدولة هار الاثنيين في ٥ ايار (مايو)^(٤) فعدل الخليفة عن الزحف وردت المضارب الى مكانها ثم صدر الامر بارسال

(١) راجع عن بنائها سنة ٨٨٣ تأليف الاستاذ فاسيليف المذكور ٢ : ١٣١ وعن تدميرها من طرف الروم والايطاليين في سنة ٩١٦ الكتاب نفسه ص ٢٠٦

(٢) كان بين هدايا « ملكة الفرنك » التي بعثت بها الى الخليفة عشرون خصياً ومن اجل خصيان صقلية (وفي الاصل استعملت كلمة خادم وهي الكلمة التي استعملها ايضاً صاحب الفهرست وقد كانت تستعمل في اغلب الاحيان بمعنى الخصى على انها وردت في العصر العاشر بمعناها الاصل ايضاً (راجع قاموس بعض المفردات الواردة في تاريخ الطبري ص ٢١٥ اما الاستاذ Inostrancev فقد ترجمها بكلمة esclave) وقد استعملت كلمة خصي بدلا لخادم كقول صاحب كتاب الفخري ص ٢٣٤ : « كان في داره (دار الخليفة المقتدر بالله) احد عشر الف خادم خصى من الروم والسودان » (ب . ج)

(٣) « اسبغ بقين من رجب » كما يقول الطبري ١١ : ٣٩٨ (٤) الكندي (طبع Guest) ص ٢٦٢

الخليجي الى مدينة السلام فأرسل . ولما وصل اليها ادخله من باب الشماسية للنصف من شهر رمضان (نهار الخميس في ١٠ تموز (يوليو) أما خروج الأسراء من مصر فقد كان نهار الاثنين في ٢ حزيران (يونيو) ومن هذا الباب دخل ولا شك رسول تيودورا كما كانت تدخل قبله وبعده رسل ملوك الروم يحتمل ان يكون ورد ذكر رسالة «ملكة الفرنك» في كتاب الوزراء (تأليف أبي عبد الله محمد بن عبدوس — ب. ج.) الجهمشياري (توفي في سنة ٣٣١ هـ ٩٤٢ — ٩٤٣ م) الذي وقف فيه — كما يستفاد من كتاب الوزراء لهلال الصابي — عند سيرة العباس بن الحسن^(١) (وزير المكتبي والمقتدر) من سنة ٩٠٤^(٢) إلا ان المخطوطة الوحيدة التي وصلت الينا من كتاب الجهمشياري والتي نشرت حديثاً^(٣) تنتهي بذكر وزراء المأمون (٨١٣ — ٨٣٣) كما وقد ختمها صاحبها بهذه العبارة : « هذا آخر ما اردناه والله اعلم » مما ينتج عنه ان المخطوطة تحتوي على جميع الكتاب

نرجح ان سيكون لعبارة الفهرست « وقد كتبت الرسالة على حرير ابيض »^(٤) شأن خاص بمعرفة حالة الثقافة المادية في ذلك العصر

لم يذكر ابن النديم بصراحة ان كان رأى الرسالة بعينه ام لا ولكنه على كل حال لم يكن في وسعه ان يقرأها لان معرفة اللغة اللاتينية لم تكن شائعة في العالم الاسلامي ما عدا اسبانيا والقسم الجنوبي من ايطاليا حتى ان العرب كانوا — كما تفيدنا بعض الاخبار — يخلطون بين الحروف اللاتينية والحروف اليونانية^(٥) إلا في اسبانيا كما قلنا فانه كان بين العرب من كان يحسن قراءة الحروف اللاتينية نذكر منهم البكري احد جغرافيين الاندلس في العصر الحادي عشر فانه كان يقرأ اسماء « الجزائر السعيدة » (او الخالدة ب. ج.) Fortunatal^(٦) — باللاتينية وقد شهد له الغزولي بأن كتابه خير التأليف العربية في الجغرافية^(٧)

وليس ايضاً بواضح ان كان « تاريخ الفرنك » الذي قدمه غودمار (Godmar) اسقف مدينة جيرونا (في كاتالونية هي Gerona في خارطات هذا اليوم و Gerunda القديمة) الى

(١) راجع : The Historical Remains of Hilal Sabi, ed. Anedros, Leyden 1904, p. ٣
(٢) طالع عن وفاة سلفه الكتاب المذكور سابقاً ص ٣٦٠ من المت . ولد العباس بن الحسن سنة ٢٥٠ هـ
(٣) Bibliothek arabischer Historiker (٣) راجع من الاصل ص ٣١٣ من ٨٠٤ — ٨٠٥ م
und Geographen, ed von H. Mzik, Bd.1, 1926

(٤) لم اقف على اخبار اخرى عن رسائل كتبت في ذلك الوقت على حرير ابيض

(٥) راجع مجلة Der Islam م ١٦ ص ٨٥

(٦) راجع كتاب Abu-Obeid-el-Becri, Description de l'Afrique Septentrionale
صفحة ١٠٩ من الاصل و ٢٤٩ من الترجمة , Alger, texte arabe par le Bon de Glane,
(٧) الغزولي ٢ : ١٧٧ من الطبعة المصرية سنة ١٢٩٩ ١٣٠٠ اما تأليف البكري فلم ينشر حتى اليوم

الحكم (٩٦١-٩٧٦) يوم كان ولي العهد ، مكتوباً بالعربية ام باللاتينية اذ لم يذكر هذا الكتاب الا المسعودي^(١) وقد رآه في القاهرة سنة ٣٣٦ (٩٤٧-٩٤٨) في اللغة العربية على ما يظهر ان كان الهم الاصل وضع في اللاتينية وقد نبّه^(٢) Reinaud الى ان كاتالونية كانت من عهد شارل الكبير داخلة في حكم الفرنك وعليه يكون غودمار الذي ترأس البعثة الى الخليفة المذكور من تبعة الملك لويس (ليودفيك) الرابع المعروف بلويس « ما وراء البحر » (d, outre - mer - ٩٣٦ - ٩٥٤)

ثم لا شك في ان للرسالة شأنًا لمعرفة تاريخ رومية في ذلك الوقت اذ نستطيع ان نستنتج منها ان تيودورا كانت سيدة « المدينة الخالدة » بلا نزاع وصاحبة السلطة فيها ليس فقط في نظر معاصريها بل وفي نظر الجيل التالي . زد الى ذلك ان هذه الرسالة التي بعثها « ملكة الفرنك » الى بغداد في اوائل العهد المعروف بعهد « حكم العهارة » Pornocratie - (العبارة لبارونيوس من اهل العصر السادس عشر) في رومية تؤكد مرة اخرى رأي بعض المؤرخين في ان النساء اللواتي كن يحكمن وقتئذ في رومية ويخضعن لبلاتحياء ولا خجل مما تقتضيه الآداب المسيحية لم يكن من النساء اللاتي لا قيمة ولا شأن لهن كما يصورهن المؤرخون الكنائسيون الذين لم يكونوا يرون فيهن الا بؤرة عهر ودعارة

ولا بأس ان ننبه اخيراً الى ان كتاب تيودورا أرسل من رومية الى بغداد في زمن لم يكن ظهر فيه بعد غزو مدينة أمالي^(٣) او ان الغرب لم ينتهبوا الى ذلك وهذا الزمن يُعَدُّ احدى الصفحات الاولى من تاريخ علاقات اوربا الغربية مع العالم الاسلامي مباشرة اي بدون وساطة الدولة البزنطية تلك العلاقات التي مهدت للبلاد الغربية في اوربا اسباب التفوق على غيرها في ميدان الثقافة والاقتصاد

تقلها عن الروسية بامانة

پ . ج

باكو

(١) مروج الذهب ٣ : ٦٩ (من الطبعة الاوروبية)

(٢) راجع كتابه Invasions des Sarrazins en France Paris 1856, XV, 39 p.

(٣) لم يرد ذكر امالي في كتب العرب قبل النصف الثاني من العصر العائري (طالع Bibl. Geogr. Arab. II, 135) وراجع عن مستعمرة امالي التجارية في القاهرة تاليف الاستاذ بارون روزن « فاسيليوس

قتال البلغار » (بالروسية) بطرسبرج ١٨٨٣ ص ٢٩٥

القبّة والطير

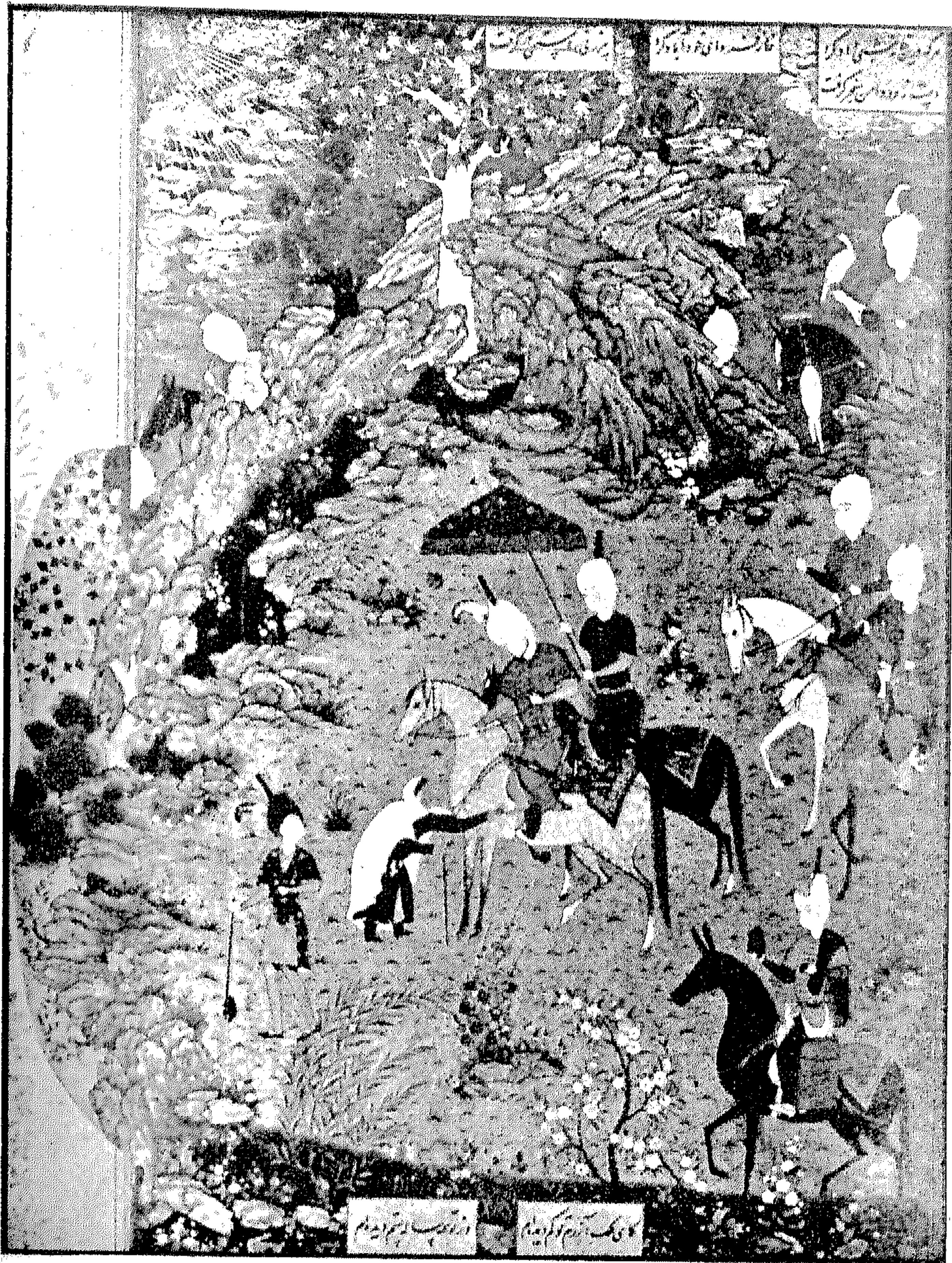
أو
مثال من رسوم الملوك والآله في دولة المماليك

بمصر كما وردت في صورة فارسية
بقلم مدام ر. ل. ديفونشير : تمريب محمود عكوش

لقد زاد الاهتمام في العهد الأخير زيادة لم تعيد من قبل بالصور التي تتحلّى بها المخطوطات الفارسية وظهرت عنها مطبوعات لطيفة كالتى أصدرها السير توماس ارنولد والدكتور مارتين والمستر لورنس بينيون والمسيو بلوشيه والدكتور كويهنل وغيرهم فاصبح السبيل ممهداً امام الجمهور للاستفادة من هذه الطرف المصورة

وعادت هذه التسهيلات على المشتغلين بدراسة التاريخ الاسلامي بالنفع الجزيل لكثرة المعلومات التي اصبحت من الممكن الحصول عليها بامعان النظر في هذه الطرف . وليس الامر في ذلك قاصراً على الصور النادرة التي تمثل بعض المسلمين بهيئاتهم وملاحمهم بل لان هذه الطرف تجمع ايضاً كثيراً من التفاصيل النفيسة من زخرفة البيوت وادواتها وزينتها والازياء وغير ذلك وقد تملكني الفرح بينما كنت اقلب بعض الصور الجميلة التي طبعت في مجلة «ذي ستوديو» من ديوان النظامي المحفوظة اصولها في المتحف البريطاني وعني المستر لورنس بالكلام عليها اذ عثرت بينها على صورة تمثل احد ملوك فارس من القرن الثاني عشر الميلادي فيها بعض رسوم المماليك التي كان يتخذها بعض سلاطين المماليك وكنت اتلّف للاطلاع عليها من زمن طويل وهي صورة « القبّة والطير » المتعدد ذكرهما في وصف مواكبهم المملوكية اثناء حكمهم على مصر والشام وفي الشكل رقم ١ صورة سمح لي بنقلها من الاصل المحفوظ بالمتحف البريطاني يرى فيها السلطان سنجر وهو على فرسه يستمع لامرأة عجوز وقفت تحتج عليه بسبب اطلاقه عنان الحرية لجنوده وعلى رأس السلطان المظلة المملوكية وفوقها الطير الذهبي يحملها احد الفرسان وهو في زيه الجميل

(١) نشرت هذه المقالة في مجلة « ابولو » الانكليزية في الجزء الرابع عشر في العدد رقم ٨٣ شهر نوفمبر سنة ١٩٣١ بعنوان An Egyptian Mameluke Feature in a Persian Miniature, by Mrs. R. L. Devonshire.



(ش ۱) السلطان سنجر علی فرسه یستمع لعجوز (المتحف البريطاني)

ونشر مسيو بلوشيه في كتابه « صور المخطوطات الفارسية والتركية بالمكتبة الاهلية » طبع باريس سنة ١٩١١ صورة اخرى تمثل هذه الواقعة نفسها وهي من عمل محمود المزوق المشهور في سنة ٩٥٢ هجرية الا ان المظلة المرفوعة على رأس السلطان كانت تعلوها « كرة » بدلاً من الطير . وهناك صور اخرى فيها مظلات محمولة على رأس السلطان ولكن لم اعثر بينها على مظلة واحدة عليها الطير

ويوجد في المناظر الموضوعة عن بلاد الشرق وافريقية وفي بعض المؤلفات امثلة عديدة من المظلات التي كانت تعد من شعار الملوك^(١)

ومن أقدم هذه الامثلة صورة من النقوش البارزة في مدينة بيرسيبوليس (تشييل منار) بالقصر الاخميني تمثل الملك اكزسيس ماشياً وبعض حجاجه يحمل المظلة على رأسه (لوحة ١٥ من كتاب « الفن ببلاد فارس القديمة تأليف سار ») . وقد ارشدني مسيو بلوشيه الذي تلطف وساعدني مساعدة قيمة في هذا البحث الموجز الى ان المظلات الصينية والانامية كانت حمراء اللون ولها حاشية يختلف لونها عن اللونين الاصفر والذهبي المستعملين في مصر واورد كاترمير عدة نصوص عن المظلات الملوكية في بلاد الاسلام في ترجمة السلوك للمقرزي المسماة « سلاطين الممالك » وفي ترجمة « سلاطين المغل » لرشيد الدين

وذكر ابن بطوطه عن بعض حكام القسطنطينية — ممن لم تعرف شخصيتهم للآن — انه اكرمه برفع « العِتر » على رأسه . وقد اطلعت في كتاب مختصر التاريخ للمفضل بن ابي الفضائل (پاتولوجيا اورينتالي) طبع بلوشيه ص ٥٢٦ على قصة لاحد الامراء وكان معجباً بحمل العِتر على رأسه . ونقل كاترمير من « كتاب تاريخ دولة آل سلجوق » للفتح بن علي ابن محمد البنداري الاصفهاني ان السلطان سنجر في حربه مع الخطا بقى في عدد قليل فقال له الامير ابو الفضل صاحب سجستان « قد احدثت بنا العساكر ودارت علينا الدوائر فانج بنفسك لاقف مكانك تحت العِتر » . وقال الكولونيل ز . ب . جنتيل في كتابه « مختصر تاريخ ملوك هندستان أو مملكة المغل » على ما رواه عنه بلوشيه ان محمد شاه . . . توفي في ٢٢ ربيع الثاني . . . و اخفت زوجته المعروفة باسم « ملك زماني » موته خشية من حصول اضطراب وكتبت الى كبير الوزراء تخبره بذلك وتطلب اليه الحضور باين السلطان وكان صغيراً الى دهلي على جناح السرعة فاعد له الوزير عِترًا وفي اليوم التالي حُمِل العِتر على رأس الامير في مقدمة الجيش اعلاناً بارتقائه عرش السلطنة

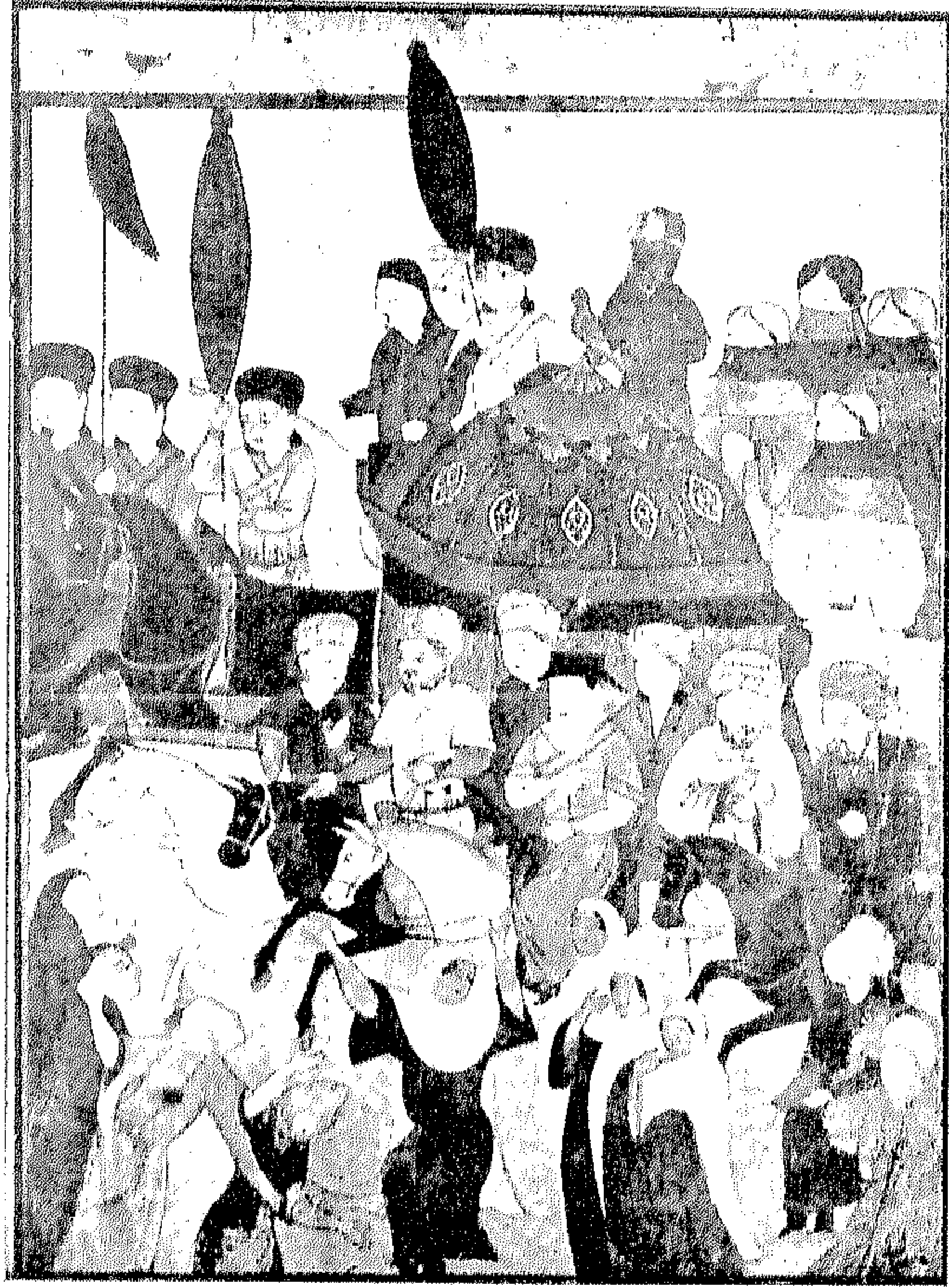
وما ورد في هذه النصوص وسواها لا يعدو الكلام فيه العِتر او المظلة التي على هيئة قبة

(١) قال ابن خلكان في كلامه عن فتح الاندلس : وحمل لزيق (رودريك) على مريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله (ج ٢ ص ١٧٨) المررب

ولا ذكر فيها للطير . وفي سيرة صلاح الدين ومن خلفه من الملوك من بني ايوب في مصر والشام لم يرد ذكر شيء من آلات الملك . وربما كان السبب في ذلك تنحيهم عن هذه المظاهر الخليفة بغداد . اما الخلفاء الفاطميون في مصر فانهم اتخذوا المظلة في مواكبهم الرسمية وقد ذكرها المؤرخون بلفظها العربي « المظلة » ومعناه الشيء الذي يستظل به . وقد وصف ناصر خسرو موكب الخليفة المستنصر وكان قد شاهده وعلى رأسه المظلة وذكر المقرئ عن المسيحي المظلة المذهبة التي كانت للخليفة العزيز والظاهر انه لم يكن عليها طير بدليل ان القلقشندي ايضاً لم يذكره ضمن وصف الآلات الملوكية في « المواكب العظام » على ايام الفاطميين . وكذلك ذكر المقرئ المظلات والقضب من الفضة والذهب في تعداد ما كان في خزائن المستنصر من الدخائر . ولم يذكر طيوراً من الذهب ولو كانت موجودة وقتئذ لما اغفل ذكرها

ويظهر ان احد ارباب الوظائف في العهد الفاطمي كان مكلفاً حمل المظلة لان زيدان الذي قُتِلَ برجوان الوزير على يده بأمر الحاكم في سنة ٩٩٩ ميلادية كان يلقب « بصاحب المظلة » وفي عهد المماليك كان الذي يقوم بهذه الخدمة امير له المقام الاول بين الامراء ويولي السلطان في المرتبة ويكون في اغلب الاحيان « اتابك العسكر » وكثيراً ما كان السلطان يقتل ويخلفه في الحكم من كان يقوم له بهذه الخدمة^(١) . وفي عهد المماليك اصبح الطير ملازماً للقبة لان جميع المؤرخين المعاصرين لهم كانوا اذا وصفوا موكباً من المواكب المصرية ذكروا « القبة والطير » (شكل رقم ٢) وقد أتى ابن اياس على ذكر ما لا يقل عن اثنين وعشرين سلطاناً اتخذوا القبة والطير لهم شعاراً واكثر هؤلاء السلاطين من الدولة الثانية للمماليك الجراكسة ويكادون يكونون معاصرين له . ومما يحسن بنا الاشارة اليه ان من لم يذكر ابن اياس في كلامه عنهم القبة والطير ذكره غيره من المؤرخين فتراهم مثلاً لم يذكرهما في كلامه عن لاجين سنة ١٢٩٦ م ولكن المقرئ على ما ذكره عنه لين پول في تاريخ مصر ص ٢٩١ يقول ان الامير بيسري حمل له القبة الملوكية فوق رأسه . وقال المفضل (طبع بلوشيه ص ٤٧٧) ان « بيسري » حمل القبة ايضاً على رأس بركة ابن بيبرس الكبير وقد فات ابن اياس ان يذكر ذلك في كلامه عن هذا الاخير ، وفيما بعد نرى ابا المحاسن يستوفي ما اغفله ابن اياس كما فعل في كلامه عن الملك الظاهر ططر سنة ١٤٢١ م ولقد بحث المؤرخون في امر « القبة والطير » فقال لين پول انها مظلة تعمل من حرير

(١) جاء في كلام المقرئ عما كان يعمل بعد صلاة العيدين (ج ٢ ص ٢٢٩) على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون قوله : ويخلع على حامل القبة والتير وعلى حامل السلاح والاستادار والجاشنكير وكثير من ارباب الوظائف . ويؤخذ من ذكر صاحب هذه الوظيفة قبل غيره من الامراء انه كان مقدماً عليهم



(شكل ٢) القبة والطير



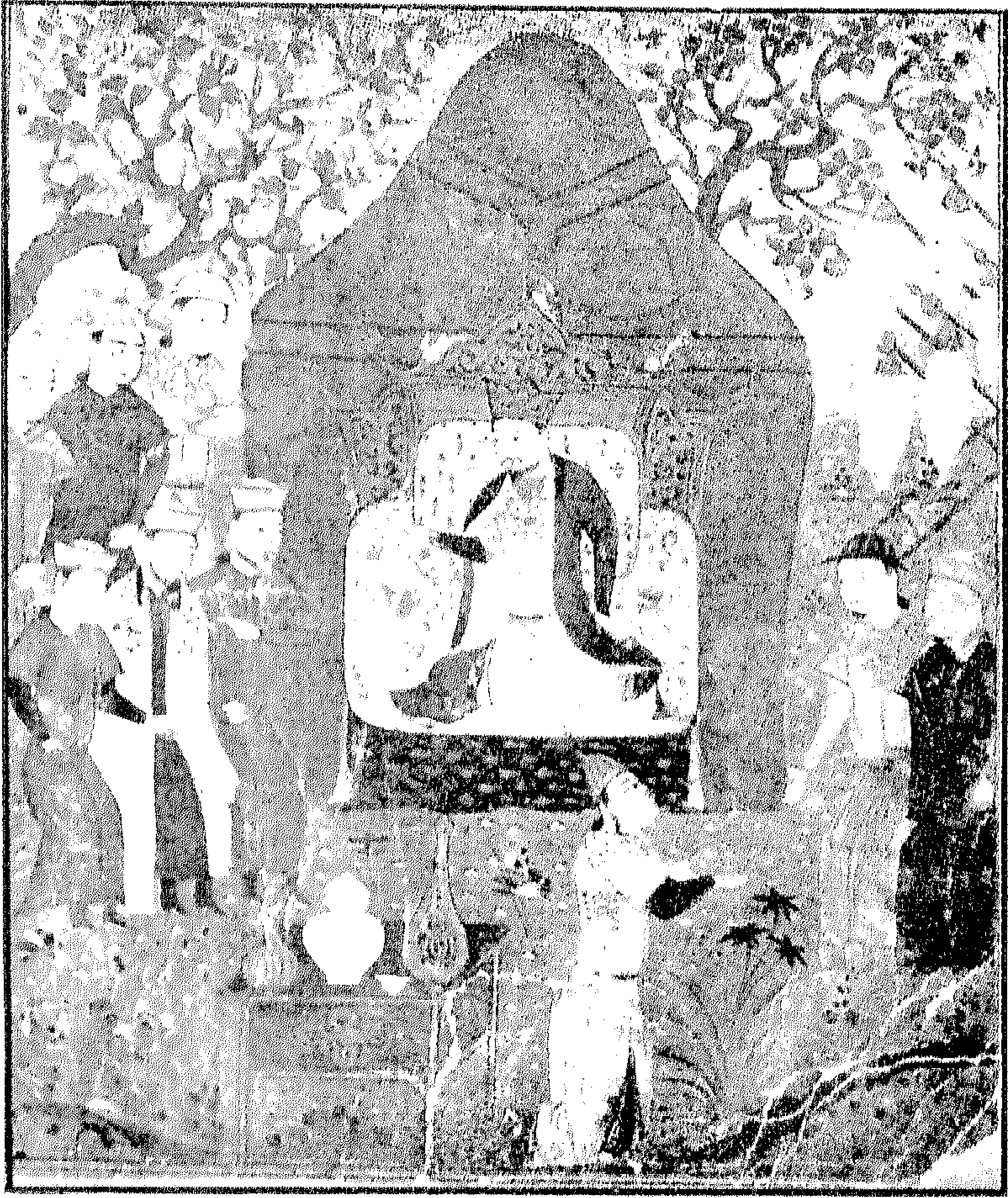
اصفر يطرز بالذهب وتتوج بطير من ذهب جاثم على قبة من ذهب وهو وصف لم اعثر على ما يؤيده وقد يكون مصدره خطأ في ترجمة قول القلقشندي ان المظلة على هيئة قبة . وقد شرح المقرئزي وابن خلدون وغيرهما كيف اُهملت كلمة مظلة العربية واستعمل بدلاً منها اللفظ الهندي القديم « چتر » الذي له المعنى نفسه^(١) . وجاء في رحلة ابن بطوطة وهي رحلة مسلية رغم ما يتخللها من اللغو النص الآتي وهو على جانب من الاهمية : « والسلطان هناك (دهلي سنة ١٣٢٠ م) يعرف بالشطر (چتر) الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمى بديار مصر القبة والطير ويرفع بها في الاعياد واما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا حضر »

وقد اطلق ابن بطوطة على المظلة اسم القبة والطير وذلك في كلامه عن مصر خاصة ولكنه سماها چترأ في الكلام عن غيرها فقال عن « منسي سليمان » سلطان « مالي » الواقعة على النيجر سنة ١٣٥٣ م : و « يرفع له (فوق مجلس السلطان بالمشور) الشطر وهو يشبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي » . ويؤيد هذا الخبر مؤلف آخر وهو العُمري الذي ترجم كتابه اخيراً بمعرفة مسيو جود فروا دومومبين احد مشاهير المشتغلين بدراسة ذلك العهد من التاريخ الاسلامي فقال في بعض تعليقاته انه يظن ان هذه العادة نشأت في مصر . وفي الواقع نجد في قول العُمري وفي كلام المقرئزي ان موسى بن ابي بكر الذي كان متولياً الحكم قبل منسي بن سليمان سافر الى مصر والحجاز في سنة ١٣٢٣ م اثناء حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقد تجددت الآن الفكرة القائلة بان اتخاذ الطير او الباز كشعار يرجع في الاصل الى المغل بدلالة ما يرى في الصور الفارسية . وفي المكتبة الاهلية صورة على جانب عظيم من الاهمية - ضمن ما نشره مسيو بلوشيه بعنوان « الصور والكتب الخطية الشرقية الموجودة في المكتبة الاهلية » ، وقد نشرتها الجمعية الفرنسية لنقل الكتب الخطية والصور (سنة ١٩١٤ - ٢٠ ، لوحة ١٩) وهي تحتوي على صورة محفة للسلطان محمود غازان ملك المغل بفارس (١٣٠٤ م) . وهي اذا وقع النظر عليها بدت قريبة الشبه بالمظلة وقد علاها طير من الذهب او المعدن المموه بالذهب . ويظهر انه باز او صقر وفي الصورة مظلتان لا طير عليهما مطويتان ومربوطتان من اعلاهما اشارة الى وقت الصباح وفيها ايضاً ذيل فرس . وكان المغل والترك يتخذانه علماً وفي صورة اخرى (شكل رقم ٣) ذبول من هذا القبيل ولكنها بيضاء لا سوداء . وقد نقلت في كتاب

(١) وقد ذكر المقرئزي الجتر مراراً في كلامه عن السلطان محمد بن طغان شاه (ج ٢ ص ١٧٤) وقال في كلامه عنه ايضاً : واذا خرج في قصره من موضع الى آخر يمر راكباً وعلى رأسه الجتر والسلاح دارية وراءه بايديهم السلاح وحوله نحو اثني عشر الف مملوك مشاة لا يركب منهم الا حامل الجتر (ج ٢ ص ١٧٥)

« الصور » لمسيو بلوشيه المتقدم ذكره . ويشاهد في هذه الصورة تيمورتكين (الذي صار فيما بعد جنكيز خان) جالسا على عرش صيني وفوقه الطير الذهبي جاثما على ظهر العرش لاعلى مظلة كشعار الملك . وهذه الصورة والتي قبلها منقولتان من المكتبة الاهلية عن نسخة من تاريخ المغل لرشيد الدين كتبت في تبريز في اوائل القرن الرابع عشر . ولم تنفرد هذه الصورة بوجود طير من ذهب جاثم فيها على ظهر عرش الملك بل هناك صورة ثانية في الصفحة ٩١ من النسخة الخطية تمثل ايضا جنكيز خان (شكل رقم ٤) وصورة ثالثة تمثل ارغون خان (سنة ١٢٨٤ — ٩١) — وكل من هؤلاء جالس على العرش بتلك الهيئة . والصورة الاخيرة (شكل رقم ٥) على غاية من الحسن وهي من المستندات القيمة التي تمثل الملابس وغيرها وقد ظهر الطير فيها بشكل واضح . واذا اعتبرنا الباز من شعار الملك عند المغل فيكون وضعه على المظلة من عمل الممالك التركمان الذين يرجع الى عهدهم دخول كثير من التقاليد المغلية في مصر وذلك بالمصاهرة بين ملوك البلدين والتجاء كثير من المهاجرين الى مصر قبل الاغارة على بلادهم . وقد عرفني مسيو جان ديني من كبار العلماء المشتغلين بتاريخ قدماء الترك ان طائفة كبيرة من مؤرخي الترك في العهد الحاضر ممن وقفوا على مصادر كثيرة مجهولة يذهبون الى ان الباز كان من شعار خاقان قبائل اويغور الكبرى المتحالفة وهم اجداد السلجوقيين والعثمانيين . وقد كان هذا التحالف يجمع اربع طوائف من ست قبائل على رأس كل طائفة منهم خان شعاره طائر اي باز (طغرل طغان طغرى وغير ذلك) . ولهذا الطائر على ما يظهر اساطير عديدة ومع ان مسيو جود فروا دومومبين لم يسلم بتلك الاقوال فقد نقل عن مسيو مينورسكي انه يجد في هذا الطائر « توتم » قدماء السلجوقيين فهل يكون هذا الطائر من تقاليد عصر الحثيين القديم ؟

وكانت القبة والطير في مصر تحفظان في الزردخانه الملوكية ويستحضران منها كلما قضت بذلك شؤون المملكة فلما حاول المستعين بالله الخليفة العباسي ان ينادى به كسلطان على دمشق في سنة ١٤١٢ م لم يذكر ابن اياس القبة والطير في وصف الموكب الذي عمل له ولكن لما وصل الى مقر الحكم بالقاهرة الاتابك شيخو الذي تولى السلطنة بعد بضعة شهور عوضاً عنه باسم الملك المؤيد حملت المظلة الملوكية فوق رأسه وربما كانت قد استحضرت خصيصاً لهذه الغاية واذا انتهينا الى آخر سلطان من المماليك بمصر وهو السنيء الحظ طومان باي سنة ١٥١٦ م نجد ابن اياس يقول انهم لم يجدوا له في الزردخانه قبة ولا طيراً بل ولا سرجاً من ذهب لفرسه والظاهر ان القبة والطير لم يكونا موجودين عند مبايعة قايتباي بالسلطنة لان ابن اياس لما روى خبر الباسه شعار الملك غصباً وهو يتمنع قال ان هذا السلطان الذي كان ممتنعاً اذن



(ش ٣) تیمورتکین (الذي دعي فيما بعد جنكيز خان) على عرش صيني

امام صفحه ٥٠

مقتطف يونيو ١٩٣٢



(ش ۵) ارغون خان علی عرشه

للأمير جاني بك قلقسیر امیر سلاح بأن یفرد السنجق السلطانی علی رأسه لعدم حضور القبة والطیر من الزردخانه

وفي اثناء تعریب هذه النبذة طلبت منی حضرة السيدة ديقونشیر ان الحقها بالكلمة الآتية :
قالت : بعد مضي عدة شهور من كتابة هذا البحث اتفق لي كما يقع كثيراً أن عثرت
على مثال آخر ذي شأن في فقرة اوردها ابن ایاس الذي تصفحت كتابه مراراً جاء فيها : ان
القبة والطیر حملاً علی رأس امرأة وهي خوند زينب زوجة السلطان اينال في طلوعها الى قلعة
القاهرة بعد عودتها من الحج في سنة ٨٦١

وفي الوقت الذي عثرت فيه علی هذا الخبر وجدت صورة اخرى للقبة السلطانية وفوقها
الطیر في كتاب تاريخ المغل لرشید الدين الذي نشره جناب مسيو بلوشيه
وقد ظهر الآن الجزء الرابع من تاريخ ابن ایاس الذي عني بطبعه مسيو پول كاهل ومحمد
مصطفى بالاستانة ، مشتملاً علی حوادث المدة من سنة ٩٠٦ الى سنة ٩٢١ اي خلال حكم
الغوري والفتح العثماني بقلم هذا المؤرخ الذي كان معاصراً لهذه الحوادث وشاهد اكثرها
ودون عنها معلوماته

وقد تفضل جناب الدكتور مكس مييرهوف وكل^١ يعرف ميله لمساعدة المشتغلين بمثل هذه
المباحث فاستخرج من هذا الجزء تكملة لهذا البحث ويسرني جداً ان اقدمها للقراء وهي :
« جمادي الاولى سنة ٩١٧ »

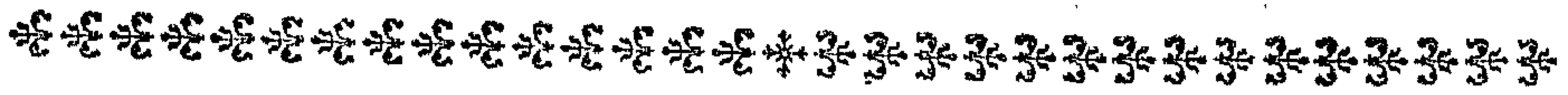
« وفي يوم السبت نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو قبة الامیر يشبك التي
بالمطرية وكان السلطان قصد ان تحمل علی رأسه القبة والطیر فهو^٢ الامراء عن
ذلك وقالوا له ما هي عادة ان السلطان اذا خرج الى المطرية تحمل علی رأسه القبة والطیر
« فرجع عن ذلك »

شوال سنة ٩٢٠

« ثم طلع الى الدهيشة^(١) وعرض الصناجق السلطانية والقبة والطیر وقد غير الطیر الذهب
« الذي كان فوق القبة وجعل مكانه هلال ذهب »

وفي ذي الحجة سنة ٩٢٠ وقع الهلال وانكسر : وقد ذكر المؤلف بعد ذلك ان الطیر كان
قد حصل له مثل ذلك في عهد السلطان قايتباي
ر. ل. ديقونشیر

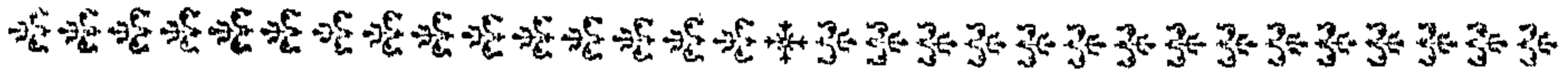
(١) من القاعات السلطانية التي كانت بالقلعة عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل في سنة ٧٤٥ هجرية



الميكروكسمس

اي العالم الصغير

العناصر والمواد التي يتركب منها جسد الانسان



قسم العلماء منذ اقدم الايام كل الاشياء الموجودة فينا والخارجة عنا قسمين : دعوا القسم الاول « العالم الكبير » وهو يشمل كل الاجرام الفلكية السائرة في القبة الزرقاء وكرتنا هذه الارضية بما عليها من جماد ونبات وحيوان ناطق وغير ناطق . ودعوا القسم الثاني « العالم الصغير » Microcosmos وهو كل فرد منا نحن بني البشر ، بما فينا من القوى الميكانيكية والكيمياوية والحاسة والمدركة والمريدة . وجعلوا مدار بحثهم معرفة كنه هذا العالم الصغير واستقصاء العلل المسببة لما نشاهده فيه من الظواهر الطبيعية والافعال والانفعالات الحسية والعقلية والادبية ، وتتبع النواميس الضابطة لهذه الظواهر والافعال والانفعالات ، وتقدير الحقائق التي يمكننا الوصول اليها ، بالاستدلال على ما لا يقع تحت الحواس بما يقع تحتها وقد ذهب العلماء في تعريف الانسان الى مذهبين . فقال الماديون ان كل ما نراه في هذا الكون من الاجسام الجامدة والنامية والحساسة متكوّن من المادة ومتحوّل عنها . وأنه لا يوجد فينا ، نحن البشر غير المادة التي نلمسها بايدينا وننظرها باعيننا . وقال الروحيون : ان في الانسان روحاً او نفساً ممتازة عن الجسد . وان مبدأ الحياة في العناصر الهيولية التي تكوّن جسد الانسان هي النفس صاحبة الادراك والارادة . فالجسد يتحول تحولاً مستمراً بعوامل التحليل والتركيب فيتجدد بين حين وآخر . اما النفس فهي الثابتة في الجسد ، تأبى التحليل والتركيب . وكلمة « انا » التي يطلقها الانسان على شخصه إنما تعني النفس التي تحيي الجسد . وهي هي ، من حيث الجوهر ، في كل ادوار الحياة ، لا الجسد الذي يتجدد في كل دور من ادوار الحياة . وقد قال الشاعر :

اقبل على النفس فاستكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم انسان^(١)

ولما كان البحث عن النفس بحثاً نظرياً مداره الاستدلال بقوة الحواس على ما لا يقع تحت الحواس ، كما سبق القول ، وكان البحث عن الجسد بحثاً عملياً ، يقوم بتحليل العناصر الهيولية التي يتكوّن هو منها تحليلاً كيمياوياً لا يقبل المماحكة والمغالطة . رأى عالم انكليزي

(١) من التوارد التي ينقلها التاريخ عن افلاطون الفيلسوف انه سئل يوماً عن تعريف الانسان فقال انه « حيوان ذو رجلين » (Animal Bipses) ولما لم يرق هذا التعريف واحداً من اتباعه جاءه يوماً في المدرسة بديك فالتى به الى الارض في حلبة الطلبة وقال « هوذا انسان افلاطون » (Ecce Homo Platonis)

ان يحلل جسد الانسان تحليلًا كيميائيًا دقيقًا ، ويصف هذا التحليل في مقالة ممتعة . ذكر في خاتمها النتيجة التي توصل اليها فيما يختص بوجود النفس في الجسد فعجبت كيف اني درست العلوم الفلسفية في اعظم جامعة من الجامعات الدينية الاوربية ، ووضعت مقالات عديدة في البحث عن المادة والروح . نقلتها عني مجلة « الاجيال » المصورة المصرية سنة ١٨٩٧ وجريدة « الاحوال » المصرية سنة ١٩٢٠ . فلم انظر الى هذا البحث من الوجهة التي نظر اليها العالم الانكليزي ولا يخفى ما لهذا البحث من الشأن العظيم . فكل منا يميل بدافع الفطرة الى معرفة ما يحيط به من الاشياء . حتى الطفل الصغير يحاول كسر اللعب المتحركة التي بين يديه ، ليكشف ما في باطنها ، ويطلع على سر حركتها . وقد جاء في المثل ان من جهل شيئاً عاداه . فماذا ياترى تميدنا معرفة الاشياء المحيطة بنا . ونحن نجعل احوال الجسد الذي نعيش فيه . ولا نعلم هل هو كل شيء فينا . أو هل فينا شيء يمتاز عنه ولا يفنى بفنائهِ . كانت هذه الخواطر تشغل بالي . وانا اخلص مقالة العالم الانكليزي رغبة في افادة الذين تهتمهم معرفة ما هو اقرب اليهم والصق بهم . وهو الجسد الذي نحيا فيه ولا نموت بموته وهذا ملخص ما جاء في مقالة العالم الانكليزي :

لم يخطئ العالم الفسيولوجي الذي قال ان الانسان بيضة كبيرة دبت فيها نسمة الحياة . ذلك لان ١٢٠٠ بيضة تكفي بما فيها من العناصر المتنوعة . لتكوين رجل يزن ١٥٠ رطلاً يتركب جسد الانسان من اربعة عشر عنصراً بسيطاً . خمسة منها غازات وهي : الاوكسجين والايديروجين والازوت والكلور^(١) والفلور^(٢) . والمقدار الموجود منها في انسان يزن ١٥٠ رطلاً تكفي لملء حوض يسع ١٦٠ متراً مكعباً من الغاز . وتسعة منها من الجوامد وهي : الكربون والكلسيوم والجير والنففور والحديد والكبريت والصوديوم والبوتاسيوم والسيلايسيوم والمغنيزيوم . وهذه الجوامد موجودة في كل حفنة من تراب الارض التي نطأها . ويوجد ايضاً في جسد اكثر الناس عناصر اخرى تدخل الجسم لعارض من العوارض الطارئة عليه مثل النحاس والرصاص والالومينيوم والمغنيزيا والزئبق والزرنيخ

واهم العناصر المكوّنة لجسد رجل يزن ١٥٠ رطلاً الاوكسجين المضغوط . ويبلغ ثقله نحو ١٠٦ ارطال . وهذه الكمية من الاوكسجين اذا زال ضغطها واخذت حجمها الطبيعي ساوت قدماً مربعاً من الواح الخشب طوله ٣٩٧ متراً . اي ما يزيد مرات كثيرة على حجم الانسان امام مقدار الايديروجين وهو اخف الغازات فيبلغ حجمه في رجل يزن ١٥٠ رطلاً ١١٠ امتار مكعبة (اي ما يساوي منزلاً ارتفاعه ٣ ١/٣ متر ومسطحه ٣٠ متراً) وثقله لا يقل عن ١٣ ١/٣ رطل . وهذا المقدار من الايديروجين كافٍ لنفخ منطاد تفرغه ١١٠ امتار مكعبة فيطير في الجو بالحبال المربوطة به . ويدخل الازوت في جسد هذا الانسان بنسبة ١٥ جراماً للرطل

(١) الكلور (Chlorine) عنصر غازي ذو لون اصفر ضارب الى الخضرة ورائحة شديدة خائفة

(٢) الفلور (Fluorine) عنصر غازي لالون له وهو من عوامل رد الفعل الكيميائي

الواحد . اي نحو ٤ رطل . وحجم هذا المقدار يساوي عشرين مرة حجم الجسد . والحيز الذي يشغله الازوت في الجسم لا يزيد على بضعة سنتمترات . وبه يقوم عمل الدماغ وقوة العضلات في جسد الانسان مقدار من الكربون يقدر بواحد وعشرين رطلاً ونصف رطل وهو كاف لصنع ٧٨٠ قلماً من اقلام الرصاص . وهذا العنصر يقوم مقام الوقود للجسم يولد فيه الحرارة وقوة الحركة والعناصر التي ذكرناها هي مصدر النشاط الحيواني وقوام الحرارة والحركة اللتين تتحولان في الانسان الى قوة النظر في العينين . والهضم في المعدة . والتنفس في الرئتين . والتمس في الفم والاصابع . ومع ان هذه العناصر يبلغ مجموعها ١٤٥-١٤٦ رطلاً من ثقل الانسان الذي وزن ١٥٠ رطلاً . فالعناصر الاخرى السابق ذكرها مما لا غنى عنه لقوام الحياة . فلم يكن في الجسد رطلان من الكالسيوم ورطل ونصف من الفسفور لفقد الانسان ذراعيه وساقيه وجهجمته واسنانه . وعجز عن صنع الآلات وبناء المنازل . واضطر الى الزحف على الارض وأكل التراب . والامر الغريب هو وجود هذا المقدار القليل من الفسفور في الجسم وهو سم قاتل يكفي لهلاك قرية بسكانها ولصنع ٨٠٦٤ علبة من الكبريت تحوي كل علبة ٦٠ غراماً اما المقادير الموجودة في جسد الانسان من العناصر الاخرى فهي : ١٢٠ جراماً من الكالور و ٩٠ جراماً من الصوديوم و ٧٥ جراماً من الكبريت و ٦٠ جراماً من الفلور و ٣٠ جراماً من البوتاسيوم ونحو جرام من المغنيزيوم ونحو عشر الجرام من السيليسيوم . على ان هذه المقادير تختلف باختلاف الاشخاص وتختلف في الشخص الواحد باختلاف الزمان ثم انه يدخل في الجسد مقدار من الحديد يبلغ ثلاثة جرامات . وهذا المقدار يكفي لصنع اربعة وخمسة مسامير ضرورية لجعل الجسم كالبناء المخصوص ولو أزيلت هذه المسامير لسقط البناء وهلك الانسان وجميع هذه العناصر ما عدا بعض آثار عرضية من الاوكسجين وبعض دقائق من الكربون تصل الى الرئتين بالتنفس . لا تستقر منفردة ، بل يمتزج بعضها ببعض امتزاج السوائل لتكوّن مركبات متنوعة . ولكل مركب منها عمل معين يقوم به ثم يتحول الى آخر ابسط منه ، ليقوم هو ايضاً بعمل مخصوص لحفظ هذا المجموع الغريب الذي نسميه جسماً او جسداً . وهكذا تتحول هذه العناصر دواليك حتى يدركها التلاشي والفناء عند الموت

واهم هذه المركبات واغزرها في الجسد هو الماء المركب من جزئين من الايدروجين وجزء من الاوكسجين . والمقدار الموجود منه في رجل وزن ١٥٠ رطلاً تبلغ ٩٠ - ٩٦ رطلاً ويملاً برميلاً يسع ٤٥ لتراً . ولولا الماء الموجود في الجسم لوقفت حركته . وعجزت اعضاؤه عن القيام بوظائفها . وهو الذي يحلل الطعام . ويرطب اغشية الفم والانف وباطن الجسم ويرده بتبخير العرق المندفع من مسام الجسد ويحيط بالقلب والرئتين واعضاء البطن . فيقوم

مقام وسائد تتوسطها ونسكن اليها . ثم ان البروتوبلزما وهي مادة الحياة . موجودة بشكل ملايين من كريات موزعة تقريباً في كل الجسم ومتصل بعضها ببعض . فهذه الكريات لا تستطيع العيش خارج الماء وتقضي حياتها في الماء الجاري

ومن هذه المركبات الملح . وله شأن يذكر في تكوين الجسم . ومع ان المقدار الموجود منه في الجسم لا يزيد على ١٨٠ — ٢٠٠ جرام فهو ضروري لحياة جميع الاعضاء . فنراه في الدم والعضلات والعناصر الاخرى السائلة والجامدة . يساعد السائلة منها على نفوذ الاغشية الدقيقة وامتصاص الطعام الذي يتحول من الامعاء والمعدة الى دوران الدم . وعلى اختراق الدم الشرياني للانسجة ثم ان للصودا وهو مزيج من الصوديوم والكربون والاكسجين — شأناً مهماً في الجسم وهو تناول كل ذرة من ذرات الحامض الكربوني ايما وجدت . وتوصيلها الى الشعب وطردها الى الخارج . ولا يخفى ان كل عمل يقدم عليه الانسان يولد قدراً من الحامض الكربوني . فكلما خفق القلب او اغمضت العين او تحركت الاصابع تولد هذا الحامض الذي هو سم قاتل فلولاً طرد هذا الحامض من الجسم طرداً مستمراً بفعل الصودا لوقفت هذه الآلة البشرية وقوفاً هو الموت ويوجد في الانسان ، ما عدا هذه المركبات غير العضوية ، مركبات عضوية منها الحوامض العضوية وهي قليلة . ولولا قلتها لذاب الجسم ذوبان السكر في الماء . ويتولد من مزيج الاملاح والحوامض والعناصر الاخرى مادة زلالية اشبه شيء ببياض البيض . تتكون منها الاجزاء الجامدة من العضلات والقلب والرئتين والدماغ والاعصاب والدم . وهي موجودة ايضا في جميع اجزاء الجسم السائلة والجامدة . والذي يميزها عن المواد الاخرى وجود الازوت فيها ويكون النشاء والشحم وقوداً يبقى الجسم منه جانباً لوقت الحاجة . ويستعمل الجانب الآخر استعمالاً مستمراً . ويتولد هذا الوقود من الاوكسيجين والهيدروجين والكربون بنسب لا تختلف كثيراً عن نسب السكر . ثم ان مقداراً كبيراً من الشحم الذي نذرده يتحول الى صابون بفعل شيء من القلي ويوجد في الامعاء خصوصاً لتأدية هذا العمل الذي يولد في الوقت نفسه مقداراً من الجلسرين ويجعل المعدة كلها تعمل لصنع الصابون . اما النشاء فيتحول في الامعاء الى سكر ، متى امتزج بالماء . لان السكر انما هو مزيج من الماء والنشاء . وهو في الجسد بمقام النقود في جيب الانسان . لا يستقر فيه مدة طويلة وقلما يجتمع منه ما يملأ قدحاً . واذا احتاج الجسم الى ادخار شيء منه حوله الى مادة لا تذوب في الماء اسمها « اينوزيت »^(١) تستطيع البقاء مدة طويلة في الكبد والطحال والرئتين والعضلات وهي غزيرة في عضلات الكثيرين . ثم اننا نكتشف في الجسد بواسطة التحليل ، مركبات اخرى غير التي ذكرناها وهي : الكحول والكحول Alcool في الدم والصفراء والعضلات والدماغ . والسمغ في الغدد اللعابية . والليبسين (المضمين)

الذي يسهل الهضم في المعدة . ونوع أو نوعان من الخيرة تشبه رغوة الجعة . ومادة تلون الشعر والعينين تسمى « بيجمنت » Pigment من اللفظة اللاتينية Pigmentum أي ملون ان الطعام الذي يقتات به الانسان لا يتراكم في المعدة بعضه فوق بعض بل يتناول عامل التحليل فيحوّل عناصره الى عناصر أبسط منها ليكون من هذه العناصر بعامل التركيب ، مادة الجسد . فأنواع المأكولات مثلاً التي يعدها الطاهي من اللحوم والطحال والكبد والقلب واللسان والمخ ومن اعضاء اخرى من الحيوان — يسهل على كل منا تمييزها لاختلاف مركباتها الظاهرة — يصنعها الجسم من تلقاء نفسه . فيختار المواد الاولى منها ومن الدم بالنسب الضرورية لكل نسيج من الانسجة ويحوّلها الى اعضاء الجسم . فيأخذ شيئاً من المركبات التي تحوي الكالسيوم والفوسفور والاكسجين والايديروجين والسكرتون ليكون هيكله الذي هو دعامة كل اعضائه . ويبلغ ثقل هيكل الرجل الذي وزن ١٥٠ رطلاً ٢١ رطلاً في حالته الاعتيادية . ويأخذ ايضاً من الدم مقادير محدودة من العناصر ليكون المجموع العضلي الذي يبلغ ثقله ٦٣ — ٦٤ رطلاً في رجل وزن ١٥٠ رطلاً . ويأخذ من الدم الشحم جاهزاً فيبقى منفرداً كمؤونة احتياطية للتغذية . وليس في الجسم من نسيج يماثل الشحم في اختلاف مقداره . فهو يختلف باختلاف احوال الصحة ونوع المعيشة والهواء وجهد العمل وكل ما يطرأ على الانسان من التغيرات الكبيرة . ويبلغ متوسط الثقل الموجود منه في رجل وزن ١٥٠ رطلاً $3\frac{2}{3}$ — $7\frac{1}{3}$ رطل . وهذا المقدار يكفي لصنع دستات عديدة من الشمع . والدم نفسه يتكوّن في جسد الانسان نصفه من بعض الاعضاء ونصفه من البعض الآخر . ولم يدرك العلماء لهذا اليوم كيفية تركيبه ادراكاً وافياً . على ان كلاً منا يعرف هل الدم فيه كثير او قليل . واذا فقد الجسد لتراً من الدم اسرعت الاوعية الى تعويضه بلتر من الماء تأخذه من الانسجة وتمزجه بالعناصر الضرورية لحفظ نشاط الانسان وحياته . ومقدار الدم يختلف قليلاً في الشخص الواحد مع اختلافه بين الاشخاص . وهو بنسبة $1\frac{1}{3}$ — $1\frac{2}{3}$ من ثقل الانسان أي $10\frac{2}{3}$ — $12\frac{1}{3}$ رطل . ويتكون ثقل بقية جسد الانسان من الكبد والرئتين والقلب والطحال والكرش والكلوتين والدماغ والاعصاب والجلد والشعر والاذفار ويوزن مجموعها ٤٥ — ٥٠ رطلاً هذا هو ملخص ما جاء في مقالة العالم الانكليزي من ذكر العناصر التي تكوّن جسد الانسان ووصف عوامل التحليل والتركيب التي تفعل دواليك في هذه العناصر لتحويلها الى مركبات او مجموعات لكل منها وظيفة معينة يقوم بها لحفظ حياة هذا الكائن الغريب او العالم الصغير الذي نسميه « انساناً » . والنتيجة التي استخلصها من هذا الوصف هي ان الكيماوي لم ير ولن يرى القوة الكامنة في الجسد والممتازة عنه في عمق الانبوب الذي يحل فيه عناصر المادة ليطلع على سر تكوينها . ذلك لان تلك القوة لا تلمسها يد ولا تنظرها عين . وهي النفس التي خلقها الله سبحانه لتستقر في الجسد وتحيي موات المادة التي تكوّن

نيقولاى لنين

وضع غملا ئيل برادفورد

تلخيص اسماعيل مظهر

— ١ —

كان هذا بالضرورة سبباً في ان يصبح من
الدّ أعداء القيصر وحكومته ، كما كانت دعوته
الى التحطيم والهدم في اصول الملكية الفردية

والطغيان ، عاملاً على

اضطهاده اينما حل

وحينما كان وفي أية

بقعة من بقاع القيصرية

فروقت واسر وحبس

ونفي الى سبيريا ثلاث

سنوات ثم ظل يتسكع

في نواحي اوربا كلها .

على انه كان خلال كل

هذه الاطوار دُنياً على

القول والعمل ، يجمع

من حوله الرجال ويهيء

الافكار لدعوتِهِ القوية

الجريئة . ولقد اخذ

بضلع وافر من ثورة

روسيا سنة ١٩٠٥ . ولا نبالغ اذا قلنا ان

لنين كان له في تلك الثورة الاثر الاوفى والشأن

الاول . وفي النهاية هيأت له الحرب العظمى

نيقولاى لنين

اسمُهُ الحقيقي فلاديمير اليافتش اوليانوف .

ولد في سميرسك بجنوبي روسيا سنة ١٨٧٠

من اسرة معتدلة الثروة ، بل تعد في الوف من

الاسر ذوات اليسار .

شقت طريقها الى طبقة

الاشراف الوسطى من

فئة الزراعة . ولقد حامت

احلامه خلال شبابه ثم

تكوّنت مطامعه في

فتوته ، من حادث مؤلم

هزّ اعماق نفسه ، هو

قتل اخيه الاكبر سنة

١٨٨٧ لانه حاول اغتيال

القيصر . ويقال أن هذا

الحادث كان سبباً فيما

رؤي بعد ذلك من حدة

مزاجه وصلابته وسعيه

الدائم المستمر في سبيل

ان يقتلع من الارض اصول الاستبداد والمستبدين ،

وان يقضي على الطغاة ويدكع رؤسهم الى الحضيض ،

وان يولي المستضعفين والمنبوذين ملكوت الارض

الفرصة الذهبية . فلما قام في روسيا نظام كرنسكي سنة ١٩١٧ عاد اليها ، وبقليل من المهارة مع كثير من حسن الحظ وسعد الطالع وجد نفسه يوماً على رأس الحكومة الروسية ، يسود سطرانه من ملايين البشر ما لم يسد نابوليون ولا القيصر ولا موسوليني . اما انتقاله بين يوم وليلة من حاله الاولى الى الثانية ، والفارق العظيم بينهما ، فلا يعبر عن مثل كلماته التي قالها لتروتسكي « ان الانتقال من حالة التشرد ومطاردة القوانين الى السلطة المطلقة ، امر فيه من الخشونة ما يجعلني اشعر بالاضطراب والدوار » . ثم رسم علامة الصليب امام وجهه ا

ما هي العوامل التي دفعت لينين الى ان يسلك في الحياة هذه الطريق ؟ سؤال يختلف الناس في الاجابة عنه . فالمعجبون به يقولون انه لم تحركه شهوة نفسية ولا مطامع شخصية وانه نسي نفسه وانكرها في سبيل تحقيق غرض اسمى ومثل اعلى ، وانه لم يطلب المجد الدنيوي ولم ينشد القوة والسلطان كأن التاريخ لم يثبت مرة بعد اخرى ان الامعان في حب القوة والتهالك عليها ، قد يظهر ملابساً صورة الاستنكار لكل مظاهرها الخارجية . وليس في العالم من مطمع اوسع من ان تهدم الدنيا ثم تبنيها

قضى لينين اربعين عاماً من عمره يعد نفسه لسنوات ست ، من سنة ١٩١٨ الى يوم مصرعه . تلك التي كان فيها سيد روسيا . قضى الاربعين سنة الاولى في احلام وآمال — « ولا بد للانسان من اشياء يحلم بها » كما قال . قضائها يقرأ على الدوام ، وقد ينفق خمسة عشرة ساعة وعينه لا تفارق الكتاب ، وعقله لا يفتأ في تفكير ليقيم الفروض ويرسم الخطط لكل ما يحتمل ان يصادف طريقه من صعاب او عقبات او طوارئ . كانت حياة مليئة بالجهد المستمر . حياة تركزت بكل قواها حول غرض واحد وامل بعينه

واتصل بكتابات مركس . اما ماذا كان يحتمل ان يكون لينين بغير مركس ، فذلك ما لا يمكن التكهن به . ولكن المحقق ان مركس هو الذي كوّن لينين من الناحية العقلية . لقد قضى ساعات طويلة مكباً بامعان على مؤلفات مركس ، يدرسها ويستوعبها ليهضمها ، ثم يكتبها مرة اخرى بقلمه ، ولكن ليعدل فيها بعض الشيء . ولا شك في ان المبدأ الذي تدور من حوله نظريات مركس ينحصر في الجلال الدائم المستمر العنيف المجرد من كل معنى من معاني الشفقة والرحمة او محاسبة الضمير ، بين العامة واصحاب رؤوس الاموال . جلال يجب ان يشهر وان تكون وسائله كل الوسائل الممكنة مشروعة وغير مشروعة ، حتى يتم النصر الاخير للايدي العاملة فيصبحوا السادة بعد ان كانوا العبيد . على ان في نظريات مركس الاجتماعية من ريح الغيبات الالمانية قدراً يجعل من الممكن تفسيرها على وجوه عديدة ، حتى ان كثيراً من اتباعه يرون في نظرياته وجوهاً لا يراها لينين . ولكن الداعية الروسي كان يحب البساطة ، ونظريات

مركس مجردة عن الغيبيات وافقت مزاجه وتمشت مع مراميه في تكوين فلسفة جديدة للحياة وقواعد مشهورة في نظام الحكومة والادارة . فعلمهم مركس وبشر بمركس وعاش في مركس ، وبأسرع مما يتصور الخيال وهب الفرصة ، فمثل دور مركس على مسرح الحياة الصحيحة ، لأبشاً من صورته صورة مسمومة ، كانت ولا شبهة تدهش استاذها اذا هو رآها رأي العين ، ان لم تربكها ، بل وترعبه

مما لا يمكن انكاره ان الهدم والتحطيم والتزيق واقتلاع اصول ما ثبتت اصوله من الصفات الاصلية في طبيعة لينين . ولما امتلك السلطة واصبح صاحب الامر ، انفرد بكل شيء واحتكم وطفى وتجبّر ، بلا اي احساس بشفقة او رحمة . ولكنه لم يكن في هذا بعيداً عن اشباهه من الناس فانه كان كأمثاله يكره ان يقهر ، فأمر نفسه بنفسه ، ولسان حاله يقول نفس عصام سودت عصاماً لقد آمن كأستاذة بالثورة ، فاتخذها مبدأه وغرضه . ومن قبل لينين بمائة عام تخيل « توماس بين » Th. Paine شيئاً من تلك الثورة الخيالية المثالية ، ولكن لينين حاول ان يجعل من ذلك الخيال حقيقة واقعة . فبعد ان قلب روسيا رأساً على عقب ، حاول ان يقلب نظام اوربا واميركا وآسيا . وليس من المستحيل حتى الآن ان تثمر احلامه وتتحقق آماله

غير اننا لا ننصفه اذا لم نقل بان الرجل فكّر في البناء كما فكّر في الهدم . فانك بعد ان تهدم الدنيا وتزق شمل النظام الرأسمالي العتيق وسياسة « البورجوى » ، عليك ان تفكر فيما يقوم مقامها ويحل محلها من النظم . وفي هذا فكّر لينين . فوضع القواعد المفصلة ، وكتب الوفاً من الصفحات ليشرح فيها ذلك النظام الذي تخيله ليكون اساساً لدكتاتورية « الصعاليك » كما سماهم على ورق النقد البلشفي ، بل واخذ يبين الاعاجيب التي يمكن ان تترتب على نظامه ذاك وما يجلب من خير على الانسان والانسانية . على انه لم يسلم من غيبيات ماركس وخيالياته . قال : — « اننا اذ ندعو الى الاشتراكية ، انما ندعو اليها معتقدين انها لا بد من ان تنقلب الى صورة

من صور الشيوعية ، التي يجب ان تنبذ كل حاجة الى استعمال القوة واخضاع الناس بعضهم لبعض ، وتسلط طائفة من طوائف المجتمع على سواها ، مادام الناس سوف يعتادون ان يروا النظام الاجتماعي قائماً من غير حاجة الى استعمال القوة أو وسائل القمع » — غير انه استدرك فقال ان الهدم له وسائله التي لا بد منها ، وان الهدم يجب ان يسبق البناء على اي حال

على هذا مضى لينين خلال الاربعين عاماً التي انفقها ليتكوّن ويستعد . وفي سنة ١٩١٨ تسلم الرجل عاتق القوة ، وما لبث بعد تسلمها حتى بان للعالم ان منظماً عظيماً ظهر على مسرح التاريخ الانساني . ولقد أبدى كثير من الكتاب اقصى العجب في مقدار الفرق الذي ظهر بين لينين الخيالي الحالم في فجر حياته ، وبين لينين العامل المنفذ في كهولته . والمرجح ان لينين العامل المنفذ كان الرجل الحقيقي الكامن في لينين الخيالي الحالم ، وانه كان ينتظر سنوح الفرصة .

فلما فتح الباب عبره لينين الثانى ، تاركاً وراءه لينين الاول . فظهر لينين السياسى المحنك المجلو في ثوبه الصحيح . ظهر في ثوب الرجل المجرب الذى يحب ان يحتنك الرجال فيفرزهم ثم يغربلهم ثم ينتقيهم ليخرج منهم مجموعة متلائمة تخدم اغراضه . وان من العجب حقاً ان يبدو لينين وهو في حدود الخمسين من عمره في ذلك الثوب القشيب ، من غير ان يعالج الحكم او يجرب السلطان من قبل ذلك . ولكن يجب الا ننسى ان تجاريب يوليوس قيصر وكرومويل في الحياة كانت مثل تجاريب داهية العصر الحديث . غير انك لا تنسى ان في لينين اجتمعت عدة صفات اهلته لان يكون ما كان . كان شديد الثقة بنفسه . فيحاول ان يضع اخطر ما يقرر السياسيون موضع التنفيذ بنفسه ، ولكن لمبدئه لا لها . واذا فرض انه لم يكن ليضع كل ما يقرر عمله في نصاب الحق ، افكان في مقدور غيره ان يضع احسن مما وضع ، او يحكم التدبير اكثر مما أحكم ؟ احب السلطة وعشق القوة لينفع بها انساناً وليضر بها آخرين . وهذا امر تأباه النفوس الكريمة الهادئة ، ولا تجيزه . غير انه بجانب هذا كان متحققاً من انه ارتكب خطأ ، ولم يتوان مرة في ان يعترف باخطائه . كان يعرف انه عظيم وانه قوي وانه ذو سلطان بحيث استطاع ان يقف امام اتباعه ليقول لهم « ان الذى رأى انه سائر في طريق الغواية يجب ان يعود اعقابه . وان الذى بدأ عملاً ثم اتضح له انه مخطىء في وسيلة يجب ان يبدأ العمل من جديد مرة اخرى . وعملنا الذى نعمل الآن يجب ان يدرس عملياً . وحتى ندرسه على نور التجربة ، لا يحق لنا ان نؤمل اننا سوف نجتاز التجربة سالمين ، أو نؤمل اننا فزنا بحق في قيادة امتنا » — ولم يكذب فوه بهذه الكلمات حتى اخذ يهدم ما بنى ويحطم ما شيد ، واخذ ينفذ بلا تردد سياسته الاقتصادية الجديدة ، كما سماها ، والتي اعترف فيها بضرورة المزج بين النظام الرأسمالى المبعوض وبين الشيوعية الى حد ما والى زمان ما . وكان اخلاصه ، كما كان نشاطه واستغوائه لاتباعه ، صفات كفلت له ان يسير وراءه الناس حيثما سار

لا يبعد أن يكون اوفق محس لقياس العظمة هي قدرة المرء على ان يكافئ بين نفسه وبين الظروف القائمة من حوله . ولا شك في ان هذه القدرة كانت من اخص صفات لينين . قال مرة : « ان فن الحكم لا يمكن ان يستوعب من الكتب . جرب وارتكب اخطاء وادرس كيف تحكم » . وكان يقول بان الانسان يجب ان يحتك بالحياة ليبلو الحياة . قال — « ان مثل هذه الاشياء ، لا يمكن ان يجاب عنها جواباً شافياً الا من الحياة ذاتها »

من اجل هذه الاقوال رماه البعض بانه « انتهازى » — Opportunist — غير انه ابعد الناس عن ان يكون هذا . على ان يكون الانتهازى ذلك الرجل الذى يلتقى بسمعه دائماً

الى الارض ليسترق منها الاسرار ويماشي الناس ابتغاء النفع ويرقب دائماً من اين سوف تهب الرياح ليفرد فيها اشرعته ويسير ولكن لا يعلم الى أين ؟ على الضد من هذا تجد لينين . تجد فيه « الحيوية » التي رأيناها في قيصر ونابليون ولكن ، تلك الحيوية التي تتحرك في ذاتها ولذاتها بعيدة عن التأثير بالفرص السانحة كيفما كانت ، وتمضي حادة البصر والبصيرة ، وتغير دائماً مجرى الحوادث في سبيل الوصول الى غرض اسمى يتخذ في الحياة هدفاً يسعى اليه

— ٢ —

مهما يكن من امر تلك الاحتمالات التي يلوكها بعض الكتاب والتي يوازنون فيها بين نجاح لينين واخفاقه ، فلا شك في ان الرجل قد رمى في كل حياته الى غرض واحد انحصر في ان يقيم الحياة الانسانية على طراز مثالي جديد . ولا بد من ان يكون لرجل اراد ان يتم ما اتم لينين في معركة حامية الوطيس ، وسائله وسواعده من رجال ونساء . ولا جرم انه درس الرجال كما درس النساء . فان حياته البوهيمية وتسكعه في انحاء اوربا مكناه من ان يدرس كل الاوساط الاجتماعية ، وعوداه على ان لا يستوحش في اية طبقة من طبقات المجتمع . على ان كل هذا الدرس الواسع الذي استوعبه لينين من الحياة كان لغرض معين — لم يكن مجرد درس اكاديمي لاستيضاح الطرق التي تتمشى فيها القلوب وتحقق في شعابها الافئدة ، بل كان تصنيفاً كاملاً للرجال على قاعدة الاستفادة من مواهبهم بقدر ما يصل اليه مستطاع كل منهم ، وتسخيرهم جميعاً لخدمة الغرض الاسمى

ولقد كانت نتيجة هذا الدرس العميق ان لا تفوز الانسانية من هذا الداهية الا بالاحتقار . قال « برترند رسل » وهو على بعد نظره عميق الفكرة كيمس « لقد ثبت في نفسي انه يحتقر كثيراً من الناس ، وانه ارستوقراطي الرأي » . على انه لم يستثن من الناس اهل روسيا ، شأن البعض ممن يحتقرون العالم ويمجدون امهم زوراً . وقد يكون هنالك بعض المبالغة في قوله المأثور — « في مقابل كل بلشي صادق تجد تسعة وثلاثين افاكاً وستين مغفلاً » . غير ان هذا الحكم ان عبّر عن شيء فانه انما يعبر عن مرارة التجربة في ظروف عديدة

والطرفة العجيبة في هذا تنحصر في التناقض الواقع بين احتقاره للانسانية عامة ولاهل روسيا خاصة ، وبين ان نظريته في الحكومة قد قامت على قدرة الجماهير في الحكم وذكائهم ومقدار ما يمكن ان تلتفع الانسانية بمجهودهم . فمحور سياسته يقوم على ان الطبقات العاملة والجماهير عامة ، يجب ان يحكموا ، ليثبتوا في مواجهة الخاصة ان في مستطاعهم ان يحكموا وان حكمهم لا ينقصه الذكاء ، ولا تعوزه الامانة والمقدرة . كان يقول « زودوهم بالتجربة وعلموهم وعودوهم فضائل الاعتماد على النفس والنظام وهم يستطيعون ان يحلوا العقدة بأنفسهم . فاذا لم يستطيعوا حلها فلن يستطيع احد »

ومع هذا فان « بعضهم » يجب ان يرشدوهم الى حل العقدة. وانه لمن الممتع حقاً ان تنعم النظر في الطريق التي رسمها « بعضهم » هذا ، فاذا بها تلك الآلة السياسية الهائلة التي حاول لينين ان يقيم قواعدها على ارض روسيا القيصرية. بدأت بأن تكون دكتاتورية «الصعاليك» وانت اذ تسمع اقواله او تقرأ ما خطت يراعتة ، لا تشك في ان جمهور الذين يشغلون المصانع ومحبوبون الحقول الواسعة هم الذين يحكمون ، وهم الذين يحركون دولاب الادارة من طريق جمعياتهم المنظمة على الشريعة الشيوعية ، وانهم يوجهونها الى خيرهم العام . ثم لا تلبث غير قليل اذا امعنت في النظر حتى ترى ان القوة المحركة انما تنحصر في يد الحزب الشيوعي، وهو حزب اقلية اذا قيس بعدد النسب في روسيا وجلهم لا يفقه من الامر شيئاً . وقد لا تعجب ان تعلم ان هذا الحزب لا يتجاوز عدد اعضائه نصف مليون من مائة مليون روسي . ثم لا يغرب عن بالك ان الوحي الذي يوحى به الى هذا الحزب يلقي الى اعضائه من سماء عليا لا يتربع على عرشها الا بضعة ارواح موهوبة ، ويقف على هاماتهم نيقولاى لينين مشرفاً بهامة الجبار ذي البطش على ما يترامى تحت قدميه من بسطة القوة والغلبة والاستعلاء ، فيصبح هو « دكتاتورية الصعاليك » ولا احد ، بل ولا شيء ، غيره

غير ان الجماهير انما تتكون من رجال ، ولذا يجب ان يعالجوا باعتبارهم افراداً اولاً . وهذه حقيقة لم يدركها احد بقدر ما ادركها لينين . ف منذ اول ساعة خرج منها الى ميدان الحياة العامة طفق يدرس الرجال والنساء وبواعثهم النفسية وشهواتهم وكفائاتهم . ولكن بفكرة ما يمكن ان يؤدوا من خدمة للغرض الاسمى الذي احتكم في كل اطراف حياته . وان كثيراً من مذكراته وتعليقاته لتظهرنا على مقدار ما بلغ اليه حكمه على الناس وعلى الطبقة البشرية من بعد النظر وصدق الحدس .

ولقد فرق بين الطرق التي عالج بها الناس ، بقدر ما اختلفت طباعهم . فهذا يكفي لقياده نظرة رضى ، وذلك يحتاج الى الاقناع وقوة البرهان ، لتقوده بالزام . وغير هذا وذلك صنف عرف لينين انه لن يقاد الا بالامر الصارم . كان الالمانيون في عداء مع روسيا ، ولكنه اذا استطاع ان يستخدم نفوذهم لا نقاذ روسيا ، فانه لا يتلصك في الانتفاع بها . والبوليس القيصري على ما كان في افراده من فساد ، استخدمه لينين واغراه بالمال ليؤيد قضية السوفيت ويعمل على انجاحها . ولكن قدرة لينين من هذه الوجهة لم تتجلى بقدر ما تجلت في نجاحه بأن يوفق بين طبيعتين متناقضتين كطبيعة ستالين وتروتسكي ويصرفهما الى العمل معاً كما رام ، زمامهما في يده . ولقد اختلفا وتناقضا بمجرد ان افلت العنان من يد السائس الماهر

اما اعداؤه فقد كانوا موضع عنايته اكثر مما كان اصدقاؤه . فقد حوطه منهم سياج اخذه ذات اليمين وذات الشمال . ولقد شطب لينين من قاموس سياسته كلمة « التسامح » . فانت

إذا لم تكن معه ، كنت ضده ، ولذا فهو ضدك وحرب عليك بكل ما أوتي من قوة فإن تنازع البقاء بين الكافة والعامه ، مبدأ اخذ بخناقه منذ نشأته الاولى ، ولم يتركه ساعة واحدة . فالدنيا منقسمة في نظره الى معسكرين ، وعلى معسكر الكافة تساقط غضبه واحتقاره كسفاً متراكمة . غير ان نقيته لم تبلغ من الشدة في اعدائه بقدر ما بلغت في معاملته من كانوا له اصدقاء يوماً ما . لقد خانوا القضية واختلّفوا مع نيقولاى لينين . وكان هذا كافٍ لان يعتقد لينين ان افتراسهم عاجلاً خيراً من معالجتهم ومحاولة اصلاحهم مرة اخرى

انه لم يكره فقط . بل احتسّر في الغضب والنقمة . فاعتبر الذين يخالفونه في الرأي أكثر من خونة . لم تخدعه الكلمات ولا النظريات . ولذا تراه يستعمل السلطة بمجرد أن اخذها في يده ، من غير ان يفكر في الرحمة ولا في الغفران ، لا اعتقاده ، ان الملاينة والاغراء والاقناع ليست من الوسائل التي يمكن ان تنجح بها الثورة . لقد درس لينين نظريات « سورل » — Sorel — في استخدام العنف ، فكان لهذا نتاجه واثره في حياته . قال مرة « هنالك ثوريون يعتقدون انه في استطاعتنا ان تنجح الثورة باستعمال الشفقة والحب . نعم ؟ في اية مدرسة تعلم هؤلاء ؟ وعلى اية وجهة يفهمون معنى الدكتاتورية ؟ وماذا يصيب الدكتاتورية اذا كان القائم على رأسها ضعيفاً مهزول الارادة » ؟ — فرمى بالرصاص وشنق وعذب وأثار حكم الارهاب بكل معانيه وفي اشنع صوره . كل هذا باسم المثل الاسمى !

ومما لا يبعد عن الواقع ان تكون هذه الدنيا في حاجة الى انقلاب يدك نظامها رأساً على عقب . والله يعلم ان الاجتماع الانساني في حاجة الى هذا . ولكن هل من الضروري ليكمل هذا ان تقوم وسائله على الكراهية والبغض والتعصب والانتقام ؟ على اية حال لم تكن هذه وسيلة عيسى . واسكن من المحتمل ان فكرة عيسى في الانسانية كانت اسمى من فكرة لينين

— ٣ —

هذا ما كان من امر الوسائل الانسانية التي استخدمها لينين وموقفه ازاءها في العمل على انجاح غرضه الاسمى . ولكن ماذا كان موقف الانسانية ازاء لينين ؟

لم يثبت التاريخ من نظرية أكثر مما اثبت نظرية « ان البغض يولد البغض » عرف الجماهير بانك تبغضهم وتحقرهم وتكرههم ، وهم لا يلبثون ان يردوا لك الصاع صاعين والكيل كيلين ، في نفس ما كت لهم . يكيون لك البغض بغضاً والاحتقار احتقاراً ، ولكن في صورة ابلغ ووحشية اشد . وها نحن نجد ان ما كتب ضده قد تجسم فيه من البغض والاحتقار اضعاف ما كالى لينين لاعدائه من هذه التجارة

فانحداره من سلالة تترية كانت سبباً في حملة شعواء اظهر فيها الكتاب انه ممن لا يعنون

بالوسائل في سبيل الوصول الى الغرض ، ما دامت الوسائل مؤدية اليه . حتى لقد رماه بعض النقاد بما رمى به هو الشعب الروسي فقالوا — « ان ما حدث في روسيا لم يكن سوى انتقال من عنف وحشى الى امتهان شديد »

وانك لتعجب اذ توازن بين ما يقول اصدقاءه ومحبيه ، وبين ما يقول اعداؤه . يقول الاصدقاء بأنه رجل لين العريكة هادىء الطبع وأنه نظر الى الغرض الذي رمى اليه من وجهة انسانية صرفة ، وأنه لما كان مقيماً في سيبيريا اختلط بالشعب ودرس احواله وتعرف متاعبه واسباب شقائه وحاجاته وضروراته ، وأنه لما اصبح الحاكم بأمره لم يتوان لحظة واحدة في ان يضع هذه الاشياء موضع النظر والاعتبار . ويقول اعداؤه أنه لم ينظر في الحياة الا باعتبارها كمية حسابية او معادلة جبرية ، وان الشهوات الانسانية وما تقاسيه الجماهير من متاعب الحياة لا قيمة لها عنده في قياس الانسانية وانك لترى ان لينين لم يزن الحياة الفردية بأي ميزان ولم يدرك لها من قيمة

على أنه مهما اختلف الاصدقاء والاعداء في كل ما تعلق بحياة هذا الرجل ، فقد اتفقوا على امر واحد ، هو ان لينين كان ذا قدرة فائقة على التأثير في الاشخاص . وسواء كان هذا التأثير للخير ام للشر ، فذلك امر يمكن ان يختلف فيه . ولقد بلغ من سحره ان كثيراً من الذين كانوا يختلفون معه في الرأي والوسيلة . كثيراً ما كانوا يخدعون عن عقيدتهم بسحره فينفذون ما يلتقى به لينين في روعهم ، من غير ان يعرفوا ماذا يعملون . قال كاتب « ان من لم يحتك بلينين ولم يقرأ ما كتب ، لا يستطيع بحال من الاحوال ان يدرك اي اثر لهذا الرجل واية قوة تفرضها ارادته الحديدية على الناس ، والى اي حد بلغت سلطته العقلية على الذين يدرسونه . لقد اخذ لينين ، على عاتقه ان يقلب روسيا الاوربية حتى يصبح سافلها طليها ، وماشاه الناس والرجال المعدودون وساعدوه في عمله بكل ما اوتوا من قوة الذكاء والكفاءة ، كما يساعد اطفال صغار اباهم في عمل ما »

هذه صورة مقتضبة للرجل الذي اختفى وراء الحرب العالمية ليحني اول ثمراتها . ولئن لم يكن لتلك الحرب الضروس من اثر الالتهية لينين لان يبرز الى الصفوف الاولى من جيش الانسانية اللجب ، لكفى بها ان تكون ذات اثر بالغ في تحويل مجرى الحياة الانسانية الى وجهة جديدة . اما الحكم على مقدار ما سوف ينتج عن هذا الاتجاه من خير أو ضرر ، فذلك امر مرهون على حكم الاقدار

كيف خلق الله المرأة

لتوفيق مفرج^(١)

جاء في الاساطير القديمة ، حديث بديع ، جميل ، عن كيف خلق الله المرأة وهذا الحديث يفوق ببلاغته ، ومعانيه ، قصة الخليفة بحسب نصوص التوراة

في البدء خلق الله العالم والسموات والارض ، وما فيها ، وما عليها ، ثم خلق الرجل ولما جاء ليصنع المرأة وجد انه قد استنفد في صنع العالم والرجل جميع المواد والعناصر التي كانت لديه

فخزن الخالق واخذه سبات عميق

ولما استفاق عمد الى هذا العالم واستخلص منه المرأة كما يأتي

اخذ من القمر استدارته ، ومن البحر عمقه ، ومن الامواج مدّها وجزرها ، ومن النجوم لمعانها ، ومن شعاع الشمس حرارته ، ومن الندى قطراته ، ومن الريح ثقلها وعدم ثباتها ، ومن النبات ارتجافه وارتعاشه ، ومن الورد لونه وعطره ، ومن الازهار ثملها ، ومن الاوراق خفتها ، ومن الاغصان تمايلها ، ومن حفيف الاشجار حنينها وانينها ، ومن النسيم لطفه ورقته ، ومن الراح نشوته ، ومن العسل طعمه ، ومن الذهب توهجه ، ومن الماس قساوته ، ومن الحية حكمتها ، ومن الحرباء تلوتها ، ومن الغزال شروده ، ومن المهي عيونها ، ومن الارنب نفاذه وحيائه ، ومن الطاووس خيلاءه وزهوه ، ومن الاسد شراسته وقوته ، ومن الزمن خيائته وغدره ، ومن الثعلب مكره وروغانه ، ومن العقرب لدغته ، ومن اليمامة نغمتها ، ومن الببغاء هذيانها وكثرة كلامها

ثم جمع جميع هذه المواد وسكبها في بوتقة وصنع منها المرأة

واخذ الله المرأة واعطاها للرجل

وبعد اسبوع جاء الرجل الى الخالق قائلاً

يا رب — ان المرأة التي اعطيني قد سممت حياتي ووجودي

انها تتكلم بلا انقطاع

انها تبكي بلا سبب

(١) راجع باب مكتبة المقتطف

انها مستضعفة نحيفة ومطالبها لا حد لها
انها تشكو من اقل شيء
وتتألم من كل شيء
خذها وأرحني منها يا رب

* * *

وأخذ الله المرأة

* * *

وبعد اسبوع عاد الرجل الى الخالق قائلاً
يا رب — ان حياتي من دون المرأة اشبه بالوحدة والانفراد
كل العالم الذي اعطينني اشبه بمنفي لي
انا تاعس من دون المرأة
اني اتذكر كيف كانت تغني لي وترقص امامي
كيف كانت تنظر الي بالنعطاف من طرف مقلتها
كيف كانت تبسم فتجدد نشاطي . وتضحك فتبدد همومي
كيف كانت تلاعبني
كيف كانت ترتمي بين ذراعي
كيف كانت تحب الي الحياة
كيف كانت تخفف آلامي ، وتمنح لذة لاهلامي
ارجعها الي يا رب

* * *

وأعاد الله المرأة الى الرجل

* * *

وبعد ثلاثة ايام رجع الرجل الى الخالق باكياً شاكياً
يا رب — انني لا افهم نفسي — لكنني متأكد ان المرأة تزعجني اكثر
مما تريحني وتسريني

فغضب الخالق وقال — خذ المرأة ايها الرجل واذهب ولا تعد الي

وصاح الرجل — انني لا استطيع ان اعيش معها

فأجاب الرب — ولا تستطيع ان تعيش من دونها

* * *

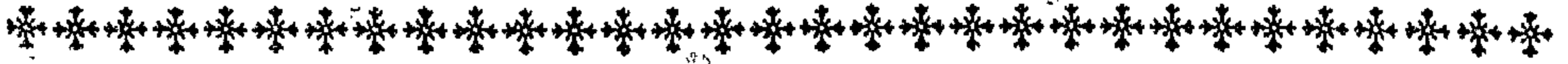
وأخذ الرجل المرأة وهو يندب سوء حظه ويقول : — يا لشقائي انا لا استطيع

ان اعيش مع المرأة . ولا استطيع ان اعيش من دونها !



بحث في «الدبلوماسية»

العلاقات الدولية عامة — المعاهدات والاتفاقات — التمثيل السياسي والقنصلي



(١) العلاقات الدولية عامة

عرف السر إرنست ساتو ، وهو من كبار الثقة في العلاقات الدولية والدبلوماسية ، ما يسمى بالدبلوماسية Diplomacy^(١) بقوله : «استعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين الدول المستقلة متعدياً ذلك أحياناً الى علاقاتها بالدول المستعمرة » ، وعلى ذلك فان بحثنا هذا ينطوي على دراسة هذه العلاقات متمثلة بالمعاهدات والاتفاقات والتمثيل السياسي والقنصلي

من المعلوم ان العلاقات بين الجماعات البشرية التي كانت نواة الدول الحديثة قديمة جداً ، فان القبائل البسيطة الساذجة كانت — ولا تزال — تحدث بينها علاقات سلمية ومفاوضات بسيطة لحل الامور المشتركة بينها . . . وكثيراً ما كانت القبائل هذه تندب لذلك الاشخاص اللاتقين من ذوي المقدرة والدهاء لقضاء هذه المهمات . ولقد كانت للعرب في جاهليتها بعض العلاقات من هذا القبيل فكثيراً ما كان يندب من صناديد العرب للمفاوضة بين قبيلتين لحل النزاع وحقن الدماء . والتاريخ العربي يذكر لنا ان «عمر بن الخطاب العدوي» الخليفة الثاني كان يدعى بـ «سفير قريش» في الجاهلية ، لان هذه القبيلة العربية كانت ترسله الى القبائل الاخرى للمفاوضة وحل المشكلات . . . والتاريخ من جهة اخرى يؤكد لنا انه كان لقدماء المصريين واليونان سفراء يرسلون الى الامم الاخرى في مهمات دبلوماسية

الا ان هذه العلاقات ازدادت ونمت نمواً سريعاً على اثر تقدم البشر وتطور نظام عمرانهم واجتماعهم فنشأ ما نسميه اليوم بـ «القانون الدولي» و «الدبلوماسية الحديثة» إن الدبلوماسية الحديثة ترجع الى التاريخ الذي نشأت فيه بعثات دائمة في القرن الخامس عشر الميلادي في ايطاليا للقيام بادارة العلاقات الدولية ، اذ ان القرون الوسطى لم تكن تخلو من وفود ، تقتصر مهمتها على زمن محدود وغاية معينة واحدة ، يقوم بها بعض رجال الدين او الاشراف ، وليس كذلك احد من المعتمدين الدبلوماسيين الذين ينتخبون من طبقة

(١) استعملت هذه الكلمة لأول مرة في انكلترا متأخرة حوالي سنة ١٧٩٦ من قبل «برك» السياسي الكاتب الانكليزي المشهور — فالكلمة حديثة العهد ، لكن الاصول الدبلوماسية قديمة . . .

دبلوماسية محترفة تقوم بتوثيق الروابط والعلاقات بين الدول بصورة فنية منتظمة . اما في العصر الحاضر فان العلاقات نمت نمواً سريعاً جداً فالسفراء والقناصل منتشرون في انحاء الكرة الارضية والمعاهدات تعقد بصورة سريعة والمؤتمرات الدولية تقرر مواعيد خطيرة . زد على كل ذلك « عصابة الامم » التي اصبحت لها مقام ممتاز في العلاقات الدولية ، فهي نواة الدولة العالمية المتحدة التي يحلم بها بعض الكتاب^(١) . نعم ، انا لا انكر ما يدعيه بعض المفكرين من ان هذه العصابة انما هي في الوقت الحاضر « عصابة حكومات » وليست « عصابة امم » الا انني اعتقد ، برغم ذلك ، ان هذه المؤسسة خطوة خطيرة جداً في سبيل توثيق العلاقات بين امم الارض قاطبة . وهل يعجب القارئ الكريم اذا قلت له ان كثيراً من الروس النازحين عن بلادهم يحملون اليوم جوازات سفر عالمية اصدرتها لهم « عصابة الامم » هذه ، وهي فوق ذلك مؤتمر دولي دائم لمحاولة حل جميع المشكلات والقضايا التي تحدث بين الدول المنتمة اليها والمنتظمة في عضويتها

إما العوامل ذات الاثر في توثيق عرى العلاقات بين الدول فكثيرة بعضها رسمي وبعضها غير رسمي . واليك اهم هذه العوامل مضافاً اليها « عصابة الامم » المارة الذكر :

(١) محكمة العدل الدولية (٢) مؤسسة العمال الدولية (٣) اتحاد الطلبة الدولي في جنيف (٤) الالعاب الاولمبية (التي اعيدت عام ١٨٩٦) (٥) مؤسسة الشؤون الخارجية الملكية في لندن التي انشئت سنة ١٩٢٠ وغيرها ... ان هذه العلاقات تتخذ صبغة رسمية دائمة وتشتد وتقوى بالمعاهدات والاتفاقات والتمثيل السياسي والقنصلي ، فلنبحث في ذلك الآن :

(٢) المعاهدات والاتفاقات

ان المعاهدات والاتفاقات عقود بين دولتين او اكثر . والفرق الوحيد بين العقود الفردية والعقود الدولية هذه ينحصر في ان ليس ثمة قوة عدلية تسيطر على هذه الاخيرة الا عند وجود نص فيها . اما عقود الافراد فالحاكم في الدول المختلفة هي التي تسيطر على سيرها في مجرى العدل والانصاف . وان كلمة « Treaty » المترجمة الى العربية بـ « معاهدة » كانت تستعمل قديماً للدلالة على معنى « المفاوضة » ولكنها اخذت تدل اخيراً على معنى « خاتمة المفاوضة » التي هي المعاهدة في الغالب . وفي الاصطلاح الدبلوماسي الحديث تستعمل كلمة « معاهدة » للدلالة على عقد دولي مهم فقط ، اما العقود التي تكون دونها خطراً ودرجة فتدعى الواحدة منها بـ « الاتفاق Convention »

(١) او على الاقل نواة الدولة الاوربية المتحدة التي دعا اليها السياسي الفرنسي المشهور (ارسقيد بريان) ووصفها زميله هريو في كتابه The United of States Europe

اما المعاهدات فقديمية ومتاحف الغرب تحوي نصوص معاهدات مكتوبة على الحجارة من عصر التوراة والاغريق والرومان . وللعالم الاثري المشهور « برستد » مجموعة نفيسة لصور نصوص معاهدات قديمة جداً . والتاريخ الاسلامي حافل بالمعاهدات كما ان مؤرخي الاسلام لم يبخلوا في بحث قواعد المعاهدات لديهم واصولها . والقلقشندي صاحب كتاب « صبح الاعشى » يفرد لنا ثلاثة ابواب من كتابه لبحث « الهدن ^(١) » و « عقود الصلح والفسوخ الواردة عليها ^(٢) » وهو فوق ذلك يذكر لنا امثلة عديدة منها ، وما يلزم الكاتب في تحرير اوضاعها وترتيب قوانينها واحكام عقدها ، فهو يبين لنا كيف تكون الهدن بين اهل الاسلام واهل الاديان الاخرى ، وكيف تكون عقود الصلح بين ملكين مسلمين وان كل متعاقد يأخذ نسخة ويضع التاريخ الهجري عليها كما ان المفاصلة تكون من جانب واحد ومن الجانبين . والذي يتأمل هذه القواعد الموضوعة للهدن وعقود الصلح والفسوخ يجد تشابهاً عظيماً بينها وبين ما يسير عليه واضعو المعاهدات في وقتنا الحاضر . وفي الامثلة التي يذكرها « القلقشندي » يجد المتأمل تفصيلاً دقيقاً لكل شيء يجوز حدوثه بين المتعاقدين ورعاياها مما يخص الشرائع الخاصة والشرائع العامة . وفي غالب هذه المعاهدات تذكر اسماء المتعاقدين والمندوبين ثم يشهد الله على ما كتب ويضاف في بعض الاحيان ان المتعاقدين صاحبوا بعضهم بعضاً عنواناً للسلام بينهم وانهم تبادلوا النسخ المسجلة ، كما ان العرف جرى على تعيين المكان الذي تعقد به المعاهدة وتتم فيه المفاوضات . . . وفي الغالب ايضاً تكتب النسخة الاصلية باللغة العربية . والمعاهدة الحجازية — اليمنية الاخيرة هي على طراز المعاهدات الاسلامية هذه تماماً . .

والمعاهدات والاتفاقات انواع عديدة منها :

- (١) المعاهدات السياسية : ومن هذا النوع معاهدات التحالف والسلام والصدقة وحسن الجوار Bon Voisinage (٢) المعاهدات التجارية : كمعاهدات تجارة الرقيق والملاحة وما الى ذلك . . . (٣) المعاهدات الاجتماعية : كمعاهدات اتحاد البريد المعقودة سنة ١٨٧٤ م وغيرها (٤) معاهدات العدل المدنية : كمعاهدة حماية العلامات الفارقة المعقودة في باريس سنة ١٨٨٣ (٥) معاهدات الزواج : وهذه تعقد عند زواج فردين من اسرتين مالكتين وتوضع المعاهدات في قالب يكاد يكون عاماً فالمواد الرئيسية في كل معاهدة تقريبا هي : —
- (١) المقدمة (٢) اسماء والقاب المتعاقدين الساميين (٣) ملخص غاية المعاهدة (٤) اسماء والقاب المفوضين بالعقد نيابة عن المتعاقدين الساميين (٥) فقرة تتضمن ان المفوضين بعد ان تبادلوا اوراق اعتمادها فوجدوها صحيحة وموافقة للاصول اتفقا على هذه المعاهدة (٦) المواد بالتفصيل ويبدأ بالاعم منها (٧) مادة تخصص وتعين زمن ومحل تبادل النسخ المصادق عليها

فيما بعد ومحل نشرها ووقته (٨) التاريخ والتواقيع والاختتام وتوضع نصوص المعاهدات التي تعقد بين دولتين اما بلغة الدولة التي لها المقام الاسمي او بلغة احدها والثانية باللغة الفرنسية واما باللغة الفرنسية للنصين . ولقد كانت اللغة اللاتينية لغة رسمية للمعاهدات حتى القرن السادس عشر فحلت محلها اللغة الفرنسية في القرن الثامن عشر. ولكل من الفريقين المتعاقدين ان يحضر نصوص المعاهدة بلغته على ان تكون كلمات النص مستعملة بمعناها الطبيعي الواضح وله ان يضع اسم حكومته في الاول وله ان يمضي اولاً في محل الشرف : وهو الجهة اليسرى من الصفحة . ولقد جرت العادة ان تكتب الصفحة الاولى من كل معاهدة باليد وكذلك الصفحة الاخيرة ، ويجوز كتابة سائر الصفحات باليد ويجوز كذلك كتابتها على الآلة الكاتبة

وهناك معاهدات غير مكتوبة يقول عنها بوتر Potter^(١) « انها ليست الا تناقض في التعبير » فان من شروط المعاهدات ان تكون مكتوبة ومدونة ومسجلة في دائرة رسمية معترف بها كسكرتارية عصبة الامم مثلاً وهي التي تقر ان تقوم بعمل « كاتب عدل » Notary Public لتسجيل عقود الدول او معاهداتها كما نصت على ذلك المادة ١٨ من ميثاق عصبة الامم وهي : « ان كل معاهدة او اتفاقية تعقد بعد تصديق معاهدة « فرسايل » من قبل اية دولة من الدول المنتظمة في سلك عصبة الامم يجب ان تسجل في السكرتارية وعلى هذه ان تنشرها في اقرب وقت ... » وعلى ذلك فان سكرتارية عصبة الامم تنشر اكبر واهم مجموعة للمعاهدات في العالم لاطلاع الناس عليها^(٢)

ويلحق عادة بالمعاهدات ما نسميه بالبروتوكول Protocole وهو عادة جزء لا يتجزأ من المعاهدة ، وقد تلحق بالمعاهدات مذكرات يتبادلها المفوضون بالعقد لتوضيح بعض مواد المعاهدة وما الى ذلك

ويجب ان تقرر ان المعاهدة لا تتخذ صيغتها القانونية ولا يمكن تنفيذ بند من بنودها الا بعد تبادل نسخها وابرامها ولقد علمت ان المعاهدة التي شذت عن تلك القاعدة ، وهي الوحيدة في بابها ، هي معاهدة تعديل الحدود بين مصر وطرابلس حيث انه قد نفذت بنودها قبل ان يبرمها البرلمان المصري . وعلى ذكر ابرام المعاهدات من قبل البرلمان نقول ان من نتائج الحرب العظمى ان تقرر عدم اعتبار المعاهدة نافذة قبل ابرامها من قبل الهيئات التشريعية للدول التي تعقدها

والمعاهدات اصبحت لها شأن واسع النطاق في هذا القرن ، فانها تعقد لتأسيس مؤسسات

(١) This World of Nations page : 129,

(٢) ان هذه النشرات عن المعاهدات تصدر تحت عنوان Treaty Series of the League of Nations

دولية خطيرة كالحاكم الدولية والمؤتمرات الدولية ومواثيق السلام وغير ذلك مما يزيد في توثيق عرى التقريب بين دول العالم فليس ميثاق عصبة الأمم وهو معاهدة خطيرة ، في حد ذاته ، إلا دستوراً عالمياً خطيراً ... وميثاق كيلوغ نوع آخر من المعاهدات التي كان لها شأن خطير في هذا القرن . زد على ذلك ان المعاهدات اخذت تتكاثر بسرعة هائلة تفوق اضعاف سرعتها في السنين الماضية . كما ان تغيراً خطيراً حدث في طبيعة المعاهدات فلم يبق « في كل معاهدة فارس وفرس » كما يقول « تليران » السياسي الفرنسي المشهور ، فان اطلاقه هذا يجوز تطبيقه على المعاهدات التي سبقت معاهدة « فرساي » ، اما على المعاهدات التي تلتها فلا اظن ذلك ، فليس في اتفاقات « لوكارنو » الموقع عليها سنة ١٩٢٥ مثلاً — على ما اعتقد — فارس أو فرسان وفرس أو فراس !

وتفسير منطوق المعاهدات امر صعب وعسير جداً في الغالب ، ولقد فكر المشرعون في القانون الدولي وبعض رجال فلسفة السياسة مثل Kent وويتن Wheaton وجروتوس Grotius وقاتل Vattel وغيرهم في الموضوع ، وافرد « قاتل » فصلاً كاملاً في كتاب له^(١) لهذا الموضوع وهو يتفق مع « شيشرون Cicero » في « ان الوعد يجب ان يؤخذ على الشيء الواضح منه وليس على الشيء الذي يقصده » ، وهو يعتقد كذلك انه « لا يجوز تفسير ما لا يحتاج الى تفسير » في المعاهدات . ولم يتمخض بحث الذين ذكرتهم الا عن طريقين مهمين فقط لضمان عدم الانحراف في تفسير منطوق المعاهدات وهما : (١) ان المعاهدات يجب ان تكتب بلغة واضحة طبيعية و (٢) ان ينص في المعاهدة على احالة الاختلاف في تفسير منطوق بعض موادها الى سلطة عدلية دولية كحكمة العدل الدولية في لاهاي مثلاً ، وذكر النص المعول عليه في المعاهدات اما سلطة عقد المعاهدات لدولة ما فينص عليها عادة في قانونها الاساسي (الدستور) ففي الحكومة الملكية مثلاً لصاحب التاج ان يبرم المعاهدة بقانون يقرره البرلمان بعد مناقشة المعاهدة وبراها منه وقد جرت على ذلك الدولة المصرية والدولة العراقية وغيرها من الدول الملكية الدستورية . ورئيس السلطة التنفيذية في الجمهوريات يصدق على المعاهدات بعد ابرامها من قبل البرلمان ايضاً وتدير شؤون المعاهدات من تحضير وتبادل نسخ وما الى ذلك في الوزارات الخارجية دوائر خاصة تدعى بدوائر البروتوكول ، فالحكومة الفرنسية مثلاً لديها دائرة تدعى بـ « دائرة البروتوكول » Le Bureau du Protocole وهذه الدوائر تدير علاوة على شؤون المعاهدات مكاتبات اوراق الاعتماد وبراءات القناصل مما سوف يأتي ذكره في بحثنا عن الممثلين السياسيين والقناصل ، وكذلك الكتب التي يتبادلها رؤساء الحكومات . وفي انكلترا دائرة تقوم بمثل هذه الاعمال وتدعى Treaty Dep't of the Foreign Office

(١) « Le Droit des gens principes » وهو في ٣ مجلدات

(٣) التمثيل السياسي والقنصلي

إن الممثلين السياسيين رسُلُ الدول يقومون بإدارة الشؤون والمصالح السياسية لدولهم لدى الدول الأخرى . كان الممثلون السياسيون قديماً على درجة واحدة وهي درجة « سفير » Ambassador لكن ذلك تغير في الوقت الحاضر فانقسم هؤلاء الى اربع درجات هي :

(١) السفراء (٢) الوزراء المفوضون والمندوبون فوق العادة (٣) الوزراء المقيمون (٤) القائمون بأعمال السفارة أو المفوضية Chargés de Affaires

ولقد تم تقسيم الممثلين السياسيين على هذه الصورة في النظام الذي وضع في مؤتمر فيينا (١٠ مارس سنة ١٨١٥ م) . ثم تقرر هذا النظام نهائياً بعد تغييرات طفيفة فيه في مؤتمر اكس لا شابيل Aix - la - Chapelle في ٢١ نوفمبر سنة ١٨١٨ م . ولقد كان الممثلون السياسيون قديماً ينتخبون من قبل رؤساء الحكومات على اساس مقدرتهم في المفاوضات فقط بصرف النظر عن منزلتهم ودرجتهم في الهيئة الاجتماعية ، فقد كان من بين السفراء قديماً من كان كاتباً بسيطاً أو جندياً أو تاجراً ويقال ان لويس الحادي عشر ارسل حلاقه الخاص في مهمة دبلوماسية !

ولكن مهمة انتخاب الممثلين في الوقت الحاضر من اصعب المهمات وادقها فان الممثل يجب ان يكون لاثقاً لمنصبه كل اللياقة مستجمعاً لكافة الصفات اللازمة للقيام بتمثيل حكومته في الطبع الهادئ والرزانة والصحة الجيدة والطلعة الوسيمة والذكاء الوقاد مع الدهاء والعفة والنزاهة . اما من جهة المعارف فعليه ان يكون واسع الاطلاع على القانون الدولي والاقتصاد السياسي والاحوال السياسية للمملكة التي سوف يمثل دولته فيها . والحكومات تميل غالباً الى ابقاء ممثليها السياسيين في الدول التي يمثلونها فيها لكي يزدادوا خبرة واطلاعاً ولما يقتضي للممثل من المدة الطويلة للاطلاع التام على احوال تلك الدولة ... كما ان كثيراً من الدول الكبرى كبريطانيا مثلاً قد وضعت قانوناً خاصاً لاحالة الممثلين السياسيين على المعاش ، وبموجبه لا يحال الممثل قبل بلوغه ال ٧٠ من عمره وفي حالات كثيرة يبقى فيها الممثل الى اكثر من ذلك

وبريطانيا العظمى من الجهة الثانية لديها وزارة للخارجية تعتبر من ادق وزارات الدول الخارجية ادارة وانتظاماً . وهي تعتني اعتناء فائقاً بانتخاب رجال السلك الدبلوماسي فالذين يتقدمون الى دخول هذا السلك يشترط عليهم اجتياز امتحان تحريري خاص — بصرف النظر عما يحملونه من الشهادات العالية — وهذا الفحص تضع اسئلته وتنظر في اجوبته لجنة عليا مؤلفة من كبار اساتذة الجامعات الانكليزية ، ومن ثم تفحصهم فحواً شفهياً لجنة اخرى مؤلفة من كبار الموظفين واعضاء مجلس النواب البريطاني وآخرين ممن لهم علاقة واختصاص بالموضوع

للدول ان ترسل ممثلين سياسيين يمثلونها لدى الدول الاخرى وفقاً للاصول المرعية . الا ان الدولة لها حق رفض قبول ممثل دولة اخرى لاي سبب كان . ولذلك فقد جرت العادة ان تسأل الدولة التي تريد تعيين ممثل ما الدولة الاخرى عن رأيها فيه قبل تعيينه . وعند قبول الممثل ووصوله المحل المعين حاملاً اوراق اعتماده تجري تقاليد واحتفالات تتفق ودرجته لا مجال لذكرها الآن . كما انه على اثر مباشرته مهام منصبه يكسب الحقوق والامتيازات الممنوحة للممثلين السياسيين . ومن هذه الامتيازات عدم امكان القبض عليهم او حبسهم حتى في حالة وقوع حرب بين الدولتين ، ولا اذكر الا حادثة واحدة تشذ عن هذه القاعدة واعني بها موقف الحكومة التركية القديمة ازاء سفراء الدول التي تحاربت معها عند ما حبستهم في « الابراج السبعة » المشهورة . وكذلك تعتبر مسكن الممثل واثاثه وأمواله داخل منطقته ملكاً لدولة الممثل نفسه . وعلى ذلك فلا يمكن القبض على هذه الاموال وحجزها او المطالبة باداء الضرائب عنها

ويلحق عادة بالممثلين السياسيين ملحقون Attachés يقومون ببعض الامور الخاصة كالملحق العسكري والملحق البحري والملحق التجاري وغيرهم وهم يؤلفون مع السكرتارية والممثل نفسه ما يسمى بالهيئة الدبلوماسية Diplomatic Corp ويرأس الهيئات الدبلوماسية للدول في دولة ما « عميد » هو عادة اقدمهم عهداً في تلك الدولة وهو الذي يتكلم باسم الممثلين السياسيين في المناسبات الرسمية

ومن المعلوم ان وزير الخارجية هو حلقة الاتصال بين حكومة وأخرى ومرجع جميع السفراء او القناصل

﴿ القناصل ﴾ موظفون معينون غالباً لحماية المصالح التجارية والاقتصادية لدولتهم في الدول الاخرى وتسهيل سبلها وتوسيع نطاقها

إن كلمة قنصل Consul تعني درجة واحدة من درجات التمثيل القنصلي ولكنها تستعمل احياناً للدلالة على الخدمة القنصلية بصورة عامة . والقناصل على درجات : (١) قنصل عام Consul-General (٢) قنصل Consul (٣) نائب قنصل Vice-Consul (٤) معتمد تجاري Commercial Agent وغير ذلك من الدرجات الفرعية الخاصة

إن اقدم القناصل عهداً هم الذين عيّنهم كل من مدن جنوى ويزا والبندقية وفلورنسة بين سنة ١٠٩٨ — سنة ١١٩٦ بعد الحروب الصليبية في موانئ ساحل الليقانت والقسطنطينية وفلسطين وسوريا ومصر . ومهمة انتخاب القناصل لا تقل صعوبة ودقة عن مهمة انتخاب الممثلين السياسيين ، والشروط التي يجب ان تتوافر في الممثل القنصلي يجب ان لا تقل عن الشروط التي تتوافر في الممثل السياسي . وان اهم اعمال القنصل تقريره الذي يرفعه الى وزارة

خارجية دولته باحثاً في الحالة الاقتصادية للدولة التي يمثل دولته فيها مقترحاً الطرق اللازمة لتوثيق العلاقات الاقتصادية بين الدولتين

والنمسا من الحكومات التي اعتنت اعتناء فائقاً منذ القدم بتدريب القناصل فلقد أسست الامبراطورة «ماريا تريزا» عاهلة امبراطورية النمسا والمجر المنقرضة ، في سنة ١٧٥٤ «أكاديمية» لاعداد الموظفين للسلك الدبلوماسي وسميت بـ «الأكاديمية الشرقية» لشدة اهتمامها باعداد الموظفين في الدرجة الاولى للخدمة في الشرق . وكانت هذه الأكاديمية تعنى اعتناء فائقاً في تدريس اللغات الشرقية والتاريخ الشرقي

ان التطور الاقتصادي والتجاري والصناعي في القرن التاسع عشر اثر تأثيراً خطيراً في هذه المؤسسة فلقد تبدل اسمها في سنة ١٨٩٨ م فأصبح «الأكاديمية القنصلية» وأصبحت الغاية منها بوجه خاص اعداد موظفي السلك القنصلي في امبراطورية النمسا والمجر ولقد اعادت الجمهورية النمساوية الحديثة هذه المؤسسة على ان تقبل فيها (٥٠) طالباً فقط من اي جنسية كانت (ومن كلا الجنسين) وأصبحت تدار من قبل دائرة الشؤون الخارجية في الجمهورية النمساوية رأساً . وهي تقبل تدريس بعض العلوم بعدة لغات حيّة والدروس التي تدرس في الأكاديمية كثيرة اهمها الاقتصاد السياسي والجغرافية التجارية والتاريخ الدبلوماسي والقانون الدولي وعلم المالية والخدمة القنصلية وعلم الاجتماع وفن الدبلوماسية الصحفية والصحافة واللغتان الالمانية والفرنسية وبعض اللغات الاخرى ولا يجوز للقناصل ان يمارسوا اعمالهم قبل حصولهم على ما يسمى بالبراءة Exequatur اللازمة من قبل رئيس الدولة التي يمارسون اعمالهم فيها . وكثيراً ما تعين الحكومات قناصل فخريين لدى الحكومات الاخرى وتمنحهم لذلك رتباً واوسمة

فؤاد جميل
بيروت (الجامعة الاميركية)
عضو البعثة العلمية العراقية

رجعنا الى الكتب الآتية في هذا البحث : —

- (1) 'Treaties, their Making and Enforcement — Crandall.
- (2) A Guide to Diplomatic Practice — Rt. Hon. Sir E. Satow.
- (3) Diplomacy Old and New — George Young.
- (4) This World of Nations — Potter.
- (5) Diplomacy & the Study of International Relations—Heatley.

نشر المرض عمداً ، فكان يفتك بهم ويمثل بأجسامهم شراً تمثيل . ووصف « مزوني » Manzoni في قصته المسماة (Les fiancés) طرفاً من ذلك . ومما ذكره ابان انتشار الطاعون بمدينة ميلان عام ١٦٣٠م ان الخوف من الوباء بلغ من الاهالي حداً جنونياً حتى انهم كانوا يشكّون في ذوي قربانهم لان الاعتقاد كان سائداً ان بعضهم يريد الفتك بالبعض الآخر ليستولي على ثروته . فكانوا يهجون بيوتهم هائمين على وجوههم وأصبح هذا من اقوى الاسباب في انحلال الاسرة في ذلك العهد . ولم يسلم الاطباء انفسهم من شكّ المرضى فيهم فكانوا اذا دعوا لعيادة مريض يهانون واحياناً يرمون بالحجارة . وكان من المعتاد ايضاً اذا حل الوباء ببلد أن يطلب القوم من الآلهة ان يجمع الداء كله في شخص فيُعدّ لذلك في احتفال كبير ثم يفتك به تطهيراً للبلد من الداء على زعمهم اما رجال الدين فكانوا يرون في الطاعون مظهراً لغضب السماء فلما يخفّضوا من وقعه كانوا يؤلفون مواكب دينية يسيرون فيها عراة الاقدام ، فكان ذلك يزيد في انتشار الداء بشكل ملموس عقب هذه المواكب مباشرة !! ومن هوس بعض الطوائف في ذلك الزمن سيرهم جموعاً في الشوارع العامة وهم يلطمون خدودهم ويضربون اجسادهم بسياط جلدية ، فتسيل منها الدماء غزيرة ، وكان ذلك على الخصوص ابان انتشار الطاعون الاسود في القرن الرابع عشر

وتسبب عن كثرة الموتى ، بساطة في اجراءات الدفن . ومما قاله ثوسيديوس Thucydide في هذا ان الناس كانوا لا يعنون بدفن موتاهم . فكانت الجثث تحرق اختصاراً للاجراءات . وكثيراً ما كان الناس يهربون من البيوت تاركين الجثث فيها حتى تنتن وتتصاعد منها روائح كريهة . وندر وجود من يحملون الموتى ، فعهد باجراءات الدفن حينئذ الى طبقة من طعام الناس يدخلون البيوت التي عليها شارة الموت لنهبها وسلبها واغتصاب من وجد فيها من النساء وكان الناس لا يقدمون على السير في الطرقات الا لقضاء حاجة ماسة وكان يغلب سيرهم وسط الطريق ليتحاشوا ملامسة احد ، حاملين معهم عصاة طويلة يسمونها عصى القديس روش Saint Roch لابعاد الكلاب وغيرها من طريقهم . وكان القوم ينشدون في مختلف اللذات ما ينسيهم الموت الذي يهددهم ووصف Thucydide تلك الحالة النفسية قال : —

(وافرط كل فرد في طلب اللذة بدون حساب وهمه الوحيد التمتع بها في كل فرصة وبأي ثمن حيث قد اثر في اعصابهم رؤيتهم الاغنياء بينهم يموتون فجأة تاركين الثروات الطائلة . والفقراء المعوزون وقد اصابوا الغنى الفاحش بدون مجهود وعن طريق الميراث كانوا ينظرون الى الثروة والمتاع ومختلف اللذات كشيء لن يتسنى لهم التمتع به طويلاً لان الموت يهددهم بين دقيقة واخرى فسعوا الى اللذات الجسدية سعياً ليمتتعوا باوفر قسط منها . وقاما فكر واحد منهم في السعي لتحقيق غاية شرينة لانه لم يكن يدري ان كان الاجل سيمتد به الى وقت يتمتع فيه بنتائج مسعاه . واصبح الجمع بين اللذة والمصلحة ديدن الجميع . فلا يأبهون

لغضب الآلهة ولا لصرامة القوانين. ومنذ ان رأوا الموت يحصدهم حصداً انعدمت في قلوبهم صفة الرحمة والمؤاساة والاخلاق الفاضلة على انهم كانوا يشكون في امتداد ايامهم الى ان تقتص السلطات منهم لما اقترفوا من ذنوب واتوا من آثام. وبات كل فرد على بيته من مصيره القريب فكان في شاغل عن كل شيء منصرفاً الى قضاء شهواته حيث كانت ومهما كلفت)

وفي عصر النهضة أملت هذه النفسية نفسها — وهي التي كانت سائدة وقتئذٍ — على بعض الكتاب قصص بوكاتشو Boccaccio المشهورة في التاريخ وما يماثلها من القصص المبتذلة لما حوته من المناظر الشائنة التي يندى لها جبين الادب حياءً

ومما قاله المؤرخان دورنتي وجفارل Duranty & Gaffarel يصفان تلك الحالة النفسية التي طغت على عقول سكان مرسلينا في طاعون سنة ١٧٢٠ ما يأتي : —

(استولى الرعب وحب الاستمتاع السريع على الاهالي من كلا الجنسين مما دفعهم الى اتمام عقد الزواج بكل معداته في مدى اربع وعشرين ساعة على الاكثر . فكانت الارملة التي لم تمضي على وفاة قرينها ايام قلائل ، تعقد زواجاً ثانياً ، ولما تحف دموعها بعد . وكثيراً ما كان ينزع الموت من احضانها زوجها الثاني ، فلا تحجم عن اختيار شريك آخر لحياتها . وكانت هذه الظاهرة الاباحية اكثر وضوحاً وابلغ اثرآ في الطبقة الدنية من السكان ، ممن آلت اليهم الثروة عنقواً بطريق الميراث بعد فقر مدقع . ونسي سكان مرسلينا كل شيء في العالم وذهلوا عن كل شيء الا عن الزواج والافراط في اللهو والتماذي في الشراب بشكل منقطع النظر . واستمر الزواج على هذا النحو — بدون تمازج بين الطرفين — حتى انه في مدى خمس سنوات من تاريخ الطاعون ، بلغ عدد المواليد حداً اصبحت تعداد السكان بعده معادلاً لما كان عليه قبل انتشار الطاعون . وأصبحت مرسلينا ، في فترة قصيرة ، مدينة للجمال والفن والاستمتاع ، وبلغت مبانيها مبلغاً عظيماً من الاتساع وتفنن سكانها في ارتداء الملابس الفاخرة واقتناء الكماليات ، فكنت ترى المحال التجارية غاصة بهم ينفقون فيها عن سعة ، وكنت تشهد المراقص تقام في المنازل والطرق العامة والابتهاج شاملاً عاماً ، كأن الناس قد نسوا ما حل بهم من النكبات وعوامل الفناء . ويمكن القول اجمالاً أن هذه النفسية هي بعينها التي شوهدت عقب انتشار الكوليرا في مرسلينا عام ١٨٨٥ م واغرق الناس بعدها في اللهو والمجون

وهذه الظاهرة تغلب عند حلول الكوارث الاجتماعية الخطيرة ، فأن حرب سنة ١٩١٤ أوجدت في نفوس الملايين من الجنود تعطشاً غريباً لجميع وسائل الاستمتاع . واستهتاراً فاحشاً بالشرائع والقوانين حتى بعد وقف القتال . كما حصل بعد حكم الارهاب في فرنسا وقيام حكومة الادارة على انقاض الاشلاء والدماء

ابراهيم مراد ديان

ليسانس في الحقوق من جامعة باريس



كيف اتصل لندن باكبر
مدن العالم اتصالاً تلفونياً

المشهر الاول

في مكتب تحرير التيمس بلندن في يوم الجمعة ٧ يناير ١٩٢٧

جلس محرر التيمس في مكتبه بلندن واذا جرس التلفون يقرع في نحو الساعة الاولى والدقيقة الخمسين بعد الظهر . فرغ السماعه فسمع صوتاً يقول : انا ادولف اوكس صاحب جريدة التيمس النيويوركية . وكان المستر اوكس جالساً في مكتبه بنيويورك على نحو ثلاثة آلاف من الاميال وامامه صورة محرر التيمس اللندنية لكي يرى الشخص الذي يخاطبه . وبعد ما تبادل عبارات التحية والمجاملة المألوفة وصف صاحب التيمس النيويوركية ما في الولايات المتحدة الاميركية من ميل في الرأي العام الى اعادة النظر في مسألة ديون الحلفاء لاميركا . ثم وصف استنباطاً جديداً دعي بالصور المتحركة الناطقة فكانت هذه الرسالة وعدد كلماتها الانكليزية ٢٣٠ كلمة احدى الرسائل الصحافية الاولى التي ارسلت بالتلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك . وقد رد عليها محرر التيمس اللندنية بكلمة تناسب المقام

وكانت ادارة التيمس اللندنية قد ابرقت الى مكاتبها النيويوركية لكي يعدّ رسالة تحتوي على نحو ٦٠٠ كلمة يملئها على احدى الكاتبات بالتلفون اللاسلكي لتنشر في الجريدة وفي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين قرع جرس التلفون في ادارة التيمس اللندنية فاذا مراسلها في نيويورك يخاطبها فاملى على احدى كاتباتها رسالتين مجموع كلماتهما ٥٦٧ كلمة في ست دقائق وهو الوقت المحدد للمخاطبة . وبعد ما اتم املاء الرسالتين سأل رؤساءه في لندن هل سمعوا كل كلمة فاه بها ودونوها او يلزم ان يرسل الرسالتين بالتلغراف حتى تصححوا فقالوا « سمعنا كل كلمة على ما يرام » وانتهت المخاطبة . وفي اليوم نفسه جرت محادثة تلفونية بين صاحب جريدة « الورلد » النيويوركية ومحرر « الديلي اكسبرس » الانكليزية . وبين مدير شركة التلغرافات والتلفونات الاميركية ومدير مصلحة البريد الانكليزية



لندن والعلم

ارتقاء الخطابات الاسلامية
بين عواصم الدنيا وغرائبها

المشهر الثاني

في مرسى ليكهرست بالولايات المتحدة في ١٥ أكتوبر ١٩٢٨

البلون غراف زبلن محوّم فوق مرسى ليكهرست بعد ما اجتاز المسافة بين المانيا والولايات المتحدة في احوال تسترعي الانظار والاسماع وبعد ما لقي في طريقه من العواصف والمخاطر ما بعث في النفوس القلق والروع وبعد ما ابدى ربّانهُ وابن ربّانهِ وملاحوه من البراعة والجرأة ما ينزل من تاريخ الطيران في صفحة المجد . وعلى الارض جمهور من المتفرجين يحصى بعشرات الالوف انتضى عليهم ساعات وهم ينتظرون قدوم ملك الفضاء وقد عيل صبرهم فجعلوا يتدافعون حتى تخطوا الحدود التي عيّنها البوليس الاميركي . ولما اقترب البلون من الارض اندفع الجمهور كالتيار الجارف حتى كاد رجال الحفظ يعجزون عن صدّه عن اذية البلون . واذ الجمهور كذلك انسل منه شابٌ وعدا الى دكان قريب من المطير . لان الثانية في نظره كانت بمثابة دهر وهو مكاتب صحافي ديدنه السبق في نقل الانباء . ودخل الى غرفة من غرف التلفون العمومي يشرف من كوتتها على المطير . وطلب باللغة الانكليزية شاكرًا لربه المامه بها ، ان يتصل في الحال بمكتب الخطابات الطويلة المدى . فلما اتصل به طلب ان يخاطب رقم S.N. ٦٨ برلين . وما انتقضت عليه دقائق ست حتى سمع صوت زميل قديم له يخاطبه من مكتب جرائد اولشتاين في برلين فهزّه الدهش والاعجاب حتى كاد ينسى غرض المحادثة . ولما افاق من حيرته ودهشه امل على زميله وصفًا مسهبًا لوصول الغراف زبلن الى ليكهرست ونزوله فيها سالمًا والاستقبال العظيم الذي كان معدًّا له . ومن مكتب شركة اولشتاين في برلين وزعت هذه الانباء على اشهر مدن المانيا ولم تلبث ان ظهرت طبعاات خاصة من صحفها تصف باسهاب حادثًا تم في اميركا قبل ربع ساعة وصفًا نقلت كل كلمة من كلماته شفاهًا وكان الحديث ينقل والبلون لا يزال آخذًا في النزول الى الارض

المشهد الثالث

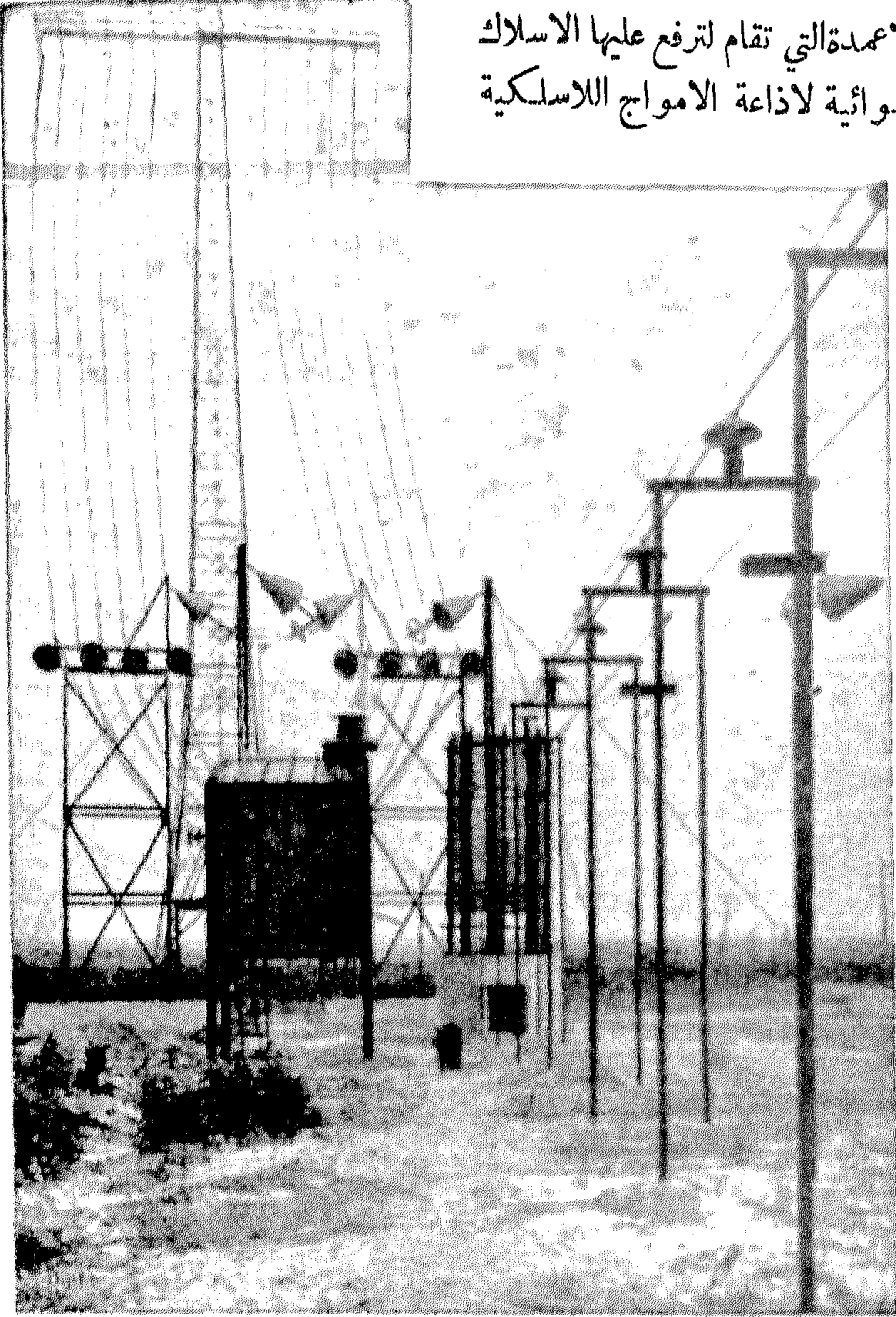
القاهرة تخاطب لندن في يوم الثلاثاء ٢٤ مايو ١٩٣٢

تحدث وزير المواصلات في الحكومة المصرية من داره بالزمالك مع المدير العام لمصلحة البريد بلندن في الساعة السادسة من مساء الثلاثاء ٢٤ مايو الماضي وتلاه صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء فحدث حافظ عفيفي باشا وزير مصر المفوض بلندن فكان الصوت واضحاً كلّ الوضوح بل كان أكثر وضوحاً منه بين متكلمين في مصر وسوف يتاح لنا بعد ١٥ يونيو الجاري ان نجلس في مكتبنا بدار المقتطف ونمسك سماعة التلفون فنطلب من نشاء في لندن او منشستر او ادنبره وتحدث اليه كأننا نخاطب صديقاً في القدس او الاسكندرية او الزيتون . هذا هو سحر العلم والاستنباط !

بين اميركا واوروبا

افتتح الخط التلفوني اللاسلكي بين لندن ونيويورك في ٧ يناير سنة ١٩٢٧ وكان الناس لا يزالون في ريبة من صدق ما يدعيه المستنبطون حاسبين ان المخاطبات التلفونية اللاسلكية سحر آلهي لا يكشف عن سره لآبناء الارض . اما القائمون بالامر من رؤساء شركة التلغراف والتلفون الاميركية ومديري مصلحة البريد الانكليزي فكانوا يثقون كل الثقة بالنتائج التي اسفرت عنها مباحث العلماء والمهندسين وحسبوا ان غرابة الامر لا بد ان تبعث الناس على الدهش اولاً ثم على الاقبال على استعمال هذه الوسيلة الجديدة من وسائل المخاطبات وقد صبح فألهم . فان ٢٩٠٠ شخص في اميركا استعملوا هذا التلفون في السنة الاولى من انشائه . ثم اخذ العدد يزداد ازدياداً مطرداً حمل القائمين بأمره على تخفيض الاجور . فقد كان اجرة المخاطبة التي تستغرق ثلاث دقائق ١٥ جنياً مصرياً في البدء خفضت الى تسعة جنيهات . كذلك كان النجاح الذي صادفوه في هذا الضرب من التخاطب باعثاً لهم على توسيع نطاقه . فبعد ما كانت المخاطبات تجري بين نيويورك ولندن فقط اتسع نطاقها حتى صارت تشمل كل مدن الولايات المتحدة الاميركية وكندا والمكسيك وكوبا من جهة وكل مدن انكلترا الكبيرة وعواصم اوربا من جهة اخرى . وصار التخاطب بين شيكاغو وبرلين أو كوبنهاغن أو فيينا أو باريس امراً مألوفاً . وقرأ المقتطف يذكر ان الطيار لنديبرغ تخاطب مع امه بعيد وصوله الى باريس طائراً من نيويورك وكانت هي في دترويت مدينة تبعد عن نيويورك نحو الف ميل . وقد وصف مدير التلفون في شركة التلفون والتلغراف الاميركية هذا الاتساع

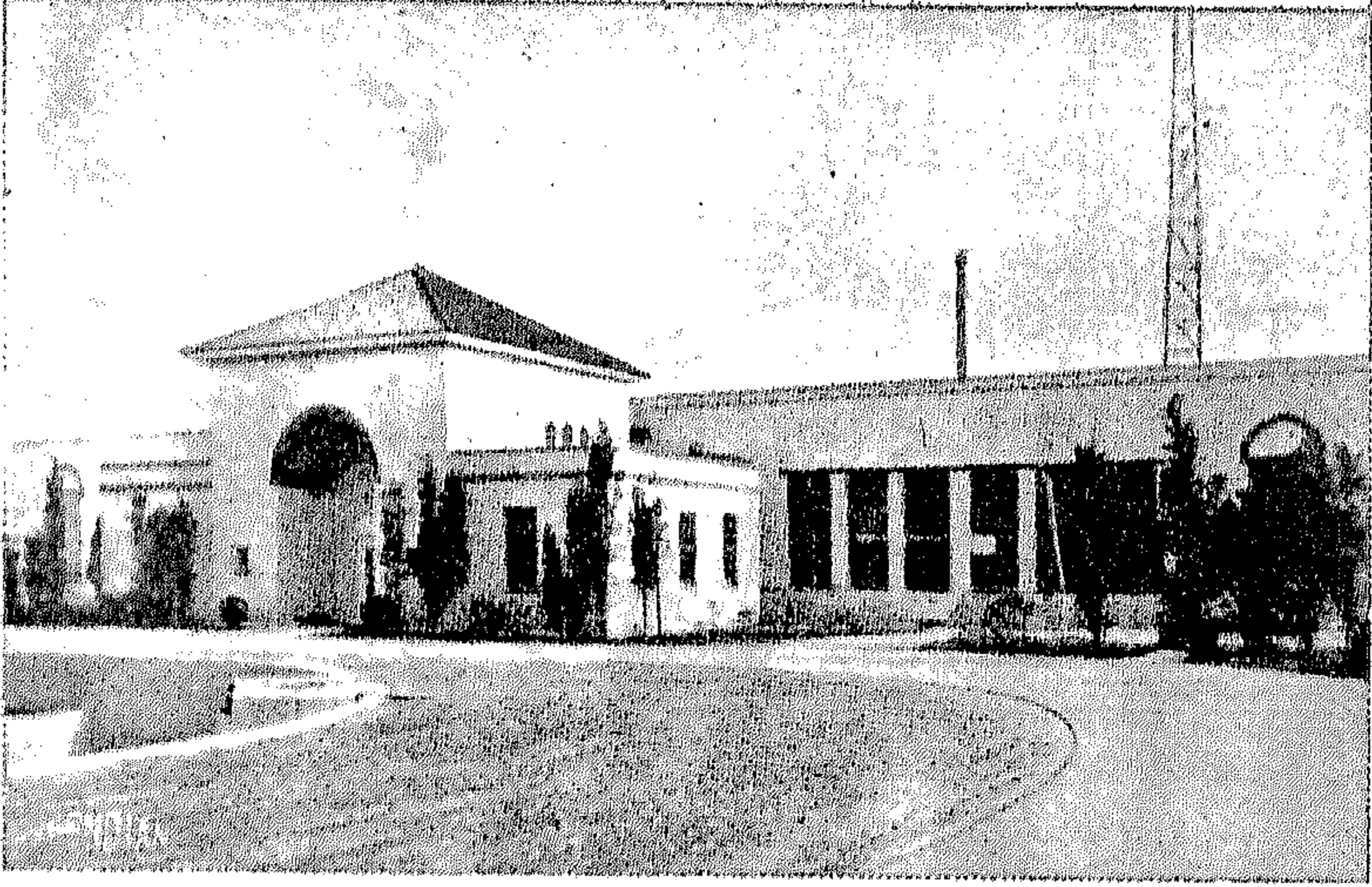
الاعمدة التي تقام لترفع عليها الاسلاك
الهوائية لاذاعة الامواج اللاسلكية



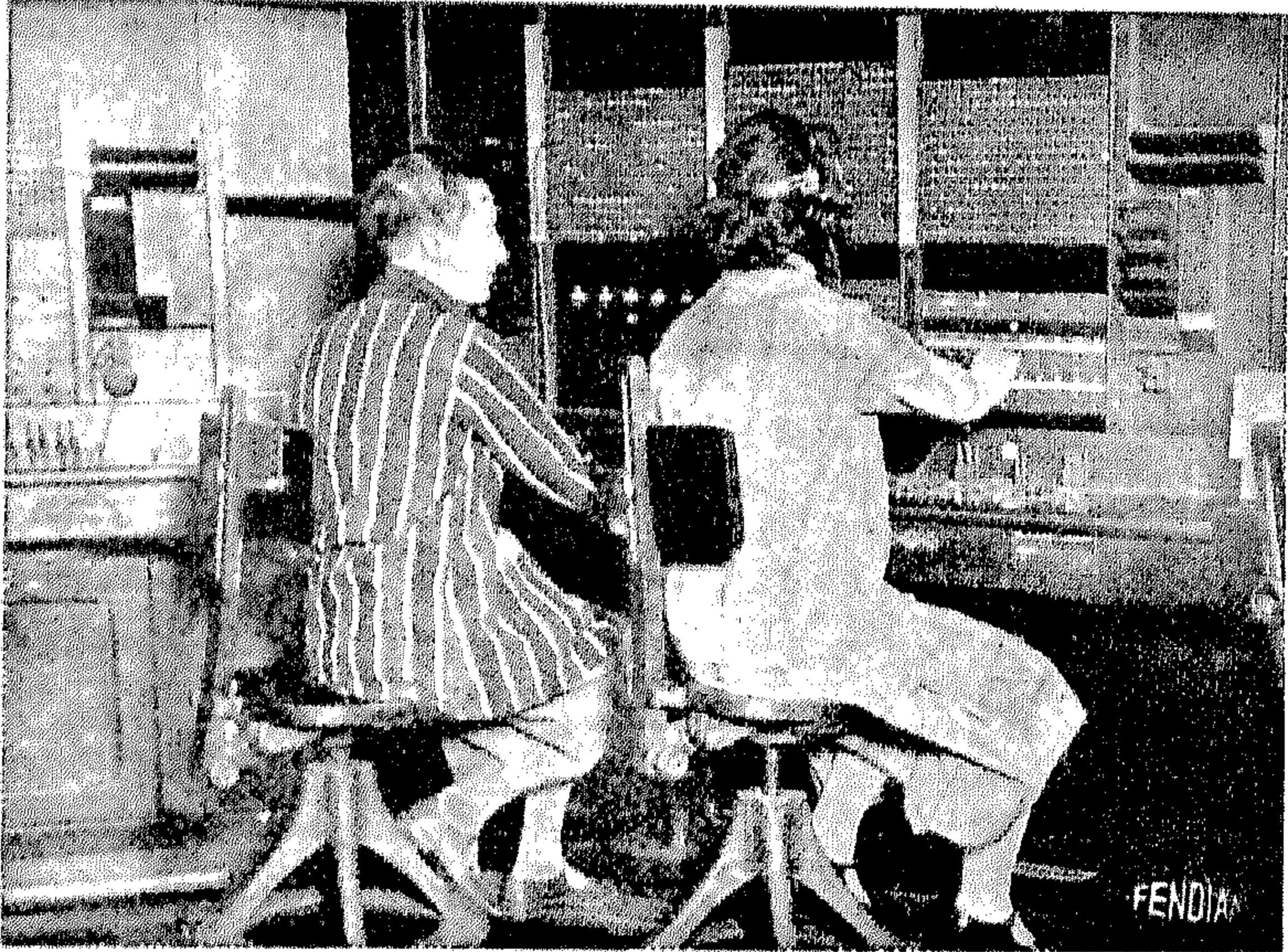
المحطة اللاسلكية المرسلة رُكي بويَنت قرب نيويورك

مقتطف يونيو ١٩٣٢

امام الصفحة ٨٠



محطة ارسال المحادثات التليفونية اللاسلكية قرب نيويورك



مركز (سنترال) التليفون اللاسلكي في مكتب المحادثات البعيدة بلندن
مقتطف يونيو ١٩٣٢
امام الصفحة ٨١

فقال : ان في الولايات المتحدة الاميركية نحو تسعة عشر مليوناً من التلغونات وكل واحد صار يستطيع ان يتصل بأي تلفون من تلفونات العالم القديم وعددها نحو ثمانية وعشرين مليوناً! وقد اتسع هذا النطاق حديثاً حتى شمل القسم الغربي من شمال افريقية — وقريباً يشمل مصر — ومدن اميركا الجنوبية كما عم منذ عهد قريب مدن استراليا

ايدري القارئ ما يعني كل هذا التقدم ؟ انك تستطيع ان تتخاطب وانت جالس في مكتبك أو دارك أو ناديك مع من شئت سواء كان في لندن بانكلترا أو بونس ايرس بالارجنتين أو فينا بالخمسا أو استوكهلم باسوج أو سدن باستراليا أو تونس بالجزائر . وكل هذه المخاطبات على جانب عظيم من الكتمان لان التلغونين اللاسلكي والسلكي يشتركان في ارسالها واذاعتها واستقبالها . فاذا التقطت الامواج الاثيرية سارت على سلك خاص يوصل الكلام الى سماعتك الخاصة وللكتمان جهاز خاص لا يزال امره سرّاً مكتوماً

كيف تجري المخاطبات

هبك في شيكاغو وتريد ان تخاطب صديقاً أو عميلاً لك في فندق سافوي بلندن . فتتناول سماعة تلفونك العادي وتطلب من عاملة التلفون التي تجيبك ان تصلك بالمكتب الخاص بالمخاطبات البعيدة فتقول للعاملة في هذا المكتب اريد ان اخاطب فلاناً في فندق سافوي بلندن . فتفتح الطريق التلفوني امامك الى نيويورك كما تفتح الطريق امامك عاملة التلفون بمصر حين تخاطب الاسكندرية أو بيت المقدس . وحالما تعلم عاملة التلفون في نيويورك انك تود ان تخاطب لندن تحول صوتك الى القسم المختص بذلك في مكتب نيويورك ومنه ينتقل صوتك على اسلاك التلفون السلكي مسافة ٧٢ ميلاً الى المحطة اللاسلكية القائمة في مكان يدعى « رُكي بوينت » على مقربة من مدينة نيويورك . في هذه المحطة يقوَّى الصوت ويتحول الى امواج لاسلكية قوية بواسطة انابيب مفرغة معدة لذلك . ثم يبعث في الاسلاك الهوائية التي يبلغ طولها ميلان ومنها يذاع في الجو امواجاً لاسلكية تجتاز الفضاء بسرعة النور . اي بسرعة ١٨٦ الف ميل في الساعة . على ان هذه الامواج تضعف كثيراً في اجتيازها الفضاء بين اميركا وانكلترا ولكن ما يبقى منها تلتقطه الاسلاك الهوائية في محطة الاستقبال الانكليزية القائمة في بلدة كويار بشمال اسكتلندا وهناك تقوَّى وتحول الامواج اللاسلكية الى تيار تلفوني سلكي عادي وترسل على الاسلاك العادية الى لندن . ومثل كل محادثة تلفونية عادية ينتقل الصوت الى صديقك في فندق سافوي

ولكن حين يردُّ عليك صديقك لا يتبع صوته الطريق التي جاء عليها صوتك . ذلك انه متى رد عليك ينتقل صوته الى السنترال اللندني ومنه لا يرجع الى كوبر حيث التَّقَط صوتك بل يذهب الى سلك تلفوني عادي الى محطة قريبة من لندن تدعى محطة «رجبي» ومنها يذاع امواجاً لاسلكية كما اذيع صوت صديقك من محطة « ركي بوينت » وحين يصل صوتك الى اميركا تلتقطه محطة اخرى في بلدة هولتن بولاية ماين وهناك تقوى امواجه وتبعث الى نيويورك على سلك تلفوني طوله نحو ٦٠٠ ميل ومن نيويورك تنقل الى شيكاغو مثل كل محادثة تلفونية بعيدة المدى

فلدينا اذاً اربع محطات لاسلكية الاولى محطة ركي بوينت ومنها يرسل كلام الاميريكي ومحطة كوبر باسكتلندا التي تلتقط هذا الكلام . ثم هناك محطة رجبي قرب لندن التي ترسل كلام المحدث من فندق ساقوي الى اميركا فتلتقطه المحطة الاميركية التي في هولتن بمان والغريب العجيب في امر هذه المحطات كلها انها بلغت من الدقة والانتظام والسرعة في اذاعة الكلام واستقباله حتى لتشعر وأنت تحدث شخصاً يبعد عنك الالف الاميال وتفصله عنك بحار وقارات كأنه على مقربة منك يحدثك من غرفة مجاورة

غرائب المحادثات

كان عدد الذين استعملوا التلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك يوم افتتاحه الاول ٣٥ شخصاً . ولكن هذا العدد قد تضاعف الآن منذ اتسع نطاق المخاطبات حتى صار يشمل اشهر مدن اوربا واميركا ومنذ خفضت اجورها واستنبطت طريقة لكتابها . فتوسط عدد الذين يستعملون هذه الطريقة من طرق المخاطبات كل يوم سبعون شخصاً ، ستون في المائة منهم يستعملونها لاغراض تجارية ومالية واربعون في المائة لاغراض اجتماعية . وأول صفقة تجارية عقدت بالتلفون اللاسلكي كانت بين شركة انكليزية وشركة اميركية فاشترت الاولى من الثانية مقداراً كبيراً من الخشب

ولما ثبت ان هذه الوسيلة الجديدة من الوسائل التي يصح الاعتماد عليها اقبل الناس عليها اقبالا عظيماً . فعقد مجلس الادارة في احدى الشركات البريطانية جلسة اصغى فيها الى خطبة خطبها رئيسه وهو جالس بمكتب في نيويورك . وعقدت احدى شركات البترول قرضاً قدره خمسة ملايين ريال لاحد فروعها وكانت الرسائل قد عجزت عن ازالة سوء التفاهم الذي نشأ فزاله حديث استغرق بضع دقائق . وعرف رجل بنيويورك ان صديقه له عملت لها عملية في لندن فتكلم مع احد بائعي الازهار وطلب اليه ان يرسل اليها طاقة من الورد . واشترك المستر روزنباخ

الاميركي المشهور بجمع الكتب النادرة بواسطة احد عملائه في مزاد للكتب اقيم في لندن فكان هو يكلم عميله من سريره بنيويورك وعميله يزيد على المعروض ثمناً لكتاب قديم واخيراً دفع ثلاثة آلاف جنيه وفاز به . وتكلم احد ناظمي الاغاني الذائعة مع مغنٍ فاملى عليه اغنية جديدة نظمها ولحنها فدفعت اجرة المحادثة مائة وخمسين من الجنيهات . ولما شاع ان المسهلين ولاعبة التنس المشهورة قد عقدت خطبتها حادتها احد مكاتبي الجرائد الانكليزية من لندن وكانت هي في سان فرانسيسكو فأيدت الخبر

واطول محادثة تلفونية بين لندن ونيويورك استغرقت خمساً وتسعين دقيقة بلغت أجرتها ٢٨٥ جنيهاً ويقال ان المستر دورانت أحد كبار المثرين الاميركيين ومن اكبر المساهمين في شركة جنرال موتورز دفع في اسبوع واحد وهو مصطفى بانكلترا خمسة آلاف من الجنيهات اجرة لمحادثاته التلفونية مع نيويورك . وقد كان الغرض من هذه المحادثات الوقوف على حال السوق المالية في وول ستريت . وفي احد الايام ابتاع وهو جالس بسريره في فندق بلندن ما قيمته مليون ومائتي الف جنيه من الاسهم

وتدير هذه المحادثات عمل شاق . هب ان رجلاً في نيويورك يريد ان يحدث سيدة في لندن في الساعة السادسة مساءً بحسب وقت لندن . فعاملة التلفون في نيويورك تحدث عاملة لندن أولاً وتطلب اليها ان تثبت ان هذه السيدة مستعدة لمخاطبة هذا الرجل في الساعة المعينة فتكلم العاملة السيدة بالتلفون وتخبرها بذلك . فاذا قبلت فيه . واذا تعذر عليها ذلك طلبت اليها ان تعين ميعاداً آخر وتخبر به عاملة نيويورك لترى هل هذا الميعاد يوافق المتكلم من نيويورك وهكذا . اذ لا يخفى ان نجاح هذه المحادثات لا يتم الا اذا خاطب الانسان من يريد مخاطبته . فيقع على مكثي التلفون عناء الجمع بين المتخاطبين على بعد الدار واختلاف الساعة بسبب اختلاف خطوط الطول

وكثيراً ما تضطر عاملات التلفون ان تتعقب الشخص المطلوب تعقب رجال البوليس السري وفي ذلك تحتاج الى أوفر نصيب من طول الناة وسرعة الخاطر

فقد حدث مرة أن طلبت سيدة امريكية في لندن للتحدث مع سيدة اخرى من نيويورك فبحثت عاملة التلفون في الفندق الذي تقيم فيه هذه السيدة فقيل لها انها ذهبت تبتاع ما يلزم لها من شارع ريجنت . فالتصت بكل مخزن من مخازن ريجنت ستريت المشهورة تسأل عنها حتى عثرت عليها وكانت تهم بدفع النقود ثمناً لما ابتاعته فانزعمتها من مكانها وجعلتها تكلم نيويورك من غرفة تلفون في المحل عينه

١٨ سنة فاقم معرض فلادلفيا سنة ١٨٧٨
فعرض فيه الكسندر غراهام بل تلفونه
الاول وتكلم به مع السر وليم طمس (أورد
كلقن بعدئذ) على مسافة قصيرة فدهش السر
وليم لهذا الاستنباط العجيب بعد ما مر به
اولاً مر الكرام . ولكن السلك التلغرافي
والتلفون العادي اجسام ترى وتلمس فما
اعظم الدهشة التي تتولى الناس الآن وهم
يتخاطبون على مسافة آلاف من الاميال من
غير اسلاك في البحر أو على اعمدة في الهواء.
بل وفي الامكان الآن ان يتحدث الرجل

المسافر على باخرة في عرض البحر
أو الممتطي منطاداً محلقاً في الفضاء
الى رجل آخر جالس في مكتبه في
احدى المدن

وادهى من ذلك ان الكومندر
برد الرائد القطبي تمكن من أن يخلق
بطيارته فوق الاصقاع القطبية وفيما هو محلق
بها تمكن من مخاطبة نيويورك مخاطبة تليفونية
وهي على نحو ١٠ آلاف ميل منه . كل ذلك
والاصوات تسمع واضحة ونبرات جلية كل
الجلاء . لقد اصبح انتقال الصوت سريعاً
كانتقال النور وتفوقت الحقيقة على بنات
الخيال . كنا بالامس نستعمل الاشارات للتفاهم
وها نحن اليوم نتخاطب وغداً ننظر بعضنا
بعضاً وجهاً لوجه . فماذا يفصل بين الناس
بعدئذ وعجائب المواصلات والمخاطبات قد
جعلتهم امة واحدة ا



وتعقبت عاملة أخرى رجلاً من باريس
الى انقرس الى مونت كارلو الى برلين . ولما عثرت
على الفندق الذي قيل لها انه يقيم فيه في برلين
طلبت ان تحدثه ففعل لها انه ذهب الى مطعم
كذا لتناول العشاء فعثرت عليه هناك ودعته
الى التحدث مع رجل طلبة من فيلادلفيا .
وطلب مرة أخرى رجل ظهر لدى البحث عنه
في داره انه ذهب الى دار الاوبرا بكوفنت
جاردن بلندن فبحثت عاملة التلفون عن
رقم كرسيه ودعته الى غرفة التلفون في
دار الاوبرا نفسها فتكلم مع شيكاغو .

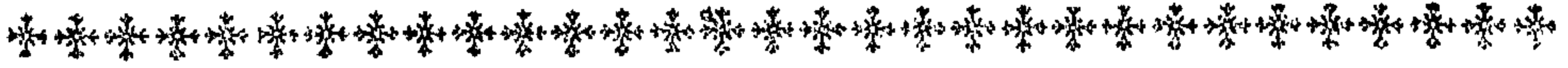
وطلب مرة رجل آخر فبحث عنه
في داره فلم يعثر عليه وبعد البحث
عنه تعقبته عاملة التلفون الى
فوكستون وهو على وشك الاجار
منها الى فرنسا فتكلم مع نيويورك
وما كاد ينتهي حتى كانت السفينة

قد اخذت تقلع من المرفأ فعدا حتى بلغها

منذ نحو سبعين سنة نقل سلك التلغراف
الذي مد في الاقيانوس الاطلنטיكي اول رسالة
تلغرافية ارسلت من اوربا الى امريكا . وكانت
من الملكة فكتوريا الى الرئيس بوكنان
الاميركي وكانت كلماتها تسعين كلمة استغرق
ارسالها نحو ساعة ونصف ساعة فصرح بريط
احد زعماء الاحرار البريطانيين في ذلك العهد
« ان السلك التلغرافي قد قرب العالم الجديد
الى العالم القديم » . وانقضى على تلك الرسالة



انطاكية ومشاهداتها الفاتنة



... ولما استقر بنا النوى ، والقينا عصا التسيار في مدينة انطاكية عاصمة سوريا القديمة ، وانتظم شملنا في تلك الديار ، خرجنا ذات يوم الى شلالات « دفنه » لنستمتع بمشاهداتها الرائعة عند طلوع الفجر

وغدونا مع الطير فاذا جو بارد يلفح الوجه وينسيك انك في اواسط يوليو ، ومضت السيارة بنا حتى بلغنا الشلالات فاذا ضاحية كأحسن ما نعرف من المصايف موقعا ، يشرف عليها الجبل وتجري من تحتها الانهار ، ويتردد فيها هواء خفيف ولكنه ممتلئ حياة ونشاطا ، فاذا انت اقدر ما تكون على الحركة ، واذا انت اقدر ما تكون على التفكير واشوق ما تكون اليه

حيث الضحى متساكب كطلى بكف مشعشع
والجو تملأه نسا لات البروق اللمع
والريح تحضن آخر النغمات تحضن الموضع
وتقصف الاغصان شبه تقصف في اضلعي

وشلالات دفنه زهرة من الزه عند من يشوقه جمال الطبيعة ، فالمياه هنالك تنحدر من قمم الجبال مارة بين الصخور الدهرية ، والهياكل الحجرية التي لم تستطع عناصر السماء ان تمحو نتاة من رؤوسها في جيل من الاجيال

ومضت راحة من الزمن وانا مستلق على العشب المنضد المبسوط انظر في ذهول الى تلك الآكام الصخرية الراقدة في سفح جبل متشامخ نهض متفرعا متسلسلا . ولكنني لم البث ان استيقظت على اغاني الطير فوق الاغصان البعيدة ، فاستويت جالسا وعند ذلك بصرت بنفسني بين مياه تنساب من هنا وهناك بين الصخور ، تحيط بي آكام شاهقة تطاول الفضاء ، وانا في وادي يجري شرقا وغربا ، ممتلئا نورا ، نور الصباح الزاهر ومشرق الشمس الضاحية ، ثم لاح لي وديان اخرى عظيمة كاختها ، وراء المياه المنسابة المتدفقة ، وفي منحدر هنالك وجدت طريقا ضيقا تتساقط عنده رشاشات الماء ، فعدلت اليه ومضيت فيه وبلغت بعده الى آكام اخرى معزلة صغيرة ، فتسلقتها واذا بي في سفح منحدر فرعت عنده الاشجار ، وطالت الدوح ، وأينعت الاغصان ، فهبطت موليا وجهي شطر الوادي ، اذ رأيتة قد تفتح على مراعي ناضرة ، وقد وقفت الشمس المشرقة عن مواجهة الوادي ، وتبددت في جوف الفضاء اغنيات

الطير . يا لله ما أروع وما أبدع هذه المشاهد ! فالآكام والوديان مرعى انضر ازهر ، ريان منتعش ، تشرق فيه ازهار حلوة تدل على مهارة في الزرع ، وحذق غريب في الحرث والحصد ، وحول هذه الاودية اسوار عالية من الصخور ، وغدير تنساب مياهه في قطع المرعى واجزاء الحقل ، وفي الربى العالية تمرح الماشية وترعى على مقربة من اعطان لها ومرابط

وكنت كيفما سرت وانسى اتجهت ارى جماعة من النساء والرجال وجلسهم من سكان حلب وغيرها قصدوا الى هنا للاصطياف جاوساً وجثوماً على اكداس من العشب كأنهم يتقيلون في ابعد حدود المرعى وعلى مقربة منهم طائفة من اطفال الفلاحين وقوفاً متكاسلين ينتظرون البقشيش . ويمشون بعضهم في اثر بعض مشية رفيقة بطيئة وفي كل خطوة يتشاءبون كقوم اقاموا الليل سهراً وسمراً وقد قضيت وصحي النهار كله جرياً ووثباً في احضان تلك الطبيعة المشرقة الضاحكة ادور في جلال الربى والجبال ، وانقل عيني بين محاسن الكون ومباهيه ، واتأمل حمرة الشفق المترامية فوق الربى البعيدة ، والمراعي الخضراء مرخياً العنان لخواطري ، مسترسلاً في تفكيري حتى اخذ الهواء يبرد والظلام يعم الكون . وعدنا بعد ذلك الى المدينة وكانت اشعة القمر الحلوة قد بدأت متلائة في جلال ووقار وضيأة المزهرة الباهر قد غمر الربى والوديان

وبعد ان صرفت اسبوعاً كاملاً في انطاكية قمت برحلة الى « بتياس » فركبت سيارة اقلتني لها بعد ان اجتازت في طريقها سهولاً منبسطة لا ينحط النظر على مشهد أروع منها ولا أبدع وبعد ان تسلقت جبلاً خضراء مزهرة ، يداعبها النسيم المعطر بشذي الرياحين ، تمتد على جانبيها سهول مترامية تتخللها جداول بهية المنظر

وتقوم بتياس على مرتفع الف وخمسمائة متر من البحر ، وترقد في ظل خمائل فاتنة على خير الجداول المناسبة بين الربى والبساتين ، تكتنفها جبال لا تكاد العين تتبين قممها لشموخها ، وأمامها واد ممتد تقوم على اكتافه من الناحية المقابلة قرية « حاجي جبلي » مترامية بين غدران مناسبة من هنا وهناك ، وقد استغرقت الطريق من انطاكية الى بتياس ساعة من الزمن وفي بتياس فندق جميل الموقع . وقد رأيته غاصاً بالمصطافين وجلسهم من اهالي حلب الشهباء ، وفيها مقاه بديعة تشرف على الوديان والسهول ، وترقد في ظل اشجار ساجية ملتفة . وكان بين اصدقائي نفر من الادباء الطرفاء يميلون الى الغناء ويتعشقون قصائد شوقي التي ترم بها الاستاذ عبد الوهاب ، فطلبنا الى صاحب المقهى — وهو ارمني — ان يسمعنا شيئاً من اغاني عبد الوهاب ففعل ، وكذلك طربنا في رؤوس الجبال وفي القرى الارمنية النائية بشعر شوقي ، وسمعنا عبد الوهاب ينشد على لسان المجنون « تلفتت ظبية الوادي . . » وسمعناه ينشد كذلك

على لسان انطونيو « الحياة الحب والحب الحياة » وهكذا قضينا يومنا على خير ما يكون وقد اسلطنا الى ينبوع في اعلى الاكمة المقابلة يتفجر من شق صخرة عظيمة ، وشاهدنا

في مكان معتزل قصي الى يمين هذا ينبوع حيث النرجس البهي ، والزنبق المفراح ، بقايا كنيسة قديمة يرجع بناؤها الى عهد الرومانيين ، ولما اخذت الشمس تهوي في اعماق المغرب غادرنا بتياس الى انطاكية

ولما كان الغد قمنا الى قرية « خدرباك » وكان الصباح الزاهي ينشر في الكون ، ويبسط كالملائكة اجنحته الهفافة ، فبلغناها في ساعة ونصف ، وهي قرية جميلة قائمة على هضبة تمتد امتداداً مستطيلاً حتى تعترضها هضبة ثانية تقوم على اكتافها قرية « يوغون اولوق » وقد نزلنا عند ينبوع مياه غزيرة في منخفض من الارض عند مدخل خدرباك ، وهناك توسدنا العشب الاخضر المزهر الذي يحف بجوانب ينبوع ، وأخذنا نرتشف المياه العذبة الباردة ثم اكلنا هنيئاً وشربنا مريئاً ، وعند الاصيل غادرنا خدرباك في ركب حافل الى السويدية فبلغناها في مدى عشرين دقيقة . والسويدية قرية كبيرة تحتوي على مزارع واسعة فيها الذن انواع الفاكهة ، وهي ممتازة بتربية دود القز وفيها معامل كبرى للحرير ، وبعد ان اقمنا فيها برهة قصيرة انحدرنا الى شاطئ البحر وجلسنا في مقهى صغير الى جانب مزار « الخضر » وهو مزار قديم يحج اليه طوائف الناس من القرى النائية وينذرون له النذور ويقدمون القرابين . واستطعنا هناك ان نشهد الشمس تسحب ذيولها الشفافة وراء الافق الارجواني منصتين الى هدير الامواج المتلاطمة الصخابة الداوية ، وهي تغسل اقدام « الجبل الاقرع » المشرف على سلسلة منتظمة من الالكات الرمادية اللون

وفي المساء عدنا الى انطاكية مجتازين تلك المزارع الواسعة والخصائل الجميلة التي يتأرجح منها عرف طيب كعرف اللبان

وبعد هدنة قصيرة الامد قمت في نفر من الاهل الى « اليايلا » وهي مزرعة بديدة تنهض على هضبات عالية تشرف على بسيط من الارض مكسو بالاعشاب السندسية ، وفيها ينبوع ماء عذب ينبجس من الصخر ، وقد استقبلنا في خمائيل تلك المزرعة نفر من المعارف ، وبعد ان استرحنا طفنا بين المزارع النضرة وفي بهرة الحقول الصامتة الساكنة ، ثم عدنا نلتهم صنوف الطعام اللذيذ ، ونحن جلوس الى مائدة مستطيلة تحت الاشجار الساجية

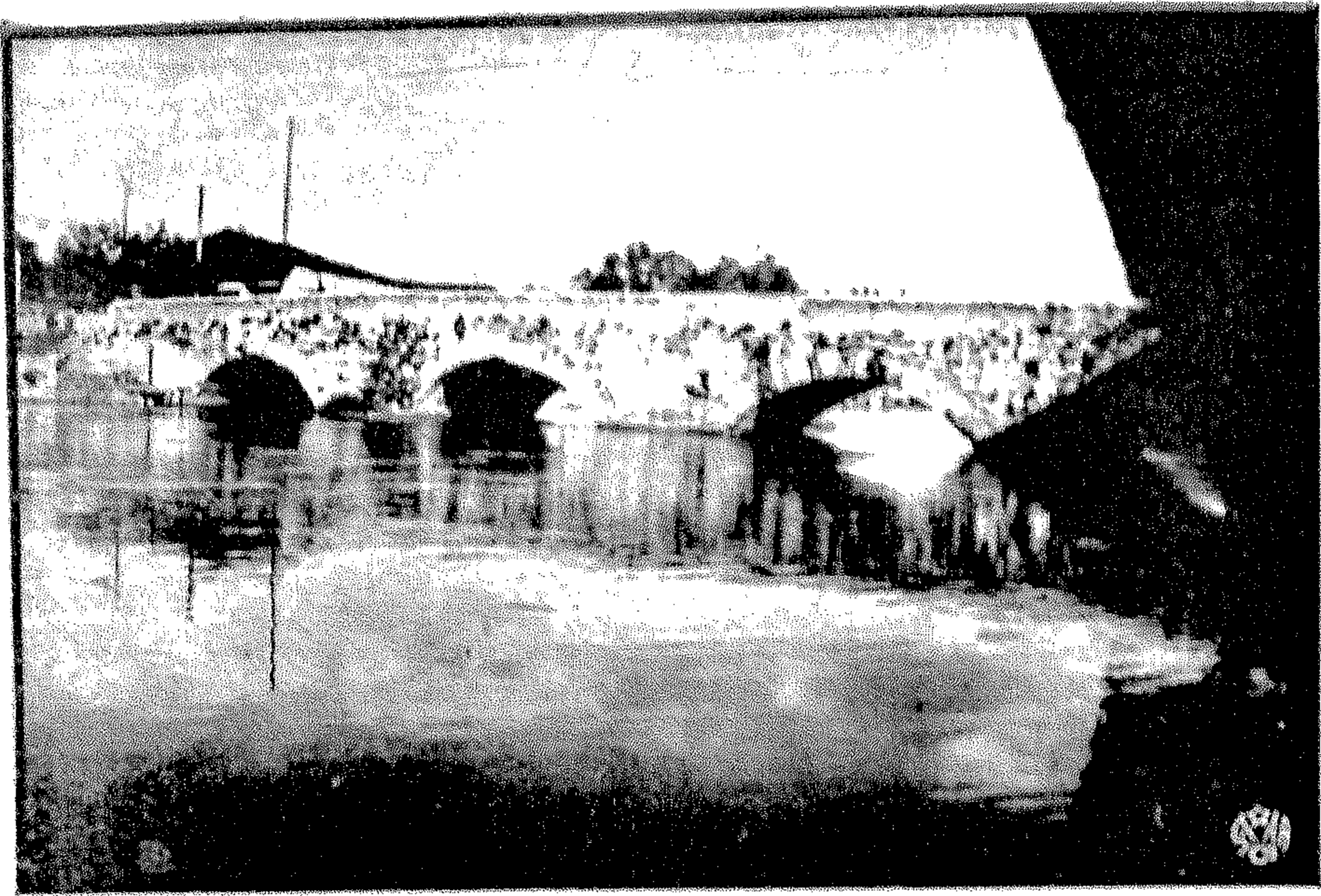
وعند الاصيل غادرنا « اليايلا » الى « الاوردو » فاجتازنا في طريقنا الصخرية غابات الصنوبر ، واحراج السرو والشرين يفوح منها شذى طيب يمتزج برائحة الصخور والتراب منصتين الى زقزقة العصافير ورجع اسراب القمرى والجبال وهي تأوى الى اعشاشها وراء مكسر الصخور وقد قضينا ليلتنا في « الاوردو » فوق سطح منزل من المنازل الممتازة لقوم كرام ، وشهدنا القمر بازغاً من وراء الجبال مشرقاً متهللاً ، هذا ونسائم الليل الفاترة العليقة تهب حاملة من مجامير الحقول والاوادية رائحة عطرية زكية ، وشاهدنا في الصباح مراعي « الاوردو »

الخصيبة تنساب اليها الماشية وقد اخذ الراعي يترنم بمزمارة الشجي ويرتل اناشيد قروية مطربة. على ان السيد « نوري » أبى الا ان نواصل السير في الطريق الجبلية المؤدية الى اللاذقية ففعلت على مضض ، وما كادت السيارة تبتعد بنا قليلاً حتى رأيت ان الحق في جانبه ، وان جولتنا في هذه الطريق الجبلية جولة رائعة ، فقد شاهدنا محاسن فاتنة ، لا تقع العين على اروع منها ولا أفن ، فهذه مناظر الربى والآكام المزهرة ، والوديان السحيقة المخضرة ، وغابات الصنوبر وكروم الزيتون ، وحقول التوت ، وزرقة البحر الصافية التي تتراءى من بعيد ، والمغاور الصغيرة المنبثقة من اصلاب الصخور ، كل هذه المفاتن والمباهج كانت تبدو لنا في لمحة عين فلننتفت يمنة ويسرة مذهولين مأخوذين كأننا في حلم رائع جميل . على اننا ما عتشنا ان عدنا الى الاوردو لنجتمع بافراد عائلتنا الذين صحبونا في رحلتنا ونتناول معهم طعام الغداء

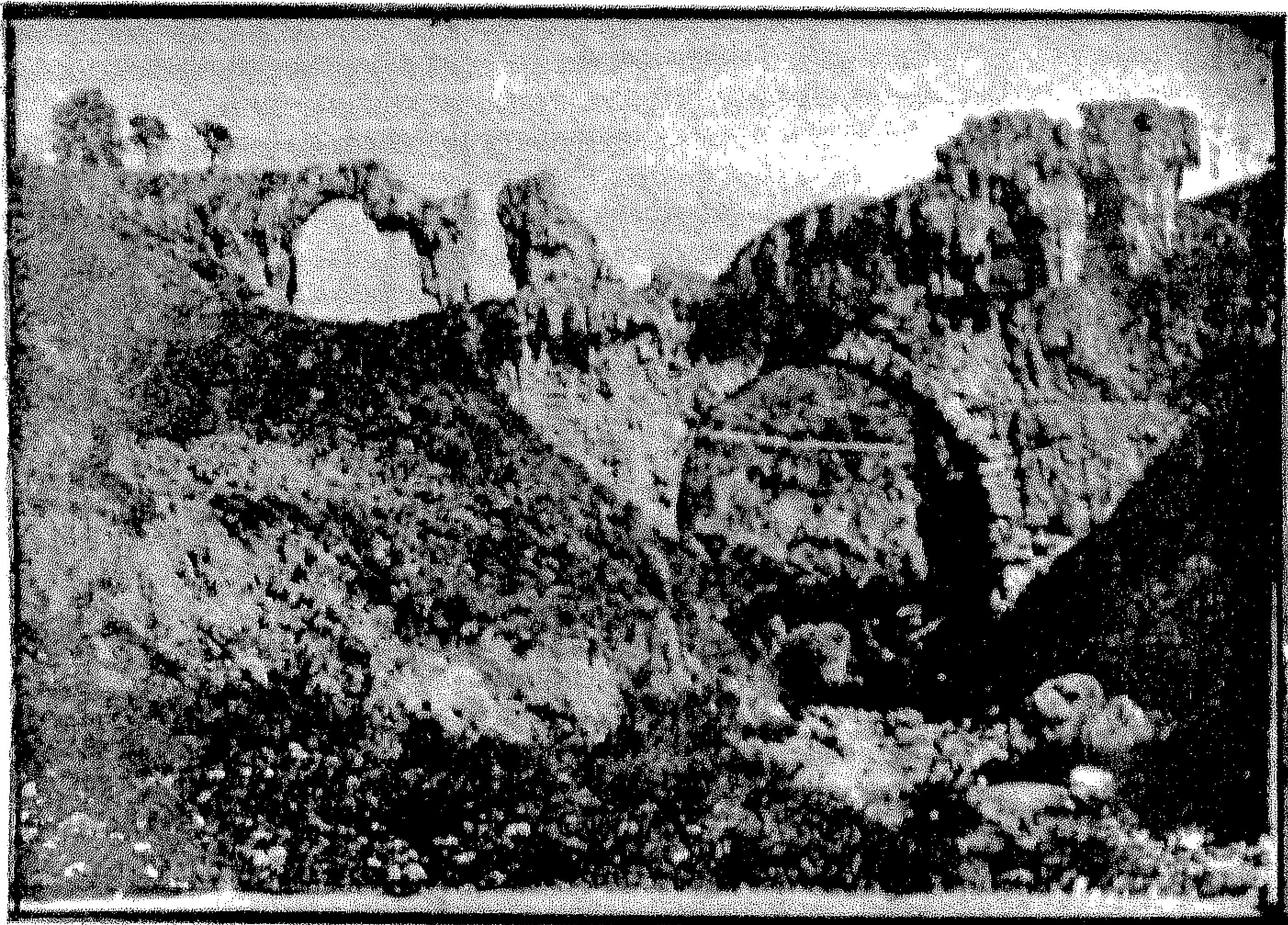
وعند الاصيل اخذنا نتسّم الروابي النضرة القائمة قبالة الاوردو ونستمتع بجمال الطبيعة الفاتنة ، ثم ركبنا سيارة اقلتنا الى كسب « بعد ان اجتزنا طريقاً وعرة تكتنفها من الجانبين آكام صخرية ، وقد لبثت السيارة نحو اربعين دقيقة تارة تنحدر وطوراً ترتفع نافذة من بين الربى والجبال ، منزلجة مع المنحدرات هاوية ، وتقوم قرية كسب على مرتفع النى متر من البحر وهي ابداع قرى تلك الضاحية وأنخم مصايفها بلا منازع

وعند وصولنا الى كسب ترجلنا واخذنا نمشي في طرق ضيقة بين المزارع ، حتى وصلنا الى مرتفع يشرف على القمرية بأكملها ، تنهض حوله كنيسة أثرية جميلة لآخوة القبر المقدس ، وقد طمنا ارجاء هذه الكنيسة صحبة قسٍ اصبنا فيه رجلاً حديثاً ظريف المحاضرة له مشاركة في كثير من العلوم والآداب ، وشهدنا ونحن نطوف بناء جميلاً للمدرسة توشك ان تتم ، واهل كسب كلهم من الارمن وهم اقوياء متعلمون . ولهم بعثات علمية يوفدونها كل عام الى بيروت وعينتاب ، وفلاحوها مهرة نشيطون ، وهم يعيشون كسائر اهل القرى المجاورة عيشة سهلة دئبة ، لهم كل احوال السعادة والفضيلة كما تفهم نحن من هاتين الكلمتين ، فهم يعملون ولكنهم لا يحملون في العمل على انفسهم ولا يتعسفون ، عندهم طعامهم ولباسهم على قدر الحاجة وجهد الطاقة ، لهم ايام وفصول فيها يستريحون وفيها يتعبون

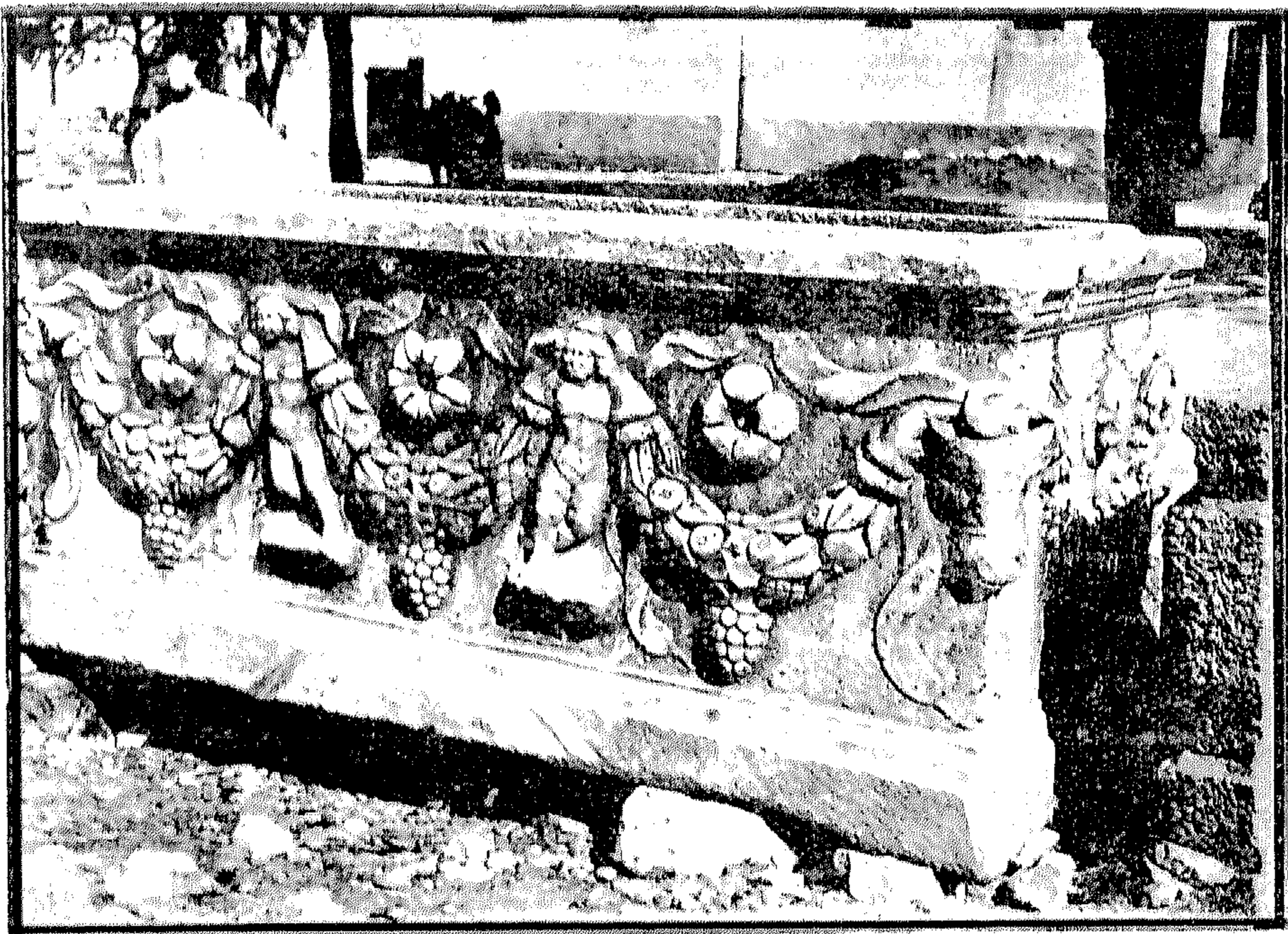
وقد دار بيني وبين قس الكنيسة حديث ابدت فيه دهشتي من اعتزال هذه الطائفة الكبيرة من الناس في هذا المعتزل القصي البعيد عن العالم المصطخب فقال : هذه المحاسن الفاتنة ، والمباهي الساحرة ، هذه الازاهر الجميلة ، هذه النرجسات ، وتلك الزنبقات ، والسماء وسجائها الوطفاء ، ومغارب الشمس ومطالع الغزالة ، ومتألق النجوم ، ودري الكواكب ، لما يسحر ويفتن . فهل بالله رأيت عيشاً اطيب من هذا العيش ؟ ماذا في المدن الكبرى التي منها اتيت



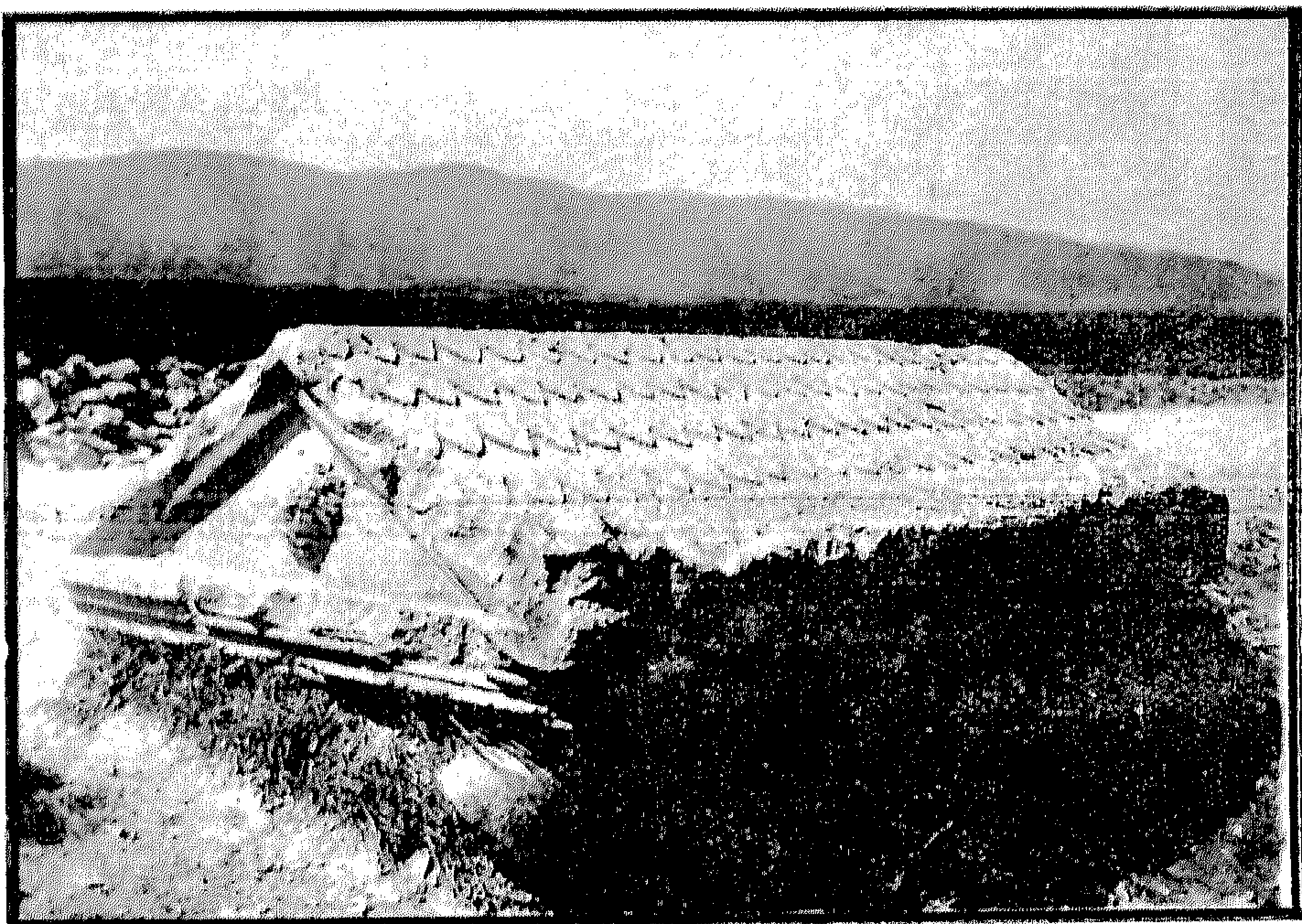
جسر روماني على نهر العاصي عند مدخل انطاكية



بقايا من قناة الامبراطور الروماني تراجان وكانت تجري عليها مياه دفنه الى انطاكية



ناوس روماني محفوظ في دار الحكومة بانطاكية



غطاء الناوس قبل نقله الى دار الحكومة

غير الضجيج والجلبة والزحام والتناحر من اجل الحياة ومطالب العيش . ان الناس هنا يرون ان قريتهم هذه الهادئة الجميلة هي العالم بأسره ، أما الانسانية التي تعيش وراء هذه الجبال فهي عندهم خرافة !

لقد صدق والله هذا الشيخ ، هنا في بهرة الحقول الصامتة ، وفي وسط الجمائل النضرة ، وفي احضان الطبيعة المشرقة الضاحكة يحلو للمرء ان يعيش عدت اسأل الشيخ : وكيف تقضي نهارك ؟

اجاب : « في رحلات هنا وهناك ، وسط الطبيعة الضاحكة ، حتى اذا عدت ادراجي عند المغيب منحدرأ مقانصي المتجافية النائية اروح اقص على زميلي القس . . . حديث يومي وخبري ويتلو علي هو وقائع نهاره ونباه ، ويحدثني كيف اب يماماتنا تقفت البيض تحت اجنحتها ، وكم أعطت العنزة من لبنها ، وكم من السمكات اصطادت حبائله ، ثم يأخذني فيريني ما جمع من اوراق الطحلبات واغصانها ، وما ركم من غشاء الاشجار ولحائها ، يخزنه قبل وفدة الشتاء وقرسة الزمهرير ، وما اقتطف من اب الغابة وفاكهتها ، وما شاك اصابعه الدامية من ابرها واشواكها ، وما مد ولوى من دوالي الكروم وعواسج اللبلاب ، فوق جوانب المغارة وجدرانها ، وما امسك من العصافير بمخادعتها بالحبوب ومداعبتها ، والظباء الجائعة يلقطها الحب بيده ويؤكلها ، لان كل شركائنا في عزلتنا ظباء الجبل وابائها ، وعصافير الغابة واطيارها ، تتسابق عند رؤيتنا ، وتجتمع لمطلعنا ، وتطير على صوتنا ومشيتنا ، ونحن نأكل ما نصيبه في نهارنا ، تحلو لنا الألبان وتوافه الطعام وتطيب ، ونلتهم بعدها غرائب الفاكهة ونوادير الثمر ، وحيناً نشرب ماءها ، ونوثر عانيها عصيرها ، ونخزن للفصل المحتضر ما تجفف الشمس ويحفظ الزمن ، وينوه احداً بفكرة اخيه ويصفق لمبتكره ، ويظفر لاملوحته ، نقتل المساء المتطاول في النادرة ، والضحكة الحلوة في اعقاب الضحكة ، وحيناً نشهد القمر في صميم الليل بازغاً متهللاً ، ساطعاً على صفحة الارض منبسطة ، فنسجد فوق الصخر الأصم خاشعين ضارعين ، نستقبل مطلع ذلك النور ، ونتألق من ذلك الضياء ، نشكر الله اليوم الذي اعطانا ، ونحمد له الليلة التي وهبنا ، ونسأله الشمس تطلع علينا بالغد الهنيء والايام الحلوة الرغيدة .

« كذلك نختم يومنا ، نمضي في سلام نهجع في رفق ، حتى يصدح صوت الذي يصحو قبل رفيقه مع نشأه القنبرة ، ويمتزج باغاني البلبل ، فيطرب اذن صاحبه ، ويوقظه من هجته » مددت يدي للقس الشيخ وهزرت يده بحرارة واعجاب ، وعدت مع اهلي واصدقائي الى انطاكية مارين بين المزارع الخضراء موقنين ان عشاق الاصطياف سيكتشفون بعد قليل من الزمن في هذا الفردوس الارضي خير مصطفى . . . نقولا شكري

بريان

== تمة مقالة اميل لدوغ ==

اخذت شهرة بريان العالمية في خدمة السلام تذييع من نحو خمس سنوات او ست فقط ، مع انه كان قد انقضى عليه خمسون سنة وهو يدعو الناس الى السلام والتساهل ونبذ التعصب القومي. ومع ذلك فليس هو مبدع ميثاق لوكارنو ولا خالق فكرة الاتحاد الاوربي. وانما كان في السياسة العالمية مثل اديفن في ميدان الاستنباط ، يتناول المسائل كما هي ويعالجها بحماسة نادرة وكثير من بعد النظر وسعة الخيال حتى اصبح اسمه مرادفاً « للسلام » . ذلك انه لما حذفت الضمانة الانكليزية الاميركية لسلامة فرنسا من معاهدة فرساي ، لشدة معارضة مجلس الامة الاميركي ، اخذ رجال السياسة في فرنسا ، وبريان في طليعتهم ، يسعون سعياً حثيثاً لابتداع بدل لها . فلما التأم مؤتمر « كان » سنة ١٩٢٢ حاول بريان ان يستميل بريطانيا لضمانة سلامة فرنسا لقاء تساهل في موضوع التعويضات الحربية المطلوبة من المانيا ، فعارضه في ذلك بوانكاره معارضة شديدة ، فعاد الى باريس والتي خطبة في مجلس النواب محاولاً ان يسوِّغ بها عمله ، وكان الصق اصدقائه به لا يدرون هل يستقيل او لا يستقيل . وكان في اثناء اللقاء الخطبة يراقب النواب في روحاتهم وغدواتهم ، ويتبين نياتهم في ملاحظتهم ، ويصغي الى تصنيفهم القاتر فانهى خطبته بهذه العبارة المفاجئة : « كل هذا كان برنامجي . واذا رى انه لم ينل موافقتكم فاني مستقيل » ولما عاد فتقلد زمام الحكم في سنة ١٩٢٥ وجد بين اوراق سلفه « هريو » وثيقة المانية كان قد مضى عليها شهور وفيها مشروع ميثاق بين المانيا وفرنسا وبلجيكا وايطاليا تضمن بموجبه سلامة فرنسا ومانيا من اي هجوم على احدهما . وكان الميثاق تاماً من جميع وجوهه ، فاخذه الى لوكارنو واقنع الدول بقبوله . والطريقة التي جرى عليها في لوكارنو حديثاً وسلوكاً كسبت له من جماهير الناس اسم « الفرنسي المسالم العظيم » . ولم يكن سبب فوزه الشعور الانساني الذي يساور المفاوض اذ يسمعه يقول « انا » في حين ان السر اوستن تشمبرلين لا يستطيع الا ان يقول « حكومة جلالة الملك » بل كان عطفه وانطلاقه الصحيح من القيود التي تكبل العقل وتضييق افق النظر . ففي بلدة اسكونا التي اقطعها قال بريان مرة لمستشار الماني « انت الماني وانا فرنسي . وعلى ذلك فلا بد من اختلافنا . ولكنني استطيع ان اكون فرنسيًا واوربيًا محبًا لصالح اوربا في آن واحد . وانت تستطيع ان تكون المانيًا واوربيًا محبًا لصالح اوربا في آن واحد . ولا يصعب على اوربيين يحبان صالح اوربا ان يتفقا »

لقد انقضى علينا نحن اليكتساب والشعراء الحتمى على ضفتي نهر الرين احدى عشرة سنة ونحن نقول الكلام نفسه فلم يجرؤ رجل من رجال السياسة على الاعراب عن شعورنا حتى فعل ذلك بريان . من ذلك اليوم ، اتسعت آفاق عطفه فلما عقد اتفاق لوكارنو ، اكتشف لغة جديدة اذ قال : « لقد تكلمنا لغة اوربية ، وهي لغة جديدة يجب ان نتعلمها » ولما عاد الى باريز حاملاً غصن السلام في يديه ، وخرجت باريس تستقبله قال لمن حوله على المحطة « لقد استعدت صباي » ا

ألا يتضح كيف اقبل بريان ، وهو شيخ عدا الستين ، على فكرة السلام ، يكافح في سبيلها كفاح الاحداث المتحمسين لها المتعصبين في سبيلها ، كفاحاً لم يرَ اصدقاءه ما يمثله في اي دور من ادوار حياته السياسية ؟ انه بعد تنقله السياسي بين الحكومات الفرنسية ، وبعد ما قضى ساعات وحيداً يقذف زورقه الصغير ويصيد الاسماك من الأنهار والجداول ، ويبحث في قرارات ضميره متأملاً ما صارت اليه احلام شبابه ، اكتشف اخيراً العبارة التي تتسق وحياته ، وعزم ان يدافع عن الفكرة التي تحتويها بكل ما له من المكانة ، في فرنسا ووراء حدودها ، عازماً ان يحقق ما كان يدعو اليه في صباه . اصغ اليه وقد ارتقى المنبر في مجلس الشيوخ يدافع عن سياسته في لوكارنو قال : - « ما هذا ؟ اخالدة هذه الحال ؟ اخالدة ! يجب علينا ان نخاف دوماً نشوب حرب بين فرنسا والمانيا ؟ يجب على هاتين الامتين ان تفكرا دوماً في السلاح والتسلح ، سرّاً او جهاراً ؟ حروب جديدة ... اهذا ما تدعونه مستقبلاً ؟ اذهبوا الى مدنكم ، وسيروا في شوارعها ، وزوروا الناس في بيوتهم ، وتحدثوا الى الفلاحين ، فكل انسان في كل مسلك من مسالك الحياة يطلب السلام »

ولما امضى اتفاق لوكارنو في لندن قرأ بريان ، والانفعال بادٍ في اساريره ، رسالة وردته من والدته جاء فيها « اسمح لوالدة ان تتمنى لك خيراً . لانني الآن استطيع ان انظر الى اولادي من دون ان يعرفوني الهلع . واخيراً استطيع ان احبهم حباً يكمله التأكد من سلامتهم » . وتلا ذلك مناقشات في مجلس الشيوخ ولجانه فاضطر بريان الكسول المترخي ان يقضي ٣٦ ساعة من دون انقطاع تقريباً ، يدافع عن نفسه . وفي صباح احد الايام ، اذ علم ان ثمة محاولة لقلب وزارته اعتلى المنبر ، وقال : « لم انظر في حياتي نظرة الجزع الى ذلك الباب . اما اليوم فاني اتمسك بالسلطة بكل قواي . فاذا خذلتوني اليوم انزلتم بالبلاد كارثة » . فكان في صوته رنة رسول . وابرم المجلسان الاتفاق فلما آن الاوان لانتظام المانيا في سلك جمعية الامم سنة ١٩٣٦ ظهرت في الصحف الوطنية الفرنسية مقالات كلها تهديد ووعيد لبريان . واذا كان نائماً في عربة القطار الذي اقلته الى جنيف ، حدث اصطدام فتكسر زجاج نافذة ، فظن الناس ان مجرماً يحاول اغتيال الرئيس ، ولكن القطار لم يقف ، وفي الصباح التالي ثبت ان بعض تمضبان الحديد الناتئة من عربة شحن صدمت القطار وكسرت الزجاج . كل راكبي القطار خرجوا في ملابس نومهم مدعورين يسألون

ما اخبّر الا بريان ، فانه لما وصل الى جنيف سأل عما حدث بالامس . ذلك انه كان ذاهباً لتأدية رسالة خير لا يخشى فيها خوفاً ولا لوماً . وبعد بضعة ايام ، وقف على منبر جمعية الامم في جنيف وخطب قائلاً : « لقد قضينا على الحرب بيننا ونزعنا الوشاحات السود وازلنا بواعث الالم . ولن نسمح بعد اليوم بان يكون سفك الدماء حاكماً فاصلاً في ما نختلف عليه . لنا الآن قاض يحكم بالعدل . ابعادوا المدافع . افسحوا المجال للتفاهم والتحكيم والسلام »

وبعد بضعة أيام تناول بريان وشترزمان طعام الافطار في بلدة «تواري» على مقربة من جنيف فكانت كلمات بريان الساذجة وأخلاصه الجهم لقضية السلام سبباً لنزول هذا الاجتماع البسيط بين الاجتماعات السياسية الخطيرة في تاريخ اوربا بعد الحرب . هنا اجتمع رجالان سياسيان من امتين متعاديتين ، فجعللا يتحدثان كأنهما شاعران ملهمان محلّقان فوق الغيوم ، يحاولان ان يقتنعا بان حسن النية وصفائها يذللان كل العقبات . ومن الغريب ان ترى رجلين كبريان وشترزمان يختلفان نشأة وطبعاً واختلافهما مظهرأً ووطنأً ، يستطيعان ان يصلا الى تفاهم ما - وهو ما كان يحسب مستحيلاً . ولكن خيالهما حول كلا منهما من سياسي عادي ورفعهما الى مستوى رجال السياسة البناءة . فسرت ، على أثر اجتماعهما ، هزة في شعوب ، اوربا ، اذ تبينت شعاعة من النور يبعثها في نفوس الناس ، خيال رجل فرد

بعيد ذلك عقد مؤتمر لمشو هي رجال الحرب فاجتمع مندوبون من كل الامم في جنيف وقاموا بمظاهرة سلمية دعابة للسلام ، فاقرب رجل اعمى واكتع من بريان وخاطبه قائلاً . « ياسيدي . لا تقف عند حد في عمالك . ان اربعة ملايين من الرجال بكم لا يستطيعون الكلام . وانا هنا واقف اتكلم باسمهم . امض في عمالك يا سيدي » . ولما سمعت بريان يروي هذه القصة ، رأيت الذكرى تبسط القتام على وجهه ثم تلاأت عيناه بشراً وطفح وجهه بالنور

وليس هنا مجال البعث في «عهد كيلوغ بريان» ومشروع «الولايات المتحدة الاوربية» وانما يريد ان نقول ان بريان كان السياسي الاوربي الاول في المائة سنة الماضية الذي تجرأ وهو في منصب رسمي ان يقول ما فاه به من منبر جمعية الامم في خريف سنة ١٩٣٠ «ما زلت احمل تبعه شؤون بلادي ففرنسا لن تشهر حرباً » . فقامت عليه قيامة الصحف الوطنية المتطرفة تحاول خذله في مجلس النواب ولكن قوله هذا في نظري اشبه شيء بدرة من درر « مرقص اوريليوس » الامبراطور الفيلسوف هل اراد بريان ان يكون رئيساً للجمهورية ؟ لما اشار عليه بعض اصدقائه بترشيح نفسه لا نتخاب الرأسة ، اعترضت ، طائفة كبيرة من احرار الفرنسيين لان فرنسا لم تنتخب للرأسة في خلال الستين سنة السابقة رجالاً سياسياً من الطبقة الاولى . اما الرئيس برييه - وهو من اقدر الرؤساء الذين تولوا المنصب في تلك الفترة - فتخلّى عن المنصب قبل انتهاء المدة . واما بوانكاره فقال لدى خروجه من الاليزه « لقد اضعت سبع سنوات » . لذلك لم يشأ الفرنسيون

ان يروا بريان السياسي العامل منزوياً في الاليزه معتزلاً السياسة السلمية المقترنة باسمه
ولكنه بعد ما رفض ان يتقدم لانتخاب الرأسة ، مال الى الاخذ بما سمعه من اصدقائه ،
لما رأوا ما اعترى نفوذه من الضعف في مجلس النواب فظنوا ان سبع سنوات في مرفأ الرأسة
الامين تحفظه من مخاطر العاصفة التي يندر بها الجو السياسي

ولم يخطر لاحد حينئذ ان يشك في امكان فوزه . الم يكن اشهر الفرنسيين واحبهم الى
الناس . الم يشعر في مساعيه السامية بأن الامة تؤيده من اقصاها الى اقصاها ؟ ماذا يستطيع
محترفو السياسة ان يفعلوا في وجه تأييد كهذا التأييد ؟ لذلك اقتنع بريان بقول المريرين
ولم تأخذه ريبة ما في انتخابه . ومع شدة معرفته بالطبيعة البشرية ، وفهمه للتيارات السياسية
في المجلس الفرنسي ، لم يدرك ان الغيرة منه كانت الباعث على ما وجه اليه من الطعن والثلث
في الصحف . ولا تنس ان الشعب الفرنسي لا ينتخب الرئيس ، بل النواب والشيوخ . وفي هذا
يذكرنا بريان ببسمارك ، فان بسمارك لم يكن يعتقد قط ان امبراطوراً من اسرة هوهنزورن
كائناً من كان يبعده عن كرسي الحكم وقد قضى ثلاثين سنة في خدمة بلاده وامبراطوره

فلما انتخب دومر بدا للناس الذين يرقبون فرنسا كأن فرصة سانحة لخدمة قضية السلم قد
ضاعت . وكان فرنسا قد خذلت « رسل السلام » فيها

على ان بريان لم يستقيل من منصبه كوزير للخارجية على اثر ظهور نتيجة الانتخاب ، لانه
كان ينوي ان يذهب الى جنيف ليقرع الالمان ، اخذاً بالثار . لانه لو لم تعلن المانيا معاهدتها
الجزئية مع النمسا قبيل انتخابات الرأسة الفرنسية لما تألب عليه اعداؤه هذا التألب . فاعلان
هذه المعاهدة جاء خذلاً لسياسة السلام التي جرى عليها ودعا اليها . فذهب الى جنيف وقضى
على تلك المعاهدة وعاد الى باريس عود الظافر لكي يستقيل من منصبه ، ثم يتقدم في الانتخابات
التالية ويخرج منها لابساً اكليل النصر . كانت الامة الفرنسية تتوقع منه هذا ، فاتفق زعماء
احزاب اليسار على الدائرة التي يتقدم فيها للانتخاب . ولكنه غير رأيه فجأة ، وبين مساء الجمعة
ومساء الاحد قرر ان يبقى في وزارة الخارجية فما حدث ؟

ذلك انه قبل الانتخاب لرأسة الجمهورية جاء الشيخ دومر - وكان احد المرشحين
للمنصب - الى صديقه القديم بريان ، وسأله صراحة ان ينبئه عن موقفه في الانتخاب ، فاذا
عزم بريان ان يتقدم للانتخاب تنح عنه دومر . فأنبأه بريان بالحقيقة - وكان حينئذ مصمماً على
رفض التقدم للانتخاب . فلما غير رأيه وضع صديقه في موقف حرج ، لم يلبث ان ازداد حرجه
بعد فوز دومر وخذل بريان . على ان الرئيس الجديد ، استدعى وزير خارجيته ، ومن دون ان
يشير الى حديثهما السابق قال له « والآن يجب ألا تتخلي عني » . فقبل بريان ذلك مرغماً لان
قبوله هذا عني الاشتراك مع الدّ خصومه في وزارة يرأسها لا قال وكيل وزارته سابقاً

الاخلطل الصغير

او بشاره الخوري صاحب « البرق » البيروتية

لمحمود ابو الوفا

كانوا يطلقون على ابن هاني الأندلسي أنه متنيّ الغرب . فهل يؤذن لي الآن أن اطلق على الأخلطل الصغير أنه شوقي لبنان. قال بعضهم لولده أي عظيم تريد أن تكونه يا بني . فقال الولد اريد أن أكون مثلك . قال الوالد لقد كنت في مثل سنك هذه يا بني أطلب أن أكون مثل علي بن أبي طالب . وها هو الفرق بيني وبين ابن أبي طالب على ما تراه . فهل تحب أن يكون الفرق بينك وبينني بمقدار ما بيني وبين ابن أبي طالب

وعلى هذا القياس فإذا عسى أن يكون المثل الأعلى للأخلطل الصغير . لاشك أنه كان عظيماً جداً ولكنني ارجو أن لا اجانف الصواب اذا قلت ان المثل الأعلى للأخلطل الصغير لم يكن سوى الأخلطل الكبير فان هذا هو الرجل الذي يقال فيه بحق « هو الشاعر من فرعه الى قدمه » وحسبك بشاعر نصراني ، يدعونه شاعر بني امية في زمن معاوية اعني في صدر الاسلام ثم حسبك منه بشاعر يشير لنا ابو العلاء المعري الى مكانته في الشعر وانت تعرف من هو ابو العلاء في نقد الشعر والبصر به فيقول المعري (ان السادات كانت تطرب على قوله)

أناخوا فجروا شاصيات^(١) كأنها رجال من السودان لم يتسربلو

فصبّوا عُقاراً في الاناء كأنها اذا لمحوها جذوة تتأكل

تدب ديباً في العظام كأنه ديب نمل في نقا يتهيل

أزعم واثقاً أنني أدنى الى الحق ان المثل الأعلى للأخلطل الصغير لم يكن الا هذا الروح الشعري العالي الذي أعجب به السادات من امية حتى طربوا له وشربوا عليه واؤكد أنه لو لم يكن للأخلطل الصغير هذا المثل الاعلى لما استقر شعره على هذا الاسلوب النادر في هذا العصر الذي اذا شكى منه الادب فلن تكون شكاته الا ضعف الاساليب فيه . . . ان للاستاذ الخوري اسلوباً شعرياً متفرداً بين اساليب الشعراء اللبنانيين تفرّد اسلوب شوقي بين الشعراء

المصريين فكلا الشاعرين في بيئته نسيج وحده كما يقولون . وكلاهما في جيله يمثل طبقة قائمة بذاتها فأنت حين تنظر الى شعره تراه كأنه يتهدى الى الاسماع في موكباً من الأبهة والرونق والجمال فلا تملك نفسك دون التشبع منه والتوجه اليه ، وان كنت رأيت مثل هذا الموكب كثيراً ، وكثيراً جداً . ولا اظن الاستدلال على قرب هذين الشاعرين احدهما من الآخر يكلفك اكثر من الاطلاع على هذين النموذجين

قال شوقي بك في رثاء الزعيم زغلول باشا

كفنوا الشمس ومالوا بضحاها وانثنى الصبح عليها فبكها

وقال الاخطل الصغير في رثاء الزعيم فوزي الغزي

كفنوا الشمس بريحان وورس يا لشمس آذنت من عبد شمس

فأنت ترى كيف يتواطأ استهلال الشاعرين في رثاء الزعيمين السياسيين فيستعملان الفاظاً واحدة ويذهبان في افق واحد تقريباً . كذلك يقول الاخطل الصغير في رثائه المؤثر البليغ لعبطة البطريق الكبير ماري الياس الحويك

جبريل عند رتاجه متواضع ويسوع حول سريره يتهدى

ويقول شوقي بك في بعض مطالعه — جبريل هلل في السماء وكبر —

ويقول ايضاً في موكب استقبال ام الحسين

واتركي فضل زماميه لنا تتناوب نحن والروح الامين

وهكذا تجد الكثير من شعر هذين الشاعرين متفقاً في الفاظه واستعاراته وتشبيهاته توافقاً خليقاً ان يعقد له فصل قائم بذاته . صحيح ان بعض المتقدمين من النقاد كانوا يسمون هذا النوع من التوافق بين الشعراء (اخذاً) ويقصدون ان اللاحق اخذه من السابق وكانوا يرونه نوعاً من المحاكاة والتقليد وربما غالى بعضهم فسماه سرقة ولكن التحقيق انه ليس كذلك فان الشاعر الذي يأخذ من غيره تقليداً او محاكاة ، لا يكون معتدلاً (بفنه) يعني ان ثقته بفنه ان لم تكن معدومة البتة فانها تكون ضعيفة . ولكن هذا الاخطل الصغير يرينا انه يثق بفنه ثقة لا حد لها فهو يقول في رثائه للبطريق

اوحيد امته تقي وهداية هلا سمعت وحيدها انشادا

خلعت قصائده عليك عيونها وحببتك من ورق الخلود وسادا

بل ان الاخطل هنا في هذا المعنى اكثر من شوقي ذهاباً بنفسه واعتداداً بفنه فقد

اكتفى شوقي حين قرر هذا المعنى ان يجعل شعره درجات للخالدين فقط فقال لام الحسين

لا ترومي غير شعري موكباً ان شعري درجات الخالدين

اما صاحبنا الاخطل الصغير فقد ابى الا ان يجعل شعره هو المتصرف في هذا الخلود يحبو

به من يشاء . ولعله يمنعهُ من يشاء ايضاً . ولا شك ان شاعراً يعتد بشعره كل هذا الاعتداد
ويزهو بنفسه هذا الزهو لا يعقل ان يكون آخذاً من غيره ولا مقلداً له لان المقلد من اضعف
الناس امام نفسه ولولا ذلك ما استعار قوة غيره . وبرهان آخر يجب الآن ان يذكر هو ان المقلد
الذي يأخذ معاني غيره محاكاة لا يمكن ان يكون اكثر من ناظم ويستحيل ان يكون
شاعراً بالمعنى الصحيح لكامة شاعر . لان من المستحيل على مقلد ان يفهم الشعر الا على انه
هو الكلام المنظوم المقفى كما هو تعريفه في الكتب المدرسية الى الآن . ولكن الاختل
الصغير يعرفنا الشعر اعظم تعريف يطمئن اليه الشعراء الصادقون فهو يقول في قصيدته (عمر ونعم)

والشعر روح الله في شاعره ذلك يوحيه وهذا ينشر
الحكمة الغراء من اسمائه وعدن من اوطانه وعبقر
له على الآفاق فتح زاهر وفي عباب الماء فتح ازهر
يمضيها منه خيال مارد ابو الفتوحات الذي لا يقهر

تعاق العلم على اسبابه خفاق الطود وفاق الحجر
واذن فوقع شاعر مثل الاختل الصغير على الفاظ ومعاني شاعر سائر الشعر جوهر
القافية مثل شوقي بك لا يصح ولا يعقل ان يدخل في باب (الاخذ والمأخوذ) كما انه لا يصح
ان يسمى ذلك تقليداً ومحاكاة . وانما هذه مسألة راجعة فيما اعتقد انا الى توافق الشاعرية
في هذين الشاعرين . لكن الذي يجب ان يفهم على وجهه الصحيح ايضاً هو ان هاتين الشاعريتين
المتوافقتين لا يلزم ان تكونا متساويتين الا في الاسلوب وما يتعاق بالاسلوب من الاستعارات
والالفاظ . اما الانتاج الشعري وما يتعاق به من الصور الشعرية والمذاهب الفنية وما الى
ذلك من جميع مواهب الشاعر فلا يلزم ان تتفقا لأن الشاعرية شيء والشعر شيء آخر
وكثيراً ما نجد الاراضي الزراعية تكون متفقة مع اختها في المعدن تمام الاتفاق ولكن
محصول هذه غير محصول تلك لذلك قد يكون الشاعر متفقاً مع الآخر في المزاج الشعري
— الشاعرية — ولكن لكل منهما فنه في الشعر بل قد يكون لكل منهما في الشعر والحياة
مذهب يخالف مذهب صاحبه . فهذا ابو الطيب المتنبي قد اشتهر بالحكمة حتى كان النقاد
المتقدمون يخصصونه بالحكمة ويخصصون البحري بالشعر فيقولون الحكيم هو المتنبي والشاعر هو
البحري . وكان ابن هاني الاندلسي لم يشتهر الا بالاغراق ومع ذلك فان هذين الاثنين
كانا متفقين في الشاعرية باجماع النقاد المتقدمين تقريباً . ولهذا التوافق في الشاعرية لا لغيره
كان هؤلاء النقاد يطلقون على ابن هاني لقب متنبي الغرب . فالمسألة ليست هي الشاعرية وحسب
وليس نخر الشاعر ان يكون متفقاً في سمو الشاعرية مع اعظم شاعر ظهر على وجه الارض

فان الشاعرية لا تزيد في نظر الناقد عن كونها احدى الملكات الموهوبة التي قد يحسن صاحبها في استعمالها وقد يسيء . وانما نخر الشاعر الحقيقي هو فيما يكشفه للناس من الجوانب الخفية في الحياة . والناقد المنصف البصير هو الذي لا يطلُّ على الشاعر الا من جهة مذهبه الشعري الاصلاحى ليعرف الى اي جهة يريد ان يسوق الحياة بحدائه أو غنائه وفي اي جهة يريد ان يتجه بها فان لم يكن للشاعر مذهب يدعو له ولا مثل اعلى يرمي اليه فان شعره لا يكون جديراً بالنقد بل هو في مذهبي لا يكون جديراً بان يعد في الشعراء الخالدين

والآن فنحن اذا سلطنا هذا المنظار الدقيق على شعر الاخطل الصغير فكيف نجده — انني هنا افضل ان اعطي الكلمة للاستاذ ميشال ذكور قال :

« الاخطل الصغير او بشاره الخوري مسميان لشخص واحد هو صاحب البرق الذي لا يجاريه شاعر عربي آخر في لبنان وسوريا بخياله وعذوبة الفاظه ورقة معانيه لانه لا ينظم الا مديباً شيئاً من روحه الحساسة . . . » والحق ان كلام صاحب المعرض الغراء كله حق فانك تقرأ شعر الاخطل فتجد فيه ديباجة هي اشبه بديباجة شعر شوقي كما اسلفت القول كما تجد فيه روحاً وجدانية تترقق كما تترقق المياه الصافية بين الاعشاب والصخور فاذا انت من هذا المزيج الشعري امام شاعر لا هو في الشعراء الصناعيين ولا هو من الشعراء الوجدانيين ولكنه يرضي الوجدانيين والنفسيين واصحاب العواطف والاحساسات المشبوبة بمقدار كما يستطيع ان يرضي الديباجيين من اصحاب الصناعة والفن . وبعبارة اكثر صراحة تقرر ان الاخطل الصغير لم يضرب على قيثارة فوزي المعلوف ولا على مزهر القروي ولا على الحان جبران ولكنه سبح في مسابح مطران وايليا وامثال هؤلاء من الشعراء اللبنانيين المتمصرين ولا شك انه وفق في مذهبه الفني كل التوفيق وان التاريخ عندما يظهر كلمته النهائية في هؤلاء الشعراء الذين حملوا الوية تجديد الشعر العربي لسوف يضع اسمه في طليعتهم اما مذهبه الاصلاحى وصوره الشعرية فليس ادل عليه من هذه المناحي التي قصد اليها في قصائده الثلاث الريال المزيف التي يقول فيها : —

ويح الفقير فما تراه يلاقي سدت عليه منافذ الارزاق
عَلَّقَ الجماعة مصراً بعض دماءه وتعسف الحكام مصراً الباقي

وقصيدته التي جعل عنوانها « من مآسي الحرب الكبرى » وهي التي يلخص لك غرضه من موضوعها في قوله يدعو الله عساه أن يستجيب له

واخلق الانسان خلقاً راقياً واقتل البغض به والكبرياء
 واجعل الحب الهاً ثانياً واسجن المال ولا تنس الرياء
 وليكن كل امتياز لاغياً يخرج الناس على حد سواء
 ويقول منها ايضاً
 من ترى يشرح لي ذنب الفقير او ترى يظهر لي فضل الغني

.....

افهذي حكمة الله القدير لا . وجل الله عن ذا الغبن

.....

انما هذان مثل البذرتين بذرا في الارض حتى انبتا
 فكسا المقدور تين النبتتين هذه قبجاً وهذي رونقا
 وايضاً قصيدة عروة وعفراء ، التي نلخص لك موضوع مأساتها في قوله
 بينا الفتى في الشام يكدح للغنى كانت حبيبته تزف لثان
 فتنت محاسنها «اثالة» وهو من «هــصـر» له سببان ملتزمان
 نسب الدماء وفوقه نسب الغنى نسبان محبوبات محترمان
 فأناله عفراء صفقة تاجر حسب البنات ملابساً وأواني

فانت ترى ان الشاعر في هذه القصائد الثلاث لا يحارب الا عدواً واحداً هو الفقر وهو في سبيل اجتذاب قرائه الى الوقوف في صفه والانتصار له على عدوه لا يفتأ يستعرض أمامهم مناظر الفقر في ابشع صورته وأفظع مآسيه فرة يعرض الفقر في صورة شاب عذري الهوى حرم من حبيبته وحرمت منه حبيبته لا شيء الا أنه فقير فتكون النتيجة موت الحبيين معاً (عروة وعفراء) ومرة اخرى يعرض لك هذا الفقير والغني يغالبه حتى يغلبه في صورة آلام الام الطاهرة العفيفة التي ذهبت هي وبناتها الطفلة البريئة ضحية «الريال المزيف» . ومرة ثالثة يريك كيف يستطيع الغني الفاسق الغشوم ان يعبت بدماء العذارى الفقيرات . وهكذا لا يزال بك حتى تؤمن معه ان الفقر هو عنصر القبح هو الظلام . هو الشر . هو العدو الوحيد الذي يجب أن يقاتل في هذه الحياة . ولا ريب أن هذه هي فطرة الشاعر الذي ينظر الى جواهر الاشياء لا الى الاشياء وحسب . نظرة الشاعر الذي يرجع شعره الى ما وراء الحواس . ولا ريب ان هذا هو الشاعر العظيم

وما زال فينا — والحمد لله على الخير والشر — قوم يتساقطون على قصور الملوك والامراء كما يتساقط الذباب ، فيكيدون فيها للعلماء والادباء والساسة وأهل الرأي ، ويبلغون — من ذلك — ما يريدون : كله أو بعضه

ثم ما زال فينا — والحمد لله على الخير والشر — قوم زعموا انهم يدعون إلى الخير ، ويصدون عن الشر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وهم — مع ذلك — يلقون الشباك ، ويمدّون الاشراك ، يصيدون بها المفكرين والباحثين كيداً لهم ، ونكايةً بهم ، وعدواناً عليهم

كل أولئك احياء بيننا ، نراهم — في كل يوم — ويشقى بهم كرام الناس — في كل يوم — وينقدّم الناقدون ، ويمقتهم الماقتون

ولكننا نراهم — في صورتهم الصحيحة المرذولة — حين نقرأ كتاب كامل كيلاني ، لانا نراهم — على بعد الزمن وانقطاع الاسباب — وقد ذهبت الاحقاد ، وماتت الضغائن فيهم . فهم — كما يراهم التاريخ — لا يثيرون هذه الحفيظة التي يثيرها المعاصرون ، وقد وصلت — بيننا وبينهم — صلات المنافع والمضار ، فكان بيننا وبينهم — التعاون والتنافس نعم ، ونحن نرى — في هذا الكتاب — ما لا نستطيع ان نراه الآن ، وما لم يستطع القدماء ان يروه ، وسيراه ابناءؤنا من بعدنا ، وهو حكم التاريخ للمحسن ، وقضاءه على المسيء

قدمت — منذ أعوام — إلى الناس ، طبعة كامل كيلاني لرسالة الغفران ، بعد ان يسرها وقرّبها إلى المستنيرين الذين يريدون ان يتأدّبوا — دون ان يقفوا أنفسهم على العلم الخالص العسير وكنت سعيداً شديداً لاغتباط ، لأنني رأيت هذه العناية — بأوساط المثقفين — تعجب الناس ، وتبلغ منهم ما أراد صاحبها ، فتعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ، وتثير نشاط الفاتر وقد راجت رسالة الغفران هذه — في مصر والشرق العربي — بل رأيت من المستشرقين في أوربا من يرضى عنها . ويعجب بها ، لأن صاحبها كان متواضعاً ، لا يدعي لنفسه أكثر من أنه يبذل جهداً صادقاً لتقريب العلم إلى الذين قد لا يستطيعون أن يصلوا إليه وحدهم وعلى هذا النحو ، يسرني أن أقدم — إلى القراء — هذا الكتاب اليسير القصير القيم الخصب الممتع في وقت واحد

كان من الحق على كامل — حين عرض لهذه الناحية من البحث — أن يصطنع خصلتين لا بدّ منهما : الأولى ، أن يكون سهلاً سمحاً ، ويسيراً قريباً ، لا يكلف قارئه بحثاً ولكن يغريه بالبحث ، ولا يضطره إلى المراجعة ولكن يحجب إليه المراجعة

الثانية، أن يحرص على الانصاف، ويأخذ به نفسه أخذاً شديداً، فلا يظلم العلماء والأدباء، ولا يظلم القراء المحدثين فيفسد آراءهم في العلم والعلماء، والأدب والأدباء، لأنهم علينا حق الأمانة والصدق وإني لسعيد بأن أهدي — الى كامل — أصدق التهنية، لأنه وفق إلى الخصلة الأولى كل التوفيق. فلقد قرأت كتابه — حين كان ينشر فصولاً في المقتطف — ثم قرأته أمس، فلما بدأت القراءة لم أدعه حتى أنعمته، لم ينلني سأم ولا ملل ولا فتور، لأن ما في الكتاب — من الحياة والحركة وخفة الروح — خليق أن يستبقي نشاطك موفوراً، منذ تبدأ الكتاب إلى أن تتمه أما الخصلة الثانية، فقد تعودت مع أصدقائي جميعاً — ومع كامل خاصة — أن أكون صريحاً شديداً الصراحة، ولست أشك في أن الانصاف ظاهر في الكتاب، يحسه القراء، مهما تختلف طبقاتهم وتتنافوت حظوظهم من العلم، ولكن في الكتاب شيئاً لا أدري ما هو — يشعرنا بأن شخصية المؤلف لم تستطع أن تستر كل الاستتار، بل أظهرت كثيراً من عواطفها وميولها، وكأنها تريد — ولو في استحياء — أن تفرض علينا هذه العواطف والميول

* * *

أظني عرفت هذا الشيء، ففي كامل شباب شديد النشاط لا يخلو من حدة وعنف، فهو — إذا اقتنع — لم يقتنع بعقله وحده، وإنما اقتنع بعقله وقلبه وشعوره، وفيه كرم يتجاوز به الانصاف إلى الإسراف في الانصاف، فهو لا يكتفي بأن ينصف المظلوم — بالحكم له — بل يريد أن يعاقب الظالم بالإلحاح عليه وتشديد النكير

وما أرى أن الكسائي يستحق منه هذه الشدة المسرفة في القسوة، فكان الكسائي — من الرواية والقراءة والنحو — يفرض علينا أن نكبره ونعرف له فضله

ومهما يجمع المجمعون على أن القول ما قال سيبويه، فإني أحب ألا ننسى أن مذهب سيبويه وأصحابه — في النحو — كان مذهب قياس وتعليل وأن مذهب الكسائي وأصحابه كان مذهب سماع وتقليد للغرب، وأن لكل من المذهبين خطره وقيمه

كذلك كنت أحب أن يرفق كامل بالحائمي — كما رفق بابن خالويه — فكلاهما أسرف على المتنبي، ولكن كاملاً ابتسم للنحوي وسخر من الأديب، ومع ذلك فهذا الأديب خليق أن نبتسم له، لأنه صور لنا — في سذاجة تشبه الغفلة — نوعاً من حياة الأدباء في القرن الرابع تستحق أن نقف عنده ونفكر فيه

* * *

أثارت قراءة هذا الكتاب في نفسي هذه الخواطر، وخواطر أخرى لا أجد — من الوقت — ما يسمح بإثباتها، وأحب الكتب — إلي — ما يثير في نفسي الخواطر، وينشطني للتفكير فليكن موقع هذا الكتاب — من نفوس القراء جميعاً — كموقعه من نفسي. إذن يكون كامل قد ظفر — من التوفيق — بما أراد، وبما هو أهل لأن يظفر به

باب الزراعة والاقتصاد

تقدير ايجار الاطيان

اضطربت علاقة الملاك والمستأجرين بعضهم ببعض منذ رخصت أثمان الحاصلات الزراعية خصوصاً القطن — ولما كان تقدير ما يساويه الفدان من الايجار مثار الخلاف والاضطراب رأيت ان اعرض خلاصة اختباراتي في هذا الموضوع رجاء ان يكون فيها ما ينير السبيل لتقدير ايجار الاطيان تقديراً عادلاً مرتكزاً على قواعد معينة

(١) — التقدير على اساس الضريبة وظروف تقديرها والظروف الحالية

في سنة ١٨٩٥ شكلت الحكومة لجاناً من اعيان الزراع والموظفين تحت رئاسة السير وليم ولكوكس لتقدير ايجارات الاطيان توطئة لتعديل الضرائب على مقتضاها فامت هذه اللجان عملها سنة ١٨٩٦ وكانت أعلى قيمة قدرتها لخصب فدان ٥٧٥ قرشاً واقصى ضريبة ضربتها عليه ١٦٤ قرشاً تساوي ٢٨٦٤٪ من الايجار المقدر ثم يقل تقدير الايجار والضريبة تبعاً لدرجات الاطيان نزولاً بمقدار ٢٥ قرشاً من الايجار و ٧ قروش من الضريبة في كل درجة الى ان تصير أدنى قيمة لادنى درجة ٥٠ قرشاً ايجاراً و ١٤ قرشاً ضريبة

في ذلك الحين كان متوسط ثمن القنطار من القطن ٢٢٤ قرشاً في سنة ١٨٩٥ و ٢٠٢ في سنة ١٨٩٦ وكان يعتبر عند رجال الاقتصاد الزراعي ان ثمن الفدان يساوي قيمة ضريبته ٥٠ ضعفاً او قيمة صافي ايجاره اي بعد خصم الضريبة ٢٠ ضعفاً وان ربح ٥٪ منه ربح حسن — ولكن بعد ان تحسنت وسائل الري والصرف والمواصلات والامن وتوزيع الضرائب وما اشبهه مع ترقى الاحوال الاقتصادية عامة — زاد اليسر والرخاء وخصب الارض ومنتجاتها زيادة كبيرة فصار ثمن الفدان يقدر بقيمة ضريبته ٧٠ ضعفاً فاكثر وبصافي الربح من ١٥ ضعفاً وصار هذا الربح لا يقل عن ٦٪ الى ٧٪ من ثمنه الزائد — واستمر التحسين في اثمان الحاصلات خصوصاً القطن ولا سيما في اثناء الحرب العالمية فاستمر ريع الارض وقيمتها في الارتفاع الى ان طفر ثمن القطن حتى بلغ ثمن القنطار بضعة واربعين جنيهاً وبيعت بعض الاطيان الزراعية بـ ٥٠٠

جنيه الفدان وبلغ ايجاره ٢٠ - ٤٠ جنيهاً ثم عادت الأثمان الى اقل مما كانت عليه اثناء الحرب وصار متوسط الايجار للارض الخصبية بمصلحة الاملاك الاميرية ١٦ جنيهاً ونصف جنيه الفدان في سنتي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ حيث كان متوسط ثمن قنطار القطن ٥٥٠ قرشاً بعد ان كان الايجار ٩ جنيهات ونصف ومتوسط ثمن القنطار ٣٧٢ قرشاً في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ جاء في مذكرة وكيل وزارة المالية عن سياسة الحكومة القطنية انه اذا كانت الايجارات في مصلحة الاملاك (قد زادت الى هذا الحد مع ما هناك من النظمه كفيلة بتلافي ارهاق المستأجرين فانها في الدوائر « الزراعية » الخاصة قد بلغت حداً ناءً تحت عبئه المستأجرون - الى ان يقول - وقد ارتفعت الفئات في بعض الاحيان الى ضعف ما كانت عليه قبل الحرب واصبحت في البعض الآخر تزيد عن ٦٠٪ الى ٨٠٪ ولما كانت اسعار القطن اليوم (اكتوبر سنة ١٩٣٠) قد اصبحت في مستوى اسعار قبل الحرب بالنسبة للسكالا ريدس ودون تلك الاسعار بالنسبة للاشموني فقد أصبح من المتعين علاج مسألة الايجارات علاجاً يخفف تكاليف الانتاج ويرفع عن كاهل الفلاحين عبئاً اصبحت الاسعار الحالية لا تبرر احتمالها (اهـ . اما الآن ونحن نكتب هذه السطور فان ثمن القطن اقل بكثير عما كان عليه قبل الحرب اذ هو يتراوح بين ٩ - ١٠ ريالات او نحو جنيهين اي اقل مما كان عليه في اثناء تقدير الايجارات المشار اليه في فاتحة البحث

ان القطن كان (ولا يزال الى حد محدود) في مناطقه هو المعوّل عليه في تسديد الايجار او معظمه اما اثمان الحبوب فانها الآن - والعبرة بما يبيعها به الفلاح بيع المضطر لسداد جانب من الايجار في موسم انتاجها - اقل مما كانت عليه قبل الحرب واكثر قليلاً مما كانت عليه اثناء تعديل الضرائب. ولكن يقابل هذا ان اثمان الحاجيات الضرورية لمعيشة الفلاح وفلاحته قد زادت زيادة اكثر بكثير من زيادة ثمن الحبوب وهذه حقيقة يعرفها ويعانيها الملاك والمستأجرون معاً ان التحسين الذي طرأ على خصب الارض ومنتجاتها بسبب الاصلاحات الآتية الذكر وقدره مؤلف كتاب الاطيان والضرائب سنة ١٩٠٤ ب ٥٠٪ قال (تم تقدير الايجارات قبل ان تشرع الحكومة في تعميم اصلاحات الري العظيمة بانشاء الترعة والمصارف والسكك الزراعية وغيرها وقبل ان تؤسس الشركات المالية والزراعية والتجارية في طول البلاد وعرضها ولم تكن قد انبعثت في القطر روح النهضة الزراعية العظيمة المشاهدة الآن مما كان سبباً لزيادة ايجارات الاطيان بما لا ينقص الى الآن عن ٥٠٪ مما كان عليه منذ عشر سنوات « اهـ في ذلك الوقت كان ثمن قنطار القطن من ٢٨٠ - ٣٠٠ قرش وكانت سياسة الحكومة أو بالأحرى سياسة اللورد كرومر المالية متجهة نحو تخفيض الضرائب وانقاص عددها وتخفيض الرسوم الاخرى كالتسجيل واجرة السكة الحديد ووفرة النقود والثقة المالية فكان اليسر والرخاء وتناسق اثمان ما يبيعه ونشتره معاً بخلاف ما صارت اليه وما لا تزال متجهة نحوه الحالة الآن - ولكن خصب

الارض وانتاجها - بصرف النظر عن الاثمان - يمكن ان تقدر زيادته الى الآن بـ ٤٠٪ في الارض المتوسطة و ٨٠٪ في الارض البحرية . فالارض المتوسطة التي تقدر ايجارها بـ ٣٥٠ قرشاً وضريبته بـ ١٠٠ قرشاً يساوي ايجارها الآن (بفرض ان يكون ثمن القطن كما كان وقت التقدير ٣٢٤ قرشاً) ٥٠٠ قرش والارض البحرية التي قدر ايجارها بـ ٢٢٥ قرشاً وضريبته بـ ٦٥ قرشاً يساوي ايجارها الآن ٤٠٠ قرش وهذا وذاك اذا لم تكن هناك ظروف خاصة ضد هذا التقدير كما سيجيء . اما الارض الجنوبية فسبيلها سبيل الارض المتوسطة أو اقل خصوصاً في الجهات التي ارفعها ارتفاع مستوى النـز - الماء الارضي - عما كان عليه قبلاً لقصور مشروعات الصرف عن بلوغ شأ ومشروعات الري حتى ان بعضها قد اصابه ضرر - فمشروعات الري والصرف تكافأت في غير الجهات الجنوبية . وقصرت وسائل الصرف فيها عما اقتضته زيادة مياه الري ولذلك (فان الارض الضعيفة جادت والارض الجيدة طبّلت) كما يقول المستر ولكس في كتاب الري المصري

ومما يلاحظ ايضاً ان هناك جهات زاد خصبها وعمرانها عن المستوى العام لامتياز ملاكها وفلاحها بالعناية بها وبحسن التدبير والاستفادة بالظروف الحسنة كما ان هناك جهات اخرى على ضد ذلك من كل وجه فليس بقليل ان نشاهد مزرعتين متجاورتين واحداهما استوفت شروط الخصب والتماء ريساً وصرفاً وعمراناً وفلاحة وحسن تدبير والاخرى دونها في كل ذلك ولهذا وذاك اثره في قيمة الارض وريعتها

هذا وقد عادت البنوك العقارية الآن في تقدير قيمة الاطيان الى ما كان عليه الحال قبل بضع وثلاثين سنة فهذا بنك التسليف الزراعي قرر في قانونه ان ثمن الفدان لا يزيد عن مقدار ضريبته ٥٠ ضعفاً وان قيمة ما يسلف عليه لا يزيد عن ٦٠٪ من الثمن وذلك بسبب رخص الحاصلات الزراعية وارتفاع اثمان المنتجات الصناعية التي يحتاج اليها الفلاح لمعيشته وفلاحته وحتى لا تسهل الاستدانة بمبالغ كبيرة تعود عاقبتها مريعة وهذه المراجعة يتجرعها الملاك الآن من عواقب الاستدانة السابقة ولولاها لكانت الازمة بينهم وبين مستأجري ارضهم وبين البنوك ايضاً اخف مما هي الآن كثيراً . ورحم الله الدكتور صروف فقد قال منذ بضعة عشر سنة في بحث له بعنوان الرخاء عام لولا الدين (ان الدين الذي سهلت البنوك سبيله للفلاحين سيكون سبباً لخرابهم) م ٣٧ ج ٧ من المقتطف

(٢) - التقدير على اساس ما تنججه الارض ونصيب زارعها منه

جـرى العرف الزراعي في الارض الرواتب الخصبية كأرض الجهات الجنوبية ان لا يقل نصيب الزارع عن ٤٠٪ من محصولها نظير فلاحته إياه من بدء تجهيز الارض للزراعة الى تخزين المحصول وقد اشرنا آنفاً الى ان البنوك العقارية تسلف على الاطيان بما لا يزيد عن ٦٠٪

من ثمنها كأنها تراعي ان يكون ريع ان ٤٠ ٪ الباقية لمصاريف فلاحيتها فاذا كان ثمن ما ينتجه الفدان من الزرع ١٠ جنيهات فلكلفة هذا الانتاج ٤ والباقي صافيه أو غلة الارض - اما في الارض الاقل خصباً كارض الجهات البحرية فان نصيب الفلاح ٥٠ ٪ من محصولها ويعبر عن هذا في العرف بـ (فدان يخدم فدان) فاذا كان ثمن زرع فدانين مثلاً ١٢ جنيهاً فلفلاحتهم ٦ والباقي ٦ صافي ريعهما واذاً يكون ايجار الفدان ٣ جنيهات وانما يزيد نصيب الزارع من هذه لقلة محصولها عن الارض الجنوبية قلة أكثر من فرق كلفة الفلاحة بين الارضين لان الارض البحرية اسهل رياً وأقل قبولاً لكثرة التسميد والحرق والعزق وأكثر مرافق من الارض الجنوبية في مجاري الري والصرف والسكك ولذلك فان الفلاح الذي يمكنه فلاحه فدانين في هذه الجنوبية يمكنه فلاحه ثلاثة افدنة من تلك البحرية

ان الفلاح يستغنى عن كل محصول القطن ولذلك فانه حينما كان يزرع في نصف الارض كان يعتبر ان قيمة قطن الفدان الواحد يوفي ايجاره وايجار الفدان الثاني الذي يزرع حبوباً وعلفماً للفلاح وماشيتته انما كان ذلك مع ما اسلفنا انه في الجهات الجنوبية يكون نصيب الفلاح ٤٠ ٪ لان ثمن القطن كان اغلى نسبياً من الحبوب فكان ريع الفدان منه أكثر من ريع الفدان منها وقد كان الفلاح المجتهد يستغل من فدان القطن خصوصاً في المواسم الحسنة ما يزيد عن الايجار زيادة يختص بها بينما الفلاح المهمل في المواسم الرديئة تعجز غلة فدان القطن عن سداد الايجار فيضطر المالك لاخذ ما يمكنه اخذه من فدان الحبوب على ما في ذلك من الصعوبة - اما حينما كانت تحدد زراعة القطن بأقل من النصف كما هو حاصل الآن فلا بد لاستيفاء الايجار من اخذ جانب من الحبوب وقد كثرت عن قبل

(٣) - التقدير واثمان الحاصلات

لكثرة تقلبات اثمان الحاصلات فانه عند الاتفاق على التأجير - اذا كانت الاسعار مرتفعة يخشى ان ترخص بعد فلا يستطيع المستأجر سداد الايجار واذا كانت رخيصة فمن المحتمل ان يزيد فيستفيد المستأجر وحده من الزيادة بينما في حالة الرخص وعجزه عن السداد تقع بعض الخسارة والتعب على المالك - ولما كان القطن هو المعول عليه في سداد الايجار او معظمه كما ابنا قبلاً وثنه هو الاكثر عرضة للتقلب فيلاحظ في تقدير الايجار ان يكون على اساس السعر الرخيص فاذا غلا زاد الايجار ولذلك صورتان (الاولى) انه كلما غلا السعر ريالاً واحداً يزيد الايجار ٣ ٪ وبعبارة اخرى كلما زاد سعر قنطار القطن جنيهاً زاد الايجار ١٠ ٪ فاذا كان الاتفاق على ايجار الفدان ٥ جنيهات وثمان القنطار ٢٥٠ قرشاً وزاد الثمن الى ٣٠٠ قرش زيد الايجار ٥ ٪ وهكذا. (الثانية) انه اذا زاد ثمن القطن يكون نصف الزيادة للمالك بحساب ان

المزروع قطناً يعطي مقداراً من القناطير يقدر بحسب درجة خصبه فاذا جاءت الزيادة في الثمن عن المتفق عليه ٥٠ قرشاً وكان المقرر ان محصول الفدان اربعة قناطير فجملة ثمنها جنيهان جنيه للمستأجر وجنيه للمالك علاوة على الايجار

وفي المزارع الواسعة التي يؤجر بعضها ويزرع البعض الآخر لحساب مالكيها يفضل المالك الخبير لمناسبة تحديد زراعة القطن في ٢٥ ٪ و ٣٠ ٪ حسب المناطق ان يزيد المستأجرون زراعة القطن الى الثلث او النصف ويقللها هو فيستفيد فائدتين الاولى سهولة الحصول على الايجار (وقد ذكرنا قبل ميزة القطن في ذلك) والثاني الاقلال من زراعة القطن الكثيرة الكلفة الآن عليه كثرة لا تبررها اثمانه . اما عند الفلاح الصغير فتقل الكلفة الى ادنى حد ممكن كما يعرف الخيرون بطبيعة العمل في المزارع الكبيرة والمزارع الصغيرة وذكرنا ذلك في مقالاتنا استغلال الارض المنشورة في المقتطف منذ بضعة عشرة سنة

وهناك من يحسب للمحاصيل كلها اثماً معيناً يربط الايجار بحسبها وعلى المستأجر ان يورد للمالك مقداراً منها يوازي الايجار وعلى المالك ان يقبل

(٤) — مناطق الارض وانواع زروعها واسعارها

يراعى في الارض العالية الفائقة الخصب كأرض الجهات الجنوبية ان افضل ما يوجد فيها الحبوب ثم القطن فتأثير رخصه فيها اقل منه في غيرها لا سيما وان الضرائب الجمركية التي ضربتها الحكومة على واردات الحبوب الاجنبية وحالت دون كثرة ورودها — حفظت اثمان الحبوب في مستوى صار الآن اعلى نسبياً من ثمن القطن

وفي الجهات المتوسطة وهي الجهات التي تلي الجهات الجنوبية مثلاً ان افضل ما يوجد فيها القطن ثم الحبوب ولذلك حينما كان ثمن القطن اعلى نسبة من ثمن الحبوب كان ريعها اعلى نسبياً من غيرها وليست كذلك الحال الآن

وفي الجهات الشمالية ان افضل ما يوجد فيها القطن خصوصاً السكلاريدس وزروع المرعى واخيراً الحبوب وقد كانت خصوصاً اثناء الحرب العالمية لغلاء السكلاريدس الناتج منها حسنة الريع للغاية ويحسن الآن تربية مواشي اللبن والذبيح على زروع المرعى فيها واهمها البرسيم . والمناطق التي يصرح لها فيها بزراعة الارز يتحسن ريعها كثيراً بزراعته لا سيما وانها تصير اصلح للزروع التي تليه

هذا وقد سبق ان بحثنا مسألة التأجير من نواحيها الاخرى منذ بضعة عشر سنة في

المقتطف

احمد الالفي

زراعي عملي

التعاون والاقتصاد الزراعي

لما رأينا ما للحركة التعاونية من الشان الخطير في مصر وما ينتظر لها من عظيم الاثر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية العامة افردنا هذا الباب لنشر مقالات ورسائل عن كل ما يهم الجمعيات التعاونية واعضاءها وبساعد على نشر التعاون وتقدمه . وقلم التحرير ينتهز هذه الفرصة ليعرب عن ترحيبه بنشر ما يرسله اليه اعضاء الجمعيات التعاونية من رسائل واخبار . وخير الكلام ما قل ودل

التعريفية الجمركية او طلسم الرخاء المزيف

بقلم و. ل. كليتون — عن Cotton Trade Journal, International Edition, 1932

المقدمة والنقل الى العربية بقلم السيد احمد مراد البكري

انحصرت تركة الحرب العظمى في مقادير من الخامات والمنتجات لا قبل للعالم بتصرفها بدون احداث هزات عنيفة تداعت بسببها في كثير من الاحيان صروح اقتصادية في جميع بلاد العالم وكانت نواة لتلك الازمة العالمية التي لا تزال نعاني شدايدها وتقاسي من انواع عذابها ألوانا كثيرة — ففي كل بلد من بلاد العالم خيم ظلام الازمة وظهرت فيه اشباح العطلة وهبط مستوى المعيشة وفقدت الثقة في كل شيء حتى في المستقبل فالتجأ أولو الامر في معظم بلاد العالم الى نهج سياسة حماية الانتاج الاهلي برفع التعريفية الجمركية لمنع تدفق المنتجات الاجنبية الى داخل البلاد ومنافسة المنتجين الوطنيين في اسواقهم فقامت الحوائط الاقتصادية بين بلاد العالم ومنعت القوانين الاقتصادية من ان تفعل فعلها الطبيعي فتسبب عن ذلك رد فعل أشبه شيء بثورة بركانية لا تزال كل بلد من بلاد العالم هدفاً لقذائفها الملتهبة. وفي امريكا الآن كما هو الحال في البلدان الاخرى حزبان اقتصاديان أحدهما للتعريفية والاخر ضدها . ولما كانت مصر من بين البلاد التي تأثرت تجارة بعض منتجاتها كالقطن والبصل والبيض بما فرض عليها في امريكا من تعاريف باهظة ، فانه من البديهي ان يهمننا متابعة النضال القائم في تلك البلاد بين حزبي التعريفية . والمستر كليتون كاتب المقال الآتي من الحزب المضاد للتعريفية وهو شخصياً من كبار رجال المال والاعمال في تجارة القطن ، ولذلك فان آراءه واقتراحاته لها قيمتها العظيمة في بلاده دعب دعاة سياسة الحماية الاميركيون خلال سنين طويلة على التبشير بأنجيلهم على اساس ان تلك السياسة تؤدي الى رفع كل من الاجور ومستوى المعيشة فاصبح العالم اجمع يصدق ما يبشرون به . وقد كانت النتيجة اننا اصدرنا تعريفية جمركية في ربيع سنة ١٩٣٠ تعد أعلى تعريفية عرفها العالم في اوقات السلم ولم نخجل من فرض رسوم بلغت في بعض الاصناف ٩٠٪ حتى ان جملة الرسوم القيمة والعينية بلغت في بعض الاصناف ١٥٠٪ ١١٪ وفي اتباع هذه السياسة لم يؤبه لأي انتقاد يوجه الى حكمة هؤلاء الدعاة ولا لتحذيرات ما يربي على الالف من كبار علماء

الاقتصاد الاميركيين ، . ألم تكن تلك السياسة هي مصدر رخاء امريكا خلال سنوات عديدة ؟
 اما أقوال اصحاب المصارف الدولية بان سياسة تخفيض مستورداتنا لا بد وان ينشأ عنها
 صعوبات في تحصيل ديوننا الاوروبية فضلاً عن انها لا بد وان تقضي على تجارتنا الخارجية
 فكان رد دعاة الحماية عليها ينحصر في ان تجارتنا الخارجية لا توازي الا ١٠٪ من جملة
 تجارتنا وعلى اننا لا بد ان نحافظ على ال ٩٠٪ ونترك ال ١٠٪ نحافظ على نفسها كيفما شاءت. وان
 هؤلاء المالىين لا يدرون ما يقولون اذ ان باقي العالم في حاجة شديدة الى قطننا وقمحنا ومصنوعاتنا
 من سيارات وآلات الراديو وما كنات الخياطة والكتابة فهل هناك احد آخر يحسن صنع هذه
 الاشياء اكثر منا ؟ كما أن كلنا يعرف أن اوربا في حاجة الى شراؤها منا وعليها ان تجد الطريقة التي
 تدفع بها ثمنها وعلى كل حال فانا مصممون على ان لا نضيق حق العامل الامريكي بتشجيع العامل
 الاجنبي الاقل اجرة منه لتمكين بعض اصحاب المصارف الدولية من تحصيل ديونهم الاجنبية
 فضلاً عن ان العامل الامريكي لا يعنيه من أمر هذه الديون شيء . وهنا ينتهي كلامهم
 أما ما حدث بعد ذلك فلا حاجة الى ايراد تفصيلاته فان الحكاية المؤلمة معلومة لدى الجميع
 ولا تحتاج الى تكرار. فقد نقصت تجارتنا الخارجية المحترقة بمقدار ٥٠٪ خلال التسعة اشهر
 الاولى وذلك عما كانت عليه في المدة المقابلة من سنة ١٩٢٩ ، ونقصت صادراتنا وحدها بمقدار
 بليون دولار (من غرائب الصدف أن هذا المقدار هو نفس العجز الذي ظهر في ميزانية الحكومة
 عن السنة المالية الحالية) وهذا القدر يساوي القيمة الكلية على أساس الاسعار الحالية للقطن
 والقمح والذرة والشعير والشوفان التي تنتجها امريكا مضافاً اليها بعض المحصولات التي تقل عنها شيئاً.
 وهنا لا نعجب اذا رأينا موظفي الحكومة يعملون على تخفيف وقع هذه النتيجة أمام الجمهور.
 وقد قيل لنا مراراً وتكراراً ان مستوى اجورنا العالي ليس الا نتيجة تعريفتنا وفي نظري أن حقيقة
 ذلك أن تعريفتنا هي نتيجة اجورنا العالية فقد كانت الاجور في الولايات المتحدة مرتفعة بكثير عنها
 في اوربا بمدة طويلة قبل ان يفكر في اول قانون للتعريفة اذ أن هذا القانون أصدر بصفة مؤقتة
 لتشجيع انشاء الصناعات في بلاد جديدة فلما دخل ضمن نظامنا السياسي أصبح عسيراً علينا إنزاعه
 اما فكرة النظر الى تجارة وارداتنا كتشجيع — لا ينطوي على شيء من الوطنية — للعامل الاجنبي
 مقابل العامل الامريكي ففكرة غريبة حقاً اذ ان الطريقة الوحيدة المجدية لدفع اثمان بضائعنا
 المصدرة هي استيراد بضائع بدلاً عنها فكان من باب المنطق اعتبار هذه الاخيرة ثمناً للبضائع
 الاميركية التي يصنعها العامل الامريكي ويصرفها في الخارج وهذا هو حقيقة الواقع . وقد قال
 مستر « البرت وجنس » رئيس مجلس ادارة بنك تشيس الوطني الآتي في صدد ذلك : — أنه
 مع صغر مقدار تجارتنا الخارجية المقدرة بـ ١٠٪ من جملة تجارتنا فانها لم تزل عظيمة حتى انه
 يتوقف عليها الفرق بين الرخاء والكساد ، فان كان من الممكن أن نمنع بواسطه التعريفة كل المستوردات

ما عدا تلك التي لا يمكننا انتاجها مثل البن والشاي والمطاط والحرير الخ . فانه لا مشاحة في أن قيمة صادراتنا يجب ان تساوي قيمة المستوردات فاذا زادت عنها واجهنا السؤال عن الطريقة التي سنحصل بها على فائدة الديون التي لنا — دع عنك أصول هذه الديون »

هذا وانه من الصعب التوحيد بين نظرية التعريف الحالية ونشاط الشعب الامريكي وعبقريته واستقلاله ولا بد أن يكون المسئول عن بعث تلك السياسة الى الحياة هي الخرافة التي تقول بأهميتها الغير العادية لحياتنا الاقتصادية، تلك الخرافة التي لا تزال تُسلَقُنْ لنا من المهد الى اللحد واذا كانت تعريفتنا قد نجحت في شيء فانها نجحت في تركنا بدون أصدقاء بين أمم العالم وفي وضع كل محصول امريكي يراد تصريفه في الخارج تحت أشد الصعوبات والعراقيل ، وكانت سبباً في ايجاد صناعات طفيلية وجعلتنا ندفع ثمنين لكثير من الحاجات الضرورية ، تلك الحاجات التي كان يمكن لغيرنا انتاجها أحسن وأرخص منا وبذلك كان يمكننا اطلاق رؤوس أموالنا وعمالنا وبراعتنا في الادارة والتنظيم للعمل في تلك النواحي التي لا يضارعنا فيها أحد وقد دعت هذه السياسة كثيراً من الأمم الى رفع تعاريفها على البضائع الاميركية ، وربما انتظمت انجلترا عن قريب في صفوف اصحاب التعاريف العالية تدفعها الى ذلك رغبتها في الدفاع عن نفسها بعد انضمام كل الدول العظمى الى سياسة الحماية تلك السياسة التي لا بد وأن تؤدي الى تصدير رؤوس الاموال للخارج فيزداد الانتاج في الخارج ويقل في امريكا فتدعو الحاجة الى قفل وترك مصانع كثيرة فيها . وان كل امريكي مهما كانت طبقته ليشعر بتأثير تلك السياسة الذي يتطرق الى جميع مرافق البلاد فيرفع تكاليف المواد الاولية ويجعلنا ندفع هذا الفرق في شكل مستوى عال لأجور السكة الحديد والضرائب وأجور المساكن وكل ذلك له تأثيره في الزراع والزراعة، فكان الاخرى بالحكومة أن تعمل على انقاص أسعار تلك الحاصلات التي يستهلكها الزراع بدلاً من أن تعمل على رفع أسعار تلك الأشياء التي يبيعونها والتي برهنت التجارب على أنها أخفقت فيها وأخيراً لما كان الكل يعلم أن امريكا يمكنها ان تغلب العالم في الانتاج الواسع النطاق ولما كانت هناك أسواق عظيمة — جارٍ فتحها في افريقيا وجنوب امريكا وفي الهند والصين حيث يوجد الملايين من الناس الذين بدأوا يعرفون شيئاً عن معالم المدنية كالطرق الممهدة والسيارة والراديو الخ. — فان هناك ميداناً واسعاً تفتحه لنا مخيلتنا لتصرف ادوات السكك الحديدية ولاستعمال براعتنا الهندسية ورؤوس أموالنا الا أنه ليكن معلوماً أن مقدار حظنا في هذه الاسواق يوازي القيمة التي تقبل دفعها في شكل بضائع فعلي ذلك يتعين علينا من الآن الاختيار بين تبوئنا مركزنا الطبيعي في مقدمة التجارة العالمية أو الانصراف الى تقوية الحائط الاقتصادي حول بلادنا هذا الحائط الذي تنزلق عليه تجارتنا الخارجية فزيد تكاليف المعيشة ويهبط مستواها وتضعف حياتنا الاقتصادية في جميع نواحيها

مكتبة المقتطف

الرسائل الضائعة ورسائل أخرى

بقلم سامي الجريديني

طبع بمطبعة الهلال — صفحاته ١٠٨ قطع المقتطف — ثمنه ١٠ قروش

ليس باليسير على الكاتب الاوربي ان ينطق عن اهواء الاشخاص الشرقيين . وانه لصعب عسير على كاتب شرقي ان يرى من خلال النفس الغربية وان يستطيع الترجمة لأشخاص غربيين . تلك الصعوبة وذلك المرمى العسير المنال قد تحققا على يد الأستاذ سامي الجريديني . فقد وضع هذه الرسائل الضائعة على لسان فتاتين فرنسيتين احداها تسكن باريس والأخرى تعيش في لندن . واستطاع ان يعرب عن افكارها . وأن يصور بعض شؤونهما وما يعرض لهما من التجارب والآراء في فهم وعطف كبير

استطاع المؤلف أن يرى وجهة نظر كل فتاة من هاتين الفتاتين . وان يستكتبهما رسائل وآراء شائعة المنحى ، دقيقة الاسلوب ، فيها من البصر بالنفسيات ومعرفة الطبيعة البشرية ما يشهد للأستاذ الجريديني بالبراعة والمقدرة

ولو ان الأشخاص في هذه الرسائل ليس مما يقنع انقاريء او يعطيه وهم الحقيقة الصائب فأن الآراء والنظريات والملاحظات العميقة التي اجراها على السنتهم ، صادقة شديدة الصدق عميقة الغور . ولا احسب ان المؤلف قصد الى غير ذلك ولم يكن غرضه القصصي المعهود مجرمين — سواء التي في لندن او في باريس — نموذج طيب للفتاة الفرنسية المهذبة وما يهيجس في ضميرها من أمانى أو يحول في خاطرها من شتيت الآراء ومختلف الافكار والنظريات وخصلة أخرى في كتابة الأستاذ الجريديني لاحظناها أيضاً في كتابه خمسة في سيارة . هي أنه بارع الفكاهة ، شديد الأسر لا يكتب جملة ولا يخطط سطراً الا كان دقيقاً فيما يقصد ، ينحت اسلوبه نحتاً فيخرج من تحت يديه اشبه بعمل البنساء الماهر . فكلماته لا تزيد على معانيه بل ان معانيه ومقاصده تزدان بذلك القصد في التعبير الذي يكسب اسلوبه صرامة في جمال ، وليناً في شدة . والمؤلف من هذه الناحية « يعرف كيف يكتب » كما يقول « ارنوك بنيت » عن بعض الكتاب الذين ينقدهم

يزعم البعض ان مهنة المحاماة قد دفعت ببعض كبار كتابنا الى « المط » في التعبير وتراكم

الجلل الاعتراضية والشروح الاستدراكية وعدم التناسب ، وانتفاء صفات الاحكام والايجاز . وما على أولئك القائلين الا ان يقرأوا الاستاذ الجريديني حين يكتب في الأدب مع انه يحترف المحاماة . فانه اقام الحجة على ان المحامي الاديب يستطيع ان يكون فنّاناً « كلاسيكي » النهج ، ناصع التعبير ، واضح الذهن ، متشد القلم ، متين القلب !

« وكتاب الرسائل الضائعة » . يقرب في موضوعه من كتاب المؤلف الاول « خمسة في سيارة » . فهنا كهناك : تحليل دقيق للنفسيات . وملاحظات صائبة عن الأمم . ووصف جيد رائع وكتابة بادية الفكاكة والاحكام معاوية نور

سيد قریش

رواية تاريخية اجتماعية في ثلاثة اجزاء تبحث في حياة العرب السياسية والاجتماعية في العصر الجاهلي الى ظهور سيد قریش محمد عليه الصلاة والسلام — في ٩٦٧ صفحة حسنة الطبع والورق عقد الاستاذ رينهارت دوزي في كتابه « اسبانيا الاسلامية » عدة فصول ممتعة عن الخلافات التي قامت بين العصبية العربية بعد الاسلام واطهر باجلى بيان ان هذه الخلافات موروثه عن الجاهلية حملها العرب معهم اينما كانوا وحيثما حلوا ، بل لقد تدرك بطريق لاشعوري أن هذه المشاهدات كانت سبباً في تكوين احزاب سياسية او مدارس فقهية بعد الاسلام . ولقد قضى الاستاذ دوزي يجمع مواد كتابه هذا نيفاً وعشرين عاماً حتى دعمه على اوثق المصادر التي استطاع باحث مثله ان يقف عليها في مختلف دور الكتب الاوربية . فلا شك مطلقاً في أن ما كتب دوزي ان لم يكن كاملاً ، فهو اقرب ما يمكن من الكمال

عقد هذا المؤلف فصله السادس في ذلك الكتاب في اليمنيين والمعدّين وعدّد بعد ذلك الاسباب التي كانت مثاراً للخلاف بين القبائل والانحاذ والبطون في كليهما ، وعقب على ذلك بالكلام في الخوارج والشيعة واثبت ان الخلاف بينهما يرجع الى مشاهدات موروثه ثم تكلم في الكلبيين والقيسين في اسبانيا واثبت ان الخلاف بينهما كان سبباً في سقوط الاسلام في الاندلس ولقد جرتني هذه الذكريات الى ما كتب السير وليم ميور في تاريخ محمد (صلعم) وعلى الاخص ما اشار اليه من الخلاف بين الهاشميين والامويين في الجاهلية والاسلام . ولا ريبه في ان الخلاف بينهما كان محورياً دار عليه تاريخ الاسلام قروناً عديدة

على انك اذا قرأت « سيد قریش » للاستاذ معروف الارناؤوط عضو المجمع العلمي العربي في دمشق لا تلبث ان تقع على تاريخ صحيح أسبع عليه الاستاذ ثوب القصص ، بقدر ما يحتاج اليه التاريخ ليكون قصة تستهويك الى متابعة القراءة ، من غير ان تخلى ذهنك من الوقائع التاريخية . غير ان ابين ما تستبينه عن هذا التاريخ القصصي البديع ، تلك الخلافات التي قامت بين المناذرة احلاف الفرس في العراق ، وبين الغساسنة احلاف الروم في سوريا . لان هذا الخلاف ليس الا

حلقة من حلقات كثيرة ظلت طوال ايام العرب تتواصل غير متدبرة ولا مفصومة على ان هذا كله لم يكن الا مقدمة لظهور محمد بن عبدالله ليربط بين كلمة العرب فتتحد وتلقى بكل قواها على امبراطوريتين مزقت احدهما المطامع وهي امبراطورية كسرى، وافسدت الثانية الروح اللاهوتية واحتكامها في سياسة الامم وتقرير مصائر الشعوب وهي امبراطورية بيزنطية. بيد ان العجب العجيب ليس في هذا. بل العجب في ان العرب بعد ان يدوخوا العالم كله ويفتحوا المعمور من الارض، لا يابيههم هذا النصر المبين عن خلافتهم الموروثة ولا تؤثر فيهم معجزة القرآن الا الى حين، فيعودون دراكا الى منافساتهم القديمة، فتأكلهم وما حصدوا نيرانها المتلظية

ولم ينس الاستاذ مؤلف الرواية ان يذكر نابورقة بن نوفل وسطيح وبحيرا الراهب وعلاقة هؤلاء الثلاثة بتاريخ نشأة النبي العربي العظيم. اما سطيح فليس له من الاثر الا اثر التنبؤ بظهور نبي جديد بين العرب يجمع كلمتهم ويثأر للعرب من جيرانهم الفرس والروم. اما الاثر الذي تركه ورقة بن نوفل حكيم قریش وبحيرا راهب الشام، فلا اظن انه ضئيل. والدليل على هذا مادي ثابت. فان كل الروايات التي ذكرت في القرآن عن عيسى او قل اهمها قد اخذت من الكتب التي اعتبرتها الكنيسة الرومانية من الكتب المحذوفة فالمعجزة التي رواها القرآن مثلا وفيها يتكلم عيسى عن نفسه بقوله «واني اصنع من الطين كهياة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بأمر الله» ورواية النخلة عندما وضعت مريم عيسى فقال لها «وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا» — الى غير ذلك كلها مسطورة في الكتب المحذوفة. فالرواية الاولى تجدها في اول انجيل توما، والثانية في اول انجيل متى المحذوف. وكلاهما اعتبر في الكنيسة الرومانية من الكتب المحذوفة. ولكن الواقع ان لهذه الكتب مدارس ايديتها في الشرق وعلى الاخص بعد انفصال اليعاقبة والنساطرة عن الكنيسة وانتشارهم في غرب آسيا وشمال جزيرة العرب وبهمم التعاليم التي خرجوا من اجلها على الكنيسة النصرانية. ولا يبعد مطلقا ان يكون ورقة بن نوفل وبحيرا الراهب من رواة هذه الاحاديث. على ان التابت تاريخيا ان ورقة بن نوفل كان من حكماء العرب ومن اعرفهم بتاريخ الاديان ومبادئها وانه من اقارب خديجة بنت خويلد اول زوجات النبي العربي وانه كان يساكنها، وانه كان موضع سرها وموئلها عند طلب النصح والارشاد. بل كان ممن يسمع لهم في عكاظ وانه كان احد رجال الندوة المعروفين لافي قریش وحدها بل في جزيرة العرب من شمالها الى جنوبها

وأنت ان تصفحت تاريخ العرب يبادر الى ذهنك معنى الصحراء والجفوة والغلظة، فاذا قرأت سيد قریش وقفت على ما كان للعرب من ضلع في المدنية وعلى الاخص في العراق وفي الشام، واستروحت شيئا جديدا يوقفك على ان العرب لم يكونوا بعيدين عن المدنية



توفيق مفرج
مؤلف كتاب «آلام واحلام»

باب مكتبة المقتطف

مقتطف يونيو ١٩٣٢

الآن بنشأتهم الأولى في جوف تلك الصحراء المترامية الأطراف وانهم كانوا على علم بما تأتي به المدنية من النظريات التي طمعوا فيها واستغلوها اوسع استغلال بعد ان جمعت كلمتهم على القرآن والرواية من اولها الى آخرها عبارة عن قصة منسجمة مؤتلفة، ان نقصها من شيء فاضطراب في الاسلوب يكفر عنه جمال الوضع وتألف العناصر التي تكون هيكلها

ولقد مر بذاكرتي عند ما بدأت اقرأ هذه الرواية الممتعة كنيورث وايقانوه وعروس لممرور للسير وولتر سكوت . فهذا احيا من تاريخ الايقوس في اشخاص فرسانهم ومؤلفنا العربي احيا من تاريخ العرب في اشخاص النعمان بن المنذر والحارث بن جبلة وابن الايهم وعنترة العبسي والمنذر بن الحارث وقابوس بن النعمان . ونحن لدى الواقع احوج ما نكون الى القصص التاريخي . فان مفاتن اوربا كادت تخدعنا عن ميراثنا النبيل . ولا شك مطلقاً في ان هذا الميراث الخالد اول ما يحرك في النفوس النخوة القديمة ، وان فينا منها لبقية ، وان شئت فقل حشاشة تسوق بنفسها . فاذا فرخت هذه الحاجة مرة اخرى فلا اظن ان الغرب الا مطأطأ لها الرأس احتراماً

اسماعيل مظهر

آلام وأحلام

آلام وأحلام ... لفظتان شعريتان ، هما بجران من عالم الحياة تتقاذف فوق لجتيهما قلوب ويحويان من اسرار ذلك المعنى الكبير (الحياة) ما هو عميق لا يدرك فنظل واقفين امامه في شوق الى ادراكه لا نحول عنه رغم المحاولات الضائعة ، وما هو بسيط العمق يدرك لكنه ساحر يأخذنا في محيطه فنصبح اسراراً والغازاً

وآلام وأحلام ... هو كتاب ، او هو صورة مصغرة لهذه الحياة . هو كتاب الفن الذي اتحف به الادب العربي الاستاذ توفيق مفرج فاذا في جبين العربية درة تتألق ، درة لامعة في معانيه وألفاظه ، درة لامعة في اتقان طبعه وحسنه ، ولم ار في تاريخ الطباعة العربية سحراً يلمس الا في كتاب (شاعر في طيارة) لفقيه الادب المرحوم فوزي معلوف ، وكتاب « آلام وأحلام » الذي تتكلم عنه

هو مجموعة قصائد ومقالات من الشعر المنشور . او هو مجموعة من النغم السامي التقطها الاستاذ توفيق من سماء الالهام فأسمعها اهل الارض الذين يصك مسامعهم دوي الآلات ورنين الذهب ، وعويل المنازعات المختلفة ... نشرها في المقتطف والهلال وبعض المجلات العربية والانكليزية في موضوعات مختلفة مثل : مصر . الحب حتى الموت . عواطف ام . راسم . يحيا تعد . المثل الاعلى . على الارض السلام . على ضريح من احب . الى التي احب الخ فقطعته « مصر » التي اقترحت مجلة الجرافيك ، التي تصدر في لندن عليه ان ينظمها هي اخرى بأن تلقن في مدارسنا لاطفالنا يحفظونها ككلمة عمرو بن العاص التي كتبها عن مصر فهي نشيد كلما

قرأته شعرت بعظمة تحملني على اجنحتها الى عوالم السموات التي عاش فيها اجدادنا وسنعيش فيها باذن الله كذلك تلك القطعة التي تحمل الفاظها روح الحنان الخالص الذي لا تشوبه شائبة ، والتي وسمها بعنوان « الحب حتى الموت » فصور فيها حنان الأم اجل تصوير حتى لم اكد اتم قراءة هذه الجملة التي تخاطب بها الام خيال الموت وهي تتبعه فداءً عن ولدها « سر ايها الخيال وأسرع فحياة الطفل رهينة الموت ، عجل لنصل الى ابواب الابدية قبل ان تُطلب حياة الطفل من ملاك سواك ، اسرع لكي تتمكن الأم من التضحية بنفسها فداءً عن ابنها » لم اكد اتم قراءتها وأنا الى جانب امي حتى اخذت يدها فغمرتها بقبلات باردة انحدرت بعدها دمعتان من عيني تبعت لي من خلالها تلك العظمة المقدسة التي جعلت المؤلف يهدي كتابه الى التي أحبها كثيراً ، الى امه

وظلمت ألتهم بقية موضوعات الكتاب فكنت أشعر بلذة تغمرني وتحملني معها على اجنحة سحرية وأنا مأخوذ بسحرها ورقتها حتى اذا انتهيت أخذني سحر آخر ، وفتنة أخرى هي جمال الكتاب وما ازال اذكر تلك الوقفات الجميلة التي كنت اقفها عند ما أتم موضوعاً كأني أمام جدول ماسي بديع يجري في وسط مروج خضراء تحت ظل الشفق الاحمر الفسّان فأشكر الاستاذ مفرّج على إتحافه عشاق الادب بهذه الباقة الجميلة ، واستحلفه بتلك التي يحبها كثيراً ان لا يدع المشاغل المالية تحرمنا من تحفه ، وان لا تنسيه قراءه الذين سينتهون من قراءة هذا الكتاب لينتظروا منه غيره وغيره

حسن كامل الصيرفي

وادي نظرون ورهبانه واديرته

Etude sur le Wadi Natroun, ses Moines et ses Couvents
Alexandrie 1931

لصاحب السمو الامير عمر طوسن ولع بالدراسات والابحاث التاريخية والاجتماعية وخصوصاً ما يتعلق منها بتاريخ مصر فتراه لا ينفك عن معالجة المخطوطات والمؤلفات من قديمة وحديثة ليستوضح منها ما غمض من تاريخ البلاد أو ليوجه الانظار الى حقائق جديدة بالاعتبار . فبالامس اصدر كتابه عن مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن وهو ترجمة الكتاب الذي الفه سموه عن ذلك الموضوع باللغة الفرنسية وامامنا الآن بحث في « وادي نظرون » كتبه سموه بالفرنسية ايضاً ترى اذا ما قلبت صفحات هذه الرسالة ان البحث يقسم الى ثلاثة اقسام فالاول يتعلق بجغرافية وادي النظرون الواقع على بعد ثمانين كيلومتراً عن القاهرة من طرفه الجنوبي الشرقي وعلى بعد خمسة وثمانين كيلومتراً عن الاسكندرية من طرفه الشمالي الغربي . والقسم الثاني يتناول رهبان وادي نظرون قبل الفتح الاسلامي العربي وبعده . والثالث يبحث في اديرة وادي نظرون فيتناول الاديرة المختلفة ويروي اخبار مؤسسيها ويذكر التغيرات التي

طرات عاينها في مختلف العصور فيبين لنا ان هنالك اربعة اديرة في ذلك الوادي في الوقت الحاضر وهي عامرة ومأهولة وحوطها انتقاض ثلاثين من الاديرة التي كانت عامرة في مختلف العصور المسيحية السالفة وانه ليعجبك في ابحاث سمو الامير الجليل تلك الدقة التي يجب ان ترافق كل بحث . فما تجده في كتاب مالية مصر من الرجوع الى المصادر الاصلية والاستناد الى اهم الثقات تراه في هذا البحث ايضاً . ولا يكتفي سموه بذلك بل تراه تارة ينتقد ما ورد في بعض تلك الاصول والمراجع واخرى يستعملها للاستدلال على حقائق جديدة وحسبك ان تقرأ صفحة ٣١ من رسالته هذه عن كيفية اكتشافه لدير الانبا زخريا بين انتقاض تلك الاديرة لتحقيق ذلك او ان تقرأ عن انتقاده لما ورد في المقرئ بن عدد الرهبان كان سبعين الفاً في ايام عمرو بن العاص ورجوعه الى ما رواه الذين عاشوا في القرن السادس واستنتجوا ان عدد الرهبان لم يكن اكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة بل اقل من ذلك

والرسالة محلاة بالصورة الجلية الواضحة التي اخذها الدكتور بوي هوير في اثناء الرحلتين التي قام بهما صحبة سمو الامير والاستاذ بريتشيا في ربيع عامي ١٩٣٠ و ١٩٣١ . ونحن اذا ابدينا اعجابنا بمؤلفات صاحب السمو الامير عمر طوسن وبالابحاث التي يحمل نفسه مشقة القيام بها فاننا نفعل ذلك باسم البحث والعلم والحقيقة

جورج حداد

رام الله (فلسطين)

كتاب الصحة والحياة

هذا كتاب مفيد . يجب ان يكون في كل بيت يتكلم اهله العربية ويقرأونها . وفائدته آتية من ناحية جمعه لاهم الحقائق عن بناء الجسم ، ووظيفة كل عضو من اعضائه ، وتضمنه الارشادات اللازمة التي يجب على كل انسان ان يجري عليها للمحافظة على سلامة الاعضاء . وهذه المباحث تستغرق من فصوله خمسة عشر فصلاً تملأ ١٠٦ صفحات . اما فصوله الباقية وهي ٢٣ فصلاً تملأ ١٧٤ صفحة فقد خصصت لوصف الامراض التي يكثر تفشيها ، واماطة اللثام عن اساليب المعيشة الصحية ، وما يلزم من العلاجات الضرورية التي تدفع بها غوائل هذه الامراض مؤلف هذا الكتاب يدعى الدكتور سلمون (Selmon) ولا ندري من هو ، وباية لغة الف كتابه اولاً ولكن ناشري الترجمة العربية يقولون انه صدر من نحو عشر سنوات فترجم الى عشرين لغة ولهجة مختلفة وذاع في الصين والهند واليابان وغيرها عدا ظهور خمس طبعات منه بالانكليزية . وانما الامر الذي يهمننا انه كتاب مفيد وان ترجمته متينة العبارة ، قريبة التناول ، وطبعه بالغ حداً بعيداً من الاتقان . فنسدي الشكر الى مترجمته « الزهرة » (اوليفيا عويضة) وناشريه اعضاء « جمعية المطبوعات العربية ببيروت » ولطابعيه اصحاب مطبعة دار الايتام السورية في القدس الشريف

رسالة باريس

ببشر فارس

تأليف المستشرقين

تهافت التهافت لابن رشد

(المطبعة الكاثوليكية ببيروت)

Tahafot at tahafot — Beyrouth (Imprimerie Catholique)

ليس حديثي هنا عن مذهب ابن رشد فكلنا يعلم ان الرجل الف كتابه ليرد على الغزالي ويدفع اقواله في « تهافت الفلاسفة ». وكلنا يعلم انه نهج في ذلك منهجاً سديداً اذ جعل يقلب مصنف الغزالي ظهراً لبطن فتارةً يسلم بصحة فقرة من فقره وطوراً يطعن في أخرى معتمداً في ذلك على شدة عارضته راجعاً الى منطق القويم . وكتاب ابن رشد من اركان الحكمة العربية والدليل على ذلك ان الفرنجة اقبلوا عليه فنقلوه الى اللاتينية والعبرية منذ القرن الثاني عشر على أن حديثي هنا عن كيفية ابراز هذا الكتاب . فاعلم ان الاب اليسوعي (بوريغ) عني بنشره وذهب في التثبت والاستقصاء الى الغاية . ذلك بأنه اعتمد على عشر نسخ مخطوطة بعضها عربي وبعضها عبري وبعضها لاتيني فعارض بينها جميعاً ليستخلص منها الصحيح وينبذ الفاسد والموضوع . فجاءت طبعته خيراً من طبعة مصر

ثم ان الناشر عمد الى الاسلوب الحديث الذي يعمد اليه رجال دار الكتب في مصر فأشار الى النسخ في كل صفحة من صفحات الكتاب ليتدبر القارئ عمله . ثم انه ترك الكتاب على شكله ابتغاء المحافظة على الاصل فأبى أن يقسمه الى اقسام يجعل لكل منها عنواناً يهتدي به القارئ . غير انه جعل لكل فقرة رقماً ثم اثبت الرقم في أعلى الصفحة و اضاف اليه مجمل الفقرة باللاتينية وكان جديراً به ان يردفه بترجمة له عربية ثم انه جعل في نهاية الكتاب فهرس تقرب منال فوائده : فهرست للأسئلة وآخر لنصوص الغزالي التي يتدبرها ابن رشد وآخر لاسماء الاعلام وآخر لعناوين التصانيف وآخر لفقه اللغة ثم فهرست للاصطلاحات الفلسفية . وكان حقيقةً بالاستياد ان يثبت في هذا الفهرست ما يرادف تلك الاصطلاحات باللغة الفرنسية وليس ذلك بالمتعذر عليه

وختاماً اني اخبرك وملء جوانحي الفرح أن الاستاذ بويج عاكف على ابراز اركان الحكمة العربية وهمه في ذلك الاستقصاء والتثبت . وعسى ان ينقلها الى الفرنسية فيطلع عليها طلاب

الفلسفة في الغرب ويفسحوا في تأليفهم وإبحاثهم مكاناً لحكمة العرب تلك الحكمة التي عول عليها فحول المتكلمين الغربيين أيام العصور الوسطى مثل (دانس سكوت) Duns Scot ومارتوما St. Thomas d'Aquin وغيرهم

الشام في العصور الخوالي والعصور المتوسطة

La Syrie Antique et Médiévale Editions Geuthner, Paris.

ان الشام ظفرت بمظاهر المدنية التي ما انفكت تقوم بالتتابع حوالها . والسبب في ذلك ان اهل تلك المدنية غلبوها على امرها تارةً وانصرفوا اليها اخرى لطيب صيدها وصلاح اقليمها فخلوا بها واقاموا . وان ننس لا ننس انها كانت طريق القوافل بين مصر وفارس وان سواحلها كانت تجمع جمّاً غفيراً من الاسيويين والافريقيين واوروبي الجنوب ولم يكن الشاميون ليعرضوا عن الفن فانهم اقبلوا عليه وزادوا فيما انتهى الى ايديهم وحلّوه ثم انصرفوا الى البناء بالحجر وافتنوا فيه واختصوا به . ثم ان ورعهم وولعهم بالدين صرفا همهمهم الى مظاهر من الفن جديدة

ومما لا يخفى على الناس ان الفرنسيين لا يدخرون جهداً في التنقيب عن جمع تلك الآثار . وقد وفقوا الى عدة مكتشفات وهام اليوم يذيعون بين الخلق كتاباً ضخماً يدرجون في اطوائه صوراً فوتوغرافية لبنايات اثرية وبعض تماثيل وادوات فنية يقف عهدها عند الحروب الصليبية . الا ان الرهط الذين عنوا بآثار الكتاب اضافوا اليها قصرين احدهما بيت العظم في دمشق والآخر قصر بيت الدين ببلدان وقد رموا في ذلك الى ان يثيروا الى تأثير الفن اللبناني في هذا الفن التركي في ذاك

وفي هذا الكتاب آثار لفنون السومريين (الشمريين) والمصريين والحشيين والاشوريين والبابليين المتأخرين والفرس واليونان والرومان والروم والمسلمين والفرنجة . وعندى ان فن التزيين ملموس في التماثيل والادوات التي بعث بها المصريون الى الشاميين قديماً فحذا الشاميون حذوهم فيها . واما الابهة فمبسوطة على بنايات اليونان والرومان واما الدقة ففي الرسوم التي تعلو الجدران البيزنطية واما الجلال فمستو على جنبات الجوامع واما العزة فقيمة في القلاع والمرابط التي شيدها الصليبيون

فمثل هذا الكتاب يعرض عليك من الوان الفن ما يسحر عينيك . الا اني كنت اود لو اسهب مبرزوه في التعليق على الصور فيبسطون لنا فوق ما بسطوا من شرح ونقد لان الصور ليست بشيء اذا لم يكتنفها احاديث واخبار لاتقف عند الائمة

امثال مطوية لعجائز مراکش

Proverbes inédits des vieilles femmes marocaines

Edition Geuthner Paris

هذه مجموعة امثال يضربها اهل مراکش ولا سيما عجائزهم في دورهن . وترمي العجائز في ضربها الى تأديب بناتهن وكنائنهن وإمائهن وكثيراً ما تنم هذه الامثال على اختبار حق . وفيها حكم على شاكلة حكم اهل الجاهلية . على ان طائفة منها قريبة المنال لبساطة عبارتها على حين ان غيرها بعيدة المعنى بل مقفلة لغموض فيها أو لاشارتها الى حادث غاب بين طيات الزمان وقد نقل هذه الامثال الى الفرنسية احد المترجمين الجزائريين المعهود اليهم في التراجم الرسمية . وقد فطن ان يعلق على كل مثل فيشرحه ولربما عارضه بآية أو حديث أو بيت شعر أو حكمة بل ربما قابله بمثل فرنسي . ولكنه لم يوفق الا قليلاً في المقابلة ولا سقى اليك بعض هذه الامثال :

« جا من برا وعاد ما طراً » والمعنى : غريب يحدثنا عن بلدنا
« خلى هموم بالاساس ومشى يحفر على دا الناس . أي خلف هممه علانية وانطلق ينقب عن هموم الناس »

« فليس في الجيب احسن من ميا بالغيب » ويقابله عندنا : عصفور في اليد ولا عشرة عالشجره
« كل خنفوس عندمّو غزال » . ويقابله عندنا : الا رد في عين أمه غزال
« نشم يدي ونشبع » . يقوله من أرى ثم افتقر
« صنعه فعمى المؤذن اذا ما ادن يحنح » . والمعنى أن عمى المؤذن لا ينفك يتحنح اذا لم يؤذن . ويقابله في امثال المولدين : العادة توأم الطبيعة (راجع الميداني ج ١ ص ٤٥٨ طبعة مصر)

هذا وليس اثبات هذه الامثال الدارجة لونا من الوان اللهو بل ضرب من ضروب العلم الذي يسميه الفرنجة Folk-lore (معرفة الامم) . وهو فن يبحث عن احوال العامة او اغانيهم وآدابهم . وبودي لو ينهض أحد من المصريين فيجمع امثالنا الحلوة الخفيفة الظل المملوءة سخراً ورشاقة في آن . واني اذكر ان الاديب نجيب نجم كرم عرض لهذا العمل فألف كتاباً لسنة مضت عارض فيه بعض امثال مصرية بامثال سورية ولكن مؤلفه غير واف وان كان تقيساً

باب الأخبار العلمية

السكر ومكروب النزلة الصدرية

التربة التي تكثر فيها المواد النباتية المنحلة كائنات دقيقة تولد «انزيماً» له هذا الفعل. وقد تناولوا فعلاً هذا الانزيم وحقنوا به فئراناً مصابة بالنزلة الصدرية فشفيت. ووجدوا كذلك ان حقن الفئران بهذا الانزيم يقيها من فعل مكروبات النزلة الصدرية الفائعة مع ان هذه المكروبات تميت في الحال فئراناً اخرى لم تحقن بهذا الانزيم. وفعل الانزيم حل السكر الذي يتكون منه غلاف المكروب فيسهل على حمأة الجسم مهاجمته والفتك به. فالشفاء اذاً رهن وجود هذا الانزيم ومقدرة الجسم الدفاع عن نفسه

سرعة الافاعي

الشائع ان الافاعي تمر امام الناظر مرور البرق الخاطف. على ان الدكتور ولتر موزور (Mosauer) العالم بالحيوان والاستاذ بجامعة كاليفورنيا الاميركية استعمل ادق الوسائل في قياس سرعة الافاعي المختلفة فوجد ان اسرعها لا يقطع اكثر من ميلين ونصف ميل في الساعة. وان ذبوع الاعتقاد بسرعتها العظيمة وهم ذهني مسببة خوف المشاهد والافعى معاً وتلوي الافعى في اثناء زحفها

تلا الدكتور أوزولد ايثري (Avery) احد اطباء المستشفى التابع لمعهد ركفلر الطبي في مجمع كلية الجراحين الاميركي رسالة قد تكون فاتحة عهد جديد في مكافحة النزلة الصدرية وما اليها من الامراض التي يحدثها المكروب المعروف بالنوموكوك Pneumococcus. قال ان للنوموكوك غلافاً لا يستطيع المكروب ان يغزو الجسم ويحدث فيه المرض مجرداً عنه، اذ يسهل حينئذ على البلعات Phagocytes ان تفتك به. والراجح ان هذا الغلاف مكون من صنف خاص من السكر يركبه المكروب نفسه. ولكل صنف من «النوموكوك» صنف خاص من السكر. وهذا الغلاف السكري ليس ساماً — في الراجح — على مثال الغلاف السكري الذي يحيط بمكروب الدفتيريا ولكنه يعيق الشفاء او يمنعهُ لانه يحول دون وصول المواد المكافحة للمكروب في الدم الى البقع المصابة فيتعذر عليها مكافحة المكروب في موطنه

وقد وجد الدكتور ايثري واعوانه ان الجسم لا يولد «انزيماً» يحل هذا السكر المعقد التركيب وانما يوجد في بعض انواع

قياس عوامل الوراثة

استعمل الاستاذ اوزولد بلاكوود الاستاذ في جامعة بتسبرج الاميركية اشعة اكس لقياس عوامل الوراثة فوجد ان طول العامل الواحد نحو ٨٠ انجستروماً (او ٣٢ جزءاً من الف مليون جزء من البوصة)

أفعل مبيد للحشرات

«الروتنون» مادة فعالة في مكافحة الحشرات وابطادتها تستخرج من جذور بعض النباتات الاستوائية في جزائر الهند الشرقية وجنوب اميركا . وقد جاء في انباء اميركا العلمية ان ثلاثة كيميائيين من وزارة الزراعة الاميركية فازوا بمعرفة تركيبها الكيميائي ، فاذا هي مركبة من ثلاثة عناصر : — الكربون والايدروجين والاكسجين بنسبة ٢٣ للاول و ٢٢ للثاني و ٦ للثالث . أما بناء ذرات هذه العناصر في الجزيء الواحد فمعقد كل التعقيد . والغرض من عناية الكيميائيين بمعرفة البناء الكيميائي لاية مادة طبيعية هو استعمال هذه المعرفة في صنع المادة بالتركيب بنفقة اقل من نفقة استخراجها من مصادرها الطبيعية . والعلماء الذين كشفوا عن تركيب «الروتنون» الكيماوي معنيشون الآن بدرس بعض مركبات يرجح انها تفضي الى مادة جديدة مماثلة للمادة الطبيعية وانما تفوقها في شدة فعلها وقد تعلم البيض استعمال «الروتنون» من سكان جزائر الهند الشرقية وجنوب اميركا الاصليين ، اذ رأوهم يسمون الاسماك بالنباتات التي تحتوي على هذه المادة ، ثم

ياكلونها من دون ان يصابوا بفعل السم . فحرب بعضهم فعل النبات في الانسان مباشرة فوجد انه لا يسم الانسان قط ، فلما جرب فعلة بالحشرات وجد انه يفتك بها فتكا ذريعاً

نظير جديد للنحاس

الرصاص الذي ينشأ من انحلال الراديوم يشبه الرصاص العادي في كل خواصه الطبيعية والكيميائية وانما يختلف عنه في وزنه الذري . وهذا هو «الايستوتوب» او «النظير» . وقد استنبطت طريقة في جامعة الاباما الاميركية اسمها الطريقة « المغناطيسية البصرية » Magneto - optic للبحث عن العناصر المجهولة ونظائر العناصر المختلفة . فاكتشف بها العنصران اللذان يقابلهما رقم ٨٥ و ٨٧ في جدول موزلي ودعيا «فرجينيوم» « والابامين » . وقد استعملت هذه الطريقة نفسها للبحث في نظائر النحاس فاكتشفت بها نظير جديد له . والنحاس عنصر معدني وزنه الذري ٦٣.٥٧ ولكن بحث الاستاذ استن الانكليزي المعروف « بابي النظائر » اثبت ان للنحاس نظيرين كلاهما يشبه النحاس في خواصه الطبيعية والكيميائية وانما يختلف عنه في الوزن الذري فاحدهما وزنه الذري ٦٥ والاخر ٦٣ . اما النظير الجديد وهو الثالث فلا يعلم عنه حتى كتابة هذه السطور اكثر من ان وزنه الذري اقل من ٦٣ ولعله يكون ٦١ تحقيقاً لما تنبأ به الاستاذ يوري Urey احد اساتذة جامعة كولومبيا

احوج ما يحتاج اليه العالم

يرى المستر اورفيل ريط احد مستنبطي الطيارة ان رخاء الانسانية يزيد بزيادة القوة المحركة ورخصها وعليه فاعظم المستنبطات التي يحتاج اليها الناس هو محرك يحول الطاقة الكامنة في المادة الى قوة محركة او محرك يستطيع ان يتناول القوة مباشرة من اشعة الشمس

ويظن الدكتور لي ده فرست مستنبط الانبوب المفرغ المستعمل في المخاطبات اللاسلكية ، ان الاستنباط العظيم التالي هو التلفزة (الرؤية عن بعد) العملية الواسعة النطاق . ولكنه مع هذا يرى ان احوج ما نحتاج اليه مصادر لا تقنى من القوة الرخيصة الثمن فنستطيع ان نقلب بها احوال العمل والمعيشة واساليبهما

وعنده ان مصادر هذه القوة كائنة تحت قشرة الارض على عمق بضعة اميال من سطحها . وابناء الجيل القادم لن يحفروا المناجم في الارض لاستخراج الفحم والمعادن بل لاستخراج الحرارة بطريقة يمكننا مثلاً من انزال الماء الى الاعماق واخراجه بخاراً وبهذا البخار نولد القوة الكهربائية فنستعملها في تدفئة بيوتنا وتبريدها ، وتنقية الهواء ، وتسيير المركبات بل في كل شؤون المصانع والبيوت ويرى الدكتور إليهو طمسن احد كبار المهندسين الكهربائيين في اميركا ان اعظم المستنبطات التي يحتاج اليها العمران هو طريقة

لتحويل طاقة اشعاع الشمس الى تيار كهربائي عالي الضغط ، تحويلاً مباشراً

سرعة الضوء

اصدر الميسو غوري ده براي Gheury de Bray رسالة موضوعها سرعة الضوء سرد فيها كل التجارب التي جرت لقياسها من دومر (العالم الدنماركي الذي قاس سرعة الضوء برصد خسوف اقمار المشتري سنة ١٦٧٥) الى ميكالسن (العلامة الاميركي الذي توفي في العام الماضي) وقد اورد في رسالته نتائج ٢١ تجربة جرت لهذا الغرض اولها تجربة فيزو Fizeau سنة ١٨٤٩ وآخرها تجربة ميكالسن التي اتمها قبيل وفاته . وبعد البحث الدقيق قال ان التجارب التي يصح الاعتماد على نتائجها سبع قسمها الى قسمين الاول التجارب التي جرت لقياس سرعة الضوء على مسافة لا تتجاوز اربعة كيلو مترات وهي

ميكالسن	١٨٧٩ ٥	٢٩٩٦٩١٠
نيوكم	١٨٨٢ ٧	٢٩٩٦٨٦٠
ميكالسن	١٨٨٢ ٨	٢٩٩٦٨٥٣

ثم التجارب التي جرت لقياس سرعة الضوء على مسافة ٢٣ كيلو متراً او اكثر وهي

كورني هامير	١٨٧٤ ٨	٢٩٩٦٩٩٠
پروتان	١٩٠٢ ٤	٢٩٩٦٩٠٦
ميكالسن	١٩٢٤ ٦	٢٩٩٦٨٠٣
»	١٩٢٦ ٠	٢٩٩٦٧٩٦

طريقة عجيبة لقتل الميكروبات

الصوت امواج . وكلما ارتفع الصوت قصرت الامواج واسرع تواليها ولكن اذا قصرت الامواج عن حد معين عادت الاذن البشرية لا تحسها . على ان هذه الامواج نفسها لها فعل غريب في الاحياء . فالدكتور لسلي تشمبرس والدكتور نيوتن جاينز من اساتذة جامعة تكساس المسيحية قد اثبتا ان تعريض اللبن الى آلة خاصة تخرج امواجاً صوتية متناهية في القصر افضى الى قتل ٨٠ في المائة من البكتيريا التي في اللبن

وقد كان الاستاذ ود الاميركي من اوائل الذين عنوا بهذه المباحث . وقد نلخصنا تجاربه في مقال اخذ بغرابتة في مطلع مقتطف مايو سنة ١٩٢٧ ومن اهم الحقائق التي اثبتتها انه كان يبحث في طريقة لتوليد امواج صوتية قصيرة سريعة لا تسمعها اذن الانسان فيستعملها لاكتشاف غواصات الاعداء وهي غائصة في الماء . واذ هو يجرب التجارب بهذه الامواج في حوض اتفق انه شاهد سمكة في الماء تتجه نحو المنطقة التي تخترقها الامواج ثم لم تلبث ان انتفضت وعامت على وجه الماء فاقدة الحياة . فد يده الى الماء ليعلم سبب ذلك فسحبها حالاً لانه لم يستطع ان يتحمل ما شعر به من الألم الذي اخترق لحمه الى العظم وشعر كأن يده تنحل انحلالاً

ووالى ود تجاربه بعد الحرب فأثبت ان صغار السمك وزرعاً من الحيوان المكروبي

المعروف بالبراميسيوم تموت كلها اذا سلطت عليها هذه الاشعة . ثم اثبت انه اذا عرض دم الانسان اليها نقص عدد كريات الحمراء ولما جرب تجاربه في نبات السبيروجيرا وهو ما يكثر في المادة الخضراء التي تغطي برك الماء الراكدة قتلت خلايا النبات قتلاً . ولما بقيت الخلايا نحو خمس دقائق ونصف دقيقة معرضة لهذه الامواج باد منها العين والاثر ولما امتحن الماء بالمكروسكوب لم يجد من آثار الخلايا النباتية الا خيوطاً دقيقة

علاج بسيط لتصلب الشرايين

يرى الدكتور پلش J. Plesch استاذ الطب الداخلي في جامعة برلين ان تصلب الشرايين ليس مرضاً بل وسيلة الطبيعة للدفاع عن الشرايين ومنع انفجارها وانه ليس حالة خاصة بالمتقدمين بالسن وانه قابل للشفاء . والطريقة التي وصفها لعلاج في مجلة اللانست الطبية ، تقوم اولاً على ازالة اسباب ضغط الدم العالي ولا يكون ذلك بتناول العقاقير التي ترخي الاوعية الدموية بل بالجري على نظام غذائي معين . وهذا النظام الغذائي اساسه الامتناع يوماً كل أسبوع وثلاثة اسابيع متوالية كل سنة عن المأكول التي تحتوي على النتروجين (البروتينات) والملح (كلوريد الصوديوم) . يضاف الى ذلك وجوب المعيشة في الهواء الطلق والبعد عن كل هم فكري

وتصلب الشرايين نفسه مظهر من مظهر مرض يصيب بنية الانسان اذ تضعف العضلات

في كوبنهاغن عاصمة الدنمارك سنة ١٩٢٣ واكتشف نودك Noddack وتاك عنصري المزوريوم (٤٣) والرينيوم (٧٥) في برلين سنة ١٩٢٥ واكتشف هبكنز الاميركي عنصر الالينيوم (٦١) سنة ١٩٢٦ في جامعة الينوي الاميركية وكلهم جروا على طريقة موزلي في اكتشاف هذه العناصر (راجع مقالة موزلي كشف خريطة العناصر مقتطف يونيو ويوليو ١٩٣١). اما الدكتور أليسُن فقد اكتشف العنصرين الجديدين بطريقة ابدعها حديثاً ودعاها الطريقة المغنطيسية البصرية وهي اشدّ احساساً من طريقة موزلي المبنيّة على اشعة اكس القبة والطير

بعد نشر مقال القبة والطير جاءتنا من مدام دفونشير الكلمة الآتية :

جاءني ايضاً من جناب مسيو راينو عن هذا الموضوع ان كتاب «كلستان» لسعدى به فقررة تشير الى هذا الطير وقد عثر عليها في ترجمة هذا الكتاب للسر اردوين ارنولد ص ١٠ وهي بالمعنى الآتي « واذ لم يكن هناك الطائر الحامي الذي يقوم على حراسة الملوك

» اتظن ان يكون هذا سبباً لتلمس « الناس السلامة تحت «اجنحة البوم» وقد رأيت ان الحق مقالي بهذه التكملة فيما يتعلق بالبحث عن الاصل في اتخاذ هذا الطير من شعار الملك

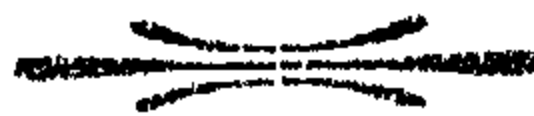
وقد ورد في سياق الكلام عن الملك المؤيد في ذلك المقال ان اسمه «شيخو» والصواب «شيخ» كما لا يخفى على فطنة القارئ

الناعمة وغيرها من الانسجة المرنة في جدران الاوعية الدموية عن مقاومة سير الدم فتعمد الطبيعة الى ترسيب الجير في جدران الشرايين حيث يشتدّ ضغط الدم لتقوية هذه الجدران ومنع الانفجار الدموي . ويؤكد پلش ان تصلب الشرايين ليس خاصاً بالمتقدمين في السن بل يصيب الاحداث كثيراً وينكر انه اذا ظهر لا بد من اطراء تقدمه وان شفاءه متعذر آخر العناصر المجهولة

في رسالة بعث بها الاستاذ أليسُن احد علماء المعهد البوليتكنيك في ولاية الاباما الاميركية ، الى الجمعية الكيميائية الاميركية اعلن انه اكتشف آخر العناصر المجهولة وهما العنصران اللذان يقابلهما في جدول موزلي الرقمان ٨٥ و ٨٧ فدعا الاول «الابامين» نسبة الى الولاية الاباما التي يشتغل فيها ودعا الثاني «فرجينيوم» نسبة الى الولاية فرجينيا التي ولد فيها. ولا يخفى على قراء المقتطف ان العالم الروسي مندليف تنبأ ان العناصر المادية التي تتركب منها كل المواد المعروفة اثنان وتسعون عنصراً رتب المعروف منها في جدول يعرف في علم الكيمياء بالجدول الدوري Periodic Table وترك فيه مواقع العناصر المجهولة وتنبأ بصفاتها من موقعها وعلاقتها بالعناصر المجاورة لها. وقد اكتشف معظم هذه العناصر في اثناء حياة مندليف وبعد وفاته ، وخصوصاً بعد ما اخرج موزلي جدولاً رتب فيه العناصر من ١ — ٩٢ بحسب اوزانها الذرية فاكتشف هقسي وكوستر عنصر الهفنيوم (رقم ٧٢)

الجزء الاول من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
١	دارون ومذهبه . لفؤاد صرؤف (مصورة)
٩	مصير العالم الاقتصادي
١٤	مصير الاسرة الشرقية . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٢٠	ميزة الحضارة الغربية . للاستاذ سامي الجريديني
٢٥	الديمقراطية في الازمات
٣٠	العوامل الوراثية والغدد الصماء . للدكتور شريف عيران
٣٦	مملكة الخيال (قصيدة) . لبدوي الجبل
٤١	رسالة من رومية الى بغداد . پ . ج
٤٦	القبه والطير . للمسر . ر . ل . ديقونشير (مصورة)
٥٢	الميكروكسمس . ليوسف شلحت
٥٧	نيقولاي لينين . لاسماعيل مظهر (مصورة)
٦٥	كيف خلق الله المرأة . لتوفيق مفرج
٦٧	بحث في « الدبلوماسية » . لفؤاد جميل
٧٥	تأثير انتشار الاوبئة في نفسية المجتمع . لابراهيم مراد ديان
٧٨	القاهرة تخاطب لندن والعالم (مصورة)
٨٥	انطاكية ومشاهدها الفاتنة . لنقولا شكري (مصورة)
٩٠	ريان . لاميل لدوج
٩٤	الاخطل الصغير . لمحمود ابو الوفا
٩٩	صور جديدة من الادب العربي . للدكتور طه حسين



١٠٢	باب الزراعة والاقتصاد * تقدير ايجار الاطيان
١٠٧	باب التعاون والاقتصاد الزراعي * التعريفة الجمركية او طلمس الرخاء المزييف
١١١	مكتبة المقتطف * الرسائل الضائعة ورسائل اخرى . آلام واحلام (مصورة) سيدقريش . وادي نظرون ورهبانه واديرته . كتاب الصحة والحياة . تهافت التهافت لابن رشد . الشام في العصور الخوالي والمصور المتوسطة . امثال مطوية امجائز مراکش
١١٩	باب الاخبار العلمية * وفيه ١١ نبذة



معجم الحيوان

للفريق امين معلوف باشا

كان العلامة الدكتور امين معلوف باشا في طليعة العلماء العرب المعاصرين ، الذين عنوا بوضع معجم للحيوان ، يتوخى فيه ايراد الاسماء العربية مستخرجة من مظاهرها . مع ما يقابلها من الاسماء العلمية والاسماء السائرة في اللغتين الانكليزية والفرنسية

ونشر فصولاً كثيرة في هذا الموضوع في المقتطف في سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ بعنوان « معجم الحيوان »

وقد قضى معلوف باشا العشرين سنة الاخيرة يدون في اوراقه كل شاردة وواردة يقع عليها في اثناء مطالعته ، ثم يحققها من الناحيتين العلمية واللغوية ويضيفها الى مجموعته . وقد صحت عزيمته الآن على اخراج كتاب جامع لاسماء الحيوان يشتمل على الاسم العلمي والاسم الانكليزي وما يقابلهما بالعربية وتحلية اشهر الحيوانات وصورها فيكون مرجعاً يليق بنهضة اللغة العربية في القرن العشرين

ويسرنا ان العلامة معلوف باشا قد عهد الى المقتطف في اخراج هذا السفر النفيس ، فرأينا ان نجعله هدية لمشتري المقتطف عن سنة ١٩٣٢ — ولكنه لا يرسل الا الى كل مشترك يسدد حسابه

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب سوف يكون عاملاً في طريق ارتقاء اللغة العربية العلمية . وثمنه بعد توزيعه على المشتركين المسددين خمسون غرشاً صاغاً . ولا يبعد ان يصبح من الكتب النادرة في خلال سنتين ، لان العدد المطبوع منه محدود

Al-Muktataf

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي غيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوسنة ١٩٥٤ مصر

٣٥	القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)	١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فري)
٧٠	القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)	٥	خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٣٥	القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى)	٥	التعليم والصحة
٧٠	القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)	١٥	الحب والزواج (للاستاذ تقولا حداد)
٢٥	القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس	١٥	ذكرأ وانثى خلقهم » » »
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس	٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران » » »
٢٠	قاموس الجيب عربي انكليزي فقط	١٥	اسرار الحياة الزوجية » » »
١٥	قاموس الجيب انكليزي عربي فقط	٢٥	المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور نظري)
٧٠	» سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)	٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها » » »
٥٠	» سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ)	١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي)
١٠٠	» سقراط انكليزي عربي وبالعكس	١٠	تايبس » » »
١٠	التحفة المصرية اطلاب اللغة الانكليزية (مطول)	٥	مكايد الحب في تصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٢	الهدية السنوية اطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)	١٠	المقصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)	١٠	مسارح الازهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٠	عشرة ايام في السودان » » »	١٢	رواية احوال الاستبداد ، مصورة
١٢	مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد)	١٠	رواية فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
١٥	روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد زعيتير)	٨	رواية الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
١٥	روح السياسة » » »	٥	فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٠	الآراء والمعتقدات » » »	١٢	رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
٢٠	اصول الحقوق الدستورية » » »	١٢	غرام الراهب او الساحرة المجدورة
١٠	المضارة المصرية (لغوستاف لوبون)	٧٥	رواية روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٨	مقدمة الحضارات الاولى » » »	٢٥	رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء »
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)	٢٠	رواية باردليان ، ٣ اجزاء »
٥	ماقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء	٢٠	رواية الملكة ايزابو ، ٤ اجزاء »
١٠	اليوم والغد (للاستاذ سلامة موسى)	٢٠	رواية الاميرة فوستا ، جزآن »
١٠	مختارات سلامة موسى	١٦	رواية كاييتان ، جزآن »
٨	نظرية التطور وأصل الانسان » » »	١٦	رواية الوصية الحمراء ، جزآن »
٢	انا تول فرانس في ماذله (الامير شكيب ارسلان)	١٢	رواية فلمبرج ، جزآن »
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)	١٠	رواية فارس الملك »
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبد الله)	١٠	رواية ضحايا الانتقام »
١٠	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني)	٥	رواية المتشكرة الحسنة »
١٠	قبض الريح » » » » »	٥	رواية مروضه الاسود »
٨	نسبات وزوابع شعر منشور مصور	٥	رواية شهداء الاخلاص »
١٠	رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبد الواحد)	٨	رواية المرأة المفترسة »
١٠	الغربال في الادب العصري (للاستاذ نجيب نعيمة)	١٦	رواية دار العجائب جزآن (تقولا رزق الله)
٥	حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)	١٠	» فرنسوا الاول » » »
٥	» » » » » ثمان » » »		

اعلان مهم للطلاب

7-10-68

مذكرات الأمير الألماني الأيضي الكويت

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

موسم الحصاد

الذي ينبغي ان يفتقر الى

مسائل الجاهل الألف

1920

مجلس الشورى

مجلس الشورى

SECRET

بالأشكال والصور

SECRET

July 1932

يوليو ١٩٣٢

المقتطف

حالة مصر الصحية

للدكتور محمد شاهين باشا

فلسفة الادب

لمصطفى صادق الرافعي

مدينة الاحلام (قصة)

للدكتور ناجي

AL MUKTATAF



معجم الحيوان

للفريق امين معلوف باشا

كان العلامة الدكتور امين معلوف باشا في طليعة العلماء العرب المعاصرين ، الذين عنوا بوضع معجم للحيوان ، يتوخى فيه ايراد الاسماء العربية مستخرجة من مظانها . مع ما يقابلها من الاسماء العلمية والاسماء السائرة في اللغتين الانكليزية والفرنسية

ونشر فصولاً كثيرة في هذا الموضوع في المقتطف في سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ بعنوان « معجم الحيوان »

وقد قضى معلوف باشا العشرين السنة الاخيرة يدون في اوراقه كل شاردة وواردة يقع عليها في اثناء مطالعته ، ثم يحققها من الناحيتين العلمية واللغوية ويضيفها الى مجموعته . وقد صحت عزيمته الآن على اخراج كتاب جامع لاسماء الحيوان يشتمل على الاسم العلمي والاسم الانكليزي وما يقابلهما بالعربية وتحلية اشهر الحيوانات وصورها فيكون مرجعاً يلقى بهضة اللغة العربية في القرن العشرين

ويسرنا ان العلامة معلوف باشا قد عهد الى المقتطف في اخراج هذا السفر النفيس ، فرأينا ان نجعله هدية لمشتري المقتطف عن سنة ١٩٣٢ — ولكنه لا يرسل الا الى كل مشترك يسدد حسابه

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب سوف يكون عاملاً في طريق ارتقاء اللغة العربية العلمية . وثمنه بعد توزيعه على المشتركين المسددين خمسون غرشاً صاغاً . ولا يبعد ان يصبح من الكتب النادرة في خلال سنتين ، لان العدد المطبوع منه محدود

Al-Muktatāf



الكلية الاميركية للاداب والعلوم بالقاهرة

تمتاز هذه الكلية بفخامة بنائها ، وحسن موقعها ، وكفاية اساتذتها ، وأخذها بأحدث أساليب التربية ، فهي تعد الطلبة للحياة فوق اعدادهم للامتحان ، وتعنى بصحتهم عنايتها بأخلاقهم وعقولهم ، وتدريبهم على البحث والدرس في مكتبتها الحافلة بألوف المجلدات ، وتهيئ لهم دراسة العلوم من طريق المشاهدة والتجربة في معاملها المستكملة الاجهزة والمعدات ، وتقويهم في اللغة الانكليزية بشكل يدعو الى الاعجاب والفخر وبالكلية عدا قسمها الداخلي المتوافرة فيه جميع وسائل الراحة الحديثة الاقسام الثلاثة الآتية : —

- (١) القسم الثانوي ويتبع منهج وزارة المعارف المصرية ويؤهل الطلبة لنيل شهادة الدراسة الثانوية بقسميها : الكفاءة وال بكالوريا
- (٢) القسم الاستعدادي وهو قسم ثانوي على النظام الغربي والتدريس فيه باللغة الانكليزية
- (٣) قسم الكلية ويؤهل الطلبة للكلية الفنية والاجنبية او نيل درجة بكالوريوس في الآداب او العلوم

وجميع المعلومات تطلب بالبريد باسم عميد الكلية بشارع القصر العيني رقم ١١٣ أو بمقابلة الموظف المختص من ٩ — ١٢ يومياً ما عدا ايام الاحاد تليفون ٤٣٠٠٦

فصول في التاريخ الطبيعي

من مكتبة النبات والحيوان

هدية المقتطف سنة ١٩٣١

صدر هذا الكتاب النفيس ولا يرسل الا للمشاركين المسددين حساباتهم لادارة المقتطف لآخر ١٩٣١ وثمنه لغير المشاركين ٢٠ قرشاً عدا اجرة البريد

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدراسة عن الشؤون البرازيلية وما آتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبديل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة ثقافية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس

لزيادة جميع المحاصيل واخصاب اراضيكم استعملوا

سماد نترات الصودا الشيلي

السماد الازوتي الطبيعي الوحيد

يحتوي على ١٥-١٦ ٪ من الازوت النتريني سريع الذوبان

يحسن نوع المحصول وصحة الكائنات الحية التي تتناوله
بسبب اليود الذي يحتويه

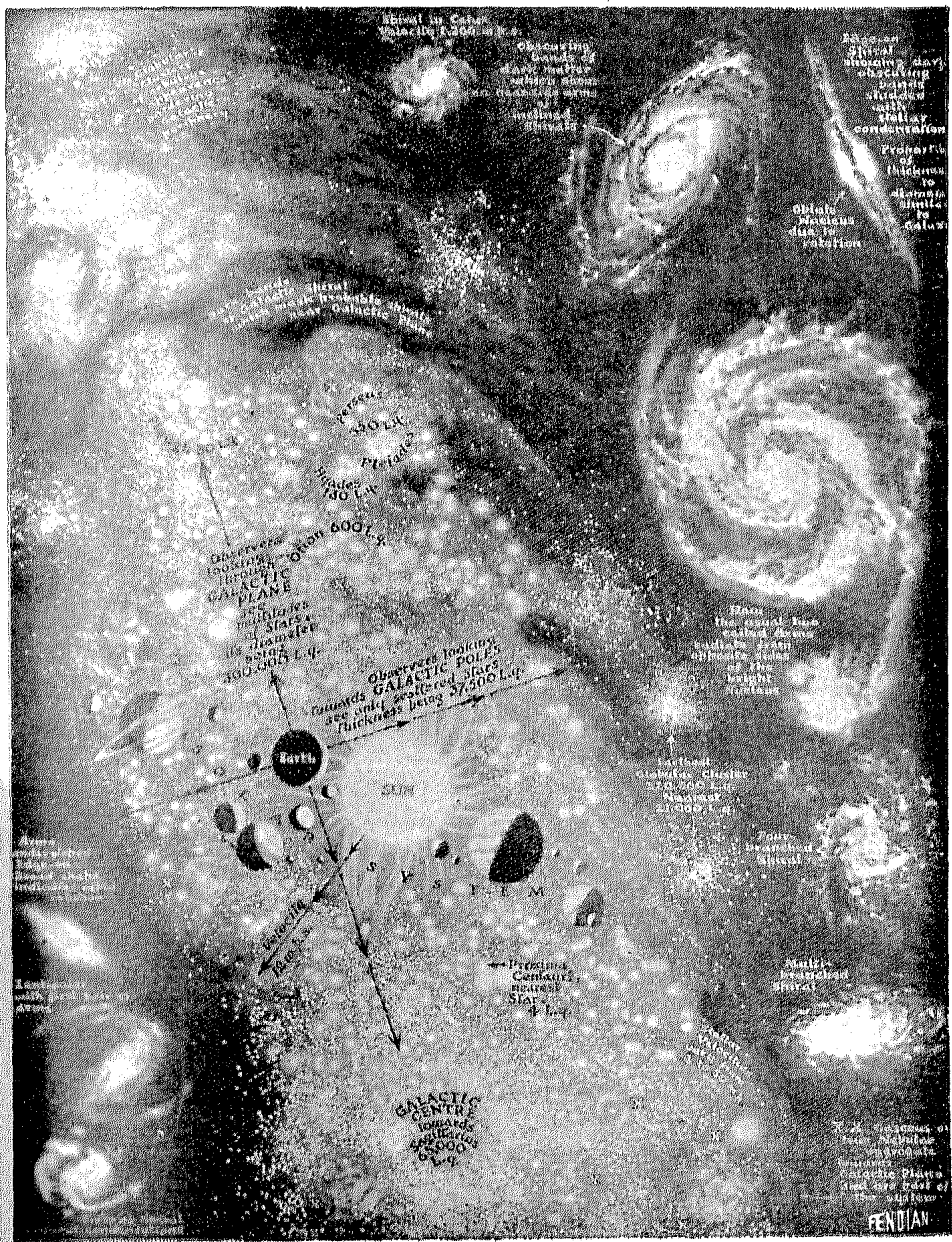
اكثر الاسمدة شيوعاً واستعمالاً

اطلبوا الاستعلامات والنشرات مجاناً من :

الادارة الزراعية لاتحاد منتجي نترات الشيلي

القاهرة — ٤١ شارع قصر النيل تليفون نمرة ٤٦٠١٤

الاسكندرية — ١ شارع فؤاد تليفون نمرة ٧٦٦٤



السدّم اللولبية (وهي عوالم من قبيل المجرة) خارج المجرة والغرض من الصورة تمثيل ما وراء
المجرة فالأبعاد بين اجزائها ليست صحيحة

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الحادي والثمانين

٢٧ صفر سنة ١٣٥١

١ يوليو سنة ١٩٣٢

الفضاء بين النجوم

هل هو فراغ تام أو فيه بقايا سديم كوني

تقدم علماء الفلك في العصر الحديث ، تقدماً عظيماً في قياس ابعاد النجوم ، ولكنهم لم يحصرُوا عنايتهم في قياسها بطريقة « زاوية الاختلاف » بل اعتمدوا على وسائل حديثة سيكترسكوبية واحصائية ، ثبتت صحة نتائجها باتفاقها والآراء الفلكية المساهم بها . فأسفر هذا البحث الشاق عن صورة جديدة للكون النجمي فاذا هو مجموعة من الوف ملايين النجوم منشورة في فضاء رحب شديداً ما يسترعي انتباهك فيه فراغه العظيم . فانك اذا فرضت وجود اربعة من صغار الاسماك في المحيط الاثنى رست لنفسك صورة تبين رحابة الفضاء الكائن بين النجوم ولقد كان من الراسخ في روع الباحثين ، من عهد غير قريب ، ان الفضاء الكائن بين النجوم ليس فراغاً تاماً . فقد شاهد الراصدون ، ان اشعة الضوء الذي تمر في رحاب الفضاء تتشتت ، وهذا التشتت لا يمكن ان يتم اذا كان الفضاء مفرغاً فراغاً تاماً من المادة ، ولا بد ان يحتوي هنا وهناك على ذرة تامة او الكترون شارد . والواقع ان الصور الفوتوغرافية التي صورت لمناطق مختلفة من الفضاء ، وخصوصاً مناطق المجرة ، تثبت وجود نواح تملأها مادة غازية كثيفة تحجب ضوء النجوم التي وراءها فتمنع وصوله اليها بامتصاصه . وبعض هذه اللطخ الغازية ذو معالم وحدود واضحة ، وبعضها لا حدود له ولكن كثافته تقل رويداً رويداً الى ان يندمج في ما نحسبه عادة الجسد الصافي الاديم

هذه المشاهدات تشير اشارة لا لبس فيها ولا ابهام الى احتمال وجود مادة منتشرة انتشاراً دقيقاً في رحاب الفضاء الذي بين النجوم
 بسط ادنجتون Eddington اولاً هذا الرأي في خطبته الباكريّة (Bakerian) من نحو خمس سنوات واثبت بالادلة الراجحة ان الفضاء بين النجوم ليس مفرغاً بل هو « ممتلئ » مادة . وليس المراد بلفظ « ممتلئ » هنا احتشاد المادة فيه حتى لا يسع شيئاً علاوة على ما فيه ، وانما يقصد معناها النسبي اي اننا لا نجد ناحية معينة في رحاب الفضاء مفرغة فراغاً تاماً من المادة ولو في ألطف حالاتها . بل ان في الفضاء من الذرات المنتشرة فيه ما يكفي لوجود ذرة واحدة في كل سنتيمتر مكعب منه

هذا كان رأي ادنجتون وادلته النظرية . وقد انقضت الآن خمس سنوات ، اثبت الراصدون في اثنائها ، بالمشاهدة صحة هذا الرأي ، بل ان حديث التقدم في هذه الناحية من الطبيعيات الفلكية من افتن الاحاديث العلمية للـب . والغريب ان هذا الاكتشاف نشأ — كطائفة كبيرة من المكتشفات — من مشاهدة شذوذ أو انحراف عن القاعدة العامة في اثناء بحث مسألة علمية أخرى

في علم الطبيعة مبدأ يعرف بمبدأ دبلر (Doppler) مؤاده ان اقتراب جسم يحدث صوتاً اليك في اثناء احداثه للصوت ، من شأنه ان يقصر امواج الصوت ، وان ابتعاده من شأنه ان يطيلها . وعليه فاذا كنت واقفاً وكان قطار صافر متجهاً اليك قصرت امواج التصفير وارتفع صوتها . واذا كان مبتعداً عنك طالت امواج التصفير وخفت صوتها . وكان السر وليم هجنز (Huggins) الفلكي البريطاني ، يبحث في هذا الموضوع من نحو خمسين سنة ، فخطر له ان يطبق هذا المبدأ على امواج الضوء ويستعمله في قياس سرعة النجوم . فاذا كان نجم من النجوم مقترباً منا كان طول كل موجة من امواج الضوء الذي يشعه اقصر من طول امواج الضوء المائل له على الارض . فاذا حللنا ضوء النجم المقترب بالسبكتروسكوب حادت الخطوط المظلمة الخاصة بالنجم الى جهة اللون البنفسجي . واما اذا كان النجم مبتعداً عنا فان الحيود يكون الى جهة اللون الاحمر . فمن معرفة جهة الحيود تعرف جهة سير النجم اقتراباً منا أو ابتعاداً عنا . ومن معرفة مقدار الحيود تعرف سرعته . وقد طبقت هذه الطريقة في طائفة كبيرة من اشهر المراصد فقيست بها سرعة الوف من النجوم . واستعملت أخيراً في قياس سرعة السدم اللولبية التي خارج المجرة فثبت ان بعضها يبتعد عنا بسرعة نحو ١٥ الف ميل في الثانية . وهذا مما حدا بالعلماء الى القول بان الكون آخذ في الاتساع كأنه فقاعة صابون ينفخ فيها

ولا بد هنا من كلمة عن الحل الطيفي قبل ان نبين كيف استعملت هذه الطريقة لاثبات رأي ادنجنجتن السابق الذكر

وضع كرشوف من نحو سبعين سنة اصول الحل الطيفي — السبكتروسكوبي — وقد كان للآلة المعروفة بالسبكتروسكوب اكبر أثر في توسيع معارفنا الفلكية في نصف القرن الأخير. وهذا لا ينفي وجوب استعمالها دائماً مع التلسكوب الذي يجمع الأشعة التي تحل بها. والمبدأ الذي تقوم عليه هذه الآلة هو ان النور اذا مر في موشور انكسر انكساراً يختلف باختلاف طول موجته. اي ان امواج اللون الأحمر اقل انكساراً من امواج اللون الأصفر وامواج اللون الأصفر اقل انكساراً من امواج اللون البنفسجي. وهكذا نستطيع ان نحل نور الشمس الأبيض الى الالوان التي يتألف منها بامرارته في موشور مثلث او قطعة زجاج مخططة طولاً وعرضاً بخطوط قريبة جداً بعضها الى بعض (grating)

وقد اثبت كرشوف ان الاجسام المنيرة طيفاً مختلفة يستطيع تبويبها ثلاثاً : (الأول) يعرف بالطيف المستمر : وهو الحاصل من حل نور منبعث من اجسام صلبة متوهجة او سوائل او غازات مضغوطة ضغطاً عظيماً : (الثاني) يعرف بطيف الخطوط اللامعة او طيف الغازات وهو طيف النور المنبعث من غازات او بخرة متوهجة مضغوطة ضغطاً متوسطاً او واطئاً : (الثالث) يعرف بطيف الخطوط المظلمة وهو طيف نور منبعث من مادة تستطيع ان تمتص جانباً من النور المنبعث منها . وبالثالث من هذه الطيوف فسّر كرشوف خطوط فرونهوفر في طيف نور الشمس التي كانت لا تزال سرّاً مغلقاً^(١). وباستعمال السبكتروسكوب تمكن العلماء من معرفة حالة النجوم والسدم الطبيعية . فعرفوا مثلاً ان السديم الكبير الذي يظهر في الفضاء قرب كوكبة الجبار غازي وان السديم قرب المرأة المسلسلة غير غازي

ولما كان معروفاً لدى العلماء ان كل عنصر من العناصر الكيماوية التي تتركب منها قشرة الأرض اذا توهج وحل نوره ظهر في الطيف خط واحد — او اكثر — يتميز به عن غيره، استعملوا هذه الطريقة للكشف عن العناصر في الكواكب والسدم . وبتطبيقها على الشمس ثبت ان فيها تسعاً واربعين عنصراً من عناصر الأرض الاثنى والتسعين . والواقع ان عنصر

(١) خطوط فرونهوفر . اذا حللنا نور الشمس بسبكتروسكوب الى الوانه السبعة المرئية وجدنا في مناطق الالوان المختلفة خطوطاً سوداء دقيقة . هذه الخطوط راقبها اولاً ولستن الانجائزي سنة ١٨٠٢ ثم عني بها فرونهوفر الالماني سنة ١٨١٤ واحصى نحو ٧٠ خط منها فنسبت اليه . وتعلمنا ان كل غاز او بخار يمتص الامواج التي يطلقها اذا توهج فاذا حللنا طيف النور المنطلق من قطعة صوديوم محترقة وجدنا مثلاً خطاً اسود في مكان معين في منطقة اللون الأصفر . هذا الخط يتميز به عنصر الصوديوم فاذا وجدنا في طيف الشمس خطاً في منطقة اللون الأصفر يتفق من كل الوجوه مع خط الصوديوم حكمنا ان في جوالشمس صوديوماً هكذا

الهليوم كشف عنه في الشمس قبل الكشف عنه بين عناصر الأرض . فقد كشف عنه سنة ١٨٦٨ في هلب أخضر اللون من هلب الألسنة المندلعة من الشمس في أثناء الكسوف . ودعي « هليوم » نسبة إلى اسم الشمس اليوناني « هليوس » وظل مجهولاً بين العناصر الأرضية إلى أن كشف عنه السر وليم رمزي سنة ١٨٩٥ وما يستخرج منه الآن يستعمل في الغالب ملء الباونات المسيرة لأنه لا يلهب كالإيدروجين

وقد استعملت خطوط فرنهوفر حديثاً لمعرفة نسبة العناصر التي في الشمس بعضها إلى بعض . وذلك بدرس عرض الخطوط التي تظهر في الطيف ونسبة عرض الواحد منها إلى الآخر . ثم استعملت هذه الخطوط أيضاً لمعرفة شيء عن حركة الأجرام السماوية فقد ثبت أنه إذا كان الجرم السماوي متجهاً نحونا فإن حركة الخطوط في طيفه تتجه من الأحمر إلى البنفسجي . وإذا كان مبتعداً عنا فإن حركة هذه الخطوط في طيفه تتجه من البنفسجي إلى الأحمر . لأن عدد الأمواج التي تصلنا منه في الحالة الأولى آخذة في الزايد والقصر وفي الحالة الثانية آخذة في التناقص والطول . فأتجاه حركة هذه الخطوط وسرعتها تمكن العلماء من معرفة اتجاه الأجرام السماوية بالنسبة إلى الأرض وسرعتها . وبالجري على المبدأ ذاته يستطيع الكشف عن النجوم المزدوجة واثبات دوران الأرض حول محورها

ومن أول الذين وجهوا عنايتهم إلى هذا الموضوع الدكتور هارتمان أحد علماء مرصد بوتسدام الألماني فلم يلبث أن صرح أنه في أثناء درسه لخطي الكالسيوم في طيوف بعض النجوم وجد ظاهرة غريبة لا تتفق ومقتضيات مبدأ دبلر المذكور ذلك أنه لاحظ أن خطي الكالسيوم لا يحيدان إلى جهة اللون البنفسجي ولا إلى جهة اللون الأحمر كما تحيد بقية خطوط الطيف ، وهذا من المفارقات ! فإذا كان نجم من النجوم يسير سيراً سريعاً نحونا فلا بد من أن تحيد الخطوط في طيفه نحو اللون البنفسجي . وإذا كان مبتعداً عنا فلا بد من أن تحيد إلى جهة اللون الأحمر . ومن الغريب أن هارتمان وجد أن كل خطوط الطيف تحيد إلى إحدى الجهتين إلا خطي الكالسيوم وأحياناً خط الصوديوم

وما صرح هارتمان تصريحه المتقدم حتى عني الراصدون بتحقيق مشاهدته فأيدوها بمشاهداتهم . ومن ثم أخذوا يقترحون النظريات لتعابليها

ولا يخفى أن الأرض في أثناء سيرها في الفضاء تنقل معها غلافها الغازي المكون من غازات باردة وكذلك النجم ينقل معه في أثناء سيره غلافاً من الغازات التي تحيط بكنتله الغازية الشديدة الجوّ . فإذا انبثقت من داخل النجم أشعة ومرت في جوّه الغازي الخارجي — البارد إذا قيس حرارته بحرارة قلب النجم — وإذا كان في هذا الجوّه الخارجي ذرات عنصر الكالسيوم

الموجبة الكهربائية ، ظهر خط الكاسيوم في طيف ضوء النجم مع خطوط العناصر الأخرى ، وهو خط مظلم من خطوط فرونهورف لأنه حدث بالامتصاص . ولكن الغريب ان خطوط الطيف الأخرى تحيد الى جهة الأحمر او جهة البنفسجي بحسب ابتعاد النجم او اقترابه ، واما خط الكاسيوم لا يحيدان ولذلك عُرِفَاها وما مثلها « بالخطوط المستقرة » Stationary ألا يجوز ان تكون ذرات الكاسيوم منتشرة في الفضاء بين النجوم وبهذا يعادل استقرار خطي الكاسيوم في طيوف النجوم ؟

وما منشأ هذا الكاسيوم الذي في الفضاء النجمي ؟

هل هو مادة منبعثة من النجوم الجبارة في اثناء سيرها في الفضاء ؟

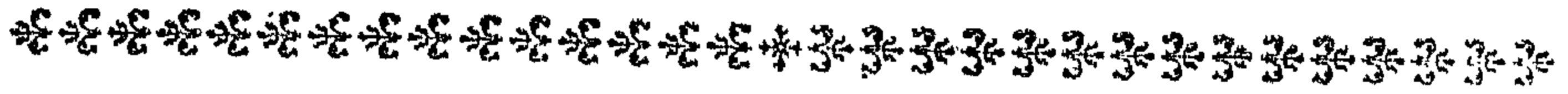
او هو بقايا سديم كوني نشأت منه النجوم بالتجمع الجاذبي ؟

ولما تناول الدكتور ستروف Struve احد علماء مرصد يركيز Yerkes الاميركي هذا البحث اثبت انه كلما زاد بعد النجم عن النظام الشمسي زاد ظهور الخطوط « المستقرة » في طيفه . وهذا يعادل بان الضوء مرّ في مسافات شاسعة من السحاب الكوني المائي للفضاء بين النجوم فزاد امتصاص هذا السحاب لضوء الكاسيوم فزاد ظهور خطيه في الطيف ولم يلبث العلماء ان وجدوا ان هذه الخطوط تحيد الى احد طرفي الطيف ولكن حيودها ضئيل جداً اذا قيس بحيود الخيوط الأخرى . لذلك عدلوا عن تسميتها بالخطوط المستقرة وقالوا انها خطوط ما بين النجوم interstellar

وجاء الاكتشاف المتوَجّح لهذه المباحث لما ثبت ان هذا الحيود الضئيل في خطي الكاسيوم وما مثلها يمكن تعليقه تعليلاً دقيقاً بافتراض ان المجرة تدور حول مركزها وهو ما اثبتته المباحث الفلكية الأخرى (راجع مقالة « ما وراء المجرة » في مقتطف يناير ١٩٣٢)

ويرى الاستاذ ادنجهتن ان « بقايا السديم الكوني » المائنة لرحاب الفضاء النجمي ليست كاسيوماً فقط او كاسيوماً وصوديوماً . ولكن احوال الرصد مكنتنا من مشاهدة خطوط هذين العنصرين قبل غيرهما . بل هو يذهب الى ان هذا السديم الكوني يحتوي على كل العناصر التي على الارض

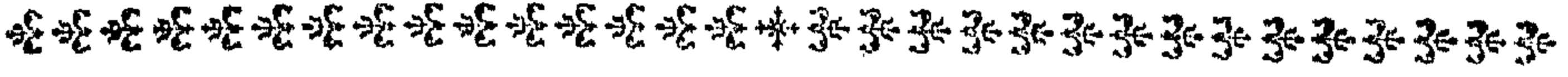
اما كثافة بقايا « السديم الكوني » فواطئة جداً لا تزيد عن كثافة نفخة مدخن وقد تمددت حتى ملأت فضاء سعة الف ميل مكعب ! على ان رحاب الفضاء تفوق التصور في سعتها . وعليه فهذا الغاز المتناهي في اللطافة الذي يملأها تبلغ كتلته نصف كتلة النجوم . فاذا سلمنا بهذا الرأي الجديد قلنا ان المادة الأصلية التي تكونت منها النجوم ، تحوّل ثلثها نجوماً وبقي الثلث الآخر مادة لطيفة منتشرة في رحاب الفضاء



حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر

لحضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا

وكيل الداخلية للشؤون الصحية



لمحة تاريخية

من اراد البحث في حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر وجب عليه ان يستعرض الحالة التي كانت عليها البلاد في العصور الغابرة حتى يمكنه ان يزن الحالة الحاضرة بالمقابلة بين العهدين ويقدر النشاط الصحي الحالي التقدير الصحيح مع مراعاة العادات القومية والامراض المحلية ودرجة المدنية في العصور المختلفة كما لا يغيب عن البال ان تقدم الصحة العامة لا يقاس بالنتائج التي أفضى اليها هذا التقدم فحسب بل بمقدار الاعمال التي كان من شأنها الوصول الى هذا القدر من التقدم ان تقدم الصحة العامة يمضي جنباً الى جنب مع تقدم الطب ومع انتشار التعليم بين افراد الامة وفيها في نواحي حياتها المختلفة لان ارتفاع مستوى العناية بالحالة الصحية العامة لم يأت في الواقع الا من طريق تطبيق ما بلغته فروع الطب من النماء في الازمنة المختلفة ولهذا السبب استنسب رجال الصحة ان يطلقوا على فرع الطب الذي يعنى بالصحة العامة اسم « علم الطب الوقائي » لانه لا يقتصر على العناية بالملابس التي تحيط بالانسان فقط كما يتبادر للفهم من تعريف مداه بعبارة (الصحة العامة) ، ولا المظاهر الاكلينيكية للمرض ووسائل الوقاية منه بل يشمل سبر غور التطورات التي تحدثها الاصابة بالمرض في جسم الانسان ومعرفة مدى قوة دفاع خلايا الجسم وسوائله ضد الامراض أي معرفة القوة الحقيقية للجيش المدافع عن الانسان ، فهذا الفرع يجمع كل جهود فروع الطب التي عرفت منذ خلق الانسان حتى الآن ويوجهها لغاية واحدة في دائرة مداه الواسعة اما الغايات التي يرمي اليها دائماً مهما اختلفت الوسائل وتنوعت الطرائق فهي :

١ — تقوية بنية الفرد وبذلك تزداد قوة مقاومته للامراض وتعلو تبعاً لها طريقة للعمل

المنتج وهي بيت القصيد

٢ — الوقاية من الامراض باستئصال شأفة أسبابها أو قمعها ومنع انتشارها بامتلاك ناصيتها

٣ — اطالة العمر وتقليل الوفيات

وكل من تتبع تاريخ الطب الوقائي أو تاريخ الطب بصفة عامة رأى ان كل الابحاث والملاحظات لا تتجه الى غير هذه الغايات سواء أكان السير اليها بطيئاً كما حصل في العصور السالفة أم سريعاً كما شاهدنا في القرنين الاخيرين ، وسواء أكان البحث متجهاً الى الوصول الى غاية واحدة

من هذه الغايات الثلاث أم الى اثنتين أم اليها كلها كما هو الحاصل في عصرنا الحاضر . ولقد قامت كل أمة من الامم القديمة والحديثة بنصيب في تقدم الصحة العامة وكان كل نصر جديد في تفهم طبيعة الامراض يعبد السبيل لنصر آخر يليه بل وافتتح جديد حتى بلغنا الى التقدم الحالي وستستمر الفتوح بعون الله فزداد المعرفة لاسرار الكون بالكشف عن حقائقها وفتح مغاليقها حتى انني لا اغالي لو قلت انه لو بحث احدنا بعد جيل أو اثنين لادهشه ، ما تكون عليه الحالة الصحية العامة من التقدم واذا أعاد الى مخيلته صورة ما كان يظنه المثل الاعلى لما يجب ان تكون عليه هذه الحالة في عصرنا الحاضر لراها — بالمقابلة بما سيكون عليه العالم — رسماً فخماً من البساطة بمكان . ولكن أحفادنا لا يستطيعون على اي حال ان ينكروا انه لولا ما جادت به قرائح اجدادهم في عهدنا الحاضر بل وفي عهد اجدادنا لما تقدم العالم قيد خطوة بل لفنيت الدنيا ومن عليها بما انتابها من الشرور الاجتماعية وجوائح الامراض القتالة لانه لم يخل عصر من العصور من وباء فتاك أو غصبة تكشر فيها الطبيعة عن نابها ويبدو اثرها باحد مظاهر التدمير والتخريب كفيضات الأنهار وثوران البراكين او زلزلة الارض ولا عاصم يومئذ للناس الا بمقاومة طغيان الطبيعة بيد العلم والعرفان ومصر كانت اولى الامم التي عملت على رفع مستوى الطب والصحة العامة فهي اقدم امم الارض حضارة وعلماً ومنبت اول انتصار ناله الانسان على الامراض . ومن ناحية الصحة العامة كان قدماء المصريون يباهون بانهم اصبح بني آدم وكان دأبهم الاخذ بكل حيلة ليتمتعوا بالصحة الجيدة ولذلك كانوا أمة تعنى باسباب البأس والالعب الرياضية وشعارها « درهم وقاية خير من قنطار علاج » وكانوا يدرسون الطب في جامعات عين شمس ومنف وطيبة والاسكندرية حيث كانت مهبط العلم وقبلة طلابه وقد كرع موسى عليه السلام كؤوس العلم مترعة في جامعة عين شمس وتهذب بكل حكمة المصريين — وقد نقل اليونان علوم مصر الى بلادهم وقت ان كان المصريون يعرفون الكثير عن القبالة وعملية الختان وعلم الصحة والجذام والامراض الجلدية ويكفيهم فخراً ان أبقراط الملقب بأبي الطب من تلاميذهم وهو صاحب القول الحكيم « على الطبيب اذا اراد ان لا يخدع نفسه أو يخدع غيره ان يلم بما كان يعرفه من سبقوه » لان خير وساطة للتجديد في مختلف العاوم هي البناء على الاسس الصالحة من القديم

ان المقياس الاول لتقدم الصحة العامة هو النظافة العامة وقد كان قدماء المصريين كثيري الرعاية لذلك خصوصاً في اشخاصهم وهذا مما ادى الى ترقية عاداتهم وقد ذكر هيرودوتوس في كتابه الثاني ابان زيارته لمصر في القرن الخامس قبل الميلاد قوله « لانزع في ان المصريين هم اكثر تديناً من اي أمة اخرى ومن عاداتهم انهم يشربون في كؤوس من البرونز يغسلونها يومياً وهذا لا يقوم به البعض فقط بل الكل على السواء وهم جد حريصين على ارتداء الملابس البيضاء المغسولة حديثاً وهم يختنون مراعاة للنظافة التي هي شعارهم وهم يفضلونها على الظهور بالمظهر الحسن وكهنتهم

يخلقون جسمهم كله مرة كل ثلاثة ايام حتى لا يعلق بأجسامهم القمل أو غير ذلك من الحشرات النجسة اثناء قيامهم بخدمة الآلهة وكذلك يغتسلون بالماء البارد مرتين في النهار ومرتين في الليل» وقد لاحظ هيرودوتوس أيضاً وجود البعوض بكثرة وكان المصريون يتقون شره بالصعود الى الابراج التي تعلو المناقع ليناموا بعيدين عن متناول البعوض الذي كانت تحول الرياح دون وصوله اليهم واما الذين كانوا يعيشون بقرب المناقع فانهم كانوا ينصبون اثناء الليل شبكات صيد الاسماك على فراشهم وكانوا يرسلون من تحتها للوصول الى الفراش منعاً لتسرب البعوض الى داخلها فالمصريون والحالة هذه هم اول من انتبهوا لمضار البعوض ولا لقاء ضرره بأبسط الوسائل ومن الذين درسوا الطب بمصر وكان له القدر المعلى في وضع أسس الطب الوقائي جالينوس الذائع الصيت الذي كان تلميذاً للمصريين اذ رضع لبان العلم بجامعة الاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد واحاط بكل ما عرف عن الطب في وقته ومما هو جدير بالذكر في هذا الموطن انه وان كان الفضل يرجع الى ابقراط في تقسيم اسباب الامراض الى انواعها تبعاً للفصول او المناخ او العوامل الخارجية او العوامل الشخصية كنوع الغذاء او العادات او ممارسة التمرينات الرياضية وهو صاحب المبدأ القائل بان فعل المرض يكون بالهجوم من جانبه ويقابله الدفاع من جانب الجسم اى انه الكاشف الاول لكفاية الطبيعة على الشفاء وان الطبيب الماهر هو الذي يدرس وسائل مقدرتنا هذه ثم يقلدها — وان كان ما تقدم كله ينسب فضله الى ابقراط الا ان جالينوس كان اول من اعلن ملاء الاطباء ان علم وظائف الاعضاء هو دامة الطب وقد جعله عالماً قائماً بذاته وجمع كل ما عرف عن الطب في زمنه وصقله اسوة بابقراط واستمرت مؤلفاته المرجع الاعلى للعلوم الطبية غرباً وشرقاً زهاء اربعة عشر قرناً وكان ينصح تلاميذه بزيارة جامعة الاسكندرية التي انشأها بطليموس الاول اذ هي موطن الدراسة الصحيحة لعظام الانسان . وقد ظلت هذه الجامعة شمس العالم التي يستضيء السكل بنورها ومنبع العلم والعرفان الذي يرتوي منه كل طالب للحقيقة وذلك حتى سنة ٢٠٠ بعد الميلاد ثم بدأت في الانحطاط الى أن ذهبت ريحها واندثرت في سنة ٦٤٠ ميلادية عندما فتح العرب مدينة الاسكندرية وكانت العلوم الطبية قد اضمحلت بمصر قبل انتقالها الى اليونان بزمان وكان التشريح قد منع من سنة ٥٠٠ ميلادية فتفرق رجال العلم ايدي سبا وهاجروا الى بلاد الشام وفارس وليس من شك في ان الحالة الصحية قد اضمحلت في البلاد كذلك تبعاً لاضمحلال معاهد الطب الذي عدت على علومه فنون الشعوذة والدجل واصبح اثر مشوهاً بعد ان كان جنة قطوفها دانية وفيها من كل فاكهة زوجان ثم سطع على مصر نور الطب العربي في زمن ازدهاره في الفترة من سنة ٧٥٠ الى ١٢٥٠ ميلادية وقد ظهر بمصر في اوائل هذا العهد كتاب في الطب القبطي جمع بين دفتيه مائتي « وصفة » لامراض العيون والمعدة والرحم والبواسير والحبوب وامراض جلدية اخرى



حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا
وكيل الداخلية للصحة وطبيب الاسرة المألوفة الخاص

امام الصفحة ١٣٣

مقتطف يوليو ١٩٣٢

وقد استفادت مصر كثيراً من الطب العربي وآوى الى ظلها الظليل واشتغل بالتأليف والتصنيف في اثناء هذه الفترة من تاريخها طائفة كبيرة من مشهوري الاطباء العرب كيمون الموسوي وابن العيني وابن الفارس والنباتي الشهير وابن البيطار الذي شغل بمصر وظيفة الصيدلي الاول التي تعادل الآن وظيفة مدير قسم الصيدليات وقد انشأ ابن طولون في سنة ٨٧٥ ميلادية اول مستشفى في ذلك العصر وعززه الملك كافور الاخشيدي بمسشفى غيره في سنة ٩٥٧ وكانت توجد دار اخرى للعلاج في مصر القديمة وفي سنة ١٠٠٥ اسس الحاكم دار الحكمة بالقاهرة وهي اشبه بجامعة منها بدار طب وكان الفاطميون قد بدأوا في تأسيس جامعة بالاسكندرية احياء لجامعتها القديمة كما اسس صلاح الدين مستشفى الناصري والنوري وقد اشتغل ابو صبيحة في المستشفى الاخير وكان الطب يدرس في هذه المستشفيات ثم اتى عبد اللطيف البغدادي دروساً في الطب بالازهر في سنة ١١٩٣

ولا يمكن انكار ما قام به الطب العربي في خدمة الصحة العامة لا في مصر وحدها بل وفي العالم اجمع فالعرب وان كان اغلب طبهم منقولاً عن طب جالينوس غير انهم ابتكروا الكثير ايضاً مما يخرج تعداده عن موضوع هذا البحث . ومن ابرز ابتكاراتهم تقريق الرازي بين الحصبة والجذري وتأسيسهم للمستشفيات وابتداعهم الامتحانات والاجازات الطبية وتنظيمهم فن الصيدلة والكيمياء ومحافظةهم على ما ورثوه من العلوم الطبية عن اليونان . وخلاصة القول ان العرب هم واسطة الاتصال بين مدينة الاغريق ومدينة اوربا الحديثة وفضلهم على عصرنا الحاضر لا ينكر ولقد كان من الطبيعي ان يرث المصريون عن العرب علومهم الطبية ولكن ارادت العناية الالهية ان يفتح العرب الاندلس وينتشر العلم العربي من هناك الى اوربا فيزدهر وينمو حتى يصل الى اوجه — كما اتى على مصر حين من الدهر لم تكن فيه شيئاً مذكوراً اظلمت فيه شمس العلم وافل نجم الطب وسادت القوضى ألا وهو عصر المماليك ولقد شذ عنهم احدثهم وهو السلطان قلاوون الذي انشأ البيمارستان الكبير في سنة ١٢٨٦ وجلس وفقاً للاتفاق عليه وهو باق حتى الآن وان كان قد خصص للعيون بعد ان كانت تعالج به في اول انشائه كل الامراض ثم خصص للمجاذيب واستمر هكذا حتى سنة ١٨٥٦ ميلادية . ولا ننسى مستشفى المؤيد الذي كان موجوداً حوالي ١٤٢٠ ميلادية . ولما استولى العثمانيون على مصر في سنة ١٥١٧ لم تكن حالة الطب او الصحة العامة باحسن منها في عهد المماليك وقد اجتاحت البلاد في العهدين جائحات من الاوبئة لا يتسع المجال لوصفها وكانت تترك تأكل في العباد كما تأكل النار الهشيم . وقد وصف المؤرخ المشهور الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ما شاهده اثناء انتشار وباء الطاعون الذي ابتداء في اواخر شهر جمادى الاولى سنة ١٢٠٥ هجرية وذكر احواله التي تشيب ناصية الوليد وقال ما يدل على انه لم يتحرك احد من اولي الامر لمكافحته وقد مات به ما لا يحصى

من الاطفال والشبان والجواري والعبيد والماليك والاجناد والكشاف والامراء وامراء الالوف وتوفي من الصناجق نحو اثني عشر صنjqاً . وكان يخرج من بيت الامير في المشهد الواحد الخمسة والستة والعشرة ولم يبق للناس شغل الا الموت واسبابه فلا تجد الا مريضاً او ميتاً او عائداً او معزياً او مشيعاً او راجعاً من صلاة جنازة او دفن ميت او مشغولاً في تجهيز متوفى او باكياً على نفسه وهي تكاد تطير شعاعاً فرقاً من الموت ونذر جدياً من يشكو المرض ولا يموت . ونذر ايضاً ظهور الطعن باجسام المرضى ولم يكن يشعر المريض بالحمى بل يكون جالساً فتأخذه رعدة من البرد فيتدثر ولا يفيق الا مغلطاً او يموت من نهاره او ثاني يوم وربما زادت فترة مرضه او نقصت عن ذلك وقد استمر فعل الطاعون الى اوائل رمضان ثم اضمحل شأنه ولم يقع بعد ذلك الا قليلاً نادراً ومات الاغا والوالي اثناء ذلك فولوا خلافيهما فماتا بعد ثلاثة ايام فولوا خلافيهما فماتا ايضاً واتفق ان الميراث انتقل ثلاث مرات في جمعة واحدة .

ثم اتى بعد ذلك عصر الفرنسيين بقيام نابليون الاول في سنة ١٧٩٨ بحملته على مصر . ويمكن اعتبار هذا الفتح مبدءاً لتاريخ الصحة العامة بالبلاد كما يعتبر مبدءاً لتاريخها الحديث وقد اصطحب نابليون مائة من اعظم علماء فرنسا المجهزين بالكتب والآلات العلمية كما استحضر معه مطبعة عربية وقد ادخل الكثير من الاصلاحات الصحية العامة ككنس الشوارع ورشها في اوقات معينة ووضع مصباح على كل منزل وقام علماءه ببحوث علمية قيمة وآثار مجمعم العلمي لا زالت تذكر لهم بالفخر العظيم . وليس من شك في ان هذه الحملة كانت من الحوافز الهامة لادخال اسباب المدنية الغربية بمصر وكانت الخطوة الاولى في حكم المصريين لانفسهم وذلك بما انشأه نابليون بالبلاد من مجالس ولجان اسوة بما عمله في غيرها من الممالك مما كان السبب في غرس بذور الشعور بالكرامة الوطنية والاهلية وقد مهد عمله هذا السبيل لبزوغ نجم محمد علي الكبير منشيء مصر الحديثة الذي رفعت مصر فرفعها واحبته فاحبها

وقد قام اطباء الجيش الفرنسيين بابحاث قيمة حيث اصدر ديجنيت الطبيب الاول للجيش امراً الى اطبائه ان يقوموا بابحاث طبية وطبوغرافية لجميع الجهات التي يحلون بها . وانشأ نابليون ادارة تقوم بتنفيذ الاجراءات الصحية المتبعة في موالي كثيرة بالبحر الابيض المتوسط

وقد وجه الاطباء عنايتهم الى الصحة العامة محافظة على جيشهم وقد داهمهم وباء طاعون شديد الوطأة علاوة على التهاب العيون الذي اصاب الكثيرين من رجال الجيش وقد اتخذ الاطباء احتياطات شديدة لقمع الوباء كحرق الامتعة وغيرها وقد كانت توجد في طول مدة وجود الحملة تقريباً ادارة صحية وان كان جل همها العناية بصحة الجيش وقد انشأ عدة مستشفيات عسكرية بالازبكية والجزيرة وقصر العيني ودمياط ورشيد وغيرها كما قامت تلك الادارة بنشر الدعوة الصحية وخصوصاً ضد الجدري حيث طبعت نشرة عنه باللغة العربية ووزعت على كبار

الاعيان بواسطة الديوان الكبير وحتى على السيدات بواسطة السيدة نفيسة هانم زوجة مراد بك الكبير . وقد مات من رجال الحملة من يوم خروجها من فرنسا حتى نهاية السنة الثامنة (بالتوقيت الفرنسي الجديد المتبع وقتئذ) ٨٩١٥ توفي منهم بالطاعون ١٦٨٩

ومن المذكرات الطبية القيمة التي دونها الاطباء مذكورة للدكتور بروانت عن الرمد واخرى عن الدوسنتارية ومذكورة عن الرمد لسفارسي وعدة مذكرات عن الطاعون

وقد جاء في هذه المذكرات ان الامراض التي كانت منتشرة بمصر وقتئذ — علاوة على الطاعون والدوسنتاريا والحمى المتقطعة وامراض العيون والكساح والعمى والفتق — الحصوات البولية والقيلة المائية والصرع والحمى المعوية والجذري والاستسقاء. وقد قام رجال الحملة بعمل جداول عن الحالة الجوية بالقاهرة والاسكندرية . وقد يكون اول احصاء منظم لتوفي القاهرة هو الذي عمل تحت اشراف ديجنيت حيث اجري هذا الاحصاء من ٢٩ برومير من السنة السابعة حتى فندمير من السنة الثامنة بالتوقيت الفرنسي الجديد — واستنتج منه ما يأتي :

ان عدد النساء اكثر من عدد الرجال

ان وفيات الاطفال تحدث في الستة اسابيع الاولى من حياتهم وعلى العموم تكثر وفياتهم

قبل بلوغهم سن تسعة اشهر

ان الجذري هو اكثر الامراض حصداً للاطفال . ويستخلص من احصاءات الطبيب المشار

اليه التي عملها عن السنة الكاملة وهي السنة الثامنة (بحسب التوقيت الفرنسي الجديد المتبع وقتئذ) ان عدد الوفيات قد بلغ اثناءها بالقاهرة ٥٨٩٥ منهم ٣٥١٦ طفلاً و ١٣٧٦ امرأة و ١٠٠٣ رجال . وقد حول قصر العيني الى مستشفى كما ان نابليون امر بافتتاح مستشفى مدني بالازبكية يسع

٣٠٠ مريض وقد جلا الفرنسيون عن مصر في سنة ١٨٠١ وقدر جومار عدد سكان القطر في

سنة ١٨٠٠ ب ٢٤٦٠٢٠٠ نسمة ولكن حسب تقدير كلوت بك لا يتجاوز السكان المليونين

وجلاء الفرنسيين وعودة حكم العثمانيين لمصر وتسلط المماليك ثانية سنحت الفرصة لجلوس

محمد علي على عرش مصر وتم بذلك خلاص البلاد على يديه من عصور الفوضى والمظالم وسار

بها في سبيل الرقي الى ابعد شوط ونهض ضمن ما نهض به بالشؤون الطبية والصحية

تولى محمد علي باشا الحكم وممارسة مهنة الطب في ايدي قوم جهلة يتناقل بعضهم عن

بعض المعلومات الطبية المشوهة وكان بعضهم يلقب بالحكماء وهم يقومون بمعالجة الامراض

الباطنية والبعض الآخر يمارس الجراحة ويلقب بالجراحين وكان على رأسهم جراح باشا — كما يوجد

بجانب هؤلاء المجبرون والدايات . وكان جل اعتمادهم على بقايا الطب العربي وقال كلوت بك انه لما حضر

الى مصر كان يرأس المستشفيات حلاقون وقد ابعدها بصحوبة حتى يحل مكانهم كلوت بك وزملاؤه

فلما اوجد محمد علي جيشاً نظامياً بمصر استدعى كلوت بك في سنة ١٨٢٥ ليكون طبيباً

أول لهذا الجيش ويرجع اليه الفضل في إعادة تأليف مجلس الصحة وقد شكل من خمسة أعضاء من اطباء وجراحين وصيادلة برآسة كلوت بك وكان هذا المجلس يقدم المشورة لوزير الحربية في كل المسائل ذات العلاقة بالصحة وغيرها حيث لم تكن توجد وقتئذ إدارة صحية ثم انشئت فيما بعد إدارة طبية يرأسها مفتش عام وهذه الادارة تدير شئون مستشفيات الجيش وصيديلياته حيث ألحق بهذه الادارة قسم للادوية وتبسيطاً لصرف الدواء وضعت فارما كوبيا بها بعض « الوصفات » واقرها مجلس الصحة واستت صيدلية مركزية بالقاهرة ومستودعات للادوية بالاسكندرية للقطر المصري وحلب وعكا للشام وجدة لبلاد العرب والخرطوم لسنار وكندية لكريت . وقد انشئء البحرية المصرية مجلس صحة بالاسكندرية

وقد نشأ عن اتخاذ الوسائط المتقدمة انخفاض نسبة الوفيات بين رجال الجيش والبحرية وكان مستشفى ابي زعبل هو المثال الذي تحتذيه كل المستشفيات وقد استت به في سنة ١٨٢٧ مدرسة الطب وفرع للصيدلة فدرس للمرة الاولى في تاريخ مصر الحديث علم الصحة ثم انشئت مدرسة للولادة بهذا المستشفى ايضاً وتخرج في مدرسة الطب بعد خمس سنوات أربعون طبيباً ارسل منهم لباريس اثنا عشر طالباً حيث حصلوا على شهادة الدكتوراه من كلية باريس ثم انتقلت مدرسة الطب والمستشفى الملحق بها الى سراي ابراهيم بك (وهو قصر العيني الحالي) حيث هما الآن وقد اصبح المستشفى يسع من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ مريض وبالمدرسة ثلاثمائة تلميذ — وقد رخص ولي النعم بقبول مرضى من غير العسكريين كما ان مستشفى ابي زعبل خصص للنساء ومستشفى الازبكية لكل الامراض وكان ملاحقاً بكل المدارس بالاقاليم جراحين مرخص لهم بمعالجة الاهالي ثم انشئت مدرسة للولادة بمستشفى قصر العيني

وقبل زمن محمد علي باشا كان الذين يقومون بمعالجة الحيوانات هم البيطار فانشأ المسيو هامو بناء على رغبة محمد علي باشا مدرسة للطب البيطري برشيد ثم نقلت الى ابي زعبل حيث ألحق بها مائة طالب وبعدئذ وجد انها بعيدة عن الحرس بشبرا فنقلت الى هناك لتكون على مقربة من الجيش الراكب واصبح فيها مائة وعشرون طالباً. ومما يجب ذكره ان كلوت بك هو الذي اشار باستعمال التطعيم ضد الجدري لمقاومة انتشار هذا المرض بالقطر المصري بعد ان كان يودي بحياة ستين الفاً من الاطفال كل عام او ثلث المواليد على رأي كلوت بك وقد قام هو وتلاميذه بمكافحة الكوليرا التي وفدت على مصر سنة ١٨٣٠ وبدلوا جهوداً طائلة في مقاومة طاعون سنة ١٨٣٥ فما تقدم نرى ان مصر الحديثة عرفت ما هي الصحة بعد ان وضع دماغها محمد علي باشا وان كان الفرنسيون قد مارسوها قبله محافظة على جيوشهم ومن عهده استمرت في تقدم حتى عصرنا الحاضر. وقد بلغ عدد سكان مصر في نهاية عهد محمد علي باشا نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون وتعداد سكان القاهرة نحو ثلاثمائة الف نسمة [لها تمة]

آراء وحقائق جديدة

في علوم الاحياء

للمستر مكورسنتن استاذ البيولوجيا في جامعة القاهرة الاميركية

لسنا نحاول هنا ان نستوفي البحث في الآراء الجديدة والحقائق التي كشفت حديثاً في علوم الاحياء . ففي سنة ١٩٣٠ اخرجت المطابع والمجلات نحواً من اربعين الف كتاب ومقال في الموضوع . وانما جل ما نستطيعه ان نختار بعض الموضوعات ونعالجها — وهي بحكم الطبع اجمع ما تكون لعناية كاتب هذه السطور

ما هي الحياة

لقد جريت على توجيه هذا السؤال الى تلاميذي في علم الحيوان في مفتتح كل سنة . وفي كل فرقة اجد تلميذاً او تلميذين على الاقل يظنان انهما يملكان للحياة تحديداً وافياً . لان الامر سهل في الظاهر ، ولكن الواقع انني اشك في امكان العثور على عالم بيولوجي يؤبه له ، يحاول ان يضع تعريفاً « للحياة » لاننا لا نعرف ما هي ، رغم ما نعلمه من الحقائق الكثيرة عن الاحياء وتصرفها . ولو كنا نملك الوقت ، للدنا ان نفحص هذه المادة الفاتنة للرب التي بدعوها بروتوبلازم (او المادة الحية ومعناها الاصلي المادة الاولى) مع عالم طبيعي بيولوجي مثل الدكتور هل A. V. Hil او فسيولوجي كالاستاذ بايلس W. W. Baylis وان نتصور ، كما يتصوران ، الافعال الطبيعية والكيميائية التي تقع فتحدث بوقوعها ظاهرات الحياة . وانما جل ما نستطيع ان نقوله هو اننا جادون في توسيع نطاق ما نعلمه عن الظاهرات السطحية التي ينطوي عليها تحويل الطاقة الكامنة في الطعام الى طاقة حركة . وفي الوقت نفسه نرى الكيميائي جاداً في درس جزئ البروتين المعقد التركيب وقد اسفر درسه عن ادلة قوية على ان شدة التعقيد في بنائه ذات صلة متينة بفقد الاستقرار في المادة الحية وهذا — أي فقد الاستقرار — متصل بتغيرات كيميائية عديدة يسهل استحداثها في المادة الحية . واكثر الفسيولوجيين الآن يرون ان الحياة نوع من التوازن بين هذه الافعال الكيميائية والطبيعية المعقدة . وكل حافز Stimulus يُفقد البروتوبلازم هذا التوازن فيتصرف او يتغير لاعادته وقد يحدث ان الحافز يكون قوياً ، وفقد التوازن كبيراً ، فلا تستطيع استعادته ، فنقول ، « ان السكان قد مات » . واذا فأنتم توافقون على اننا لا نزال بعيدين عن تعريف واف للحياة

ومن وجوه التقدم الجديرة بالعناية في هذا الميدان زيادة التدقيق في القياس . فقد استنبطت اداة خاصة تدعى « ثرموبيل » لقياس الحرارة التي تطلقها العضلة في اثناء انقباضها الى اربعة اجزاء من مليون جزء من الدرجة بمقياس سنتغراد . وقد استحدثت كواشف كيميائية اثبتت ان سبب انقباض العضلة المباشر ليس تأكسد السكر في الخلايا كما كان يقال قبلاً ، وانما تتكوّن أولاً مادة تدعى « فوسفجين » ثم يحل محلها تولد الحامض اللبنيك اذ يتحوّل الفوسفجين الى المواد التي تركّب منها . ويلى ذلك تحوّل الحامض اللبنيك بالتأكسد الى ثاني اكسيد الكربون والماء . فاذا انت لهثت تعباً بعد عدوٍ مائة متر فانت تحوّل في جسمك الحامض اللبنيك الى ثاني اكسيد الكربون والماء

التطور

ونريد ان نتحدث عن التطور من ناحيتين « حقيقة التطور » و « نظرية التطور » لما بدأ الناس يظنون ، على اثر درسهم للآثار المتحجرة ، أن في نشوء الحيوانات والنباتات فعل تطور تدريجي قالوا ان النباتات والحيوانات نشأت بفعل التطور من احياء بسيطة ذات خلية واحدة . وهذا ما يعرف عند طائفة كبيرة من الناس « بنظرية التطور » الآن . ولكنه في عرف السواد من علماء الاحياء « حقيقة التطور » وهم لا يحسبونها « نظرية » فقط لان الادلة التي تؤيدها كثيرة مستمدة من الجيولوجيا (طبقات الارض) والمورفولوجيا (شكل الاحياء) وعلم تفرق النباتات والحيوانات وعلم الاجنة ومن التجارب العملية في استحداث اصناف جديدة من النباتات والحيوانات الداجنة

اما ما يقصد الآن « بنظرية التطور » فهو في الواقع النظرية او النظريات المقترحة لتعليل بواعث التطور . وهذا هو المقصود اذ نذكر « نظرية دارون » او « نظرية لامارك » . وفي هذا الميدان لا يزال المجال لاختلاف الرأي متسعاً

التي الاستاذ بولتن Poulton خطبة الرأسة في قسم الحيوان في مجمع تقدم العلوم البريطاني في السنة الماضية — ولعلها اهم خطبة في علم الحيوان تليت في انكلترا حديثاً — فقال فيها ان علماء الحيوان في رأيه قد اخذوا يرتدون الآن ، بعد تحوّل كبير في آرائهم مدى ٤٠ سنة ، الى نفس الموقف الذي وقفه دارون في الموضوع عند وفاته . ولعل الاستاذ بولتن لم يبعد كثيراً عن محجة الصواب في تقريره ولكن من الثابت اننا اشدّ تبيناً من دارون لبعض المضاعب التي تعتور سبيل الباحث ، وقد اضيفت الى خلاصة البحث امور جديدة الآن . وقد لخص دارون القوى التي تفعل في تطور الاحياء كما يأتي : —

١ — اخلاف الاحياء للنسل كثير ، فلا يتسنى لطائفة كبيرة من النباتات والحيوانات التي

تولد من الغذاء والمكان ما يلزم لها لبلوغها مدى الحياة

٢ — هذا يفضي الى تنازع البقاء . وهذا بدوره يفضي الى

٣ — زوال الضعيف وبقاء القوي

٤ — وفي الوقت نفسه تظهر صفات جديدة . تساعد اصحابها على الفوز في معترك البقاء فيبقى صاحب الصفة — التباين variation — الجديدة وتورث الصفة نفسها للأجيال التي تليه وثمة مدرسة من علماء الاحياء ، ومعظم رجالها من علماء الآثار المتحجرة ، يذهبون الى ان درسهم للآثار المتحجرة اسفر عن ان بعض التباينات التي ظهرت في بعض الحيوانات لم تفد لها شيئاً بل على الضد كانت شديدة الضرر ، وهذه الصفات كافية بحسب رأي داروين للقضاء على الاحياء التي تتصف بها . ورأي هؤلاء العلماء ان باعث التطور باعث داخلي في الكائن الحي نفسه يدفعه في خطر مستقيم الى التحول والنشوء ، بصرف النظر عن بيئته . ولعل أشهر رجال هذه المدرسة الاستاذ ازبورن الاميركي . ولكن قل من علماء النبات والحيوان من يسلم بها والمسألة الخطيرة التي نواجهها اليوم تدر حول البواعث على ظهور التباينات التي تورث . ولقد كان لدارون رأي في الموضوع ، ولكنه لم يقنعه كل الاقناع . ولا هو يقنع علماء اليوم . فلنمر به صارفين النظر عنه . فلما اكتشف مندل مكتشفاته الخطيرة في الوراثة بدا كأنه وضع بأيدينا مفتاحاً للسر ، ولكن ما زال علماء التناسل عاجزين عن فهم الموضوع فهماً وافياً

وقد كان المرحوم الاستاذ لوتسي الهولندي — الذي كان استاذاً لعلم التناسل genetics في كلية العلوم بمصر سنة ١٩٣١ — من زعماء القائلين بأن التحولات الفجائية mutation نتيجة التنغيل hybridation فتظهر الصفات الكامنة recessive . ورأيه هذا مبني على تجارب خاصة قام فيها بتضريب اصناف مختلفة من النبات ، نقل مبدأها عن بور (Baur) الالماني الذي ضرب نوعين من نبات Antirrhinum فحصل على عشرات من الصفات الجديدة التي لم تشاهد في الاصلين قط . ولكن رأيه لا يفسر ظهور التحول الفجائي في صفة متغلبة اي انه لا يفسر كيف تظهر عوامل وراثية genes جديدة

والمقصود بالعوامل الوراثية تلك الوحدات الدقيقة التي تتألف منها الكروموسومات واشهر الباحثين في هذه الناحية هو الدكتور مورغن الاميركي واعوانه فانهم ربوا ملايين من ذباب الفاكهة (دروسوفيل) وجاراهم الباحثون في مختلف بلدان العالم فعيّنوا نحو ٤٠٠ عامل وراثي في كروموسومات هذا النوع من الذباب . ولكن حتى مباحث هؤلاء عجزت عن اقامة الدليل على البواعث التي تبعث العوامل الوراثية الجديدة على الظهور

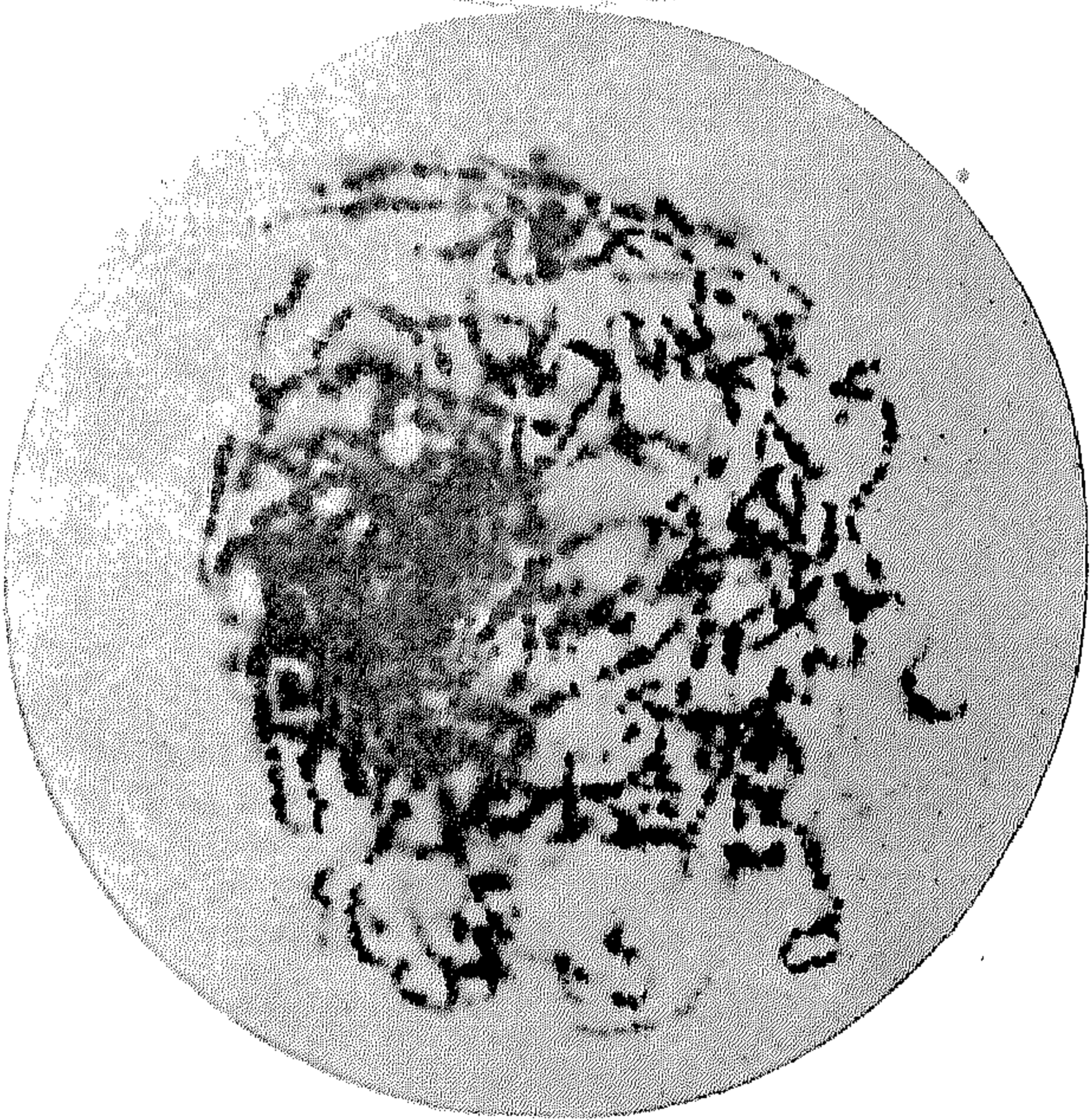
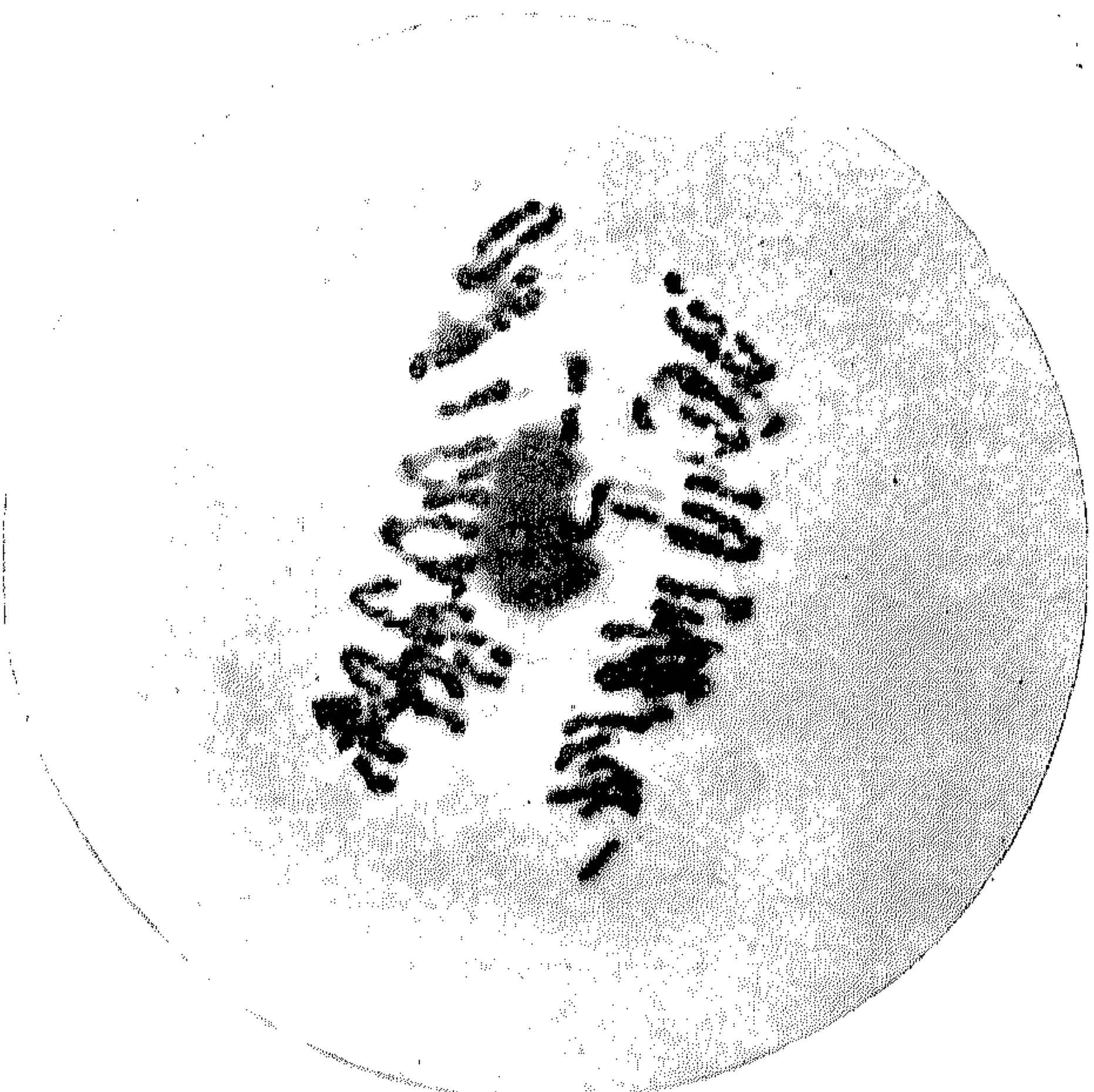
على ان الاستاذ ملر (Muller) احد اساتذة جامعة تكساس واحد تلاميذ مورغن

قد فتح باباً جديداً في هذا البحث باستحداث التحولات الفجائية في ذباب الفاكهة وغيرها باستعمال الاشعة السينية (اكس) فانه يوجه اشعة سينية من قوة معينة الى الخلايا التناسلية وهي في دور خاص من ادوار انقسامها . فيزداد عدد التحولات الفجائية . ولكن كيف نعلم ان ظهور هذه التحولات ليس ناشئاً عن تلف او ضعف اصاب بعض العوامل في الكروموسومات بتصويب الاشعة اليها لا عن ظهور عوامل وراثية جديدة . واذن فلا يزال ميدان البحث والاكتشاف في موضوع التباين الوراثي واسع الجنبات

البومانية

لقد اشرنا الى ان الوف الالوف من ذباب الفاكهة ربيت لتستعمل في مباحث الوراثة ونزيد على ذلك ان مئات الالوف من الجنينات اتفقت في هذا السبيل ، فاذا سألنا ما قيمة هذه الحشرة من الناحية الاقتصادية وجدنا ان لا قيمة لها على الاطلاق . والواقع ان الانسان في نظرنا هو اهم الحيوانات التي على الارض ، واذن يهمننا ان نعرف ما كشف من اسرار الوراثة فيه . واذا قلبنا النظر في الحياة المصرية بدت لنا قلة العناية بموضوع الوراثة البشرية . ذلك انه اذا ذهب والدٌ يبحث عن عروسٍ لابنه فما هو السؤال الاول الذي يوجهه عن الفتاة التي ينتظر ان تصبح والدته لاحفاده . هل يسأل عن ذكائها او صحة بنيتها او عن كمال قدها وجمال صورتها ؟ يقال ان الفتى نفسه يسأل هل عيناها نجلاوان . وهذا سؤال معقول . ولكن ألا يغلب ان يعنى الوالد اولاً بثروة والد الفتاة دون الفتاة نفسها . وهو في هذا لا يختلف عن امثاله من الوالدين في مختلف انحاء الارض . فليس ثمة بلاد تعنى العناية الكافية بالزواج من ناحية اثره في تحسين السلالة او من ناحية اثر الاختيار الملائم في هناءة الاسرة ، التي لا ندحة عنها في تنشئة الصغار وتربيتهم

ولاريب في ان اهم البواعث على هذا الاهمال معرفتنا النزرة بشؤون الوراثة البشرية . ولكن لماذا نعنى بدرس الوراثة في ذباب الفاكهة هذا الدرس المسهب المدقق ونهمل درس الوراثة البشرية ؟ والجواب عن ذلك سهل . فعلم التناسل لم يولد الا في مطلع القرن العشرين والقسم الخاص منه المعروف باسم اليوجينية Eugenics لم يعن به الا من نحو جيل واحد فلم يتسن للباحثين فيه ان تتناول مباحثهم الا جيلاً واحداً من البشر في حين ان هذه المدة كانت كافية لتربية مئات الاجيال من ذباب الفاكهة ودرس آثار الوراثة فيها . . . وثمة صعوبة اخرى . فالعالم يستطيع ان يزواج ذباب الفاكهة كما يشاء ولكن بماذا تجيب اذا جاءك عالمٌ يوجني وقال لك « اريد ان تزوج هذه المرأة المعتوهة العوراء وضعيفة البصر في عينها الاخرى لانني اريد ان ابحث في توريث هاتين الصفتين » .



عقود العوامل الوراثية بعد
 اتصال الكروموسومات بواسطة الانقسام الخلية
 في أثناء تراجعتا لمتال المستر مكوستن جاءت الجالات الاميركية منبهة بان الدكتور بلنيز اثبت وجود العوامل
 الوراثية (Genes) بالتصوير الفوتوغرافي . راجع الاخبار العلمية

فمن الواضح أنه لا بد من انقضاء زمن طويل قبل ما يبلغ علمنا بالوراثة البشرية مبلغ علمنا بالوراثة في ذباب الفاكهة . ولكن لا تظنوا أننا لا نعلم شيئاً عن الوراثة البشرية ، أو أن العلماء متقاعسون عن حلّ هذا المشكل . فلدينا منشآت مثل معامل دلتن بلندن التي يرأسها كارل بيرسن ومعهد كولديسبرنغز هاربر باميركا الذي يرأسه الدكتور داقنبورت ، ينفق العلماء فيهما كل وقتهم في درس هذا الموضوع . وفي موضوع الوراثة نكشف كثيراً من الحقائق بدرس الحيوانات الدنيا - ومنها ذباب الفاكهة - فتطابق هذه الحقائق الضوء على اسرار الوراثة البشرية . وكل الأدلة تشير إلى أن الوراثة البشرية تخضع للنواميس التي تخضع لها الوراثة في سائر الحيوانات ومن نكد العالم ، أن الصفات البشرية التي تهتمنا بوجه خاص مثل الذكاء والصحة وغيرها تسيطر عليها عوامل عديدة تجعل درس الوراثة معقداً . كل التعقيد . ففي الجهاز العصبي نعلم مثلاً أن بعض النقائص مثل بعض أنواع العته وضعف العقل والصرع صفات كامنة تورث بحسب ناموس مندل . ولكن يظهر أن لهذه الصفات أنواعاً خاصة لا تورث قط . اضرب لكم مثلاً بطفل كان جاراً لنا سقط من سطح البيت فرج رأسه واسفرت الرجة عن ضعف في عقله . فالوراثة لا علاقة لها بهذا ، والأمراض تسفر عادة عن مثل هذه النتيجة

يسأل الناس هل يمكن تحسين الجنس البشري باختيار أذكى الناس ومزاوجتهم . وقد تناول الباحثون هذا الموضوع تناولاً احصائياً فظهر أن الناس المتفوقين يغلب أن يكون لهم أولاد متفوقون . ولكن يستحيل علينا الآن أن نقرر أي جانب من هذا التفوق عائد إلى الوراثة وأي جانب منه عائد إلى البيئة . إذ لا يخفى أن الطفل الذي ينشأ ويتربى في بيت جاهل وعلم فهو طفل بيئة متفوقة إذا قيس ببيئة طفل ينشأ في الأحياء الفقيرة ونستطيع أن نمثل على ذلك بتاريخ الكلب . فالكلب متسلسل من الذئب ولكن الجهاز العصبي في الكلب تحول بالتأصيل فبعضها يختص بصيد الثعالب وبعضها يستعمل لسوق القطعان وبعضها للجري وراء الطيور وبعضها يستعمله البوليس في الكشف عن الجرائم فإذا كان الجهاز العصبي في الكلب قد تحول هذا التحول الكبير ، فمعقول أن نفرض أن مثل هذا التحول ممكن في جهاز الإنسان العصبي . ولا يزال بعيدين كل البعد عن إجراء تجارب من هذا القبيل في الناس لأننا لا نتفق على أهم الصفات التي يرغب فيها في الإنسان ، ولا بد من أن نتعمق في درس الموضوع قبل ما نصبح على استعداد لترقية الجنس بالاختيار . ولكننا على كل حال متفقون على وجود نقائص في الجسم البشري نود إزالتها . فقد ازف الوقت مثلاً لمنع المعتوهين من التزاوج والتناسل

عدد النسل

الى هنا حصرنا الكلام في نوع النسل البشري، وعليه اريد الآن ان انتقل الى موضوع يهمني بوجه خاص وهو « عدد النسل » او « مشكلة السكان ». انكم تذكرون ان احد الاركان التي تقوم عليها نظرية داروين هو ميل الاحياء الى التكاثر تكاثراً سريعاً فيتعذر على نسلها وجود الغذاء الكافي اللازم لبلوغها، وفي بعض الاحيان يتعذر وجود المكان الكافي لكل النسل، فيندثر جانب من النسل في كلا الحالين

وهذه الزيادة في النسل اظهر ما تكون في الحيوانات الدنيا. ولعلكم تعلمون الارقام الكبيرة التي تبلغها اذا حسبنا عدد البكتيريا الذي يخلفه واحد منها في مدى ٢٤ ساعة من العيش في احوال ملائمة للنمو. ففي هذه الاحوال الملائمة ينقسم واحد بعض البكتيريا الى اثنين مرة كل نصف ساعة. فاذا مضى البكتيريوم الواحد ونسأله في الانقسام على هذا المنوال مدة ٢٤ ساعة بلغ نسله بحسب تقدير ترانسو (Transseau) ٢٨١ مليون مليون ومع ذلك فان هذا النسل لا يملأ أكثر من زجاجة تسع نصف متر من الماء لشدة صغر هذه الاحياء. فاذا بدأنا اليوم التالي بنصف لتر منها اخلفت في آخر اليوم نسلاً يملأ ١٤٠ مليون مليون لتر او نحو ٣٣ ميلاً مكعباً. وفي آخر اليوم الثالث يصبح نسل البكتيريوم الواحد - اذا عاش كله - ٣٣ الف ضعف حجم الكرة الارضية ويقال ان انكليس النيل يضع ٥ ملايين بيضة دفعة واحدة. وهذا البيض يلقحه الذكر وعليه تقسم عدد البيض على اثنين لتعلم عدد النسل من الوالد الواحد. واذا فكل انكليس يخلف $\frac{1}{2}$ مليون انكليس. فاذا بلغت كلها سن البلوغ واخلف كل منها نسلاً بدوره، فلا تمضي سنوات قلائل حتى يمتلئ البحر والنيل بحيوان الانكليس

او خذوا دودة القطن القرنفلية. يظن ان بضع حشرات من هذا الصنف افلست من الاسكندرية سنة ١٩١٠ وتسربت الى مزارع القطن. ولعلها كانت عشر حشرات او مائة. فلم يمض بضع سنوات حتى اكتسحت ملايين الملايين من هذه الدودة مزارع القطن في الوجه البحري ولما كان الانسان اعلى الحيوانات ارتقاءً، تراه يخلف النسل اخلافاً بطيئاً، ولكن اذا لاأثمته احوال المعيشة يستطيع ان يزيد نسله بمتوسط ١٦٠٠ في المائة في مدى قرن واحد. ففي الولايات المتحدة مناطق كثيرة بلغت فيها زيادة السكان هذا المتوسط بالتناسل لا بالهجرة. والزيادة في سكان مصر الحديثة كانت كبيرة جداً في اول عهد محمد علي كان سكان مصر نحو ثلاثة ملايين وهم الآن ١٥ مليوناً اي ان الزيادة ٥٠٠ في المائة في نحو قرن وربع قرن من الزمان. واذكروا ان متوسط سكان مصر في اثناء اربعة آلاف او خمسة آلاف سنة سبقت عهد محمد علي كان ثلاثة ملايين نسمة تنقص او تزيد قليلاً

== مسألة السكان في مصر ==

فماذا يحدث اذا مضى سكان مصر يزيدون على مقتضى هذا المتوسط؟ يحدث ان يصبح سكان القطر بعد قرن وربع قرن (اي نحو سنة ٢٠٥٧) ٧٥ مليوناً وفي سنة ٢٢٥٧ يصبح سكانه مثل سكان العالم اليوم (اي نحو ٢٠٠٠ مليون). واذا فرضنا ان العرب، لما فتحوا مصر قتلوا كل من فيها وتركوا من اتباعهم رجلاً وامراً وان الرجل والمرأة ونسألهما زادوا بمتوسط ٥٠٠ في المائة في اثناء قرن وربع قرن بعد محمد علي، لبلغ سكان مصر الآن نحو ٤٥ مليوناً او ثلاثة اضعاف سكانها اليوم. قد يبدو ان الامر مستحيلاً. ولكن خذ قلماً وورقاً واعمل حسابك وغني عن البيان ان الأحياء المذكورة في الأمثلة المتقدمة لا يمكن ان تمضي متزايدة بأقصى سرعتها مدة طويلة. فثمة عوامل عديدة تبطئ الزيادة منها قلة الطعام، والازدحام، ووجود اعداء لها تغذي بها. فنحن اذا ربينا مكروبات في عصيدة غذائية وجدنا انها تقف عن الزيادة قبل نفاد الغذاء، والبطة في تكاثرها سببه ازدهارها في الانبوب الذي يحتوي على العصيدة. كذلك دودة القطن القرنقلية لا تتكاثر تكاثراً مريعاً الآن مع ان كثيراً من لوز القطن يبقى سليماً، فبطة تكاثرها ليس سببه نفاد اللوز الذي تغذي به وانما احد اسبابه وجود حشرات تقتك بها امامن حيث سكان مصر، فغني عن البيان انهم لا يبلغون ٧٥ مليوناً في اواسط القرن المقبل (حوالي سنة ٢٠٥٧) فالقطر المصري لا يستطيع ان ينتج طعاماً لتغذيتهم، ثم اننا نعلم انه اذا قل الغذاء سهل تفشي الوبئة. فتوسط عمر الهولنديين في هولندا مضاعف متوسط عمر الهنود لهذا السبب. والراجع ان كثرة وفيات الاطفال في مصر ناشئة عن الفقر. قد نقول ان الجهل افعل في كثرة وفيات الاطفال من الفقر، ولكن كيف نعال قلة انتشار التعليم - قبل العصر الاخير - بشدة الفقر وما سبب الفقر في مصر؟ لماذا نرى الامة الاميركية اغنى من الامة المصرية؟ قيل ان السبب هو الفرق بين سلالة الاميركيين وسلالة المصريين. حقاً انه لا يعقل ان نرعى المصريين بقول لا اساس له من الحقيقة. وقيل انه فرق في الدين. ولكن هل المصري المسيحي اغنى من المصري المسلم. وقيل ان سببه اقليم القطر المصري. ولكن هل حال اقليم القطر المصري بين قدماء المصريين وانشاء اولي الحضارات؟ الفرق الواضح بين البلادين انك تجد في مصر ثلاثة اشخاص يتناولون رزقهم من فدان من الارض المزروعة في حين ان نصيب الواحد في امريكا من الارض المزروعة يبلغ نحو ثلاثة افدنة وثلث فدان، اما نصيبه من المراعي والغابات والمناجم والمصانع فأعظم من ذلك كثيراً ولا ريب في ان تكاثر سكان مصر سوف يبطئ ولكن ماذا يبطئه؟ لعلنا نجد الجواب عن هذا السؤال في النظر الى الصين اكثر من النظر الى اي بلاد اخرى. فالظاهر ان الزيادة في سكان الصين ليست بكبيرة ان كان ثمة زيادة ما. ادرسوا تاريخها في القرون الحديثة تجدوا المجاعة

في أثر المجاعة. وهي الآن في نهاية مجاعة حصدت منها نحو عشرين مليوناً وفي بدء أخرى نتجت عن فيضان نهر اليانغ تسي. وسبب الفيضان ازدحام الناس على ضفاف النهر وتعليقهم على ما هو في الواقع من أرض مجراه، فيحدث أحياناً أن أرض المجرى الباقية لا تكفي لماء النهر فتطغى مياهه على الناس على أن مصر في خطر من الوقوع فيما نسميه نصف مجاعة. وهذه حالة عادية في بلاد الهند فقد قيل أن ستين مليوناً من الهنود ينامون على الطوى كل ليلة. وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل متوسط العمر في الهند ٢٥ سنة بدلاً من ٦٠ سنة. وحيث يكون الناس في مثل هذه الحال من قلة الغذاء تفتك بهم الأمراض فتحصد منهم أكثر مما يحصد الجوع. فاية زيادة في سكان مصر تقترب بها من حالة شبيهة بهذه الحالة. لا ريب أنه أتى عليها حين من الدهر كانت في مثل هذه الحالة، والا فلماذا كان سكان البلاد ثلاثة ملايين في بدء تاريخها الحديث؟ يقال أن المشكلة تحل بزيادة الأرض التي تروى وبيضاء المصانع. ولا ريب في أن البلاد تحتاج إلى ذلك أشد الحاجة، ولكننا نرتاب في أن زيادة الأرض الزراعية والمصانع تحل المشكلة حلاً نهائياً، لأن ماء النيل محدود ولا بد أن يقف التوسع الزراعي عن طريق الري بماء النيل عند حد محدود. ثم أن للتوسع الصناعي حدوداً دقيقة

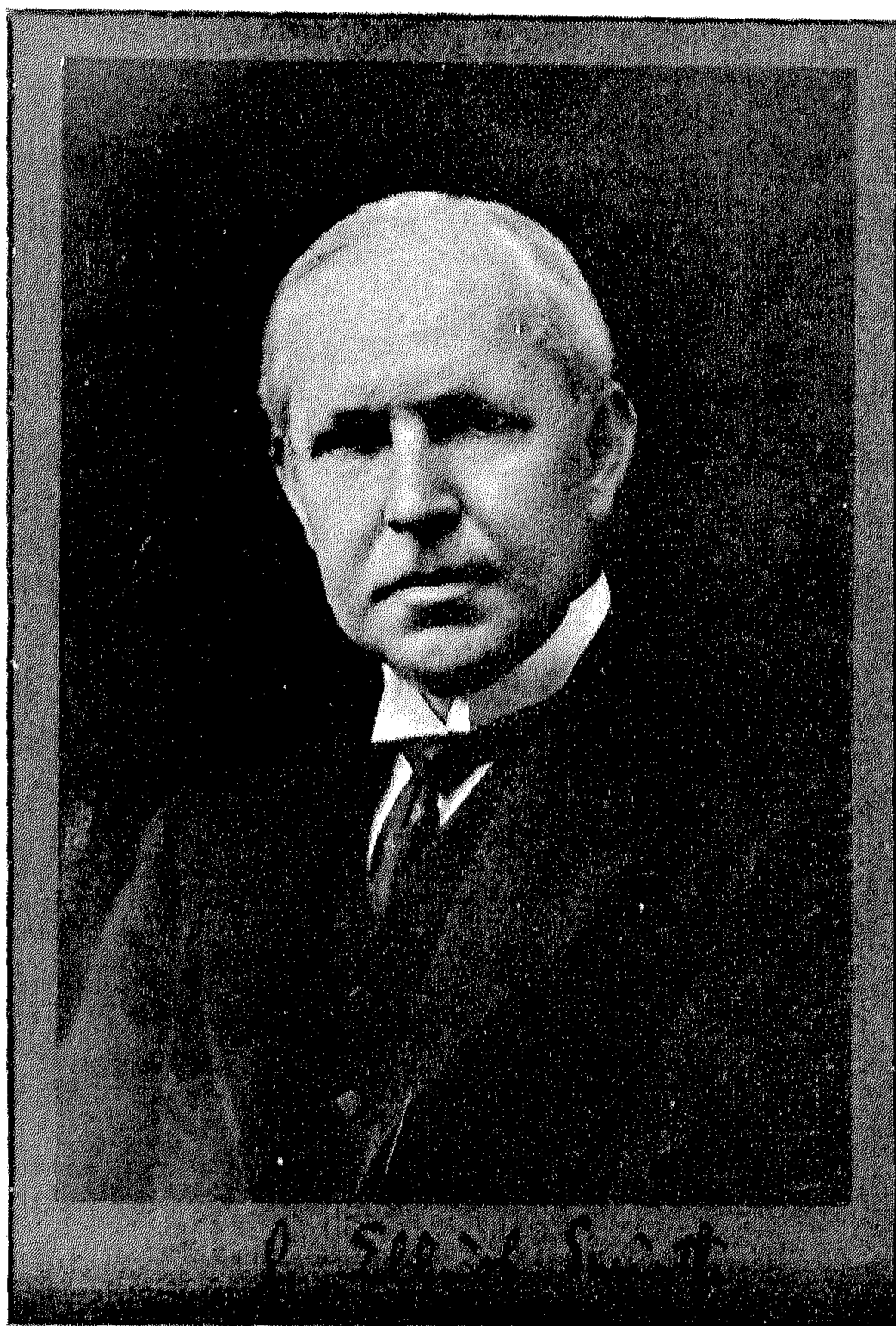
وإذا أعاد التاريخ نفسه، فاخشى أن لا يكون زيادة الأراضي المنزرعة سبيلاً إلى تحسين حالة الفلاح المصري. قابل صديق لي من بضعة أشهر السر وليم ونكس فقل له أنه لا يظن أن عمله في إنشاء حزان أصوان كان نعمة على الفلاح المصري. فلم يغضب السر وليم ولم يتجهم وجهه بل قال: «كلاً». لم أكن نعمة بل لعنة!

كيف تفسر هذا القول الغريب. أننا نجد بعض التعليل في مراقبة الفلاح في حياته اليومية. فانه لا يزال يسكن في خوص من الطوب الني الذي كان يسكنه في أيام محمد علي ولا يزال يزرع ويحصد كما كان يفعل حينئذ ولا يزال إلى حد بعيد يأكل نفس الطعام، مع أني اعتقد أن تحسيناً قد تم في هذه الناحية. إذن نجد أن أحوال معيشته لم تتقدم. ولكن لماذا نقول أن الحالة الآن أسوأ مما كانت من نحو قرن من الزمان؟

اليكم الجواب. من نحو اسبوع كنت أحدث الدكتور بارلو Barlow أحد أطباء معهد ركنر المعني الآن ببحث مرض البلهارسيا في مصر من نواحيه المختلفة. كان قبيل حديثنا قد عاد من الوجه القبلي وهناك شاهد امرأاً إذاً. ذلك أن مرض البلهارسيا كان منتشرًا على أحد ضفتي النهر دون الأخرى. فليس ثمة بلهارسيا — أو هي قليلة الانتشار جداً — على الضفة التي لا يزال أهلها يستعملون طريقة ري الحياض. ولكنها كثيرة على الضفة الأخرى. فحزان أسوان الذي جعل الري على إحدى الضفتين على مدار السنة ساعد على نشر البلهارسيا وما يلزمها من الالم، ومع ذلك فإن بناءه لم يسفر عنه تحسين معيشة الفلاح

والراجح ان الزيادة في ارض مصر المزروعة ومصانعها يقابله من زيادة السكان ما يترك الحالة على ما هي . ففي مصر اليوم ١٤٠ الف نسمة علاوة على ما كان فيها في السنة الماضية وهذه تحتاج الى مأكل وملبس (كان متوسط الزيادة السنوية في العشر السنوات الماضية ١ في المائة) ومن الممتع ان نتصور ما تكون حالة مصر الآن لو خلف محمد عليًا حاكم راجع العقل كسلفه نافذ البسيرة فقال « اذا بلغ سكان مصر خمسة ملايين فيجب ان يقفوا عن الزيادة . وحينئذ نمضي في بناء الخزانات والسدود وحفر الترعة والمصارف .. ولكن سكان مصر يجب الا يزيدوا عن خمسة ملايين » . ترى لو قال ذلك ونفذه ماذا تكون حالة مصر الآن ؟ في المقام الاول يكون متوسط نصيب كل فرد من افراد الامة المصرية من الارض ثلاثة اضعاف نصيبه الآن . ولا نغلو اذا قلنا ان الثروة العامة تكون ثلاثة اضعاف ما هي الآن . ففي هذه الحال يملك المصري ما يكفي لبناء منزل صحي ، ويصبح التعليم العام امراً ميسوراً ، وتغدو عامة الشعب قادرة على شراء اشياء تنمناها لها اليوم . حينئذ يساقون في رقيهم اسوج وسويسرا والبلجيك أو يفوقونها وهي بلدان سكان كل منها خمسة ملايين تقريباً وقد تقولون ما فائدة الكلام في الموضوع ؟ كيف نستطيع ان نسيطر على متوسط زيادة المواليد في شعب ما ؟ هو الله مدبر الامور ! . لقد وهبنا الله عقلاً نغير به البيئة التي نعيش فيها احوال الاجتماع الانساني . هل ولدت بيت على ظهر ككسفة البراقة وانت تبني بيتك بيديك ! هل ولدت ببدلة تكسو عريك او انت استأجرت خياطاً ففصل لك بدلة بحسب ذوقك ؟ انظر الى مئات النواحي التي ادخلت فيها تعديلاً على بيتك — وهي هي الفروق بينك وبين المتوحش لا ريب في ان بعض الملاك يقولون بان كثرة الفلاحين تجعل اجورهم ارخص ، ولكن لا بد من حلول يوم يصبح فيه العامل الرخيص عاجزاً عن القيام بعمل يساوق اجرتة القليلة . ثم انهم سوف يرون ان خطر الثورة يزداد بتفشي الجوع . ومن الطبيعي ان يرغب الفلاحون في النسل — وفي الذكور منهم خاصة — لانهم يرغبون ان يعتزلوا العمل ويروا ابناءهم يحسنون محاسنهم . ولكن ثمة كثيرون يقفون من المسألة موقف بستانى فقد سأله من مدة كم ولد يرغب ان يكون له فقال « ولم تسأل . ما الله » فقلت ولكن افرض ان الله سأل كم ولد ترغب ان يكون لك فاذا تقول . فاجاب ، وجوابه حملني على الدهشة اذ قال : « ولدين وبنت » وهذه الرغبة ينطوي عليها المثل السائر « خير الذرية ولدين وابنة »

ان هذه المشكلة ، من الناحية البيولوجية ، ليست مشكلة عسيرة .. وانما الحائل الكبير الذي يقوم في سبيل حلها هو « المحافظة » الشديدة « ولكن » المحافظة « اليوم اقل من قبل ، ثم ان موالاة هذا الموضوع بالدرس والبحث ، وتثقيف العامة باصول الصحة ، لا بد ان يتغلبا على كل الحوائل في عصرنا . وما نحتاج اليه الآن هو ان نستوضح المشكلة كما هي ، وان نسعى سعياً جدياً لتوضيحها للغير . فاذا شاءت مصر ان توالي سيرها على طريق التقدم ، وجب على سكان البلاد الا يزيدوا عما تحتمله مصادر الثروة الطبيعية في البلاد



الدكتور اليوث سمث صاحب الكتاب الذي نقل عنه هذا الفصل

هذه الأمثال تساعدنا على توضيح طريقة الاتصال الثقافي وتفاعل الأخذ والعطاء الحادث من وقت ان بدأت الانسانية في خلق الحضارة لانه لا يوجد قوم ذوو ثقافة استطاعوا ان يتطوروا في عزلة تامة. والامم لا تتقدم في بيوت مائية مغلقة، ونشر الثقافة من مكان الى مكان حدث خلال التاريخ العام للحضارة، والاخذ والعطاء للمواد والافكار هما عاملا الحياة المؤثران في التقدم والرقى واذا كانت مقبرة توت عنخ أمون خدمتنا لانها اضطرت الناس لتقدير الاعمال المصرية فيجب ان تساعدنا في اعداد عقولهم لادراك مقدار الدين الذي على الحضارة لمصر التي ولدتها وألهمتها في طفولتها وصباها. والاعمال الفنية التي اصطنعها البنائون والحفارون والنجارون والنساجون وصناع الحلى والاحجار الكريمة والتي ظهرت في الادوات التي اكتشفت في مقبرة توت عنخ أمون لدليل جديد على ما ذهبنا اليه من ان مصر ام حضارة العالم لاننا نشاهد فيها صناعة الناس الذين ابتكروا الحضارة ونشروها. ولاريب في ان اعداد مومياء فرعون وترتيب ذلك الجهاز المتقن لحاجاته جميعاً يدلان في صراحة تشبه صراحة الاطفال على اصول العقائد المتأصلة وبعض الطقوس التي اقترضها العالم من مصر في احوال كثيرة دون ان يفهم أصولها أو معانيها لان الاقوام الذين أخذوا هذه العادات المصرية لم يكفوا انفسهم مشقة البحث عن اسبابها، وهكذا تظهر قيمة دراسة الآثار المصرية في انها تقدم الايضاح الصادق لآلاف الاشياء التي نعملها تحت تأثير التقاليد كل يوم بل كل ساعة من دون أن نعرف لماذا نعملها في عهد توت عنخ أمون وفي عهد اسلافه وخلفائه الادنين كان هناك اتصال وثيق بين مصر وسوريا وكان هناك مصاهرة دائمة بين افراد الاسرتين المالكتين. وتوضح الاسانيد المكتوبة للاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة احدى طرائق الاختلاط الجنسي بين القطرين، وغرض هذا الكتاب بيان نتائج هذا الاختلاط في الفتي سنة حتى ذلك العهد

واول سكان مصر — على قدر اكتشافنا — هم القوم الذين ادخلوا زراعة الشعير وابتكروا فن الري وصياغة الذهب وطريقة استخراج النحاس من خاماته، ومن المحتمل ان يكونوا اول قوم استعملوا لبن الابقار كطعام انساني

على ان اثرهم في ابتكار القيمة الباقية للمعدن الذي لا قيمة له في الواقع، ونعني به الذهب لمن الاحداث الجسام في تاريخ العالم لانه ما ان اعطيت القيمة السحرية — كما كسیر الحياة — لهذا المعدن الا صفر الدين السهل التناول وما ان صنعت منه التأمم البراقة الصافية حتى بعث شعور الناس بالجمال وحتى بحثوا عنه في كل مكان . . . ونتج عن ذلك ان اصبحت له قيمة عظيمة كانت المؤثر الاكبر في العالم من ذلك الحين

وقبل ان يصبح معدن الذهب واسطة التعامل بقرون أخذ الناس في البحث عنه واستخراجه حتى وصلوا الى ارلنده وساحل الذهب في الغرب وزمبابوى ومدغشقر في

الجنوب ، واليابان والفيليبين ومالانيزيا واميركا في الشرق ، فليس غريباً ان يصبح الذهب الباعث في نشر الحضارة في العالم كله لان كل مَحَلَّة مُعَدَّنْ اصبحت مركز ثقافة اجنبية نبتت في قطر بعيد ، وليس غريباً ايضاً ان يصبح غواية الناس يدفعهم الى الجشع ويوقد بينهم نار المنازعات والحروب . وان مقابر توت عنخ آمون وغيره من الفراعنة تقدم درساً موضوعياً لنتائج مثل هذا الجشع الذي كان من القوة بحيث ان رعية أولئك الفراعنة الذين كانوا يعتبرون كالألهة كانت تعتقد ان قبورهم تدنس اذا خات من الذهب . وبهذا كان المصريون مسؤولين عن خاقي تلك القيمة المفتعلة لهذا المعدن . كان الذهب في عهد توت عنخ آمون يغري اللصوص ، ومع انه لم يكن قد استعمل للتداول الا انه كان المادة التي تدفعها الامة جزية للآخرى ، تصنع منه الحلي كما كان يقدر لمزاياه السحرية كواهب الحياة وكرمز للام الكبرى « هاتور » و « هاتور » هي منتجة النسل وصاحبة الحياة ومعيدة الشباب للناس ، وهي الى جانب هذا (البقرة الالهية) واهبة اللبن متصلة بالقمر الذي كان يظن انه المسيطر على قوى اعطاء الحياة عند النساء ؟ وكانت تمثل بصورة أخرى هي حبة الشعير

ولما ابتكر المصريون وسائل زراعة الشعير اصبحت للشعير شأن كبير جداً لا باعتباره مادة رئيسية من مواد الطعام ولا باعتباره المادة التي تصنع منها الجعة الالهية « واهبة الحياة » ولكن لان الحبة كانت كالاصداف التي كانت تعتبر رمزاً للقوى المعطية للحياة عند النساء ولهذا كانت تعتبر حبة الشعير كواهب الحياة لا بالمعنى الضيق للتغذية ولكن بالمعنى السحري الواسع كرمز للام الكبرى

وذاع صيت الذهب من ناحية السحر اولاً لانه كان يستعمل في صياغة التائم المكونة من الاصداف ، وانا اعود لامثال هذه المسائل هنا لأوجه الالتفات لهذه الحقيقة وهي ان جميع المواد التي استعملت في التبادل كالاصداف وحبات الشعير والماشية والذهب كانت كلها رموزاً للام الكبرى ، وبالطبع عظمت قيمة هذه الاشياء المختلفة عندما نسبت لتلك الام وهكذا اصبحت لها صولة سحرية — وبهذا أمكن استعمالها في التعامل

وفي ايام توت عنخ آمون كان الشعير مستعملاً في مصر كلها وكانت حبات هذا النبات تعتبر مستودع المواد الحية التي على صورة « ام الحنطة » أو بعبارة اصح « ام الشعير » وكان يصور « اوزير يريس » في مقابر اسلافه وخلفائه الادنين بحبات الشعير النابتة التي كانت توضع في غرفة الدفن لتعيد بالسحر الى الفرعون الميت قوى الام الكبرى المعطية للحياة كما اعطيت لحبات الشعير النابتة . وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب عدت الى الاشكال المسماة « Steatopygons » في القبور القديمة بمصر والتي كان الغرض منها ان تعبر بحق عن فكرة تقديس الاصداف

« البقية في باب الاخبار العلمية »



تابوت توت عنخ آمون الذهبي وهو محفوظ في متحف القاهرة امام صفيحة ١٤٨

القليل من الحياة كثيراً وافياً بما يضاعف من معانيه ، ويترك الماضي منها ثابتاً قاراً بما يخلد من وصفه ، ويجعل المؤلم منها لذاً خفيفاً بما يبت فيه من العاطفة ، والمملول ممتعاً حلواً بما يكشف فيه من الجمال والحكمة . ومدار ذلك كله على إيتاء النفس لذة الجهول التي هي في نفسها لذة مجهولة أيضاً ، فان هذه النفس طامعة متقلبة لا تبتغي مجهولاً صرفاً ولا معلوماً صرفاً كأنها مدركة بنظرها أن ليس في السكون صريح مطلق ولا خفي مطلق وإنما تبتغي حالة ملائمة بين هذين يثور فيها قلق أو يسكن منها قلق

وأشواق النفس هذه هي مادة الادب . فليس يكون أدباً الا اذا وضع المعنى في الحياة التي ليس لها معنى ، او كان متصلاً بسر هذه الحياة فيكشف عنه او يوحى إليه من قريب ، أو غير لها هذه الحياة تغييراً يجيء طباقاً لغرضها وأشواقها فانه كما يرحل الانسان من جو الى جو غيره ينقله الادب من حياته التي لا تختلف الى حياة أخرى فيها شعورها ولذتها وإن لم يكن لها مكان ولا زمان ، حياة كملت فيها أشواق النفس لأن فيها اللذات والآلام بغير ضرورات ولا تكاليف . ولعمري ما جاءت الجنة والنار في الأديان عبثاً فان خالق النفس بما ركبها فيها من العجائب ، لا يحكم العقل أنه قد أتم خلقة لها الا بخلق الجنة والنار معها إذ هما الصورتان الدائمتان المكافئتان لأشواقها وآلامها الخالدة إن هي استقامت مسددة أو انعكست حائلة وقد صرح عندي أن النفس لا تتحقق من حريتها ولا تنطلق انطلاقتها الخالدة فتشعر بوحدة الشعور ووحدة الكمال الأسمى الا في ساعات وفترات تنسل فيها من زمنها وعيشها وتقاؤها واضطرابها الى « منطقة حياد » خارجة وراء الزمان والمكان ، فاذا هبطتها النفس فكأنما انتقلت الى الجنة واستترت وحّت الخلد . وهذه المنطقة السحرية لا تكون الا في أربعة : حبيب فأتى معشوق أعطي قوة سحر النفس فهي تنسى به ، وصديق محبوب وفي أوتي قوة جذب النفس فهي تنسى عنده ، وقطعة أدبية آخذة فهي ساحرة كالطيب أو جاذبة كالصديق ، ومنظر فني رائع ففيه من كل شيء شيء

وهذه كلها تنسى المرء زمنه مدة تطول وتقصر ، وذلك فيها دليل على ان النفس الانسانية تُصيب منها أساليب روحية لاتصالها هنية بالروح الأزلي في لحظات من الشعور كأنها ليست من هذه الدنيا وكأنها من الأزلية . ومن ثم نستطيع أن نقرر أن أساس الفن على الاطلاق هو ثورة الخالد في الانسان على الفاني فيه ، وأن تصوير هذه الثورة في أوهامها وحقائقها بمثل اختلافاتها في الشعور والتأثير هو معنى الأدب وأسلوبه

ثم أن الاتساق والخير والحق والجمال — وهي التي تجعل للحياة الانسانية اسرارها — أمور غير طبيعية في عالم يقوم على الاضطراب والاثرة والنزاع والشهوات . فمن ذلك يأتي الشاعر والأديب وذو الفن علاجاً من حكمة الحياة للحياة ، فيبدعون لتلك الصفات الانسانية الجميلة

عالمها الذي تكون طبيعية فيه وهو عالم اركانه الاتساق في المعاني التي يجري فيها ، والجمال في التعبير الذي يتأدى به ، والحق في الفكر الذي يقوم عليه ، والخير في الغرض الذي يساق له . ويكون في الأدب من النقص أو الكمال بحسب ما يجتمع له من هذه الأربعة ولا معيار أدق منها ان ذهبت تعتبره بالنظر والرأي . ففي عمل الأديب تخرج الحقيقة مضافاً إليها الفن ، ويجيء التعبير مزيداً فيه الجمال ، وتتمثل الطبيعة الجامدة خارجة من تماس حياة ، ويظهر الكلام وفيه رقة حياة القلب وحرارتها وشعورها وانتظامها ودقتها الموسيقي ، وتلبس الشهوات الانسانية شكلها المذهب لتكون بسبب من تقرير المثل الأعلى الذي هو السر في ثورة الخالد من الانسان على الفاني والذي هو الغاية الاخيرة من الأدب والفن معاً ، وبهذا يهبك الأدب تلك القوة الغامضة التي تتسع بك حتى تشعر بالدنيا وأحداثها مارة من خلال نفسك وتحس الأشياء كأنها انتقلت الى ذاتك من ذواتها . وذلك سر الأديب العبقري فإنه لا يرى الرأي بالاعتقاب والاجتهاد كما يراه الناس وانما هو يحس به فلا يقع له رأي بالفكر بل يلهمه إلهاماً . وليس يؤاتيه الإلهام الا من كون الأشياء تمر فيه بمعانيها وتعبه كما تعب السفن النهر فيحس أثرها فيهم ما يلهم . ويحسبه الناس نافذاً بفكره من خلال الكون على حين ان حقائق الكون هي النافذة من خلاله

ولو أردت ان تعرف الأديب من هو لما وجدت أجمع ولا أدق في معناه من ان تسميه الانسان الكوني وغيره هو الانسان فقط . ومن ذلك ما يبلغ من عمق تأثره بجمال الأشياء ومعانيها ثم ما يقع من اتصال الموجودات به بالأمها وافراحها إذ كانت فيه مع خاصية الانسان خاصية الكون الشامل . فالطبيعة تثبت بجمال فنه البديع انه منها ، وتدل السماء بما في صناعته من الوحي والاسرار انه كذلك منها ، وتبرهن الحياة بفلسفته وآرائه انه هو منها ، وهذا وذاك وذاك هو الشمول الذي لا حده والاتساع الذي كل آخر فيه شيء أول فيه شيء وهو انسان يدلله الجمال على نفسه ليدل غيره عليه ، وبذلك زيد على معناه معنى وأضيف اليه في إحساسه قوة انشاء الاحساس في غيره ، فأساس عمله دائماً ان يزيد على كل فكرة صورة لها ويزيد على كل صورة فكرة فيها ، فهو يبدع المعاني للاشكال الجامدة فيوجد الحياة فيها ويبدع الاشكال للمعاني المجردة فيوجد لها هي في الحياة ، فكانه خالق ليتلقى الحقيقة ويعطيها الناس ويزيدهم فيها الشعور بجمالها الفني . وبالأدباء والعلماء تنمو معاني الحياة كأنما اوجدتهم الحكمة لتنقل بهم الدنيا من حالة الى حالة . وكأن هذا الكون العظيم يمر في أدمغتهم ليحقق نفسه ومشاركة العلماء للادباء توجب ان يتميز الأديب بالاسلوب البياني اذ هو كالطابع على العمل الفني وكالشهادة من الحياة المعنوية لهذا الانسان الموهوب الذي جاءت من طريقه^(١) ثم

(١) سننسط الكلام على الاسلوب وفلسفته في كتابنا الجديد (اسرار الانجاز) الذي تم به كتاب اعجاز القرآن

لان الاسلوب هو تخصيص لنوع من الذوق وطريقة من الادراك كأن الجمال يقول بالاسلوب : ان هذا هو عمل فلان

وفصل ما بين العالم والاديب ان العالم فكرة ولكن الاديب فكرة وأسلوبها . فالعلماء هم أعمال متصلة متشابهة يشار اليهم جملة واحدة على حين يقال في كل اديب عبقرى هذا هو هذا وحده . وعلم الاديب هو النفس الانسانية بأسرارها المتجهة الى الطبيعة ، والطبيعة بأسرارها المتجهة الى النفس . ولذلك فوضعه من الحياة موضع فكرة حدودها من كل نواحيها الاسرار واذا رأى الناس هذه الانسانية تركيباً تاماً قائماً بحقائقه ووصافه ، فالاديب العبقرى لا يراها الا أجزاءاً كأنما هو يشهد خلقها وتركيبها وكأنما أمرها في (معمله) أو كأن الله سبحانه دعاه ليرى فيها رأيه وبذلك يجي النابغ من أدب العباقرة وبعضه كالمقترحات لتجميل الدنيا وتهذيب الانسانية ، وبعضه كالمراجعة للنفس والطبيعة ، وبعضه كالموافقة وقرار الحكمة ، وأساسه على كل هذه الاحوال النقد ثم النقد ولا شيء غير النقد، كأن القوة الازلية تقول لهذا المأسوم : انت كلمتي فقل كلمتك

وترى الجمال حيث اصبته شيئاً واحداً لا يكبر ولا يصغر ولكن الحس به يكبر في أناس ويصغر في أناس ، وههنا يتأله الادب فهو خالق الجمال في الذهن والممكن للأسباب المعينة على ادراكه وتبسيث صفاته ومعانيه ، وهو الذي يقدر لهذا العالم قيمته الانسانية باضافة الصور الفكرية الجميلة اليه ومحاولته إظهار النظام المجهول في متناقضات النفس البشرية والارتفاع بهذه النفس عن الواقع المنحط المجتمع من غشاوة الفطرة وصدولة الغريزة وغرارة الطبع الحيواني واذا كان الامر في الادب على ذلك فباضطراب أن تهذب فيه الحياة وتتأدب ، وأن يكون تسلطه على بواعث النفس دُرْبَةً لاصلاحها وإقامتها لا لإفسادها والانحراف بها الى الزيف والضلالة ، وباضطراب أن يكون الاديب مكافئاً تصحيح النفس الانسانية ونفي التزوير عنها وإخلاصها مما يلتبس بها على تتابع الضرورات ، ثم تصحيح الفكرة الانسانية في الوجود ونفي الوثنية عن هذه الفكرة والسمو بها الى فوق ثم الى فوق ودائماً الى فوق

وانما يكلف الاديب ذلك لانه مستبصر من خصائصه التمييز وتقدم النظر وتسقط الإلهام، ولان الاصل في عمله الفني أن لا يبحث في الشيء نفسه ولكن في البديع منه ، وأن لا ينظر الى وجوده بل الى سره ، ولا يعنى بتركيبه بل بالجمال في تركيبه ، ولان مادة عمله أحوال الناس واخلاقهم وألوان معاشهم واحلامهم ومذاهب أخيلتهم وافكارهم في معنى الفن وتفاوت إحساسهم به وأسباب مغاويرهم ومراشدهم ، يسدد على كل ذلك رأيه ويحيل فيه نظره ويخلطه في نفسه وينقذه من حواسه كأنما له في السرائر القبض والبسط وكأنه ولي الحكم على الجزء

الخفي في الانسان يقوم على سياسته وتديره ويهديه الى المثل الاعلى . وهل يخلق العبقري إلا كالبرهان من الله لعباده على ان فيهم من يقدر على الذي هو اكمل والذي هو ابداع ، حتى لا ييأس العقل الانساني ولا ينخدل فيستمر دائماً في طلب الكمال والابداع اللذين لانهاية لهما ؟ فالاديب يشرف على هذه الدنيا من بصيرته فاذا وقائع الحياة في حذو واحد من النزاع والتناقض واذا هي دائبة في محق الشخصية الانسانية تاركة كل حي من الناس كأنه شخص قائم من عمله وحوادثه وأسباب عيشه ، فاذا تلجلج ذلك في نفسه اتجهت هذه النفس العالية الى أن تحفظ للدنيا حقائق الضمير والانسانية والايمان والفضيلة وقامت حارسة على ما ضيع الناس وسخرت في ذلك تسخييراً لا تملك معه أن تأتي منه ولا يستوي لها أن تُضميض فيه ، ونقلت الانسانية كلها ووضعت على مجاز طريقها أين توجهت فتأكد الامر فيها ووصل بها وعامت أنها من خالصة الله وأن رسالتها للعالم هي تقرير الحب للمتعادين ، وبسط الرحمة للمتنازعين وأن تجمع الكل على الجمال وهو لا يختلف في لذته وتصل بينهم بالحقيقة وهي لا تتفرق في موعظتها وتشعرهم بالحكمة وهي لا تتنازع في مناحيها . فالاديب من هذه الناحية يشبه الدين كلاهما يعين الانسانية على الاستمرار في عملها وكلاهما قريب من قريب ، غير ان الدين يعرض للحالات النفسية ليأمر وينهى والادب يعرض لها ليجمع ويقابل ، والدين يوجه الانسان الى ربه والادب يوجهه الى نفسه ، وذلك وحي الله الى الملائك الى نبي مختار وهذا وحي الله الى البصيرة الى انسان مختار فان لم يكن للاديب مثل أعلى يجهد في تحقيقه ويعمل في سبيله فهو اديب حالة من الحالات لا أديب عصر ولا اديب جيل . وبذلك وحده كان اهل المثل الاعلى في كل عصر هم الارقام الانسانية التي يلقيها العصر في آخر أيامه ليحسب ربحه وخسارته

ولا يخذل عنك عن هذا ان ترى بعض العبقريين لا يؤتى في ادبه او اكثره الا الى الرذائل يتغلغل فيها ويتملاؤها ويكون منها على ما ليس عليه احد الا السفلة والخمسة من طعام الناس ورعاعهم ، فان هذا واضرا به مسخرون لخدمة الفضيلة وتحقيقها من جهة ما فيها من النهي ليكونوا مثلاً وسلفاً وعبرة ، وكثيراً ما تكون الموعظة برذائلهم اقوى وأشد تأثيراً مما هي في الفضائل . بل هم عندي كـ بعض الاحوال النفسية الدقيقة التي يأمر فيها النهي اقوى مما يأمر الامر على نحو ما يكون من قراءتك موعظة الفضيلة الادبية التي تأمر ان تكون عفيفاً طاهراً ثم ما يكون من رؤيتك الفاجر المبتلى المشوه المتحطم الذي ينهك بصورته ان تكون مثله . ولهذا الحقيقة القوية في اثرها — حقيقة الامر بالنهي — يعتمد النواذب في بعض ادبهم الى صرف الطبيعة النفسية عن وجهها بعكس نتيجة الموقف الذي يصورونه او الاحالة في الحادثة التي يصفونها فينتهي الراهب التي في القصة ملحداً فاجراً وترتد المرأة البغي قديسة ويرجع الابن البر قاتلاً مجنوناً جنون الدم ، الى كثير مما يجري في هذا النسق كما

تراه لا تناول فرانس وشكسبير وغيرهما . وما كان ذلك عن غفلة منهم ولا شر ولكن أسلوب من الفن يقابله أسلوب من الخلق ليبدع أسلوباً من التأثير . وكل ذلك شاذ محدود ينبغي ان ينحصر ولا يتعدى لانه وصف لاحوال دقيقة طارئة على النفس لا تعبير عن حقائق ثابتة مستقرة فيها

والشرط في العبقرى الذي تلك صفته وذلك ادبه ان يعاود بالذيلة ... في اسلوبه ومعانيه آخذاً بغاية الصفة متناهيًا في حسن العبارة حتى يصبح وكأن الرذائل هي اختارت منه مفسرها العبقرى الشاذ الذي يكون في سمو فنه البياني هو وحده الطرف المقابل لسمو العبارة عن الفضيلة ، فيصنع الالهام في هذا وفي هذا صنمه الفنى بطريقة بديمة التأثير اصحابها في ادب الفضيلة ما يريد ويجهده فيه ، وفي ادب الرذيلة ما يقوده ويندفع اليه ، كأن منهما انساناً صار ملكاً يكتب وانساناً عاد حيواناً يكتب

واذا انت ميّلت بين رذيلة الاديب العبقرى في فنه ورذيلة الاديب النسل الذي يتشبه به في التأليف والرأى والمتابعة والمذهب ، رأيت الواحدة من الاخرى كبكاء الرجل الشاعر من بكاء الرجل الغليظ الجلف : هذا دموعه المله وذاك دموعه المله وشعره . وفي كتابة هذه الطبقة من العبقرين خاصة يتحقق لك ان الاسلوب هو اساس الفن الادبى وان اللذة به هي علامة الحياة فيه اذ لا ترى غير قطعة ادبية فنية شاهدها من نفسها على انها باسلوبها ليست في الحقيقة الا نكتة نفسية لاهتياج البواعث في نفوس قرائها ، وانها على ذلك هي ايضاً مسألة من مسائل الانسانية مطروحة للنظر والحل بما فيها من جمال الفن ودقائق التحليل

واللذة بالادب غير التامهي به واتخاذها للعبث والبطالة فيجىء موضوعاً على ذلك فيخرج الى ان يكون ملهة وسخفاً ومضيعة . فان اللذة به آتية من جمال اسلوبه وبلاغة معانيه وتناولها الكون والحياة بالاساليب الشعرية التي في النفس وهي الاصل في جمال الاسلوب ، ثم هو بعد هذه اللذة منفعة كله كسائر ما ركب في طبيعة الحي إذ يحسّ الذوق لذّة الطعام مثلاً على ان يكون من فعالها الطبيعى استمرار التغذية لبناء الجسم وحفظ القوة وزيادتها . اما التلهي فيجىء من سخر الادب وفراغ معانيه ومؤثراته الشهوات الخسيسة والتماسه الجوانب الضيقة من الحياة وذلك حين لا يكون أدب الشعب ولا الانسانية بل أدب فئة بعينها واحوالها . فان أدب صناعته أو ادب جماعته غير أدب قومه وأدب عصره . احدهما الى حد محدود من الحياة والآخر عمل جامع مستمر متفنن لان عمله الادبى هو وجوده وكل شيء في قومه لا يبرح يقول له اكتب

ومن الاصول الاجتماعية التي لا تتخلف انه اذا كانت الدولة للشعب كان الادب ادب الشعب

في حياته وافكاره ومطامحه والوان عيشه ، وزخر الادب بذلك وتنوع وافتن وبني على الحياة الاجتماعية . فان كانت الدولة لغير الشعب كان الادب أدب الحاكين وبني على النفاق والمداينة والمبالغات الصناعية والكذب والتلبيس ، ونضب الادب من ذلك وقل وتكرر من صورة واحدة . وفي الاولى يتسع الاديب من الاحساس بالحياة وفنونها وأسرارها في كل من حوله الى الاحساس بالكون ومجاليه واسراره في كل ما حوله . اما الثانية فلا يحس فيها الا احوال نفسه وخليطه فيسبغ ادبه اشبه بمسافة محدودة من الكون الواسع لا يزال يذهب فيها ويجيء حتى يمل بنفسه ذهابه ومجيئه

والعجب الذي لم يتنبه له احد الى اليوم من كل من درسوا الادب العربي قديماً وحديثاً انك لا تجد تقرير المعنى الفلسفي الاجتماعي للادب في اسمى معانيه الا في اللغة العربية وحدها ولم يغفل عنه مع ذلك الا اهل هذه اللغة وحدهم

فاذا أردت الادب الذي يقرر الأسلوب شرطاً فيه ويأتي بقوة اللغة صورة لقوة الطبع وبعمامة الاداء صورة لعظمة الاخلاق ، وبرقة البيان صورة لركة النفس ، وبدقة التركيب المتناهية في العمق صورة لدقة النظرة الى الحياة ، ويريك ان الكلام أمة من الالفاظ عاملة في حياة أمة من الناس ضابطة لها المقاييس التاريخية محكمة لها الاوضاع الانسانية مشرطة فيها المثل الاعلى حاملة لها النور الالهي على الارض

واذا اردت الادب الذي ينشئ الامة انشاء سامياً ويدفعها الى المعالي دفعا ويردها عن سفاسف الحياة ويوجهها بدقة الابرة المغناطيسية الى الآفاق الواسعة من الحياة ويسددها في اغراضها التاريخية العالية تسديد القنبلة خرجت من مدفعها الضخم المحرر المحكم ؟ ويملا سرارها يقيناً ونفوسها حزمًا وابصارها نظراً وعقولها حكمة وينفذ بها من مظاهر الكون الى اسرار الالهية

اذا أردت الادب على كل هذه الوجوه من الاعتبار وجدت القرآن الحكيم قد وضع الاصل الحي في ذلك كله . وأعجب ما فيه انه جعل هذا الاصل مقدساً . وفرض هذا التقديس عقيدة واعتبر هذه العقيدة ثابتة لن تتغير ، ومع ذلك كله لم يتنبه له الادباء ولم يحدوا بالادب حذوه وحسبوه ديناً فقط وذهبوا بادبهم الى العبث والمجون والنفاق كأنه ليس منهم الا بقايا تاريخ محتضن بالعلم القاتلة ذاهب الى الفناء الحتم

والقرآن بأساوبه ومعانيه واغراضه لا يستخرج منه للادب الا تعريف واحد: ان الادب هو السمو بضمير الامة

ولا يستخرج منه للاديب الا تعريف واحد: ان الاديب هو من كان لامته ولغتها في مواهب قلمه لقب من القاب التاريخ

العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية^(١)

للامير مصطفى الشهابي

أشرتُ في المقالة التي عنوانها «هواجس في الإنسان وحياته» وهي المنشورة في مقتطف نيسان «ابريل» من السنة الحاضرة الى ان العلماء (أو اصحاب الفلاسفة اليقينية) لا يؤمنون بغير ما يمكن اثباته بالطرائق العلمية من مختلف العلوم التي تقع تحت الحس او تدرك بدلائل عقلية راهنة. وهم يقدحون في اصحاب فلسفة ما وراء الطبيعة ويتهمونهم بأنهم اناس يرجعون بالغيب ويتيهون في ببداء من الاوهام ويتخبطون في خضم من التخيلات الفارغة عند ما يحزمون العلة والمعلول وقدم العالم أو حدوثه والأزل والأبد وكنه القضاء وشكاه وأسباب الوجود وغير ذلك من التصورات التي لا تُحس ولا يمكن للعقل السليم ان يبتها على الطرائق اليقينية. ويذموني بعضهم فيتهمهم الفلاسفة المذكورين بأن كل ابجائهم اخيلة شعرية لا تتعدى اذهانهم ولا يقوم دليل علمي على وجود مدلول هذه الأخيلة خارج اذهان هؤلاء الفلاسفة. ويستنتج العلماء المشار اليهم انه ما دام الأمر على ما ذكرنا فلا أُجدر ترك الابحاث الفلسفية واطراحها جانباً وعدم التعرض لها البتة

ويهب الفلاسفة في وجه العلماء قائلين: لقد آمنّا بشرائعكم العلمية التي تريدوننا على الأكتفاء بها ولكن هذه الشرائع ليست كل شيء في هذا العالم ولا يمكنكم منع دماغنا عن تأمل هذا الكون واستقصاء احاجيه وعلاقته بذلك الإنسان الذي لا يفتأ يجالذ في الحياة ويكافح وهو كثيراً ما يتألم وقليل ما يفرح وربما كتب له النصر أحياناً لكنه من المتحتم عليه ان يهلك في النهاية مقهوراً مدحوراً. ثم ذلك العقل البشري اليس له حاجات طبيعية يجب فحصها، وذلك الفكر الجيَّاش بالخواطر والأخيلة اليس من الضروري ان تنفذ الى اعماقه حيث نرى منتجاته فنفرز فيها السمين من الغث واراقتنا التي تتباهى بها اليس لها مطالب يجب إثباتها وتقديرها حق قدرها. وهذه الطبيعة التي نراها هل تسير بذاتها ام لها علة تسيّرُها، واذا كان هنالك علة فهل هي مادة أو عقل أو شيء لا يمكن إدراكه؟ وهل لاكون حدودي الفضاء أم لا، وهل له بداية ام هو ازلي اذ لا بد من أن يكون أحد الأمرين صحيحاً. وما هي ماهية الإنسان ومن أين أتى وإلى أين يذهب وهل العالم مخيّر ام مسيّر بجزئية لا

(١) كتبت بعد تلاوة تهاافت الفلاسفة للغزالي وتهاافت التهاافت لابن رشد ومستقبل فلسفة ما وراء الطبيعة لفويه Alfred Fouillée الفيلسوف الفرنسي والحركة الفكرية ضد العلوم اليقينية المعنوية لفويه أيضاً والفرق بين الفرق للبغدادي

تترجح. وهل أمام العالم رقي أم هو يدور ابدياً على حاله ، وما الحركة العامة للكائنات وما الحكمة فيها. وهل القواعد الأخلاقية شريعة بشرية واجتماعية فحسب أم لها أساس في الطبيعة كلها ويضيف الفلاسفة الى ذلك أن تأثير الفلسفة في حياة الناس الأخلاقية والاجتماعية أمر لا يمكن للرجل المستنير أن ينكره . ولا تكون سيرة الإنسان واحدة اذا ما اعتقد بأن عالم المادة والحواس هو كل شيء أو اذا ما اعتقد بأن وراء ذلك حياة أعلى وأتم وأقرب من الحقيقة. ولا يكفي ان يسلقي الإنسان الجبل على غاربه ويقول « لا أدري » فاللأدريّة غير واردة لأنها تحكم بأن العقل البشري عاجز عن ادراك هذه الامور دون أن تناقش وتتوخى اثبات صحة هذا المعجز أو عدم صحته . هذا ولكل عالم فلسفته حتى اينشتين نفسه فان العلم اليقيني لم يمنعه عن البحث في الفضاء — الزمن وهو من ابحاث الفلسفة لا من ابحاث العلوم اليقينية. والخلاصة ان الفلسفة تدوم ما دام للإنسان دماغ يفكر في هذا العالم وفي غوامضه

عند ما يصل الفلاسفة في تبجحهم الى هذا الحد ينفد صبر العلماء فيقولون :
لو قصر الفلاسفة بحجهم على المدرجات خاصة وعلى ارتباط ذهننا بما لا يمكن ادراكه لسكتنا على مضض ولتركناهم يتناولون هذه الموضوعات التي قد تكون صحيحة او غير صحيحة . اما ان يعمدوا الى ما لا يمكن ادراكه كالعلة او الله مثلاً فيبتسوا بتسا أنه موجود او قابل الوجود او غير قابل الوجود او يمكن ان يكون على شكل ما أو لا يمكن ان يكون على شكل ما أو له صلة بالكائنات او لا صلة له بها او ان الكائنات صورة منه او انها ليست صورة منه فهذه امور لا يستطيع العقل البشري ان يجزمها والاجدر بالإنسان اذا ما سئل اسئلة كهذه ان يسكت ويقول لا أدري او ان يجيب بلفظة «ربما» دون غيرها . وجزم الفلاسفة لما لا يمكن ادراكه يجعل العلماء يسخرون بهم لاننا نرى كل فيلسوف يقطع امراً مخالفاً لما قطعه رفيقه فأين هي الحقيقة يا ترى ؟ هذا يقول بقديم العالم وبكونه موجوداً مع الله ومساوقاً له وبأن خلق العالم من القدم في دائرة الزمن اعتقاداً من الحماسة بمكان . فالعالم ازلي لا بدء له وهو لم توجد علة وذاك يقول بعكس ذلك اي بأن العالم مكوّن ومحدث وعلى ذلك اصحاب الاديان . ومع هذا لو سألتهم اصحح ان العالم خلق منذ نحو ٨٠٠٠ سنة اجابوك ان ذلك مخالف لقواعد العلم والفكر الاساسية لان الفكر لا يتصور ماهية العدم ولا كيفية خلق الكائن منه ولا السبب الذي حمل الآله على اتيان هذه المعجوبة منذ ٨٠٠٠ سنة او اكثر او اقل . اما العلة التي كوّنّت هذا العالم فقد ذهبوا فيها كل مذهب فاليونان خاصة والرومان بعدهم جعلوا لكل شيء الهاً او اكثر وجعلوا لهذه الآلهة كل ما يمكن ان تتصوره من صفات بشرية فالآلهة لديهم تتحارب وتتخايل وتتشائم وتسمر للطرب وللالعاب وترتاد اما كن الريبة ومجالس الفساق فتسكر وتعربد وتتنازع الجميلات الحسان من إناث الآلهة الى آخر ما يمكن للناس ان يعملوه حتى السفلة منهم

وهذا جوبيتر (المشتري) اب الآلهة ورئيسها ورب السماء والارض اتدري بأي اعجوبة جاء الى هذا العالم ؟ لقد خرج من فم ابيه ساتورن وعذبة او نذر بأنه سيلتهم اولاده عقب ولادتهم ومنهم جوبيتر. فحزنت امرأته حزناً شديداً وفتقت لها قريحتها بعد لأي أن تضع حجراً مكان ابنها جوبيتر حتى اذا ما جاء الأب ليوفي بوعده التهم الحجر بدل الطفل . وكذا كان . لذلك نجار رئيس الآلهة جوبيتر من الموت الزؤام وادرك اياه فهوى به عن العرش ثم اخذ يفرق الكائنات على الآلهة لكنه لم يغفل عن حقوقه الشخصية فاحتفظ لنفسه بالسماء والارض معاً . ونظر الى ذوي القربى فبرّ بصلة الرحم وجعل اخاه نبتون إله البحر واخته سرس إلهة الزراعة وابنته ديانا إلهة الصيد وابنته مينرفا إلهة الحكمة والفنون . اما بناته التسع الملهمات الشعر للشعراء فقد جعلهن ربات الفنون والاعلاق النفيسة . فأعجب لهذا الاله القادر وسل نفسك ماذا كان يحل بالعالم لو ان والدته جوبيتر لم تضع حجراً مكانه بل تركت اياه يبتلعه وهو طفل في حجرها ...

ثم انظر الى فينوس الزهرة إلهة الجمال المولودة من زبد البحر ما اجملها وهي تخرج من بين الامواج ويدها تعقص شعرها فكم تنمت غادات اليونان ان يحاكيها بمجملها الساحر الفتان ولا تنس ذكر سرس إلهة الزراعة ولكن اذا كنت مثلي ذا صلة بالزراعة والنبات فلا تتردد واعبد من شئت ممن انعموا عليك من ارباب الزراعة الخالدين مثل اوزيريس المصريين ونينيب الكلدانيين وغيرها

ولكن أليس من الغريب ان هذا الجيش من الآلهة لم يرض احد منهم حتى اليوم بأن يتجلى امام احد من سكان هذه الارض الحيارى البائسين واين الجن والابالسة الذين طالما تغنى بوصفهم الشعراء وأخيف بذكرهم الاطفال ولله در فيلسوف المعرة القائل :

قد عشت عمراً طويلاً ما علمت به حساً يحس الجنّي ولا ملك

واذا نبا عقلك عن عبادة آلهة اليونان والرومان فعليك بالهة المصريين الاقدمين فقد كانوا ايضاً عظماء لدى الناس مثل رع وايزيس واوزيريس وسائر الفراعنة وهم كثر . ويمكنك ان تعبد النيل وتجزم مثلهم ان ماءه ينزل من السماء ومع هذا لا تنس ان رواد ايماننا هذه قد كشفوا الغطاء عن منبعه وتبعوه حتى مصبه فاذا به لا صلة له بالسماء البتة

وربما جال في خلدك أن تتخذ لك صنماً تعبد . لكنني أخشى أن يكون من عجيب أو حلوى فتضطر الى أكله في مضطرب هذه الأزمة الاقتصادية كما فعل بعض العرب قبل الاسلام . وأخشى أيضاً أن يصيبه ما أصاب صنم بني سليم وكان سادته يسمى غاوي بن ظالم فبينما هو ذات يوم جالس بعيداً عنه اذا بشعلبان اقبلا وهما يشندان فشعر كل منهما رجله وبال على الصنم فنظر اليه غاوي متأملاً وقال

ارب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب
 وتمجس إن شئت واعبد النار والنور أو عليك بالأله برها واوجهه الثلاثة أو آمن
 بأقنيم النصرى أو بالله المسامين الواحد الأحد أفتظن أنك وصلت الى حيث تبتغي أي بلغت
 سدرة المنتهى فارتاح فكرك ومثلا من هو أجسه . أنك يا صاح ما برحت امام مذاهب عدة
 في كل من هذه الديانات . وأنت تحار أيها اصدق . فاذا كنت مسلماً مثلاً اكون من القدرية
 او المعتزلة او الجهمية او المشبهة الى عشرات من الفرق التي يكذب دعاة كل منها اتباع الفرق
 السائرة . او كنت من المسيحيين فربما وضعت في معترك الفرق النصرانية . وبعد مهما يكن نوع
 اعتقادك بالعلة الاولى فايك ان تجعل منها في حياتك سبباً للكره والنزاع والقسوة والا
 عدنا الى مثل مذاهب « سان برتلمي » الوحشية ايام شارل التاسع في فرنسا او الى مثل فظائع
 الأزارقة من الخوارج في الأسلام الذين ظل القائد الكبير المهلب ابن ابي صفرة يحاربهم
 مع ابنائه تسع عشرة سنة

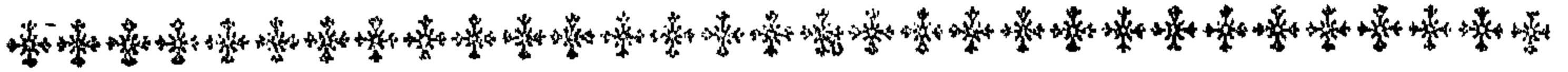
ومتى بلغ العلماء هذا الحد من التعرض لمذاهب الفلاسفة واللاهوتيين الذين يتناولون
 بأبحاثهم ما لا يمكن ادراكه كالعلة الأولى مثلاً فيفصلونها على قدر عقولهم او على قدر ما تبلغه
 اوهامهم يغضب الفلاسفة على العلماء ويقولون : متى كانت علومكم هي الحقيقة اليقينية بعينها .
 ليست العلوم مجموع شرائع ذهنية لحوادث الطبيعة تتصورها نحن كما نتصور الأبحاث الفلسفية .
 لا شك ان هذه الشرائع ترتكز على الحس والعقل وهي مضبوطة ضبطاً رياضياً في الغالب
 وتدعمها التجارب والوقائع الراهنة لكنها هي شيء والطبيعة نفسها شيء آخر . فالغاز مثلاً
 لا يتمدد بقانون ماريوط بل يتمدد بمؤثرات خفية لا يطلعنا القانون المذكور الا على نتائج
 عملها والا على حساباتنا الرياضية لهذه النتائج . ولذلك نرى ان الطبيعة والحقيقة الواقعية
 تجهل شرائعنا وارقامنا وطرائق تصوراتنا للطبيعة وتمثيلنا لها . وليست القوانين العلمية في
 النهاية سوى افكار تجول في خاطرننا كلافكار الفلسفية . وهذه الافكار شيء وعالم الطبيعة
 كما قلنا شيء آخر . ثم لنفرض اننا اتينا الى هذا العالم بعد ملايين من السنين واننا حللنا كل
 حوادث الطبيعة بقوانين لا تقبل الاخذ والرد أو ضبطنا كل هذه القوانين بقانون أعلى يشملها
 جميعاً أفتظنون ان دماغنا يكتفي بذلك ام هو يتساءل هل هذه الحوادث وقوانينها العلمية
 والقانون الاعلى لقوانينها هي كل شيء في هذا الكون وهلاً يوجد شيء داخلها أو خارجها ؟
 وبعد هذا كيف يطعن العلماء بالفلسفة متمثلين بمذاهب فلاسفة القرون الاولى والوسطى
 مع ان فلاسفة اليوم قد ارتقت مداركهم وتصوراتهم عن قبل كما ارتقت العلوم نفسها فصارت
 تؤخذ بوسائل يقينية غير الوسائل القديمة

وبعد ان يسكت الفلاسفة ويشفوا غليلهم من العلماء يقوم الشعراء الخياليون متبرمين متضجرين من القيود الحسية والعقلية التي يتقيد بها الفريقان فيقولون . اما نحن ياسادتي فلنا الاخيلة الواسعة والتصورات التي لاحد لها سواء اكان لها ظل من الحقيقة ام لا . فنحن اذا شئنا ضربنا الآلهة بعضهم ببعض ووقفنا الافلاك عن الدوران ووجدنا الاضداد واعدنا الموجودات وخلقنا ما اردنا من العدم . فان قلتم هذه اوهام سينمية لا تتعدى اذهاننا قلنا اثبتوا لنا ان العالم لا يصح ان يطلق عليه اسم السينما الا كبر . . . واثبتوا انه لا يوجد وراء حواسنا الخمس اشياء يجب لادراكها ان يكون لنا غير هذه الحواس . . .

ومتى وصلت المهارة الى هذا الحد يقوم رجل حكيم منصف وزن الامور بميزان العقل فيقول : لكل من العلوم والفلسفة والاهام الشعرية حدود يجب ان تقف عندها . فالعلم اليقيني اليوم يتناول صلة الموجودات الثابتة بعضها ببعض بصرف النظر عن صلتها بالشخص الذي يحس ويفكر او صلتها بمجموع العالم . ولا يهتم في العلوم اليقينية الا لمعرفة ماهية المسلات التي تربط الاشياء الثابتة بعضها ببعض ولذلك يمكن في العلم ان يتطلع الانسان لمعرفة النتائج من المقدمات اي معرفة الحوادث التالية من التي سبقتها وادت الى حدوثها دون ما حاجة الى معرفة الاسباب التي اوصلت الى ذلك اي الى حصول الحادث اللاحق من الحادث السابق . وتكون العلوم اليقينية ثابتة لانها تفرض بادئ بدء صحة شيء ما دون الابتعاد عنه وتقف عند النتيجة الحاصلة دون ان تتعدها . والعلم اليقيني كما ترون صحيح بذاته لكنه لا يتناول سوى جزء من الاشياء الحقيقية عدا ان كل علم لا يتعدى الحدود التي رسمت له . فاليكانيكي مثلاً لا يهتم لغير الحركة والرياضي لغير الارقام والمسافات وهكذا . والعالم في نظر العلوم اليقينية كالمرآة المكسورة يتناول كل علم قطعة منها

اما الفلسفة فانها تجمع قطع هذه المرآة وتسعى لرؤية صورة الكون بها . فالفلسفة اذن هي التطلع لمعرفة الكون بمجموعه ومعرفة النفس التي تدركه . وهي ايضاً انتقاد العلوم وتحديداتها واتمامها بافكار يتوخى بها تصوير وحدة الكون الحقيقية . والسؤالان العظيمان اللذان تتناولهما الفلسفة هما كيف يمكن معرفة الاشياء وكيف تكون هذه الاشياء . ويجب ان لا تتناول الفلسفة سوى المدركات وسوى علاقة ذهننا بما لا يمكن ادراكه ولا ينبغي لها ان تهجم الامور في كل ما لا يمكن ادراكه ما دام العقل البشري غير قادر على بته

ويتضح من ذلك ان الفلسفة تركز منطقياً على الاستقرار وانها تتوخى جعل الحقائق ضمن المعقولات اما الاخيلة الشعرية فاوهام لا نحسها ولا نعقلها



قبيلة عربية

من اصل ايطالي



شغفت من عهد بعيد بمطالعة مؤلفات السائحين الذين وفدوا منذ القرون الوسطى حتى القرن الماضي على مصر وبلاد الشرق الأدنى فقرأت منها الشيء الكثير ولا سيما ما كتبه السائحون الايطاليون امثال شريا كودي أنكونا — وليوناردو فرسكو بالدي — وبيترو ديلا فاله — وجيوفاني باتستا بلسوني دي يادوفا — وايبودينو روزوليني دي پيزا وغيرهم الذين قصوا في مؤلفاتهم كثيراً من الاخبار الطريفة عن مصر وآثارها وأهلها من حضر وبدو وذكروا الكثير من عاداتهم وصناعاتهم وطبائعهم. وقد لفت نظري بنوع خاص ما كتبه عن القبائل العربية الضاربة في صحراء ليبيا ولكن بعد كل ما اطلعت عليه من اخبار هذه القبائل لم يكن ليخطر ببالي ان احدى هذه القبائل الشهيرة بقوتها ومنعة جانبها وهي قبيلة «السناجرة» يجري في عروق ابناءها الدم الايطالي حتى كان الاسبوع الماضي عند ما ذهبت لزيارة صديقي العالم الكبير الاستاذ الدكتور چوفاڤي كاپوڤيلا المدرس بالجامعة المصرية — في منزله ووجدت في يده مجلداً ضخماً هو مذكرات احدى السائحين الايطاليين الذين زاروا مصر في القرن الماضي وهو العالم المهندس روبي بريكتي Robecchi-Brichetti الذي وصل الى مصر في سنة ١٨٨٥ ميلادية وبقي فيها مدة وكان هو اول من قام من الاوربيين برحلة في واحة سيوه والجهات المجاورة لها وكانت رحلته بحجة الاستقصاء وجمع الاعشاب الطبية المفيدة في معالجة المرضى ولكن يظهر انه كان له غرض آخر لم يكن ليبوح به لاحد وهو البحث عن موميات الفراعنة المدفونة بالواحة لانه خاطر بحياته بالنزول في احدى مقابرها القديمة ونجح في استخراج عدد كبير من الموميات من بطونها وهي احسن ما وجد من هذا النوع وارسلها كلها الى ايطاليا حيث لا تزال موضع اعجاب السائحين والمتفرجين في متحف فلورنسا. وقد اعجب بها وشاد بذكرها الكاتب الايطالي الذائع الصيت پاولو مونتيجازا Paolo Montegazza ، ومات بريكتي من عهد قريب بعد ان طبع مذكراته في سنة ١٩٠١ م عن رحلته «الى معبد آمون»

وبعد ان استقر بي المقام بمنزل الدكتور كاپو فيلا بادرنى بسؤالى عما عساى ان اكون سمعت عن قبيلة السناجرة وعن منشئها ومؤسسها فقلت له لقد سمعت بها واظن انى سبق ان قرأت شيئاً عنها وكل ما اذكره انها من القبائل العظيمة الشأن التى تقيم فى صحراء ليبيا فى منطقة واسعة ممتدة على الحدود المصرية الطرابلسية عند ساحل البحر الابيض المتوسط من شرق مدينة طبرق حتى واحى جغبوب وسيوه جنوباً وعندئذ قال لى الا تعلم ان هذه القبيلة من اصل ايطالى وانها تنسب الى رجل من مدينة شا كـ Sciacca فى جزيرة صقلية اسمه سينكييرى ترينا كـريزى Sinchieri الذى سماه العرب « سنجر » عند ما اسلم وأقام بينهم ولاسلام هذا الرجل قصة طريفة تقرأها فى هذا الفصل وفتح لى المجلد وأشار لى الى فصل عنوانه « قبيلة عربية من اصل ايطالى » فلما قرأته آثرت نشره لطرافته وها هو بالحرف الواحد

« ٩ اغسطس

انتشر بسرعة البرق ذلك النبأ القائل بان نصرانياً أو اوروبياً حضر مع القافلة من مدينة الاسكندرية وذلك لانى عقب الفجر فى الصباح الباكر ألقيت نفسى يحيط بى عدد كبير من الناس الذين حضروا لمشاهدتى ولقد كانت هذه أول ليلة انام فيها تحت خيمة حقيقية منذ ان بارحت مدينة الاسكندرية ونمت نوماً هادئاً لانى لم اعد افكر فى السهر على امتعتى وأمنت من سطو اى انسان على وذلك لانى نزلت ضيفاً على اسرة بدوية من كرام أسر قبيلة السناجرة ولست أدري هل كان سرورى بشعورى بالراحة والطأنينة أو هو الهواء الطلق النقي أو نسيم البحر القريب هو الذى قوى عندي الشهية لتناول الطعام لانى بمجرد ان استيقظت من نومي وتناولت قهوتى شعرت بحاجة شديدة الى الاكل والتمت محناً كبيراً من الارز وبعض القوقع البحرى الذى كنا جمعناه فى اثناء الطريق فى اليوم السابق

ويخيل الى انى حصلت على معلومات صحيحة طريفة عن قبيلة السناجرة وكل ما عرفته فى هذا الشأن وصلنى عن طريق شاب بدوى غاية فى الادب والطف اسمه حسن عبد المولى ذكى الفؤاد عذب الحديث يبلغ السابعة والعشرين من عمره تزوج من زمن ليس بالبعيد ولكنه سرعان ما افترق عن زوجته لعدم تلاؤم طباعهما . وقد تعلم هذا الشاب القراءة والكتابة منذ الحداثة فى احدى مدارس السنوسيين فى زاوية « رحم الغرب » وكان رفيقى فى رحلتى من الاسكندرية الى هنا وقد جذبني طول الحديث بلطفه وادبه الجم حتى صرنا صديقين حميمين وبالا مس لم يكذب ينزل عن ظهر بعيره حتى دعاني الى خيمته وقدم لى ماء عذبا طيباً احضره من بئر قريبة

ذهبت بعد الظهر الى خيام البدو المتقدمين في السن من الرؤساء ذوي النفوذ والمكانة للتسليم عليهم ولكي اقدم لهم بعض لفافات التبغ ولكي استقي منهم بعض المعلومات الا كيدة عن قبيلاتهم وقد اجمع كلهم على ان السناجرة يكوّنون شعبة كبيرة من البدو يزيد افرادها على العشرين الف نسمة وكل هؤلاء يرتبطون برابطة القرابة والمصاهرة بالقبائل الاخرى . وتمتاز قبيلة السناجرة باستقلالها المطلق فان رجالها يعيشون مغتربين وسعداء في جبالهم ذات الطرق الملتوية المتشعبة التي لا يمكن ان يعرف منافذها سواهم ولم يعترفوا باية حكومة ولا باية سلطة حكومية عليهم ولم يخضعوا للتجنيد ولا يدفعون ضريبة ايّا كانت ولا يتسامحون في اي قانون يخالف عقيدتهم وايمانهم الثابت كالصخور التي يعيشون بينها

والسناجرة مزارعون مهرة ورعاة اغنام لا مثيل لهم في تربية الماشية ولكنهم يعيشون مستقلين بعيدين عن اية مضايقة من اي نوع كانت ولذلك فليست لهم اية علاقات باحد قانعين برعاية اغنامهم ومواشيهم هنا وهناك ولا يزرعون من الاراضي الا بقدر ما هو ضروري لهم ولحاجاتهم وما اسعد الرجل الذي لا يعرف الحاجة لانه لا يعرف ما هو الحرمان مادام بطنه ممتلئاً مهما كان نوع الطعام الذي اكله !

واني لاستطيع ان افهم سر الجفاء القائم بينهم وبين اولاد علي الذين هم اعظم القبائل في الصحراء الليبية والذين يبلغ عددهم نحو المائة الف نفس دون مبالغه وكلهم شجعان اقوياء محبون للقتال ولكنهم مع هذا خضعوا لسلطان الحكومة المصرية في عهد المغفور له محمد علي باشا عزيمصر وكانوا يقدمون للجيش المصري حتى عهد المرحوم سعيد باشا عدداً كبيراً من الجنود البواسل وهذا الجفاء الموجود بين القبيلتين الصديقتين يرجع الى علاقات اولاد علي بالحكومة

واذا كانت لاولاد علي السلطة والهيمنة على قلب الصحراء فان السناجرة يسيطرون على البحر وسواحله ولذلك فانهم يقدسون المثل السائر بينهم الذي يقول « طلعنا من البحر ودائماً في البحر »

وهم قبل ابتداء فصل الامطار يسرعون في حرق الارض وبذر الاذرة والفول والعدس والبصل والبطيخ والخيار وعلى الاخص الارز ثم بمجرد سقوط الامطار الاولى يهرعون جميعاً وتذهب كل اسرة من اسرهم للاقامة شهرين او ثلاثة اشهر في الجهة التي يرونها اخصب واكثر ملائمة لهم من غيرها ثم يعودون فيما بعد الى نصب خيامهم في اماكنها الاولى لكي يتمتعوا بالحصول الوافر الناتج من الارض المنزرعة

ومنهم من يفضل البقاء او يختار جبلاً او سهولاً او اودية اخرى ولكن كلها على مقربة من البحر الذي هو اصل مبيتهم

ولقد استطعت ان اصل الى معلومات هامة عن قبيلة السناجرة استقيتها من اوثق المصادر واصدقها فان تاريخ هذه القبيلة يرجع الى ثلاثة قرون مضت عند ما خرج رجل من اهالي شاكا في جزيرة صقلية اسمه سينكييري ترينا كيزي Sinchieri Trinacrese كان يشتغل بصيد الاسماك في سفينة شراعية مع جماعة من رفاقه الى الساحل الافريقي لصيد الاسفنج والمرجان ولكن السفينة غرقت بكل من فيها ولم ينج منها سوى هذا الرجل الذي القت به الامواج بالقرب من الشاطئ فالتقطه العرب وكان في حالة يرثى لها وأنقذوه من الغرق والهلاك

ولقد كان خوفه وهلعهم منهم شديداً ولذلك فانه بقي عدة ايام دون ان يتفوه بكلمة واحدة بينما كان البدو يكرمون مثواه ويعاملونه احسن معاملة ويعتنون به العناية كلها ولذلك فقد أسرته هذه المعاملة الحسنة التي عامل بها العرب وذلك الاستقبال الودي الذي قابله به فلم يُرد مفارقهم ولم يشأ العودة الى وطنه وآثر ان يقضي بقية عمره بين اولئك البدو الذين ردوا اليه حياته

ولكي يظهر لهم امتنانه واخلاصه ويؤكد لهم اعترافه بحميلهم ترك عقيدته الاصلية واعتنق دين الاسلام ثم تزوج فيما بعد من احدى بناتهم الجميلات وربما كان بقاؤه بين العرب واختياره هذه الحياة الجديدة وهذه العقيدة الجديدة راجعاً الى تعلقه وهيامه بتلك الفتاة الحسنة التي تزوج منها والتي كانت بدوية رائعة الجمال

ولا يزال العرب من ابناء هذه القبيلة يذكرون اسم سينكييري (سنجر) مؤسس قبيلتهم هذا بكثير من الاحترام والتبجيل وابناء هذه القبيلة اقوياء الابدان حسان الوجوه يكرمون الضيف وشجعان نخورون «

الى هنا انتهى ما كتبه بريكتي ولعل عند سمو الامير الجليل عمر طوسون علم هذه القبيلة ولعله عرف شيئاً عن تاريخها من اثر بحثه وتنقيبه في صحراء ليبيا ذلك البحث الذي ابان عنه في محاضراته النفيسة الاخيرة

طه فوزي

فوضى العالم ومسؤولية العلم

WORLD CHAOS : The Responsibility of Science
by William McDougall

== تلخيص وتعليق ==

الاستاذ ولیم مکدوجال كاتب انجليزي نابه الذكر وباحث في الشؤون الاجتماعية ولي منصب استاذ علم النفس في اكبر الجامعات الانكليزية والاميركية . وله مذهبه الخاص في السيكلوجيا عامة وفي السيكلوجيا الاجتماعية خاصة فاذا تكلم أو كتب عن مسائل المجتمع ومعضلة الحضارة الاوربية فقد حق لنا ان نسمع له وان نعرف رأيه ومكانه من الصدق ، وحظه من العمق والصواب

ولقد تناولت الصحف الادبية هذا الكتاب حين ظهوره بشيء كثير من الاهتمام والعناية . وكتب عنه النقدة هناك بغير قليل من الجدل والمناقشة . لان المؤلف تناول فيه مسألة المسائل في الوقت الحاضر . وعرض لهذه الفوضى العالمية بذلك البحث اللامع فتغلغل الى لب الموضوع وجوهره ، وعرض كل ذلك بأسلوب واضح ، وحماسة بينة ا

فليس شك ان العالم الآن يجتاز اعصب فترة في تاريخه . وان الحضارة الاوربية تهددها الاخطار من كل حذب وصوب . وان رجال الفكر يتوجسون شراً ان تكون هذه الازمة نهاية الحضارة الراهنة وارتداد العالم مئات الاعوام

فكل بحث يتناول هذه المشكلة ، وكل كتاب يعنى بهذه الفوضى ، هو بحث جدير بالنظر وكتاب يشعر العالم بانه في شديد الحاجة اليه ا

فهذه الفوضى البادية في كل ميادين النشاط الانساني ، وهذا الخلل الظاهر في معظم النظم الاجتماعية ، وهذه الاخطار التي تحيق بالمدينة وتكاد تؤدي بالحضارة ، مما يهيب بكل كاتب وبكل باحث ان يدلي برأيه وان يقترح سبل الخلاص والنجاة

وقد رسم المؤلف صورة حالكة لحالة العالم اليوم ثم عزا هذا الخلل وتلك الفوضى التي نشهد ، والتي تهدد الحضارة بوشيك الدمار ، الى طغيان العلوم الطبيعية على كل مرافق الحياة العامة ، وصور النشاط البشري ، طغياناً اصبحت معه هذه العلوم ووسائلها ونتائجها الآلية هي الكل في الكل . وعاد كل ما عداها صدى لها ، او نفاية لا يعتد بها ولا يحسب حسابها

وليس مكدوجال هو الباحث الوحيد الذي ينظر الى الحضارة الراهنة بعين التشاؤم والخوف ولا هو بالرجل الوحيد الذي يلاحظ مظاهر الدمار وبوارده قوية الاندفاع ، غير بعيدة النتائج . بل هو واحد من رهط كتاب اجلاء ، يشاطرونه الرأي ، ويشايعونهُ النظر ولا يبتسمون لدى رؤية المظاهر الكاذبة والتقدم الزائف !

غير ان الجديد الجدير بالعناية في هذا البحث ان المؤلف عزى هذه الفوضى — في قوة وبصورة واضحة — الى تقدم العلوم الطبيعية Physical Sciences تقدماً ليس في ميدان العلوم الاجتماعية ودراسة النفسيات ما يقابله أو يقرب منه . فقرر — في غير تلكؤ أو شك او استثناء — ان العلوم الطبيعية ، وما يتبعها من النتائج العملية والمكتشفات الآلية ، هي المسؤولة اولاً ومباشرة عن هذا الاختلال في النظام العالمي ، الذي ابتدأت مظاهره تبدو في النظم الاجتماعية والمصاعب السياسية والازمة الاقتصادية الحاضرة . فليس شك في ان العالم يشهد اليوم ازمة اقتصادية عنيفة لعله لم يشهد مثيلها من قبل ، وان مسائل السياسة العامة قد بلغت حدّاً من الخلل واختلاف الرأي وتعدد المذاهب لعلها لم تبلغه في يوم من الأيام مثل ما هي عليه اليوم من القوة والعنف

فضعف نظام الأسرة ، وانتشار الجريمة ، وتفشي الرشوة وما ماثلها من مظاهر النقص والخلل الاجتماعي في الحضارة الراهنة ، ما كل ذلك الا النتائج المباشرة لتقدم البحث العلمي ، واستفحال أمر الآلة الميكانيكية ، مما اصبحت معه الحياة الهادئة المطمئنة متعسرة صعبة ، أو هي بالفعل وفي واقع الامر ، معدومة !

يقول المؤلف ان الحضارة الراهنة ليست وليدة العلم الحديث كما يخیل الى البعض ، وانما هي ترجع الى ما هو ابعد من العلم الحديث واكثر أیغالاً في التاريخ من « كوبرنيكوس » Copernicus فهي ترجع الى الفلسفة الاغريقية ، والى القانون الروماني ، والى غير ذلك من المخلفات الماضية والتراث الأدبي القديم

والعالم لا يضطرب الآن ، ولا تختل نظمه لو انه لم ينسَ او يتناسى تلك الدطائم وذلك الاساس القديم . ونتج من ذلك أن أصبح البناء اثقل من ان يحتمله الأساس الذي أهمل أمره . وفي الوقت الذي نجد فيه أن احد جوانب هذا البناء قد تضخم و« استكرش » نجد الجانب الآخر ما زال هزيلاً نحيلاً . واذا تصور القارئ شكل بنيان أهمل أساسه ، وثقل سقفه ، وتضخم جانب من جوانبه كملت عنده صورة الحضارة الراهنة كما تبدو لمكدوجال ، وكملت لمخيلته صورة الأنهار الذي لا بد أن يحصل !

فقد صرح الاستاذ رمزي ميور — وهو من الاحرار المجددين — في حديث له مع احدي الصحف « أن الحضارة الراهنة مهددة بالخراب ، اذا لم تتمخض الاعوام المقبلة عن

حرية واسعة للتجارة العالمية ، وإذا لم تعمل انجلترا ضد هذا التيار الجنوبي !
 وصرح « الديوك أوف نورثمبرلاند » — وهو الرجل المحافظ — بقوله « اننا على وشك
 أزمة كبرى في الشؤون العالمية . وان ليس في الدلائل الحاضرة ما يشير الى التقدم المضطرد ؟
 وان الأمل في السلام العالمي لم يعد إلا حاملاً جيلاً . وكذلك الحال في شؤون الأتباع والسياسة
 فقد دلت النظم الحاضرة على افلاسها وانها لم تعد صالحة للوقت الحاضر . وهذه الظاهرة التي
 نلمحها في التاريخ الأدبي الحديث سيستفحل أمرها الى ان تقضي على البقية الباقية من النظم
 القائمة . والسبب في كل ذلك ان اي حضارة انما تقوم على أساس الدين والوطنية — وقد
 فقدت هذه الأشياء مكانها وسلطانها في العصر الحديث !

ويتضح من هذا ان معظم الكتّاب ورجال العلم — على اختلاف مشاربهم وأحزابهم —
 يرون هذه الفوضى ويتوجسون شراً من دوام هذا الروح الخطر
 يقول مك دو جال في تعزيز رأيه ان الإنسان العصري قد اهتم بالعلوم الطبيعية ، فنالت
 هذه العلوم كل الخطوة عند الباحثين والعلماء ، وكل التشجيع من جانب الجمهور والرأي العام
 لأن فوائدها نفعية مادية افلا آلة البخارية ، والطيارة ، والأتوموبيل ، ووسائل المواصلات الأخرى
 التي قربت المسافات وجعلت السفر من مكان الى آخر لذة وممتعة ، هي في واقع الامر النتيجة
 المباشرة لتقدم العلوم الطبيعية وازدهارها

والسينما والراديو ، والنور الكهربائي ، والفنوغراف واشباهها من آلات الترف ، ومعدات
 النعيم هي الأخرى من دخر العلوم الطبيعية وفيضها ومتاعها . فلماذا لا يقبل عليها الناس
 ويولونها العناية ويساعدون من يعمل في حقها ويقوم بالتجارب والمباحث في ميدانها ، اذ
 جعلت لهم الحياة جنة تجري من تحتها الأنهار !

فنحن نحترم العلوم الطبيعية هذا الاحترام الذي يقرب من العبادة في مظاهره ، ولا يختلف
 عن الايمان الديني في شيء لانها قد أدلت لنا الطبيعة ، ومكنتنا من خيراتها وجعلتنا السادة
 الحاكمين بامرنا ، نقول « كن فيكون » !

غير ان كل ذلك الترف ، وكل تلك الملذات ، قد ابتدأ ظلمها يتقلص . واتضح — ولكن
 أخيراً — أن الصناعة وحدها ، وان الانتاج الفائض ، وان الآلة وسهولة المواصلات وما إليها
 ليست هي كل شيء في نظام العالم ليثبت العالم ، ويرفل الناس في حلال الرخاء والسلام والنعيم .
 لان هنالك عناصر وعوامل اجتماعية وانسانية لا يمكن ان تقوم حضارة ، او يعم رخاء ، او
 تزهو ثقافة ، او يستتب أمن ، أو يستقر نظام وتطمئن حياة ، من غير معرفتها والتوفر على
 درسها ، والعمل بمقتضى تلك المعرفة وذلك الدرس !

في هذا العصر الذي نرى فيه كل شيء يغوي بالتبخر في العلوم الطبيعية ، نرى من عوامل

التثبيط ، وانصراف رجال البحث والذكاء عن ميدان العلوم الاجتماعية ، ما وقف معه كل بحث زيه في حقيقة الانسان ، وعلوم المجتمع والحياة عامة

فالكنييسة مثلاً قد وقفت حجر عثرة امام اي بحث في التقاليد والمعتقدات ودرسها درساً حرّاً . ولم تسلم الجامعات ، وهي المعاهد الحرة ، من هذه العراقيل الرجعية . وحكم بذلك على علوم الاجتماع ان تبقى راكدة آسنة ، واصبح درس الكواكب والالكترونات أهم عندنا بكثير واهق بعنايتنا من درس الانسان ، وهو «الدرس الحق» كما قال بوب في قصيدته المعروفة يقول مكذوبال ما معناه : « اننا نعيش في عصر بلغت فيه الفوضى الاجتماعية اشدها .

ومرجع هذه الفوضى ولا شك هو العلوم الطبيعية . فما علاج ذلك ؟ ... العلاج من داء العلم هو زيادة العلم ! ولكن اي علم ؟ ... عندنا الكفاية من العلوم الطبيعية وهي التي تحمل تبعه هذا الخراب . ولنفرض بأننا ازددنا بهذه العلوم عرفاناً ، وبها بصراً وتبحراً ، واكتشفنا المدهش الرائع في ميدانها . وجاءنا «اينشتين» آخرفبرهن على ان هذا الفضاء الذي نرى لا وجود له ، ولا حقيقة فيه . فهل ذلك العلم يا ترى يحل مشكلتنا الاجتماعية الحاضرة ، او يجعلنا ابصر بنظام الحكم ، واعلم بطبيعة الانسان ؟ ! »

فعالم السياسة يضطرب الآن وتتجاذبه قوى مختلفة ، وتتنازعه دوافع متباينة . ورجال السياسة يزعمون لنظمهم التي يقترحونها من الصدق والحق ما يجعلنا اشد ريبة واكثر شكاً في حقيقة اي نظام وصدق اية نظرية . وقيام النظم السياسية المختلفة من فاشية ودكتاتورية وديمقراطية وشيوعية الى آخر النظم السياسية الحاضرة هي الدلائل المادية على اننا لا نفهم شيئاً صحيحاً عن حقيقة النظام الاصلح . واننا نجعل هذا الانسان الذي نود ان نشرع له ، ونسن له القوانين ، ونفرض عليه الحقوق والواجبات جهلاً اقل ما يقال فيه انه لا يمكننا من الاضطلاع بهذه المهمة الخطرة

هل يستطيع الرجل السياسي الآن ان يطمئن الى نتائج بعينها من اسباب محدودة . وهل نحن نعرف الدوافع الانسانية واختلافها ، والظروف الخارجية وتشعبها مما يجعل نظاماً من الحكم ، أو اسلوباً من النظام ينجح في مكان وبين قبيل ، ولا يكون نصيبه مثل ذلك النجاح في مكان ثان ، وبين قبيل آخر ؟ !

وهل نحن نعرف حقيقة التباين ومداه بين الاجناس والافراد . وهل التشابه بين الاجناس البشرية اكثر ، أم ان وجوه الاختلاف اكثر وأظهر وابعد ؟ وهل اصلاح الفروق مستطاع عن طريق التربية والثقيف ، ام ان لا اصلاح للنفوس ولا تدريب للطباع . وهل البشر يتفاوتون من حيث انتاج الحضارات والابقاء عليها ، ام ان كلهم في هذا الصدد قريب من قريب . وهل حصبة التربية وانتشار سبل الصحة هي الآن كما يجب ان تكون ؟ !

وبالاختصار ما طبيعة علم الحياة ، وحقيقة « الانسان » وصحة النظم الاجتماعية ؟
 اننا لانعلم من كل ذلك شيئاً يصبح الركون اليه والاعتماد عليه . وهذا العلم — لو علمنا —
 هو وحده القدير على انتشالنا من هذه الوهدة التي تتردى فيها الانسانية اليوم !
 وعلم الاقتصاد ، هل هو علم حقاً ؟ يمكن عرفان النتائج المحتملة من المقدمات المقررة ؟
 يكفي ردّاً على هذا السؤال وامثاله ان يطالع القارئ اي صحيفة عصرية تتناول الشؤون الاقتصادية
 فيجد من الاختلاف في الرأي ، والتبديل في وجوه النظر ما يجيب عن سؤاله أشفى جواب !
 ونحن لو كنا اعلم قليلاً بشؤون الاقتصاد والمعاملة لما وقعنا في هذه الازمة الطاحنة
 التي اختلفت الآراء وتعددت في أسبابها ، حتى أصبح كل شيء سبباً لها ، ألا جهلنا بها !
 بل ان هنالك مسائل اقتصادية أولية ، مثل الاساس الذهبي للعملة ، وقانون الطلب والعرض
 يختلف في شأنها هؤلاء (العلماء) الاجلاء ولا يعرفون وجه الصواب فيها

ومع كثرة احاديث الاقتصاديين هذه الايام عن « الدوافع والقوى » المجهولة ، وعن
 « الثقة » فالعالم ما زال ينفق ملايين الجنيهات في البحث عن الغازات السامة ومعدات
 الحروب ولا ينفق ربع ذلك المبلغ للتوفر على دراسة هذه « الثقة » مثلاً
 وليس يبعد في ظننا ان بعضهم ينتظر من علماء الكيمياء ان يكتشفوا لنا محلولاً كيميائياً
 تصبح « الثقة » بعد تناوله بين الافراد والجماعات مستوفاة مزدهرة . ثم ما هي طبيعة هذه
 « الدوافع والقوى » النفسانية التي كثر الحديث عنها في كتابات الاقتصاديين . اننا بلا شك
 في حاجة الى نور يضيء ظلماتها . ولن يكون ذلك على كل حال بدراسة المرنج والبحث عن معادلة
 الحامض الفنيك !

والسيكولوجيا : هذا العلم الحيوي الذي لا يمكن ان تقوم علوم الحياة والمجتمع على غير اساسه .
 ما حقيقته ؟ . . ان هذا العلم — ونسميه علماً من باب التجوز — ما زال مرتعاً خصباً لمختلف
 الآراء المتنافرة ، ومتباين الاحكام والنظريات . وفي السيكولوجيا الحديثة من النظريات
 والفروض والمدارس الفكرية مما يخيل للقارئ معه ان هذا « الشيء » الذي نسميه انساناً قد
 يكون الهاك ، أو قد يكون آلة . أو قد لا يكون شيئاً من الاشياء على وجه الاطلاق ! ؟
 هذه هي مجمل آراء المؤلف . وقد حاولنا تصويرها بأسلوب يقرب من أسلوبه ونسبغ عليها
 شيئاً من مرارة تهكمه وشدة حماسه ونكون امانة في نقل آرائه بعد كل ذلك . والرأي الذي
 يخرج به الانسان من كتابه هذا هو ان علوم الاقتصاد والتشريع والتاريخ والنفس
 والسياسة وخلافها من العلوم يجب ان تكون قبلة الباحثين والنبهاء اذا رغبتا في البقاء على
 حضارتنا هذه وحفظ التوازن الضروري بين معلومات الانسان . ذلك لأن هذه العلوم هي
 الأسس التي لا يمكن ان يقوم الرقي الآلي والصناعي الاعلى عليها

غير اننا نلاحظ — ولو اننا نوافق المؤلف في النتائج التي توصل اليها والدعوة التي ينادي بها — ان الاستاذ مكدوجال في اعتقادنا قد فاته أن يشير الى أكثر الأسباب قوة ووضوحاً وصدقاً في تقدم العلوم الطبيعية ، وتختلف علوم الاجتماع . ويبدو لنا أن المنفعة المادية التي ذكرت ليست بأميز خواص العلوم الطبيعية ، وان كانت نتيجة من نتائجها . غير انها لم تكن الحافز الأول والمهم لدى العالم في معمله او الرياضي في مكتبه . بل ان هنالك من العلوم الطبيعية ، المزدهرة ما ليس فيها اي فوائد مادية مباشرة تنجم عنها أو يقبل عليها الجمهور لفائدتها، كبحاث اينشتين مثلاً ودراسة الفلك وطبقات الارض الخ .

وعندنا ان السبب الأول والمهم في تقدم العلوم الطبيعية انما هو سبب طبيعي لا سبيل الى نكرانه او تخطيه وهو ان العلوم الطبيعية اسهل من العلوم الاجتماعية اذ ان البحث في العلم الطبيعي يرجع الى ملكات الانسان الأولية المشاعة . وان اسلوب البحث العلمي أسهل ووسائل التثبت والفحص فيه قريبة التناول . والباحث في العلوم الطبيعية لا يحتاج الى أكثر من الذكاء العادي الى جانب الملاحظة والفحص والتجربة والمثابرة — الاشياء التي يعتمد فيها على الحواس — والعلم الطبيعي في هذا المعنى لا يعنى إلا بعالم المحسوسات ولا يهتم بالقيم الغامضة والدوافع المجهولة ، والسبح وراء التأملات والتخيلات وعالمه انما هو عالم المادة والمحسوسات وادواته موجودة في « حيز الفضاء والزمن » . على خلاف علوم الاجتماع ودراسة الإنسان فإن حظ الحس فيها أقل وعالم القيم والفكر فيها أكثر ، ونصيب التخيل والذكاء أوسع . فنحن قد نتفق عموماً على وجود هذه الحروف والكلمات التي تكون هذا المقال . ثم نحلل هذه الصحيفة ومحتوياتها وعناصرها الكيميائية والطبيعية فنرد الورق والخبر الى اصلها والحروف والرسوم الى طبعها . ولكننا قل أن نتفق على قيمة هذا المقال او نفسية كاتبه او الدوافع التي دفعت به الى تسطيره ، لأن مرد هذه الأشياء الى غير الحس والى غير المنطق الذي يسهل الاتفاق عليه بين معظم الناس

فارتقاء العلوم الطبيعية اذاً شيء لا طبيعي لم يتعد قانون البساطة والسهولة . وليس الغريب ان ترتقي العلوم الطبيعية أكثر من علوم الاجتماع . بل الغريب ان تنعكس المسألة . والعلوم الطبيعية مهما ارتقت تكاد تكون أولية — من هذه الوجهة — اذا قيس بالدين والفلسفة وعلم النفس مثلاً

فاذا نجم عن العلوم الطبيعية بعض الفوائد النفعية فليست هذ الفوائد بواعث تقدمها والاقبال عليها . وان كانت مما يشجع على البحث فيها والمضي في درسها ولطالما ظننت ، أن العلم الطبيعي — مهما طنطن الناس بعظمته — أولي في وسائله وفهمه اذا قيس بالدين في صميمه ولبابه

نوابغ العرب في العلوم الرياضية

مع الاسف الشديد لم يكن لبعض علماء العرب حظ في البحث عن آثارهم والتنقيب عن منتجات قرائحهم ومعظم ذلك يرجع الى اهمالنا الالهال الذي جعل البعض ينكر على العرب ملكة الابتكار والذي جعل ايضاً فئة من علماء الفرنجة يأخذون بعض النظريات التي وضعها العرب ويدعونها لانفسهم. وقد كنا ذكرنا امثلة على ذلك في مقالات لنا سابقة في هذه المجلة. ومما لا شك فيه ان اهمالنا ايضاً كان عاملاً من العوامل التي جعلت تاريخ العلوم عند العرب غامضاً ومن ذلك نتج ان طائفة من اصحاب العقول الممتازة لم تنل نصيبها من التحليل وأصبح البحث عنها عسيراً ويحتاج الى جهد كبير لاسيما بعد ضياع بعض المخطوطات وتفرق الآخر في اوربا ولكن كل ذلك يجب ان لا يحول دون ذكر من نستطيع ان نكتب عنه ولو اسطرأ قليلاً، وأملنا ان يأتي اليوم الذي نتمكن فيه من ان نفي هذه الشخصيات حقها. ومن هؤلاء ابي كامل شجاع بن اسلم الحاسب المصري الذي ظهر في اوائل القرن الثالث عشر الهجري بين سنتي ٨٥٠ و ٩٣٠ م^(١) وتاريخ حياته غامض « وكان فاضل وقته وعالم زمانه وحاسب اوانه وله تلاميذ تخرجوا بعلمه »^(٢) وله عدة تأليف منها :

كتاب الجمع والتفريق^(٣) وهو كتاب يبحث في قواعد الأعمال الأربعة ولا سيما فيما يتعلق بالجمع والطرح . وكتاب الخطأين^(٤) الذي يبحث في اصول حل المسائل الحسابية بطريق الخطأين^(٥) ويقول كشف الظنون انه كتاب مفيد . وكتاب — كمال الجبر وتمامه والزيادة في اصوله — وكان يُعرف بكتاب الكامل ويقول كتاب آثار باقية « ان هذا الكتاب اول اثر لأبي كامل في الجبر وان المؤلف ادعى انه الف هذا الكتاب لا كمال نقصان كتاب محمد بن موسى الخوارزمي » وقد بين فيه ان للخوارزمي فضلاً في تقدم علم الجبر والمقابلة . وكتاب الوصايا بالجبر والمقابلة الذي يقول عنه كتاب كشف الظنون في الجزء الثاني ص ٢٧١ ما يلي « . . . قال ابو كامل شجاع بن اسلم في كتاب الوصايا بالجبر والمقابلة الفت كتاباً معروفاً بكمال الجبر وتمامه والزيادة في اصوله والقيت الحجة في كتابي الثاني بالتقدمة والسبق في الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى والرد على المحترف المعروف بابي بردة ينسب الى عبد الحميد الذي ذكر انه جده ولما بينت تقصيره وقلة معرفته بما ينسب الى جده رأيت ان اؤلف كتاباً في الوصايا بالجبر والمقابلة »

(١) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ١٧٧ (٢) ابن القفطي — كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٤٣ (٣) ابن النديم — الفهرست — ٣٩٢ (٤) ابن النديم — الفهرست — ص ٣٩٢ (٥) صالح ذكي آثار باقية — ج ٢ ص ٢٥٤

وكتاب الجبر والمقابلة^(١) ويقول عنه كشف الظنون في الجزء الثاني في ص ٢٧١ ما يلي « ولا بُد لي كامل المذكور كتاب الجبر والمقابلة مجلد اوله ذكر انه كان كثير النظر في كتب العلماء بالحساب فرأى ان كتاب محمد بن موسى الخوارزمي المعروف بالجبر والمقابلة اصحها اصلاً واصدقها قياساً وكان مما يجب علينا من التقدم والاقرار له بالمعرفة والفضل اذ كان السابق الى كتاب الجبر والمقابلة والمبتدي له والمخترع لما فيه من الأصول التي فتح الله لنا بها ما كان منغلقاً وقرب بها ما كان متباعداً وسهل بها ما كان معسراً ورأيت فيها مسائل ترك شرحها وايضاها ففرعت منها مسائل كثيرة يخرج اكثرها الى غير الضروب الستة التي ذكرها الخوارزمي في كتابه فدعاني الى كشف ذلك وتبيينه فالتفت كتاباً في الجبر والمقابلة ورسمت فيه بعض ما ذكره محمد بن موسى في كتابه وبينت شرحه واوضحت ما ترك الخوارزمي في ايضاها وشرحه الخ ». وكتاب الوصايا بالجدور^(٢) وكتاب الشامل الذي يبحث في الجبر « وهو من احسن الكتب فيه ومن احسن شروحه فيه شرح القرش »^(٣) وقد يكون هذا الكتاب هو بعينه كتاب الجبر والمقابلة. وعلى كل فابو كامل قد اعتمد كثيراً على كتب الخوارزمي ووضح بعض القضايا التي لم يبحث فيها وكذلك اوضح في مؤلفاته مسائل كثيرة حلها بطريقة مبتكرة لم يسبق اليها . وله كتب اخري ككتاب الكفاية وكتاب المساحة والهندسة وكتاب الطير وكتاب مفتاح الفلاح^(٤) واشتهر ايضاً برسائله في الخمس والمعشر وكذلك بكتبه في الجبر والحساب^(٥) وهو وحيد عصره في حل المعادلات الجبرية وفي كيفية استعمالها لحل المسائل الهندسية^(٦) ، ولقد كان ابو كامل المرجع لبعض علماء القرن الثالث عشر للميلاد وبرهن على ذلك كاربنسكي^(٧) ومنهم محمد بن حسن ابني جعفر الخازن الذي ظهر في اواخر القرن الرابع الهجري^(٨) ومع الأسف لا يمكننا ان نكتب عنه كغيره من السابقين اذ ان المصادر التي بين ايدينا لا تفيه حقه ولا تكتب عن حياته شيئاً يشفي الغليل فلا نجد مثلاً في كتاب الفهرست لابن النديم الا ما يلي « واسمه وله من الكتب زيچ الصفائح وكتاب المسائل العددية » . ويقال انه من الذين حلوا المعادلات التكعيبة بواسطة قطوع المخروط^(٩) اما كاجوري فيقول ان ابا جعفر اول عربي حل المعادلات التكعيبة هندسياً بواسطة قطوع المخروط . وبحث ابو جعفر في المثلثات وقد عرفت ذلك من كتاب شكل القطاع لنصير الدين الطوسي ففي ص ١١٥ من هذا الكتاب عند الكلام عن الشكل المغني نجد ما يلي « برهان آخر — استعمله ابو الفضل التبريزي في شرح المجسطي وابو جعفر الخازن ايضاً

(١) ابن النديم — الفهرست — ص ٣٩٢ (٢) كاتب جاي — كشف الظنون — ج ٢ ص ٣٠٦ (٣) كاتب جلبي — كشف الظنون — ج ١ ص ٣٨٩ (٤) ابن النديم — الفهرست — ص ٣٩٢ (٥) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ١٧٧ (٦) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ١٧٧ (٧) كاجوري — تاريخ الرياضيات — ص ١٢١ (٨) صالح ذكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٦٥ (٩) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ١٧٦

في مطالب جزئية ميل الميول الجزئية والمطالع في الكره المستقيمه قبل ان اقامه هؤلاء الفضلاء مقام الشكل القطاع وتقريره على ما اوردها هكذا » وكذلك عند الكلام في فروع المغنى ولواحقها نجد فيه ما يلي « ... وبوجه آخر قد اورده ابو الفضل التبريزي وابو جعفر الخازن كل واحد منهما في تفسيره للمجسطي شكلاً لمعرفة المطالع يتبين هذا البرهان منه وتقريره بان نعيد الشكل الذي اوردها رواية عنهما للبرهان على المغنى »^(١)

ومن مؤلفاته عدا زيح الصفائح وكتاب المسائل العددية رسالة في الحساب وشرح للمقالة العاشرة من كتاب الاصول لافليدس وهذا الشرح محفوظ في احدي مكاتب الاستانة

ومن الذين ظهوروا في عصر المأمون احمد بن عبد الله حبش الحاسب المروزي وما يعرف عن حياته نادر^(٢) فيقول كتاب الفهرست انه جاوز سن المائة

وقد قضى معظم اوقاته في المطالعة والبحث في كتب الاقدمين في مختلف الفروع ، وهو من الذين كتبوا كثيراً في الفلك وآلات الرصد^(٣) . ويقال انه عمل اول جدول للظل وللظل تمام^(٤) وهذا الجدول في احدي المخطوطات الموجودة الآن في برلين ويظهر ان حبش الحاسب استعمل القطاع ايضاً . وله عدة تأليف منها : ثلاثة ازياج ، اولها المؤلف على مذهب السند هند خالف فيه الغزاري والخوارزمي في حامة الاعمال واستعماله لحركة اقبال البروج وادباره على رأي (ثاون) الاسكندراني واتضح له بها مواضع الكواكب في الطول^(٥) وثانيها الزيج الممتحن « وهو اشهر ما له ، الفه بعد ان رجع الى معاناة الرصد وضمنه حركات الكواكب على ما يوجب الامتحان في زمانه »^(٦) ومما يدل على خطر هذا الزيج وفضل مؤلفه كون ابي الريحان البيروني في كتابين له دافع عن الزيج الممتحن^(٧) ولقب حبش الحاسب بالحكيم حبش في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية^(٨) . وثالثها : الزيج الصغير المعروف بالشاه^(٩) . وله ايضاً كتاب الابعاد والاجرام وكتاب عمل الاسطرلاب ، وكتاب الرخائم والمقاييس وكتاب الدوائر الثلاث المهمة وكيفية الاوصال ، وكتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمائلة والمنحرفة^(١٠) . ولقد لحظت ان للحبش ايضاً زيجين آخرين غير الثلاثة المذكورة — الزيج الدمشقي والزيج المأموني — وهذان الزيجان مذكوران في كتابي تاريخ الحكماء والفهرست ويقول كتاب — آثار باقية — ان هذين الزيجين قد يكونان كناية عن الزيج الممتحن^(١١)

نابلس — فلسطين قدرتي حافظ طوقان

- (١) نصير الدين الطوسي — شكل القطاع ص ١٢٣ (٢) صالح ذكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٥٦
 (٣) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ١٧٤ (٤) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ٢ ص ٦٢٠
 (٥) صاعد الاندلسي — طبقات الامم — ص ٨٦ (٦) صاعد الاندلسي — طبقات الامم — ص ٨٦
 (٧) صالح ذكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٥٧ (٨) صالح ذكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٥٧
 (٩) صاعد الاندلسي — طبقات الامم — ص ٨٦ (١٠) ابن النديم — الفهرست — ص ٣٨٤
 (١١) صالح ذكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٥٧

العلم يكشف خفايا الجرائم

المكرسكوب

قُتِلَ « داوود ووتر » من اهالي ولاية نيوجرزي الاميركية في ليلة من ليالي الشتاء . فكان مقتله سبباً للتدريج بالمجهر المكرسكوب الى فضح اسرار الجناية . وكان في الدار حينما قتل ربها ، شاب في العشرين من عمره وهو ابن اخي القليل ، ومديرة شؤون الدار ، وسائق سيارة ، قضى عدة سنوات في خدمة ذلك الغني الارمل . وما بلغ الخبر اسماع الشرط حتى خفوا الى مكان الحادثة قصد تحقيقها فسألوا اهل الدار ، الذين تقدم ذكرهم ، عما يعرفونه بشأن الجريمة ، فقررروا جميعاً انهم قصدوا ليلتئذ الى مخاض نومهم مبكرين مغادرين ذلك الشيخ بجانب الموقد حيث كان يصطلي ويراجع حسابات دخله وخرجه وانهم لم يسمعوا في تلك الليلة اصواتاً خارقة للعادة . وقالت مديرة شؤون الدار انها شاهدت في صباح ذلك اليوم سيدها صريعاً على مقعده ذي المسندين المغشى بقماش الكريتون (١) وقد حطم رأسه بمطرقة وجدت ملقاة بجانبه مخرجة بالدم

ثم نيط تحقيق الجناية بمخبر سري من الفنيين ففحص مقبض المطرقة فعر فيه على قطرة دم جسيد (٢) وذلك في الموضع الذي مسته ابهام كف الشخص الذي قبض على المطرقة . ودرس المخبر الفني مقبض المطرقة درساً مدققاً بالمجهر فلم يجد فيه آثار لاصابع السفك لانه كان متقفزاً حينما اقترف الجريمة . وعندئذ طلب المخبر رؤية كل ما كان في الدار من القفايز فأجاب سائق السيارة بأن قفازه كان قد اتلف بالامس من حامض اريق عليه من احدي بطاريات السيارة فنبذه قصيماً فأصر المخبر الفني على معاينته فلم يسع السائق الا ارشاده الى الموضع الذي القاه فيه وهو ركام من رثيث الثياب كان مراكوماً في مستودع السيارة ، فشرع المخبر الفني يفتش ذلك الركام حتى عثر فيه على القفاز المنشود . ثم اخذه معه وعرضه للضياء متفرساً فيه فوضح له ان انملة ابهام القفاز اضمحت كلها هريئة من تأثير الحامض فيها

وخشى ان تجوز عليه تلك الخدعة المحبوكه فهرول الى معمله العلمي حاملاً بيديه القفاز والمطرقة حيث عرضهما للمجهر مزدوج قوي فأتيج له في ثلاث دقائق الاهتداء الى شيء غريب اذ استطاع في اقل من ساعة الحصول على شريطين يحتويين على صورتين فوتوغرافيتين

(١) القماش القطني المنقوش الذي يستعمل للستائر والمروشات (٢) الجسيد — جسد الدم به لصق

ميكروسكوبيتين حللتا لغز الجريمة . اذ احتوى احد ذينك الشريطين على صورة مكبرة لبقعة دقيقة بيضية الشكل حيث يظهر منخفض خشبي على مقبض المطرقة . وظهر له ان الخراط لما خرط الخشب الذي اتخذ منه مقبض المطرقة كان قد مر على المنخفض من دون صقله . وبان في الشريط الآخر بقعة بيضية الشكل تماثل التي في الشريط الاول بيد انها ملأى بخناوط موجية الشكل تمثل صورة مكبرة لبصمة بصمت في كف القفاز عند ما قبض القاتل على الاداة التي ارتكب بها الجريمة . والواقع ان المطر كان قد نزل في ذلك الحين فبلل قفاز القاتل . وهذا سبب ظهور البصمة جيداً تحت المجهر . فجاء بالصورتين ووضع طرف احدهما فوق طرف الاخرى فظهرتا كأنهما مطبوعتان من شريط واحد فلم يجد السائق بداً من الاعتراف وهو أن سيده كان قد علم بالسرقات التي كان يسرقها منذ عدة سنوات فهدده بابلاغ امره الى البوليس الا اذا رد كل المسروقات التي سرقها ، فاستاء جداً الاستياء وجعل يفكر في الانتقام . فتسلل خاف مقعده بينما كانت العاصفة تعصف حول الدار ثم قتله بضربة واحدة . وكان السائق المجرم وقتئذ متقفزاً لكيلا تظهر بصمات أصابعه على مقبض المطرقة . ولكن من سوء حظه أن سقطت قطرة من دمائه القاتل على أصبع قفازه فعمد الى ازالها فغمسها في احد الاحماض متوخياً طمس معالم الجريمة ، فتم له ما اراده وانما الى حين . لان الادلة الخفية التي اظهرها المجهر أوقعت ذلك المجرم في أحبولة العدل فاعترف

قال الكاتب الأمريكي : — والذي ابلغني تفاصيل الحادث المدهش المتقدم ذكره هو مخبر فني من صفوفه المخبرين السريين الذين يعملون تحت إمرة معمل التحليل الكيماوي الخاص بالبحث عن الجرائم بالوسائل العلمية في مدينة شيكاغو بأمريكا . ولقد سمعت بعشرات من النواذر التي استخدمت فيها المجاهر لاظهار خفاياها بفحص أشياء دقيقة جداً تتعذر رؤيتها بالعين المجردة ومنها وقائع كانت البيئة فيها على الأتمة الطعنة ، ذرات من الغبار والفلزات ، وحوادث لكبار مزوري الوثائق كان الدليل فيها عليهم تضاريس دقيقة جداً تظهر في المداد الجاف الذي استعمل في الكتابات القديمة وغيرها من وقائع شطار الجناة الذين استدل عليهم المخبرون الفنيون من خدش دقيق وجد على سطح معدني لا تزيد سعته على جزء من ١٠٠٠٠ جزء من العقدة واخرى ضد القتلة حملة المسدسات كانت الادلة فيها شهادات صامته شهدت بها نسالة ضئيلة ! فسجنوا ونالوا القصاص الحق

وبناء على ما تقدم ترى المخبر الفني العصري اذا ما تحفز لعمله ونظف عدسة مجهره ليفحص بها دقائق الاشياء للبحث عن المجرمين خلت ذلك المصباح وهو بين يديه مصباح علاء الدين^(١) في كتاب الف ليلة وليلة العربي المشهور . وللمجاهر المزدوجة اعظم شأن في عالم الجرائم ودوائر

(١) مصباح في الاساطير : اذا ظهر به امرؤ ورغب في صقله فمسه بيده ظهر له الجان قائلا « ليك سيدي : ماذا تبغي »

التنقيب عن المجرمين في هذا العصر فيتمكن بها العلماء من فحص الغبار والشعر والوبر وفرد الجواهر الكاذبة ونقد النقود المزيفة . ويتيسر بالمجاهر دراسة انواع الكتابة خطية كانت او طباعة او مكتوبة بالآلة الكاتبة ، درساً فنياً . ويُعتمدُ على المجاهر ايضاً في استقراء بصمات الاصابع . وعليها كذلك المعوّل في فن دراسة الآثار التي توجد على الرصاص المطلق ومما يجدر ذكره أن العلماء لا ينون في استنباط الاجهزة العلمية التي تساعد المخبرين الفنيين الذين يعولون في اعمالهم على المجاهر . ومن هذا القبيل ان متجراً من متاجر ديترويت في الولايات المتحدة الامريكية عرض في السوق مجهراً مجهزاً ببطارية كهربائية تشعل مصباحاً ينير المجهر ليلاً كي يستعمل في التحقيقات الليلية . وان صانعاً من صناعات مدينة نيويورك ايضاً قد اخترع مجهراً محتويّاً على عدة مصابيح كهربائية صغيرة الحجم . وتمت ايضاً مجاهر قوية من الصنف الممكن طيه ونشره لتستعمل في الميادين . وآلات لمعارضة الاشياء بعضها ببعض ذات عدسات مزدوجة تظهر للدرس شيئين في آن واحد ، وهذه تصنع على احجام مختلفة . وهناك آلات اخرى مزدوجة تكبر الاشياء الدقيقة الى ١٢٠٠ ضعف اخترعت مندسجة بعضها في بعض لكي تستعمل بمثابة أدوات وقتية في المعامل العلمية عند اشتداد الحاجة اليها . فأصبحت اجهزة ذلك الفن تتراوح في الحجم بين آلات صغيرة يتسنى عملها في الجيب ولا يزيد جرمها على ربع الريال ، الى اجهزة ضخمة تبلغ هامة الانسان طولاً ويصل وزنها الى نصف طن والذي اخترع هذا المجهر الضخم (الذي يسمى مجناسكوب) المستعمل في المعامل العلمية هو (لوقا . س . ماي) المشهور بكشف اسرار الجرائم بالوسائل العلمية . وهذا المجهر يكبر الجسم الى ٥٠٠٠ ضعف . فاذا اتفق لك زيارة مختبره العلمي في مدينة سيتل بولاية واشنطن استطعت رؤية عدسة ذلك المجهر الصقيلة وابصرت شعرة الانسان المكبرة نخلتها عمود تليفون ، وذرة الغبار كأنها صخرة ضخمة . واصغر سُرط الكتابة التي تخطها ببراءة فولاذية ، ممتدة كأنها شريط أسود عريض على سطح ابيض هذا المجناسكوب هو الذي ذاعت شهرته منذ سنتين في الكشف عن جنائية غامضة بالوسائل العلمية . وتفصيلها كما يلي : —

اضطر موظف من موظفي احد مناجم ولاية ايداهو الى الغياب عن داره ذات ليلة لانشغاله في عمل يتعلق بادارة المنجم وترك قرينته في الدار وحدها . وكانت تلك الليلة حالكة الظلام فأوجست الزوجة خيفة وباتت ساهرة حتى بعيد الساعة الاولى بعد منتصف الليل فسمعت ضريف أحد ابواب مخدعها يطرقه طارق فارتعدت فرأىها ثم سمعت هيمعة المعتدي وهو يتلمس طريقة في غرفة خارج الغرفة التي كانت نائمة فيها حيث كان يُعَيِّثُ^(١) في خزانة الملابس

(١) يعيث - يطلب شيئاً باليد من غير ان يبصره .

وكانت تحتوي على ٦٠٠ ريال كان زوجها مزماً ايداعها في البنك صباح اليوم التالي . وما أيقنت من وجود اللص في الدار حتى اخذت تصرخ بأعلى صوتها مستغيثة بحفظة الامن والجيران وحينئذ استحوذ الذعر على اللص وشرع في الهرب حاملاً غنيمته في احدي يديه فاتجه نحو النافذة وهو يظنها باباً مفتوحاً فخاب ظنه فاشعل ثقاباً لينير طريقه ، فما تبينه حتى لاذ بالفرار تحت جناح الليل قبل قدوم الجيران . ولما كانت تلك السيدة لم تلمح وجه اللص فلم يجد المحقق أي دليل يستدل به على الجاني فحفظ القضية لافتقاره الى البينة الكافية فرأى ولاية الامور الاستعانة بالمستر لوقا . س . ماي فلبى الطلب وتولى التحقيق

وكان اول سؤال وجهه الى ربة الدار المجنى عليها « اين أشعل اللص ثقابه ؟ » فاجابته قائلة « بجوار النافذة » . وكانت ربة الدار بناءً على ارشاد الشرطة قد تركت كل شيء من الامتعة التي كانت في الغرفة التي وقعت فيها السرقة في تلك الليلة على حاله حتي يفحصه المخبر الفني . فلما دخل ذلك المخبر المشهور ، الحجرة رأى فيها كرسيين مائلين نحو الحائط بجوار النافذة ثم شاهد بجانب ذينك الكرسيين على أرض الغرفة ثلاثة عشر عود ثقاب لا عوداً واحداً كما كانت تزعم ربة الدار ! ! !

وجعل مخبرنا هذا ينقب عن الجاني فعلم انه في المساء السابق لحدوث السرقة كان ذلك الموظف رب الدار هو وصديق له جاءه زائراً ، يدخان بجانب النافذة ساعات طويلة حيث اشعلا في اثناء التدخين كثيراً من عيدان الثقاب . وكانا يرميا المستعمل منها تحت اقدامهم فسر المستر ماي بتلك العيدان الثلاثة عشر الصغيرة الحجم فالتقطها من أرض الغرفة وعني بجمعها في يده . وكان عند حسن ظنه فانه لما فحصها وجد اثني عشر عوداً منها محتوية على خطوط مستطيلة اما العود الثالث عشر فكان مستديراً مثني الطرف . فأشار المخبر الى ذلك العود وقال « هذا هو ضالتي المذشودة » . وادار وجهه نحو مجهر قوي كان يحمله واخذ يدرس عود الثقاب الصغير الآنف الذكر فوجده ملوناً بدقيقة من الشحم وذرة من تراب الفحم الحجري وذرة من خليط معدني مؤلف من برادة الحديد والنحاس الاصفر مما يستعمل في اللحم بالنحاس . ثم دقيقة من خيط طريف لا مثيل له في مجموعة المستر ماي الوافرة . فكانت هاتيك البينات العشر التي عثر عليها في ذلك العود الصغير كافية لارشاده الى المجرم — ذلك انه قصد الى المناجم السبعة المجاورة لمكان وقوع الحادثة ودخل غرفة الآلات البخارية في كل منها وفتشها فعلم ان احدي تلك الآلات كانت قد نسفت منها احدي رؤوس أساطينها وذلك في نهار اليوم الذي حدثت فيه السرقة فسأل قائلاً « أين البراد الذي برد ذلك الرأس الطائر من الاسطوانة بعيد لجه بالنحاس ؟ » فجيء به في الحال فتفرس في اظفاره واخذ يخرج من تفهها ذرات تراب فحم حجري واخرى من برادة خليط الحديد والنحاس الاصفر . ثم جرد المخبر ذلك الصانع من ثياب العمل

التي كان يرتديها وقتئذ فابصر تحتها حلّة اخرى (بذلة) مصنوعة من نسيج غريب ذي شكل شاذ . ففتش جيوب تلك الحلّة فوجد فيها بعضاً من الثقاب مستديرة الشكل مثنية الاطراف . ثم اخرج المخبر ذرات من وبر بطانة جيوب تلك الحلّة فاذا هي مطابقة من كل الوجوه لقطعة الخيط الدقيقة التي وجدت عالقة بعود الثقاب الثالث عشر . وبناءً على تلك النتيجة التي المخبر الفني القبض على الصانع المشار اليه وقاده الى مكتب عمدة البلدة فلم ير السارق مفراً من اقراره بوزره وهو سائر في الطريق قبل وصولها الى مقر العمدة . وكان القبض على ذلك الجاني من المدهشات إذ اتيح للمخبر الفني اخراجه من وسط ٧٠٠ صانع من زملائه الذين يعملون في مناجم تلك البلدة بولاية ايداهو

ولما كانت ذرات التراب وغبار المعادن ذات فوائد جلية في حل معضلات الجرائم لذلك ترى المعامل العامة الخاصة بتحقيق الجنايات في اوربا وامريكا تخص دراستها بفائق عنايتها . وهذا مما حمل الدكتور سيفرين ايكار الفرنسي المشهور بالتخصص في تحقيق الجنايات بالمجهر ، على اعلان نجاحه الباهر في طريقة الاستدلال على صناعة أي شخص من ذرات الغبار التي توجد في جوف ساعته

ومثال ذلك ان ذرات الكربون توجد دائماً في بواطن ساعات الصانع ، الذين يستخدمون في مستودعات السيارات ، وعمال الفحم الحجري كما توجد ذرات المعادن في ساعات المهندسين الميكانيكيين وذرات الطين الخزفي في ساعات البنائين . وتوجد ايضاً في بواطن ساعات الحلاقين دقائق من الشعر . وفي ساعات العازفين على الكمنجات ذرات من الراتينج (القافونية)

وقد حذا حذوهم في تلك الدراسة المخبرون الفنيون في مدينة برلين عاصمة المانيا فتراهم يحللون أنواع الغبار الذي يتطاير من الصناعات المختلفة على ثياب الصانع فيعلق بها . وفي فرنسا مخبر فني قضى عدة أشهر يحلل ذرات الغبار التي توجد في حواجب عيون المجرمين . ومخبر آخر يدرس نماذج الغبار التي توجد لاصقة بصملاخ آذانهم . فلا غرو اذا اصبحت مجموعة انواع الغبار من معدات المعامل العامة التي يستعين بها المخبرون الفنيون على مقابلة الاصناف بعضها ببعض . ولا مندوحة للقضاة عن التعويل على الشهادة البليغة التي تشهد بها تلك الذرات !! قال الكاتب الاميركي : — دخلت احدي الحجر المودع فيها مجهر من مجاهر تحقيق الجنايات فقضيت ساعات عديدة في مشاهدة أولئك المخبرين الفنيين قائمين باعمالهم حيث رأيت طبقات من غبار نقض من حذاء مجرم وحلل ابتغاء الاستدلال على تنقلاته قبيل اعترافه بالجناية ، فوجدت فيها ذرات من الطين الخزفي واخرى من تراب زيتي ودقائق من الهشيم وهتافات من الحصى ملتصق بها نزر من التبن والبرسيم . فكانت تلك البيانات بمثابة سجل لحركات المجرم مكن التعبير الفني من رسم الطريق التي سلكها محتدياً حذاءه آنف الذكر إذ ايقن الخبير ان

الجاني قد مشى على طريق مغشاة بالزيت فاجتاز حقلاً ذا طين خزفي ثم اخترق غابة ومن ثم سار على ضفة نهر حتى التقى عصا الترحال في هري من اهراء الغلال . وثبت ان هاتيك المعلومات ومثيلاتها في عشرات من القضايا كانت معواناً صادقاً لدحض مزاعم المجرمين بانهم لم يكونوا في أما كن الجرائم عند اقترافها وكافية لاثبات التهم عليهم

واليك واقعة خطيرة من وقائع مناهضة المجرمين وهي دراسة الخدوش والآثار التي تتركها السكاكين في الاشياء المختلفة فيتوسل المخبرون الفنيون الى ادراك كنهها بالمجاهر القوية حدث من عهد ليس بعيداً ان ورد على احد اهالي اقليم الغرب في الولايات المتحدة كتاب تهديد فباشرا احد المخبرين الفنيين اقتفاء آثار مرسله فاستدل عليه بشيء تافه وهو آثار دقيقة جداً لمبراة « مطواة » وجدت على براية قلم رصاص . ذلك ان ذرة من البراية الخشبية كانت قد سقطت عرضاً في الظرف الذي غلفت به الرسالة قبيل ارسالها بالبريد الى ذلك الوجه

فتناول الخبير الفني الصور المكبرة بالمجهر الخاصة بالخطوط الغائرة والبارزة التي وجدت في البراية فاذا هي مطابقة جداً المطابقة للآثار التي تركتها مطواة عشر عليها في جيب أحد المتهمين أما اذا اريد تسجيل الآثار التي تتركها السكاكين الكبيرة والفؤوس والبلط والقدم فيتناول الخبير الفني آلة حادة منها ويضربها في قالب من شمع النحل فتؤثر شفرتها فيه التأثير المرغوب اذ تترك في القالب قطعاً عرضياً تظهر فيه صورة كاملة للخطوط الغائرة والبارزة التي تميز آلة قاطعة من سواها

ولكن الخدوش التي تحدث من الآلات القاطعة للخشب ليست هي وحدها الشواهد التي يستنير بها المخبر الفني في سبيله بل هناك بيّنات أخرى جوهرية وهي التي توجد على سطوح المعادن . وفي هذا الصدد يقول الكاتب الاميركي : —

كنت ذات يوم اناقش الاميرالاي كلفن جوارد رئيس المعمل العلمي الخاص بالكشف عن الجنايات في مدينة شيكاغو في تلك الحالة من أحوال أعمالهم فقال : « لو كان لديك مبرد فبردت به شيئاً مرتين لوجدت الأثر الذي يحدث من البردة الأولى مختلفاً عنه في البردة الثانية » وهذا لامرأه فيه . وجميع ذلك تراه عدسات المجهر الثاقبة حيث يظهر كل شيء مهما كان دقيقاً سواء في السرعة او الزاوية او الضغط . وكذلك كل آلة قاطعة ومدية تحدث الأثر الذي ينم عليها تماماً وتأيداً لما سبق نورد الحادثة الآتية التي وقعت في كاليفورنيا من عهد قريب

سطا لصان شاطران على الصناديق التي تودع فيها أجور المحادثات التليفونية الاوتوماتيكية في شوارع المدن الساحلية بكاليفورنيا فأخذوا يكسران أقفالها ويسلبان ما فيها من الدراهم والدنانير فغما من ذلك ثروة جزيلة . واستمرّا في عملها ستة اسابيع وكانا يفتحان الصناديق عنوة بمقاطع ومفكات خاصة ثم يهربان قبل أن يتمكن الشرطة من ادراكهما . ثم قبض الشرطة

ذات ليلة على شابين في فندق من فنادق مدينة سيتل بولاية واشنطن ففتشا حجرة نومهما فعثرا تحت حشيرة السرير على مقاطع وآلات أخرى . فكانت تلك الأدوات هي الدليل الوحيد على اتهامهما . ولكنه دليل غير كاف لتأييد التهمة تأييداً تاماً . فاستعان ولادة الأمر بمخبر فني فأخذ يفحص الآلات السابقة الذكر فعرض للجهره الثاقب الخدوش التي وجدت على آخر صندوق نقود وقعت فيه السرقة والخدوش التي أحدثت بالآلات المضبوطة فثبت أنها تشبه بعضها بعضاً كل الشبه اذ بينت عدسات المجهر مائة أثر كبير الحجم في مساحة لا تزيد على ثمن بوصة . وكان بعضها قبل التكبير لا يزيد على جزء من ١٠٠٠٠ من البوصة المربعة فتأيدت التهمة عليهم ففسجنا واليك نادرة أخرى من نوادر الانتفاع بالمجاهر أبلغنيها الدكتور هرمان بنديسن وكان وقتئذ موظفاً منوطاً به فحص اسباب الوفيات الفجائية ومناهضة الجرائم وهي كما يأتي : —

اشتهر منذ بضع سنين اخوان من افطع السفاحين إذ بلغ عدد الذين قتلهم بمسدساتهما اثني عشر رجلاً ، فأخذ الشرطة في البحث عنهما حتى قبضوا عليهما راكبين سيارة مأجورة في شارع متشيعان وطفقا يفتشونهما فتجههم لهم القاتلان ولكنهما لم يسعهما الا الاذنان للتفتيش . فلم يجدوا معها شيئاً ولكنهم عثروا في السيارة على مسدسين من النوع الأتوماتيكي محشوئين مخبوءين خلف كرسي السيارة فاعتقلوهما متهمين بتهرب الاسلحة . فاصر المتهمان على القول إنهما لا علاقة لهما مطلقاً بدينك المسدسين . ثم دافع عنهما محاميهما بأن طلب أمام المحكمة سجل عداد السيارة من الشركة التي تديرها . فالتضح بفحصه أن أحد عشر راكباً ركبوا السيارة نفسها في ذلك اليوم وعندئذ قال المحامي لا بد أن أحد أولئك الركاب قد دس المسدسين المشار اليهما في المركبة

وسألني الدكتور بنديسن قائلاً : « ليت شعري ماذا ترى في الوسيلة التي توسلنا بها الى الصاق التهمة بدينك المجرمين رئيسي العصابة ؟ » فأجبت من فوري قائلاً « لعلها بصمات الأصابع » فقال « كلاً لم تكن البصمات واضحة وضوحاً يساعدنا على ذلك بيد أننا عثرنا في أثناء التفتيش على نسالة لاصقة بأنبوبي المسدسين من بطاتي جيبي الحلة التي حُمِلَ فيها فاحضرنا في الحال بنطلوني المتهمين وفتشنا جيوبهما حتى حصلنا منها على ندافة فقابلناها تحت المجهر بالنسالة التي وجدناها عالقة بالمسدسين فالتضح انهما من نوع واحد فاستنتجنا من ذلك ان المسدسين لدينك السفاحين بل عرفنا سلاح كل منهما بالذات »

ويوجد لدى المستر فرنك جومبرت الموظف في ادارة الأحكام المدنية في مدينة لوس انجيليس بكاليفورنيا مجموعة نماذج طريفة من الأوبار جمعها من أقطار العالم كافة وذلك توخياً لاطلاع المخبرين الفنيين عليها لكي تعاونهم على الاضطلاع بأعمالهم . ويقال ان تلك المجموعة مؤلفة مما يزيد على مائتي الف نوع من الوبر

وقد علمت أن العلماء كثيراً ما يلجؤون إلى المجهر كي يمتحنوا به نسالة الأقمشة في القضايا الغربية . ومن هذا القبيل ما حدث في مدينة من مدن الأقاليم الشرقية بالولايات المتحدة من عهد قريب حيث كان مندوب لشركة من شركات صنع الملابس ، كلف عرض نماذج من مصنوعات الشركة على الجمهور ترويحاً لها ، وهي صدارات لا يؤثر فيها الرصاص إذا أطلق على لباسها ، أقام هذا الرجل دعوى على زوجته قصد تطبيقها ومن سوء طالع أنه هو نفسه لم يك لباساً صداراً من ذلك النوع حين وجوده في المحكمة فحدث أن دعاه القاضي للشهادة فنهض من بين النظارة في المحكمة . وما لبث أن نطق بالشهادة المطلوبة حتى وثبتت زوجته من مكانها وانتزعت من مثبتتها (١) مسدساً كان مخبأً فيها وأطلقت منه طلقين ناريتين فطاش أولهما واخترق الثاني الجزء العلوي من رئة زوجها اليسرى فزقه . ونقل المصاب إلى المستشفى ليعالج حيث قضى أسبوعاً وكان يرجح شفاؤه ولكنه أصيب فجأة بالتهاب رئوي فتوفي مأسوفاً عليه .

وجعل ذوو الشأن يتساءلون : هل حدث الالتهاب الرئوي من الطلق الناري؟؟ وعرضت القضية على المحكمة لتفصل فيها فندبت للتحقيق الخبراء الموثوق بعلمهم فقام هؤلاء بكشط باطن الجرح الذي اخترقته الرصاصة ثم عرضوا الكشاش (٢) وفحصوه بالمجهر فرأوا نساكات من ثياب القتل الخارجية قد نفذت إلى صدره حاملة إليه الجرائم التي سممت الجرح فكانت منشأ الوفاة . فحكمت المحكمة بتأييد تهمة القتل عمداً على القتلة .

وقصارى القول أن المجهر الدوار قد أصبح ذا شأن عظيم في حل معضلات الجنايات وذلك بامتدادهان الأوبار والخيوط والألياف حينما ينشق القماش أو يتمزق . لأن شقة القماش مهما بدت للعين المجردة منتظمة الحواشي فلا تحسبها كذلك لأن عدسة المجهر تظهرها مخرسة . وقد ثبت ذلك جلياً حينما يُلمس شعنها فتتعاشق كما كانت

وفي كثير من القضايا يظهر المجهر التزوير على الوثائق ونحوها ويوضح أيضاً الغش الذي يرتكب في تقليد الاختتام الشرعية وفي تزيف النقود . ومن النواذر التي كان للمجهر القدح المعلى في فضح أسرارها ما يأتي : —

حدث في صباح يوم من أيام الخريف الماضي بعيد الساعة التاسعة أن لمح رهط من الناس رجلين وهما كياوي مشهور ومعاون له ، كان حديث الخدمة عنده ، يلجان معملاً صغيراً لتحليل الكياوي حيث كان ذلك العالم يقوم بتجارب في السوائل الطيارة . وما انقضت ساعتان حتى سمع الجيران صوت انفجار هائل فتغلغلوا في الشارع مستطلعين الخبر فوجدوا النار مشتعلة في ذلك المعمل الكياوي وألسنة اللهب تندلع من نوافذه مشبعة بالمواد الكياوية . ودعمر الحريق المعمل برمتيه قبل وصول وسائل الاسعاف . فلما أدركته فرقة المطافئ أخذ رجالها

(١) المثبنة — كيس تضع فيه المرأة مرآتها وغيرها وجعلها مثابن (٢) الجلد المكشوط

يشقون طريقهم في اطلال المعمل المتصاعد منها الدخان فعثروا في خلالها على جثة متفحمة فاستدلوا من آثار الثياب التي وجدوها تحتها ومن خاتم وجدوه في أصبع من أصابع اليد اليمنى أن المحترق هو العالم نفسه وأما معاونه فلم يوقف له على أثر

وشرع المحققون في التحقيق فتبين لهم أن العالم السابق الذكر كان قد أمتن حياته حديثاً في غير شركة على مبالغ كبيرة ثم عهدوا إلى الدكتور شنيدر استطلاع مكنونات الكارثة فاستنتج مما قام به من المباحث التي أجراها في شعر القتيل ، إذ جاءه معاونه الفني بثلاث نشرات من شعر قذال (١) الكياوي المحروق (حيث صين قذاله صيانة جزئية بمحرام مبلل) ووافاه معاون آخر بسباطة (٢) من شعر العالم الكياوي نزعها من فرجون شعر كان يستعمله في بيته قبيل الحادث ثم عورضت الشعور بعضها ببعض وهي تحت عدسات المجهر فظهر الاختلاف تواتراً ظهور الشمس في رائعة النهار وعند ذلك ثبت للدكتور شنيدر أن شعر العالم الكياوي كان دقيقاً سبطاً مستديراً بينما السبد (٣) الذي نتف من رأس الرجل الذي وجد محترقاً كان قطر الشعرة فيه أكبر منه في شعر العالم الكياوي وشكاه بيضي مما يدل على أن شعر القتيل كان جعداً . وهذا مما يبين بلاشك لعيني الخبير الفني أن القتيل لم يكن هو العالم الكياوي

وأعلنت الجرائد تلك الخبايا المهيجة للعواطف فاخذ القراء يتهافتون على قراءتها ولكنهم ما لبثوا أن بوغتوا بنبأ آخر لاسلكي من مدينة بورتلند في ولاية أوريجون وهو انتحار رجل غريب كان زياراً في فندق قريب من صميم المدينة وأنه هو الكياوي المفقود . وقد تحققت شخصيته باعترافه الذي كتبه بخط يده قبل اقدامه على الانتحار . وكان يقصد بتلك الجريمة الشيطانية التدليس على شركات التأمين وإبزاز أموالها

وتفصيل الحادثة أن الكياوي احرق ليمه المعاون عمداً وأنه لم يستخدمه في العمل إلا لسبب واحد وهو مشابهته التامة له ليظفر بغايته ثم انه لبس الجثة ثيابه وخاطمه تمويهاً على الناس لكي تجوز عليهم الحيلة . وقد ارتكب تلك الجناية عقب اهراقه الايثروثاني كبريتور الكربون على فريسته ثم هرب دون أن يراه احد تاركاً تلك المواد الكيماوية المتصاعدة تشتعل وتتفاعل بمضي الوقت . وما تجملت تلك الحقائق الباهرة في الحوادث التي اوردناها وغيرها حتى ثبت ثبوتاً قاطعاً بأن المجهر خير معاون للخبير الفني في اظهار خفايا الاوزار وسلاح ماضٍ لمقاتلة اللصوص الفجار والجرمين الممتاة بالوسائل العلمية . فليتنا نستفيد من هذه المباحث القوية المدهشة (نقلاً عن مجلة العلم العام الاميركية) عوض جندي

(١) القذال ما بين الاذنين من مؤخر الرأس (٢) السباطة ما سقط من الشعر اذا سرح

(٣) السبد القليل من الشعر

فلسفة التاريخ الاسلامي

في القرن السابع للهجرة

كان التاريخ الاسلامي من التواريخ المصابة بالجمود والتعصب ، فلم يتمحص من الا كاذب والتوليدات والخرافات ، ولم يتخلص من قيود الرواية الشعبية والاسناد التعصبي ، ولم يتمخلص من سلطة دجاجة الدين الا في عهود هي في تاريخ الاسلام كالشبايك المنيرة لقرارات السجون المالكة ، ولقصراً هذه العهود المنيرة والمواترة بينهما ، نظر المحققون الى تاريخنا الاسلامي نظراً الى الآثار المهمة والابنية العتيقة المتداعية التي طالما استرمت فلم يرها أحد واستهدمت فلم تجدد ، والحق في ناحيتهم لانه — على كونه تاريخنا — نرى فيه من الاضطراب والتناقض والاختلاق والمبالغيات ما لا يسكت عليه الا جاهل ولا يؤمن به الا دجال مخادع ، وحسبك دليلاً على ما ذكرنا ان بعض المنافقين كانوا يكذبون على رسول الله — ص — في حياته فيسمع باكاذيبهم ويصعد المنبر ويعلمن الناس بانها مكذوبة ، والاسلام حينئذ غرض فتي والايان شمس مشرقة والفرائض ثابتة الاعلام راسخة الصوى . ان كل تاريخ لامندوحة لاهله عن تفهم فلسفته ، ولا بد لهم من فتنه في مصهار التحيص كفتن الذهب المخاوط بغيره في البوتقة ، وان الفلسفة تسير حرية الدين وإباحة المعتقدات وعهد ترقى العقل ، وتحمد في عصور دجاجة المتسلطين والساطين الجاهلين والشعوب المبتلاة بالتعصب الاعمى

ان قلة فلسفة التاريخ الاسلامي ناشئة من ان اسلافنا — على رأي جماعة — ناس كاملون كمالاً بشرياً فافعالهم كاملة صالحة بعد افعال انبيائهم — ان لم تكنها — فمن تعرض لها بتمحيص او نقد او تحليل كان ملجداً زنديقاً فيلسوفاً ، والفلسفة كانت عندهم ترادف الزندقة ، مع ان هؤلاء الجاهلين لو تتبعوا الاخبار تتبع ناقلاً عاقل لا جاهل لوجدوا ان اولئك الاسلاف الادميين كثيراً ما غلطوا فاستدركوا غلطهم وطالما وهموا فوققوا على اوهامهم وربما تاهوا فارشدوا الى لقم الطريق ومما نستحسن ذكره ههنا انه قد جاء في الاخبار ان الامام عليا — ع — كان يتكلم مع جماعة فمر به يهودي فقال له « لو انك تعلمت الفلسفة — يا ابن ابي طالب — لكان يكون لك شأن من الشؤون » فقال له الامام علي « وما تعني بالفلسفة ؟ اليس من اعتدل طباعه صفامزاجه ومن صفامزاجه قوي أثر النفس فيه ومن قوي أثر النفس فيه سما الى ما يرتقبه ومن سما الى ما يرتقبه فقد تخلق بالاخلاق النفسانية ومن تخلق بالاخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو انسان دون ان يكون موجوداً بما هو حيوان وقد دخل في الباب الملسكي الصوري وليس له عن هذه

الغاية مصير « فقال اليهودي : « نطقنا بالفلسفة جميعها في هذه الكلمات يا ابن ابي طالب (١) »
فهذه الحكاية سواء أكانت صحيحة أم مولدة تثبت عليهم جواز تعلم الفلسفة لأن الذي يبتدع
حديثاً لاستحسان شيء هو راض به مجيز له بداهة

ولو تتبع منصف عاقل ضحايا الفلسفة والزندقة في تاريخ الاسلام لذابت نفسه أسفاً من
اتخاذهم الدين وسيلة للتشنج والتأثر وستر عيوب السياسة واشباع الطمع ومماشاة الجشع وطلب
الدنيا والجاه ، ولا اترك القارئ وفي نفسه شيء مما قلت بل اذكر له بعض الحوادث الدالة على
صحة الدعوى ، فقد نقل الجاحظ عن عبد الله بن ياسين : ان المهدي بن المنصور كان فيه غزل
وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه جمال عن ابنة لكتابه ابي عبيد الله فقال للخيزران : « استزير بها »
فاستزارتها وجاءت اليها ، فقالت لها الخيزران : هل لك في الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلت
الحمام وافاها المهدي فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها : انا وليك فزوجيني نفسك ، فقالت
انا أمستك ، فزوجها ونال منها ، فلما انصرفت أخبرت إخوتها بما كان فقالوا : أمسكي عنه ، فلما
كان بعد مدة قالوا لها : استزيري الخيزران ، فاستزارتها ، فلما صارت اليها قالت : هل لك في
الحمام ؟ قالت : نعم ، فلما دخلتا معاً ما شعرت الخيزران الا ببني ابي عبيد الله قد عمداوا عليها
فاستترت عنهم ، فقالوا لها : لو اردنا ان نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكننا لا نستطيع
فقالت : والله لو رمتم ذلك لأمرت الخدم بقتلكم ، فانصرفوا ، فلما رجعت الخيزران أخبرت
المهدي بذلك فكان السبب في قتل المهدي لمحمد بن أبي عبيد الله على الزندقة

ولما استولى البويهيون على العراق وما اليه ازدهرت الفلسفة ازدهاراً عجيباً فنشأت رسائل
اخوان الصفاء وخلان الوفاء وغيرها وسبب ذلك المسامحة الدينية وتحرير العقول بل تجاوزت
الفلسفة الى الشعراء كالمعري أبي العلاء الفيلسوف

والقرن الذي يزيد الابانة عن فلسفة التاريخ الاسلامي فيه كان فاتحة عصور الحرية الدينية
في الشرق فقد كثر فيه الفلاسفة على اختلاف تفاسفهم وبلغ أولو الامر فيه الى درجة رفيعة
من العلم كأبي العباس أمير المؤمنين احمد الناصر لدين الله العباسي أعظم ساسة الخلفاء العباسيين
ومجدد الدولة العباسية وخلافته من سنة « ٥٧٥ الى ٦٢٢ » هـ كان العلم فيها ساهي المسكاة
عظيم الحناوة وافر الاقبال واشتهر من الفلاسفة في هذا القرن السابع « ٦٠٠ — ٧٠٠ »
محمد بن سليمان بن قنطاش حاجب الناصر لدين الله الأكبر ، وسيف الدين أبو الحسن علي الآمدي
ومعين الدين سالم بن بدران المعتزلي وجعفر القطاع الملقب بالسديد البغدادي والموفق عبد
اللطيف البغدادي ونفخر الدين محمد بن عمر الرازي وركن الدين عبد السلام بن عبد الوهاب بن
الشيخ عبد القادر الجيلي ، والحسن بن الأمير أبي علي بن نظام الملك الوزير ومحمد بن مبشر

البغدادى والحسن بن محمد الاربلى الضرير الملقب عز الدين وعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني وعلي بن يوسف القفطي وموسى بن ميمون اليهودي الاندلسي ونعيم الدين النخجواني ونصير الدين محمد الطوسي شيخ الفلاسفة وموسى بن يونس العقيلي الموصلى وعز الدولة بن كمونة اليهودي صاحب الأبحاث عن الملل الثلاث وكمال الدين حسن بن يحيى ، اما ابو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوي نقيب البصرة فقد كان فريداً في فلسفة التاريخ ويليه في ذلك محمد بن سليمان بن قنامش . والآن ننقل للقارىء شيئاً من فلسفته في التاريخ الاسلامي وكانت وفاته سنة « ٦٢٠ هـ » (١) « اعني وفاة محمد بن سليمان »

قال عبد الحميد بن ابي الحديد المدائني « حدثني جعفر بن مكي الحاجب — رحمه الله (٢) — قال : سألت محمد بن سليمان حاجب الحجاب (وقد رأيت أنا محمد هذا وكانت لي به معرفة غير مستحكمة وكان ظريفاً اديباً وقد اشتغل بالرياضيات والفلسفة ولم يكن يتعصب لمذهب بعينه) قال جعفر : سألته عما عنده في امر علي وعثمان ، فقال : هذه عداوة قديمة النسب بين عبد شمس وبين بني هاشم وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب بن هاشم وكان ابو سفيان يحسد محمداً — ص — وحاربه ولم تزل الثنتان متباغضتين وان جمعتهما المنافضة ، ثم ان رسول الله — ص — زوج علياً بابنته وزوج عثمان بابنته الاخرى ، وكان اختصاص رسول الله لفاطمة اكثر من اختصاصه للبنت الاخرى وللثانية التي تزوجها عثمان بعد وفاة الاولى ، واختصاصه ايضاً لعلي وزيادة قربه منه وامتزاجه به واستخلاصه ايّاه لنفسه اكثر واعظم من اختصاصه لعثمان ، فنفس عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلوبهما ، وزاد في التباعد ما عساه يكون بين الاختين من مباغضة أو مشاجرة أو كلام ينقل عن احدهما الى الاخرى فيتكدر قلبها على أختها ويكون ذلك التكدير سبباً لتكدير ما بين البعدين ايضاً — كما نشاهده في عصرنا وفي غيره من الأعصار — وقد قيل : ما قطع بين الاخوين كالزوجتين ، ثم اتفق ان علياً قتل جماعة كثيرة من بني عبد شمس في حروب رسول الله — ص — فتأكد الشنآن ، واذا استوحش الانسان من صاحبه استوحش صاحبه منه ، ثم مات رسول الله — ص — فصبا الى علي جماعة يسيرة لم يكن عثمان منهم ولا حضر في دار فاطمة مع من حضر من المتخلفين عن البيعة وكانت في نفس علي امور عن الخلافة لم يمكنه اظهارها في أيام ابي بكر وعمر لقوة عمر وشدة وانبساط يده ولسانه ، فلما قتل عمر وجعل الامر شورى بين الستة وعدل عبد الرحمن بها عن علي الى عثمان ، لم يملك نفسه علي ، فأظهر ما كان كامناً وأبدى ما كان مستوراً ولم يزل الامر يتزايد حتى اشري ما بينهما وتفاقم ، ومع ذلك فلم يكن علي لينكر من امره إلا

(١) كتابنا « السنون الضائعة من الحوادث الجامعة » (٢) توفي سنة « ٦٣٩ هـ » كما في ص ١٤٨ من الحوادث الجامعة لعبد الرزاق بن الفوطي الذي قننا بطبعه حديثاً وكما في « ٤٦ : ٥ » من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وراجع شرح ابن ابي الحديد « ٢ : ٢٢٠ ، ٤٠١ » و « ٣ : ٣٨٢ »

منكراً ولا ينهأ إلا عما تقتضي الشريعة نهيها عنه وكان عثمان مستضعفاً في نفسه رخواً قليل الحزم واهي العقدة وسلم عنانه الى مروان يصرفه كيف شاء فالخلافة له في المعنى ولعثمان في الاسم فلما انتقض على عثمان امره استصرخ علياً ولاذ به والقي زمام امره اليه فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع وذب عنه حين لا يغني الذب فقد كان الامر فسد فساداً لا يرجى صلاحه « قال جعفر » فقلت له : أتقول ان علياً وجد من خلافة عثمان أعظم مما وجد من خلافة ابي بكر وعمر ؟ فقال . كيف يكون ذلك وهو فرع لها ولولاها لم يصل الى الخلافة ولا كان عثمان ممن يطمع فيها من قبل ولا تخاطر له ببال ، ولكن ههنا امر يقتضي في عثمان زيادة المنافسة وهو اجتماعها في النسب وكونهما من بني عبد مناف والانسان ينافس ابن عمه الادنى اكثر من منافسته الأبعد ويهون عليه من الأبعد ما لا يهون عليه من الأقرب «

قال جعفر « فقلت له : فما تقول في هذا الاختلاف الواقع في امر الامامة من مبدأ الحال وما الذي تظنه اصله ومنبعه ؟ فقال : لا اعلم لهذا اصلاً إلا امرين احدهما ان رسول الله — ص — اهل امر الامامة فلم يصرح فيه بأحد بعينه وانما كان هناك رمز وائما وكناية وتعريض لو اراد صاحبه ان يحتج به وقت الاختلاف وحال المنازعة لم يقيم منه صورة حجة تفني ولا دلالة تحسب وتكفي ولذلك لم يحتج علي يوم السقيفة بما ورد فيه لانه لم يكن نصاً جلياً يقطع العذر ويوجب الحجة وعادة الملوك اذا تمهد ملكهم وارادوا العقد لولد من اولادهم او ثقة من ثقاتهم : ان يصرحوا بذكره ويخطبوا باسمه على اعناق المنابر وبين فواصل الخطب ويكتبوا بذلك الى الآفاق البعيدة عنهم والاقطار النائية منهم ومن كان ذا سرير وحصن ومدن كثيرة ضرب اسمه على صفحات الدنانير والدراهم مع اسم ذلك الملك بحيث تزول الشبهة في امره ويسقط الارتياب بحاله فليس امر الخلافة بهين ولا صغير لترك حتى يصير في مظنة الاشتباه واللبس ولعله كان لرسول الله — ص — عذر في ذلك لا نعله نحن إما خشية من فساد الأمر وارجاف المنافقين وقولهم : إنها ليست بنبوة وانما هي ملك أوصى به من بعده لذريته وسلالته ولما لم يكن أحد من تلك الذرية في تلك الحال صالحاً للقيام بالأمر لصغر السن جعله لا ييهم ليكون في الحقيقة لزوجته التي هي ابنته ولأولاده منها من بعده ، وأما ما تقوله المعتزلة وغيرهم من أهل العدل : أن الله — تعالى — علم أن المكافين يكونون على ترك الامر مهملات غير معين أقرب الى فعل الواجب وتجنب القبيح ، ولعل رسول الله — ص — لم يكن يعلم في مرضه أنه يموت في ذلك المرض وكان يرجو البقاء فيمهد للأمامة قاعدة واضحة ومما يدل على ذلك : انه لما نوزع في احضار الدواة والكتف ليكتب لهم ما لا يضلون بعده غضب وقال : اخرجوا عني ، لم يجمعهم بعد الغضب ثانية ويعرفهم رشدهم ويهديهم الى مصالحهم ، بل ارجأ الأمر إرجاء من يرتقب الأفاقة وينتظر

العافية ، فبتلك الأقوال المحججة والكنايات المحتملة والرموز المشتبهة مثل حديث خصف النعل ومنزلة هرون من موسى ومن كنت مولاه وهذا يعسوب الدين ولا فتى الا علي وأحب خلقك إليك وما جرى هذا المجري مما لا يفصل الأمر ولا يقطع العذر ولا يسكت الخصم ولا يفتح المنازع وثبت الأ نصار فادعتها ووثب بنو هاشم فادعوها وقال ابو بكر : بايعوا عمر او أبا عبيدة وقال العباس لعلي : امدد يدك لا بايعك ، وقال قوم ممن رغب به الدهر في ما بعد ولم يكن موجوداً حينئذ . إن الأمر كان للعباس لأنه العم الوارث وإن أبا بكر وعمر ظلامه وغصباه حقه ، فهذا أحدهما . واما السبب الثاني للاختلاف فهو جعل عمر الأمر شوري في الستة ولم ينص علي واحد بعينه إما منهم وإما من غيرهم فبقي في نفس كل واحد منهم أنه قد رشح للخلافة وأهل الملك والسلطنة فلم يزل ذلك في نفوسهم واذهانهم مصوراً بين أعينهم مرتسماً في خيالهم منازعة اليه نفوسهم طامحة نحوه عيونهم حتى كان من الشقاق بين علي وعثمان ما كان وحتى أفضى الأمر الى قتل عثمان وكان اعظم الأسباب في قتله طلحة وكان لا يشك ان الأمر له من بعده لوجوه منها : سابقة ومنها : انه ابن عم لأبي بكر ، وكان لأبي بكر في نفوس اهل ذلك العصر منزلة عظيمة اعظم منها الآن ومنها : انه كان سمحاً جواداً ، وقد كان نازع عمر في حياة ابي بكر وأحب ان يفوض ابو بكر الأمر اليه من بعده ، فما زال يقتل في الذروة والغارب في أمر عثمان وينكسر له القلوب ويكدر عليه النفوس ويغري أهل المدينة والأعراب واهل الأمصار به وساعده الزبير ، وكان ايضاً يرجو الأمر لنفسه ، ولم يكن رجاؤهما هذا الأمر دون رجاء علي بل رجاؤهما كان اقوى لأن علياً دحضة الأولان واسقطاه وكسرا ناموسه بين الناس فصار نسياً منسياً ومات الاكثر ممن يعرف خصائصه التي كانت في ايام النبوة وفضله ونشأ قوم لا يعرفونه ولا يرونه إلا رجلاً من عرض المسلمين ولم يبق له مما يمت به الا انه ابن عم الرسول وزوج ابنته وأبو سبطيه ونُسي ما وراء ذلك كله واتفق له من بغض قريش وانحرافها ما لم يتفق لأحد وكانت قريش بمقدار ذلك البغض تحب طلحة والزبير لان الأسباب الموجبة لبغضهم لم تكن موجودة فيهما وكانا يتألفان قريشاً في اواخر ايام عثمان ويعدانهم بالعطاء والأفضال وهما عند انفسهما وعند الناس خليفتان بالقوة بالفعل لأن عمر نص عليهما وارتضاها للخلافة وعمر متبع القول مرضي الفعال موفق مؤيد مطاع نافذ الحكم في حياته وبعد وفاته ، فلما قتل عثمان ارادها طلحة وحرص عليها فلولا الأ شترو قوم معه من شجعان العرب جعلوها في علي لم تصل اليه ابداً ، فلما فاتت طلحة والزبير ففتقا ذلك الفتق العظيم علي وعلي واخرجا «أم المؤمنين» معها وقصدا العراق وأثارا الفتنة وكان من حرب الجمل ما قد علم وعرف ثم كانت حرب الجمل مقدمة وتمهيداً لحرب صفين فان معاوية لم يكن ليفعل ما فعل لولا طمعه بما جرى في البصرة ثم اوهم اهل الشام ان علياً فسق بمحاربة أم المؤمنين ومحاربة المسلمين وانه قتل طلحة والزبير وهما من اهل الجنة

ومن يقتل مؤمناً من اهل الجنة فهو من اهل النار ، فهل كان الفساد المتولد في صفين الاً فرعاً للفساد الكائن يوم الجمل ، ثم نشأ من فساد صفين وضلال معاوية كل ماجرى من الفساد والقبيح في ايام بني امية ونشأت فتنة ابن الزبير فرعاً من فروع يوم الدار لان عبد الله كان يقول : ان عثمان لما ايقن بالقتل نص علي بالخلافة ولي بذلك شهود منهم مروان بن الحكم ، افلا ترى كيف تسلسلت هذه الامور فرعاً على اصل وغصناً من شجرة وجذوة من ضرام هكذا يدور بعضه على بعض وكله من الشورى في الستة واعجب من ذلك قول عمر — وقد قيل له : انك استعملت يزيد بن ابي سفيان وسعيد بن العاص ومعاوية وفلاناً وفلاناً من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وابناء الطلقاء وتركت ان تستعمل علياً والعباس والزبير وطلحة — فقال : اما علي فأنبه من ذلك وأما هؤلاء النفر من قريش فاني اخاف ان ينتشروا في البلاد فيكثروا فيها الفساد ، فمن يخاف من تأميرهم لئلا يطمعوا في الملك ويدعيه كل واحد منهم لنفسه كيف لم يخف من جعلهم ستة متساوين في الشورى مرشحين للخلافة ؟ وقد روي ان الرشيد رأى يوماً محمداً وعبد الله ابنيه يلعبان ويضحكان فسر بذلك فلما غابا عن عينه بكى فقال له الفضل بن الربيع : « ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا مقام جذل لا مقام حزن ؟ » فقال : « اما رأيت لعبهما ومودة بينهما اما والله ليتبدلن ذلك بغضاً وسيفاً وليختلس كل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب فان الملك عقيم » وكان الرشيد قد عقد لها الامر على ترتيب هذا بعد هذا فكيف من لم يرتبوا في الخلافة بل جعلوا فيها كأسنان المشط ؟ » قال عبد الحميد بن ابي الحديد : فقلت انا لجعفر هذا كله تحكيه عن محمد بن سليمان فما تقول انت فقال : اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام ^(١) »

ونحن لم ننقل هذا ونحن مؤمنون بما جاء فيه وانما لنبين للقارىء كيف كانت فلسفة التاريخ الاسلامي في ذلك القرن السابع والى أي غاية بلغت من تجري الحقائق ورجع الحوادث الى اسبابها وكان في هذا العصر خروج التتر على الشرق الادنى فاستحوذوا عليه بحروب دونها الحروب العظمى ولكن الحرية الدينية زادت زيادة عظيمة مع حرية المذهب والمذاهب فترقت الفلسفة في الشرق الادنى ، فالقآن (الخاقان) قوبلاي مثلاً ، وهو سلطان المغول ، كان يحب الحكماء والفلاسفة والعلماء والمتدينين من سائر المذاهب والامم ^(٢) وفي ذلك العصر ألف كتاب « الآداب السلطانية » المعروف بالفخري وهو مبني على فلسفة التاريخ والاصول العامة ومنه اقتبس المرحوم جرجي زيدان قواعد التأليف في التاريخ كما يظهر لكل عارف بأساليب التأليف التاريخي ، هذا ولا نرى في انفسنا حاجة الى ذكر مثال آخر لفلسفة التاريخ الاسلامي في هذا العصر لان في ما قدمنا احساباً وكفاية بالنسبة الى مواضع النشر بغداد مصطفى جواد

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

الاسرة الشيوعية

الاسرة عند الشيوعيين* تبتدىء فكرة التشيع في العلائق بين الذكر والانثى منذ ايام افلاطون ، ففي جمهوريته — وهي المدينة الفاضلة التي ذكرها افلاطون — ان السلع والنساء مشاعة في الامة ، وان المرأة يجب ان تشاطر الذكر العمل كما تشاطر الكلبة في القطيع الكلب حراسة الغنم . والمثل الاعلى الذي كان ينشده للمدينة الفاضلة السعيدة هو ان تكون جميع العلائق الشقية خاضعة لسلطة الدولة ومحصورة في اناس يتحلون ببعض الصفات من حيث اعمارهم واهليتهم في الابدان والاخلاق والعقول وهو ما يؤدي الى علم له مقام رفيع بين العلوم الاجتماعية الحاضرة وهو علم « اليوجنيكس » أو اصلاح النسل وعسى الا يستغرب القراء موقف افلاطون شيخ حكماء اليونان في شيوعية النساء ولا موقف من تابعه من متطرفي الاشتراكيين في العصر الحاضر . فان رواد الاصلاح في الشؤون الشقية كما قال (سبارجو) و (ارز)^(١) قد سلكوا في معالجة قضية المرأة والرجل واحداً من سبيلين متناقضين كل التناقض الواحد تحريم الاتصال بين الجنسين بتاتا والثاني التشيع في النساء ، ففي صدر النصرانية امتهنت المرأة وعد الزواج شرّاً مستطيراً أو وصف بأنه استسلام للطبيعة البهيمية وانهماك في الشؤون الحيوانية وان المثل الاعلى والكمال المنشود هو التبتل والرهبانية . على حين ترى طائفة (الشانكر) و (الوالدنسي) مثل (الانابابتست) و (الكالين) وغيرهم من الطوائف المسيحية ينحون نحو التشيع في النساء كأن تعقد موضوع الزواج والعيوب العالقة بجميع طرائقه المنتشرة ارغمت الباحثين على هذا التناقض في الاجتهاد ، وكان من شأن الاشتراكية المتطرفة انها حينما عالجت هذا الموضوع ايدت فكرة التشيع لاسباب بديهية تتعلق برأس المال ، فالاسرة في نظر الاشتراكية متصلة اتصالاً وثيقاً بالتملك الخاص والميراث الاهلي بحيث يصعب الفصل بينها جميعاً ، فلا غرو ان يحسب الاشتراكيون المتطرفون كل زواج فردي او كل نظام عائلي مدعاة الى الانحلال والرجوع بالبشر الى سلطة الراسمالية التي هي في نظرهم علة العلل . والحرص على

(١) Elements of Socialism p. 241.

تخصيص الخلف بمراث السلف ظاهر في يومنا هذا حتى بين القبائل التي لا تعنى بالعرض كثيراً فقد كتب الي السيد نصوح الخرسا من (الساحل الذهبي) في افريقيا الغربية عن بعض القبائل يقول « اما العرض فغير معروف عندهم واذا احب العبد احداً من البيض قدّم له اخته او غيرها من اهله وذوي قرابته الا امرأته فانه يهتم لها لكن اذا تعدى عليها احد فانه يشكوه الى الحكومة ليحصل منه على صداقها ثم يتنازل عنها ، وبسبب هذا الاسترخاء الشقي اذا مات العبد خلف جميع ثروته لابن اخته لانه ليس واثقاً ان الولد الذي ولدته امرأته هو من صلبه ، اما ابن اخته فلا شك في نسبه مطلقاً ولهذا فهو الوارث الوحيد بين الاقارب »

واضاف الاشتراكيون الى حقدّم على التملك والميراث كرههم ان يروا الحكومة تاركة للأفراد الحبل على الغارب يتزاوجون ويتوالدون من غير اشراف ولا قيد مما يعرض الجنس البشري للانحطاط بسبب تزواج المرضى والمعتوهين ، وللحروب والابوة والمجاعات بسبب تزايد النسل على وسائل المعيشة ومقومات الحياة

على ان اعلام الاشتراكية لم يحجموا عن الكيل للراسمالية الصاع بالصاع واتهامها بانها هي تنسخ الزواج وتهدم الاسرة . فالطلاق كما قال (سبارجو) و (ارنر) قد انتشر في النصرانية انتشاراً مريعاً حتى « لم يعد الزواج وضعاً اميناً مما كان على عهد رومية في القرن الخامس . ونحن اذا اضفنا الى كثرة الطلاق انتشار البغاء اضطررنا الى القول ان الزواج الموحد لا يكاد يحسب الصفة البارزة التي تتصف بها علائقنا الشقية »^(١)

ودلت الاحصاءات الرسمية التي ضبطت في الولايات المتحدة على ان عدد اذونات الطلاق بلغت في تلك البلاد في خلال عشرين سنة نهايتها سنة ١٩٠٦ زهاء ٩٤٥٦٢٥ يعني على معدل مائة وثلاثين طلاقاً في اليوم وقد وجد ان كل اربع عقود يتم الزواج فيها يفسخ واحد منها بالطلاق في كثير من الولايات ، ويمنح نحو الثلثين من اذون الطلاق للنساء بحجة الهجر والقسوة غالباً لكن هذه اعداد مصطنعة يتممها طلاب الطلاق من الجنسين سترأ للفضيحة والعار وليس في هذه الاحصاءات ما يدل على ان الغاية من الطلاق استبدال شريك بشريك آخر غالباً ، ومما يستوقف الانظار ويتطلب عناية الشرق كثيراً ان المقاضاة للحصول على الطلاق متى كانت نفقتها باهظة فلت من عزيمة طالبه وقللت من وقوعه . وهذا لعمر الحق يستحق انتباه المسؤولين في العالم العربي لانه اذا زيدت نفقات الطلاق في محاكمنا زيادة معقولة بحيث لا يجعل الطلاق ميزة يتمتع بها الاغنياء فقط فالروابط الزوجية تكون اميناً واسس البيت تكون اقوى على مقاومة الزاعز العائلية والعواصف الشقية

﴿البغاء﴾ : هو الخطر الآخر على الزواج والاسرة وان كان بعض اهل البحث قد ذهبوا الى ان البغاء الرسمي هو حصن لاهل العفاف او « صمام الامن » يفرج به الضغط الناشئ عن القوى البشرية الاندفاعية . وفي الاحصاءات التي اجريت في الولايات المتحدة في اوائل القرن العشرين ان عدد المومسات في تلك البلاد يناهز ثلاثمائة الف فيكون عدد الرجال الذين يحمونهن^(١) لا يقل عن ثلاثة ملايين ومما لا شك فيه ابدأ ان الاحوال بعد الحرب ساءت في هذا الموضوع اضعافاً مضاعفة وان هذا العدد العديد من النساء البغايا هو ضئيل جداً بالنسبة الى الوقت الحاضر وقد سمعت خطيباً مشهوراً في نيويورك في سنة ١٩٢٤ ينحو باللائمة على الحرب ويقول ان زيادة الفحش اتت الاميركيين من نزول جيوشهم في فرنسا وتعودهم عادات اهلها . ولم يحجم الاشتراكيون عن اتهم الرأسمالية بانها علة العلل في هذا المرض الاجتماعي الخبيث . ففي كتاب « الاصول الاشتراكية »^(٢) انه لا مفر لنا من الاعتراف بأن الفقر هو من اهم البواعث على بيع الاعراض ، وان نسبة النساء من اهل الاجور الزهيدة اللاء يصرن فواحش هي نسبة عظيمة جداً ، وكلما اصبحت الاسواق التجارية بالغرار بعد الدرة أو بالكساد بعد الزواج ازداد عدد البغايا ، والمحنة قوية جداً كما قال (برناردشو) على البنت الجميلة التي ترى انها اذا باعت قواها العقلية للخدمة في المكتب أو المصنع لا تربح عشر ما تربحه اذا هي باعت جمالها ففي تلك الحالة لا تحصل على غير الكفاف من العيش غالباً واما في هذه الحالة فقد تكون القصور والسيارات والبواخر والمصارف طوعاً بنائها

اضف الى ذلك ما تسببه الفاقة واكتظاظ السكان في الامكنة القذرة واختلاط البنات والصبيان في المعامل مع الاحداث والبالغين من الاسترخاء في الاخلاق والانحطاط في البنية

﴿ حملة الاشتراكية المتطرفة على الاسرة ﴾ : يقول الاشتراكيون ان حملتهم الشعواء ليست موجهة الى الزواج والاسرة بل الى سوء الاستعمال فيهما في عصر الرأسمالية فكل زواج لا يقوم على الحب بل يعقد لاجل المال او المكاة والجاه هو في نظرهم سفاح مستور مشروع يجب ابطاله مع سائر انواع الفحش . وفي البيان الشيوعي الذي اصدره (ماركس) و (انجلز) ان البغاء بأنواعه ، البغاء الخاص والبغاء العام ، البغاء المشروع وبيوت الخنا كل ذلك يتلاشى في عصر الاشتراكية وزوال سلطة الرأسمالية ، حينئذ ينشأ في العالم جيل جديد بالغ راشد مؤلف كما يقول (انجلز)^(٢) من رجال لم تسنح لهم فرصة في العمر يشترى فيها بالمال او بغيره من الوسائل الاقتصادية استسلام المرأة لشهواتهم وجيل من النساء لم تسنح لهن فرصة في العمر

(١) Elements of Socialism, p. 246.

(٢) The Family Private Property & the State, Chap. III.

يستسلمن فيها لاي رجل لسبب من الاسباب غير الحب او يرفضن هذا الاستسلام لمن يحبهن خوفاً من العواقب الاقتصادية وقصارى القول ان الاشتراكيين الاقحاح يصرون على القول انهم ليسوا اعداء الزواج ولا خصوم الاسرة بل هم اصدقاء ما تولده الرأسمالية فيهما من سوء الاستعمال

لكن الخطة التي سارت عليها حكومة السوفيت الروسية لا تدع مجالاً للشك في مذهب الشيوعية في القضية الشقية . ففي بلاد روسيا اليوم لا يوجد — امام القانون — زواج او اسرة بالمعنى المفهوم ، وان وجدنا فبقوة العادة والاستمرار ، لان المرأة التي تسجل اسمها في الحكومة انها زوجة زيد من الناس اليوم يحق لها بعد مدة معينة اذا شاءت ان تذهب الى دائرة الحكومة فتسجل اسمها انها زوجة بكر او خالد وما ينطبق على المرأة ينطبق على الرجل طبعاً ، والوجه الجديد في هذه الطريقة — وهو ما يختلف عن الطريقة القديمة المألوفة — هي المساواة التامة في الحرية والاختيار بين الرجل والمرأة

وعلاوة على ذلك فحكومة السوفيت قد فتحت مستويات عمومية في الحواضر الكبرى يؤمها الحوامل للاجهاض ، واعتبرت الاطفال بعد بلوغهم السنة الثانية من العمر ملكاً للدولة ومما هو حري بالتدوين ان هذا الانقلاب المتطرف في الافكار لم يخل من تأثير في القضاء ولو كان في بلاد محافظة كالبلاد الانكليزية . فمذ اشهر قرأنا في البرقيات العمومية حديث الاجهاض وتجاوز القاضي عن المجهض وجاء في قضية الجندي (جون بلاس) وزوجته (جندلين رسل) وحبیبها الدكتور (شارل فردريك سيرل) وهي قضية طلاق بسبب هذا الحب ظهرت في المحاكم الانكليزية في شهر مارس الماضي ان قال الماضي المستر (ماكاردي) في الرد على المحامي عن الزوج ان السيدة (بلاس) حرة يبيع القانون الانكليزي لها الخروج من المنزل متى شاءت وان المرأة المتزوجة لها اليوم مطلق الحرية في ترك زوجها متى شاءت . فلما اعترض المحامي بقوله ان القانون الانكليزي يبيع للرجل المتزوج ان يقول لزوجته « عليك ان تمسكي معي » اجابه القاضي مستنكراً « وهل تقصد ان تقول ان للزوج في الوقت الحاضر ان يغلق على زوجته باب غرفتها ويقول لها انه سيبقيها فيها ؟ انك تسعى لتعزيز الرأي القائل اذا خرجت الزوجة لمأدبة عشاء او سافرت لتمضية نهاية الاسبوع مع صديقة لها رغم ارادة زوجها فان الضرر — بالمعنى القانوني — يقع لانها لم تحصل على موافقته ورضاه ، ولكن هذا يجعل المرأة المتزوجة اسيرة واذا كان هذا رأيك فاني لا اري ما هي الحقوق التي تتمتع بها المرأة المتزوجة اليوم واذا كان البيت ملكاً للزوجة كما هو الحال في قضية السيدة

(بلاس) فلها ان تخرج منه لا الغرباء فقط بل زوجها ايضاً »

﴿ استقلال المرأة عند الاشتراكيين ﴾ : يراد باستقلال المرأة ان تحصل على رزقها بعرق جبينها خارج حلقه الأسرة الا في وقت حملها ووضعها وهو سنة كاملة يسلم الطفل في نهايتها الى روضة الاطفال ، حيث يهيأ الطعام في مطبخ عام ويتم التنظيف على ايدي اخصائيين وتعتني الممرضات والمعاملات بالاطفال منذ الشهر السادس من اعمارهم الى ان يذهبوا اما الى المدارس الكلية او الى دور العمل والصناعة ، والمطلوب ان يكون اليوم المدرسي مطابقاً لليوم العملي فيخرج الآباء والابناء من بيوتهم ويرجعون اليها في وقت واحد . والمطلوب بحسب هذا المنهاج تحرير المرأة من آتاع الأسرة وتحقيق استقلالها عن الزوج باشتغالها للحصول على الكسب وهذا كله يؤدي في آخر الامر الى الحيلولة دون اجتماع افراد الأسرة الاجتماع الكافي الذي يقوي اواصر المحبة والعطف بينهم ثم الى ابطال البيوت الخاصة والمعيشة الاجتماعية المائلية

ويحتج انصار هذا المذهب لمذهبهم ببرهانين اثنين الواحد اقتصادي والاخر بيولوجي حيوي . اما الاقتصادي فما يزعمونه من التوفير الذي يتم بالمطابخ العمومية والخدمات المشتركة واما البيولوجي فما يظنونه من ان تعليق المرأة على الرجل في حياتها وشؤون معيشتها اكسبها هذا الضعف وجعلها شبيهة بالطفيليات مما لا نجد له شبيهاً في عالم الحيوان حيث الانثى مثل الذكر تحصل على رزقها بكدها وتقوم بأود اولادها بسعيها

بيد ان الخطأ في البرهان الاقتصادي هو ان التوفير الذي طنطن به الاشتراكيون امراً مشكوك فيه كثيراً واما البرهان البيولوجي فخواه ان المرأة لا تشبه الاناث في الحيوانات فهي لا تلد الاولاد وتتركهم وشأنهم بل تستمر في تربيتهم الى ان يعتمدوا على النفس وهذا ما يحتم عليها الالتجاء الى الرجل وطلب معونته

واذا كانت ثمة امرأة لم تخلق للزوجية والامومة فليس من الضروري كما قال الاستاذ (بايندر) ان تنزل الى ميدان الصراع العملي بل هنالك بعض صفات في مثل هذه المرأة يعزها المجتمع ويحتاج اليها وهي صفات لا تثنى بالمال . واذا ارادت سيدة من اهل المواهب ان تجرب مواهبها فلا بأس ان تطرق انواع الابواب التي فتحت امامها في العصر الحاضر ، فالآنسة (هرشل) والسيدة (سمرقيل) و (كونستانس) و (نادن) و (صوفيا كوالفسكي) هن في الرياضيات مثل (مدام كوري) في الطبيعيات وغيرها وغيرها في التاريخ والادب والفن والتعليم آيات محكمات

على ان مسألة النساء اللاء خلقن للزوجية والامومة وهن الاكثرية العظمى يجب ان تسوّى^(١) (اولاً) بتقدير الامومة قدرها وطبع كلام الاستاذ (بايندر) في الازدهان وهو اذا كان المطلوب حفظ القوم وان يتمتعوا باسباب التقدم ، واذا كانت تنمية الشخصية هي الغاية الكبرى في الحياة ، واذا كانت هذه الغاية لا تتحقق الا في الاسرة فالام هي الفرد اللازم في المجتمع وذلك لانها تحلى العالم بمنحة فادرة وعطية سنوية مؤلفة من العناصر العامة على هيئة خاصة من الجمال النادر . (ثانياً) باهمال ذاك البحث السخيف عن أيهما اعظم شأنًا المرأة ام الرجل وما يجر هذا البحث المبني على النظريات البالية من استياء فضليات النساء ، فالمرأة والرجل عنصران يتمم الواحد منهما الآخر في تكوين المجتمع كما يتم الهيدروجين والاكسجين في تأليف الماء ولا يوجد كيمائي مهمما كان سخيفاً يصرف قواه العقلية في المفاضلة بين هذين العنصرين . واذا كان الرجل رأس البيت فالمرأة قلبه ومن المحال ان يعيش مخلوق من غير هذين العنصرين الجوهرين (ثالثاً) بتنظيم الموارد المالية تنظيمًا يسمح للزوجة ان تنال قسطاً من ارباح زوجها كافياً . وغير نكير انها في بعض الاحيان تستولى على جميع موارده او انها لا تنال شيئاً الا اذا هو تفضل عليها وتكرم بما يعده منحة ، وهاتان طريقتان فاسدتان لان الرجل الذي يعيش (بخرجية) من زوجته لا يكتسب احترامها كثيراً والمرأة التي تعيش بالمنحة من زوجها ولا تستأمن على شيء هي كالطفل في نظره (رابعاً) بتزويد المرأة بالتربية العلمية التي تؤهلها للاستقلال الاقتصادي قبل زواجها حتى لا تكون عبئاً على اهلها ولا تتوقع بسبب الحاجة على كل خطيب صادفته ، وللامومة بعد الزواج حتى تؤدي الامانة التي خلقت لها في الدرجة الاولى

ويسرني ان انهي هذا المقال عن قضية المرأة والرجل بما ذهبت اليه السيدة (الن كي) وهي من اشهر من كتب في هذا الموضوع ، فقد ذهبت الى وجوب حصر الاعمال النسوية في منطقة معينة تنطبق كثيراً على روح كلامنا فهي تريد المرأة ان تنصرف بكليتها الى خدمة الحياة العائلية ولا تكتفي فقط بالرضى بقله الخدم والحشم بل ان تطردهم من عندها لتوقف نفسها على خدمة ابنائها واقرب الناس اليها وان تكون الامومة قطب الدائرة في حياتها وان ينحصر عملها فيما ينمي ابناءها ويكسبهم قابلية وهكذا تصبح شخصية سامية ذات قوة ونفوذ باحترافها اهم حرفة اجتماعية تمارسها بالفهم والنباهة ، وتكون قد زودت العالم باهم ما يحتاج اليه — زودته بالرجال والنساء الاصحاء النافذين الذين لا يعتمدون على شيء سوى انفسهم



العوامل الوراثية والغدد الصماء

للكرنور شريف عسيران



— ٢ —

﴿ الغدة الصعترية ﴾ — مركزها في الصدر وراء عظم الفص وتمتد الى الرقبة طولها مقدار خمس سنتيمترات وعرضها مقدار ٣,٧٥ سنتيمتر وهي لا تبقى بعد السنة الثانية من العمر ثم تضمر وتضمحل ووظيفتها الحقيقية غير معلومة وقد نسبوا اليها تأثيراً في نمو الجسم بوجه خاص في نمو العظام ولكن ذلك لم يتحقق بعد

﴿ الغدتان اللتان فوق الكليتين ﴾ — مركزها امام القسم الاعلى من الكلية لونهما اصفر وطول الواحدة منهما مقدار ٤ — ٥ سنتيمترات ووزنها مقدار ست غرامات وهما مؤلفتان من طبقتين الطبقة النخاعية والطبقة القشرية ولكل طبقة افراز خاص ووظيفة خاصة ولهما تأثير عظيم في حياة الشخص واستئصالهما يؤدي الى الموت. فالطبقة النخاعية تفرز مادة تسمى الادرنالين او اينفرين ذات خواص مهمة في تنظيم حركة الجسم فالادرنالين يقوي ضربات القلب ويقلص الاوعية الدموية ولهذا يستعملونه كثيراً في نزف الدم وحين هبوط القلب اثر البنج او خلافه وقد عزاوا اليه تأثيراً فعلاً في عواطفنا حينما يغضب المرء او يخاف يكثر افرازه فتشتد ضربات القلب ويزداد ارسال الدم الذي هو القوة المسعفة فيستعد المرء ان يحارب او ينهزم ويستمد قوة من زيادة الدم والادرنالين يدفع الكبد في حالات كهذه الى امداد الجسم بالكليكوجين المخزون فيه ليجز القوة اللازمة وحينما يتعب الانسان يزداد افراز الادرنالين وازدياده يحمل الكبد على زيادة تجهيز الكليكوجين الذي هو مصدر القوة. ولم تتحقق العلاقة بين افرازه والعواطف كالغضب والخوف والحرارة والبرودة فان الانسان حين يخجل يحمر وجهه بسبب ازدياد الدم وقد نسبوا هذا التأثير الى الادرنالين والادرنالين يستعمل كثيراً في الطب لنزف الدم ومع البنج الموضعي وفي احوال كثيرة لا مجال لذكرها

وقد نسبوا الى الافراز القشري تأثيراً كبيراً في صفات الجنس الثانوية كنمو الشعر ونوع الصوت ويزعم بعض العلماء ان خلل هذا الافراز يؤدي الى تغيير الجنس فيقلب الذكر انثى والانثى ذكراً وينسبون نمو الشعر والشوارب واللحية في بعض النساء الى نقص هذا الافراز ويقولون ان خلله يؤدي ايضاً الى سرعة نضوج اعضاء التناسل فيجعل اعضاء تناسل الاولاد

الذين هم بين سن ٤-٦ من العمر يكتمل نموها. واغرب من ذكر من هذا القبيل توماس هول Thomas Hall الذي ولد بولنهام قرب كبرج بانكتراسنة ١٧٤١ ومات وعليه امارات الشيخوخة سنة ١٧٤٧ مع انه لم يكمل يبلغ السادسة من عمره اصلع الرأس مجعد الوجه وقد كتب على قبره الكتابة الآتية « قف ايها السائح وتعجب واعلم ان هنا مدفون رفات توماس ابن توماس ومرغريت هول الذي بلغ الرجولة قبل السنة الاولى من العمر وكان طوله اربع اقدام قبل ان يصير عمره ثلاث سنوات وقد خص بقوة خارقة وتناسب باعضائه وصوت رنان ومات بسن السادسة كانه شيخ هرم » ويعزون هذا النضوج قبل الاوان الى الغدة الصنوبرية ايضاً

﴿ الغدة النخمية ﴾ — مركزها في قاعدة الدماغ وطولها بضعة مليمترات ووزنها مقدار ستين سنتغراماً وهي مؤلفة من فصين الفص الامامي والفص الخلفي ورغمما عن صغر حجمها ووزنها فان لها سيطرة عظيمة على الجسم ولكل من فصيها تأثير خاص فافراز الفص الخلفي يدعى البتوترين Pituitrin ولهذا الافراز خواص مهمة منها رفع الضغط الدموي وزيادة قوة عضلات الجسم خاصة اعضاء الهضم والتناسل وهو يستعمل بسبب هذه الخواص لتوقيف نزف الدم من الرحم ولاسراع الولادة لانه محرك لعضلات الرحم فيزيد تقلصها وقوتها ويستعمل ايضاً حين شلل الامعاء. والخواص التي ذكرناها تجعله مدرّاً للحليب والبول وهو يستعمل كثيراً في الطب حقناً تحت الجلد أو بشكل حب. اما افراز الفص الامامي فلم يستحضر بعد ولكن تأثيره في الجسم عظيم وقد وجدوا ان هناك علاقة بين انواع الغدد الصماء خاصة الغدة الدرقية والتي فوق الكلية وغدد التناسل ولم يتوصلوا بعد الى معرفة كنه تلك العلاقة فكما ان الغدة الدرقية والغدتان اللتان فوق الكلية تؤثران في نمو الجسم هكذا يفعل افراز الفص الامامي من هذه الغدة . فهذا الافراز يؤثر تأثيراً بيناً في نمو الجسم والتحولات الغذائية فاذا كان ناقصاً فان الجسم لا ينمو خاصة اعضاء التناسل وينشأ ما يسمونه الطفالة Infantilism اي بقاء الجسم في حالة الطفولة الى ما بعد البلوغ ويتأخر نمو الفرد جسداً وعقلاً ويرافق هذا النقص تراكم المواد الدهنية الذي يؤول الى السمن وكثيراً ما نرى انساناً قصار القامة ضعيفي النمو متضخمين سمناً وسبب هذه العلة نقص في خلاصة هذه الغدة . وقد جاء في عدد نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٢ من مجلة العلم العام أنهم اجروا تجارب على الصلع في كلية الطب بجامعة الينوي باميركا فوجدوا ان كثيراً من حوادث الصلع ناشئة عن نقص هذه الغدة وقد حققوا رجلاً مصاباً بهذه العلة من سنة ١٩١٤ فما شعره في اربعة اسابيع وقد ذكرت عدة حوادث لهذا الداء شفيت باستعمال حقن خلاصة هذه الغدة يومياً لعدة ايام وقد ذكر كاتب المقال المذكور شفاء عدة اشخاص مصابين بداء الصلع شفيوا باستعمال خلاصة افراز الغدة النخمية وزيادة افراز الفص الامامي من هذه الغدة يؤول الى المرض المعروف بالضخامة فاذا

حدث الافراط بالافراز قبل تعظم العظام اي في سن الحداثة يدعى Gigantism وحصوله بعد ذلك يدعى Acromegaly فتتضخم العظام خاصة اطراف تضخماً هائلاً وتطول القامة طولاً كثيراً واشهر ابطال هذا النوع من التضخم الناشئ عن هذه العلة تشارلس بيرن Charles Byrne الارلندي فان هيكله العظمي معروض في معرض كلية الجراحين الملكية بلندن وقد ذكر السر ارثر كيت العالم الانكليزي المشهور ان طوله ٧ اقدام و ٨ ٤ البوصة وكان طوله في حياته ثماني اقدام وبوصتين . وقد حقنوا الجرذان بخلاصة هذه الغدة فنمت ضعف حجمها الاعتيادي

﴿ الغدة الصنوبرية ﴾ — ومركزها في قاعدة الدماغ ووظيفتها غير معلومة ويقولون انها كانت فيما مضى عيناً ثالثة في الحيوانات البرمائية (الامفيلية) ويوجد في زيلاندا الجديدة حرذون لا يزال حياً وله عين ثالثة في أعلى رأسه وقد نسبوا اليها تأثيراً في السيطرة على نمو اعضاء التناسل ففقدانها يجعل اعضاء التناسل تنمو بسرعة هائلة فتبلغ في الطفل الصغير حجم البالغ او ما يزيد عن ذلك ولم تحقق الاختبارات هذه النظرية

﴿ الغدة المشتركة ﴾ — الغدة المشتركة هي التي تفرز نوعين من الافراز خارجياً وداخلياً فالخصيتان والمبيضان يفرزان الحيوانات المنوية والبيضات وقد بحثنا عنها مفصلاً ويفرزان علاوة عن ذلك افرازاً داخلياً يذهب الى الدم رأساً ويؤثر تأثيراً محسوساً في نشوء صفات الجنس الثانوية وقدمر ذكرها. فلو زعنا من ذكر صغير اعضاءه التناسلية لم تظهر فيه صفات الذكورة الثانوية وكذلك اذا استئصلنا اعضاء الانثى التناسلية لم تظهر صفات الانوثة الثانوية وقد وجدوا في الحيوانات امراً غريباً وهو اننا اذا استأصلنا من انثى صغيرة جداً اعضاءها التناسلية لم تظهر فيها صفات الانوثة الثانوية بل تظهر فيما بعد صفات الذكورة والعكس بالعكس. وقد استنتجوا من ذلك انه لا يوجد حد فاصل بين الذكورة والانوثة كما يوجد فاصل بين الابيض والاسود وسنة ١٩٧٤ احاكموا ديكاً في بلدة بال بسويسرا لانه باض بيضة فنسبوا اليه السحر وحرقوه في الساحة العامة وقد تمكن الدكتور Dr. Michael F. Guyee استاذ علم الحيوان بجامعة وسكنسن من ان يجعل الديك يبيض بيضة باستعمال طرق اصطناعية وكذلك جعل اسكار ردل من معهد كارنيجي ذكر حمام يبيض بيضة . وقد استندا في عملهما الى الحقيقة الآتية ان جانباً صغيراً من الغدة التناسلية في ذكر العصفير انثى اي فيه خاصية من خواص الانثى ويكون عادة موجوداً بصورة غير فعالة فاذا استئصلنا معظم غدة الذكر التناسلية تلاشت صفات الذكورة ثم ينمو هذا الجزء اليسير من الانوثة ويجعل الذكر انثى والعكس بالعكس وبهذه الطريقة تمكن العلماء ان يجعلوا الديك يبيض بيضة وقد يحصل هذا المظهر بصورة طبيعية اي يضمن معظم غدة الذكر او الانثى التناسلية وينمو الجزء اليسير

المعاكس لتلك الصفة فينقلب الذكر انثى والانثى ذكراً ويسمى ذلك الانقلاب الجنسي الكامل ويقولون ان صفات الانوثة والذكورة درجات مختلفة تتراوح بين الزيادة والنقصان فتكون في بعض الافراد اكثر من مائة في المائة وفي آخرين اقل ولهذا نرى بعض الاشخاص متناهين في الانوثة او الذكورة ونشاهد عكس ذلك في غيرهم فكم من اناث يشبهن الرجال بصوتهن ونمو شعرهن الى غير ذلك وكم ذكور يشبهون الاناث ويعزى ذلك الى زيادة او نقص صفات الانوثة او الذكورة في اشخاص كهؤلاء

ان افرازات اعضاء التناسل الداخلية تؤثر في نمو الجسم والعقل فاستئصالها في الصغر يؤول الى تأخرها وقد عزوا اليها قوة الانسان ونشاطه وبلوغه الشيخوخة وعلى هذا المبدأ جروا في تجديد الشباب فادعوا ان تلقيح الشيخ بغدة شاب يعيد اليه شبابه وقواه العقلية ويطيل حياته واستعملوا لذلك غدد الشمبازي وهناك طريقتان الاولى عملية شتيناخ النمساوي وهي ان يربط القناة المنوية فينقطع الافراز الخارجي ويتقوى الافراز الداخلي فيعيد الى المرء قواه ونشاطه . والدكتور فرونوف الروسي يلحق القرد بغدة حيوان آخر بعد ان يستأصل الغدة الهرمة واكثر غدد الحيوانات استعمالاً غدد الشمبازي . فعمليات كهذه تعيد الى المرء بعض قواه الحيوية وتجدد نشاطه بعض التجديد ولقد بالغوا في تأثيرها مبالغه جعلتنا نحلم بالشباب الدائم بواسطة هذه العمليات ونعتقد اننا صرنا بمأمن من غائلة الشيخوخة ومما لا شك فيه ان لهذه الغدد تأثيراً كبيراً في شخصية الفرد وقد اثبتنا ما هو محقق علمياً ولم نقسح مجالاً للمبالغات المبنية على الدعاية والغايات التجارية ولا تزال الاسرار تحيط بهذه الغدد ولا بد ان يكشفها العلم غداً او بعد غد وعلينا ان لا نعول الا على الحقائق العملية المدعمة بالتجارب وقد نسبوا اختلاف اصناف البشر الى اختلاف افرازات هذه الغدد كما نسبوا اليها الشيء الكثير مما لا حاجة الى ذكره

بقي علينا غدة واحدة لم نذكرها وهي ان البنكرياس ومركزها خلف المعدة وهي التي تفرز العصارات الهضمية الى الامعاء الدقيقة وتفرز افرازاً داخلياً اسمه الانسولين اكتشفه الكنديان بانتنغ ومكليود سنة ١٩٢٧ ويعالجون به البول السكري وهو لا يشفيه الشفاء التام بل يكون المريض في مأمن منه طالما هو يستعمل الانسولين

ان العوامل الوراثية هي الاصل في منشأ هذه الغدد فاختلف باختلاف العوامل ولكن العوامل تؤثر تأثيرها بواسطة افرازات هذه الغدد والفرق بين العوامل والافرازات الداخلية ان الاولى تحدث تأثيرها في ادوار الحياة الاولى والثانية في ادوار الحياة المتأخرة وهي الوسيط بين العوامل الوراثية وكثير من الصفات الناشئة عنها

الكوميديا الالهية

نشأتها وتطورها — الموازنة بين رؤيا يوحنا — ورحلة رع

الكوميديا الالهية عَلمٌ على القصة الشعرية الخالدة التي نظمها دانتي عن رحلة تخيل انه رحلها في العالم الثاني وقد اخترت هذا الاسم عنواناً لهذا المقال لطرافته ومطابقته لموضوعه لست أريد البحث في القصص التي تناول فيها كتابها وصف العالم الثاني من حيث ما فيها من ابداع في الوصف وقوة في التخيل ومتانة في الاسلوب وانما لي وجهة أخرى هي التحري عن أصل فكرة الخروج الى العالم الثاني ووصفه والبحث عن منشأ هذا الخيال

سبق دانتي كثيرون من مواطنيه الى الموضوع ويظن انه أخذ عنهم الفكرة لكن يزعم بعض كتاب العرب ويشايهم على ذلك فئة من المستشرقين ان مبدع هذا الخيال هو ابوالعلاء بما جاء في رسالته الغفران من ذكر احوال العالم الثاني ووصف الجنة والنار ثم انتقلت الفكرة الى اوربا بعد ما احتك الافرنج بالمسلمين في الحروب الصليبية وترجموا علومهم وفلسفتهم الى لغاتهم حيث تأثر بها دانتي وغيره من كتاب الافرنج. لكن هذا الرأي ضعيف فانك لا تجد بين رؤيا دانتي ورسالة الغفران وجهاً للشبه الا في الموضوع اما في السياق فهما جد مختلفين فأبو العلاء يصف العالم الثاني على لسان صاحب له ويذكر مباحثته لأهل هذا العالم من الكتاب والشعراء المتقدمين في الأدب ونحوه وجل قصده من ذلك السخرية بهم ولم يعرض لأحوالهم من حيث ما هم فيه من شقاء او نعيم الا بالقدر الذي ينسجم مع هذا القصد. انظر حديثه مع الخنساء كيف يقول أنها أحبت ان تنظر الى أخيها صخر فاذا هو في الجحيم كالجبل الشامخ والنار تضطرم في رأسه فيقول لها اخوها اذ يراها لقد صح من عمك في مشيراً الى قولها من قصيدة في رثائه :
وان صخرًا لتأتم الهداة به كأنه عَلمٌ في رأسه نار

وغاية ابوالعلاء ان يوكس من شاعرية الخنساء بهذا البيت فصور لها أخاها بالهيئة التي تصفها كيف يكون اما دانتي فيصف في سياق رؤيا تخيل انه رآها رحلة له في العالم الثاني واسهب في ذكر احوال اهله وما هم فيه من عذاب او نعيم وتناول في احاديثه معهم شتى المسائل من دينية وفلسفية واجتماعية التي كانت تشغل اهل زمانه وكشف في كل مسألة عن رأيه وكان هو من دعاة الإصلاح يدين بآراء حرة نفي بسببها من وطنه فلورنسا

وتم خلاف آخر بين رسالة الغفران ورؤيا دانتي ذلك ان رسالة الغفران تتناول الماضي اما رؤيا دانتي فهي تستغرق من الزمن أسبوعاً ابتداءً من اليوم الثامن من ابريل سنة ١٣٠٠ فما

وقع قبل هذا التاريخ فهو من الماضي وما وقع بعده فهو من الغيب وهو يروي كنبوءة عن المستقبل وعلى هذا يكون القول بان دانتي أخذ فكرة الكوميديا الالهية عن ابي العلاء غير قائم على سند قوي. وفي ظني ان دانتي انما اخذ الفكرة لرؤياه عن سفر الرؤيا وهو الكتاب المنسوب الى الرسول يوحنا صاحب الانجيل المسمى باسمه. ووجوه الشبه بينهما التي تؤيد ذلك كثيرة فالأول ان كليهما رؤيا وثانياً ان لكل من الكاتبين دليلين في رحلته يقودانه ويفسران له ما يراه واحد للعالم السفلي والآخر للعالم العلوي فليوحنا قبل عروجه الى السماء دليل يصفه بأنه شبه ابن انسان ولدانتي فرجيل وليوحنا دليل في السماء من الملائكة ولدانتي بياريس وهي فتاة كان الشاعر يحبها ثم ماتت قبل ان يتزوجها فحزن عليها وخلدها في قصائده وجعل مقرها السماء. وثالثاً ان رؤيا يوحنا تتناول زمنين الماضي والمستقبل فما قاله شبه ابن الانسان يتعلق بالماضي وما سمعه من الملك في السماء يتناول المستقبل وقد تقدم ان رؤيا دانتي هي كذلك تتناول زمنين هذه هي الاوجه التي تجعلني اظن ان دانتي قد نسج رؤياه على منوال رؤيا يوحنا ثم اني أحسب ايضاً ان غير دانتي من كتاب الافرنج الذين نحوا هذا النحو واما العلاء وسواه من كتاب العرب الذين عرضوا لوصف الجنة والنار فيما حاكوا من قصص حول حديث المعراج قد تأثروا بهذا السفر كذلك على ان المجال لا يتسع الآن لعمل موازنة تثبت ذلك

لكن سفر الرؤيا ليس اقدم كتاب في موضوعه ولا ما يتضمنه من خيال اول خيال من نوعه فقد كان عند اسلافنا الاقدمين قبل يوحنا بآلاف السنين رحلة لرع اله الشمس كانوا يعرفونها باسم (آم دوات) اي ما يرى في العالم الثاني اذ كانت عقيدتهم ان السماء مرتكزة على جبلين احدهما غربي اسمه مانو والاخر شرقي اسمه باخو وان بها نهراً يخرقها من المغرب الى المشرق خلق صنواً لنهر النيل يوم خلقت الدنيا أعد لتجري عليه سفينة رع اله الشمس في رحلتها اليومية في عالم الظلمات. وهذا العالم ينقسم الى اثني عشر منطقة بعدد ساعات الليل من وقت غروب الشمس الى شروقها. لكل منطقة باب عليه حارس لا يأذن لاحد باجتيازه الا لمن يعرف اسمه. واخبار هذه الرحلة وما يتعلق بها من مناظر وأسماء سدنة الابواب منقوشة على جدران مقبرة سيتي الاول مساعدة للميت على اجتياز هذه المفازة الوعرة ومما هو جدير بالملاحظة وهو مثار للدهشة ان سفر الرؤيا يشتمل على كثير من مشاهد هذه الرحلة كما ستبين ذلك بعد من الموازنة بينهما

(١٠٠) رؤيا يوحنا ورحلة رع (١٠١)

يقول صاحب الرؤيا في الاصحاح الرابع «ولوقت صرت في الروح واذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس وكان الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد»، والعرش بهذا الوصف كثير الشبه بسفينة رع فكلاهما عليه جالس وكلاهما له زينة

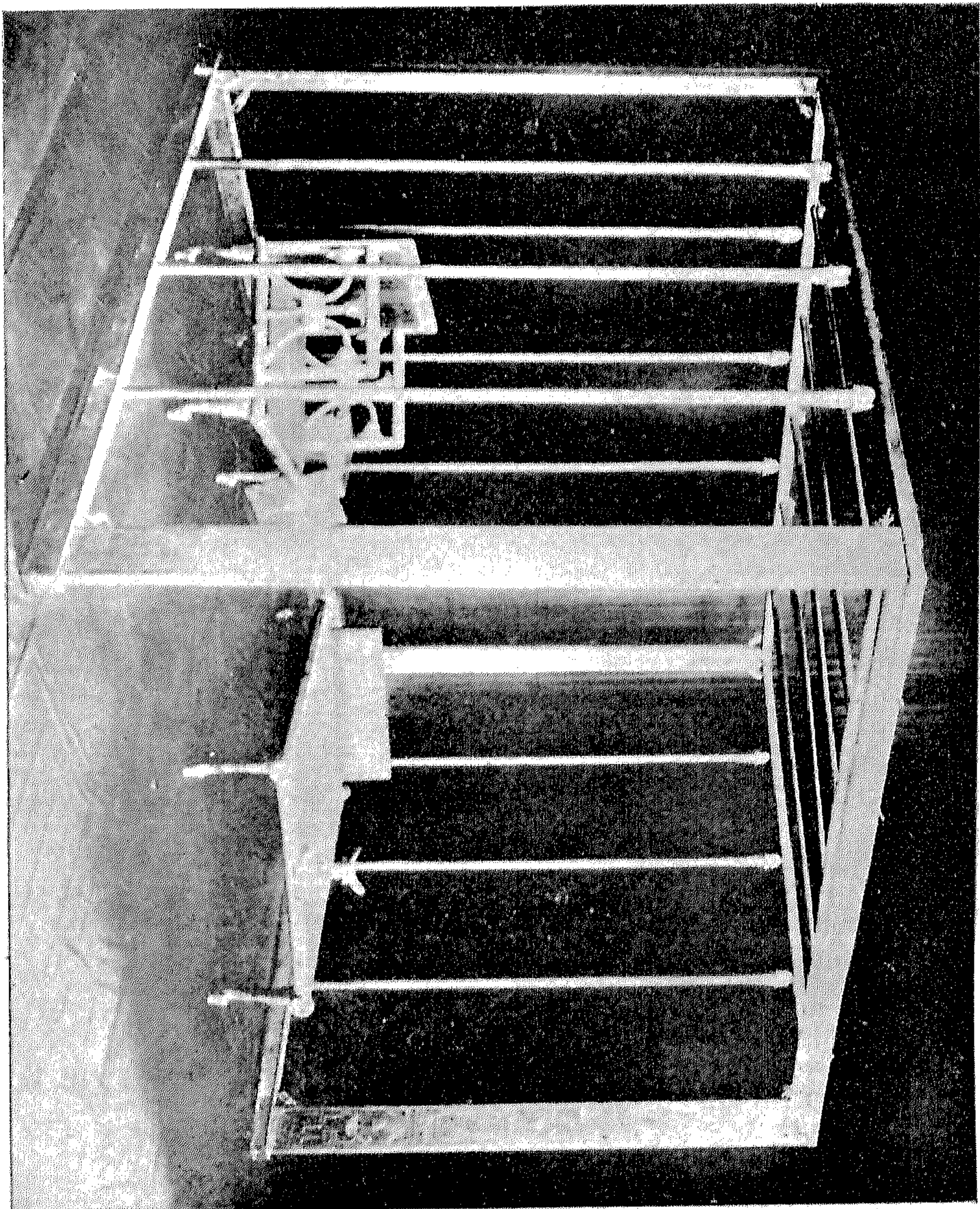
حوله من خطوط مختلفة ألوانها فقد جاء في وصف السفينة أنها مزينة من الخارج في خطوط أفقية بألوان الجمشت وهو حجر كريم لونه بنفسجي والزمرد لونه أخضر مائل إلى الزرقة واليشب لونه أخضر لامع واللازورد وهو أزرق والذهب وهو أصفر ويتألف من مجموع هذه الألوان ما يشبه قوس قزح . والسفينة رمز لقرص الشمس والألوان حولها تمثل الشفق وكان الأقدمون يضعونها في معابد أمون رع في قدس الأقداس ويتوجهون إليها بالعبادة . وأغلب الظن أن عادة وضع الزوارق في المساجد وأضرحة الأولياء هي بقية من عقائد الجذود لم يحجبها كرسنين ولا تغير الدين لاسيما وأن أحدها وهو الموجود في مسجد أبي الحجاج الأقصري القائم على أطلال معبد أمون له سمعة سفينة رع بما يغشاها من ألوان ويقول صاحب الرؤيا بعد ذلك في الأصحاح نفسه « وإمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله وقدام العرش بحر زجاج شبه البلور وفي وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء والحيوان الأول شبه أسد والحيوان الثاني شبه عجل والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر وفي الأسطورة شيء يقرب من هذا كثيراً وذلك في سياق وصف المنطقة السادسة المسماة منطقة المياه التي لا قرار لها حيث جاء فيه « وهناك أي على شاطئ النهر ثلاثة عروش تحرسها ثلاث حيات يندلع من أفواهها لهيب نار وعلى العروش صور غريبة لن يصل الناس إلى إدراك كنهها : على أحدها رأس إنسان وعلى الثاني جناح طائر وعلى الثالث كف سبع وفي الأصحاح الثالث عشر يقول صاحب الرؤيا « ثم وقفت على رمل البحر فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى قرونيه عشرة تيجان وعلى رؤوسه اسم تجديف » وفي الفقرة العاشرة من هذا الأصحاح « وأعطى أي الوحش أن يعطي روحاً لصورة الوحش » في المنطقة السادسة الآنف الذكر نظير لهذا الوحش واليك ما جاء في الأسطورة عنه : « هنا تعيش الحية العظيمة ذات الخمسة رؤوس وبين مطاويها يقف خافي رع إله البعث وعلى رأسه التاج وتحت قوائمه علامة الحياة التي تخول له أن يبعث الموتى وهو سوف يبعث رع ويرد إليه الحياة » لا خلاف بين الروايتين إلا في الأسماء فما يسميه يوحنا اسم تجديف وهذا اللفظ يكتني به عند المسيحيين عما يعبد من دون الله هو في الأسطورة خافي رع وما يسميه صورة الوحش هو رع ويقول صاحب الرؤيا في الأصحاح الحادي والعشرين « وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبداء الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت » . وفي المنطقة الخامسة من الدوات المسماة الخبيثة بحيرة كهذه ماؤها حميم دائماً الغليان أعدت لأعداء رع والخازن عليها صل مجنح له ثلاثة رؤوس وبين أجنحته يقف سقر Sokar وهو في هيئة رجل له رأس صقر وهو الذي يتولى تعذيب الخطاة . واني أرى بهذه المناسبة من مشابهة لفظة سقر العربية وهي علم على جهنم لاسم خازن النار في اعتقاد

الاقدمين على ما بينهما من علاقة معنوية ما يحدو الى الظن بان اصل اللفظ العربي هو ذلك الاسم المصري ويقول صاحب الرؤيا في الاصحاح العشرين « ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو ابليس . والشيطان وقيدهُ الف سنة وطرحهُ في الهاوية واغاق عليه وختم عليه لكي لا يضل الامم في ما بعد حتى تتم الالف السنة وبعد ذلك لا بد ان يحل زماناً يسيراً »

وفي الاسطورة حديث كهذا في سياق الكلام عن المنطقة السابعة المسماة الحفرة السرية حيث تقول : « يعيش في هذه المنطقة أيبب يلقي فيها الرعب ويملاها بالخوف . وهو تنين عظيم هائل فاغر فاه ليشرب ماء النهر حتى تتحطم السفينة ويهلك رع فتسود من ثم على الارض قوات الظلام ويتقلص ظل الآلهة امام شوكة الخطية . على انه لا خوف على السفينة فان ايزيس الربة العظيمة محيية الموتى التي يدين لها الناس بالحب والعبادة واقفة في مقدمها باسطة ذراعها تتمم بكلمات القدرة يعيش أيبب على شاطئ رملي في وسط النهر يزجر فيرج الدوات بصوته الا ان ايزيس التي لا يعرف الرعب الى قلبها سبيلاً تظل رابطة الجأش تعزم وتشير بيديها اشاراتها السحرية فيجمد التنين في مكانه ويعجز عن الحركة . عندئذ يهبط عليه من السفينة سلك وحرد سيف فيوثقانه بالحبال ويشخانه بالمدى وفي هذه الفترة بينما هو يتلوى على الرمال في قيوده تتابع السفينة سيرها في امان حتى اذا جاوزت السفينة هذه المنطقة عاد أيبب الى سابق شأنه ووقف لها بالمرصاد ليهاجمها كدأبه فيفعل به سلك وحرد سيف ما فعلاه من قبل لان أيبب خالد لا يهلك بالمدى او يضار »

لا خلاف بين الروايتين الا ما يقتضيه اختلاف العقائد من اختلاف الاسماء والسياق اما الجوهر فواحد فكلاهما يحدث عن حية قديمة والمراد هنا بالقدم الخلود يخشى منها على العالم ان تضله فتعتقل فترة من الزمن ثم تحل بعد ذلك . وفي الاصحاح الثاني عشر يقول صاحب الرؤيا « وظهرت آية اخرى في السماء هو ذا تنين عظيم احمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان وذنبه يحمر ثلث نجوم السماء » . لهذا التنين نظير في المنطقة الحادية عشر المسماة فوهة الكهف وتحدث الاسطورة عنه فتقول : « هناك على الجانب الاقصى من النهر النجوم و«شيدو» بينها وهو في هيئة افعى قرمزية ارجوانية يتألف بدنها من عشرة نجوم »

ويقول صاحب الرؤيا في الاصحاح الحادي والعشرين « وذهب بي — اي الملك — الى جبل عظيم عال وأراني المدينة العظيمة اورشليم المقدسة نازلة من عند الله ولمعانها شبه اكرم حجر كحجر يشب باللوري » ثم يزيدنا عنها بياناً بقوله « وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم الاساس الاول يشب الثاني ياقوت ازرق الثالث عقيق ابيض الرابع زمرد ذبابي الخامس جزع عقيقي السادس عقيق احمر السابع زبرجد الثامن زمرد سلقى التاسع ياقوت اصفر العاشر عقيق اخضر الحادي عشر اسمانجوني الثاني عشر جهشت »



اثاث غرفة نوم للمملكة هتب حرس والدة خوفو باني الهرم الكبير اهداها اليها الملك سنقرو وذلك من
يوليو ١٩٣٢ نحو خمسة آلاف سنة اكتشف هذه الآثار ورعها الاستاذ ريسنر الامير كي صفحة ٢٠٥

تشبه هذه المدينة في زينتها وفي كونها تنزل من السماء عند جبل عال سفينة رع لدى مطلعها في الافق من المشرق عند جبل باخو وهي مزدانة بأبهى الالوان تتلألأ بالانوار ثم يقول الرسول بعد ذلك « والمدينة لا تحتاج الى الشمس ولا الى القمر ليضيئها لان مجد الله قد انارها » ويقول ايضاً « وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً « هوذا مسكن الله مع الناس وهو يسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم الها لهم » هذا الوصف لا ينطبق على شيء انطبقه على سفينة رع فانها بحسب اعتقاد الاقدمين مسكن آله الشمس وهو الذي ينيرها ومتى تظهر في الافق يصبح الاله مع الناس فترتفع من الارض الاصوات بتحيته وتلهج السن الخلق بتمجيده

يخلص لنا مما تقدم ان رحلة رع هي اقدم ما كتب في وصف العالم الثاني في سياق رحلة. وقد رأينا من وجوه الشبه بينها وبين رؤيا يوحنا ما يحمل على الظن بأن يوحنا كان يعرفها وتأثر بها. ولكي تتم الفائدة سأجزيء من سيرة الرسول يوحنا بنبذة تبين كيف تهيأ له ان يعرف اساطير الاولين يوحنا احد الحواريين اتخذ افسس مقراً له وهي بلدة بآسيا الصغرى وانشأ يبشر بالدين الجديد في تلك البلاد وكانت تابعة لرومية فلما نما خبره الى الامبراطور وهو اذ ذاك دوميتيانوس وكان وثنيًا ينطوي على اشد العداء للدين الجديد امر بنفيه في سنة ٩٥ للميلاد الى رومية ثم الى جزيرة بطمس حيث كتب الرؤيا. وقد قضى في النفي نحو سنتين لان دوميتيانوس قتل في سنة ٩٦ فعاد يوحنا في السنة التالية الى افسس حين كتب انجيله ورسائله. ومما هو جدير بالنظر انه في زمن هذا الامبراطور شيدت في العاصمة الرومانية المعابد لاوزيريس وكان يعرفه الرومان باسم سيرابيس والالهة ايزيس وهما من آلهة المصريين اذ يحدو ذلك الى الظن بأن الديانة المصرية كانت راسخة البنيان في تلك البلاد ويكون من المحتمل اذن ان يوحنا وهو في منفاه في ديار الوثنية قد ألم بطرف من اساطير الاولين ووقف على آرائهم في العالم الثاني فكتب رؤياه وهو متأثر بخيالهم وافكارهم فخالطها شيء من ذلك كما رأينا ولما انتشرت المسيحية وبلغت الكنيسة الذروة من السلطان في القرون الوسطى تأثرت الفنون والآداب بالدين واصطبغت بصبغته اذ أنشأ الكتاب ورجال الفن منقادين بعاطفتهم الدينية او متزلفين لرجال الدين يستوحون القصص الدينية ويلتمسون منها مادة لهم. ومن المواضيع التي استرعت انتباه الادباء وحفزت خيالهم وصف العالم الثاني الذي جاء به سفر الرؤيا فاخذوا يحاكونه وينسجون على منواله. ومن ثم أصبحت الكتابة في هذا الموضوع عملاً فنيًا لا يمت الى الدين بسبب

وبعد فهل ينصف الادباء حين يعرضون لدانتي أو غيره من كتاب الكوميديا الالهية فيذكرون مصر وقد ثبت انها هي التي ابتدعت هذا الخيال ويعرفون لها فضل المتقدم؟ انا لارجو ذلك وما هو بعزير عليهم متى تجردوا من الغرض وكانوا كراماً

ناشد سيفين

مجلد ٨١

(٢٧)

جزء ٢

مدينة الاحلام

للدكتور ناجي

- ١ -

في صباح يوم من ايام الشتاء كانت حارة علام بقرب شارع محمد علي قدرة مترا كمة الاو حال وكان البقال عبد الدايم يفتح حانوته وبائعة اللبن تقرر باب المنزل المجاور . ومرت بضعة عربات كارتو . واخذ صاحب القهوة البلدي المواجهة للمنزل يصف كراسيه وموائده ويسعل سعالاً جافاً . وتبادل البقال عبد الدايم والمعلم سلام صاحب القهوة التحيات المعتادة وظلت بائعة اللبن تقرر الباب على غير فائدة . فصاح بها البقال « الجماعة عزّوا » فتحرّكت ورقة « للايجار » المعلقة بالشرفة كأنما تثبت وجودها وتؤكد كلام عبد الدايم

ثم زادت الحركة بالحارة ونزل الصبية يجعلون من الوحل ميداناً ومن البرك ملاعب يسبحون فيها وجاء الباعة ينادون على بضاعتهم وجلس بعض النسوة على جانبي الطريق يبعن طعامهن القذر . ويجمعن الذباب وينشرن الاوبئة . واخيراً تمت صورة كاملة من صور تلك الحواري البائسة المنسية وكانت الشمس لم تبدد تماماً الضباب الخيم على ذلك الحي فكان الجو صافياً من ناحية وضائماً من ناحية اخرى ومهدداً بمطر جديد تعاوبه الاو حال وتتسع البرك

وماذا يهم ذلك او حال او برك وغيم او صفاء وضنك مخيم او عدل شامل اذا طلع الصباح ففتح عبد الدائم حانوته والمعلم سلام قهوته وجلست ام آمنه بائعة البرتقال بمشنتها فاذا انصرم النهار آبوا جميعاً الى مساكنهم المربعة ليعودوا في اليوم التالي وتجري الحياة مجراها في الرزق الضيق والبلاء الواسع كان المعلم سلام يصيح بصبيه غاضباً ويلعن اليوم الذي جاء فيه الى القهوة ثم يتبع ذلك بسعاله الجاف والبقال عبد الدايم يزن رطلاً من الصابون ويحلف انه لا يوجد ادق من ميزانه ولا احسن من ذمته وكان الذباب يحتفل على مشنة ام آمنه فاذا دفعته قائلة « هش » جمع جموعه وعاد يغطي البرتقال الصغير الجاف المنقوط . كان يحدث هذا في حارة علام لما اقبلت عربة كارو تحمل امتعة ووقفت امام المنزل الخالي . فترك البقال الميزان وترك المعلم سلام صبيه وترك الذباب مشنة ام آمنه وانضم اليه بعض الصبية ومضوا في موكب ليروا من الساكن الجديد ولينظروا نظرة تقديرية الى الامتعة من صحاحير وحلل وكنبات وكراسي ودواليب

وفي الحق لم تكن تلك الامتعة دالة على الفاقة بل دالة بشكها وصبغها الحائلة على عز قديم وفقر جديد وكان يرافق العربية شاب على دراجة وكنت ترى على بذلته وحنائه طابع الفقر ولكنك كنت تلمح في الياقة النظيفة والقميص الابيض وفي وضع الطربوش ورباط الرقبة رمز الاصل السليم وتؤمن بذلك وهو ينزل عن دراجته ويمضي الى الباب ليفتحه

لقد كان يمشي مشية الامير المخاوع وينظر الى الحي الفقير نظرة طويلة مستسامة صعد امين سليم سلم الدرج الخشبي في المنزل المكون من طابقين كلاهما خالٍ ولكنه اختار اعلاهما ونادى على الخوذي ان يحل الامتعة ويضعها في ردهة الطابق الارضي فاستعان الرجل بزميله واخذوا يراكمونها . فلما انتهوا من عملهم اخذ امين يبحث في جيوبه عن الاجر — والرجل ينظر اليه نظرة النسر يريد ان ينقض ويعد نفسه للعراك ويتحفظ له

لقد كان الرجل متفقاً على اجر معلوم . ومع ذلك فهو من تلك الفئة السافلة المجرمة التي تضطرها الفاقة ان لا تحافظ على قول ولا تبقي على ميثاق . ومع ذلك فهي فئة تأسرها الضحكة الطيبة والكلمة الرقيقة وفيها كثير من الخلال الكريمة والنخوة والارحية . وكان امين ذكياً يفهم ذلك اتم الفهم . فبسط اليه ضاحكاً ضحكته الوديعه ، كل « الفكّه » التي في جيبه قائلاً « اللى انت عاوزه خده » ففجّل الرجل النسر وتدلّى منقاره في دلة وتوارت شراسته واكتفى بأجر يزيد زيادة معقولة واخذه وانصرف . وبعد قليل جاءت عربة تحمل سيداً وسيدة وخادماً . وكان السيد شيخاً قارب السبعين ، يحمل وقار مجد سالف فوق وقار السنين ، فوق وقار الصبر الذي ارتسم في تجاعيد وجهه ، وكانت السيدة اقل منه سنّاً ، لا تزال تحتفظ بالبرقع الابيض ، وبمسحة من جمال ذاهب وبقية من كبرياء اناخت عليها السنون

اسرع الخادم وقرع الباب لهم ووقف امين على عتبته مرحباً . وساعد الوالد والوالدة على النزول من العربة . فلما دخلوا المنزل ، وصعدوا الدرجة الخشبية اوشكت الشفاه ان تحتج ، ووقفت الدموع المكظومة على طرف المحاجر ذاهلة ، ثلاث غرف صغيرة واخرى في السطح ، ونوافذ بالية قديمة تطل على نوافذ مجاورة منغمسة في الظل والظلمة ، وتموج سطوحها بالنسوة هذه تنشر غسيلها ، وتلك تخاصم جارتها وتنشر لها ماضيها القذر

ولكن القلوب النبيلة ، شبيهة بأشعة الشمس فهي تنزل بالروضة الجميلة ، كما تحل بالارض الموحلة لا تتغير ولا تكون غير اشعة الشمس . ولكن الغمامة التي مرت على تلك القلوب الكريمة لم تلبث ان تبددت وعادت الاشعة الى الاشرار ، واخذ الجميع يتعاونون على تنظيف المنزل وترتيب الاثاث واختص امين نفسه بغرفة السطح فنقل اليها كتبه وسريره وادواته القليلة

بعد اسبوع جاء مستأجرون للطابق الارضي ، فوقفت عربة كارو تحمل امتعتهم ، وتلتها

عربة تحمل افراد العائلة ، وهم سيدة كهلة وفتاة رائعة الجمال وخادمة
كانت الساعة الخامسة مساء حين عاد امين متعباً يحمل كتبه ويحمل فوق منكبيه عبء
رجولة مبكرة ولم يكن قد علم بعد بالجيران الجدد فلم يكده يصعد الدرج حتى خرجت الفتاة
لترى القادم فصاحا في وقت واحد
— سنه — امين

ولولا ان اطلت رؤوس الوالدين وهي تنظر بعيون مذهولة الى هذا التعارف الفجائي
لأينا عناق الشوق المكظوم واللهفة المستترة اعواماً لا تعد

— ٢ —

منذ عشرين سنة كانت شبرا الجميلة كالزردة الصافية ، تزهو باليانع الاخضر ، والبساط
الرائع الذي هو سحر مصر ، وفتنتها العتيدة التي جرت اليها الغزاة والابطال متنوعين
اجناساً ونحلاً . نعم شبرا الجميلة ، التي اكتظت اليوم بالمساكن المتلاصقة وافسدتها
المدنية الجديدة ، ونزح اليها خلق كثيرون اشتروا تلك المروج البديعة وابتنوا بها مساكنهم
الصغيرة المتقاربة ، كانت بساطاً واحداً قامت في وسطه هنا وهناك منازل اهلينا ، كهامات
بيضاء بسطت اجنحتها ، وهمت ان تطير الى ساقية او قناة او غدير ، وكنا نعود من مدارسنا
في غروب الشمس ، فنترك كراساتنا وكتبنا في بيوتنا ثم نسرع الى تلك المهاد حيث ربا صبانا
ونما مع الغصون النامية ، وحيث تنسمنا الريح الرقيقة ، فجرى الشعر في دمنا ، والحب في
ارواحنا ، والصفاء في طبائعنا ، ايام كنا نثب فراشات مع الفراشات الهاربة واشعة مع الاشعة
الغاربة ، وما نزال كذلك حتى تخور قوانا فنرجع لنذاكر او ندعي اننا نذاكر ، فاذا كانت ليالي
القمر تسلمنا خلسة لنرى القمر يطلع على الحقول الساكنة والسواقي الحاملة . فنجلس عند
الشجرة فاذا الشجرة تصغي والليل الجميل يرهف اذنه الى حديث اطفال يتبدد موجات في بحر
ذلك السحر الرهيب سحر القمر والطفولة والمروج

في ليلة من ليالي رمضان التقى صديقنا امين سليم برفقائه تحت شجرة الجوز الكبيرة القريبة
من الساقية وجلسوا يتنادرون وحديث الصبية لا يعدو المدرسة والمدرسين والامتحان فاذا
خرج عن هاته الدائرة فبعض المبالغة والادعاء والفخر والتشبه بالرجال واحياناً يكون سكون
الليل وجمال القمر مغرياً باعترافات يتبادلونها همساً شأن الكبار . ففي الليلة التي نحن بصدددها كان
اكبرهم سنّاً يسخر من امين ويقول « بالكم امين ده اللي انتو شايفينه ساكت ده كل يوم وهو
راجع من المدرسة يشتغل خدام لسنيه بنت شكري بك ويشيل لها الكتب بتاعتها » فضحكوا
كلهم وصاحوا « حقيقي » فحجل ولم يجب وكان صمته اعترافاً على ان الصبي كان في هذا القمر الناضر
جداً غير عابث وقد حزن لدبوع سره وجعله موضوع دابة ولهث واجماً حتى انصرفوا كل الى منزله

قبل هذه الليلة بشهرين وقفت الصبية الجميلة سنية امام باب المدرسة تنتظر الخادم . وكان يبدو في وجهها الناحل سحر وخيال وابهام كل ذلك في سمرة كسمرة الفجر وحمرة على الخدين كحمرة الشفق حمرة تزداد وضوحاً كلما لحظتها أعين الصبية الواقفين عمداً او عن غير عمد ويزيدها حلاوة وغرابة مريلة المدرسة الزرقاء والقبعة النظيفة السليمة الذوق ينساب من خلفها ضفيرتان من الشعر الاسود الحالك . وفي نفس الوقت خرج امين سليم من مدرسته في نفس الشارع ووقف امام باب المدرسة ينتظر الخادم . طال انتظارها لخادمها وطال انتظاره لخادمه فلم يأت هذا ولا ذاك فضجرت وضجر واعتزمت ان تعود وحدها على غير عادة واعتزم كذلك ومشت الفتاة لا تلتفت يمنة ولا يسرة وتعمل بنصيحة امها « ما تكلميش حد » وترك الفتى باب مدرسته مهرولاً وكان يرتدي بدلة جميلة غالية الثمن ولكنه كان يبدو عليه الاهمال في ملبسه والتفكير في وجهه العصبي النحيل وكان الطريق الى المنزل يعترضه « مزلقان » وطالما راح القطار وجاء في « مناورة » ثقيلة وربما كنت مسرعاً الى موعد أو مدرسة فوجدت سليم « المزلقان » ينزل في سرعة ويحول دون مرورك ويبدأ القطار الثقيل في الغدو والرواح ففي هذا اليوم كان الشارع مزدحماً بالباعة والعربات الكبيرة التي تحمل الحجارة والمزلقان قد نزل سامه والقطار العجيب يروح ويغدو

وفي الساعة التي اختارها القدر وقفت سنية امام المزلقان ووقف امين وجاء غلام يدفع عربة يد فست يد سنية فسقطت كتبها فتناولها امين ولم يعطها اياها بل وضعها الخبيث ساكناً في محفظته فعلت خدعها حمرة الشفق وطغت على الحدود المألوفة واطرقت لا تدري ماذا تصنع بعد ذلك رفع سليم المزلقان واخذ الناس يتدفقون ويتزاحمون بالمناكب فاثأد الصبي والصبية ثم جمعهما القدر في سبيل واحد وسارا صامتين زمناً لا حساب له حتى وقفت فجأة فادرك انه قد آن ان يفترقا فاخرج لها كتبها ثم عز عليه ان تمضي بدون ان يتعارفا فسأل

— اسمك ايه — سنية شكري

— وانا امين سليم — في سنة ايه

— سنة رابعة — وانا كان

— ساكنه فين — في شبرا شارع

قريب منا ياريتك تبجي مرة في القمر تقعد تحت شجرة الحمير قرب الساقية
ولاح خيال خادمه من ناحية وخادمها من الناحية المقابلة فصمتا وابتعدا وابتعدت
وصار يراها كل يوم فيتبادلان التحية بالنظر ويتمنيان لو ان الخادمين مرضا او غابا او اصابهما حادث
ثم انقطعت عن المجيء وصار الطريق مقفراً لا يطاق ومضى في ضوء القمر الى الشجرة
التي تمنى ان يراها عندها مضى مراراً والحنين اليها يتسع في قلبه حتى صار ناراً آكلة

و ذات ليلة ذهب في سرب من رفقائه الى حيث يتلاقون فرُّ بسرب من الفتيات يتحادثن عند باب منزل فطرق اذنه صوت يعرفه فتخلف عن اصحابه ووقف في ناحية يسترق السمع فسمع سذيه تقول (وكانت هي) همساً لصاحبة لها : — نعم التقت كتي ووضعها في محفظته وتمنى ان يلاقيني في ضوء القمر تحت شجرة الجميز عند الساقية . انه غير جميل ولكنه رقيق ومن عائلة كبيرة على انه قد نسيني بالطبع

نخفق قلبه وانكش في الظلمة الكثيفة . . واجابت دمعة حارة ان هذا غير صحيح ثم سمع خطاها تبتعد وهو في الظلمة جامد في مكانه ثم ابتعدت خطاها عنه في الحياة . واقبل الفقر يطحنهما متفرقين حتى التقيا في المنزل الحقيق بحارة علام

— ٣ —

كان الليل هادئاً والقمر في السحب الصافية يلوح جليلاً في غربته رائعاً في حيرته يبدو من خلال سحابة ثم يستتر وراء اخرى وكان ينظر الى الدنيا بعين ملولة ويرى ان اهلها لا يستحقون ما يصدق عليهم من النور القدسي الجميل اذ بينما يشعه عليهم من وجدانه وقلبه يغط بعضهم في النوم وبعضهم لا يفهمون انه يعلمهم السمو والنبيل فيمضون الى اتيان لذة محرمة او منكر لا يليق . نعم كان القمر في تلك الليلة يعزم ان لا يطلع على الدنيا واستتر وطل استتاره لولا ان اليد الخفية الجبارة دفعته من وراء السحاب فطلع كارهاً وغمر نوره القاهرة وفاض على اعالي القصور كما فاض على السطوح الفقيرة في حارة علام — في تلك اللحظة فتح امين سليم النافذة وتنفس تنفساً طويلاً ونظر الى القمر نظرة مبهمة ثم عاد الى النافذة فاغلقها في ضجر وملال واستوى امام مائدته وجعل مصباحه قريباً من يساره وفتح كتاباً ثم اغلقه واجال بصره في الغرفة الفقيرة الاثاث . فهذا سريره الذي ينام عليه منذ عشر سنوات . تفككت اعمدته وطالما اصلحها فعادت كما هي فل اصلحها ورضي بصريها المزعج كلما حدثته نفسه ان يستريح على فراشه وهذا هو الكرسي الطويل بجانب السرير وطالما اكتفى بالنوم عليه وتلك هي السجادة الوحيدة الباقية من فرش القصر الكبير وهذا هو رف الكتب قطعه عادية من الخشب مفروشة بالورق الملون المقصوص وذلك هو مصباحه الباهت النور مصباحه الثقيل الذي ينخفض نوره من نفسه ويحتاج الى يد تعليه كل آونة فاذا علا اندفع لسان من اللهب يهدد الزجاجة بالكسر والسقف « بالهباب »

في تلك الليلة كان امين يرتدي جلباباً خفيفاً ابيض وكان وجهه شاحباً قلقاً وكان يفتح كتاباً ثم يغلقه ويضع نظارته على عينه ثم يخلعها ويجلس على كرسيه قبل المائدة ثم يتركه ليجلس على حافة السرير ثم يترك حافة السرير ليجلس على الكرسي الطويل . واذ هو في ذلك القلق الغريب دق الباب دقاً خفيفاً فوثب من تحفاً واسرع اليه وما لبث ان صاح هامساً

— سنيه — (بهمس وخوف) ايوه واقفل الباب عليهما في حرص وسرعة
وكان المصباح الملعون قد عاد نوره الى الانخفاض واصبحت الغرفة في شيء من الظلمة
وترامت ظلال كثيرة على الحائط جعلت الغرفة كالمعبد المرهوب، وفي وسطه عابدان لا يتكلمان
وانما تقول الظلمة ، وشعاع القمر الداخل من النافذة كاللص ، انهما لبثا متعائنين ، كالموجتين
وجللبابهما في البياض كرفوة الزبد. تخلصت سنيه بلطف ، ووقفت بعيداً، وكان قوامها الممشوق
ينتفض وشعرها المتهدل الجميل قد قارب وجهها فأزاحت بيدها البضة الناعمة ، ومضت الى
الكرسي الطويل متهالكة وجلس امين على السجادة مسنداً رأسه الى ركبتيها، وصار يتكلمان همساً
— كم سنة ياسنيه والله ما نسيتك لحظة . شوفي افتقرنا وجينا في حارة في شارع محمد علي
فسحت سنيه دمة حارة ولم تجب ، فمضى قائلاً

— ودخلت التعليم العالي مجاناً بواسطة، وعلى ان اشتغل وأنجح بسرعة، والاّ ماذا يصنع ابي
المسكين ؟ فلم تجب سنيه، وامسكت برأسه ، وجعلت وجهه اليها تطيل التحديق فيه ثم قالت حزينة
— حالكم احسن من حالنا بكثير ، ابي مات ولم يترك لنا شيئاً تقريباً وصارت الحال تمشي
من سيء الى اسوأ حتى جئنا ايضاً الى الحارة نفسها في شارع محمد علي . فذرف بدوره دمة
ولم يجب واستمر الصمت واخذت الذبالة في المصباح الملعون تنذر بظلمة كاملة واذا بمواء قطتين
ذكروانثي بالطبع يتحaban في ضوء القمر ويسران الطبيعة بتحقيق احلامها فضحكت سنيه وامين
معاً . همست « دي قطنا وقطتك » ثم زمت شفيتها في خفة معبودة وقالت الا تذكر يا امين
احلامك في شبرا وامانيك ان تتحاب في ضوء القمر ، لقد انعمت الدنيا بأمانيك على قطتيننا،
اجاب ! معلش ياسنيه ادي احنا اتقابلنا ، وما دمت اراك فسأشتغل وأنجح ، ولا يلبث هذا
الضنك ان يزول ، فصاحت فجأة كأنما رأت الضنك قد زال حقيقة

— وبعد ان يزول الضنك

— نتزوج

— وبعد ذلك

— يكون لنا اولاد

— وبعد ذلك

— نكون قد اقتصدنا مالا كافياً فنبنى منزلاً خاصاً

— وامي وابوك وامك

— يكونون قد تقدموا في العمر فنسعد مشيهم ونجعله كله رضاء

— وحبنا

— يزيد على السنين و ينميه من ناحيتينا اخلاصي واخلاصك وتسامحك وتسامحي

ثم همت ان تلقي سؤالاً جديداً ولكن غمامة عبرت فكرها فجأة ولاحت لها صورة لا تحبها فادرك ذلك امين فسأها فامتنعت عن الاجابة فألح فقالت « واذا تعرض لنا زكي ابن خالتي »

فانتفض امين وتغيرت ملامحه وتركت رأسه ركبتيها ودار بعينه في الظلمة يبحث عن زكي ابن خالة سنيه زكي الثقيل بجسمه الضخم وسوالفه الكريهة وعينه الزجاجية وغناه الفاحش واللبانة التي يعضها دائماً دائماً

تغير الفتى الوديع عند مرور تلك الصورة البشعة ، وقال اقتله والويل لك اذا فكرت في ان تميلي اليه قالت « اميل اليه ! انت تهينني واذا ذكرت هذا ثانياً اخرج ولا اعود ابداً » فاستعطفها وعاد يسند رأسه الى ركبتيها

وطردا تلك الصورة الكريهة ، وعادا يكملان مدينة الاحلام ، واوشك الفجر ان يطلع على تلك المدينة التي جلسا يبنيانها معاً فوقف امين فجأة ، قائلاً

— سنيه

— نعم

— شايفه الفجر اللي قرب يطلع

— ايوه شايفاه

— احلفي انك لي وحدي

— احلف

— هاتي فك

— فدت اليه شفة سحرية رطبة كالشليك الندي ثم انسلت الى غرفتها ، وهي تنزل السلم

في بطاء وحذر

وعاد ذلك اللقاء يتكرر ومدينة الاحلام تبني مع الليل وتتبخر مع الفجر ، وامين يدأب ويرى امانيه تدنو ، حتى كان ذات صباح خارجاً بكتبه الى مدرسته فرأى زكي ابن خالة سنيه جالساً الى مائدة في قهوة المعلم سلام فعجب من تلك الجلسة المبكرة ، وكان شجاعاً ، يفضل مواجهة الامور ، فمضى الى غريمه توتاً

صباح الخير يا سي زكي ايه اللي جابك الصبح بدري كده

— فاعتدل سي زكي في كرسيه ، بكبرياء وقحة وادار اللبانة في فمه القبيح ، وقال بلهجة ساخرة ، علشان ازور قرايينا جيرانكم ، وصفق على الصبي ثم مد يده الى جيبه يرن النقود ويؤكد لامين من جديد انه غني وانه بهذا الغنى سيملك ابنة جيرانه . قال امين

— ولكن الزيارة تبقى بدري كده

— ده مش شغلك

— فشار الدم في وجه امين ، ولم يدر بالضبط ماذا حدث ، غير انه وجد القهوة ممتلئة بالناس ، ووجد سي زكي في وسطها والدم يسيل من انفه ، وهو يسب ويلعن ، ورأسه طار وسوالفه القبيحة ملوثة بالدم . والحقيقة ان امين من دون ان يدري ما هو صانع ، تناول كرسياً فهرب سي زكي الى داخل القهوة فطار الكرسي وراءه ، وتبعه آخر بنفس السرعة ، فأصابته رجله في انفه ، فلما رأى الدم هاجه ذلك كثيران الصراع في اسبانيا ، ووثب بجسمه الضخم على غريمه ، ولكن المعلم سلام كان قد جاء ، وجاء ناس آخرون فخالوا بينهما . وتهدد زكي وتوعد ، وقال « بكره تشوف » وجمع امين كتبه في كبرياء وانفة ، وانصرف بدون ان يرد

قالت سنيه لامين في غرفته بعد ايام — اما علقه اللي أكلها زكي . تعرف انه دخل عندنا بعدها ، وامي اكرمته وطيبت خاطره ومسحت له جرحه ووضعت له صبغة يود . امي المسكينة تراه غنياً ، وتلاطفه لعله يتزوجني ، وهو يدخل بيتنا ويتقرب الينا لهذا الغرض ، امس جاء عندنا وقال لامي ان الحكيم قال له ان عظمة انفه من فوق انكسرت وستتركها مستديمة ، لان انفه تنخسف من اعلى وسيرفع قضية فضحك امين وقال لتزيد شكله قبحاً ، اما القضية فليرفعها علي في اوربا . فسألت مدهوشة اوربا كيف !

قال اني نجحت في الامتحان الاخير كما تعلمين وسأسافر في بعثة ان شاء الله بعد اسبوع فضربت صدرها بيدها قائلة اتركنا قال نعم — لكي اختبر القسم الذي اقسمته والفجر موشك الطلوع قالت وهي تجهش بالبكاء كن مطمئناً . واعتنقا وطال عناقهما ثم انسلت الى غرفتها وهي تنزل السلم في بطء وحذر

— ٤ —

لندن في ٧ ابريل سنة ١٩٢٨

حبيبتي سنيه — جلست وحدي في غرفتي قرب المدفأة اقرأ خطاباتك الجميلة خطاباتك التي ملأت حياتي املاً وأنستني غربتي وجعلت مني رجلاً . لقد كان خيالك الجميل واقسامنا كل ما اوشك الفجر ان يطلع ومدينة الاحلام التي شيدناها معاً كل تلك الصور كانت لا تبارح ناظري . نعم مرت سنون جهاد عنيف ولكني لم اكن اعبأ بها ولا ابالي بمتاعبها ما دمت في انتظاري وما دام امك وابي وامي بخير

آه يا سنيه ان لندن بحالها ، لندن العظيمة الضخمة لاتساوي ركناً من مدينة الاحلام وعلى

ذكر هاته المدينة السحرية اني اراك الآن في ركن منها يغمره القمر وتنام الزهور آمنة نعم
اراك الى جانبي وامضي في تقبيلك بلا حساب
القاهرة في ٢٥ مايو سنة ١٩٢٨

حبيبي امين : تسلمت خطابك وسرني أن اسمع انك في صحة جيدة اما نحن فقد ضاقت
بنا الحال . شكراً للنقود التي ترسلها الينا مما تقتصده وانا نعلم ما يكلفك هذا من التقدير على
نفسك وانت في بلاد غريبة . نعم ضاقت بنا الحال يا امين وتركنا جيرتكم الهنيئة ورحلنا الى
منزل اقل ايجاراً وقبل ان ننقل اليه صعدت في الليل الى معبدنا المقدس ووقفت عند باب
غرفتك استعيد الماضي الجميل ومدينة الاحلام فتى تعود لنتم بناءها — متى . .
حبيبتيك سنيه

ملحوظة — اكتب الي على شباك بوسنة الفجالة

لندن في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٨

حبيبتي سنية : اكتب اليك والفرح يملك علي مشاعري واني لوائق ان الخبر الذي سأقصه
عليك سيجعلك رقصين من السرور. لقد نجحت واقبل علي عميد الكلية يهنئي فقد جاء اسمي
في قائمة الشرف

انا طائد يا سنية طائد بعد مضي اربع سنوات لا اعلم كيف صبرت على قضائها بعيداً عنكم
اطوي البر والبحر بالفكر اليك واقبلك طويلاً
حبيبك امين

٢ أكتوبر سنة ١٩٢٨

حبيبي امين — تسلمت خطابك الاخير من بوسنة الفجالة وقرأته كثيراً وقبلته مراراً
دامعة العين شديدة الشوق اليك . الدنيا فراغ شنيع بغيرك والايام لا معنى لها
عدا التي تحبك وتنتظرك
سنيه

ملحوظة — اعذر اختصاري هذه المرة فاني لشدة الفرح بك لا ادري ماذا اكتب

في يوم ممطر كانت باخرة تقترب الى الشاطئ في ميناء الاسكندرية ووقف المنتظرون
يتربعون العائدين ويلوحون بمناديلهم واقتربت الباخرة ببطء ثم وضع السلم وصعد ضابط
الميناء ورجاله ثم سمح للركاب بالنزول فاسرع من بينهم شاب نعرفه يلبس قبعة ويحمل نظارة
نزل السلم بسرعة وتلفت هنا وهناك فناداه الشخص الوحيد الذي ينتظره

— امين

— ابي

وكان عناق رائع حار ودموع

وبعد ان تم تفتيش الحقائق اقلتهما عربة الى القطار المسافر الى القاهرة وفي القطار علم امين ان امه مريضة بالروماتزم :

— مش قادره يا ابني وانا كان الربو تاعبني قوي ومنذ اسبوعين كان عندي ورم في الرجلين والحكيم امر لي بالراحة ومنعني عن اللحوم والملح وكان جيراننا عائلة شكري بك يواسونا ولكن الحالة ضاقت بهم فعزلوا الى منزل اقل ابجراً
نفثق قلب امين واحس به يثقل وينحدر في صدره

— وزارونا مرتين بعدها والشقة والله فاضية لغاية دلوقتي

وانتقل الحديث الى اشياء اخرى وبلغا القاهرة ثم المنزل ووجد امين الدور الارضي خالياً فأحس بفراغ كفراغ المقابر وكانت والدته في فراشها وقد اقعدتها المرض وشعب لونها ولكن الأمل في لقاء ابنها جعل لعينها بريقاً غريباً من الحياة وكأن قوة غير عادية وثبت فيها وهي تنتظر ثم وهي تضمه ثم وهي تبكي

واما غرفته في السطح فلم يجد عليها شيء ولكنه حين فتحها هب منها عبق الذكرى والقسم الغابر والمدينة السحرية

في صباح اليوم التالي اخذ يبحث ويسأل عن منزل شكري بك الجديد فلم يهتد وذهب الى بوسنة الفجالة وكان قد ارسل اليها خطاباً كعادته قديماً فلم يأت احد لتسلمه ولم يعلم من امرهم غير ان الفاقة ألح عليهم وهنا انقطع خيط البحث

ذات صباح كان بمديرية الجزيرة لامر يخصصه فمر بمحديقة الحيوانات وخطر له ان يدخل .
جلس على مقعد تجاه القروود خلف شجرة تواريه بعض الشيء

فمرت سيدة بادنة « بملاءة لف » ومعها طفلان وخلفهما رجل وكان الرجل ضخماً طويلاً وله سواف كريمة وفي فيه لبانة

فدعر واحس بيد تقبض على حلقه وتنشب اظافرها فيه وهم ان يصيح فلم يستطع وان يقوم فلم يقدر . سنية الجميلة الرشيقة تلبس ملايه لف وتصبح بادنة ويصير وجهها عادياً خشناً وتزوج بمن ، بالشخص البغيض الكريه الذي خسف انفه بالكروسي من اجلها . هم ان يقوم ثانياً وان يحتج فوقف بينه وبينهم شبح يصرخ في وجهه قف فانا الذي اذلت هذه المرأة ومازلت اطحنها وامشي بها من حاجة الى حاجة حتى تزوجت غريماً والخطابات . . . انها خدعتك

لصالحك الا تعرفني فصاح امين اجل اعرفك ايها الفقر وهذه آثار اظافرك في عنقي وطأاً رأسه وقد غفر للحببية المسكينة بينما الموكب العائلي يسير . ثم ثارت عاصفة من

الغبار حجبت عن عينه الى الأبد مدينة الاحلام

الراية

[بعث اليينا احد المعجبين بشعر الشاعر اللبناني البرازيلي
الياس فرحات بقصيدته هذه وبمقطوعات اخرى من شعره على ذكر
تمثيل ديوانه للطبع فاكثفينا بنشر القصيدة شاكرين ، موجهين
الانظار الى هذا الشاعر الممتاز الذي عرفه قراء المقتطف من قبل
في رباعياته راجع مقتطف ابريل ١٩٢٦ صفحة ٤٣٦]

اطلّت من الدير عند الضحى وفي ناظريها بريق الأسي
فتاة كأن الآله براها ليجعلها فتنة للنهي
ولكنها في صباح الحياة على وجنتها شحوب المسا
رماها الزمان بهجر الحبيب فداوت ضلال الهوى بالهدى
تصلي فتحسبها دمية من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع فيوشكن يلثمها من جوى
تحاول نسيان محبوبها وزهو الشباب وعز الغنى
وأقسى من الحب كتمانها وانكى من الهجر فقد الرجا

ولما بدت شمس ذاك النهار بدت خارج الدير ذات التقى
تجمع من حوله ضمة من الزهر تهدي لفادي الورى
وبينا تسير على يها وتجمعها من هنا وهنا
وقد عانق الورد في كفها عناق الشقيق عناق الهوى

رأت زهرة في اعالي الجدار تداعبها نسيمات الصبا
فأعجبها شكلها المستطيل ولون كقوس السحاب زها
وقد زاد في قدرها انها تعزُّ على من يريد الجنى
فحرك منظرها نفسها وقالت بملء الحنان لها

اخية ! يهنيك هذا السمو وهذا البهاء وهذا الرضى
ولكن أما كان اشهى لديك جوار الازاهير بين الربى ؟
تحوم عليك بنات الفقير وتسعى اليك صبايا القرى
وتسمعك الطير انشادها فنه الحجاز ومنه الصبا
فأنت تعيشين في عزلة فلا في السماء ولا في الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ومن يتنشق هذا الشذى ؟

وفي الليل سارت الى خدرها وفي قلبها مثل نار الغضا
ولما نضت ثوبها لتنام تبين من حسننها ما اختفى
فدلت الى صدرها كفها وقد فتَّح الورد تحت الندى
وقال لها قائل صامت وكان الذي قيل رجع الصدى

وانت تعيشين في عزلة فلا في السماء ولا في الثرى
لمن خلق الله هذا الجمال ومن يتنشق هذا الشذى ؟

الازمة الاقتصادية العالمية

اسبابها وعلاجها

يقاسي العالم منذ بضع سنوات خلت ازمة اقتصادية لم يسبق ان وقع نظيرها في تاريخ الحضارة من حيث شدتها ونتائجها وبعد مداها، وقد بلغت اشدها في السنة الحالية اذ اجتاحت العالم بأكمله فلم يبق بلد الا وتداعت اركانه الاقتصادية وحل فيه من الفواجع المالية الشيء الكثير مما خبرناه بأنفسنا وقرأنا عنه وحملت الاسلاك البرقية اخباره الينا

واتخذت كل امة تجاه هذا الخراب الداهم ما استطاعت من الاجراءات الاستثنائية كالحواجز الجمركية مثلاً وتدخل الحكومات مباشرة في شؤون الانتاج والتصرف ظناً منها انها بهذه الوسائل المستنبطة تحتفظ بمقامها المالي والاقتصادي فأحدثت هذه السياسة الافرادية شللاً في العلاقات التجارية بين مجموع الامم اذ اختلت من جرائها قاعدة العرض والطلب وفُقد التناسب بين الانتاج والاستهلاك . اجل ان هذه الوسائل عوضاً عن ان تخفف وطأة الازمة الاقتصادية زادت تخرجاً فتفاقم الخطب وازداد البؤس بين الناس واصبح عدد العاطلين يعد بالملايين في كل بلاد حتى ان المدنية الحاضرة اصبحت اليوم مهددة بثورة اجتماعية لا يعلم نتائجها الا الله انتبه الرأسماليون الى خطورة الحالة فقاموا في الآونة الاخيرة يسعون وراء التفاهم في ما بين الدول ويحثون حكوماتهم لايجاد علاج شاف يضع حداً لهذه الازمة العمومية بالتضافر والتعاون معاً بدلاً من ان تسعى كل دولة منفردة عن غيرها اذ ادركوا ان حياة الفرد في حياة المجموع وان كيان الهيئة الاجتماعية الحاضرة متوقف على حفظ كيان كل امة اقتصادياً ومالياً . ولذلك رأينا الولايات المتحدة وهي التي اصررت كل الاصرار منذ بضع سنوات على تنفيذ برنامج « يونغ » بحذايره — رأيناها من تلقاء نفسها تمنح مدينتها مهلة سنة لاستيفاء الديون بشرط ان يمهلوا هم بدورهم المانيا سنة لدفع التعويضات الحربية . فالولايات المتحدة لم تخط هذه الخطوة الخطيرة — في الوقت الذي فيه تعاني هي نفسها اشد ازمة مالية عرفتها في تاريخها — كرامة للانكليز والافرنسيين ، بل لانها تيقنت من ان المانيا على شفير هوة الافلاس والفوضى فاذا لم تمهل زمناً تتنفس فيه الصعداء افلست حتماً ووقعت في احضان البولشفية وهذا اشد ما تخشاه الامم الديموقراطية اليوم

ولنفس السبب ايضاً نشطت فرنسا لنجدة المانيا فأقرضتها المال وسعت للتفاهم معها على

وضع معاهدة تجارية جديدة وهي التي ما فتئت تجاهر بأنها لن تتنازل عن سنتيم واحد من الغرامة الحربية والتعويضات بموجب ما اقره برنامج « يونغ ». وقد رضيت انكلترا وفرنسا فوراً بالمهلة التي اقترحها الرئيس هوفر فانتعشت المانيا نوعاً وصدت عنها شبح الافلاس والفوضى الى حد ما ووافقتنا الاخبار عن الاجتماعات المتتالية التي حصلت بين الوزراء الالمان والفرنسيين في باريس وبرلين ووشنطن . وهاهو ذا مؤتمر لوزان على الابواب . كل هذا مما يدل على شدة اهتمام الدول الاوروبية بمعالجة شؤون العالم الحالية . ولكنها — حتى الآن — كانت معالجة من قبيل « الترقيع » لا تنطوي على علاج ناجع لاستئصال الداء . فالعالم اليوم أشبه بعليل يقاسي الآلام المبرحة واطباؤه عاجزون عن معرفة حقيقة الداء ووصف الدواء اللازم لاستئصال العلة فاكثفوا باعطائه المخدرات لتسكين اوجاعه وقتياً بينما العلة تشتد حتى كاد المريض يدخل في طور النزاع . وازاء هذه الحالة الخطرة قام علماء الاقتصاد في مختلف البلدان كل يدلي برأيه في اسباب الازمة الاقتصادية العالمية وعلاجها . فجاءت هذه الآراء متضاربة متباعدة كتبيلب الالسن في برج بابل وفي ما يلي بعض هذه الآراء أثبتها بصورة مقتضبة ثم اعود الى بحث الموضوع من اساسه وللقارئ ان يرى مدى التباعد وشدة التناقض بين هذه الآراء

(١) الافراط في الانتاج (٢) النقص في الاستهلاك (٣) الاسعار العالية (٤) الضرائب الباهظة (٥) ديون الحرب (٦) تهريب الاموال من بعض البلدان (٧) احجام الرأسماليين عن تشجيع اموالهم في مشاريع جديدة (٨) التوسع في منح الكريدتو لحد المبالغة (٩) تضيق دائرة الكريدتو (١٠) السخاء العظيم في الاسعاف العام (١١) نبذ المبادئ الاقتصادية القديمة الحرة (١٢) الاهمال التام في ادارة الشؤون الاقتصادية الحرة

واما العلاجات فهي ايضاً متعددة ومتضاربة اذ كل صاحب رأي يصف العلاج المطابق رأيه واليك بعضها : (١) الرجوع الى المبادئ الاقتصادية الحرة (٢) خفض الاسعار (٣) خفض اسعار المصنوعات بالنسبة الى اسعار المواد الاولية (٤) رفع الاسعار (٥) زيادة المقدرة على الشراء (٦) توسيع نطاق الكريدتو والعمل على زيادة المقدرة على الشراء (٧) تخفيض الاجور (٨) اعادة الثقة المتبادلة بين الدول (٩) الاقلال من الانتاج على ان يكون بموجب خطة مرسومة راهنة (١٠) العمل على عدم هبوط الاسعار (١١) توزيع الذهب في العالم على اساس معقول وبطريقة حكيمة (١٢) إيجاد تفاهم بين المنتجين لضبط الانتاج على قدر المستهلك (١٣) الرجوع الى الفضة والذهب معاً كأساس للنقد عوضاً عن ان يبقى الذهب وحده أساساً للنقد كما هي الحال الآن . وهكذا الى ما لانهاية له . على ان بعض هذه العلاجات خطير جداً وربما اودى بحياة المريض . ومهما يكن من الامر فمن المؤكد ان حسن هذه العلاجات لا يمكن ان يكفي وحده لحل الازمة الاقتصادية العالمية

المخترعات والازمة

وقام في الآونة الاخيرة العالم الفرنسي الشهير المسيو برجريو — وهو من العلماء الذين ينزل عند رأيهم في الشؤون الاقتصادية — يقول ان السبب الاساسي لهذه الازمة العالمية هو استعمال المخترعات الحديثة في الصناعة دون ضابط ولا قيد مما يجبر اصحاب المصانع على تجديد الآلات ومعدات مصانعهم تجديداً مستمراً . وعند ما يضطر صاحب المصنع الى ابدال آلات مصنعه التي لم يكن قد استهلك قيمتها بعد بآلات حديثة مجاراة للتقدم الصناعي الذي اوجدته المخترعات الحديثة العديدة فنتيجة ذلك خسارة من رأسماله لا تعويض . واذا لحقت الخسارة بمجموع رؤوس الاموال في العالم كما هي الحال الآن فانها تقلل بما يعادلها من مقدرة اصحاب الرأسمال على المشتري وكذلك الاستغناء عن الايدي العاملة والاقتصاد في المواد الاولية الناتجة عن استعمال تلك المخترعات الحديثة يسببان البطالة بين طبقات العمال فتقل المقطوعية وتتراكم البضائع فتزول الثقة ومنها الكريدتو فيكثر الافلاس وتستحكم الازمة

ومن هذا يستخلص الاستاذ برجريو القاعدة الاقتصادية الآتية : « لا يجوز ادخال المخترعات الحديثة على الصناعة الا اذا كانت الفائدة الناتجة عنها اكبر من الخسارة التي تسببها » على ان هذه القاعدة التي يقول عنها الاستاذ برجريو انها المفتاح الوحيد لحل الازمة الاقتصادية العالمية ليست بالشئ المبتكر اذ انها القاعدة الاساسية التي تمشت عليها الصناعة منذ نشأتها وهي حقيقة ثابتة لا يختلف فيها اثنان ويجدر بارباب الصناعة ان يتذكروها في وقت تعددت فيه المخترعات والمستحدثات تعدداً سريعاً يبعث على الدهشة . ومن رأي الاستاذ المذكور ان يؤلف ارباب الصناعة اي الرأسماليون نقابة من بينهم تمتلك كل مخترع جديد وتشرف على طريقة استعماله بحيث لا يكون تطبيقه مغايراً للقاعدة المشار اليها آنفاً اي بعبارة اخرى يكون من شأن النقابة هذه ان تمنع الانقلابات والتطورات في الصناعة الناتجة عن المخترعات الحديثة الا اذا كانت الحالة تستدعي ذلك حتى لا يسيء الناس استعمالها في غير اوانها فتأتي بالشر والنكبات بدل الخير المرجو منها

هذا ما ادلى به الاستاذ برجريو ولكننا امام الحقيقة الراهنة لا يمكننا ان نسلم برأيه ونراه آخذاً بالنتائج دون الاسباب ورأيه هذا مع ما فيه من منطق وحقيقة لا يختلف عن غيره مما ذكر آنفاً اي انه لم يصب كبدا الحقيقة من حيث الاسباب الاساسية للازمة العالمية بل اكتفى بمعالجة الاعراض الظاهرة بمخدر وقتي ومن وجهة واحدة لان معالجته تنحصر فقط في وجوب الاقتصاد في كلفة الانتاج الصناعي . على ان ازمة الصناعة ليست سوى نقطة في بحر الازمة الاقتصادية العمومية والارتباكات المالية فهي نتيجة امر واقع وليست من مسبباته فتزول متى تحسنت احوال العالم العمومية . وعلى سبيل المثال لدحض رأي الاستاذ المذكور نذكر صناعة

السينما التي لم تؤثر فيها الازمة العالمية لاقبال الناس على دور السينما فزهت وتقدمت تقدماً سريعاً متطرداً وما كانت المستنبطات الحديثة التي ادخلت عليها والاموال الكثيرة التي تنفق في سبيل اتقانها واشادة دورها الانيقة الرحبة لتؤخر سير تقدمها او تورطها في الازمة الآخذة الآن بمخناق الصناعات الاخرى . هل يا ترى اذا توقف الجمهور عن ارتياد دور السينما يحجم اصحابها عن موالاة التحسين فيها حتى تتقي الازمة ؟ وهكذا قل عن كل صناعة أخرى بل عن كل تجارة بل عن الزراعة نفسها فانه متى احجم الجمهور عن الاستهلاك وقعت الازمة بلا محالة ولكن احجام الجمهور عن الاستهلاك او بعبارة اخرى قلة المشتري او ضعف المقدرة على المشتري ليس بمحد ذاته سبباً يصح السكوت عليه بل هو نتيجة مسببات اخرى نتناولها في ما يلي وهي التي اودت بالعالم الى هذه الازمة العمومية التي نكدت عيش الناس في جميع البلدان ان الذين كانوا اطفالاً في سنة ١٩١٤ لا يمكنهم الآن ان يدركوا كنه الحالة بل هم ينظرون الى الازمة نظراً الى لغز تعذر عليهم حلّه وذلك لانهم عاشوا في زمن انقلب فيه كل شيء رأساً على عقب واصبح فيه الشواذ قاعدة يعمل بها والقاعدة الاساسية شواذاً . اما الذين كانوا في سن الرشد والادراك عام ١٩١٤ — الذين عرفوا العالم اذ كان كل شيء في موضعه الطبيعي — هؤلاء لا يصعب عليهم ان يدركوا كنه الحالة ويحلّوا هذا اللغز الذي هو ليس بالحقيقة لغزاً

زيادة الضرائب

ان وراء هذه الازمات والمصائب اسباباً اساسية ظاهرة لمن يقابل الحاضر بالماضي اولها الزيادة الفادحة في النفقات العمومية والخصوصية زيادة لم يعرفها العالم في الماضي . ففي اثناء الخمس عشرة سنة الاخيرة بلغت الضرائب والنفقات العمومية في فرنسا وايطاليا والمانيا اربعة اضعاف ما كانت عليه سابقاً وفي سويسرا ثلاثة اضعاف وفي انكلترا واميركا نحو خمسة اضعاف . ومن غريب الامور ان المدنية الحاضرة تكاد لا تعير هذا المرض الاجتماعي القتال اقل اهتمام . كان من اصعب الصعاب فيما مضى على اية حكومة كانت حتى الاوتوقراطية منها فرض ضريبة جديدة ولو صغيرة على شعبها حتى ان معظم الثورات التي سجلها التاريخ ترجع اسبابها الاساسية الى زيادة الضرائب بل كانت بالحقيقة حرباً عليها . فكيف يمكننا ان نفسر الآن هذه الضرائب الفادحة التي فرضتها الحكومات على شعوبها في مدة الخمس عشرة سنة الاخيرة دون اقل مقاومة او تدمير ؟ لماذا سلمت الشعوب بهذا الاستبداد المالي عن طيبة خاطر حتى ان معظم الناس كان لا يعرف تماماً مدى فداحته وهو يدفع الضرائب الاميرية غير مبال بالارقام الهائلة التي وصلت اليها ؟

اننا نجد بعض التعليل لهذا اللغز الغامض في حالة التقدم واليسر التي وصل اليها العالم .

وما اليسر سوى كثرة المال . ولما كانت الضرائب تدفع بالمال فكما كثر المال قلت وطأة الضرائب على دافعيها والعكس بالعكس اذ من الاسباب الاساسية التي كانت تهيب بالناس في سالف العصور الى الثورة والامتناع عن قبول الضرائب قلة النقد المتداول بين الايدي . بدأ عصر الذهب في سنة ١٨٤٨ لما اكتشفت معادن كاليفورنيا واستراليا واخذ انتاج الذهب يزداد تدريجاً سنة بعد سنة حتى اصبح المال موفوراً وبعبارة اخرى اصبح العالم غنياً . وهكذا اخذت الحكومات تنفق من دون حساب وميزانيات نفقاتها تتزايد مع مرور السنين واعتاد الناس القيام بهذه النفقات عن طريق الضرائب دون ان يشعروا بتزايدها . الا ان ازدياد المال بين الايدي كان اسرع من ازدياد الضرائب . وهكذا قد اعتادت امم الغرب في اثناء خمسين سنة تقريباً دفع ضرائب الحكومات ومواجهة زيادة النفقات عن رضى وقبول . وهذا امر طبيعي اذ من البديهي ان أسلم يدفع ضريبة عشرين غرشاً عند ما يكون دخلي مائة غرش بينما استصعب جداً وربما تعذر علي دفع ضريبة عشرة غروش اذا كان دخلي فقط ثلاثين غرشاً وزيادة النفقات والضرائب التي شهدناها منذ خمس عشرة سنة والتي بلغت اربعة وخمسة اضعاف ما كانت عليه قبل الحرب العالمية ليست الا نتيجة طبيعية لزيادة النقد في العالم تلك الزيادة الفاحشة . ان الحرب العالمية قد كدست الذهب عند امم وحرمت امماً اخرى منه ولكن الامم التي اضطرتها الحرب الى انفاق ما كان لديها من الذهب او جانباً منه لم تشعر بضيق مالي في السنين القلائل التي تلت الحرب اذ ان تضخم النقد الورق قد اوجد اليسر والبجوحة حتى في البلدان التي نكبت شرّ النكبات في الحرب . تلك ظاهرة غريبة تبعث على الدهشة ولكن حقيقة الامر ان ذاك اليسر لم يكن الا وهمياً لا اساس له . والاغرب من ذلك ان هذا اليسر الوهمي الذي تمتعت به الامم التي بليت بنكبات الحرب قد زاد في يسر الامم الاخرى التي تجمّع الذهب عندها وكان غناها حقيقياً . وكان العالم قد اصابه شيء من الخبل من حالة اليسر ووفرة المال — هذا اليسر الذي كان نصفه حقيقياً ونصفه وهمياً — حتى اخذت الحكومات تنفق دون ما حساب وتزيد في الضرائب اضعاف الاضعاف والناس كالسكارى لا يعرفون للمال قيمة يدفعونه ويصرفونه ذات اليمين وذات الشمال غير حاسبين للغد حساباً ولكن دوام الحال من المحال فما انقضت بضعة سنوات حتى تبدّل ذاك اليسر عسراً . قلت الارباح بل تضاعلت وخفضت المعاشات وعم الكساد الزراعة والصناعة والتجارة وعجزت جميع الدول عن سد العجز في ميزانياتها . وجيش البطالة الذي بلغ الملايين اصبح حالة على المجموع . فكيف يمكن والحالة هذه ان يستمر الناس على دفع الضرائب الفادحة التي كما بينا سابقاً قد بلغت حداً قصيماً . انها اليوم تثقل كاهلهم وكانوا بالامس لا يشعرون بعبأها . ومن اهم المشاكل التي تواجهها الشعوب اليوم هي مشكلة الضرائب وكيف يحمل هذا الحمل الثقيل دون ان نزرع تحته

التجارة مبادلة

لماذا لم تدرك أوروبا في سنة ١٩١٩ أنه بعد حرب لم تبق ولم تذر دامت أربع سنوات كان يجب عليها الاقتصاد الكلي مدة لا تقل عن عشر سنوات وأنه كان يجب على الحكومات أن تكون قدوة للأفراد في ذلك؟ لماذا ونحن في عصر النور قد تعامينا عن هذه الحقيقة وناقضناها بكل ما أوتينا من قوة؟ على أنه يظهر أن التعامي عن الحقائق الجوهرية أصبح من امراضنا الاجتماعية في عصرنا الحاضر. وها هي معضلة التعويضات والديون الدولية التي تزداد تعقيداً سنة بعد سنة مثالاً بليغ على هذا المرض القتال. نعم أنه مرض قتال لأن التعويضات الحربية والديون الدولية بحالتها الراهنة هي سبب آخر بلا شك لهذه الازمة الطاحنة والعجز عن حل معضلتها راجع لهذا التعامي بل لهذا الجهل. عجب عجاب كيف أن أوروبا وأميركا في هذا العصر الذي توصل فيه العلم إلى نزع الحقيقة من قلب الزمان بل إلى سبر غور المادة حتى أخضعها لمشيئته تجاهلتنا قاعدة أساسية في علم الاقتصاد درستها أنا عند ما كنت تلميذاً ودرسها قبلي ويدرستها بعدي ملايين التلاميذ في المدارس. تلك القاعدة الأساسية التي بني عليها علم الاقتصاد والتي لا يمكن تحويلها أو الزيادة عليها أو النقصان منها هي ثابتة بجوهرها كالقاعدة الحسابية التي تعطينا ٤ من جمع ٢ مع ٢ بلا مزيد ولا نقصان وهي أن التجارة مبادلة أو مقايضة بين متاع ومتاع أو خدمة وخدمة وأن العملة ليست سوى رمز للأشياء المتبادلة. وأما إذا كانت العملة ذهباً فإنها هي أيضاً تصبح متاعاً خاصاً أو « بضاعة » تصح المقايضة بها مع بضاعة أخرى. وأساس العملة هو الذهب وليس ورق النقد إلا رمزاً للعملة الذهبية ومقياس قيمته ما يدعمه من الذهب. فإذا كان الورق النقدي لا يرتكز إلى مبلغ من الذهب بنسبة ٤٠ بالمائة على الأقل تعرض للهبوط بل كلما نقص مقدار الذهب الاحتياطي نقصت قيمة الورق النقدي وهذا ما وقع للمارك الألماني والفرنك الفرنسي والفرنك الإيطالي واليرة الانكليزية. ونحن إذا قلنا مبادلة وجب علينا ألا ننسى أن المبادلة هي بالحقيقة بين بضاعة وبضاعة باعتبار أن الذهب أي النقد الذهبي هو أيضاً بضاعة من نوع خاص

فالبلاذ التي لا تستخرج الذهب يتحتم عليها مشتراه من غيرها من البلدان التي تقتنيه وحيث أن البيع والمشتري هما بالحقيقة مقايضة يتحتم عليها دفع ثمنه بضاعة أي بعبارة تجارية معروفة عليها أن تصدر إلى البلاد الأخرى بضاعة من إنتاجها كي تستورد بقيمتها ذهباً متى فهمنا هذه الحقيقة الراهنة تجلت أمامنا معضلة التعويضات الحربية والديون الدولية التي يئن منها العالم اليوم والتي تعتبر من المسببات الأساسية لهذه الازمة الطاحنة ووقفنا مذهولين متسائلين لماذا تغاضت الأمم عن هذه الحقيقة فزاد تفاضها تعقيداً للازمة. لماذا لا تقر بصحة هذه القاعدة الأساسية فتعمل بموجبها عوضاً عن أن تناقضها هذه المناقضة العمياء؟

فمسكها مثل الرجل الذي امسك بالحية من ذيلها فلدغته عوضاً عن ان يمسكها من عنقها ويهشم رأسها . وهنا لا بد لي من شرح هذه النقطة ولو بإيجاز :

عند انتهاء الحرب فرض الحلفاء المنتصرون على المانيا المغلوبة غرامة حربية كبيرة سموها تعويضات عن الخراب الذي سببته الحرب لهم بصفتها معتدية عليهم . وتفرق الحلفاء بعد الصلح وكل منهم مدين للآخر والجميع مدينون لاميركا بمبالغ فاحشة . واذا كانت هذه التعويضات والديون الدولية لتستوفي تماماً وفي مواعيد استحقاقها استغرق ذلك مدة لا تقل عن خمسين سنة ووجب في خلالها على دول اوربا ان يدفع بعضها للبعض الآخر مبالغ كبيرة سنوياً وان تبعث بقسم كبير من هذه المبالغ عبر الاطلانتيكي الى الولايات المتحدة . زد على ذلك ان الامم التي خرجت من الحرب وخزائنها طافحة بالمال كاليالات المتحدة والدول المحايدة اقرضت باقي الدول الاوربية والاميركية واوستراليا مبالغ كبيرة من المال على ان تتقاضها اياها دفعات سنوية فأصبح العالم بأسره مديناً لبعضه لبعض على وجه لم يسبق له مثيل من قبل . فاذا اخذنا بعين الاعتبار القاعدة الاقتصادية القائلة ان التجارة مقايضة وانه لا يمكن الحصول على المال الا لقاء بضاعة كان من الضروري ازالة الحواجز حتى تصبح هذه المقايضة سهلة لا يعترض سبيلها معترض وحتى تصبح المقايضة اي التجارة حرة طليقة من كل القيود بين الامم . فهل هذا ما فعلته الدول ؟ كلا انها عملت ما يناقضه على خط مستقيم

الحواجز الجمركية

هذه اميركا تتطلب من دول اوربا استيفاء مالها بذمتها من الديون وفي الوقت نفسه تمنع بضائع اوروبا من دخول بلادها فكيف يستطيع المدين ان يفي دينه اذا حرمه الدائن من الوسيلة الوحيدة التي بها يمكنه وفاء الدين . ومن اغرب الامور ان اميركا ما زالت منذ الحرب تمد الحلفاء بالمال وهؤلاء من القروض الجديدة يسددون الديون القديمة . ومعنى ذلك ان اميركا تفي نفسها بنفسها . وهذه دول الحلفاء تتطلب من المانيا دفع التعويضات الحربية ولكنها بالوقت نفسه قد اقتفت اثر اميركا واقامت الحواجز الجمركية العالية على البضائع الالمانية في بلادها وفي مستعمراتها فحرمت المانيا الوسيلة الوحيدة التي تمكنها من الحصول على المال لوفاء ديونها والقيام بتعهداتها . ثم ان الحلفاء اقتدوا ايضاً باميركا فقدموا الى المانيا قروضاً مالية كانت تساعد على دفع اقساط التعويضات باوقاتها . فكان الحلفاء يدفعون باليمنى ويقبضون باليسرى . ان هذه لعمري مهزلة يجب ان يندى منها خجلاً جبين القرن العشرين

ولقد شعر العالم بعاقبة هذه المتناقضات وما الازمة الآخذة بخناق اليوم وفقدان الثقة ووقوف دولاب الأشغال سوى نتيجة طبيعية لها . لقد فقدت الثقة تماماً فاصحاب الاموال يتمنعون عن تشغيل اموالهم بل هم يدفنونها خوفاً عليها من الضياع والمصارف قبضت يدها



صورة تمثل الحواجز الجبركية في أوروبا وذلك قبل ان رفعت انكلترا حواجزها من عهد قريب
مقتطف يوليو ١٩٣٢ امام صفحة ٢٢٥

بتأنا عن التسليف والقطع وامست التجارة والصناعة والزراعة في جمود تام . ويعتبر الثقات الماليون ان الديون الدولية اصبحت جميعها متزعزعة غير ثابتة وان نصف العالم اليوم مهدد بالافلاس . لقد تجمع الذهب في بلدان معلومة وحرمت باقي البلدان منه ولكن ليس من الانصاف ان نلوم فرنسا واميركا مثلاً على ادخار الذهب وامتناعهما عن اخراجه بصفة قروض للغير اذ لا توجد دولة الآن يكون الدين مأموناً لديها . والواقع ان اميركا وفرنسا يرغبان جداً في تصريف الذهب المتراكم عندهما — اذ لا فائدة لهما من وفرته — لو وجدتا ضماناً كافياً لقروض جديدة . ان العوامل أو المسببات التي سقطت آنفاً كافية وحدها لان تنزل بالعالم شر النكبات والازمات المالية والاقتصادية فكيف بنا اذا اضفنا اليها عاملاً آخر بعيد التأثير شديد الوطأة ، عاملاً مباشراً أجمع معظم الثقات الماليين والاقتصاديين على أنه اهم جميع العوامل التي اودت بالعالم الى هذه الازمة الطاحنة ألا وهو هبوط قيمة النقد الفضي

الذهب والفضة

ولقد تنبأ المستر مونتاجو نورمن حاكم بنك انكلترا في سنة ١٩٢٦ عن مستقبل الحالة التجارية والاقتصادية وتأثير هبوط قيمة الفضة فيها فجاءت الحوادث منذ ذلك الوقت مصداقاً لنبوءته وهذا ما جاهر به وقتئذ قال : — ان التقلبات الفجائية صعبوداً كبيراً او هبوطاً شديداً في قيمة النقد الفضي تؤثر مباشرة في قيمة الأشياء التي اساسها النقد الذهبي . وهذه التقلبات من شأنها بث الفوضى في المعاملات المالية والتجارية لانها تفقد الثقة المعمول عليها في هذه المعاملات خصوصاً في الهند والصين حيث الفضة من سالف العصور الى يومنا هذا هي عملتهم الوحيدة التي درجوا عليها . فبنسبة هبوط قيمة النقد الفضي تنقص مقدرة ستمائة مليون من البشر على المشتري وهذا مما يؤدي حتماً الى هبوط قيمة البضائع والمصنوعات الاوربية والاميركية المعبر عنها بالذهب » هذا ما قاله حاكم بنك انكلترا في سنة ١٩٢٦ اي نحو سنة بعد ما اقرت انكلترا رسمياً اتخاذ الذهب وحده دون الفضة اساساً لنقدها وبذلك فقدت الفضة قيمتها النقدية كعملة ثابتة واصبحت عرضة للتقلبات اذ بفقدان تلك الميزة ميزة النقد الثابت فقدت الفضة قيمتها المعنوية واصبحت متاعاً كباقي الامتعة خاضعاً لقاعدة العرض والطلب . وكانت النتيجة ان تدهور الروبي الهندي الى حد لم يسبق له مثيل فقد كانت الليرة الانكليزية قبل ١٩٢٥ تعادل ١٦ روبياً فاصبحت بعد ذلك بمبلغ ٣٣ روبياً . وهكذا وبالنسبة نفسها سقطت قيمة النقد في الصين وايران وباقي بلدان آسيا التي يرتكز نقدها على الفضة . ومتى تذكرنا ان معظم صادرات اوربا واميركا الصناعية تستهلك في بلدان آسيا وعلى الاخص في الصين والهند لقاء المواد الاولية والغذائية التي تستوردها اوربا من هذه البلدان تبين لنا جلياً مقدار الاذى الذي حل بتجارة الصادرات الاوربية والاميركية من جراء توقف الهند والصين وايران الخ

عن استيراد هذه البضائع الاً الشيء القليل منها . فتكدست البضائع في اميركا واوروبا وتدهورت اسعارها ولم يعد لها من مخرج للتصريف فحلت الازمة التي يقاسي العالم منها الامرّين . والى القارىء ما قررته لجنة ماكلان الدولية في هذا الشأن

« ان السبب الاساسي للازمة العالمية هو تدهور الاسعار تدهوراً هائلاً قاتلاً للتجارة والصناعة والزراعة كأنما كل ما على الارض من عقارات ومنقولات اصبح بخس الثمن لدرجة غير معقولة . وبناء عليه لا بد لحل هذه الازمة من ايجاد الوسائل الناجعة التي تؤول (اولاً) الى ارتفاع الاسعار الى مستوى اعلى جداً مما هي عليه الآن (وثانياً) الى تثبيتها على هذا المستوى ما امكن . ولا يكون ذلك ممكناً الاً اذا تفهّم العالم الحقائق الآتية وعمل بموجبها ان نزول الاسعار او هبوط قيم الاشياء هو بالحقيقة صعود في قيمة المعدن الذي تتقايض به هذه الاشياء اي النقد الذهبي واذا قلنا هبطت الاسعار فكأننا بعبارة اخرى نعني ان قيمة الذهب قد ارتفعت . اذا عزّ الشيء ارتفعت قيمته وعلى الضد اذا توفر سقطت قيمته . وحيث ان مقدار الذهب في العالم قد نقص كثيراً اذا قيس بالحاجة اليه فان قيمته قد ارتفعت هذا الارتفاع الهائل المعبر عنه الآن بسقوط اثمان الاشياء وان لجنة ماكلان تعتبر انه في سنة ١٩٤٠ يصبح الذهب نادراً بالرغم من جميع الوسائل لتوزيعه في العالم حتى انه لا يعود كافياً للقيام بالغرض المطلوب منه كعملة يتداول الناس بها . فمن الضروري والحالة هذه ايجاد طريقة اخرى تقوم بحاجة التجارة او المقايضة الدولية

ان الصين والهند والمكسيك وايران تستعمل الفضة اساساً لنقدها فمن المحقق اذاً انه اذا ثبت النقد الفضي على اساس نسبة ثابتة بينه وبين النقد الذهبي تصبح المعاملات التجارية مع هذه البلدان سهلة جداً وتزول جميع العراقيل . واذا صار من الممكن استيفاء الديون التجارية سواء بالنقد الذهبي او بالنقد الفضي على اساس نسبة ثابتة بينها نشطت ولا شك التجارة بين الشرق والغرب وانعتقت من قيودها وعادت الى مجراها الطبيعي

ان الاعتراض الوحيد على هذه النظرية هو امكان الافراط في انتاج الفضة فيما لو عاد العالم واتخذها اساساً للنقد فيصبح عرضة للتقلبات والمضاربات فلا يعود يصلح عندئذ ان يكون نقداً ثابتاً . ولكن هذا الاعتراض فاسد من اساسه لان النسبة بين ما يستخرج من الفضة وما يستخرج من الذهب لم تتغير منذ اربعمئة سنة بل في اثناء الخمسين سنة الاخيرة كانت نسبة الفضة المستخرجة الى الذهب اقل من المعتاد . زد على ذلك انه عند ما ارتفعت قيمة الفضة الى اقصى حد ممكن لم تحصل زيادة في المقدار المستخرج منه بل بقي على النسبة نفسها — والمقادير التي تستخرج اليوم من المعادن اقل من المقادير المستهلكة سنوياً . انما السبب الوحيد في سقوط قيمة الفضة في السنوات الاخيرة هو المبيع من جانب الحكومات لمقادير هائلة

من العملة الفضية التي فقدت قيمتها النقدية بعد تثبيت النقد الانكليزي على أساس الذهب سنة ١٩٢٥ . وهذا ما يحل بالذهب نفسه فيما لو فقد قيمته النقدية اي قيمته كعملة دارجة ثابتة هنا وصلنا الى نتيجة حاسمة لا جدال فيها اذا عاد العالم واستعمل الفضة مع الذهب اساساً للنقد وهي سقوط قيمة النقد اجمالاً لوفرتة وهذا معناه كما بينا آنفاً ارتفاع في اسعار الاشياء التي تشتري بهذا النقد وبعبارة اخرى تسقط قيمة النقد الذهبي بنسبة ارتفاع قيمة النقد الفضي وبنفس النسبة ترتفع قيم الاشياء التي اساسها النقد الذهبي . عندئذ يستطيع الهندي مثلاً ان يشتري الكمبيوتر الانكليزي كما كان في الماضي بسعر ١٦ روبية لليرة الانكليزية عوضاً عن ٣٣ روبية كما هي الحال اليوم فتزداد قوته على المشتري وتعود اوربا واميركا الى تصدير بضائعها باسعار رابحة الى بلدان آسيا فتنتعش الصناعة ويقل عدد العاطلين وتعود التجارة بين الشرق والغرب الى مجراها الطبيعي . أفليس من الغباوة ان تتغاضى اليوم اوربا عما يستهلكه ستمائة مليون من البشر ؟ اما النسبة الاساسية بين الفضة والذهب التي يجب تثبيت قيمة النقد الفضي عليها فان الطبيعة نفسها قد اوجدتها فما من ضرورة للتفتيش عنها . ان الطبيعة قد اوجدت لنا هذين المعدنين اللذين استعملهما الناس معاً كنقد للتعامل منذ سالف العصور والطبيعة نفسها قد دلتنا على نسبة قيمة الواحد للآخر لانها تخرج لنا من الارض على معدل ١٦ اوقية فضة لكل اوقية ذهب . منذ الوف السنين من عهد الفينيقيين والمصريين والاشوريين حتى سنة ١٨٧٣ بعد المسيح عند ما تركت المانيا اساس النقد الفضي واعتمدت الذهب وحده اساساً لنقدها ثم تبعها في ذلك امم اخرى — حتى تلك السنة كان مثقال الذهب يساوي ١٤ او ١٦ مثقالاً من الفضة — اما الآن فمثقال واحد من الذهب يساوي ٧٧ مثقالاً من الفضة . ناقض الناس الشرائع الطبيعية فانتقمت هذه الشرائع منهم . لعل خطورة الحالة والخطر الذي يهدد كيان المجتمع الآن والخوف من وقوع اوربا واميركا في براثن الشيوعية — لعل هذه الامور تهيب بالدول الكبرى الى التضامن معاً على قمع هذا الشر الداهم من جذوره وذلك

(اولاً) — بتخفيض الضرائب وتخفيفها عن كاهل الناس — وهذا ممكن اذا اقتصدت الحكومات في نفقاتها وعسى ان يكون مؤتمراً نزع السلاح خطوة في هذا السبيل (ثانياً) الغاء التعويضات الحربية والديون الدولية او اذا كان هذا مستحيلاً فالغاء الحواجز الكمركية بين البلدان عموماً وجميع العراقل الموجودة الآن في طريق التجارة حتى تصبح التجارة حرة طليقة فيسهل وفاء الديون اذ يصبح التبادل في الاشياء محرراً من القيود الحالية (ثالثاً) — الرجوع الى النقد الفضي ليدعم النقد الذهبي فتنتعش التجارة بين الشرق والغرب وبانتعاشها تنتعش الصناعة في اوربا واميركا ويعود العمال الى المصانع والزراع الى الحقول ولا يعود اصحاب الرأسمال يخافون من ضياع اموالهم واتعابهم فتعود الثقة بين الناس كما كانت في الماضي

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَازَعَةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن المهددة فيها يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنناظر كذا ونناظر كذا (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالعبارات الوافية مع الاجاز تستنار على المطولة

الحضارة الغربية وانصاف اليهود

قرأت في مقتطف يونيو الاغر مقالة ممتعة لحضرة الاستاذ سامي الجريديني بحث فيه « ميزة الحضارة الغربية » بحثاً مستفيضاً معزلاً بنظريات فقهية وادلة علمية يلمع بين قرائنها ضياء المنطق والصواب. وما زلت استلهم روح هذا البحث الجليل استلهام طالب يجتهد في ان يستفيد من اطروحة جمعت في سطورها القليلة خلاصة ما وصل اليه التطور الانساني للحضارة الغربية مستمتعاً بما اورد الكاتب الفاضل من امثلة ناهضة لا تقل عن كونها عنصراً حياً من عناصر الموضوع القيمة الى ان صدمت بدليل واحد بين تلك الادلة كان اشبه بصاعقة تطارت شظاياها حمماً فوق رأس البحث الساس فشوه روحه. وقد خيم في افقه دخان فاحم يرمز الى غضب الحقيقة وثورتها على ما في هذا الدليل من شوائب تكاد تصفعها صفعاً !

اما هذا الدليل فهو حيث يقول (... يغضب اللبناني اذا جاوره ارمني واحب ان يدخل قوميته والفلسطيني تقوم قيامته اذ يرى الحضارة الحالية تنصف اليهود وتعدهم بشراً لهم ما لجميع البشر من حقوق وآمال ومطامح) !

المعروف والواقع ان مجلة المقتطف هي سجل للحقائق العلمية والتاريخية على تشعبها والثابت ان هذه المجلة هي المصباح الاول الذي انبثق منه نور حرية الفكر في ربوع هذا الشرق. وان ما يكتب فيها له من القيمة والخطر في ذاكرة التاريخ ما يحتل قنة الحقائق الراهنة الامر الذي يجعل المرور بهذا الدليل غير موفق وصمة سوداء في جبين نهضة العرب القومية الكبرى لذلك استأذن اصحابها ان يسمحوا لي بمناقشة هذا الدليل المعوج نقاشاً هادئاً انصافاً للحقيقة والتاريخ

ليس بالجهول ان العرب ثاروا على دولة الخلافة تخلصاً من العبودية وتحقيقاً لحريتهم واستقلالهم عملاً بالسنة الطبيعية التي تفرض على كل شعب يفهم معاني الحياة ان يساهم بقسطه في توطيد دعائم الرخاء الانساني. وغني عن البيان ان شعباً ما لا يستطيع ان يقوم بهذه الفريضة الانسانية الا اذا حطم قيود الاسر ودك اركان الرجعية وكوّن له شخصية عالمية

دعائهم السيادة والحرية . ومما لا شك فيه ان العرب لم يرتكبوا اثماً في جنوحهم الى هذا المطمح الانساني الشريف الا اذا عدّ المنافع عن كرامة الانسانية اثماً مجرماً !

ومن المهم ان يعرف العالم بأسره ان العرب لا يضمرون لليهود عداً لمجرد كونهم يهوداً وان العرب لا يقاومون غارة اليهود على بلادهم سحراً لا ماني اليهود في حريتهم وخلصهم الا ان الشر مهما تأدب الانسان في تعريفه يبقى شراً لذاته اذ ليس هنالك شر حسن وشر قبيح .

ولسنا ندري اذا كانت معاني الحضارة الغربية تميز لامة ان تسلب حقوقاً سياسية لامة اخرى

بل لسنا ندري اذا كان يصح ان يسمى اغراء اليهود بقطر من الاقطار العربية لمطامع سياسية

مغلوبة انصافاً لهم تتبرع به الحضارة الحالية . الا اننا نعلم علم اليقين ان تنازل شعب ما عن

وطنه لشعب آخر ليس الا اعترافاً بفلاس مبادئ الحضارة وانهيار دعائم الحق والسلم اولعله

من المفيد ان يسأل عن ميزة هذه الحضارة يوم قام كرمويل وارتابه في بريطانيا وفرنسا واسبانيا وايطاليا

يطاردون اليهود ويشنون عليهم الغارات بسيوف كانت تقطر دماً وتسطر شرائع تجعل من اليهود شعباً

احط مرتبة من ان يستمتع بحقوق الانسان اثناراً من خصائصه الشاذة وتخلصاً من اخطاره الجائحة !

اننا نؤكد لحضرة الكاتب المحترم ان اليهود لو كانوا يأتون الى فلسطين ليدخلوا القومية

العربية لفتح لهم العرب الابذرع وضموهم الى صدورهم كما يضم الحب حبيبه ولكنهم آتون

الينا ليفرضوا علينا جنسيتهم وادابهم ومدنييتهم وسيادتهم ! انهم يعملون على استفكك الاراضي

من ايدي العرب وقد استطاعوا بطريقة (الباس الظلم ثياب القانون) ان ينتزعوا من ايدي

العرب اخصب الاراضي مما نشأ عنه وجود ٢٨ الف عائلة بدون ارض وهذا ما قاله السرهوب

سيمسون في تقريره الرسمي منذ عام واحد يوم انتدب رسمياً لدرس مشكلة الاراضي في فلسطين !

ان السرهوب سيمسون يقول بوجوب اقطاع هؤلاء العرب ارضاً من تلك التي اغتصبها

اليهود والا فانه يتوقع محذوراً كبيراً اذ يعلن بصراحة احتمال تكرار الفتن والاضطرابات !

لان شذاذ الآفاق من اليهود قد اغتصبوا اللقمة من فم العرب كما اغتصبوا الارض والعمل .

فماذا يكون مصير شعب لا ارض له يقتات منها ولا عمل له يدر عليه قوته اليومي ؟ أيسبح

افراد الله بكرة وعشية على ما هم عليه من نعمة أم يستوحون ذهنية الفاقة والمجاعة ؟

ان فلسطين لن تكون للعرب واليهود معاً فاما ان تبقى عربية واما ان تهود وهذا نزاع

يكون الفصل فيه لانظمة لا قدرة لميزات الحضارة الغربية على الوقوف امامها او العمل على تغيير

سير تياراتها . على ان نهاية هذا النزاع ستأتي وسط جلبة داوية تقع تبعثها على من يقامر بمقدرات

الشعوب والامم من ابناء الحضارة الغربية هذه الحضارة التي نجد فيها ما هو جدير باحناء الرؤوس

احتراماً كما نجد فيها ما يستعذب معه المرء فدى حياته تخلصاً من شرورها وويلاتها !

عيسى بندك صاحب جريدة صوت الشعب

فلسطين

الرد

قرأت رسالة الفاضل الفلسطيني العربي فرأيتُهُ يفر من المبدأ السامي الذي وصفته في رسالتي الى بحث سياسي ذي نزعة حزبية لا تليق بمن يود ان يتجرد من سياسة اليوم المادية القائمة على الانانية ويسمو الى سياسة الغد التي سيكون اهم اركانها ازالة الفوارق الجنسية بل الدينية ولو عاد حضرته الى قراءة رسالتي بامعان لرأى فيها الرد على روح ما يكتبه فلا يولّد التعصب الا التعصب ولا يزيد في الحقد الا الاضطهاد . وانه لحري بمن يذهب مذهب حضرته في تأييد القوة والاستعانة على مذهبه بحق الفتح ان يكون القوي القوي . واما والحالة كما نرى فما اجدرنا بالمسألة ان لم يكن حباً بمبدأ فاخفاء للضعف سامي الجريديني

المادة والنور وآراء الاستاذ مشرفة

ان محاضرة رئيس التحرير عن رواية الالكترون وابطالها (مقتطف يناير ١٩٣٢) ، قد بعثت في نفسي اهتماماً دفعني الى ان اتحدث الى القراء عن المادة وعلاقتها بالنور . ولقد كفاني رئيس التحرير مئونة البحث وراء المادة ، اذ انتهى في محاضراته الى انها مؤلفة من ذرات ، وكل ذرة تحوي نواة ذات شحنة كهربائية موجبة تحيط بها الالكترونات ذات الشحنة الكهربائية السالبة . وانه لجدير بي ان اثير الموضوع اولاً حتى يتسنى للقارئ ان يراهم اعود الى مادته فأتهم نسجها اني وان بدأت بالنور فواجب ان اقول انه كان في المعتقد — وكان زعيم هذا المعتقد نيوتن — ان الضوء وهو يسير في خطوط مستقيمة ، لا بد ان يفعل ذلك في ذرات نورية يبعثها الجسم المضيء الى شبكة العين فتحس الابصار . ولكن هذه النظرية لم تصمد طويلاً امام وابل الظواهر الطبيعية التي عجزت عن تفسيرها . فتحملت مسئولية التفسير نظرية اخرى هي نظرية الامواج التي تحدثنا ان الجسم المضيء يتذبذب في مكانه ويرسل امواجاً يحملها الاثير الى العين فتبصر رغم ان نظرية الامواج كانت اكثر توفيقاً في تعليل المظاهر الطبيعية فانها لم تخل من عيوب الجأت العلماء الى اظهار النظرية الكمية لسد بعض النقص ، فذهبوا الى ان الضوء ينبعث متقطعاً في وحدات تدعى «كوتسم» او «فوتون» ، ومثل الضوء في ذلك كمثل السيل المنهمر يرسل في قطرات ماء اخشى ان يدور بخلد القارئ ان الضوء في هذا الحال يفقد طبيعته التموجية — فانه لا يفقدها — ولا اخالي مغالياً اذا قلت ان علماء القرن السابع عشر ، وقد اعتبروا الضوء جسيمات ، وان علماء القرن التاسع عشر وقد اعتبروه امواجاً ، كلاهما خاطيء او ان شئت كلاهما مصيب ، تفادياً للنزاع ، فتارة يظهر لنا بمظهر الذرات وطوراً يتصرف تصرف الامواج لي ان اقف والقارئ هنيهة ، وقد ثبت ان النور جسيمات مضيئة متحركة مع احتفاظها بحالتها التموجية ، اقف وأتساءل ، وقد قاسم النور الالكترون حالته : أليس من العدل ان يقاسم الالكترون

النور حاله فيصبح موجاً رغم احتفاظه بكيانه الجسيمي... نعم لقد دلت التجارب العملية الحديثة على ان هذا هو الواقع العملي. حتى من الوجهة النظرية البحتة نرى ان الحزمة من الأمواج لا ينقصها شيء من الكفاءة في ان تخضع للقوانين الطبيعية بما لا يميزها عن الإلكترون باعتبار انه جسيم. إذن يصل بنا البحث الحديث الى ان العالم امواج متلاطمة في امواج، فالنور امواج والمادة امواج جميل ان يكون النور من امواج والمادة من امواج، ولكن اجمل من هذا ان تكون امواج النور هي عين امواج المادة، وهذا المنحى من البحث هو لب حديثي الى القراء، وإن كان اصعب ما في الموضوع من حديث. اذ يتناوبني عند الكتابة عنه جملة عواطف متنازعة فبينما قلبي ينقاد تيهاً وإعجاباً ان يكون صاحب هذا البحث استاذاً مصرياً ووكيلاً لكلية العلوم، بلغ من انتصاره ان تواضعنا في تسميته استاذ المادة والنور، اذا به يشمس انفة وألماً اذ يرى الغرب دون الشرق— وان قلت الغرب فأقصد عاماء— يتحدثون عن هذا البحث ويحمدونه في كتبهم ومجلاتهم. ولم اذهب بعيداً وبين يدي كتاب The Mytserious Universe لجينز وكتاب « Beyond Physics » لألفر لودج اجد في كل تلخيصاً ممتعاً جعلني في حيرة ايهما افضل حتى عزمت ان ارجع الى اصل البحث وهو منشور في اعمال الجمعية الملكية بلندن في ديسمبر ١٩٢٩ تحت عنوان « المظهر المزدوج لكل من المادة والنور » وهو للاستاذ مشرفه واخرج تلخيصاً مستقلاً وان كنت اعتقد اعتقاداً جازماً انه سيكون اقل روعة من تلخيص هذين العالمين الكبيرين بدأ بمحنة بأن لعب بريشته الرياضية الحاذقة في معادلة الحركة المنتظمة لسطح الإلكترون وشكلها في صورة اخرى، ونظر الى هذه الصورة وهو منطلق بسرعة الضوء فراها وقد تحولت الى صورة موجة ضوئية، واستنتج انه لا بد وهو بسرعه هذه ان يرى الضوء مادة كما رأى المادة ضوءاً، اعني كأنه يقول ان لا فرق بين المادة والنور غير السرعة، فما المادة الا نور بطيء وما النور الا مادة سريعة

هذا هو البحث الاول وقد اهتزت له الدوائر العلمية ايما اهتزاز. اما البحث الثاني فهو لا يقل خطراً عن الاول، وقد قرىء في نفس الجمعية ونشر في مجلتها في مايو سنة ١٩٣١ فرض فيه وجود مجهولين غامضين لا يعرف كنههما، واثبت انهما لو ساعد احدهما الآخر لحكما انهما بروتون ذو شحنة موجبة، وان عاكس احدهما الآخر لذهبنا الى انهما الإلكترون ذو الشحنة السالبة، ولكن ان تعامدا—اعني ان مشى كل في سبيله، لا يعاكس ولا يساعد لرأيناهما نوراً اذن نخرج من هذا البحث وذاك، ونحن على يقين من ان النور من نوع المادة أو المادة من نوع النور، لا يفرق بينهما غير اختلاف في السرعة والاتجاه. وهذا البحثان محاولة موفقة ناجحة في اظهار ما بين النور والمادة من علاقة نأمل ان يدعمها بحث ثالث في القريب العاجل

محمود احمد الشرييني بكالوريوس في العلوم

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِفْتِصَانِ

ترقية الزراعة ومنتجاتها

كتبتُ هذا البحثُ لمناسبة المناقشات البرلمانية حول وزارة الزراعة وأثرها في ترقية الانتاج الزراعي في اواخر مايو واولئ يونيو

الاسلوب العرفي والاسلوب العلمي في الزراعة المصرية

(١) للبلاد فلاحه اهتمدى اليها الفلاحون بالاختبار جيلاً بعد جيل وتناولوها بالتهذيب والزيادة خلفاً عن سلف واستقر في عرفهم ما انتخلوه منها وتميز وعرف بالعرف الزراعي وبقواعده يستثمرون ملايين من الفدانين قبل ان توجد مدارس الزراعة ووزارتها وقدا عترف بصحته افاضل المهندسين والاداريين والزراعيين من الاجانب بعد ان حاولوا العدول عن بعض حقائقه او تعديلهما فأرجعهم الاختبار العملي اليها — راجع اقوالهم في مقتطف سبتمبر سنة ١٩١٦ ص ٢٧٦ ضمن مقالنا استغلال الارض

هذا العرف او الاسلوب العرفي لم يُدَوَّنْ منه الا قليل من كثير ولذلك كنتُ ولا ازال اقول انه — لا بد لترقية الفلاحة من البدء من الاساس وهو عمل الفلاح فنجمعه ونهذهبه — كذلك صنعت فرنسا في بدء نهضتها الزراعية

(٢) اما الاسلوب العلمي وهو ما يفيدنا اياه البحث على مناهج الاصول الحديثة فانه لا يزال « نَبْهَتاً لم يبرض بعدُ » — بأرض النبت اول ما يظهر منه « فالى سنة ١٩١٠ كان يعتبر الزراعيون الاجانب انه لا وجود له — راجع تقرير لجنة القطن في كتابي زراعة القطن الطبعة العربية بمطبعة المقطم سنة ١٩١١ — وقد ارتقت بعد ذلك مدرسة الزراعة بالجيزة الى مدرسة عليا وانشئت وزارة الزراعة ولكن تغلب الصبغة النظرية في الاولى والادارية في الثانية على المباحث الفنية عرفية كانت او عامية قصّر بهما عن العمل المجدي لترقية الفلاحة ومنتجاتها واضاع مجهودات بعض الفنيين ضياعاً ما كان يكون لو ان معرفتهم بشؤون الفلاحة والفلاحين العملية كانت غير قاصرة — راجع بمقتطف يوليو سنة ١٩١٨ انتقادنا لتجارب المستر كارتر ايت والمستر دوجن في ري القطن . وراجع بتقارير مجلس مباحث القطن تخطيط هذه التجارب

(٣) وفي مقطم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥ علقنا على النشرة الفنية لمجلس مباحث القطن عن تشريق الارض وبعد ان حبذنا ما يستحق التحبيذ فيها وراجعنا ما يستحق المراجعة منها قلنا من غير جمع العرف الزراعي يطول ويلتوي الطريق على الباحثين العلميين فتصدر عنهم مزاعم يعرف الفلاح بطلانها فيقل ايمانه بأبحاثهم الاخرى . ولا تكون لهذه الابحاث قيمتها العملية الا اذا تناولها العارفون بالفلاحة العملية ودرسوها وهذبوها واستخلصوا منها ما يفيد الفلاح العملي فائدة حقيقية . اما النشرات الزراعية التي يكتبها علماء غير مشغولين بالفلاحة العملية وغير عارفين بالعرف الزراعي معرفة كافية فان الفلاح لا يستفيد منها فيعملها لانها غريبة عنه وهذا هو السر في عدم استفادة كثيرين منها »

(٤) ولذلك كان مما اقترحت على لجنة اصلاح التعليم الزراعي منذ سنين ان يوجه التعليم في المدارس الزراعية وجهة عملية وان يتوقف اعطاء الدبلوم لمتخرجيها على قيامهم ببحث احد الموضوعات الزراعية العملية بحثاً وافياً . هذا ما اقترحته وبالاولى ان يكون اساتذتها ممن تكونوا تكويناً عملياً او كما قال مؤلف تطور الزراعة وارتقاؤها بألمانيا « نطلب ان كل استاذ يدرس علم الزراعة يجب عليه ان يثبت في الشغل العملي حسن ادارته الخ » ص ٨٤ من الترجمة العربية للاستاذ عصام ناصف

غيطان النماذج

(٥) الزروع المصرية وصناعاتها قسمان — قسم عام يشترك في معرفة فلاحته جمهور الفلاحين في كل المناطق كل منطقة وما يوافقها كزروع القطن والقمح والبرسيم والذرة وقسم خاص تنحصر معرفته في مناطق او جهات خاصة كبعض زروع الخضروات والفاكهة وتربية الطيور وصناعة الالبان الخ وفي كلا القسمين يتفاضل الفلاحون بعضهم عن بعض في معرفة حقائق كل زرع او كل صفة واتقان العمل بها تبعاً لتفاضلهم في الخبرة والاجتهاد والقدرة والذكاء وقد انشأت الوزارة غيطان نماذج للزروع الاولى الاكثر شيوعاً ولا حاجة بالفلاحين اليها خصوصاً انه يوجد في كل قرية غيطان ممتازة باتقان الفلاحة وذكاء الانتاج وهذه الغيطان اكثر عدداً وأقرب مسافة لسائر الفلاحين من غيطان الوزارة المحدودة . لذلك كان الاجدر بالوزارة ان تقوم بانشاء محطات تجارب ونماذج لزروع القسم الثاني وصناعاته لاذاعتها بين جمهور الفلاحين فيتيسر لهم الانتفاع بها واحلالها بدل ما قل من زراعة القطن بدون بطاء ولا تخبط وصعوبة كما هو حاصل الآن — لذلك اقترح العدول عن غيطان النماذج للزروع الشائعة وانشاء محطات تجارب ونماذج لسائر الزروع والصناعات الزراعية التي يحسن نشرها بين الفلاحين الآن لكل مديرية محطة على الاقل يختار لها ما هو اوفق لاقليمها من هذه الزروع والصناعات

الري

(٦) الاصل ان يكون الري تابعاً للزراعة لا ان تكون الزراعة تابعة للري ولكن الحال في مصر بالعكس لتقدم علم الري عن علم الزراعة كما يقول مؤلفا النشرة الفنية الآتية الذكر ولعله لذلك كانت الاخطاء التي اضرّت بمخصب الارض وانتاجها ونذكر منها

(١) قصور الصرف عن بلوغ شأو الري وقد تواترت المشاهدات والاقوال فيه من رجال الري والزراعة معاً . من ذلك رسالتان لشفيق باشا وزير الاشغال والزراعة السابق نُشرت احدهما بمجلة الفلاحة والاخرى بمقطم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٦

(ب) عمل مشروعات لاهياء ارض موات وإهمال ارض زراعية رواتب عامرة وانما ينقصها العناية باتمام وسائل ريها وصرفها . قلت في احدى مذكراتي الزراعية ان من العبث ان نرى كثيراً من الارض الزراعية مهملة او قليلة الري لقصور ريها او صرفها ثم نعمل على إضافة ارض جديدة — ليست العبرة بكثرة الفدادين بل العبرة بما يمكن عمرانه واستغلاله كما ينبغي ولذلك فان الافضل الآن تدبير ما يلزم لاتقان ري وصرف الاطيان الزراعية الحالية وهي كثيرة لاسيما وان الكلفة فيها اقل والفائدة اقرب واكثر — راجع الجزء الثاني من كتاب علم الري لحسين سرّي بك ففيه احصائيات مفيدة في هذا الموضوع وقد نشرتها في المقتطف السنة الماضية ضمن ملخص عن مشروعات الري الكبرى

(ج) وجوب التبكير بالجفاف الشتوي عن اوانه المعتاد خصوصاً انه يتوفر معه الماء المخزون بخزان اصوان كما شرحنا ذلك بمقطم ٧ مايو سنة ١٩٢٢ ومقطم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٩

(د) تمكين المزارعين من الانتفاع بمياه الفيضان الجراء حتى لا تحرم منها الارض بينما هي تضيع هدرًا في البحر الابيض المتوسط كما شرحت ذلك بمقطم ١٩ اغسطس ١٩٢٢

(هـ) تمييز الجهات البحرية بالتبكير في طفي الشراقي كما شرحت ذلك بمقطم ٢٨ مايو سنة ١٩١٧ الخ الخ الخ

(٧) — ان المثل الاعلى الذي نبتغيه في الري أن يتيسر وجود المياه حسب حاجة الارض والزرع فلا مناوبات طويلة يظلم معها النبات ولا تحاريق — منسوب واطي للمياه — يكفينا الروافع ولا حظر او تقييد يحول دون زراعة الارز زراعة بكيرة او تحرم منه منطقة تحتاج اليه او يتأخر طفي الشراقي للذرة عن موعده المناسب او يحول دون تنميل الارض في فصل الفيضان وأن تكون المصارف كافية لتجفيف التربة وتخفيض مستوى النز «الماء الارضي» وان يكون صرف الفيضان فيها بالراحة الخ الخ الخ

حالة الفلاح

(٨) يزعم البعض ان الفلاح كسول عن فلاحه ارضه كما ينبغي . كلاً إنه مريض تضعفه البلهارسيا والانكلستوما والمalaria والانيميا وسوء التغذية والمسكن والملبس والمكيفات واشدّها فتكاً به الهروين وفصيلته الجهنمية ولا اكاد اذكر هذا الا واذكر معه اعتراضى على حظر زراعة الخشخاش (الافيون) الذي اقره البرلمان منذ بضع سنين فقد نشرت حينذاك رسالة بالمقطم قلت فيها انه لم توجد امة من الامم في كل زمان ومكان إلا ولها مكيفات واقل هذه المكيفات شرّاً ما تعودته فاذا حظرنا زراعة الافيون وهو زراعة وطنية حل محلّه الهروين وما اشبهه وفضلاً عن انه اشدّ ضرراً فانه بضاعة اجنبية يذهب ثمنها من جيوبنا الى جيوب الاجانب وقد صح ما توقعته حتى ان رسل باشا حكمدار القاهرة راعه انتشار الهروين وشدة فتكه بالجمهور فاقترح اباحة تدخين الخشيش في مستعمرات خاصة فينصرف الجمهور عن الهروين اليه ولو عرف الحكمدار ما نعرف من احوال الفلاحين الاجتماعية والصحية وتقاليدهم العرفية لطلب اعادة زراعة الخشخاش — وبعض الشرهون من بعض — والقارىء الذي يعرف أن باعالي الصعيد منطقة لزراعة الخشخاش يرى انا لم نخرج بهذا الاستطراد عن موضوعنا — ترقية الانتاج الزراعي ١١١ ونعود لتحسين حالة الفلاح الصحية فنقول انه تجب العناية بالاستكثار من المستشفيات الثابتة والمتنقلة لعلاجها وايجاد دعاية صحية شاملة واذا يتعافى الفلاح فيقوى وينشط ويزيد إنتاجه

(٩) يزعمون ان الفلاح جاهل بفلاحته . كلاً . إنه خُلس من المعارف الاولى التي تنير ذهنه وتصيّرهُ خيراً مما هو فهماً وتميزاً وإذاً يمكنه أن يرفع مستوى عمله في فلاحته ومعيشته — فلنُعلِّمه القراءة والكتابة ومبادئ الصحة والحساب وقواعد الدين والآداب ولنُجَبِّبْ اليه الفلاحة ونقص عليه ما بلغه فلاحو البلاد المستنيرة في ترقيتها والاستفادة منها لا ان نُلَمِّزُهُ بلفظ فلاح كانه من ألفاظ التحقير ١١١

(١٠) ان ازدياد ريع الارض لا يتوقف الآن على شيء بقدر ما يتوقف على اصلاح حال الفلاح صحياً وادبياً كما اسلفنا ومالياً ايضاً فلنُعاونهُ على الحصول على افضل البزور والاسمدة والآلات والمواشي ايضاً وعلى بيع محصوله بالثمن المناسب في الوقت المناسب وعلى اتقان العمل بما يعرف ومعرفة ما يجمل من شؤون الفلاحة وصناعاتها حتى يزيد كسبه ومهارته لا سيما وانه يشتغل هو وزوجته واولاده فاذا تعددت نواحي العمل استطاع كلٌ منهم ان يأخذ بناحية من نواحيه — راجع بمجلدات المقتطف سنة ١٩١٦ وسنة ١٩١٧ مقالاتنا « استغلال الارض — اركانه » و« كفياته » ففيها ابحات مسهبة عن الفلاحين ومواضع القوة والضعف فيهم وما يحتاجون اليه لاصلاح احوالهم الادبية والزراعية — وفيها ايضاً ابحات عن موضوع الفصل التالي

الملاك

(١١) اهل كبار الملاك الوطنيين العناية بالفلاحة سواء كان بجهلهم أو عدم تعليم ابنائهم اياها أو تفضيل الإقامة بالقاهرة أو خدمة الحكومة على الاستقرار في مزارعهم أو الاشراف على ادارتها والمثل الزراعي القديم يقول « الضيعة لصاحبها أو في ذلك أعمر » أو بسوء تقديرهم لموظفيها وكان لا يزال كثير منهم يحسب ان ادارة المزارع لا تستدعي ما تستدعيه الادارات الاخرى من ضروب الكفايات الفنية والادبية على تفاوت بينهم في ذلك ففريق منهم على ان معرفة الفلاحة ليست شرطاً ضرورياً في مدير الزراعة كانه يمكن ان يحسن انسان ادارة شيء يجهله وفريق آخر على انه في معرفة الفلاحة وحدها الكفاية لادارة شؤونها بلا تقدير يؤبه به للكفاءات الادبية والاخلاقية التي يجب توفرها في كل من تعهد اليه مهام اي عمل كان القواعد الفنية يصدر تدبيرها عن نفس طارفها مجرداً عن العوامل الاخرى كجودة النظر في تكييفها حسب المناسبات وتميز متشابهاتها وتقدير ملائمتها والهمة والنزاهة في تطبيقها الخ الخ وكل ذلك من اسباب ضعف الانتاج الزراعي ومعلوم ان الاطيان المملوكة لكبار الملاك تبلغ نسبتها اكثر من ٤٠ ٪ من اطيان الاهالي

المعارف الزراعية

(١٣) هناك اهمال فاضح في نشر المعارف الزراعية ومغلقاتها ووضعها وضعاً يسهل استفادة الجمهور منها — ترى ذلك في اسلوب كثير من ابحاث وزارة الزراعة وغلاء اثنائها وفي عدم عناية الجرائد والمجلات بالابحاث الزراعية فانها تفضل عن نشر ابحاثها نشر كلمة من شوارد اللغة أو حفلة وداع موظف أو خلاف زوج وزوجة والادهى من ذلك نشر ما لا يفهم حتى لتكاد تكون قراءته طرداً كقراءته عكساً

وبعد فان ترقية فن الزراعة واذاعته وتكثير الانتاج الزراعي وتجويده لا يتوقف على مجهود وزارة الزراعة وحدها فانها وان كان يجب ان تكون زعيمته الا انه لا بد من أن تتعاون معها مصلحتا الري والصحة ووزارتا المعارف والمالية وكبار الملاك وجمهور الفلاحين والصحافة. ولقد التزمت في مقال هذا الاختصار التام فان مواضيعه وان وجهتها نحو غرض واحد هو الانتاج الزراعي فان كل واحد منها مستقل بذاته يقتضي ابحاثاً خاصة مسببة

احمد الالني

مكتبة المقتطف

امراء الشعر العربي

في العصر العباسي

دراسات تحليلية لأدب سبعة من أشهر شعراء العرب والجو الذي نشأوا فيه
تأليف أنيس المقدسي — استاذ الأدب العربي — في جامعة بيروت الأمريكية

نحسب — ولا نغالي في حسابنا — هذا الكتاب من أفضل الكتب الأدبية التي أخرجتها المطابع العربية في بضع السنوات الأخيرة . فاشعراء العصر العباسي مكانة فريدة في تاريخ الأدب العربي ويكفي أن نذكر الشعراء الذين اختارهم الاستاذ المقدسي موضوعاً لدراسته — أبو نواس وأبو العتاهية وأبو تمام والبيحري وابن الرومي والمتنبي والمعري — ليكون ذلك مغرياً للباحثين والقراء بالعناية به عناية خاصة . فإذا تصفحنا فصوله ورأينا سعة الاطلاع في ايراد الروايات المختلفة عن أئمة الناقدين والباحثين ، وصفاء الذهن في تحليلها وضرب الامثلة عليها ، واتزان الحكم في ترجيح رأي على رأي أو استنباط رأي جديد ، عرفنا أننا لسنا امام كتاب عادي مما تقذفنا به المطابع كل يوم . انه كتاب استاذ !

ولم يشأ الاستاذ المقدسي ان يفاجئ القارئ مفاجأة بدراسة الشعراء الذي أمّروهم على الشعر في العصر العباسي . بل عمد — وحسنًا فعل — الى وصف العصر العباسي وصفًا مجملًا في نحو ٨٠ صفحة من الكتاب فتناول التنافس بين العناصر الجنسية ولا سيما تنافس العنصرين العربي والفارسي وضعف الخلافة وتجزؤها الى امارات مستقلة وأثر ذلك في شعر ذلك العصر قال : — « وكان من نشوء هذه الدول في العالم الاسلامي ان الأدب تحول عن بغداد الى مراكز اخرى فكان الخليفة الراضي الذي بويع سنة ٣٢٢ هـ آخر خليفة دول له شعر وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمته وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدمين (الفخري ٢٠٦) ومعنى ذلك ان العرش العباسي لم يعد الموئل الأكبر للأدب والأدباء وانه نشأ في الامارات المستقلة حواضر زاحمت بغداد في الشعر والعلم منها بلاط سيف الدولة في حلب وتلك الحلقة الأدبية التي كانت تحيط به مثل ابن خالويه وابن نباتة وأبي فراس والمتنبي والفارابي . . . وبلاط آل بويه ومن اتصل بهم كابن العميد والصابي والصاحب بن عباد . . . الخ وهذا التنافس على الأدب ،

(بين امراء الامارات المختلفة) يفسر لنا تلك الظاهرة التاريخية الغريبة — استمرار الادب العربي مع ضعف العرب وذهاب السيادة من ايديهم — ومن اشهر رجال الادب والفكر في ذلك العصر ابن سينا الطبيب الفيلسوف والبيروني الفلكي والجوهري صاحب الصحاح وابن فارس اللغوي وابن دريد صاحب الجمهرة والمسعودي المؤرخ وابن مسكويه المؤرخ والفيلسوف وابن البيطار النبائي . اما المدن التي شاركت بغداد وزاحتها فمنها مصر وحلب ودمشق وقرطبة واشبيلية والقيروان وخوارزم ونيسابور وبخارى

ثم فصل تطور الحياة الاجتماعية العربية الذي بلغ اوجه في العصر العباسي بنشوء قومية عربية جديدة على اثر دخول شعوب البلدان التي فتحتها المسلمون في حظيرة الدعوة الاسلامية ، وازدهار عمران بغداد وسواها من الحواضر ، واتساع الثروة وازدياد الترف ، وترعرع النهضة الفكرية العامة . ولكل من هذه الظواهر الاجتماعية اثر بالغ في الشعر العربي فنشوء القومية الجديدة مثلاً بالامتزاج والاختلاط والانضمام ادخل على اللغة العربية الفاظاً جديدة . ففي الشام كان الروم والسريان واليهود . وفي العراق الاراميون والفرس . وفي مصر الاقباط وسواهم في سوى ذلك — واكثر الالفاظ المقتبسة اما يونانية او فارسية . اما اليونانية فراجعة الى حياة اليونان العلمية والفلسفية — واما الالفاظ الفارسية فمعظمها اجتماعي قال : « وقد تحرينا اكثر من مائة لفظة عربية فارسية الاصل فوجدنا اكثرها من باب المأكل والمشرب والملبس والفرش والملهي بين الادوات المنزلية والصناعية » وكلا الطائفتين من الالفاظ دليل على الناحية التي اختلط فيها العرب باليونان من جهة وبالفرس من جهة اخرى وعلى هذا النحو يمضي المؤلف في درس الحياة الاجتماعية من ناحية اثرها في الادب والشعر ، ثم يتحول الى « مجاري الحركة الفكرية » مبيناً ان المصادر الرئيسية هي اليونان وفارس والهند : قال : « ليس للحركة الفكرية في امة من الامم منبعث خاص تتدفق منه تدفق ينباع من جوانب التلال . بل هي كسيول الاودية تمدها المياه القليلة المنحدرة من هنا وهناك فلا يلبث ان تصير عجاجة شديدة الشكيمة . كذلك حياة العرب الفكرية ، كثيرة الاصول متشعبة الروافد ، وهيئات ان نحاول الآن البحث عن كل اصل وكل رافد منها فانها متصلة بظلمات يتيه فيها الاستقراء العامي والقياس المنطقي »

وحبذا لو عني في هذا الباب في اثناء الكلام عن المصدر اليوناني بايضاح ان حركة الترجمة من اليونانية الى العربية لم تتم مباشرة ، وان معظم المؤلفات العربية التي تسند الى اصل يوناني انما نقلت عن ترجمات سريانية في الغالب . نعم انه اشار صفحة ٦٣ سطر ٦ الى ذلك ولكن الاشارة بمحالة مبهمة لا تغني عن الايضاح

ما تقدم يرسم للقارئ صورة مجملة شديدة الإيجاز للقسم الأول من الكتاب . أما القسم الثاني فيبدأ بفصل في خصائص الشعر العباسي تليه الفصول السبعة الخاصة بالشعراء الذي اختارهم موضوعاً لبحثه وقد مر ذكرهم

في رأس الصفحة الثانية من هذا الفصل حكم المؤلف يصح أن يعتبر أساساً لبحثه . فبعد أن يبين أن الشعر نوعان رئيسيان وجدائي وموضوعي — فالوجداني يدور على نفس الشاعر والموضوعي على شيء خارج من نفسه يقول : « وانت اذا رجعت الى معظم دواوين الشعر في العصر العباسي ثم دقت في المقاييس الأدبية التي وضعها علماء البلاغة ونقده الشعر امثال الجرجاني والعسكري والامدي والثعالبي وقدامه والاصمغاني وابن الاثير واطراهم رأيت ان التجدد في العصر العباسي لم يتعد في الغلب صناعة الشعر وانه منحصر في الوجداني منه وهو يظهر في ثلاثة مظاهر — رقة العبارة والتفنن في المعاني والتوفر على البديع اللفظي وقد يضاف اليه التوسع في المصطلحات اللفظية » . ثم يستثني من ذلك الناحية الروحية فيقول « على انه من الانصاف ان نقول ان الشعر المولود يمثل لنا ايضاً تجدداً في الناحية الروحية من الشعر ناحية الزهد والورع والاصلاح » وقد غني بهذه الظاهرة عنابة خاصة لدى البحث في شعر ابي العتاهية

ويلي ذلك شرح كل من هذه الظواهر وضرب الامثال الكثيرة عليها من شعر ذلك العصر

الى هنا وقفنا الكلام على ثلث الكتاب الاول . اما طريقة دراسته لكل من الشعراء الذين اختارهم للأمانة في العصر العباسي فقد تبينها قراء المقتطف في الفصل المسهب الذي نشرناه في مقتطف ابريل ومايو هذه السنة عن « ابوتمام » وقد خرج فيها على المؤلف في ايراد سيرة الشاعر ونواذره الى تبين أثر حياته في شعره وفكره واستخراج الحقائق العامة التي يمتاز بها انتاجه الشعري

وقد يسأل البعض لم اختار المؤلف هؤلاء الشعراء دون غيرهم ؟ والجواب قوله . « يختلف الباحثون في من المقدم من شعراء العصر العباسي . ولا سبيل الآن الى البحث في اختلافاتهم والنظر في اسبابها فلكل نظر خاص ولكل آراء يدعها بحجج مقبولة . على اننا قد اخترنا لدراستنا سبعة هم بلا جدال اشهر المولدين . وقد يجدر بنا ان نضيف اليهم ابن الفارض ولكننا تركناه لرسالة خاصة تتناول عهده واسلوبه . وخصصنا هذا الكتاب هؤلاء الشعراء الذين يمثلون في انفسهم وشعرهم حضارة العصر العباسي افضل تمثيل »

وقد غني المؤلف بذكر المصادر التي اعتمد عليها في دراسة كل شاعر في صفحة على حدة

في صدر كل رسالة ، وهي تشمل أهم المراجع التاريخية والأدبية قديمة وحديثة . ولكنه لم يفرد هذه الصفحة — كما يفعل بعض المؤلفين — ليفرد من تبعة الاسناد اليها استناداً دقيقاً في المتن . فانت ترى اذ تقلب صفحات الكتاب ، هوامشها مشحونة بالاسناد الى المصادر التي اعتمد عليها . ثم انه الحق بكل فصل مختارات من شعر الشاعر
فالكتاب في الواقع ثلاثة — رسالة موجزة في العصر العباسي وسبعة فصول في سبعة من امراء الشعر فيه وديوان مختار من شعرهم

اشعة وظلال — المصنوعات الزراعية

— ديوان — — مجلة —

قد يستغرب القارئ اذا قلنا له ان صاحب المجموعة الشعرية الموسومة « اشعة وظلال » هو صاحب المجلة العلمية التي اسمها « المصنوعات الزراعية » ولكن الدكتور ابو شادي قد عودنا مثل هذه الغرائب فقد اصدر في خلال بضع سنوات كتاباً طبيياً ضخماً دعاه « الطبيب والمعمل » وديواناً ضخماً سماه « الشفق الباكي » وكتاباً في « مبادئ النحلة » ومجلتين احدهما « مملكة النحل » والثانية « الدجاج » . وهو الى ذلك بكتيريولوجي يقع على عاتقه عبء جانب كبير من البحث البكتيريولوجي في مستشفى الامراض العفنة بالقاهرة
فنحن نرفع قبعتنا — على حد التعبير الانكليزي — او ننحني باحترام لصاحب هذا الذهن الفياض يدعمه دأب يصح ان يكون مضرب الامثال

اما « اشعة وظلال » فمجموعة من قصائد ابي شادي الحديثة في مطالب متنوعة . فمنها طائفة كان ينشر بعضها تحت عنوان « شعر التصوير » . وطريقته فيها اختيار صورة رسام مشهور ووصف اغراضها في قصيدة عربية . وفي هذه القصائد كثير من المعاني الجديدة والصور الشعرية الفاتنة . ولكن القصائد في الغالب فائرة لا تثير النفس ، ولعل ذلك سببه ان معظم الصور غربي يمثل نواحي من الحياة الغربية لا تسترعي عنايتنا ، ولعل الشاعر في وضعها يستوحى عقله أكثر مما يستوحى شعوره المتوهج اعجاباً بها . وافضل من ذلك لو تصور الشاعر صوراً ووصفها شعراً اذن لجاءت وليدة خياله وشعوره وعقله معاً ، فتم له بذلك عناصر الشعر السامي

ثم طائفة — وهي قليلة — من الشعر المترجم عن الانكليزية أو الفرنسية . وفي الحالين تفضل الترجمة النثرية على الشعرية . فللدكتور ابو شادي مذهب في الترجمة الادبية يقوم على

الترجمة الحرفية وهو واجب في النشر الادبي. ولكن اذا جئت تقييد الترجمة الحرفية بقيود الشعر العربي افضى الى ذلك الغموض ، وهو المسحة الغالبة على القصائد القليلة المترجمة

اما الطائفة الثالثة فتلمس فيها نفس الشاعر وقد ارسات على سجيته فيرتفع على اجنحتها الى مستوى الاجادة العالي. خذ مثلاً قصيدته التي ردّها على الاستاذ الذشار (صفحة ١٨ — ٢٢) فانها من عيون الشعر ، ويجب ان تقرأ كاملة . والمقطوعة « دنياي » صفحة ٤٦

يا وجهها ان فيك الحسن مشتعل
يا ثغرها ان فيك النور مؤثلقاً
يا شعرها ان فيك الموج مضطرباً
يا صدرها ان فيك الوعد منتهياً
يا صوتها ان فيك الوحي منبتقاً
روائع هي لي الدنيا باكملها
واللطف ممتثلاً والحب مجتمعا
والعشق محترقاً والسحر مطلعا
والليل محتجباً والصبح ممتنعا
والعطف مزدهياً والبر متسعا
والشعر مندفعاً والفن مبتدعا
ولن اقيس بها خلافاً وما جمعا
وقوله في قصيدة الوعود صفحة ٨٩

لتعبث بي الاقدار ما شاء حكمها
وما خوفي الا عصار بعد هبوبه
واي جحيم ابعد اخشى لهيبه
وقوله في رثاء فوزي المعلوف

فالعبقريه لا محل لكنها ابداء وليس جلالها لغناء
كل الجمال مطوع لجمالها كل الوجود يخصصها بدعاء
تحيا وتقنى ، والحياة وضدها سيان في ملكوتها المتناهي

اما مجلة « الصناعات الزراعية » فاسمها دليل عليها وهي من المجالات التي تحتاج اليها مصر كل الحاجة . فمصر « ليست جديرة باستقلالها الاقتصادي فقط ، بل بتفوقها في الصناعات الزراعية تفوقاً يسمح لها بالتصدير والسيطرة . على جانب غير قليل من الاسواق الخارجية . ولكن هذا لن يتحقق بغير الهمة الفعالة والسعي المتواصل ونشدها الكمال في الانتاج والتصريف — وهذه هي رسالة المجلة . . . » نقلاً عن افتتاحية العدد الاول صفحة ٢

فترحب بهذه المجلة المفيدة ونتمنى لها النجاح في خدمة البلاد

صور جديدة من الادب العربي

اطلع قراء المقتطف على فصول هذا الكتاب لما نشرت تباعاً في المقتطف ، وعلى مقدمة الدكتور طه حسين له ، التي نشرناها في مقتطف يونيو الماضي . فنشكر المؤلف — كامل كيلاني — عنايته بجمعها في كتاب يجب ان يكون في خزانة كل اديب عربي

الخطرات (١)

كتاب أدب وأخلاق واجتماع بقلم الأنسة وداد سكا كيني
من يقرأ هذا الكتاب يرى ان الأنسة وداد نموذج صالح من فتيات العرب الصالحات ،
فهي تدعو الى التهذيب العام ، والى تهذيب الفتاة بوجه خاص ، على وجه يتفق مع مصلحة
الامة والبلاد وآداب ارضنا الصالح . وقد سهرت في ميادين من الادب والحكمة والاخلاق
والتربية كانت فيها مجلية . وها انذا اعرض على القارئ الكريم نماذج قليلة من هذه المقالات :
تري الأنسة الفاضلة — في مقال العظيمة — ان العظيمة الحق لا يجوز ان تقال الا لنا بغة
له اثره الطيب في الحياة من رجال الاختراع والفن والفلسفة والادب وغيرهم ممن يترك في الناس
اثراً له قيمته وله خطره ، وللناس جناح وفائده

وتري — في مقال الادب العربي — انه لا يجتهد فضل الآداب القديمة الا كل جاهل بها ،
او متذوق منها ما لا يروي غلة . ولكنها تريد من ادباء اليوم ان لا يكونوا نسخة عن تقدمهم من
السلف ، بل يجب عليهم ان يكونوا ادباء يمثل اخلاقنا وحياتنا ، كما مثل من قبلهم اخلاقهم وحياتهم
وتري — في مقال الانانية — ان الانانية من الطوائع الانسانية ، فهي لا يمكن استئصالها
لكن في الامكان تهذيبها حتى تكون مستدلة وحينئذ لا تكون بغيضاً ولا ممقوتة ، لانها
والحالة هذه — من مقومات الحضارة وال عمران والارتقاء

وتري — في مقال تطور المرأة — ان المرأة العربية كان لها مقامها الرفيع عند العرب في
الجاهلية . واعتذرت للعربي الجاهلي عن قسوته احياناً ، وحملت ذلك منه على الحب الشديد
لهذا الجنس . وما نرى هذا مما يغفر له سيئاته . وقد تناست الأنسة كثيراً من العادات السيئة
التي كانت تحط من مقام المرأة في ذلك العصر ، حتى جاء الاسلام فضرب بكل تلك العادات
الممقوتة وجوه اهلها ، ورفع المرأة على عرش الحرية الصحيحة ، واعطاها من الحقوق المشروعة
ما تقصر عن بعضه امرأة اوروبية اليوم

وتري — في المقال نفسه — ان العرب ، بعد ان اختلطوا بغيرهم من الأمم تسربت اليهم
من اخلاقها ما لا يتفق والكرامة العربية ، وسرى من ذلك شيء الى المرأة العربية ، فتبدلت
اخلاقها وانحط مقامها فكل ما نراه بعد ذلك ، الى يومنا هذا من تأخر المرأة العربية ، لم يكن
ارثاً عربياً ولا اسلامياً ، وانما هو آت عن طريق غير عربية ولا اسلامية

ورأيها في المقال معتدل ، فهي تنقم على المرأة هذا الارث البالي ، وتريد منها ان تتجدد
تجدداً يلائم روح العصر والبيئة بلا افراط ولا تفريط . وتنقم على من كسروا وكسروا قيود
الحياء والشرائع ، اولئك الذين يريدون ان تنغمس المرأة في هذه المدنية الاوروبية بلا قيد ولا

شرط . وترى ايها القارئ . الكريم ، هذا واضحاً ايضاً في مقال « اصلاح المرأة »
وترى الآتية الفاضلة — في مقال المرأة الادبية — ان هذه المرأة ضرورية لكل مجتمع
اذ لولاها لظل المجتمع في خموله وضلاله ، ولولا المصلحون في كل امة ، الذين يجارون بالحق
ويصدعون بالصدق ، لم تقم لامة قائمة وضربت على ذلك مثلاً شيخنا الامام المرحوم « الشيخ محمد آ
عبده » ووصفت ما قام به من الاصلاح والدعوة الى النهوض والتجديد في سبيل الحق وصفاً صادقاً
واذا قرأت مقالها « ذكرى النبي » رأيت ما تحمله هذه الفتاة في قلبها من الشعور الديني
الصادق الخالص من شوائب البدع والخرافات التي ألصقت بالاسلام وهو منها بريء . ورأيت
ما في نفسها من الاكبار والاجلال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقد وصفت ما قام به الرسول
من جلائل الاعمال ، وكيف صبر في سبيل الدعوة الى الحق صبر الجبال على النوازل ، حتى بلغ
ما يريد من هداية قومه

واني اجتزى بما كشفت عنه من المقالات التي ذكرتها عن اظهار ما في المقالات الاخرى من
روائع المعاني الجليلة ، حباً للاختصار ، لان ذلك يقتضي صفحات كثيرة لا يتسع لها صدر
هذه الكلمة . وما على القارئ الكريم الا ان ينعم النظر في هذا الكتاب كله ، فيرى فيه من
الموضوعات الجليلة المفيدة ما يدعو الى نشره واذاعة فضل مؤلفته التي تستحق كل اكبار واجلال
الفرق الاسلامية

للاستاذ البشبيشي المدرس بدار العلوم

لعل ديناً من الأديان السماوية لم يرزق كثرة الفرق فيه كما رزق الدين الاسلامي ولقد
كانت هذه الفرق المتعددة موضع سخط الجمهور من المسلمين ومحل المقاومة من الخلافة
الاسلامية . الا انها بالرغم من ذلك استطاعت ان تكون حلقة من حلقات التفكير الاسلامي
واستطاعت — على الرغم من اضطهاد الرؤساء — ان تكون لها انصاراً واتباعاً
ومن المحقق ان هذه الحركات الفكرية في الاسلام هي اثر من آثار اتصال المدنية الاسلامية
بالفلسفة الاغريقية عن طريق السريان . والحكمة الهندية والديانة الفارسية
وحبذا لو تكلم مؤلف الفرق الاسلامية عن هذا الاتصال ورد هذه الآراء الى النبع
الذي استقت منه فان بحثه يكون بذلك اتم وأوفى

وكنا نود لو ان الاستاذ البشبيشي تكلم عن هذه الفرق من غير تعرض للرد عليها فمثل
هذه الآراء لا يكفي للرد عليها بضعة سطور كما فعل المؤلف . الا اذا احب ان يثبت لنا انه من
اهل السنة . ويقول الاستاذ عن وحدة الوجود انه مذهب احدثه متأخرو الصوفية . والواقع
انه مما قال به اوائلهم . واول من قال به ابو يزيد البسطامي المتوفي سنة ٢٦١ هـ . الا ان كلام
البسطامي في الحلول وهو الخطوة الاولى من وحدة الوجود . بهذه المناسبة نذكر ان جوته

شاعر المانيا العظيم كان حوليًّا وله قصيدة يقول فيها

الله لا يرضيه هيمنة فوق الطبيعة من اعاليها

الله يرضى ان يكون بها في ظاهر منها وخافها

ان الطبيعة فيه ماثلة وكذا نراه ماثلاً فيها

وللشاعر « شلي » ابيات في مثل هذا المعنى

ان جمع هذه الفرق المتعددة في كتيب واحد هو عمل يشكر عليه الاستاذ البشبيشي

وهو يفيد كل مشتغل بتاريخ التفكير الاسلامي محمد عبد الغني حسن

تفسير الالفاظ الدخيلة

وضع القس طوبيا العنيسي الحامي اللبناني كتاباً مفيداً لعلماء اللغة جمع فيه ما عثر عليه

من الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية وذكر احكامها بحروفه . بدأ سنة ١٩٠٩ يجمع شمل الالفاظ

الدخيلة في اللغة العربية والالفاظ الغريبة المنتشرة في الايطالية واخواتها من لغات اوربا ثم

نشر ما اجتمع لديه . وفي سنة ١٩٢٢ نشر باللسان الايطالي الالفاظ العربية الناشئة في اللغة

الايطالية وحدها . وفي اثناء بحثه عثر على الالفاظ يسميها صاحب المعجم فارسية مع كونها يونانية

واخرى يزعمها يونانية الاصل وفارسية ظاهرة . فعمله هذا على جمع نحو الف لفظ انساب

الى اللغة العربية قديماً وحديثاً من لغات مختلفة . ورغبة في الضبط والوضوح رسم الالفاظ

الفارسية والتركية والارامية والعبرانية بحروف عربية ووضعها بين قوسين . اما الكلمات

اليونانية والاوربية فكتبها بأحرف لاتينية . ومن الالفاظ التي استرعت نظرنا

اثل — يوناني esthlos معناه نزه الخلق وشريف

اقه — في اليونانية ogkos معناه وزن وثقل

بارجة — ايطالي fregata وهو اسم طائر ما يسمى تلك السفينة باسمه وقد بطل استعمالها الآن

باقة — فرنسي bouquet معناه ضمة زهر مرادفة طاقة من ريحان وزهر

ببر — فارسي (ببر) يراد به ثمر هندي

برج — يوناني Pyrgos معناه حصن

بنادورة (وهو الاسم العامي اللبناني لطماطم) ايطالي Pomodoro اي تفاح ذهبي مركب

من Pomo تفاح و d'oro من ذهب واسمه في الاسبانية tomate و (منه طماطم)

تابوت عبراني (تيبه) وهو صندوق خشب

جادة — فارسي (جاده) معناه الطريق العظيمة اي المفتوحة

جوخ — تركي (جوخه) وفي الفارسية (جوخا) وهو نسيج من صوف صفيق

وهكذا — وقد عني بنشره الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفيحالة

﴿ طريقة منسي ﴾ نشرة نصف شهرية يصدرها احمد افندي ابو الخضر منسي للطلبة المصريين وجميع الراغبين في تعلم اللغة الفرنسية. وشعارها من عرف لغة قوم فقد صار منهم. وعماده فيها تصوير الالفاظ الفرنسية للمبتدئين بحروف عربية رسمًا دقيقًا طبقًا لقواعد وضعها وجرى عليها. وكل عدد منها يشتمل على صحيفة العبارات السهلة مع تصويرها وترجمتها. وصحيفة الحكايات القصيرة مع تصويرها وترجمتها كذلك. ثم صحيفة الاجرومية. وصحيفة المحادثات وصحيفة المطالعات وفيها مختارات طيبة من الصحف الفرنسية وكتب الادب الفرنسي. وجني الفائدة من هذه النشرة موقوف على اتقان الطريقة التي تصور بها الالفاظ الفرنسية بحروف عربية. فخذالو عني المؤلف بتنظيم فرق لتعليم الراغبين هذه الطريقة لكي يسهل عليهم الاستفادة من اعداد نشرته المتوالية

﴿ سلم اللسان ﴾ سلسلة كتب يتدرج فيها الطالب في درس قواعد اللغة العربية صرفها ونحوها وبيانها، منتقلًا من المبادئ الى ما هو ارقى حتى يأتي على كل ما يحتاج اليه منها وهو سائر على اسلوب واحد وطريقة واحدة ولا يخفى ما في ذلك من توفير المشقة عنه وتسهيل الاستفادة عليه. وضعها العالم اللغوي جرجي شاهين عطيه في خمسة اجزاء :

الاربعة الاولى منها في الصرف والنحو والخامس في البيان. وقد بناها على خبرته

الطويلة في التدريس مودعًا اياها كل ما دلته تلك الخبرة على شدة الحاجة اليه، مراعيًا حالة العصر ومقتضياته، فلم يثبت فيها الا ما لا يمكن الاستغناء عنه من الآراء والتفاصيل، ومتبعًا في ايراد القواعد احدث الاساليب وايسرها متناولًا، ومعولًا فيها على الاكثار من التمرينات التي يتمكن بها الطلاب من تطبيق ما يدرسونه من القواعد في الاستعمال

﴿ كتاب الاغاني ﴾ اخرج القسم الادبي في دار الكتب المصرية الجزء الخامس من كتاب الاغاني تأليف ابي الفرج الاصبهاني في ٤٣٤ صفحة كبيرة ومائة صفحة من الفهارس للاعلام والقوافي والامم والقبائل والكتب والموضوعات. وغني عن البيان ان هذا الجزء ككل ما تخرجه دار الكتب بالغ الغاية من اتقان الطبع وجودة الورق. وفي هامش كل صفحة تحقيقات ادبية ولغوية تجعل هذه الطبعة تحفة ادبية نفيسة

﴿ ذكرى الامير فؤاد ارسلان ﴾ كان الامير فؤاد من اعلام لبنان محتدًا وعلمًا ووطنية ففقدت الامة اللبنانية بفقده قطبًا من اقطاب الوطنية الصحيحة والحرية السياسية في عهد الجمهورية اللبنانية. وهذا الكتاب يجمع ما قيل فيه — في مآثمه واحتفال ازاحة الستار عن تمثاله — من قصائد وخطب ومقالات آتتها كلها رسالة لابن عمه الامير شكيب ارسلان فانه صور فيها نفس الفقيده ومناقبه ابلغ تصوير

باب الاختزال العلمي

تخطيم الذرة واطلاق قوتها

غاز الهليوم وإذا فالمادة تحولت من شكل الى شكل آخر. وثمة ما هو اهم من تحولها ، وهو ان الطاقة الكامنة في ذرة الليثيوم انطلقت مع دقيقتي ألفا . والواقع ان طاقة انطلاق ذرتي ألفا تعدل ١٦ مليون فولط ، مع ان الطاقة التي اطلقت بها البروتونات على ذرات الليثيوم لا تزيد على ٦٠٠ فولط . والسبب الذي يحول دون استعمال هذه الطريقة لتوليد الطاقة بتحويل المادة ان البروتون المنطلق لا يصيب ذرة الليثيوم ويحولها كما تقدم الا بنسبة ١ الى بضعة ملايين

لقد حطمت الذرة من قبل . حطمتها رذرفورد سنة ١٩١٩ اذ اطلق على ذرات النروجين دقائق ألفا المنبعثة من مواد مشعة فحصل على ذرات الايدروجين (راجع مقتطف يناير ١٩٣٢ ص ٩ و ١٠) وقبله كان الدكتور بكرل العالم الفرنسي قدراقب انحلال الاورانيوم الذاتي فاكتشف ظاهرة الاشعاع التي فتحت عهداً جديداً في درس بناء المادة . وقد ثبت بعد اكتشاف بكرل وبعد تجربة رذرفورد ان عناصر كثيرة اما تنحل انحلالاً ذاتياً

حمل اليها البرق نبأ تخطيم الذرة في معمل كافندش بانكلترا ثم اطلعنا في ناشر على وصف التجارب التي قام بها الدكتور كوكروفت (Cockroft) والدكتور ولطسن Walton فاذا نتائجها اضافات جديدة لمباحث اللورد رذرفورد التي وصفنا اهمها في مقالنا «رواية الالكترون وابطالها» في مطلع هذه السنة . ذلك ان الدكتور كوكروفت وولطسن وجدوا انه اذا اطلق على ذرات الليثيوم (ووزنه الذري ٧) بروتونات وقد زيدت سرعتها بفعل ضغط كهربائي قدره ٦٠٠ فولط حدث نوع جديد من تخطيم الذرة يصحبه انطلاق طاقة داخلية من رتبة ١٦ مليون فولط . والظاهر ان ذرة الليثيوم تجتذب اليها بروتوناً ثم تنحل الى دقيقتين من دقائق ألفا ، طاقة اندفاع كل منهما ثمانية ملايين فولط

ولما كان البروتون هو الدقيقة الموجبة الكهربائية في ذرة الايدروجين ، ودقيقة ألفا هي نواة ذرة الهليوم (وهي مؤلفة من اربعة بروتونات وكهرين) صح ان نقول اذن ، ان الليثيوم وهو اخف الفلزات (Metals) اطلق عليها الايدروجين فاتحداً ثم انحلالاً الى

تصوير مواقع الحضارات القديمة من الجو

اتبع المستر تشارلز برستد نجل المستشرق العلامة الدكتور جيمس برستد ان يطير فوق المواقع الأثرية التي يشتغل بنقبتها علماء من قبل معهد الآثار الشرقية بجامعة شيكاغو ، فصور بألة سينمائية مشاهد هذه المواقع في شريط طوله ١٢ ألف قدم. ومما قاله في وصف رحلته هذه انه طار من الرطبة الى بغداد في عاصفة رملية هوجاء حجبت عن انظار الطيار سطح الارض فكان يطير مهتدياً بالانباء اللاسلكية مستعيناً بها على تعيين موقع الطائرة فوق الصحراء خوف الضلال . ومع ان الكابتن اولي Olley سائق الطائرة لم يطر قبلاً فوق هذه البلاد تمكن من النزول في مطير بغداد كأنه يعرف المطير مغمض العينين . وفي الصباح التالي طاراً فوق المنطقة العراقية التي تنقب فيها بعثة المعهد المذكور وهي على نحو خمسين ميلاً من بغداد ثم تقدما الى شيراز في بلاد فارس ولكن الغبار الكثيف اضطرهما الى الارتفاع بالطيارة الى علو ١٢ ألف قدم قبل النزول في شيراز . هناك تركا طيارتهما وذهبا بالسيارة الى پرسوپوليس عاصمة الامبراطورية الفارسية التي بناها داريوس العظيم حوالي سنة ٥٠٠ ق . م . ثم غلبها الاسكندر ذو القرنين على امرها . وقد وصف المستر برستد آثار پرسوپوليس بقوله « انها اروع بقعة أثرية في العالم القديم عدا الاكروبوليس في اثينا »

كالاورانيوم — واشهرها الراديوم والبولونيوم وغيرها — او تنحل انحلالاً اصطناعياً على طريقة حل رذرفورد لذرات النروجين

اما تجربة كوكروفت وولطن فلها وجه آخر . وهو ان هذا التحول في الذرة يصحبه انطلاق قدر كبير من الطاقة

ومع ذلك فان العالم بوث Bothe الالماني سبقهما الى هذا أيضاً. فلا يخفى على قراء المقتطف (يناير ١٩٣٢ صفحة ١١٨) انه اطلق دقائق الفا من عنصر مشع — البولونيوم — على ذرات البريليوم فتحولت بعض ذرات الى كربون وصحب تحولها انطلاق نوع جديد من الاشعاع متوسط في قوته وشدة نفوذه بين اشعة غمما والاشعة الكونية . اي ان الطاقة التي صحبت تحول ذرة البريليوم الى كربون كانت اعظم قدراً من الطاقة التي انفقت في انطلاق دقائق الفا على ذرات البريليوم

ولقد حفزت هذه المباحث خيال الكتاب الى تصور حلول عهد قريب يتم لنا فيه خلق قدر كبير من الطاقة من قدر صغير جداً ، وتحويل الرصاص الى ذهب . والواقع ان هذا قد يتحقق في المعامل العلمية تحقيقاً ضيق النطاق لان نسبة دقائق الفا التي تصيب ذرات البريليوم في تجربة بوث الى الدقائق تطلق بنسبة واحد الى ٥٠ اما هذه النسبة في تجارب كوكروفت وولطن فواحد الى بضعة ملايين . ومع ذلك لا بد ان تسفر هذه التجارب عن شيء اكيد وهو زيادة معرفتنا ببناء قلب الذرة

تصوير الكبد بأشعة اكس

استنبط الدكتور ولس ياتير Yater احد اساتذة مدرسة الطب في جامعة جورجيتون الاميركية طريقة تمكنه من تصوير الكبد والطحال بأشعة اكس لتشخيص امراضهما. ذلك انه يستعمل محلولاً خاصاً من اكسيد الثوريوم الثاني ويحقنه في الشرايين ثلاث مرات في ثلاثة ايام متوالية فيظهر الكبد والطحال واضحين في صور اشعة اكس للاعضاء الداخلية ، مع انهما لا يظهران فيها عادة . وهذه الصور تمكن الاطباء من اكتشاف اي تضخم فيها او وجود اي سائل في التجويف البطني او آثار السرطان او الزهري في الكبد وهل اي تضخم في جانب الجسم الايسر سببه تضخم الطحال او تضخم او قرحة في اي عضو آخر

والمادة المستعملة في هذه الحقن مركبة من الثوريوم وهو عنصر فلزي ثقيل الوزن مشع كالراديوم . الا ان مركبه المعروف باكسيد الثوريوم الثاني — وهو المستعمل حقناً في هذه الحالات — لا مشعاً ولا ينجم عنه اي ضرر من هذا القبيل . وكان الدكتور رادت Raddt الالماني اول من بحث فيه بغية استعماله في تصوير الكبد والطحال وذلك سنة ١٩٢٨ ولما كان الحقن به يدخل الى الجسم شيئاً غريباً عنه تمتصه بعض مواد الدم التي من شأنها تكتيل الاجسام الغريبة التي تدخل الجسم ، ولما كانت هذه المواد كثيرة في الكبد والطحال فتتجمع هذا المركب الكثيف فيهما يجعل ظهورهما في صور اشعة اكس واضحاً

ولما كانت هذه المواد كثيرة كذلك في نخاع العظام فيمكن استعمال هذا المركب لتصوير عظام الجمجمة وتشخيص امراضها الحمى المصطنعة تشفى من الربو

قرر جماعة من اطباء شيكاغو انهم عالجوا ٤٣ مصاباً بالازما (الربو) — وهو داء يصحبه ضيق النفس — بحمى اصطنعوها في اجسامهم بالتيار الكهربائي فحُفَّت وطأة الداء عليهم . وظل ١٩ من ٤٣ مصاباً مدة طويلة بعد العلاج لا يصابون بنوبات الداء

وقد بنى اطباء شيكاغو هذا العلاج على الملاحظة الآتية : ذلك انهم وجدوا ان الحمى التي تحدثها في الجسم الاصابة بالحمى القرمزية أو النزلة الصدرية أو خراج تسفر عن تحسين موقت في حالة الربو اذا كان المصاب بالحمى مصاباً به . لذلك استنبطوا كيساً يضعون فيه العليل بعد مسح جسمه بالزيت ولفه بالملايات ثم ترفع الحرارة داخل الكيس بالكهربائية الى درجة ١٠٤ فارنهایت وتحفظ على هذا المستوى ٨ ساعات تحت مراقبة الطبيب الدقيقة ولا يخفى على قراء المقتطف ان الشلل العام الناشئ عن اصابة زهرية عولج بادخال الملاريا الى الجسم فشفت حرارتها العليل من الشلل ثم استعملت الكينا فشفي المريض من الملاريا ، وان الباحثين في معامل الشركة الكهربائية العامة تناولوا هذا الموضوع بقصد احداث الحمى بالتيار الكهربائي لان السيطرة عليه اتم من السيطرة على داء الملاريا وكان يحتمل ان يشر بالنجاح



الاستاذ توماس هنت مورغن
صاحب نظرية العوامل الوراثية (genes) في الوراثة

تصوير عوامل الوراثة

الوراثة مستقرة في نواة الخلية بل في اجسام دقيقة فيها تدعى الكروموسومات وبعد البحث في اسرار الوراثة وعلاقة الكروموسومات بها اخرج العلامة الاميركي توماس هنت مورغن نظرية العوامل الوراثية (Genes) وملخصها ان كل كروموسوم مؤلف من عدة عوامل وراثية وان كل عامل فيها مختص بصفة من صفات الكائن الحي وان العوامل في الكروموسوم تصطف ازواجاً احدها اصله من الام والمقابل له اصله من الاب وكان علماء الاحياء يحسبون «العوامل الوراثية» وحدات نظرية كما حسبت الذرات والكهارب اولاً . ولكنهم لم يتغاضوا عنها لانهم لم يجدوا تعليلاً لحقائق الوراثة المعروفة افضل من التعليل بها . ولكن الدكتور بلنغ (Belling) يعتقد انه اظهر العوامل الوراثية للعيان بالتصوير الفوتوغرافي

والظاهر ان حجم الكروموسومات في نوى الخلايا يختلف باختلاف الخلايا . فبعضها كروموسوماته صغيرة جداً لا تصلح للتصوير بطريقة بلنغ الآن . وبعضها كروموسوماته كبيرة واشهر هذه الطائفة الثانية نباتات الفصيلة الزنبقية فاختار بلنغ احداها وصور نواتها بطريقة الفوتوغرافية الخاصة فكانت النتيجة الصورتين (امام صفحة الصورة التي في مقالة آراء وحقائق جديدة من هذا الجزء) وفيها ترى عقود الكروموسوم وفيها حباتها التي تمثل العوامل الوراثية وهي كالرسوم التي كانت ترسم قبل تصويرها

مصل ضد الروماتزم المستعصي

التي الدكتور برينك احد مشهورى اطباء نيويورك بحثا طريفا امام الجمعية الطبية الاميركية قال فيه ان بحثه وبحث اعوانه عن اسباب الداء المؤلم المعروف بداء المفاصل اسفرا عن العثور على مواد في الدم تقي من بعض اصناف ميكروبات الستربتوكوكس فقالوا ان هذه المواد لا يمكن ان تتكوّن في الدم الا بفعل المكروب المحث للداء . وعليه قرروا ان يبحثوا عن هذا المكروب في الدم . فاستخرجوا من الدم بطرق بكتيرولوجية خاصة بعض ميكروبات الستربتوكوكس فوجدوا انها ليست من الصنف الفاعل بل هي اليفة لطيفة كأنها اكتسبت المقدرة على المعيشة في الدم من دون استفزاز الجسم لمقاومتها مقاومة شديدة

فاستنبتوا هذه الميكروبات المستخرجة من الدم وحقنوا بها ارناب فاصيبت بنفس اعراض داء المفاصل المستعصي التي يصاب بها الانسان . ثم امتحنوا ما اصاب النسجة جسمها من التغيير فوجدوه مطابقاً للتغيير الذي وقع في النسجة الجسم الانسانى المصاب بهذا الداء . وسبب ذلك الميكروبات التي ينقلها الدم من مركز عدوى كالاسنان او اللوزتين الى المفاصل . ويرى الدكتور برينك ان افعل وسيلة لمكافحة الداء هو اصطناع مصل والحقن به لان ازالة الاسنان او اللوزتين لا تكفي في حالة الروماتزم المستعصي . فاذا كانت الميكروبات مستقرة في المفصل — وهو الغالب — فازالة مركز العدوى لا تفيد الفائدة المطلوبة . ثم لا بد

والعلماء مختلفون في طبيعته. فهم يدعون أنه جرم رينموث الآن فاذا ثبت أنه نجمة او سيار صغير حق لمكتشفه ان يطلق عليه الاسم الذي يشاء. واذا ثبت أنه مذنب دعي مذنب رينموث ١٩٣٢

اما الاستاذ جورج فان بينبروك Biesbroeck احد علماء مرصد يركيز الاميركي فيجزم انه نجمة وان اكتشافه من اهم الاكتشافات الفلكية في العهد الاخير لا يفوقه الا اكتشاف السيار التاسع بلوطو.

الاشعة فوق البنفسجي والكساح

بمحث الدكتور نودسن (Knudson) احد اساتذة كلية الطب بجامعة الاتحاد في ألباني في مقدار ما يحتاج اليه الجسم من الاشعة التي فوق اللون البنفسجي لكي يشفى من الكساح وجرب تجاربه في الفيران فوجد ان الجسم يحتاج الى قدر اقل كثيرا من القدر الذي كان يظن لازما لذلك

فقد وجد مثلاً في تجاربه ان القدر اللازم من هذه الاشعة لشفاء كساح فأر يختلف باختلاف المساحة المعرضة من جسمه للضوء. فتعريض ما مساحته ربع بوصة مربعة عشرين دقيقة كل يوم في اثناء ثلاثة اسابيع يكفي. ويمكن الحصول على النتيجة نفسها من تعريض ما مساحته بوصة مربعة مدة خمس دقائق كل يوم في اثناء ثلاثة اسابيع او ما مساحته بوصتان مربعتان مدة دقيقتين ونصف دقيقة او ما مساحته ثمن بوصة مربعة مدة اربعين دقيقة

للمصاب من العناية بغذائه ورياضته وتناول بعض المقويات وحفظ الامعاء — وهي مركز لانبثاث العدوى منه يلي الاسنان واللوزتين — في حالة طبيعية

جار جديد للارض

اكتشف الدكتور كارل رينموث Reinmuth الالماني في ٢٧ ابريل الماضي جرماً فلكياً صغيراً أثار عناية العلماء به لانه من اغرب الاجرام التي في النظام الشمسي. فمدة دورانه حول الشمس سنتان وهي اقصر من مدة دوران اي مذنب معروف. يليه في ذلك مذنب انكي Encke اذ مدة دورانه ثلاث سنوات واربعة اشهر. ثم ان جرم رينموث قريب جداً من الارض يبعد عنها نحو ثمانية ملايين ميل وقد رصد منذ اكتشافه في مرصد هيدلبرج وهارفرد ويركيز فثبت انه مر في فلك الارض في ١٦ مايو على ثمانية ملايين ميل منها. والظاهر انه متوسط في شكله بين النجيمات والمذنبات. وقطره نحو ثلاثة اميال. فاذا صار على اقرب قربه الى الارض اصبح من القدر الثاني عشر ولا تستطيع رؤيته حينئذ بالعين المجردة. ولا يخفى ان النجيمة اروس اصبحت على ١٤ مليون ميل من الارض لما صارت على اقرب قربها اليها من نحو سنتين

فاذا كان نجمة فهو اول نجمة دخلت فلك الارض في اثناء سيرها حول الشمس. والحسابات الفلكية تدل على انه سوف يمر في فلك الزهرة اذ تصبح على اقرب قربها الشمس

توت عنخ امون

مصر واصول الحضارة

(تابع المنشور على الصفحة ١٤٦)

او حبات الشعير ونسبتها للام الكبرى وهي بالطبع تمثل المحاولات الاولى لتشخيص هذه الاشياء الطبيعية وتحويلها الى الشكل الانساني نرى في هذه الاشكال دور الانتقال في تحويل التيممة الى الالهة ، وهي المحاولات الاولى لتشخيص التيممة في شكل مادي

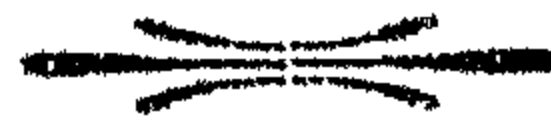
واذا كان الكنز الرائع الذي وجد في مقبرة توت عنخ امون قد جعل العالم يقدر اثر المصريين الاقدمين في تاريخ الحضارة في سهولة اكثر مما لو كنا قضينا السنين في الدعاوي الجدية فان هناك حوادث اخرى تحدث الآن تؤيد التفسير العام لهذا الدليل

يكشف الاستاذ « جورج ريزر » تاريخ « اتيوبيا » ويظهرنا للمرة الاولى على مقدار تسلط المصريين الاقدمين على السودان ، وعلى الحضارة العالية التي نشرها المصريون حتى الجنوب الاقصى لوادي النيل ، ولهذه المكتشفات خطر خاص لقراء هذا الكتاب (المؤسس على عمل ذلك الاستاذ في مصر) لانها تقدم الايضاح النوعي لطرائق نشر الحضارة وبواعثها . وفي هذا الامتداد للتأثير المصري مارس المصريون هناك بعض العادات (مثل صناعة بناء الاهرام وبيع الضحية الانسانية) بعد ان كانت تمارس في مصر نفسها قبل ذلك بقرون وكانت بواعث ذلك التسلط في الحقيقة

ان المصريين كانوا يحصلون من السودان على الراتنج والبخور والعاج والابنوس وجلود النخور وريش النعام والعبيد الزنوج الى غير هذا مما كانوا يعتبرونه اساسيا لهم ، ولكن مناجم الذهب المنتشرة في الصحراء الشرقية من خط عرض مدينة طيبة حتى الحبشة جنوبا كانت اهم الاسباب لاحتلال السودان وبلاد النوبة واصبح المصري الذي يشترك في استغلال الصحراء الشرقية حلقة من الحلقات الثقافية بين وادي النيل وحوض البحر الاحمر وقل في المكان الذي كان له ا كبر شأن في تاريخ العالم القديم وهناك دليل آخر على ان المصريين وضعوا اسس المعرفة العلمية والتجربة العلمية فالاستاذ « جيمس ه . برستد » الاستاذ في جامعة « شيكاغو » نشر حديثا مقدمة ورقة بردي طبية يرجع تاريخها الى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وهي تسكب ضوءا جديدا على المعرفة العلمية في مصر القديمة . وكان الجميع يعرفون قدرة المصريين التجريبية ومهارتهم في تأليف التعاويذ السحرية ولكن الكثيرين كانوا يجهلون ان من احد عشر قرنا قبل طاليس « Thales » والمدرسة اليونانية كان في مصر رجال يقتفون طرائق علمية في المشاهدة والاستدلال العقلي كانت كالوحي أو التنزيل ، وعلى كل فالأكتشاف يتفق مع ما درسناه في مناحي البحث المختلفة وكل هذا يدل على ان المصريين خلقوا الحضارة وابتكروا فنونها الاساسية واوجدوا عقائدها وقوانينها العلمية التي كانت التعبير المادي والعقلي لهم عبد الحميد يونس

الجزء الثاني من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
١٢٥	الفضاء بين النجوم (مصورة)
١٣٠	حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر . للدكتور محمد شاهين باشا (مصورة)
١٣٧	آراء وحقائق جديدة . للمستمر مكوشتسن (مصورة)
١٤٦	مصر واصول الحضارة . للاستاذ الدكتور إليوت سمث (مصورة)
١٤٩	فلسفة الادب . للاستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٥٦	العلم والفلسفة والاخيلة الشعرية . للامير مصطفى الشهابي
١٦١	قبيلة عربية من اصل ايطالي . لطفه فوزي
١٦٥	فوضى العالم ومسؤولية العلم . لمعاوية نور
١٧١	المعنى التائه . (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي
١٧٣	نوابغ العرب في العلوم الرياضية . لقدرى حافظ طوقان
١٧٦	العلم يكشف خفايا الجرائم . لعوض جندي
١٨٥	فلسفة التاريخ الاسلامي . لمصطفى جواد
١٩١	القضايا الاجتماعية الكبرى . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
١٩٧	العوامل الوراثية والغدد الصماء . للدكتور شريف عسيان
٢٠١	الكوميديا الالهية . لناشد سيفين (مصورة)
٢٠٦	مدينة الاحلام . (قصة) للدكتور ناجي
٢١٦	الراهبة . (قصيدة) لالياس فرحات
٢١٨	الازمة الاقتصادية العالمية . لفؤاد نصار (مصورة)



٢٢٨	باب المراسلة والمناظرة * الحضارة الغربية وانهاض اليهود . الرد . المادة والنور وآراء الاستاذ مشرفة
٢٣٢	باب الزراعة والاقتصاد * ترقية الزراعة ومنتجاتها . غيطان النماذج . الري . حالة الفلاح . الملاك . المعارف الزراعية
٢٣٧	مكتبة المقتطف * امراء الشعر العربي . اشعة وظلال . الصناعات الزراعية . صور جديدة من الادب العربي . الخطرات . الفرق الاسلامية . تفسير الالفاظ الدخيلة . طريقة منهي . سام الاسان . كتاب الاغاني . ذكرى الامير فؤاد ارسلان
٢٠١	باب الاخبار العامة * وفيه ٨ نبذ (مصورة)

إعلان مهم للمزارعين

استعملوا

M. AVATIS

الاصحاح الاذوتية الاكثر فائدة لجميع زراعاتكم
Office P. T. 6
CAIRO

فترات الجير الالماني الابيض اللون

الذي يحتوي على ١٥ ر ٥ في المائة آزوت

فترو سلفات الالماني

الذي يحتوي على ٢٦ في المائة آزوت

سلفات النشادر الالماني

الذي يحتوي على ٢٠ ر ٦ في المائة آزوت

الطلبها من

محل ثابت ثابت

الوكيل العام لتقابة المعامل الالمانية للاصحاح الاذوتية

بالقاهرة : بشارع المناخ بمك فرنسيس

تليفون ١٢٣-٥٤ - تلغرافياً : الثبات

بالاسكندرية : بشارع اسحق النديم عمرة ٢

تليفون عمرة ١١-٣٤ - تلغرافياً « الثبات »

Oct. 1932

أكتوبر ١٩٣٢

المقتطف

حافظ إبراهيم
لمصطفى صادق الرافعي

حالة مصر الصحية
للدكتور محمد شامين باشا

الحيرة: المملكة العربية

ليوسف رزق الله غنيمه
وزير مالية العراق سابقاً

AL MUKTATAF

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لنشرها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرساً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرساً مصرياً في مصر و ٩٥ غرساً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت له خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science
and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nime

EDITED BY F. SARRUF

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars

لن زيادة جميع المحاصيل واخصاب اراضيكم استعملوا

سماد نترات الصودا الشيلي

السماد الازوتي الطبيعي الوحيد

يحتوي على ١٥-١٦ ٪ من الازوت النتريني سريع الذوبان

يحسن نوع المحصول وصحة الكائنات الحية التي تتناوله
بسبب اليود الذي يحتويه

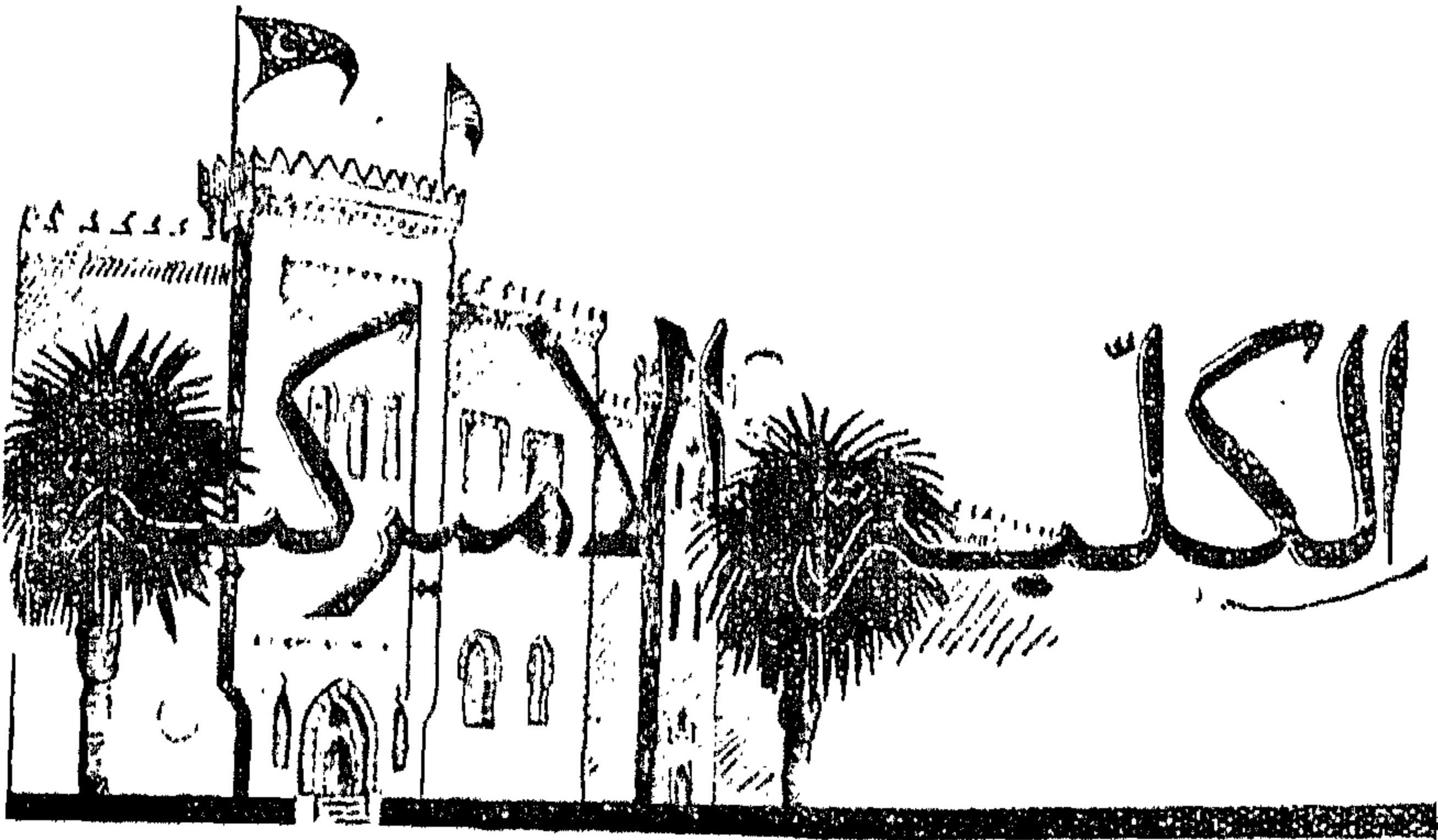
اكثر الاسمدة شيوعاً واستعمالاً

اطلبوا الاستعلامات والنشرات مجاناً من :

الادارة الزراعية لاتحاد منتجي نترات الشيلي

القاهرة — ٤١ شارع قصر النيل تليفون نمرة ٤٦٠١٤

الاسكندرية — ١ شارع فؤاد تليفون نمرة ٧٦٦٤



الكلية الاميركية للاداب والعلوم بالقاهرة

تمتاز هذه الكلية بفخامة بنائها ، وحسن موقعها ، وكفاية اساتذتها ، وأخذها بأحدث أساليب التربية ، فهي تعد الطلبة للحياة فوق اعدادهم للامتحان ، وتعنى بصحتهم عنايتها بأخلاقهم وعقولهم ، وتدريبهم على البحث والدرس في مكتبتها الحافلة بألوف المجلدات ، وتهيء لهم دراسة العلوم من طريق المشاهدة والتجربة في معاملها المستكملة الاجهزة والمعدات ، وتقويهم في اللغة الانكليزية بشكل يدعو الى الاعجاب والفخر وبالكلية عدا قسمها الداخلي المتوافرة فيه جميع وسائل الراحة الحديثة الاقسام الثلاثة الآتية : —

- (١) القسم الثانوي ويتبع منهج وزارة المعارف المصرية ويؤهل الطلبة لنيل شهادة الدراسة الثانوية بقسميها : الكفاءة والبالوريا
- (٢) القسم الاستعدادي وهو قسم ثانوي على النظام الغربي والتدريس فيه باللغة الانكليزية
- (٣) قسم الكلية ويؤهل الطلبة للكلية الفنية والاجنبية او نيل درجة بكالوريوس في الآداب او العلوم

وجميع المعلومات تطلب بالبريد باسم عميد الكلية بشارع القصر العيني رقم ١١٣ أو بمقابلة الموظف المختص من ٩ — ١٢ يومياً ما عدا ايام الاحاد تليفون ٤٣٠٠٦

فصول في التاريخ الطبيعي

من مكتبة النبات والحيوان

لحمية المقتطف سنة ١٩٣١

صدر هذا الكتاب النفيس ولا يرسل الا للمشاركين المسددين حساباتهم لادارة
المقتطف لا آخر ١٩٣١ وثمنه لغير المشاركين ٢٠ قرشاً عدا اجرة البريد

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما آتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر
باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في
تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل
وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة شقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس



معجم الحيوان

للفريق امين معلوف باشا

كان العلامة الدكتور امين معلوف باشا في طليعة العلماء العرب المعاصرين ، الذين عنوا بوضع معجم للحيوان ، يتوخى فيه ايراد الاسماء العربية مستخرجة من مظاهرها . مع ما يقابلها من الاسماء العلمية والاسماء السائرة في اللغتين الانكليزية والفرنسية

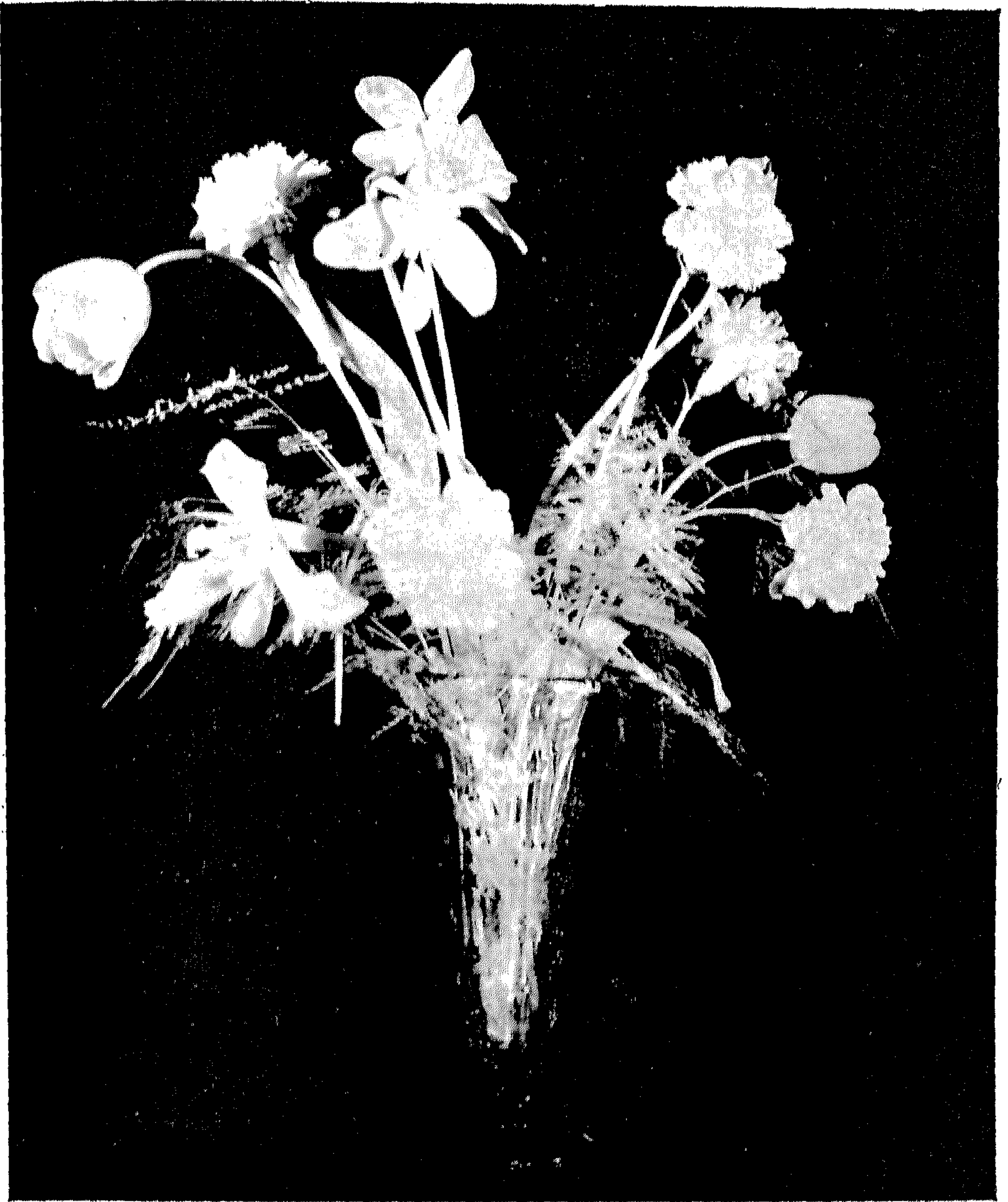
ونشر فصولاً كثيرة في هذا الموضوع في المقتطف في سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ بعنوان « معجم الحيوان »

وقد قضى معلوف باشا العشرين السنة الاخيرة يدون في اوراقه كل شاردة وواردة يقع عليها في اثناء مطالعته ، ثم يحققها من الناحيتين العلمية واللغوية ويضيفها الى مجموعته . وقد صحت عزيمته الآن على اخراج كتاب جامع لاسماء الحيوان يشتمل على الاسم العلمي والاسم الانكليزي وما يقابلها بالعربية وتحلية اشهر الحيوانات وصورها فيكون مرجعاً يليق بنهضة اللغة العربية في القرن العشرين

ويسرنا ان العلامة معلوف باشا قد عهد الى المقتطف في اخراج هذا السفر النفيس ، فرأينا ان نجعله هدية لمشتري المقتطف عن سنة ١٩٣٢ — ولكنه لا يرسل الا الى كل مشترك يسدد حسابه

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب سوف يصبح علماً في طريق ارتقاء اللغة العربية العلمية . وثمنه بعد توزيعه على المشتركين المسددين خمسون غرشاً صاغاً . ولا يبعد ان يصبح من الكتب النادرة في خلال سنتين ، لان العدد المطبوع منه محدود

Al-Muktataf



ضمة ازهار وضعت في غرفة مظلمة ووجهت اليها امواج الاشعة التي نحت الاحمر ، فلم تتبينها
العين البشرية وانما تبينتها عين الآلة المصورة الخاصة بذلك وصورتها



التصوير بالاشعة التي تحت الاحمر
 مثل الصورة العليا تمثل نصفياً وعلى جانبه مكواتان وقد صور تصويراً قديماً بضوء
 الشمس او بضوء المغنيزيوم . اما الصورة الثانية فالتحال نفسه في غرفة مظلمة
 وانما اُحييت المكواتان فانبعثت منها اشعة حرارة وهي الاشعة التي تحت الاحمر
 فاثرت في جهاز تصويري استنبط حديثاً

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الحادي والثمانين

١ جمادى الثانية سنة ١٣٥١

١ أكتوبر سنة ١٩٣٢

القوى الكامنة في الذرة

الايديروجين وأصل العناصر

وزن الايديروجين الذري في اصطلاح الكيمياء واحدٌ وعند التدقيق واحد وسبعة وسبعون جزءاً من عشرة آلاف جزء (١٦٠٠٧٧) وفي هذه الزيادة على الواحد اعظم مصدر للقوة اذا عرفنا كيف نطلقها ونستخدمها فنستعملها حينئذٍ خير الناس او لخيرهم ولتعليل هذه الزيادة يجب ان نلتفت الى مبادئ المذهب الذري . فاذا قلنا ان وزن الايديروجين واحد لم نفهم شيئاً عن حقيقة الواحد الا اذا فهمنا ما هو القياس الذي بني عليه لان المقاييس نسبية

نشر دالتن الكيناوي مذهبه الذري سنة ١٨٠٣ وبعد ما مضى على نشره نحو عشر سنوات لاحظ العالم الانكليزي بروت ان الاوزان الذرية للعناصر قريبة جداً من الاعداد الصحيحة حتى يصح القول بانها لم تحدث كذلك اتفاقاً وظن ان العناصر المختلفة مركبة من مقادير متباينة من الايديروجين بحسب اعدادها . وان الكسر الذي يظهر في اعداد بعضها يمكن تعليله فاهتم العلماء بهذا القول اولاً ثم اهملوه زمناً طويلاً لانه ظهر ان بين اوزان العناصر الذرية ما لا استطاع جعله عدداً صحيحاً بطريقة من الطرق العلمية المعروفة . واشهر هذه العناصر عنصر الكلور الذي وزنه الذري $35\frac{1}{2}$ فما من وسيلة علمية الا واستخدمها العلماء لجعل وزنه الذري ٣٦ او ٣٥ تأييداً لقول بروت فلم يستطيعوا . ولو كان الكلور كالبيوتاسيوم

الذي وزنه الذري ٣٩.١ او كاليود الذي وزنه الذري ٢٦.٩ لقالوا ان الفرق بين الوزن الذري والعدد الصحيح قليل وقد يكون سببه خلل في الموازين . وللكلور اشباه اهمها السلكون ووزنه الذري ٢٨.٣ والمغنيسيوم ووزنه الذري ٢٤.٣ لذلك اهل مذهب بروت مع ما في اوزان سائر العناصر من الدلالة على صحته

لكن الاهمال لم يقض عليه فصرح السر وليم كروكس في مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم في برمنغهام سنة ١٨٨٦ ان العناصر ليست مواد بسيطة كما يظن وان الاوزان الذرية ليست اعداداً محدودة فما اسمها مغنيسيوم قد لا تكون ذراته من وزن واحد بل قد يكون مزيجاً من ذرات وزن بعضها الذري ٢٤ ووزن البعض الآخر ٢٥ او ٢٦ فيتكون من اجتماعها عنصر وزنه الذري ٢٤.٣ او نحو ذلك . وهذا يعني ان الاوزان الذرية كما تظهر بالامتحان ليست سوى ارقام تقريبية تدل على متوسط وزن الذرات في عنصر ما مع ان الوسائل الكيميائية المستخدمة لذلك كانت غاية في الدقة

ولا بد من اقتباس العبارة التي ذكرها كروكس في هذا الصدد ونشرت قبل ان يتحقق قوله بسنوات كثيرة . قال :

«ارى انه اذا قلنا ان وزن الكلسيوم الذري ٤٠ عنينا ان اكثر ذرات الكلسيوم وزنها الذري ٤٠ ولكن قد يكون بينها جواهر اخرى كثيرة وزنها الذري ٤١ و ٣٩ او ٤٢ و ٣٨» كان هذا القول حينئذ مجرد ظن او تكهن على انه كثير من آراء السر وليم كروكس كان مبنياً على المعية وزكاة فيه يجب احترامهما . وكان هذا الرأي حقيقياً بان يمتحن حين الادلاء به لكن وسائل امتحانه لم تكن مستطاعة حينئذ والبحث عما تتركب منه العناصر اذا صح القول بانها مركبة لا بسيطة لم يكن مما تيسر معرفته بالوسائل الكيميائية لان الاجزاء التي يتركب منها العنصر ذات خواص كيميائية متماثلة فلا تختلف الأوزان ذرياً ، فلا يمكن تمييز بعضها عن بعض . ولولم تكن كذلك لفرق بينها الكيميائيون وحسبوها من عناصر مختلفة

وكان الاستاذ صدي يبحث في الاشعاع فخطر له انه توجد عناصر تتألف من ذرات تختلف وزناً ولكنها تماثل في ما عدا ذلك اي ان خواصها الكيميائية واحدة وطيف نورها واحد فسمّاها بالعناصر المتماثلة isotope — وترجمها المقتطف قبلاً بالنظائر — اي انها توجد في مكان واحد من جدول مندليف الدوري ولكنها تختلف وزناً ذرياً . كان ذلك سنة ١٩١٠ . ثم استنبط الاستاذ طمس (السر جوزف طمس) اسلوباً في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ لتحليل المواد باسلوب طبيعي في انبوب مفرغ يعرف باسلوب الاشعة الايجابية فاخذ الاستاذ أستاذ واثقته واستعمله فثبت قول كروكس واستنتاج صدي . واعلنت هذه النتائج في مجمع تقدم العلوم البريطاني في برمنغهام سنة ١٩١٣ مع اثبات جديد للقول بأن الاوزان الذرية

أعداد صحيحة وان ما يظهر في بعضها من الكسر سببه امتزاج ذرات العنصر المتماكنة (النظائر) اي التي تختلف اوزانها وتماثل خواصها وطيوها

وأثبت استن أيضاً ان الكالور الذي وزنه الجوهري ٣٥ر٥ وعند التدقيق ٤٦ و ٣٥ هوفي الحقيقة مزيج من عنصرين مختلفين وزناً اي ان هذين العنصرين يشغلان مكاناً واحداً في جدول مندليف الدوري هو مكان الكالور ولكن وزن احدهما الذري ٣٥ والآخر ٣٧ وفي مزيجهما ٣ اجزاء من الاول وواحد من الثاني. كذلك أبان ان ذرة السليكون الذي وزنه الذري ٢٨ر٣ مزيج من ثلاث ذرات : ذرتين وزن كل منهما ٢٨ وذرة وزنها ٢٩

وليست كل العناصر امزجة كهذين العنصرين فوزن الكربون الذري ١٢ تماماً ووزن النروجين ١٤ تماماً . اما جوهر المنغنيس فمزيج من ثلاثة ذرات اوزانها ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ والارغون مزيج من ذرات كثيرة وزن كل منها ٤٠ وذرات قليلة وزن كل منها ٣٦

ولكن الاساس الذي بنيت عليه هذه الارقام عددٌ صحيح وقد وضع تحكماً لعنصر بسيط التركيب هو الاكسجين فجعل ١٦ ومن ثم قيست به سائر العناصر فجاء الكربون ١٢ تماماً والهليوم ٤ تماماً والغريب ان وزن الايدروجين الذري على هذا القياس ليس واحداً بل واحد وسبعة وسبعون جزءاً من عشرة آلاف جزء كما تقدم في صدر هذا الكلام فكيف يصح القول ان مذهب بروت قد تحقق او ان صحة المذهب القائل ببناء جميع العناصر من الايدروجين محتملة

كل ما نستطيع ان نقوله الآن ان العناصر مؤلفة من دقائق نستطيع احصاءها واما مسألة بنائها من الايدروجين فما يجب البحث فيه

والبحث فيه يكون من وجهين الاول الوجه العملي والثاني الوجه النظري فلنبدأ بالاول لانه اسهلها

من المقرر ان الذرة مؤلفة من نواة كثيفة تحيط بها كهارب خفيفة ومعظم الوزن الذري هو وزن النواة. حتى في الايدروجين الذي نواته اخف النوى فان وزنها يزيد ١٨٥٠ ضعفاً على وزن الكهرب الذي يحيط بها . اما الاورانيوم وهو من اثقل العناصر فوزن نواته اكبر من وزن كل كهرب حول نواته ١٧٠٢٠٠ ضعف . ولذلك حينما يذكر الوزن الذري يقصد به وزن النواة فاذا قلنا ان الذرة الواحدة من ذرات احد العناصر مؤلفة من الايدروجين فعلياً ان نواته مؤلفة من الايدروجين

ان ذرة الايدروجين مؤلفة من نواة كهربائيتها ايجابية وفي المنطقة التي حولها كهرب سلبي ، فاذا كانت نوى ذرات العناصر الاخرى مؤلفة من ايدروجين فيجب ان تكون

مركبة من نوى ذرات الايدروجين محشوة حشكاً حتى تتكوّن النوى الثقيلة في العناصر الثقيلة وقد كان علماء الطبيعة يعرفون ان النواة هنة صغيرة محشوة مشحونة بالكهربائية الايجابية ولم يعرف عدا ذلك شيء عن صفاتها قبل ان استنبط السر ارنست رذرفرد اسلوباً لحاها ودرس بنائها . لم يستطع ان يحلها بالحرارة العالية ولا بالبرد الشديد ولا بالضغط لان هذه العوامل الطبيعية على قوتها لا تؤثر فيها بالغة شدتها ما بلغت . فاستنبط وسيلة استطاع بها ان يجعل نواة تصطدم باخرى فتمزقها . عرف بشاقب نظره ان الدقائق التي تنطلق من الراديوم بسرعة آلاف الاميال في الثانية يمكن استخدامها لهذا الغرض لكن النواة صغيرة جداً ليندر ان تصاب . على ان الدقائق المنطلقة كثيرة والذرات التي صوّبت الدقائق اليها كثيرة كذلك فكانت لا بد ان يصطدم بعضها ببعض او واحدة منها بأخرى وكانت النتيجة انه حينما مُزّقت النواة بهذه الوسيلة خرج منها ايدروجين . والادلة على ذلك متوافرة فيما كتبه رذرفرد

فلدينا هنا دليل عملي يثبت وجود الايدروجين في النواة كالدليل على وجوده في الماء ولا يخفى ان الايدروجين استطاع اخراجه من الماء بامرار تيار كهربائي فيه . على ان مقدار الايدروجين الخارج من الماء كبير جداً اذا قيس بالمقدار الذي يخرج من النواة كما في تجارب رذرفرد . لكن العلماء اعتادوا البحث في الذرات على صغرها والادلة التي اقامها رذرفرد على صحة مذهبه صحيحة في نظرهم وهي تثبت ان في النواة ايدروجيناً كما ذكرنا ولكنها لا تثبت ولا تنفي هل تتألف النواة من ايدروجين ممتزج بمادة اخرى او من ايدروجين صرف . ولا بد من ان يسأل سائل : ماذا خرج من النواة عند تمزيقها غير الايدروجين . فنجيب ان ذرات الهليوم تنطلق من النواة ايضاً . ولكننا نعلم ان ذرات الهليوم موجودة ان لم يكن في كل العناصر ففي كثير منها هناك لانها تنطلق من نفسها في حالة الاشعاع من العناصر المشعة ، فيظهر كأن كل شيء مؤلف من ايدروجين وهليوم

ننتقل الآن الى البحث فيما تتألف منه ذرات الهليوم . فوزن الهليوم الذري اربعة تماماً . فاذا كان وزن الايدروجين الذري واحداً لم يخامرنا شك — بناء على القول بان كل العناصر مؤلفة من الايدروجين — في ان ذرة الهليوم مؤلفة من اربع ذرات ايدروجين محشوة معاً . لكن وزن الذرة الواحد من الايدروجين ليس واحداً تماماً بل هو واحد وسبعة وسبعون جزءاً من عشرة آلاف جزء ! فكيف يصح القول بان اربع ذرات منه تؤلف ذرة واحدة من الهليوم

هنا يصل الكلام بنا الى الوجه النظري في هذا البحث ولا بد من ذكر شيء عن المذهب الكهربائي في بناء المادة . فالعلماء اقرّوا الآن ان المادة مركبة تركيباً كهربائياً وان ما يسمى « قوة استمرار » سببه شحنات كهربائية متحركة في حقل ممغنط وبالتالي « ان قوة الاستمرار

أمر كهربائي أو صفة من صفات الأثير وأن هذه القوة أو الوزن ليست ناتجة عن شيء في المادة نفسها بل ناتجة عن شيء يحيط بها . ووزن الشحنة الكهربائية سببه الأثير الذي تحركه معها في حركتها »

ذلك كله كلام مبهم — وهو للسر أولثر الذي لا يزال الأثير في نظره أساس كل فهم للكون ومظاهره — لا نستطيع أن نبني عليه أمراً عملياً والافضل أن نقول بأن هذه القوة أو هذا الوزن يعزل بالقوى الكهربائية المغنطيسية وأن كل شحنة كهربائية لها وزن مرتبط بها وأنه حين اجتماع الشحنات الكهربائية تجتمع أوزانها أيضاً

ولكن متى حشكت الشحنات الكهربائية معاً عدل بعضها بعضاً إلى درجة ما ، فيعدل الإيجابي منها السلبي وإذا استطعنا أن نحشكها معاً حتى يزول كل فارق مكاني بينها لأشت قوة الواحد منها قوة الآخر . وهذا محال على ما نعلم ولكننا نستطيع أن نقرب هذه الشحنات بعضها من بعض فيكاد يعدل بعضها بعضاً ويقل وزنها . فإذا فصل بين شحنتين كهربائيتين مسافة معينة كان وزنها مضاعف وزن أحدهما . أما إذا حشكتهما تلاشى بعض وزنها فيصير وزنها أقل من مضاعف وزن أحدهما . فيظهر كأن شيئاً من وزنها قد تلاشى

قلنا أنه إذا كانت نواة الهليوم مؤلفة من أربع ذرات أيديروجين فهذه الذرات يجب أن تكون محشوة حشكاً . والحشك كما قدمنا يقلل الوزن فمجموع الذرات الأربع وهي محشوة لا يزن أربعة أضعاف الشحنة الواحدة بل أقل من ذلك قليلاً أي أن المجموع لا يزن أربعة أضعاف ١٦٠٠٧٧ وهو الوزن الذري للأيديروجين بل أربعة أضعاف واحد وهذا ما ينتظر حدوثه . وبه نستطيع أن نعلل إزالة الفرق بين وزن الأيديروجين الذري لما يكون صرفاً وبين وزنه وهو داخل في بناء ذرات العناصر الأخرى فهو في الأولى ١٦٠٠٧٧ وفي الثانية واحد فقط . ولذلك فالهليوم قد يكون مؤلفاً من ذرات أيديروجين محشوة حشكاً فيكون الأيديروجين في هذه الحال وزنه الذري واحد لا ١٦٠٠٧٧

فيظهر مما تقدم كأن المادة قابلة للفناء والآن فأي ذهبت الأجزاء السبعة والسبعون من عشرة آلاف جزء من وزن الأيديروجين الذري ؟ لكن المادة إذا فنيت أو ظهر أنها فنيت تترك أثراً وهذا ما يجب أن ننظر فيه الآن فإذا اختفت المادة فأي أثر تترك وراءها هنا يدخل مذهب النسبية القائل أن القوة والمادة يتبادلان بطريقة من الطرق فإذا زالت المادة تولدت قوة وإذا زالت القوة تولدت المادة . وهذا أمر لم نستطع أن نفعله في معاملنا

العلمية بعد . وما من عالم استطاع ان يحوّل المادة الى طاقة او الطاقة الى مادة . وسيكون ذلك اليوم يوماً مشهوداً اذا تمّ لنا ذلك وأملنا معقود بأنه سيتمّ

هنا نقف لنرى كيف نستطيع ان نفهم ذلك ونبحث عن رأي طبيعي نقدر ان نبنيه على هذا التحول او التبادل بين المادة والقوة . اما لدج فيرى ان هذا التبادل لا يتم الا بواسطة الاثير . فلقد ثبت ان الاثير مرتبط بسرعة عظيمة محدودة وهي سرعة انتقال الامواج او ايضاً سرعة النور . ويجب ان نتطلع الى الاثير المتحرك حركة زويعية او رحوية بالسرعة المتقدم ذكرها كأساس لتعليل تركيب المادة . فحركة زويعية في سائل تقارب الجهاد في بنائها ويصير لها وجود خاص كما اثبت هاملتز ولورد كلثن . فاذا حدث ما اعاق هذه الحركة ضعفت قوتها فينتهي كونها مادة وتصير قوة

لكن القوة التي تتولد من شيء يدور او يتحرك بسرعة الضوء كبيرة جداً لأن القوة ترتبط بمربع السرعة فاذا تحركت ذرة غبار صغيرة بتلك السرعة ولدت قوة تنقل ما وزنه طنّاً آلافاً من الاقدام . والقوة المتولدة من عشر المليمغرام المتحرك بسرعة النور تساوي قوة ستمائة طن هابطة من علو ميل

فاذا اختفى مقدار صغير من المادة المنظورة تولدت قوة كبيرة من ذلك الاختفاء كذلك حينما يحشك الايدروجين حتى يصير من حشكه هليوم لا يتعرض كل الايدروجين للفناء بل يفنى من كل جوهر منه ٠.٠٧٧ وهذا المقدار صغير جداً لكن ما يختفي حينما يصنع مقدار كبير من الهليوم كبير جداً حتى ليصبح مصدر قوة نحجل امامها بما عندنا من مصادر القوة الهائلة لكن العلماء لم يستنبطوا حتى الآن اسلوباً يحشكون به ذرات الايدروجين حتى تتألف من جواهر هليوم . ولا شك في ان ذلك حدث في مكان من الامكنة وعصر من العصور الخالية ولعله حدث في داخل الكواكب على أساليب لا نفهمها الآن . فاذا صح ذلك فهذا تعليل يفسّر لنا ارتباط المادة بالقوة . ولعل هذا الارتباط سبب الحرارة العظيمة في النجوم . ولعلّ انطلاق قليل من هذه القوة سبب حركة النجوم السريعة . فهذه الاجرام الفلكية كلها تدور وكل جرم كبير منها حار . ولا نستطيع تعليل هذه القوة العظيمة باحدى القوى المعروفة لدينا انما نستطيع تعليلها بما تقدم

فلذلك نرى ان مقدار القوة في الفضاء عظيم . وليس ثمة صعوبة في تعليله بحسب ما تقدم . ومتى تسنى للبشر ان يطلقوا بعض القوة الكامنة في الجواهر على هذا السيار الصغير توصلوا الى قوة تتأججها تضر او تنفع وفقاً لاحوال العمران ونوازع النفس حينئذٍ

السرعة

بين الحيوان والناس

يروى الاستاذ اندروز العالم والرحالة الاميركي انه كان سائراً بسيارته في صحراء جوبي فرأى امامه ظبياً فاغذ في السير للحاق به فلما كانت سيارته تقطع خمسين ميلاً في الساعة كان الظبي يعدو بسرعة ستين ميلاً ولم يلبث حتى اختفى عن بصره .
وقد قيست سرعة ارنب (خرنق) فاذا هي خمسة وثلاثون ميلاً في الساعة . اما كلاب صيد الثعالب فتسير بسرعة اربعين ميلاً في الساعة ولكن الثعالب في اثناء الطراد تسبقها مسافة اميال قبل ان تخور . وقد ذكر بعض الرحّالين ان الرنة (جنس من الايائل) يقطع خمسين ميلاً في الساعة اذا طارده مطارد

اما الطيور فاسرع من ذلك . فقد جاء حديثاً في انباء اميركا ان حمامة من حمام اميركا قطعت مسافة ٣٠٠ ميل بسرعة ٧١ ميلاً في الساعة . وفي اوربا نسرٌ يعرف بكاسر العظام . قيل ان احد ضباط سلاح الطيران البريطاني رأى وهو محلق بطيارته احد هذه النسور فلحق به فظل النسر سابقاً للطيارة حتى بلغت سرعتها ١١٠ في الساعة ، وحينئذ كفّ عن السباق ونكس رأسه وهوى وأخذت سنونوة من عشها في انقرس الى بلدة تبعد ١٤٨ ميلاً عن انقرس واطلق سراحها فكانت في عشها بعد انقضاء ساعة وثمانى دقائق اي انها قطعت المسافة بمتوسط ١٣٤ ميلاً في الساعة . وانها لمن اسرار الخلق ان تجد طائراً صغيراً ضعيفاً كهذه السنونوة يستطيع ان يطير بقوته العضلية الضئيلة هذا الطيران السريع !

واذا قيست عضلات الانسان بعضلات الحيوانات المتقدمة واشباهها بدا لنا ضعفنا . فنورمي المحضار الفنلندي المشهور عدا ميلاً واحداً في اربع دقائق وعشرون في فكان سرعته لا تعدو ١٤ ميلاً في الساعة . ولكن اذا اعتلى الانسان سنام الجمل قطع ١٦ ميلاً في الساعة واذا امتطى صهوة فرس قطع ٤٠ ميلاً في الساعة . اما سرعة الانسان في الماء فلا تعدو ميلين ونصف ميل في الساعة مع ان الحوت الضخم الجثة يسير بسرعة عشرة اميال في الساعة والسامون الفضي سمك يستطيع ان يفري الماء في فترات معينة بسرعة ١٧ ميلاً في الساعة . اما اذا تحلق الانسان على سطح جليدي فقد تفوق سرعته عشرين ميلاً في الساعة

على ان سرعة الانسان المستمدة من قوته العضلية تكاد تكون زحفاً ازاء سرعته التي تعتمد على عضلات ميكانيكية. فالمايجر سيجريف بلغت سرعة سيارته ٢٣١ ميلاً على ساحل فلوريدا وتلاه الكابتن كبل فبلغت سرعة سيارته ٢٤٣ ميلاً. اما سرعة الطيارات في الهواء فاقصاها ٥١٤ ميلاً في الساعة بلغها الطيار ستينفورت باحدى الطيارات المائية الانكليزية التي صنعت لمسابقة كأس شنيدر

ان هذه السرعات العظيمة تبين ما يستطيعه الانسان لمحو المسافات وتنبؤ بما قد تكون عليه سرعة المواصلات في المستقبل القريب ا

تاريخ السرعة

كان تحقيق الانسان للسرعة الميكانيكية العظيمة تحقيقاً بطيئاً. فان الآلة البخارية استعملت مدة قرن كامل تقريباً في نزح المياه من المناجم قبلما خطر لاحدهم ان يستعملها في عربة فتسير العربة تدفعها قوة الآلة. وكانت السكك الحديدية اولاً تجرّها الخيل ومضى عليها نحو قرنين قبلما استبدلت الخيل بالآلة البخارية. واول قطار صنع على هذا الطراز كان في ويلز سنة ١٨٠٤ فبلغت سرعته خمسة اميال في الساعة. ثم انقضت خمس سنوات قبلما عنيت شركة من شركات سكك الحديد باستعمال الاسلوب الميكانيكي الجديد في دفع عرباتها

وكان الناس يوجسون خيفة من السرعة. فقد كتب احد الكتاب الانكليز مقالة في المجلة الربعية « Quarterly » قال فيها: « انه من المحال ان نزين للناس صنع قطارات سرعتها مضاعف سرعة العربات العمومية. وخير لاهل ولتش ان يسموا بالانطلاق في صاروخ من الاستسلام الى آلة تسير بهذه السرعة »

وكانت مسألة السرعة من المسائل الخطيرة التي اثيرت لما طلبت شركة انكليزية من البرلمان اذنًا في مد خط سكة حديدية بين لثربول ومنشستر. وكان المهندس جورج ستيفنسن قد جرّب القاطرة البخارية واسفرت تجاربه عن اقتناعه بتفوقها على العربات التي تجرّها الخيل. ولكن رجال الفن في انكلترا حينئذ لم يقرّوه على ذلك الرأي فكتب تروجولد Tredgold في سنة ١٨٢٥ رسالة انكر فيها احتمال استنباط طريقة لنقل الناس تزيد سرعتها على عشرة اميال في الساعة. والقي لاردنر Lardner خطبة في لندن قال فيها « ان عربات هذه القطارات لا تستطيع ان تسير بالسرعة المذكورة فاذا حاولت ذلك وقفت جامدة في مكانها لان عجالاتها تدور حينئذ على محاورها وتظل حيث هي »

اما وقد قال رجال العلم كلمتهم فلا ريب فيما يقوله رجال الادارة فانهم ترددوا طويلاً في الترخيص بمد سكة حديدية يقودها ويرشدها « حَقَق » ستيفنسن. وقبلما مثل ستيفنسن امام لجنة البرلمان اشار عليه محامي الشركة بالآتي ذكر سرعة لا تصدّق كسرعة ٢٠ ميلاً في

الساعة لأنه اذا فعل حكم المجلس عليه وحسبوه مجنوناً افلت من المستشفى . فلجم ستيفنسن خياله ولسانه ولم يذكر الا سرعة ١٢ ميلاً في الساعة ، ومع ذلك ظل اعضاء اللجنة البرلمانية يشكّون في صحة عقله واقترحوا ضده . ولكن الشركة فازت بمرسوم تأسيسها بطريقة من الطرق . فاقنع ستيفنسن رجالها ان يسمحوا بتجربة القطار الحديدي — قاطرة فيها آلة بخارية تجر عربات وتسير على خط حديدي مزدوج — فعينت جائزة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه تمنح لاي مخترع يستطيع قطاره ان يسير مسافة ٣٠ ميلاً بسرعة عشرة اميال في الساعة

وفي اكتوبر سنة ١٨٢٩ تمت هذه المباراة فحضرها عشرة آلاف متفرج وتبارت فيها قاطرات خمسة مخترعين احداها قاطرة ستيفنسن

وكانت قاطرة ستيفنسن تدعى « الروكت » اي الصاروخ وكانت تجر وراءها قطاراً من العربات المحملة فبلغ متوسط سرعتها ١٥ ميلاً في الساعة . ثم فصل ستيفنسن القاطرة عن سائر القطار ليبين للجمهور ما تستطيع وحدها . فسارت اولاً بسرعة عشرة اميال ثم بسرعة خمسة عشر ميلاً ثم زادت سرعتها رويداً رويداً الى عشرين وخمسة وعشرين وثلاثين وخمسة وثلاثين ميلاً فوقف الناس دهشين ثم انطلقت اكفهم بالتصفيق اذ رأوا القاطرة ولم تتبدد هباءً منشوراً كما قيل ولم تدّر عجالاتها حيث هي وها هو ذا المهندس يقفز منها معافى لم تضر به السرعة وللسكة الحديدية في الولايات المتحدة الاميركية تاريخ شبيه بتاريخها في انكلترا

السيارة والطيارة

ومن ثم اخذت سرعة القطارات تزداد رويداً رويداً بزيادة علم المهندسين وخبرتهم الى ان بلغت في احد القطارات الاميركية سنة ١٩٠١ مائة وعشرين ميلاً في الساعة فوق خط مستوٍ مستقيم . اما قصب السرعة قبل الحرب مدى مسافة تزيد على خمسمائة ميل في طريق غير مستقيم او مستو فلقطار اميركي كذلك اذ قطع سنة ١٩٠٥ مسافة ٥٢٥ ميلاً في ٧ ساعات وخمسين دقيقة فكان متوسط سرعته ٦٧ ميلاً في الساعة . وسرعة بعض القطارات الانكليزية الآن تفوق ذلك ولما كانت الشركات تعنى بسلامة الركاب ورفاهتهم وتوفير النفقات عنايتها بالسرعة او اكثر عدلت عن السباق لزيادة سرعة قطاراتها من دون النظر الى اي اعتبار آخر . وقد كانت بعض الشركات الاميركية في مطلع هذا القرن تسيّر قطاراتها بين نيويورك وشيكاغو في ١٨ ساعة اما اليوم فانها لا تتعدى عشرين ساعة على الاقل

وكانت السيارة في مهدها اذ بلغ القطار اوجه — من ناحية السرعة — في سنة ١٩٠١ ربح هنري فورد سباقه الاول بسيارته المشهورة فكانت سرعته اقل قليلاً من ٤٥ ميلاً في الساعة . اما في اوربا فكانت سرعة السيارات تفوق سرعة فورد قليلاً . ولكن اصحاب السكك

الحديدية لم يروا في «عربة البنزين» ما يثير مخاوفهم . وفي سنة ١٩٠٣ نزل اسم فورد في صفحات الجرائد الاولى اذ بلغت سرعة سيارته تسعين ميلاً في الساعة . ومضى اصحاب المصانع في اتقان سياراتهم وزيادة سرعتها ففي سنة ١٩١٠ بلغت اقصى سرعة سيارة ١٤١ ميلاً في الساعة وفي ١٩٢٠ بلغت ١٥٦ ميلاً في الساعة وفي سنة ١٩٢٦ بلغت ١٧٠ ميلاً في الساعة وفي سنة ١٩٢٧ انشلق المايجر سيجريث بسيارته بسرعة ٢٠٠ ميل في الساعة وفي ١٩٢٨ بلغت سرعة كاي دُن ٢٠٧ اميال في الساعة وفي ١٩٢٩ اعاد سيجريث الكرة فبلغت سرعته ٢٣١ في الساعة وبعد وفاته تفوق عليه الكبتن مَلِكْ كَم كبل اذ بلغت سرعته ٢٤٣ ميلاً في الساعة وهي اقصى سرعة مركبة تسير على سطح الارض — حتى الآن

على ان الانسان لم يكتف بالسير على سطح الارض او سطح الماء بل غزا مملكة النسر والعقاب وجارهما فيها بل وتفوق عليهما

ففي ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ طار اورفيل ريط — لأول مرة في التاريخ — بطائرة اثقل من الهواء فقطع مسافة ١٢٠ قدماً في ١٢ ثانية اي ان متوسط سرعته بلغ ستة اميال في الساعة او اكثر قليلاً . ولا ريب في ان اية عربة من عربات السفر التي كانت شائعة في القرن الثامن عشر واولئل القرن التاسع تستطيع ان تباري طيارة هذا متوسط سرعتها

ولكن افسح المجال للانسان وقد اخذ اجنحة الطير حتى يتعلم استعمالها ! ففي سنة ١٩٠٥ طار اورفيل ريط مسافة ١١ ميلاً بسرعة ٣٦ ميلاً في الساعة وفي ١٩٠٨ بسرعة ٤٠ ميلاً في الساعة ثم قدم الصحافي الاميركي بنت — J. G. Bennett — كأساً للفائز في مباراة دولية للطيران فجرت المباراة في ريمز بفرنسا في شهر اغسطس سنة ١٩٠٩ ففاز فيها كرتس الاميركي وبلغ متوسط سرعته ٤٧ ميلاً في الساعة . ومن ثم اخذ متوسط سرعة الطيران يزداد زيادة تفوق ما يتوقع . ففي ١٩١٢ فاز فدرين الفرنسي بكأس بنت الدولية وبلغت سرعته ١١٢ ميلاً في الساعة . ولما وضعت الحرب اوزارها واستؤنفت المباراة في الطيران فازت فرنسا بكأس بنت وكانت سرعة الفائز ١٧٠ ميلاً في الساعة

اما كأس شنيدر فاشهر من كأس بنت لدى قراء المقتطف . وذاك شنيدر من رجال الطيران والالعاب الرياضية عند الفرنسيين . صنع سنة ١٩١٢ كأساً من الذهب والفضة والبرونز قيمتها نحو الف جنيه وجعلها جائزة دولية يفوز بها المجتسى في سباق للطائرات المائية يقام كل سنة او سنتين . ومن غرائب القدر ان شنيدر هذا مات فقيراً بعدما سنة ١٩٢٨ اذ كان المتنافسون ينفقون مئات الالوف من الجنيهات استعداداً لمحاولة الفوز بكأسه

والى القارى بياناً مفصلاً بأسماء الفائزين وسرعتهم

السنة	الاسم	الجنسية	السرعة بالاميال	السنة	الاسم	الجنسية	السرعة بالاميال
١٩١٣	بروفو	فرنسي	٤٥٧٥	١٩٢٥	دولتل	اميركي	٢٣٢ ر ٥٧
١٩١٤	بكستن	انكليزي	٧٦٧٥	١٩٢٦	ده برناردي	ايطالي	٢٤٦ ر ٤٩
١٩٢٠	بولونا	ايطالي	١٠٧ ر ١٢	١٩٢٧	وبستر	انكليزي	٢٨١ ر ٦٥
١٩٢١	ده بريغاتي	ايطالي	١١٥ ر ٨٤	١٩٢٩	اتشري	انكليزي	٣٢٨ ر ٦٣
١٩٢١	بيارد	انكليزي	١٤٥ ر ٦٢	١٩٣١	بوغن	انكليزي	٣٤٠ ر ٠٨
١٩٢٣	رتيهوس	اميركي	١٧٧ ر ٣٨				

ولما كان شروط هذه المباراة ان الدولة التي تفوز بها ثلاثاً متوالية تحرزها نهائياً فالكأس الآن ملك انكلترا. وبعد المباراة الاخيرة حاول الطيار الانكليزي ستينفورت ان يبلغ بطيارته البحرية اقصى سرعة بلغها الطيارون فطار اربع مرات فوق مسافة طولها ثلاثة كيلومترات فبلغ متوسط سرعته ٤٠٨ اميال وبلغت سرعته في احد الاشواط ١٥٤ ميلاً في الساعة. وهذا اقصى ما استطاعه الانسان حتى الآن في ميدان « السرعة »

مستقبل السرعة

ما مستقبل السرعة ؟ هل بلغنا الحد الاقصى او لها حدود ابعد مما ذكر يستطيع الانسان بلوغها بالادوات الميكانيكية التي في متناوله وتحت سيطرته ؟
يرى السر الآن كوجههم الطيار البريطاني المشهور ان بلوغ سرعة ٣٠٠ ميل للطائرات التجارية امر سوف يتم في جيلنا . ويقول الاستاذ لو العالم والمستنبط الانكليزي ان سرعة المستقبل لا تنقص عن خمسمائة ميل . ويذهب باريو اول من عبر بحر المانش بالطيارة ان سرعة طيارات السباق سوف تبلغ « في عشر سنوات ٧٠٠ ميل في الساعة » . ويتناهى غيرهم فيذكر سرعة الف ميل في الساعة . فالمستر هلند (Holland) المهندس الذي بنى الطيارات المائية البريطانية التي فازت بكأس شنيدر يقول « ولست ارى ما يمنع ان تكون سرعة الطيارة الفائزة سنة ١٩٥٠ الف ميل في الساعة »

والراجع ان مقاومة الهواء والفرك (او الاحتكاك) والقوة الطاردة من المركز هي الحوائل التي تحول عند تحقيق المهندسين ما يرونه حقيقة بعين خيالهم . والعالم او المستنبط الذي يقترب من اخضاع هذه الحوائل او تخطيتها هو اول من يصل الى تحقيق سرعة الف ميل في الساعة

ان القوة الطاردة من المركز يمكنها ان تدمر السيارة او الطائرة . فقد حسب احد علماء الطبيعة انه لما كانت سرعة سيارة سيجريف ٢٠٠ ميل في الساعة كانت عجلاتها تدور ثلاثين دورة في الثانية الواحدة وكانت القوة الطاردة لدقائق العجلة من المركز تعدل ضغط اربعة اطنان . وزيادة سرعة السيارة تقتضي زيادة دوران العجلات وبالتالي زيادة القوة الطاردة حتى اذا بلغت السيارة سرعة معينة لم تستطع عندها جزيئات المادة ان تبقى متماسكة فتتطاير . وما يقال عن العجلات يقال عن محرك الطائرة ومراوحها

اما الفرق (او الاحتكاك) فظاهر فيما تنفقه السيارة من الزيت . ولكن المهندس العالم فقط يستطيع ان يقدّر ما تفقده المحركات من قوتها لمقاومة الاحتكاك . فقوة المحركات في سيارة سيجريف كانت الف حصان تنفق قوة ١٠٠ حصان منها لمقاومة الفرق بين اجزائها فاذا زادت السرعة اصبح زيت الآلة اكثر تعقيداً بما يصيب الزيت من التحول الكيميائي . وهذا يقتضي اضافة اسلوب جديد للتبريد لئلا تزداد حرارة الآلة فينحل الزيت ويغدو لا يزيّتها . واداة التبريد تزيد ثقل الطائرة وتنقص القوة المستعملة في تسييرها

اما عدو السرعة الاكبر فهو مقاومة الهواء . فسيارة سيجريف كانت تنفق مائة حصان من قوتها لمقاومة الاحتكاك و ٥٠٠ للتغلب على مقاومة الهواء فلم يبق من القوة الاصلية الا ٤٠٠ حصان لتسيير السيارة

ان مقاومة الهواء غول القوة المسيّرة . فلنفترض ان امامك سيارة قوة آلتها عشرة احصنة تستطيع ان تسير بك سرعة ٣٠ ميلاً في الساعة . وانت تريد ان تسير بسرعة ٦٠ ميلاً فهل يكفي ان تجعل قوة آلة السيارة عشرين حصاناً ، اي هل يكفيك ان تضاعف القوة لتضاعف السرعة ؟ كلا إذ قد وجد الباحثون ان القوة تختلف كمكعب السرعة . فلكي تضاعف السرعة في طائرة يجب ان تزيد قوتها المحركة ثمانية اضعاف . فاذا كانت السيارة التي قوتها ١٠ احصنة تسير بسرعة ٣٠ ميلاً وجب ان تكون قوة السيارة التي تسير بسرعة ٦٠ ميلاً ٨٠٠ حصان — هذا اذا تساوت السيارتان في كل امر آخر عدا القوة

ولكن السيارات قلما تتساوى في كل امر . وهنا مجال الابداع لبناء السيارات والطائرات . فقد اجريت مباحث كثيرة لمعرفة اي شكل من الاشكال المادية يلقي اقل مقاومة من الهواء في اثنا سيره فيه . فوجد ايقل — المهندس الفرنسي باني برج ايقل بباريس — ان جسماً اسطوانياً الشكل مقدمه نصف كرة هو هذا الشكل . وقد قام المهندسون المحدثون بتجارب من هذا القبيل فبني على نتيجة مباحثهم علم stream-lining الحديث ويقصد به بناء جسم السيارة — او الطائرة — وكل جزء ظاهر منها حتى يقاوم الهواء اقل مقاومة ممكنة

ولعل الطريقة المثلى للتغلب على مقاومة الهواء هي التحليق الى طبقات الهواء اللطيف ،

فكثافة الهواء على ارتفاع عشرة أميال هي عشر كثافته على سطح البحر وكثافته على ارتفاع عشرين ميلاً جزء من مائة جزء من كثافته على سطح البحر . فالقوة التي تسير طيارة بسرعة ١٠٠ ميل أو ١٢٥ ميلاً على ارتفاع ألف قدم تستطيع ان تضاعف هذه السرعة على ارتفاع عشرة أميال مثلاً . ولكن طياراتنا تحتاج الى الهواء الكثيف . فهو كالماء للسفينة . وإذا فالطيران بسرعة ١٠٠٠ ميل في الساعة في طبقات الجو العليا يحتاج الى استعمال مبدأ آخر في الطيران — غير مبدأ مقاومة الهواء بسطح منحني — كبداً الصاروخ او السفن السهمية (١)

السرعة وحجم الانسان

هل يستطيع جسم الانسان ان يحتمل سرعة اعظم من سرعة كامبل بسيارته وستينفورت بطيارته ؟ انها لمسألة قديمة وجهت في ايام ستيفنسن وفي كل سنة اذ تقام مباريات السرعة توجه من جديد . ولعل افضل جواب عنها اننا كسكان السيار المعروف بالارض نسير الآن في الفضاء معها بسرعة تفوق اقصى ما يتخيله المهندسون . قال ادنجتون : الحركة لا تتعب احداً . فنحن الآن نسير مع الارض حول الشمس بسرعة ٢٠ ميلاً في الثانية . ونحن نسير مع النظام الشمسي بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية في خلال النظام المجري ومع النظام المجري بسرعة ٢٥ ميلاً في الثانية بين السدم اللولبية . فلو كانت الحركة تتعب لكانا متنا تعباً

ان جسم الانسان ودمه لا يستطيعان ان يحتملا حرارة تحت الصفر في طبقات الجو العليا ولا هو يستطيع ان يتنفس في هواء لطيف جداً . وعليه فكل طائرة سائرة في اعالي الجو لا بد لها من ان تقل ركبها في حجرات محكمة الاقمال ضغط الجو فيها مثل ضغطه على سطح الارض وحرارتها مماثلة للحرارة الطبيعية التي اعتادوها

ولكن هل نرغب في زيادة السرعة ؟ ان نجاح البريد الجوي في كل البلدان يدل على رغبة الناس في سرعة النقل وخصوصاً نقل الاشياء الضرورية مثل الرسائل والعقاقير والامصال والجنود في ساعة الحاجة القصوى وغير ذلك . فطيارة تسير بسرعة ألف ميل في الساعة تستطيع ان تقطع المسافة بين هليوبوليس وبغداد في نحو ساعة بدلاً من ان تستغرق نحو شهر

ثم هنالك الحلم الجري الذي اعرب عنه العالم البريطاني هولدين (J.B.S) وغيره وهو الخروج من منطقة جذب الارض الى الاجرام السماوية الاخرى

ما هي السرعة اللازمة للتغلب على قوة جذب الارض ؟ مبيعة اميال في الثانية قرب سطح الارض ثم اقل من ذلك متى حلت الطائرة في الفضاء . والقائمون على درس السفن السهمية يقولون ان توليد هذه السرعة مستطاع

(١) راجع مقالاتنا في المقتطف نوفمبر ١٩٢٨ ص ٢٤٩ ابريل ١٩٢٩ ص ٣٨١ مارس ١٩٣١ ص ٣٠٧

حافظ ابراهيم

مصطفى صادق الرافعي

فرغتُ الآنُ من قراءة شعر حافظ بعد ان لم يعد حافظ بيننا الا شعره ونثره ، فبالله
أحلفُ ما نظرتُ في صفحة مما بين يديَّ الا وأحسستُ ان ذلك الشاعر العظيم يقول في بيانه
الرائع وصناعته البديعة : انا هُنا

ولغةُ هذا الشعر المتدفعة بالحياة كأن كلماتها القوية عروقٌ في جسم حي متوثب — لم تخرج
عن ان تكون هي العربية المبيّنة في جزالتها ونصاعتها ودقة تركيبها البياني ، ومع ذلك
فليس في هذا العصر كله من يكابر او يماري في انها هي لغة حافظ وحده كأنه ارغم التاريخ ان
يحتفظ به في أجل آثاره

وأنا اعرف في شعره مواضع من الاضطراب والضعف والنقص سأشير الى بعضها ،
ولكنني على ما اعرفه اجد هذا الشعر كالتيار يعُبُّ عُبابه لا يبالي ما تناثر منه وما ركد
وما وقع في غير موقعه ، اذ كانت عظمته في اجتماع مادته لا في اجزاء منها وفي السر الذي
يدفعها في كل موضع لا في المظهر الذي تكون به في موضع دون موضع فهو ابداء يقول لمن
يتصفح عليه او ينتقده : انظر لما بقي

ترجع صداقتي لحافظ رحمه الله الى سنة ١٩٠٠ اول عهدي بالادب وطلبه وقد شهدتُ
من يومئذ بناءه الادبي عالياً فعالياً الى الذروة التي انتهى اليها ، وأخلص لي ثقته وأصفاني
مودته وكان همّك من اخ كريم وله في نفسي مكان لم ينكره مذ عرفته ولم يضق بمحبته منذ
اتسع لها وكنت وياه يرى احداً الاخر من هذه اللغة كالجانبين لصورة واحدة لا يتهيا في
الطبيعة ان يختلفا والصورة بعد قائمة ولا ان يضطرب ما بينهما والصورة منهما على وزن وتقدير
ولكن هذا لا يمنعني ان اقرر انه كان عندي اكبر من شعره — ولعله كذلك عند كل
من خلطوه بأنفسهم — فانه يتعاطفك بنفسه القوية وبالمعنى الذي تحسه في العبقرى ولا
تدري ما هو . وذلك من سحر العبقرين وأثرهم في نفس من يتصل بهم فيتسقى لهم امران
من امر واحد وحظان بحظ ونصيبان بنصيب لان مع الاعجاب بآثارهم اعجاباً آخر بالقوة التي
ابدعت هذه الآثار . ففي ذواتهم المحبوبة يستمر الاعجاب كالسائر على طريق لا موقف عليه

وفي آثارهم يكون الإعجاب في موقف قد انتهت الطريق به فوقف على حد إن بُعد وإن قرب لا جرم كان شاعرنا عبقريةً عجيب الصنعة قوي الإلهام بليغ الأثر في عصره يشبه تحوُّلاً وقع في صورة من صور التاريخ ، ولكنه كذلك في مذاهب من الشعر دون غيرها فلم يكن معه من التمام في فنون الشعر ما يكون به الشاعر التام أو الأديب الكامل الأداة . ولم من مرة كلمته في ذلك ونهته إلى أنه كالنمط الواحد وأنه يجب أن يترسّل شعره بين النفس الإنسانية وأغراضها الكثيرة المختلفة ، فإذا كانت السياسة من الحياة فليست الحياة هي السياسة ولا ينبغي أن يكون شعره كله كشمس الصيف فإن للربيع شمساً أجمل منها وأحبّ كأنها مجتمعة من أزهاره وعطره ونسيمه

ولقد كان يفخر بأنه (الشاعر الاجتماعي) وهذا لقب ميزه به صديقنا الأستاذ محمد كرد علي أيام كان في مصر قديماً فتعلّق به حافظ وراه تعبيراً صحيحاً لما في نفسه وللملكة التي اختصّ بها قال لي يوماً في سنة ١٩٠٣ : أنا لا أعد شاعراً إلا من كان ينظم في الاجتماعيات . فقلت له ومالك لا تقول بالعبارة المكشوفة إنك لا تعد الشاعر إلا من ينظم مقالات الجرائد ولا بد لي أن أبسط هذا المعنى في هذا الفصل فإنه كان يخيّل لي دائماً أن شاعرنا (حافظ) خلق للتاريخ في أصل طبيعته ثم زيدت فيه موهبة الشعر ليكون مؤرخاً حيّ الوصف بليغ التأثير قوي التصرف ، ومن ثم جاء أكثر ما نظمته وأساسه التاريخ والسياسة وصح له بهذا الاعتبار أن يقول أنه الشاعر الاجتماعي ، ولكن مادة الشعر غير روح الشعر فإذا كان في المادة اجتماعي وسياسي فليس في الروح إلا الشاعر على إطلاقه . والاجتماعيات ليست كلّ حقائق الحياة وهي بعد ذلك معان خاصة محصورة في زمنها ومكانها . على أن الحقائق ليست هي الشعر وإنما الشعر تصويرها والاحساس بها في شكل حيّ تلبسه الحقيقة من النفس . فالشاعر الاجتماعي شاعر في حيّز محدود من وجوه الشعر ومذاهبه وإذا كان الاجتماع كل شعره فلا يسمى شعره فناً إذ كان الفن إنسانياً وكان شاملاً عاماً . والمقاييس التي يطرد عليها الفن الأدبي لا تكون في الزمن ولا في الموضع بل في النفس الإنسانية التي لا تخص بوقت ولا مكان . فإذا لم يكن الشعر إنسانياً عاماً يولد كل جيل من الناس فيجده كأنما وضع له وارتتهن بأغراضه وحقائقه فهو شعر (كالأخبار المحلية) وهذا وجه الشبه بينه وبين ما اشرت إليه آنفاً من نظم مقالات الجرائد

فمقالات الجرائد هذه لا تأتينا بالأشياء التي نحن منها في الإنسانية والطبيعة والجمال وحقائق الحياة والموت ، بل التي يكون منها يومنا المرقوم بأنه يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا فإذا مات اليوم ماتت الجريدة ثم تولد ثم تموت . وقد أدرك المتنبّي سر الشعر وأنه قائم على تحويل الشعور الإنساني إلى معرفة إنسانية نخلد شعره فلا يمكن أن يحى من

العربية ما بقيت وهذا على ما يقدر من وجوه الاعتراض والنقص وعلى ان المتنبي كان ضعيفاً في ناحية الجمال والحب ضعفاً ظاهراً كضعف شاعرنا حافظ في هذا المعنى ، ولكن حكمته الانسانية ودقة اوصافه واقامته الفضائل والذائل في كمالها الفني مقام تماثيل بارعة من الجمال، كل ذلك ترك شعره مستمراً باستمرار الحياة وباستمرار الانسانية وباستمرار الذوق

ان هذا الكون مبني في نفسه مما يعلم العلم تركيبه ولا يعلم سر تركيبه الا الله وحده ، ولكنه مبني في انفسنا من عمل الحواس ثم من التعليل والتفسير ، أما الحواس ففي كل حي لا تخلق بصناعة ولا عمل ، وأما التعليل والتفسير فهما من صناعة الشاعر والاديب فكلاهما يُخلق لاتمام الخلق في الحقيقة وهي منزلة لا ادري كيف يمكن ان تمسخ حتى تقتصر على معنى الشاعر الاجتماعي او السياسي فترجع به نمطاً واحداً مع ان الآثار الادبية وفي جملتها الشعر ان هي الا قوى الفكر والهام النفس وبصيرة الروح مسجلة كلها في بواعثها واسبابها من نفس عالية ممتازة ، وهذه القوى كثيرة التحول فيجب ضرورة ان تكون آثارها كثيرة التنوع . وتنوع الصور الفكرية في آثار الشاعر او الاديب ومجيشها متوافرة متتابعة هو معيار أدبه وقياس نبوغه طالياً او نازلاً ومتبعاً او مبتكراً وفيما يضيء من نواحيه وما ينطفئ

على ان شاعرنا الاجتماعي (كما كان يحب ان يوصف رحمه الله) وان كان قد نفخ في روح الشعب أنفاساً الهية واحسن في وصف حوادثه وآلامه وعيوبه وأبلغ البيان في كل ذلك — فانه نزل في هذه المرتبة عن وضعه الصحيح فكان في منزلته بمكان الشرطي في الطريق يقف للجرائم والحوادث على حين ان مقامه الاجتماعي من الشعب مقام المعلم في مدرسته يجلس للطباع والاخلاق . ليس الشأن أن توجد في شعر الشاعر حوادث عصره اكثرها او اقلها فان فوق هذه منزلة اعلى منها وهي ان توجد حوادث النهضة بشعر الشاعر وأن يكون في شعره العنصر الناري من اللغة الشعبية

على ان (حافظ) رحمه الله أدرك كل هذا في آخر عهده فكان يريد ان يميت ديوانه ويستخرج منه جزءاً صغيراً يختار فيه ألف بيت ويسقط ما عداها وإن . . . وإن كان فيه شعر اجتماعي . . . ومع هذا النقص الذي بعثت عليه طبيعة الزمن وطبيعة الشاعر معاً فان تمام حافظ في مذهبه الاجتماعي الذي نبغ فيه جاء من وراء القوة وفوق الطاقة لا يجاريه فيه شاعر آخر بحيث دل على ان النابغة قدّر إلهي لا ينقص من عظمتها ان يكون حادثة واحدة تدوي دويها في الدنيا . فهو ميسّر منذ نشأته لما خلق له من ذلك فأحكمت المدرسة الحربية ثم قيده الجيش ثم تقاذفه السودان ثم قذف به الظلم ثم تولاه امام عصره الشيخ محمد عبده وهو كذلك في غاياته الوعرة ومقاصده العمرانية ومعاناته للاصلاح — مدرسة حربية وجيش وفلاة . فلم يكن حافظ الا الصوت الانساني الذي أعيد بخصائصه للتعبير عن حوادث امته وخصائصها،



حافظ ابراهيم

امام صفحة ٢٦٩

مقتطف اكتوبر ١٩٣٢

وكأنه في نقلته من السودان الى مصر قد انتقل من جيش يحارب الاقوام الاعداء لأمته الى جيش آخر يحارب المعاني الأعداء لأمته

ولد حافظ ابراهيم سنة ١٨٧١ وكان الكتاب الاول الذي هداه الى سر الادب العربي وأرهف ذوقه وأحكم طبيعته هو كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي المطبوع في مصر لخمس وخمسين سنة ، ففي هذا الكتاب قرأ حافظ خلاصة مختارة محققة من فنون الادب العربي في عصوره المختلفة ودرس فوق البلاغة في اسمى ما يبلغ بها الذوق ووقف على أسرار تركيبها وعرف منه الطريقة التي نبغ بها البارودي وهي قراءته دواوين فحول الشعراء من العرب ومن بعدهم وحفظه الكثير منها ، فبنى شاعرنا من يومئذ قريحته على الحفظ ولم يزل يحفظ الى آخر عمره اذ كانت قريحته كآلة التصوير لا تسببه لشيء الا علقته وهذا سبب من اسباب ضعف خياله ولكنه رد عليه من القوة في اللغة ما تنهاه فيه الى الغاية . واتفق لذلك العهد ان طبعتنا زوميات المعري في مصر فتناولها حافظ واستظهر اكثرها فكانت باعث ميله ونزعته الى الشعر الاجتماعي . والفرق بين حافظ وبين المعري في الموهبة الفلسفية هو الذي نفذ بالمعري الى اسرار كثيرة ووقف بحافظ عند الظاهر وما حوله يطير هناك ويقع

فقد كان صاحبنا ضعيفاً من هذه الناحية فاستصعبت عليه اسرار واستغلقت أخرى من أسرار الخير والشر في الحياة ، والجمال والحسن في الخليقة ، والجلال والابداع في الكون والاقرار والشك في كل ذلك ، وقد بلغ المعري من هذا مبلغاً لا بأس به الا انه لم يُصِفْ كما تصفي الاشياء في عين مبصرة فحبط وخلط ووضع من اغراض نفسه المريضة على الصحيح والمريض جميعاً . وتابعه حافظ في طريقة أخرى سنشير اليها بعد

وفتن شاعرنا بما قرأ في «الوسيلة» من شعر البارودي فاصبح من يومئذ تلميذه وسار على نهجه في قوة اللفظ وجزالة السبك ومتانة الصنعة وجودة التأليف على نعم الالفاظ وأجراس الحروف ولكنه لم يدرك شأو البارودي في ذلك لان هذا جمع من دواوين الشعراء وكتب الادب ما لم يتفق لغيره في عصره وأدخل في شعره أحسن ما صنعت الدنيا في الف سنة . من تاريخ البلاغة العربية ولذا انتقل عنه حافظ الى طريقة مسلم بن الوليد في التصنيع ولزمها الى آخر مدته وابتدأ يعالج الشعر في السودان وينظم في جنس ما هو بسبيله من وصف الهم المستولي عليه من جميع جهاته اذ كان يتيماً فقيراً مشرداً ويرى نفسه شاعراً تصده الحياة عن منزلة الشاعر وعن أمكنة الشعر كالذي غُصِبَ ميراثه من عرش وملك ونُفي الى غير أرضه ووضعت روحه بازاء روح الفقر وقيل لها عدو ما من صداقته بُدُّ

ثم جاء الى مصر واتصل بالامام الشيخ محمد عبده واستقال من الجيش وفرغ للادب

فبدأ من ثم تكوينه الادبي المندمج المحكم . اما قبل ذلك الى سنة ١٩٠١ التي طبع فيها الجزء الاول من ديوانه فكان شعره قليلاً ظاهر التكلف واكثره يدل على طريقة مضطربة لم تستحكم وفكر لم ينضج وموهبة في التوليد الشعري بينها وبين الاستقلال أمد قريب

ودرس في مدرسة الشيخ محمد عبده من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٥ وهذا الامام رحمه الله كان من كل نواحيه رجلاً فذاً وكأنه نبي تأخر عن زمنه فأعطي الشريعة ولكن في عزيمته وذهب الوحي ولكن في عقله واتصل بالسر القدسي ولكن من قلبه . ولولا هو ولولا انه بهذه الخصائص لكان حافظ شاعراً من الطبقة الثانية فانه من الشيخ وحده كانت له هذه القوة التي جعلته يصيب الالهام من كل عظيم يعرفه وكان له من أثرها هذا الشعر المتين في وصف العظماء والعظام وهو أحسن شعره

ولم يجد حافظ من قومه ما يجعله لسانهم حتى تنطقه بالوحي نفسياتهم التاريخية الكبرى، ولا تولاه ملك او امير يرغب في أدبه رغبة اديب ملك او اديب امير ليظهر منه عبقرية جديدة في التاريخ ، ولا عرف الحب الذي يجعل للشاعر من سحر الحبيب ما يجمع النفسية التاريخية والملكية معاً ويزيد عليهما . وهذه الثلاثة التي لم تتفق لحافظ هي التي لا ينبغ الشاعر نبوغاً يفرد به ويميزه الا بواحد منها او باثنين او بها كلها . غير ان حافظ وجد في الامام ما هو اسمى من كل هؤلاء في النفس والجاذبية وعرف فيه من ذوق الادب والبلاغة ما لم يعرف شاعر في ملك ولا أمير . وقد حضر دروسه في المنطق واسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وخرج منها بذوقه الدقيق واسلوبه المتمكن ، وحضر مجالسه وخرج منها بمواضيعه الاجتماعية واغراضه الوثابة ، وحضر نظرات عينيه وخرج منها بروحانية قوية هي التي تتضرم في شعره الى الأبد . لحافظ احدى حسنات الشيخ على العالم العربي وهو خطة من خطته في عمله للاصلاح الشرقي الاسلامي والنهضة المصرية الوطنية واحياء العربية وآدابها، واذا ذكرت حسنات الشيخ أو عُدَّت للتاريخ وجب ان يقال اصلح وفعل وفعل وفسر القرآن وأنشأ حافظ ابراهيم ومضى شاعرنا موجهاً بفكرة الامام وروحه واستمر في ذلك بعد موت الشيخ كما يستمر النهر اذا احترق مجراه لا يستطيع أن يخرج عنه ما دام يجري الى مقاربه

وكان حافظ في بديعه وصناعته على مذهب مسلم بن الوليد كما قلنا وهو مثله ابطاء في عمل الشعر وتلوّماً على حوكه وانفراداً بكل لفظة منه وتقليباً للنظر فيما بين الكلمة والكلمة واعتبار كل بيت كالعروس لها معرض وحلية وزينة . فاذا عمل شعراً انبثت خواطره في كل وجه وذهب وراء الالفاظ والمعاني وترك هاجسه (العقل الباطن) يعمل عمله فيما التوى عليه او استصعب وهو واثق انه سينقاد ويتسهّل بقوة ان لم تكن فيه الآن فستكون فيه . ثم

ينظم ما يتسمّح إن جاء في موضعه من القصيدة او في غير موضعه فلا يتبع فيها نسقاً بعينه وانما القصيدة عنده كلّ سيجمع من بعد ، تهيأ اجزاؤه متسقة ومبعثرة كما يجيء بها الالهام واسباب الاتفاق . فالقصيدة أولاً في أبياتها ثم تكون أبياتها فيها اي ثم ترتب الابيات وتنزل في منازلها ، ولا ينظم الا متغنياً يروض الشعر بذلك لان النفس تتفتح للموسيقى فتسمح وتنقاد . وهو يتبع في ذلك طريقة معروفة ذكرها ابن حجة الحموي في كتابه خزانة الادب وهي من وصية ابي تمام البحتري وكان المتنبي يعمل عليها . وبالجملّة فان حافظ يرتن فكره بالقصيدة التي ينظمها ويتوفر عليها وعلى اسبابها لا كما يفرغ الشاعر للشعر ولكن كما يتوفر المؤلف العظيم على كتاب يؤلفه . وهو كذلك يبطن في نثره اكثر مما يبطن في الشعر ، دلني بنفسه رحمه الله على صفحة في الجزء الثاني من ترجمة البؤساء وقال انه ترجمها في خمسة عشر يوماً^(١) وحضرته مرة يترجم اسطراً من الجزء الاول (في قهوة الشيشة) يخطها في دفتر صغير دون حجم الكف فاجتمعت له ثلاثة اسطر في ثلاث ساعات وهذا لا يعيبه ما دام يريد قسط الفن وما دام يحاول أن يخرج الكلمات من عالمها الى عالمه هو المتموج من الالفاظ والعبارات بمثل الكواكب في الاستواء والجاذبية والشعاع والرونق والجمال

ويرى مع الصناعة ان يكون سبك شعره سبك البدوي المطبوع جزلاً سهلاً مشرقاً ممتازاً متعادلاً الاجزاء والتقسيم ينّ رنيناً كأنما قذفت به سليقة أعرابي فصيح تحت ضوء كواكب البادية على برد الرمل في نسائم الليل حين تمتلئ تلك النفس البدوية بحنين الحب او شوق الجمال او عظمة القوة . وهذا هو الاصل الذي اتبعه وقفني عليه هو بنفسه في سنة ١٩٠٢ وقرظني به في الجزء الاول من ديواني فقال

أنت والله كاتبٌ حضري إن عددناك شاعراً بدوياً

ولو أنك أجريت شعر حافظ في أبلغ ما قاله المطبوعون من الأعراب وشعراء القرن الاول لالتأم به وزاد عليه في الصناعة وبعض المعنى . وقلّ ان تجد في شعره كلمة ينبو بها مكانها الا الفاظاً قليلة كان يستكرها بحسب انه يستطرف منها ويرى في غرابتها شيئاً جديداً وهذا من خطأ رأيه في الاسلوب لانه مع بلاغته كان ينقصه ان يكون فيلسوفاً في البلاغة . وانا أرى انه لو تمت له الموهبة الفلسفية لما جراه شاعر آخر ولكن الكمال عزيز في البشرية وقد عرفت رأيي في الاسلوب في سنة ١٩٠٦ اذ نشرت له مجلة الاقلام التي كان يصدرها صاحبنا الاديّب جورج طنوس كلمات كان يريد ان يضمّن كتابه (ليالي سطوح) اظهر فيها رأيي في الشعراء فقال في اسماعيل صبري : يقول الشعر لنفسه لا للناس . وفي شوقي : ارق الشعراء طبعاً

(١) لما اهدى الي هذا الجزء كنا قبل الظهر فلم يدعي حتى قرأته كله معه الى العصر وكتبت عنه في المقطع بعد ذلك

وأسماء خيالاً . وفي مطران أسرعهم بديهةً واقدرهم ابتكاراً . وقال فيّ ولم يكن مضى عليّ
الاستسنيين في طلب الادب : مكثار راقى الخيال بعيد الشوط في ميادين الأدب غير
ناضج الاسلوب . فلما اجتمعت به فآتمته في ذلك وسألته رأيه في الاسلوب الناضج فلم أر
عنده طائلاً وكل ما قاله في ذلك ان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قرر ان البلاغة ليست في
اللفظ ولا في المعنى ولكنها في الاسلوب . وعبد القاهر لم يقل هذا ولا قاله غيره فان الاسلوب
عنده « طريقة مخصوصة في نسق الالفاظ بعضها على بعض لترتيب المعاني في النفس وتنزيلها »
« وان المنزلة من حيز المعاني دون الالفاظ وانها ليست لك حيث تسمع باذنك بل حيث
تنظر بقلبك وتستعين بفكرك »

وقد قررت له ان للالفاظ ما يشبه الألوان فليست كلها زرقاء ولا صفراء ولا حمراء .
ورب لفظة رقيقة تقع ضعيفة في موضع فيكون ضعفها في موضعها ذاك هو كل بلاغتها
وقوتها كفترة السكوت بين انغام الموسيقى هي في نفسها صمت لا قيمة له ولكنها في موضعها
بين الانغام نغم آخر ذو تأثير بسكونه لا برنينه وهذا من روح الفن في الاسلوب
وأدرك شاعرنا من يومئذ ما سميت قوة الضعف ولعل هذا هو السبب في ان طبعه رجع
يعدل به الى التسهيل حتى انه لتقع في شعره ابيات متهاففة فيأتي بها ولا ينكرها . ولقيني
مرة فانشدني قول الشاعر :

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا

وجعل يُعَجِّبني من بلاغة قوله (لم أرزق) وانها مع ذلك ضعيفة مُبْتَدَلَة تجري
في منطق كل عامي قلت ولكن (محبتها) جعلتها كمحبتها

وضعف الموهبة الفلسفية في حافظ عوضه ناحية أخرى من اقوى القوة في الشعر وهي
اهتدائه الى حقيقة الغرض الذي ينظم فيه وتركه الحواشي والزيادات وانصراف قواه الى دقة
الوصف حين يصف وتعويله على احساسه اكثر من تعويله على فكره ، فزاد ذلك في رونق
شعره ومائه ونحا به منحى المطبوعين فخرج يتدفق سلاسة وحلاوة ممتلئاً من صواب المعنى
وبلاغة الأداء وقوة التأثير . وبهذا نبغ في الرثاء ووصف الفجائع نبوغاً انفرده حتى
لأحسب أن هناك رُوحاً يمدّه في هذه المواقف وأن الحقيقة تتبرّج له في هذه العظام
خاصة ليرى منها ما لا يراه غيره . وهو يتحد بالعظيم الذي يرثيه فيجيد فيمن يعرفه اجادة
منقطعة النظير تتبين الفرق بينها وبين شعره فيمن لا يعرفه تلك المعرفة . وأحسبه يسأل روح
العظيم الذي يصفه او يرثيه : أين المعنى الذي فيه حقيقتك وأين الحقيقة التي فيها معنالك
والفلسفة الشعرية كلها أن يحل في الشاعر الملهم ذلك السرّ الجميل الجاذب والمنجذب

معاً المستقر والمتحول جميعاً الباطن والظاهر في وقت ، فيكتنه الشاعر ما لا يدركه غيره فيقف على الجمال والحسن والرقّة ويلهم الحكمة والبصيرة ويتناول الأغراض بالتحليل والتركيب ويؤتي التعبير عن كل ذلك في طريقة خاصة به هي أسلوبه وهذا لم يتفق على أمّه وأحسنه في حافظ فقصر به في توليد المعاني المبتكرة ونزل به في الغزل ووصف الجمال . بيد أنه اتفق له مثل هذا الجلال بعينه في (الجانب المتألم من شعره) أي الرثاء والشكوى ووصف الفجيعة ، ولو ذهبت تستعرض المراثي في الشعر العربي ومثلت بينها وبين رثاء حافظ للعظماء الذين خالطهم كالاستاذ الامام والبارودي ومصطفى كامل وثروت ، لراعتك انك واجدٌ للشعراء ما هو اسمى من معانيه واقوى من خياله ولكنك لا تجد البتة ما هو انخم وادق مما جاء به في هذا الباب كأنه منفرد في العربية بهذه الخاصة وهذا المعري يقول :

ولولا قولك الخلاق ربي لكان لنا بطلعتك افتتاحان

ويقول في شعر آخر

أسهب في وصفه علاك لنا حتى خشينا النفوس تعبدها

وهذان البيتان تراهما صعلوكين اذا قسمتهما بقول حافظ في رثاء الشيخ عبده :

فلا تنصبوا للناس تمثال (عبده) وان كان ذكرى حكمة وثبات

فاني لا أخشى ان يضللّوا فيؤمّئوا الى نور هذا الوجه بالسجّدات

مع ان معنى حافظ مأخوذ منهما ولكن انظر كيف جاء به . ويقول المعري في رثاء ابيه

ولو حفروا في درّة ما رضيتُها لجسمك ابقاء عليك من الدفن

ويقول في رثاء غيره :

واحبّوا الأكفان من ورق المصحف كبراً عن أنفـس الأبرار

وهذان ايضاً كالصعاليك عند قول حافظ في البارودي :

لو أنصفوا اودعوه جوف لؤلؤة من كنز حكمته لاجوف اخدود

وكفّنوه بدرج من صحيفته او واضح من قميص الصبح مقدود

مع ان حافظ ألم بقول المعري . ومن بديع ما اتفق له في قصيدة (الامتان تتصاحفان)

قوله يصف السوريين :

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرّة ركباً صاعداً ركبوا

او قيل في الشمس للراجلين منتجع مدّوا لها سبباً في الجوّ وانتدّبوا

فاقرأ هذين واقراً بعدها قول المتنبي في سيف الدولة

وَصَوَّلَ الى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ فلو كان قرن الشمس ماءً لأوردا

فانك تجد بيت المتنبي صعلوكاً على بيتي حافظ مع انه المبتدع السابق
وأعجب ما عجبت له هذا البيت من شعر صاحبنا في مقطوعة يخاطب بها الامريكان نشرها
في المقتطف من ثلاث سنوات او نحوها . قال :

وتخذتم موج الاثير بريداً حين خلتم أن البروق كسالى
واتفق يومئذ أن كنت جالساً في زيارة الصديق الاستاذ فؤاد صرُوف محرر المقتطف
فجاء حافظ فلم يكده يصاحفني حتى قال كيف ترى هذا البيت وتخذتم موج الاثير بريداً الخ
فأثنت عليه الذي يهوى وهنأته بهذا المعنى وظهرت له ما شاء من الاعجاب ولكنني أضمرت
عجبي من حسن ما اتفق له ، فان الجمال الشعري في البيت انما هو في استعارة الكسل للبروق وهذا
بعينه من قول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة :

وما تمهل يوماً في ندَى وردى الأ قضيتُ للمح برق بالكسل
غير ان حافظ نقل المعنى الى حقه ومكن له أحسن تمكين في صدر كلامه واتم جماله في
قوله (حين خلتم) فاقتطع المعنى وانفرد به وعاد معنى السعدي كالصعلوك على باب بيته .
وكانت هذه المقابلة في المقتطف آخر عهدي بحافظ فلم اره من بعدها رحمه الله

وما مرَّ بك انما كان من صناعة الشاعر في غير الجزء الاول من ديوانه بعد ان استفحل
وتخرج في مدرسة الامام ، اما في الجزء الاول فله هو صعاليك كقوله في الخمر
خمرة قيل انهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس

فهذا البيت صعلوك عند قول ابن الجهم :

مُشْعَشَعَةٌ من كف ظيّر كأنما تناولها من خده فأدارها

وقول حافظ (عصروها من خدود الملاح) كلام من لم ينضج في البيان ولا الذوق لا
يكاد يُتوهَّم معه إلا ان في خدود الملاح (خراجات) عصرت وعلى ضد هذا قول
ابن الجهم (تناولها من خده) فهي كلمة اكثر نعومة من ذلك الخد واجل نضرة
وقول حافظ في مدح الخديوي :

يا من تنافس في اوصافه كلبي تنافس العرب الامجاد في النسب
فهو صعلوك على بيت ابي تمام

تغَايَرَ الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل
ولا نطيل الاستقصاء فانما نريد التمثيل حسب

وكان الشاعر اول نشأته يأخذ في طريقة المعري الذي عمي عن الطبيعة فجعل يخلقها من
فكره ومحفوظه بمبالغات كاذبة يُسفرق فيها يحسب انه بذلك يعظم الحقائق فتخرج له الاخيلة
الكبيرة وما يدري انه بهذا الغلو لا يجيء إلا بالباطيل الكبيرة ولكن حافظ في

مزاجه وتركيبه ونشأته كان رجلاً مبنياً على الوضوح والقصد فلم يفلح في طريقة المعري ووضوحه كذلك بأعده من الفلسفة وإبهامها ومن الطبيعة والغازها ومن الغزل ووساوسه ، وهو الذي اداه الى الشغف بالحقيقة واستخلاصها في كل اغراضه التي أجاد فيها ، ومن ثم خلا شعره او كأنه خلا من أوصاف الطبيعة في جمالها بلغة الفكر المتأمل ومن اوصاف الجمال في سحره بلغة القلب العاشق

وانت فلا تحسبن الشاعر يجيد في الغزل والنسيب من انه شاعر يحسن الصنعة ويجيد الاسلوب فيكون غرض من الشعر سبيلاً الى غرض وفن عوناً على فن وتكون رقة الالفاظ وهذاهلية النسيج وقلبي وكبدى يا ليلة يا قرأ يا غزالاً واشباه ذلك غزلاً ونسيباً . كلاً ثم كلاً والثالثة . كلاً ايضاً . . .

ان الغزل واوصاف الجمال موهبة في الشاعر او الكاتب تسخر لها قوى هي اشبه في معجزاتها بما سخر لسليمان من قوى الجن والريح غير انها قوى آلام ولذات ووساوس . تلك عظمت في بعض النفوس الشاعرة كعظمة الملوك والابطال غير انها لا تكمل الا خائبة او مغلوبة فاذا انتصرت سقطت . فلا بد لها من تاريخ وحوادث ومزاج عصبي يهيئ لها بروحانية شديدة الحس شديدة الفؤارة ثائرة أبداً لا تهدأ الا على توليد معنى بديع في جمال من تحبه او كماله . ثم اذا هدأت بذلك أثارها انها هدأت فتعود الى التوليد فلا تزال تبتدع وتصف كأنها آلة تعبير تدور بقلب وعصب . هناك قوتان احدهما تؤتي الحب كما يصلح غراماً وعشقاً والاخرى فوق هذه تؤتي الحب كما يصلح فكراً وتعبيراً . والاولى تجعل صاحبها عاشقاً يحب ويدرك ليس غير ، والثانية تجعله محباً . عمله ان ينقل من لغة ما في نفسه الى ما حوله ومن لغة ما حوله الى ما في نفسه فهو مترجم النفس الى الطبيعة ومترجم الطبيعة الى النفس . والذي اعرفه ان حافظ لم يرزق لا هذه ولا تلك فلا طبيعة فيه للغزل وفلسفة الجمال . ثم ان التاريخ حصره في (الشاعر الاجتماعي) الذي اختار ان يمتاز به فهو في اكثر شعره كان ليس فيه شخص بل فيه شعب مأسور غفل عن الجمال وعن الطبيعة وعن النشوة بهما ، اذ يعيش في معاناة الحرية لا في التأمل الجميل وفي اسباب القوة لا في اسباب الرقة ويريد ان يعمل ليوجد حقيقة قبل ان يعمل ليبتدع خياله

ومع ذلك فقد جاء في ديوان حافظ غزل قليل كان كله متابعة وتقليداً في فن يحسن التقليد الا فيه خاصة . عمل صديقاً لقصيدة مدح بها الخديوي مطلعها :

كم تحت أذيال الظلام متميم دامي الفؤاد وليله لا يعلم

وقلد ابن ابي ربيعة في حكاية حب لفقها تلفيقاً ظاهراً ثم زعم ان الحبيبة قالت له في آخرها :

فاذهب بسحرك قد عرفتك واقتصد فيما تزيّن للحسان وتوهم
وكلمة صاحبة ابن ابي ربيعة :

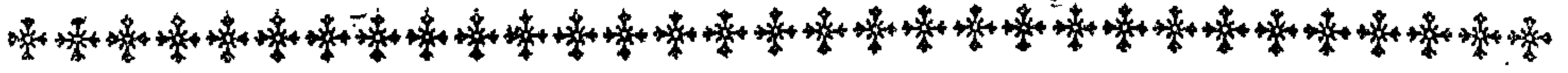
اهذا سحرك النسوان ؟ قد عرفتني الخبرا

اهذا سحرك النسوان ؟ هذه كلمة لا تخرج الا من فم حبيبتة آية في الظرف وفيها تجاهلها
وعرفانها وابتسامها واشراق وجنتيها وأكاد والله ارى فيها تلك الجميلة وهي تدق بيدها على صدرها
دقة الاستفهام المتدلل المتظاهر بالدهشة ليتهد فيه الكلام والمتكلم معاً، اما قول حبيبة حافظ
الخشبية او الحجرية اذهب . . قد عرفتك واقتصد فهذا خليق ان يكون من
فم قاض وهو ينصح المتهم بعد الامر بالافراج عنه . . . او مأمور قسم عند ضبط الحادثة
اكبر ظني ان روح حافظ نفسه هي التي اوحى اليّ الآن هذه (النكتة) فانه رحمه الله كان آية
في هذا الباب وله من النوارد محفوظة ومختصرة ما لا يلحق فيه . ولو كان كاتباً على قدر ما
كان شاعراً وزاول النقد واستظهر للكتابة فيه بتلك الملكة المبدعة في التندر والتهمك مع ما
أوتي من القوة في اللغة والبيان — لكنت النعمة قد تمت به على الادب العربي ولقلنا في شعره
وكتابته وأدبه ما قال هو في الاستاذ الامام : فأطلعت نوراً من ثلاث جهات

وما دمنّا قد ذكرنا النقد فمن الوفاء للتاريخ الادبي ان نذكر مذهب شاعرنا فيه . فلم يكن
عنده منه الا ذوق الكلام وادراك النفرة والنسبة في الحرف والغلظ والجسأة في
اللفظ والضعف والتهافت في التركيب ، ثم ما يجيش في الخاطر او يتلجلج في الفكر من ذوق
المعنى وادراك كنهه والنفوذ الى آثار النفس الحية فيه . فكان النقد هو الحسّ بالكلام
كما تلمس الحار والبارد وما بينهما . ووصف لي مرة اسماعيل صبري باشا وأراد ان يبالغ في دقة
تمييزه وحسن بصره بالشعر وادراكه دقائق المعاني فقال :

« ذواق يا مصطفى » ولم يزد

ومذهب الحسّ بالكلام هذا وان صلح ان يكون من بعض معاني النقد فلا يتهيأ ان
يكون هو النقد بمعناه الفلسفي او الادبي وهو في جملة امره كقولك حسن حسن ورديء
رديء. اما كيف كان حسناً او رديئاً وبماذا ولماذا فذلك ما لا سبيل اليه من مذهب (ذواق)
ولا وسيلة له الا العلم المستفيض والاطلاع الواسع والحسّ المرهف والقدرة المتمكنة مضافة
كلها الى الادب البارع وفلسفته الدقيقة . ولا نعرف لحافظ كتابة في النقد البتة وقد كان حاول
شيئاً من هذا في مقدمة كتابه (ليالي سطوح) فتناول بعض خصومه بكلمات رأى هو ان
يجحوها بعد ان طبعت الكراسة الاولى فأسقطها وأعاد كتابة المقدمة وطبعها مرة ثانية وكانت
عندي النسخة التي محأها وهذا ما لا اظن احداً يعرفه الآن . رحم الله شاعراً كان اصنى
من الغمام وكان شعره كأنه البرق والرعد



حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر

لحضرة صاحب السعادة الدكتور شاهين باشا

وكيل الداخلية للشؤون الصحية



— ٢ —

سار ابناء واحفاد محمد علي الذين تولوا الحكم بعده على منواله وقطع كل منهم في هذا السبيل شوطاً يختلف عن الآخر تبعاً للموارد التي كانت لديه ووفقاً لمشورة الرجال الذين كانوا يعملون معه حتى أتى الخديوي اسماعيل باشا الذي امتاز عصره بالتجديد في كل النواحي الاجتماعية والمادية وقد تقدمت وفقاً لخطته الاصلاحية الشؤون الصحية تقدماً عظيماً لا سيما وان علم الصحة كان قد خطا خطوات واسعة في عصره مما كان خير معوان له على هذا التقدم وما حل القرن العشرون حتى اصبح علم الصحة غير قاصر على مكافحة الاوبئة ومراقبة زيادة الوفيات وقيد المواليد بل تعدى ذلك الى الناحية الوقائية وابتدأت النهضة الصحية في مصر بالازدهار على ضوء التقدم الحديث للعلوم والفنون الطبية الذي انبثق فجره في اواخر القرن التاسع عشر لما اكتشفت جراثيم الامراض في الانسجة . وان نفس لا ننسى ما قام به باستور من العمل الخالد في اكتشافه اسباب التخمر في سنة ١٨٥٧ والبحاث في الجراثيم في سنة ١٨٧٧ وفي الطعوم في السنتين من سنة ١٨٨٠ حتى ١٨٨٢ التي هي اساس الطب الحديث . هذا مع ما استنبطه كوخ من المزارع الصلبة والطرق المتقنة لتمييز الجراثيم وقد كان ذلك فتحاً عظيماً في الطب فتتابعت الاكتشافات الباهرة التي امتاز بها عصرنا من سنة ١٩٠٥ وفيها اكتشاف هتسن لباشلس الجذام ونيمر لميكروب السيلان وابرت وجانكي لباشلس الحمى التيفودية واجستن لبزور التقيح وكوخ لباشلس التدرن وباشلس الكوليرا بالقطر المصري وكابس ولوفر لباشلس الدفترية وكيتساتو ورسن لباشلس الطاعون ونيكولاير لباشلس التيتانوس واكتشف لافران في سنة ١٨٨٠ طفيلي الملاريا وهلم جرا حتى اتت سنة ١٩٠٥ فاكتشف شوردن حلزوني الزهري ثم اكتشف ان لهذه الجراثيم سموماً تفعل في الجسم وعقب ذلك تحضير بهرنج وكيتساتو مضاداً للدفترية وهذه الاكتشافات الموفقة وصلنا الى معرفة حقيقة هامة وهي ان الجسم السليم اذا هاجمه ميكروب قد يتأثر بفعل سمومه غير انه يمكن لخلاياه وسوائله ان تقوم بالدفاع عن الجسم باتلاف الميكروب وهضمه وهذا الدفاع يحصل بواسطة مواد مضادة بفعالها لفعل سم الميكروب . وقد سبق ذلك بسنتين كشف متشكوف لفعل الكريات البيضاء في اتلاف الجراثيم وتلا ذلك اكتشافات عديدة كالتلبد

وغيره . ثم في سنة ١٩١٠ أعلن أرلخ اكتشافه لمركب ٦٠٦ الذي يقضي على طفيلي الزهري في جسم الانسان . فما تقدم بيانه نرى ان اول فعل باهر رفع من شأن علوم الطب وفروعها على اقوى الدعائم يرجع الفضل فيه الى باستور الكيماوي وكان ذلك في سنة ١٨٥٧ وكان الفضل في اتمام هذا العمل الباهر لكيماوي آخر وهو أرلخ . ولن تنسى الانسانية مهما كرت الدهور وتعاقبت العصور فضل هذين النابغين عليها

وقد اخذت مصر بنصيبها في تطبيق نتائج هذه المكتشفات لتحسين الحالة الصحية العامة بها لانه متى اكتشفت الجرثومة المسببة للمرض امكن مكافحته بالتغلب على هذه الجرثومة . وقد كان الدافع الى هذا التطبيق بمصر آتياً عن طريقين الاول رغبة اولي الامر في تمدن مصر والاخذ بالاساليب الاوروبية النافعة . والثاني تكرر حدوث الاوبئة بها بسبب وقوعها على حافة البركان كما يقول المثل الاوربي اشارة الى موقعها الجغرافي الذي جعلها على الدوام صلة الاتصال بين ممالك العالم . ومما يذكر في هذا الموطن مع الاغتراب أنه في اثناء نهضة مصر الصحية الحالية وفق بلهارس لاكتشاف ديدان البلهارسيا ولوس لطريق العدوى بها وبديدان الانكلستوما وانتهى الامر بالبحث في جميع النواحي الصحية والعمل على تحسينها وبالتالي لرفع مستوى الحياة الصحية لكل فرد من الافراد والمجتمع المصري كله على اختلاف طبقاته مما كان له اكبر الاثر في تمدن مصر . ولو كانت موارد البلاد المالية سمحت بتمشي مستوى الثقافة العامة مع رقي الصحة العامة خطوة خطوة لبلغت مصر من المدنية شأواً عظيماً ولاستفادت البلاد من الجهود الصحية أضعاف ما تستفيد به الآن اذ من البديهي انه لا يستوي الذين يملكون والذين لا يعلمون فالحالة الصحية بالقطر المصري الآن مرضية فقد كانت نسبة الوفيات في سنة ١٨٨٨ تبلغ ٥٠٦٢ في الالف وفي سنة ١٨٨٦ تبلغ ٥١٦٦ في الالف وكان عدد السكان ٦٨٢٩٦٠٠ بينما انخفضت نسبة الوفيات بالقطر في سنة ١٩٣٠ الى ٢٤٦٤ في الالف وهي اقل نسبة في الخمس والعشرين السنة الاخيرة وعدد سكان القطر الآن نحو الخمسة عشر مليوناً من الانفس

ثم ان زيادة نسبة المواليد عن نسبة الوفيات كانت قليلة بينما هي الآن عالية جداً ففي سنة ١٨٨٩ كانت نسبة المواليد في القاهرة مثلاً ٥٨٦٨ ونسبة الوفيات ٥١٦٦ لكل الف ساكن بينما في سنة ١٩٣٠ كانت نسبة المواليد في القطر المصري ٤٤٦٤ ولم تتعد نسبة الوفيات ٢٥٦٤ والبولون شاسع بين النسبتين وهذا دليل من اهم الادلة على تقدم الصحة العامة بلا نزاع . اما اذا لوحظ وجود قلة في نسبة المواليد فهذه القلة احد مظاهر المدنية التي تدعو الى الاقلال من تعدد الزوجات ومن الزواج المبكر لكثرة تكاليف الحياة الآن والرغبة في التقليل من النسل لتوفير العناية بالقليل منه ليسبب الابناء اصحاء ويصيروا اعضاء نافعين في الهيئة الاجتماعية . ومع ذلك فيقابل قلة النسل قلة الوفيات بين المواليد فبعد ان كان يتوفى في السنوات من ١٩٠١ الى ١٩٠٥ ٢٨٢ في كل الف مولود انخفض هذا العدد في سنة ١٩٣٠ الى ١٥١ وفاة لكل الف

مولود . . . وإذا نظرنا الى هذه النسبة وجدناها عالية لو قرنت بما يقابلها ببعض الممالك الأخرى كإنجلترا أو فرنسا ولكن يخفف وطأتها ان نسبة المواليد بمصر اعلی كثيراً مما هي في هذه الممالك حتى ان عدد سكان مصر دائماً في ازدياد فعدد سكان مصر الآن خمسة امثاله في اول عهد نهضة الحديثة أي في اول عصر محمد علي باشا

ومع ذلك فمسألة زيادة وفيات الاطفال بالقطر المصري هي من المسائل التي بحثت بحثاً مستفيضاً وقد بادىء بالعمل على مكافحتها بافعال الوسائل العملية اذ انشئ في كل عاصمة مديرية مركز لرعاية الطفل وحماية الامومة كما انشئت عدة مراكز بالقاهرة والاسكندرية والشتت فروع بالمستشفيات العامة لمعالجة الاطفال ومراكز ومستشفيات متنقلة كما ألحقت دور للولادة بهذه المراكز ونظمت زيارات صحية بواسطة زائرات خصاصات لارشاد الحوامل والامهات في طرق العناية وتربية الطفل وغير ذلك من الوسائل الفعالة لمعالجة الامراض الوراثية وتحسين النسل. وقد ألمعنا الى اثر هذه الجهود في نقص نسبة الوفيات. ولا شك ان انتشار التعليم الانزاعي بين طبقات الشعب سيكون خير معوان على الوصول الى تقليل وفيات الاطفال الى الحد الأدنى ولم يكن اثر الاهتمام بالطفل قاصراً على تقليل نسبة الوفيات بين الاطفال فقط بل المقصود به ايضاً انشاء جيل قوي البنية ذي كفاية للعمل المنتج يعيش الى اقصى مدى مستطاع ولقد ظهرت طلائع هذا الجيل وشواهد ذلك جليلة في فتیان اليوم وفتياته. فأين شباب اليوم من شباب خمسين سنة مضت وخصوصاً شابات ذاك العهد اذ كن صفراوات هزيلات أو سمينات مترهلات. واما شبان اليوم وشاباتهن فمتانتون صحة وعافية اذ يعنى بصحتهم من يوم ولدتهم حتى يخرجوا الى معترك الحياة—واذا ازدادت عناية المصريين بممارسة الالعاب الرياضية رجوعاً منهم الى سنة اجدادهم من قبل أصبح مجيء هذا الجيل قريباً ولا شك فيه

ولا ازيد القارى بياناً بما اتخذ ويتخذ الآن في مقاومة الاوبئة بل ومنعها فقد أصبحت بعض الامراض اثرأ بعد عين كالجدرى كما أصبح البعض الآخر يتقى بالحقن كالدفتريا والحُميات المعوية او يقاوم بسهولة كالطاعون الذي كان الشبح الخيف بمصر كما سبق لنا بيانه في هذا المقال

هذا وقد نثرت معاهد العلاج في كل ناحية من نواحي القطر فلا يخلو الآن مركز من مستشفى ولا عاصمة مديرية من مستشفى عمومي كبير ولا قرية كبيرة من عيادة خارجية مع تيسير وسائل التشخيص بالاشاء المعامل بكل انواعها وتزويدها بالاجهزة المختلفة وتوفير كل طرق المعالجة الحديثة بمعاهد العلاج حتى أصبح بالقطر المصري الآن ٨١ مستشفى عمومياً

ولما كانت مصر منذ القدم موطناً لأمراض كالبلهارسيا والانكلستوما وبعض امراض العيون كالرمد الحبيبي وهذه الامراض—علاوة على الملاريا التي فشت في بعض جهات القطر بسبب وجود المستنقعات التي نشأت على الاخص بسبب حفر حفر لاختد التراب منها لصنع الآجر المستعمل في بناء المخازن بالقرى وعدا عن الزهري والامراض الدرنية—تقلل من كفاية السكان

وتضعف قوة انتاجهم وتهد من كيان الامة بصفة عامة ، فقد وجهت اليها العناية بنوع خاص وانشئت المستشفيات والمستوصفات لمعالجتها وكذلك لمعالجة الجذام كما بذلت الجهود في عمل الابحاث الخاصة بمنشئها وطرق معالجتها المعالجة الناجعة وخصوصاً الانكلستوما والبلهارسيا اللذان انشئ معهد خاص لعمل التجارب المتعلقة بمقاومتها فضلاً عن نشر الدعوة ضد هذه الامراض نشرًا مستمرًا بكل طرق الاذاعة المعروفة الآن

ولا يوجد برهان على تقدم المدنية وزيادة الرفاهية في بلد من البلاد اقطع في الدلالة من توفير المياه النقية الكافية للشرب وللاستعمال المنزلي ومنع تلوث المياه وتصريف الفضلات والعناية بالشوارع والطرق وصحة المساكن والتفتيش على الماء كولات وتنظيم الاسواق والاضاءة والنظافة العامة

وقد قطعت مصر شوطاً كبيراً في هذه السبل اذ ان عدد المدف التي توجد بها اجهزة لترشيح المياه اصبح خمساً وثلاثين وعدد البلاد التي بها آبار ارتوازية قد بلغ حتى الآن واحداً وثلاثين وعدد سكان هذه المدن الذين ينتفعون الآن بالمياه النقية هم حوالي ربع سكان القطر المصري . اما امهات المدن الموجود بها مجارٍ عامة فهي حتى الآن ثمان وادارة هذه الاجهزة علاوة على العناية بالنظافة العامة موكولة للمجالس البلدية والمحلية والقروية المنظمة في معظم المدن والبلاد والقرى الكبيرة . وليس من شك في ان المساكن الآن احسن حالاً من التي وصفها المؤرخون وزائر القطر المصري في القرنين الاخيرين وقد مهدت شوارع المدن الكبيرة وعبدت طرق عديدة وعمت الاضاءة بالكهرباء المدن والكثير من البلاد ونظمت اسواق كثيرة للماء كولات وعني الآن بغذاء الانسان بما يلحق للأم وهي حامل وهي والدة وبما يلحق للتلميذ بالمدراس عن التغذية الصحية وبما ينشر على الجمهور وما اتجهت اليه عناية ولاية الامور من المحافظة على نقاوة الطعام بالتشريع الخاص بذلك وبالتفتيش على أماكن تخزينه وبيعه وتحضيره فلا يمكن الآن فتح محل لبيع الماء كولات الا بترخيص بعد تنفيذ مواصفات صحية خاصة . وبعد الترخيص يفتش الاطباء ومعاونوهم المتخرجون في معهد خاص على هذه الاماكن تفتيشاً دورياً منتظماً لضمان سيرها على النظم الصحية

وبسبب نشوء عدة صناعات بالقطر المصري نبتت فكرة العناية بصحة العمال فابتدىء بسن تشريع لذلك وان كانت المصانع خاضعة للتفتيش الصحي منذ عهد النهضة الحديثة بالشئون الصحية العامة . وقد ابتدىء ايضاً في اقامة مساكن صحية للعمال بالاسكندرية والقاهرة ولا شك في ان البلاد سائرة في سبيل نهضة موفقة في الشئون الصناعية تستدعي عناية خاصة بالشئون الصحية للعمال والمصانع

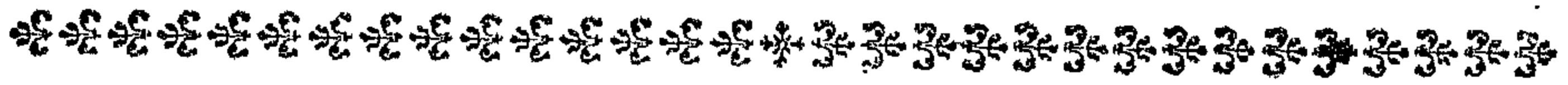
نتائج الجهود الصحية والطبية

ان التقدم المطرد للطب والتقدم الاجتماعي للجنس البشري مهدا السبيل لعدد جم من بني

الإنسان لأن يحيا حياة طيبة ومثمرة وكانت نتيجة الجهود السابق ايضاحها ان ازداد متوسط العمر وان الكثير من الامراض زال تقريباً من القطر المصري كالجدري والبعض قل كالعور والعمى والملاريا ومضاعفات بعض الامراض كالبلهارسيا . فالبلهارسيا الجراحية صارت الآن أقل ثمانى مرات مما كانت عليه في سنة ١٩٢٤ والحصوات البولية ثلاث مرات ونصف مرة والبواسير البولية انخفضت الى الثلث مما كانت عليه في سنة ١٩٢٥

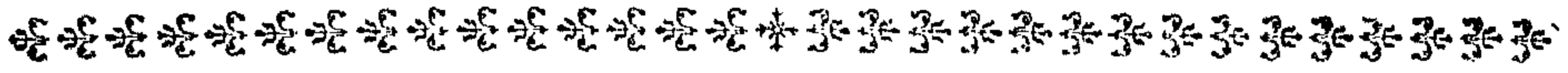
وبالاختصار قد تيسر بوضع بزور أسس الحياة الصحية رفع مستوى صحة الافراد رفعاً يبدو للعيان وقد هبطت نسبة الوفيات الى عدد السكان نحو اربعين في المائة عما كانت عليه من خمسين سنة مضت . وقد أصبح في متناول كل انسان من وقت طفولته التحصن ضد الكثير من الامراض كالجدري والدفترى كما أبعد عنه خطر العدوى من امراض عديدة اخرى ولكن بالرغم من هذه الجهود فانه لا يزال هناك معضلات صحية مصرية في حاجة الى الحل حتى يمكن مع التقدم الاجتماعي والصناعي المنتظر وتعميم التعليم الاجباري ان تصل المدنية الى ارقى مستواها في القطر المصري . وهذه المسائل هي موضع العناية الآن والبعض قد درس فعلاً والبعض الآخر لا يزال في طريق الدرس والمنتظر ان تحل جميع هذه المعضلات وقد أتينا على ذكر أهمها فيما يأتي : —

- ١ — معالجة نقص التغذية في بعض جهات القطر ٢ — معالجة مسألة ادمان المخدرات
- ٣ — العناية بالنسل باستئصال شأفة السموم وغيرها من العوامل التي تؤثر فيه بالوراثة وبذلك يقل عدد الاشخاص الذين لا فائدة منهم للبلد كضعاف العقول وغيرهم ٤ — العمل على تقليل عدد ذوي العاهات وعلى توفير وسائل التعليم ووسائل كسب العيش للموجودين منهم ٥ — توفير المياه النقية لكل سكان القطر على السواء من حضر وريف ٦ — تحسين حالة المساكن في المدن والقرى — وبحل هذه المعضلة يرتفع مستوى الصحة العامة الى درجة عالية جداً لان المسكن غير الصحي يدعو الى ضعف بنية السكان واضعاف قوة مقاومتهم للأمراض فيكثر المرضى وذوو العاهات وترتفع نسبة الوفيات . والمسكن الرديء يدعو بطبيعته الى قذارة المساكن وقذارة ما يحيط بها وما يتبع ذلك من مرض ونقص في الكفاية ٧ — مقاومة البلهارسيا والانكاستوما لا بالمعالجة والوسائل الصحية العامة فقط بل ببادئة الديدان المسببة لها في مواطنها والهمة مبذولة الى اقصى حد للوصول الى هذا الغرض الهام ٨ — القضاء على الرمد الحبيبي باكتشاف جرثومته . والبحث قائم بكل همّة ونشاط لحل المعضلة التي استعصت على الحل منذ آلاف السنين وليس من شك في أن رفع مستوى الثقافة العامة بين الاهلين يساعد كثيراً على الوصول الى هذا الغرض
- ٩ — التصرف في الفضلات بتعميم المجاري في المدن وحل هذه المعضلة الهامة بالنسبة للقرى ومتى وفقنا الى حل هذه المعضلات الصحية وقطعت البلاد شوطاً بعيداً في مضمار التقدم في مختلف نواحي المدنية تزدهر المدنية في مصر وتبلغ مثلها الاعلى فتعود البلاد سيرتها الاولى



الاحياء المشعة

بحث طريف في العلوم الحيوية الطبيعية



في سنة ١٩٢٣ اعلن العالم الروسي غورفتش Gurvich انه وفق الى كشف غريب . قال : اذا اخذ جذر بصل (لا يزالي متصلاً بالاصل) ووجهه الى جانب جذر آخر اثر في نمو هذا الجذر تأثيراً غريباً . فان خلايا الجذر الثاني في الناحية المواجهة لجذر البصل الاول تصبح اسرع نمواً من الخلايا التي في الناحية المقابلة

فلقيت هذه الانباء في بادى الامر أعراضاً وريباً في صحتها . فلما اعلن غورفتش ان هذه التجارب تثبت له وجود « قوة حيوية » تشع من نسيج الجذر زاد الاعراض واشتد الريب . ثم وجد بعد سنة ان ما ينطلق من الجذر يخترق الكوارتز ولا يخترق الزجاج العادي — مما حملة على الظن بانها اشعة من قبيل الاشعة التي فوق البنفسجية التي تنفذ الكوارتز ولا تنفذ الزجاج . فنبذ قوله السابق بان ما يخرج من الجذر هو « قوة حيوية » . ولكن لما استعملت اللوح الفوتوغرافية ، الشديدة الاحساس بالاشعة التي فوق البنفسجية ، لامتحان قوله لم تتأثر هذه اللوح على الاطلاق بما يخرج من جذر البصل . فتمادى المرتابون في اربابهم على ان هذا الاخفاق لم يقعد غورفتش وتلاميذه عن المضي في تجاربهم . فوجدوا ان

اشياء اخرى غير جذر البصل تفعل هذا الفعل منها العضلات وادمغة الشرانيف Tad-poles ثم وجدوا ان مستنباتات الخميرة او البكتيريا افعل في الكشف عن هذه الاشعة من غيرها من الكائنات الحية فيسرع تكاثر الخلايا فيها اذا صوبت اليها هذه الاشعة الخفية . ومن ثم اخذت الرسائل العلمية تنهال من معمل غورفتش وتلاميذه فلما مضى على ذلك خمس سنوات جمعت النتائج التي اسفر عنها البحث وبوبت ونشرت في كتاب . ودعيت هذه الاشعة بما معناه « الاشعة الباعثة على انقسام الخلايا Mitogenetic نسبة الى Mitosis وهو مرتبة من مراتب انقسام الخلايا . ولكن ارباب الدوائر العلمية لم يتبدد لان الباحثين الذين جربوا تجارب غورفتش اخفقوا في الحصول على نتائج مماثلة لنتائجهم

ثم اخذ تيار المقاومة في الارتداد . وجاءت الانباء من المانيا اولاً ثم من اميركا ان تجارب فريق من الباحثين ، كل منهم قام ببحثه على حدة ، اسفرت عن تأييد اهم النتائج التي وصل اليها غورفتش وتلاميذه . انهم وجدوا ان لا ريب في وجود هذه الاشعة ، وان لها أثراً في استشارة نمو الخلايا ، وانها تعكس وتكسر كاشعة الضوء ، وانها من طائفة الاشعة التي منها الاشعة فوق البنفسجية . ووجدوا كذلك ان الاشعة التي فوق البنفسجية المولدة بطرق

طبيعية — كالمصابيح المستعملة في معالجة الكساح مثلاً — ليس لها دائماً أثر في زيادة نمو الخلايا . وإذا كان لها هذا الأثر فهي اشعة غير قوية وان الاشعة فوق البنفسجية التي لها أثر بيولوجي لا تفعل قط بلوح من الواح التصوير الضوئي (الفوتوغرافي) وهكذا حدثت المسألة فيما يتعلق بآثارها بتعاون علوم الاحياء وعلوم الطبيعة . اما علوم الاحياء فكانت ممثلة في شخص غورفتش نفسه وأما علوم الطبيعة ففي شخص جوفه Joffé مدير معهد الطبيعة المجردة والمطبقة في لنغراد

فمثلاً استنبطت طريقة كهربائية شديدة الاحساس ، تتبين وجود قدر ضئيل جداً من اشعة الضوء او الاشعة فوق البنفسجية . وبهذه الآلة استطاع الباحثون ان يبينوا ان الأثر البيولوجي المنطلق من جذير البصل او العضلة ، سببه اشعة من قبيل الاشعة فوق البنفسجية — ولكنها اقصر منها امواجاً — تنبعث في مقادير يعجز عن تبينها لوح التصوير الضوئي . فاذا حسبنا ان اقل قدر من هذه الاشعة يؤثر في لوح فوتوغرافي (د) كان المقدار المنبعث من جذير او عضلة مما له أثر في نمو الخلايا جزءاً من مليون جزء من (د)

ثم ظهر ان هذه الاشعة لها مكان في طيف الاشعة يتباين طول امواجه من ٢٠٠٠ الى ٢٣٠٠ انجسترم^(١) . ولبيان ذلك نقول ان الاشعة المنظورة وغير المنظورة سلسلة متصلة الحلقات من الاشعة اللاسلكية اطولها ، الى الاشعة التي تحت الاحمر الى اشعة الضوء الى الاشعة التي تحت البنفسجي الى اشعة اكس واشعة غمما والاشعة الكونية . فاذا كان عرض المنطقة التي تشغلها اشعة الضوء م فعرض المنطقة التي تشغلها هذه الاشعة البيولوجية $\frac{1}{v}$ م وأما امواجها اقصر من امواج الاشعة التي فوق البنفسجي واطول من اشعة اكس

هاتان الحقيقتان مهدتا السبيل الى فهم جانب آخر من سرّ هذه الاشعة يدور حول السؤال التالي : لماذا لا تؤثر الاشعة التي فوق البنفسجي المنبعثة من الشمس او من مصدر صناعي — كمصباح القوس الكهربائي — في زيادة نماء الخلايا تأثير هذه الاشعة البيولوجية ؟ قلنا ان الاشعة البيولوجية تشغل نطاقاً ضيقاً في منطقة الاشعة فوق البنفسجية ولدى البحث ثبت ان الاشعة التي خارج هذا النطاق الضيق — وان تكن من قبيلها — لا تفعل فعلها في استثارة نمو الخلايا ، بل تفعل احياناً فعلاً مضاداً له اي انها توقف النمو او تؤخره . ولكن اذا فرضنا اننا حصلنا في الضوء الذي تبعثه الشمس او مصباح قوسي على امواج موافقة في طول امواجها لطول الاشعة البيولوجية لم يكن لها نفس الأثر البيولوجي . لان هذه الاشعة لا تفعل هذا الفعل الا اذا كان مصدرها غير شديد التوهج . فاذا كانت الامواج ذات الطول المعين صادرة من مصدر غير متوهج كعضلة او جذير كان فعلها الأثمي شديداً

(١) الانجسترم جزء من عشرة ملايين جزء من المتر

وقد توصل الباحثون الى هذه النتائج بالجمع بين اساليب البحث الطبيعي البيولوجي .
فبدلاً من الاكتفاء بقطعة من جذير بصلة لقياس أثر هذه الاشعة في انماء الخلايا عمدجوفه
Joffé الروسي الى مستنبت بكتيري واستعماله بدل جذير البصل . ذلك ان قياس نمو الخلايا
في المستنبت اسهل منه في الجذير . ففي الجذير يجب ان نأخذ شرائح من الجهة المقابلة للاشعة
والجهة البعيدة عنها ودرسها بالمكروسكوب لتعيين سرعة نمو الخلايا في الجهة المقابلة للاشعة
بالنسبة الى سرعة نموها في الجهة الاخرى . اما في المستنبت البكتيري فتحقيق ذلك سهل
المنال . فاذا صوبت شعاع ضوء الى المستنبت فرقتها الكائنات البكتيرية يمينا ويساراً . ومقدار
الضوء المتفرق يزداد بزيادة البكتيريا في المستنبت ويقل بقلتها . وهكذا استعمل جوفه قوة
الضوء المتفرق مقياساً لفعل الاشعة الحيوية في انماء البكتيريا . وقد وجد غورقتش حديثاً
ان الخلايا في دور معين من حياتها تستطيع ان تتناول الاشعة الحيوية التي تطلقها جذور البصل
مثلاً ثم تطلقها اقوى مما تناولتها فكانها جهاز التلفون الذي يضعف امواجه في حديث بين
بلدين بعيدين (Relay) والظاهر ان هذه الاشعة لا تنطلق الا من طبقة رقيقة سطحية من
الخلايا في كائن ما . واذا فليس لحيوان ذي بشرة ان يطلقها لان بشرته تمنع خروجها
ولهذه الاشعة احياناً آثار غريبة . فالاشعة المنطلقة من قلب سمكة اذا صوبت الى بيض
قنفذ بحري (توتياء اورتسا) غير ملقح ، خطا هذا البيض الخطوة الاولى نحو التناسل
العذري (اي التناسل من دون تزاوج Parthenogenesis) اما الاشعة الحيوية المنبثقة
من البكتيريا فتجعل بيض البعوض المستكن ينقف قبل مياعده واذا صوبت الى بيض القنفذ
البحري احدثت في بناء دعاميصه شذوذاً غريباً . وقد وجدت طائفة من الباحثين في العلوم
البيولوجية ان الكائنات ذات الخلية الواحدة اسرع تكاثراً اذا كانت طوائف في قطرة من
السوائل المغذية منها اذا كان كل منها منفرداً في القطرة حتى ولو وضع في اكثر الاحوال مؤاتاة
لنموه . ولعلنا نجد تعليل هذه الظاهرة في ان الاشعة الحيوية تنطلق من افراد الطائفة الواحدة
فيحفز بعضها بعضاً الى النمو . ولعل الاثر نفسه يتم في المراتب الاولى من نمو خلية ملقحة
ثم اثبت جوفه واعوانه ان اشعة مثل هذه الاشعة — نوعاً وقوة — تنطلق من مواد
غير عضوية خارج الجسم في اثناء تفاعلها الكيميائي . وعليه فانطلاقها من جذور البصل وخلايا
الخميرة او عضلات الفقاريات ليس صفة حيوية خاصة بل مصدره افعال كيميائية معينة لامندوحة
عنها للجسم الحي . فكان هذه الاشعة نقاية من نقايات الحياة . ولكن الطبيعة لا تغفل عن
استعمالها كما حدث في السمك الكهربائي والاحياء المضيئة . فان الكهرباء والضوء فيها نتيجة
تفاعل في اجسام هذه الحيوانات فاستعملتها الطبيعة في ميدان التطور . ولعل الطبيعة تستعمل
كذلك هذه الاشعة في اسراع انقسام الخلايا وتنسيق النماء

قلب راقصة

— ١ —

امسيت اشكو الضيق والأيثنا مستغرقاً في الفكر والسأم
فمضيت لا ادري الى اين ومشيت حيث تجرني قدحي
فرأيت فيما ابصرت عيني ملهى أعدّ ليهيج الناسا
يجلون فيه فرائد الحسن ويباع فيه اللهو أجناسا
بغرائب الألوان مزدهر وتراه بالاضواء مغمورا
فقصدته عجلاً ، ولي بصر شبه الفراشة يعشق النورا
ودخلته اجتاز مزدهجاً بالناس افواجاً وأفواجا
وأخوض بحراً بات ملتطاً بالخلق امواجاً وأمواجا
فقدوا حجام حيناً طربوا ودووا دوي البحر صخابا
فاذا استقروا لحظة صخبوا لا يملكون النفس اعجابا
متوثبين يميل صفهم متطلع الأعناق يتقد
ومصفيقن علت أكفهم فوارة فكأنها الزبد
لم لا اصيح كمثل صيحتهم لم لا أجرب ما يحبونا
لم لا اثور كمثل ثورتهم لم لا أضج كما يضجوننا
لم لا تذوق كؤوسهم شفتي ان الحجي سمي وتدميري
في ذمة الشيطان فلسفتي ورزائي ووقار تفكيري
يا قلب ضقت وها هنا سعة ومجال مختبل بأغالل
أتقول اعمار مضيعة ماذا صنعت بعمرك الغالي
أنظر ترى السيقان عارية وترى الخصور ضوأمراً تغري
وترى عيون اللهو جارية فهنا الحياة وأنت لا تدري

من هاته الحسناء يا عيني السحر ظللها وكللها
 كالظير من غصن الى غصن وثابة وثب الفؤاد لها
 فاذا تثنت فهي زنبقة رجاجة العطفين والكفل
 واذا تأنت فهي زنبقة ضحاكة للعارض الهطل
 وراه حسناً غير كذاب لا ما يزيّفك لك الضوء
 ويزيد فتنها باغراب حزن وراء الحسن مخبوء
 ثم اختفت والجمع يرقبها ويلج «عودي» ليس يرحمها
 هي متعة للحس يطلبها وأنا بروحي بت افهمها
 ورأيتها في آخر الليل في فتية نصبوا لها شركا
 يعلو سناها الحزن كالظل مسكينة تكلف الضحكا
 فضيت تواقلت «سيدتي» زنت المسارح أيما زين
 هل تأذنين الآن ساحرتي تأكيد اعجابي بكأسين
 فتمنعت وأنا ألح سدي بالقول أغريها وأنتظر
 واستدركت قالت اراك غداً ان شئت اني اليوم اعتذر
 وتحولت عني لرفقتها ما بين منتظر ومرتقب
 فتانة تغري بيسمها وتحدد الميعاد في ادب

— ٢ —

حان اللقاء بغادتي وأنا اخشى سراياً خادعاً منها
 متلفاً استبطيء الزمنا وأظلل أسأل ساعتي عنها
 وأجيل عين الريب ملتفتا متطلعاً للناس حيرانا
 وأقول ما يدريك اي فتى هي في ذراعي حبه الآنا
 وهممت بعد اليأس ان امضي فاذا بها تحتال عن بعد
 ميّزتها بشبابها الغض وبقدّها افديه من قدّ
 يا للقلوب الملتقى اثنين لا يدريان لأيما سبب
 جمعتهما الدنيا غريبين فتآلفا في خلوة عجب

عجباً لقلب كان مطمئناً طرباً فكان الامر بالعكس
وأشد ما في الكون اجمعاً بين القلوب أوامر البؤس
من أنت يا من روحها اقتربت مني وخطب دمعها رويحي
صبت في كأسى وما سكبت فيه سوى أنات مذبح
عجباً لنا في لحظة صرنا متفاهمين بغير ما أمد
يا من لقيتك امس هل كنا روحين ممتزجين في الأبد
هاتي حديث السقم والوصب وصفي حقارة هذه الدنيا
اني رأيت أساك عن كذب ولست كريك نابضاً حياً
تجدين فكرك جد مبتعد والقوم نحو سنالك دانونا
وترين حالك حال منفرد والناس كثر لا يُعدونا
وترين انك حينما كنت ترضين خواتين انذالا
يبغونه جسداً فان بعث بذلوا النضار، وأجزلوا المالا
يا حرّها من دمة سالت من فاتك الالحاظ مكحول
وعذابها من وحشة طالت وحنين مجهول لمجهول
افنيت عيشك في تطلبه ويكادياً كل روحك الملل
فاذا بدا من تعجبين به وتصيح روحك انه الامل
اضنيت قلبك في تقربه وروح يرخص دونه دمه
فاذا ظننت بأن ظفرت به فازت به من ليس تقهمة
سكنت وقد عجبت خلوتنا طالت كإنا جد عشاق
وأقول يا طرباً لنشوتنا صرعى المدامة والاسى الساقى
افديك باكية وجازعة قد لفها في ثوبه الغسق
ودعها شمساً مودعة ذهبت وعندي الجرح والشفق
تمضي وتجهل كيف اكبرها اذ تختفي في حالك الظلم
روحاً اذا ائمت يطهرها ناراً : نار البؤس والالم

الحياة الاجتماعية في الحيرة

مقال مستل من كتاب « الحيرة : المدينة والملكة العربية »

تأليف يوسف رزق الله غنيمه

وزير مالية العراق سابقاً

ليس من السهل الهين ان يقدم المؤرخ على وصف الحياة الاجتماعية ويصور بقلمه مناظر العيشة اليومية في بلد انطوت اخبارها منذ مئات من السنين ودالت دولتها قبل اربعة عشر قرناً وعبرت الايام بمجافل الخطوب على آثارها فعفت عمراتها ودرست معالم عزّها ولم يرو لنا الرواة من انباء اجيالها الغابرة الا نتفاً مبعثرة بين مطاوي الشعر وثنايا النثر ولهذا تأتي ولا جرم هذه الصورة ناقصة مبتورة ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله

سُور اجتماعية مشرقة

كانت تحية الملوك عندهم عم صباحاً وانعم صباحاً واييت اللعن . وقد وردت هذه التحية في كثير من اخبارهم سواء كانت جملة كما قال الحرث بن ظالم للنعمان بن المنذر لما دخل عليه في قصر ابن مقاتل^(١) او منفردة انعم صباحاً لوحدها واييت اللعن لوحدها والعبارة الاخيرة اخص بالملوك وقد جاءت في كثير من اشعارهم قال النبطي يعتذر الى النعمان ويمدحه^(٢)

أناي اييت اللعن انك لمتني وتلك التي اهتم منها وانصب

ولما جاء الاسلام عوض هذه التحيات بين المسلمين بغيرها واكتفوا بقولهم « السلام عليكم » وكان من عادة ملوك العرب ان تزد خزيمة في تاج الملك كلما مضت سنة من سني ملكه . وكان يقال لتلك الخزرات خزرات الملك ولما بلغت خزرات النعمان بن المنذر اربعين اشخصه كسرى ابرويز الى حضرته لهنات نغمها عليه ثم امر بقتله واياه عني لبيد بن ربيعة بقوله:

رعى خزرات الملك عشرين حجة وعشرين حتى قيد والشيب شامل^(٣)

وكان ملوك الحيرة يهدون الى فرسان العرب الرماح كما يهدي اليوم الملوك الى القواد سيوفاً .



يوسف رزق الله غنيمة
وزير مالية العراق سابقاً وصاحب كتاب « الحيرة: المدينة والمملكة العربية »
الذي نشرنا منه هذا الفصل

امام صفحة ٢٨٩

مقتطف اكتوبر ١٩٣٢

فبعث النعمان بن المنذر بأربعة رماح فأخذ أبو براء عامر بن مالك رمحاً وسامة بن طارقة اللحام رمحاً (وهو جد الاخطال) وانس بن مدركة رمحاً وعمرو بن معديكرب رمحاً^(١). وكان المناذرة يقابلون الناس من وراء ستور تحجز بين الزائر والملك فكلما كان الوافد على الملك وضعياً زاد عدد الستور حتى يبلغ سبعة وكلما زادت مكانته قلَّ عددها حتى ان رفيعي المنزلة كانوا يقابلون الملك بلا ستر وربما حجزت هذه الستور الوافدين المصابين بالجذام فقط.

وكانت الوفود تفد من قبائل العرب على المناذرة وكانوا يتخذون لهم عند انصرافهم مجلساً يطعمون فيه ويشربون وكان اذا وضع الشراب سقى الملك فمن بدىء به على اثره فهو افضل الوفد. وكانت القينة تقوم بالسقاية وتفضل من الوفد اشدهم فمن ذلك ما نقله ابو عبيدة عن النعمان بن المنذر فقال قدم عليه وفود ربيعة ومضر بن نذار وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوذان بن شريك البكريان وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس ابن عيلان عامر بن مالك وعامر ابن الطفيل ومن تميم قيس بن عاصم والاقرع بن حابس فلما انتهوا الى النعمان اكرمهم وحباهم. واقام لهم مجلساً عند انصرافهم على عادته. فبعد ان سقى الشراب قامت القينة تنظر الى النعمان من الذي يأمرها ان تسقيه اولاً وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ساعة ثم اطرق ثم رفع رأسه وهو يقول:

سقي وفودك مما انت ساقيتي فابدي بكأس ابن ذي الجدين بسطام
اغري ينمي من شيبان ذوانف حامي الدمار وعن اعراضها رامي
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدا الملوك بهم ايام ايامي
فارضوا بما فعل النعمان في مضر وفي ربيعة في تعظيم اقوام
هم الجماجم والاذناب غيرهم فارضوا بذلك او بوؤا بارغام^(٢)

وكانوا اذا ارادوا ان يقيموا عهداً يضعون اليد باليد قال الملك عمرو بن هند لعوف بن مُحَلِّم لا اعفو عن مروان القرظ بن زنباع حتى يضع يده في يدي قال عوف يضع يده في يدك على ان تكون يدي بينهما. فاجابه عمرو بن هند على ذلك وهذه اليد الثالثة بمثابة وساطة وحكم عند وقوع الخلاف او كما نقول اليوم الاتفاق المثلث^(٣) ومن عاداتهم اذا توسط الملك بين قبيلتين او اكثر لعقد صلح او ازالة ضغائن اخذ من كل قبيلة رهائن فتي التوى احد منهم بحق صاحبه اقاد من الرهن^(٤)

(١) الاغاني ٧ : ١٦١ (٢) العمدة ٢ : ١٧١ ولا بد من التنبيه هنا ان كثيراً من اشعار المفاخرة وضعها اناس من القبيلة على السنة الملوك او على السنة خصومهم لرفع شأن قبيلتهم بهذه الصورة. وتظهر مسحة الوضع والتلفيق على هذه الابيات ايضاً (٣) الميداني : في شرح مثل « اوفى من عوف بن محلم » ٢٢٣ : ٢ (٤) الاغاني ٩ : ١٧٢

الحرب

يجدر بنا هنا ان نبعث بنظرة الى حروبهم فقد كانوا يقسمون جيشهم ميمنة وميسرة وقلبا كما يقسم الجيش اليوم في تعبئته^(١) وكان للنعمان بن المنذر خمس كتائب وهي :

١ : الرهائن فانهم كانوا خمسمائة رجل رهائن قبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجيء بدلم خمسمائة اخرى وينصرف اولئك الى احيائهم فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره ويحق لنا ان نسميهم نظراً الى هذا الوصف العسكر الخاص اما تبديلهم فكان يأتي للملك عند رأس كل سنة وذلك ايام الربيع وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد سير لهم كلاً عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون عنده شهراً يأخذون آكلهم ويبذلون الرهائن وينصرفون الى احيائهم

٢ : الصنائع وهم بنو قيس وبنو تيم^(٢) اللات ابني ثعلبة وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه ويسوغ لنا ان نسميهم حرس الشرف

٣ : الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك (اي الملك الساساني) بالحيرة نجدة للملك العرب وكانوا يقيمون سنة ثم يأتي بدلم الف وينصرف اولئك

٤ : الاشاهب^(٣) فهم اخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم وسموا الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه

٥ : دوسر فانها كانت اخشن كتائبه واشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة سميت دوسراً اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها^(٤)

وقد اتخذ الحيريون كل سلاح في الجاهلية من سيوف ورماح ونصال واقواس وسهام ودروع وخوذ وادراق مما جاء وصفه في كتب اللغة والاشعار واخبار حروبهم^(٥)

وفي ابان الفتح الاسلامي استعمل الحيريون الخزازيف ورموا بها المسلمين من القصر الابيض . وكان رأس القصر ممتلئاً رجالاً متعلقين الخالي يرمون بهذه الخزازيف وهي المداحي من الخزف^(٦)

(١) الطبري ٢: ١٥٤ (٢) اخذنا وصف كتائب النعمان من مجمع الامثال للعبداني ٧٨: ١ في مثل « ابطش من دوسر » ولكن ابن الاثير في كامله ٢٦٨: ١ يقول ان الوضائع كانوا شبه المشائخ من العرب ونظنه الاصح (٣) نرى الاشاهب مشتقة من الشها وهي الكتيبة التي بعثها ملك الفرس الى النعمان الاول اما تعليل العرب اسم الشها كما جاء في المتن فلا نظنه صحيحاً بل نذهب الى ان الكلمة فارسية مؤلفة من لفظين فارسيين هما « شاه » بمعنى « الملك » و « باي » بمعنى القدم ومفادها « موطأ الملك » (٤) وكذلك نقول في معنى « دوسر » فانها مؤلفة من « دو » ومعناها « اثنان » « وسر » ومعناها « رأس »

(٥) راجع المخصص لابن سيده ١٦: ٦ - ٩١ (٦) الطبري ١٢: ٤

ويظهر ان فرسانهم كانوا مسلحين بالسلاح الخفيف في محاربتهم الروم الى جنب الفرس^(١) ومعظم وقائعهم كان اما انتصاراً للفرس او للغزو والسلب وعلى كل حال فانه ليس للفتح والتدوين وتثبيت سيادتهم ومد ملكهم . وكانوا يرفعون شجرة امام الملك في الحرب^(٢) وكانت فدية الملك اذا اسر الف بعير ومثلها دية ابنه اذا قتل . وقد دفع سيار بن عمرو بن جابر الفزاري او اخوه الحارث للملك الاسود دية ابنه شرحيل الف بعير^(٣) وكانوا يرهنون القوس بالدية حتى يتم دفعها وفي ذلك قال شاعرهم :

ونحن رهنا القوس ثمة فوديت بألف على ظهر الفزاري اقربا
بعشر مئين للملوك وفي بها ليحمد سيار بن عمرو فاسرعا^(٤)

آن لنا بعد ان اثقلنا السمع بالحرب والضرب وقبضنا النفس بالكراع والسلاح والغزو ان نطرق موضوعاً يزيل الكربة ويسري الغمة . واي موضوع احق بهذه المزية من البحث في

المرأة

تظهر لنا هذه المرأة معزلة اجتماعات الرجال تتخمر وتأكل وحدها وقد توصلنا الى هذه الاستنتاجات من مرويات الشعراء والمؤرخين . قال النابغة الذبياني لما رأى المتجرّدة امرأة النعمان وقد سقط نصيفها وهو الخمار فاستترت بيدها وذراعها فكادت تستر وجهها لعبالتها

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقنتنا باليد^(٥)

ولما استزار عمرو بن هند ملك الحيرة عمرو بن كلثوم وامه دخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت امه ليلي على هند في قبة من جانب الرواق فاكل الرجال وحدهم واكلت النساء في قبتهم^(٦)

ومن البراهين على صحة قولنا في تستر المرأة الحيرة ما جاء في ابيات لعدي ابن زيد :^(٧)

بنات كرام لم يربن بضرة دُمى شرقات بالعبير روادعا

يسارقن من الأستار طرفاً مفترأ ويبرزن من فتق الخدور الاصابعا

وكانت الحيزية تميل الى الخضاب والطيب والكحل والتجمل والتزين وما اكثر حججنا

على هذه الاقوال ومنها قول النابغة في المتجرّدة^(٨)

بمخضب رخص كأن بنانه عثم يكاد من اللطافة يُعقَدُ

(١) سايكس : تاريخ فارس بالانكليزية ١ : ٥٠٣ (٢) ابن الاثير ١ : ٢٢٥ (٣) الاغانى ١٠ : ٢٤
(٤) الاغانى ٣ : ٣١١ — ٣١٢ (٥) الاغانى ٩ : ١٧٥ (٦) الاغانى ٩ : ١٧٥ (٧) الاغانى

٢ : ٣٨ (٨) الاغانى ٩ : ١٥٧

ومن ذلك ما جاء في ابيات لعدي بن زيد^(١)
 ينفح من اردانك المسك والهيندي والغار ولُبْنِي قَفُوص
 وقال عمرو بن معدي كرب في الكحل الحاري^(٢)
 كأن الائمدا الحاري منها يَسِيفُ بحيث تبتدر الدموع
 وأما تجميلهن وزينتهن فقد جاء عنهما الشيء الكثير في الاشعار ومنها:
 وحرّ الزبرجد في نظمه على واضح الليث زان العقودا
 يفصل ياقوته درّه وكالجر ابصرت فيه القريدا^(٣)
 وقال عدي بن زيد^(٤)
 واحور العين مربوب له غُسنٌ مُقلّد من نظام الدُرّ تقصّصاراً
 وقوله في قصيدة أخرى^(٥)
 زَاهُنُ الشُّفوف ينضجن بالمسك وعيش مُغَانقٌ وحريرُ
 وكقول النابغة في المتجرّدة^(٦)
 والنظم في سلك يزّين نَحْرَهَا ذهبٌ تَوَقَّد كالشهاب الموقد
 وكقول النابغة ايضاً^(٧)
 ترأّيبٌ يستضيء الحلي فيها كجمر النار بُذّر بالظلام
 كأن الشدر والياقوت منها على جيّداء فآرة البُغام
 ومما يدلّ على زينهن بمختلف الحجارة الكريمة قول المرقش الاصغر في جيّبة فاطمة
 بنت المنذر:
 تحلين ياقوتاً وشذراً وصيغَةً وجزعاً ظفاريّاً ودرّاً توأماً^(٨)
 وقول لقيط بن ذرارة:^(٩)
 فيهنّ آترجة نضح العبير بها تكسي ترائبها شذراً ومرجاناً
 وقد استعملت الحيريات الوديلة وهي مرآة الفضة وقال المرقش الأصغر مشبهاً بها نعومة
 خدّ حبيبته فاطمة بنت المنذر:
 أرتك بذات الضال منها معاصماً وخدّاً اسيلاً كالوذيلة ناعماً^(١٠)
 وقد عرف العرب هذه المرايا ومن اسمائها عندهم السجّنجل قال امرؤ القيس في معلقته^(١١)

(١) شعراء النصرانية ٤٧٠ (٢) معجم البلدان مادة « حيرة » (٣) الاثافي ٢ : ١١٨
 (٤) شعراء النصرانية ٤٦٩ (٥) كذلك ٤٤٥ (٦) كذلك ٦٤٣ (٧) كذلك ٧١٣
 (٨) الاثافي ٥ : ١٨٥ (٩) الاثافي ١٩ : ١٣١ (١٠) كذلك ٥ : ١٨٤
 (١١) شرح المعلقات ص ٢٢ الترائب ج تربية وهي موضع القلادة للصدر

مهففة بيضاء غير مُفَصَّاة ترائبها مصقولة كالسَّجَنَجَل
وكانت البنات يتزوجنَّ وهنَّ حديثات السنَّ . فزفت هند بنت النعمان بن المنذر ابن
امرىء القيس الى عدي بن زيد ولها حينئذ احدى عشرة سنة ^(١) وكان عرب الحيرة شديدي
التمسك بالنعرة القومية لا يريدون زواج بناتهم من الاعاجم حتى ان النعمان ملك الحيرة رفض
كسرى لما طلب من بناته واخواته وبنات عمه واهله زوجات لأمرأ البيت المالك من
الساسانيين لأن العرب كانوا يتكرمون عن العجم ^(٢) وكانت بعض المؤسرات يتزوجنَّ من
شئ من الرجال ^(٣) وكان يقصد من المصاهرة بين رؤساء القبائل والملوك انقطاع الحرب وازالة
الضغائن من بينهم ولهذا الغاية خطب الحرث بن ابي ثمر جبلة بن الحرث الاعرج الغساني الى
المنذر بن المنذر اللخمي ابنته هنداً على ما رواه ابن الاثير ^(٤)

وكان تعدد الزوجات معروفاً بين اهل الحيرة ليس بين المجوس او من كان على دين الجاهلية
بل حتى بين المسيحيين منهم . قال المطران ادى شير ^(٥) عن اصلاح الجاثليق مار آبا ^(٦) ان
الشقاق بطل من الكنائس بهمة هذا الجاثليق غير ان الشرور المتولدة منه كانت باقية فان
كثيراً من المسيحيين تراخت سيرتهم وضعف ايمانهم فاقتدوا بالمجوس واليهود والوثنيين
وتزوجوا نظيرهم بأمرأتين او بأمرأة الاب او بعمتهم او بخالتهن او كنهن او بأمرأة اخيهن
وهلمَّ جرّاً فأصدر مار آبا منشوراً عنوانه «تدبير الافعال الصالحة» حرَّم فيه هذه الافعال ^(٧)

ما كل الحيريين

أما حياة الرجال في الحيرة فقد تطرقنا الى مهنتهم وحرفهم في البحث في الصناعات وآلات
الطرب والعزف والأغاني ولكن هناك مناحي أخرى من حياتهم نود معالجتها هنا . فانهم كانوا
يقيمون الافراح في اعراسهم وينشدون الاغاني ويغنون الأصوات وكانوا يقولون عن مغنيهم
حينئذ انه بطة اعراسهم ^(٨) وكانوا يقيمون الولائم والمآدب ويضعون طعاماً من السمك وما
صيد من وحشها من ظباء وانعام وأرانب وحباري وغيرها ^(٩) وكانوا يخبزون خبز الرقاق قال
عدي بن زيد وهو بالشام يتشوق الى الحيرة ^(١٠) :

(١) الاغاني ٢: ٣٠ (٢) شعراء النصرانية ٦٩ : ٤ (٣) الاغاني ١٦ : ٩٩ (٤) الكامل
٢٢٤ : ١ (٥) تاريخ كلدو آشور ٢ : ١٧٩ (٦) جاثليق المدائن من سنة ٥٤٠ — ٥٥٢
(٧) شابو : كتاب السندوسات ٨٠ — ٨٥ (٨) الاغاني ٢ : ١٢٠ (٩) الاغاني ٢ : ١٢١
(١٠) الاغاني ٢ : ١١٩

ليت شعري متى تحب بي الناقة بين السدبر والصننين
محقباً ركوة وخبز رقاق وبقولاً وقطعة من نون

وجاء في اخبار وقعة اليس على الفرات ان خالد بن الوليد وقف على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه فتعشى به المسلمون وجعل من لم ير الرقاق يقول ما هذه الرقاق البيض... (١)
ومن ما آكلهم المضيرة وهي اكلة تطبخ باللحم وقد أعدّها حنظلة الطائي وقدمها الى المنذر ابن ماء السماء عند ما اضافه في يوم كان يصيد فيه (٢). ومنها الهلام بضم الهاء او فتحها (٣)
طعام من لحم عجلة بجلدها او من لحم مهر وقيل من مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن (٤)
ومنها ايضاً الأقط وهو اللبن المتخذ من اللبن الحامض. جاء في الاخبار كان يزيد بن عدي من العرب وظيفة موظفة في كل سنة مهران اشقران يجعلان له هلاماً والكأمة الرطبة في حينها واليابسة والأقط والأدم وسائر تجارات العرب (٥)

وعلى ذكر الكأمة نقول ان الحيريين كانوا ولعين بأكلها فيخرج الرجال والنساء والاولاد الى البرية لاجتنائها ويتهادونها رطبة ويابسة وقد جاء عن عمرو بن عدي انه خرج مع الصبيان لاجتناء الكأمة وكان الغلمان اذا اصابوا الكأمة الطيبة اكلوها واذا اصابها عمرو جناها ثم اقبلوا الى منازلهم يتعاودون وهو معهم يقدمهم ويقول مخاطباً خاله جذيمة الابرش :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده الى فيه (٦)

وجاء في اخبارهم (٧) ان امرأة كانت تجني الكأمة بأدنى مياه بني دارم فذهبت وأخبرت سيدهم درارة بن عدس باقبال بني طامر وعسكر النعمان في تلك الحرب المعروفة عند العرب بيوم رحرحان

والتمر من طيب ما كل الحيريين لا بل العراقيين طراً وقال شريح ابن اوس يهجو ابا المهوس الاسدي : (٨)

وعيرتنا تمر العراق وبره وزادك

وعرفوا اكل الخبيص قال الفرزدق (٩)

تفهيق بالعراق ابو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

هذه نبذة موجزة في بعض ما كل الحيريين اتينا على بيانها وهناك طائفة كبيرة من الماء كل كالحوم المشوية لا سيما لحم الناقة والابل ومنها السويق والكوامخ وأنواع الخلاء كالفالوذق واللوزينج والزلابية والقطائف وغيرها فغيرها مما عرفه العرب عامة او مما أخذه

(١) الكامل لابن الاثير ٢: ١٦٣ (٢) شعراء النصرانية ٨٩ (٣) اللسان والحكم والتهذيب والتكملة (٤) تاج العروس (٥) الاغانى ٢: ٢٧ (٦) الطبري ٢: ٣٠ (٧) ابن الاثير ١: ٢٣٢ (٨) كتاب الحيوان للجاحظ ١: ١٢٩ (٩) كذلك ٥: ٦٤

فريق منهم من الفرس او من غيرهم مما جاء ذكره في كتب اللغة او الاشعار (١)
 ونزع الحيريون الى الترف والفروسة في آنٍ واحدٍ وأمر فتیان الحيرة مشهور قال
 الاصبهاني (٢) كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيات فكان اذا حمل
 الرياحين الى بيوت الفتیان والمياسير واصحاب القيان والمطربين في الحيرة ورأوا رشاقته وحسن
 قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه وأقام عندهم وخفَّ لهم فكان يسمع الغناء ويشتهي
 ويصغى اليه ويستمتع به ويطيل الاصغاء اليه حتى شدا منه اصوات فأسمعها الناس. وكان مياسير
 اهل الحيرة يتفننون في اتخاذ الاثاث النفيس والرياش الثمين فكانوا يتخذون بالرقم من
 الفرش اشياء ظريفة (٣) ويتخذون اواني الذهب والفضة للاكل (٤) والقلاوي للماء والاواني
 للخمر من صنع الحيرة نفسها ويخدمهم في مآدبهم الاحرار والعبيد ويحييون بالرياحين (٥)
 ونام ذلك القوم على فرش الحرير فوق الاسرة المجلدة بالكال قال عدي بن زيد (٦)
 ثنيات قطائف الخز والديباج فوق الحدود والانماط
 وقال ايضاً (٧) :

بينما هم على الاسرة والانماط افضت الى التراب الجلود

وقال النابغة الذبياني (٨)

قامت تتراءى بين سجنفني بكلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
 وكان من عاداتهم اتخاذ المجامر للبخور قبل النوم (٩) ويبخرون أجسادهم وشعور رؤوسهم
 ولحاهم (١٠) واستعملوا المسك والعنبر قال شاعرهم (١١)

تنفح بالمسك ذفاريهم وعنبر يقطبه القاطب
 ويتباهون بتقديم الخمر الى الضيوف قال الشاعر في مدح المناذرة (١٢) وقهوة ناجودها ساكب
 « للفصل تمة »

(١) راجع المخصص ١٢٥: ٤ — ١٢٩ و ١٠ : ٥ و ١٤ و ٢٥ والعقد الفريد ٤ : ٢٩٢ وكتاب
 الحيوان للجاحظ والساق على الساق لفارس الشدياق ٩٢

(٢) الاغانى ١١٨: ٢

(٣) الاغانى ١٢١: ٢

(٤) الاغانى ١٦٥: ٩

(٥) الاغانى ١٢١: ٢

(٦) معجم البلدان مادة «ملطاط»

(٧) شعراء النصرانية ٤٧١

(٨) كذلك ص ٦٤٣

(٩) الاغانى ٩٩ : ١٦

(١٠) كذلك ١٩ : ١٣١

(١١) معجم البلدان مادة «دبرهند الكبرى» (١٢) كذلك

أثر الاساطير

في قصة خروج بني اسرائيل
لنأشُر سبقيين

لم يكشف الى الآن في الآثار شيء عن بني اسرائيل الا لوحة عليها اسم منفتح ذكر فيها بعد الاشارة بانتصاراته على الليبيين انه استأصل شأفة بني اسرائيل . وقد استنبط بعض علماء الآثار من ذلك ان هذا الفرعون هو الذي طردهم لكن يذهب آخرون الى ان هذه العبارة انما يقصد بها حرب انتصر فيها هذا الفرعون عليهم في بلادهم اي فلسطين ويخلصون من ذلك الى القول بان خروجهم كان قبل منفتح بزمان طويل . ومن هؤلاء الاستاذ توماس روبنسون مدرس اللغات السامية بجامعة جنوب ويلز ومحرر الفصل الخاص بالخروج في دائرة المعارف البريطانية . فمن رأيه ويشاركه فيه على قوله كثير من العلماء ان بني اسرائيل هم اما قوم «خابيرو» احد الشعوب الآسيوية التي جاء ذكرها في اللوحات التي عثر عليها في اطلال المدينة التي شيدها خوناتون (اخناتون) من ملوك الاسرة الثامنة عشرة المعروفة الآن باسم تل العمارنة واما القوم الرحل الذين هاجموا فلسطين ابان اضمحلال هذه الاسرة . وبناء على هذا يكون الخروج حصل في واسط حكمها اي في زمن تحوتمس الثالث او قريباً منه . بيد انا اذا رجعنا الى سفر الخروج وهو أهم المراجع التي لدينا واوقافها عن هذا الحادث وجدنا ما يرجح خروجهم في زمن منفتح فقد جاء في الاصحاح الثاني عشر « فارتحل بنو اسرائيل من رمسيس » وفي الاصحاح الاول ما يدل على ان بني اسرائيل قد سَخَرُوا في بناء هذه المدينة حيث قيل « فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم باثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم^(١) ورمسيس » وتسمية إحدى المدينتين باسم رمسيس شاهد على انها بنيت في زمن احد فراعنة الاسرة التاسعة عشرة الذين تسمّوا بهذا الاسم . والذي يؤخذ من الآثار ان الفرعون الذي كان يستخر سكان الدلتا حيث كانت اقامة بني اسرائيل في بناء مدن مخازن هو رمسيس الثاني وقد

(١) مكانها الآن الاطلال المعروفة باسم تل المسخوطة (التمثال) بمديرية الشرقية كما اثبتته البروفسور نافيل بعد التنقيب فيها . سميت كذلك من وجود تمثال من حجر واحد لملك جالس بين الهين وتدل الكتابة التي في خلفه على ان هذا الملك هو رمسيس الثاني . وهذه المدن كانت تعد لامداد الحاميات التي على الحدود بالقرن

اشار الى ذلك الاستاذ بدج في كتابه النيل . ويستفاد مما جاء في آخر الاصحاح الثاني انه مات قبل الخروج حيث قيل « وحدث في تلك الايام ان ملك مصر مات » ويدل السياق بعد ذلك على انهم اخرجوا في زمن خلفه . ونحن نعلم من سلسلة ملوك مصر ان خلف رعمسيس الثاني هو منفتاح

وتاريخ الاسرة التاسعة عشرة يؤيد هذا الاستنتاج فقد خلفت اسرة كان للساميين سكان غرب آسيا في زمنها نفوذ عظيم في مصر ، فجعلت سياستها على ما يقول الاستاذ بدج « مصر للمصريين » وأخذت على عاتقها تطهير البلاد من الاجانب الذين يمتسون الى هذا الجنس لانهم كانوا ينحازون اليهم في كل حرب بين مصر وبينهم فكان بقاؤهم خطراً على البلاد لهذا السبب . ويفهم مما جاء في الاصحاح الاول من سفر الخروج ان هؤلاء الاجانب هم بنو اسرائيل حيث قيل « ثم قام ملك جديد على مصر فقال لشعبه هو ذا بنو اسرائيل شعب اعظم واكثر منا هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا »

والراجح ان بني اسرائيل وفدوا على مصر ابان حكم الهكسوس (الرقاة) ابتغاء الرزق في هذا البلد الطيب في ظل حكومة من ابناء جلدتهم فلما انتزعت الاسرة الثامنة عشرة الحكم من الهكسوس توجه بنو اسرائيل شرّاً من الملوك الوطنيين فاضمروا لهم العداة ومالئوا عليهم الاعداء . فلما آل الامر الى منفتاح من ملوك الاسرة التاسعة عشرة وكان في حروب متواصلة مع الليبيين والاسيويين لم ير بداً من طردهم اتقاء لغدرهم وليأمن على سلطانه من دسائسهم . ولما لم يكن لهم وطن يقيمون شطره ولا امة شقيقة توسع لهم من اكنافها حطوا رحالهم في بركة سيناء وسرعان ما حنوا الى مصر وتاقوا الى خيراتها وتهافتت نفوسهم على معبوداتها واعيادها فانهم بعد شهر ونصف من طردهم على ما جاء في الاصحاح السادس والعشرين قالوا « ليتنا متنا في ارض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع » وبعد ثلاثة شهور صنعوا تمثالاً وعبدوا له . وكان ذلك نذيراً للزعماء بان الشعب اذا لم تحسن سياسته فسوف يتساقط على الامم المجاورة ويغرق في غمراتها ويتبدد . فأطمعوه في ملك فلسطين بان ذكروا لهم انها وطن آبائهم الاولين وان الههم اخرجهم من مصر ليسكنهم تلك الارض التي تفيض عسلاً ولبناً تنشطاً لقواهم المعنوية لعلمهم يستقيمون الى الامل فيصبرون على ما هم فيه من شظف العيش . وسفر الخروج يصف باسهاب كيف ان الههم اخرجهم ليلاً بعد ما اهلك الابكار من الناس والبهائم

ومن عجيب ما يذكر في هذا المقام ان حادثة اهلاك الابكار التي يزعمون انها حدثت ليلة خروجهم تتفق مع احدى اساطير الاولين في موضوعها والآثار التي ترتبت عليها للذكرى وستتضح هذه المطابقة من الموازنة بينهما

خلاصة قصة اهلاك الابكار ان اله الاسرائيليين غضب على المصريين لانهم اضطهدوهم وساموهم سوء العذاب فاهلك ابكارهم دون شعبه وطريقة ذلك على ما جاء في الاصحاح الحادي عشر من سفر الخروج « هكذا يقول الرب : اني نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر فيموت كل بكر » ويوصيهم لكي ينجوا من الهلاك بان يتخذ كل بيت شاة فيذبحوه في العشية ويأخذوا من الدم ويجعلوه على القاعدتين والعتبة العليا من البيوت التي يأكلونه فيها ليكون الدم علامة على بيوتهم فيراها الرب حين يضرب ارض مصر ويعبر عنها . ويتخذ من الآية الثالثة والعشرين من الاصحاح الثاني عشر ان الهلاك منوط بمهلك يتبع الرب وهذا نصها « فان الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقاعدتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » وفي آخر الاصحاح « وكان في ذلك اليوم عينه ان الرب اخرج بني اسرائيل من ارض مصر »

اوصى بنو اسرائيل بعدة وصايا تذكراً لهذا الحادث فاولاً : ان يجعلوا اليوم الذي نجوا فيه من الهلاك واخرجوا من مصر عيداً واليك ما جاء في الاصحاح الثاني عشر في هذا الصدد « ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيّدونه عيداً للرب » . وثانياً . ان يجعلوا الشهر الذي يقع فيه هذا اليوم اول شهور السنة وهذا الشهر على ما جاء في الاصحاح الثالث عشر هو ايب بحسب التقويم المصري القديم حيث قيل « اليوم انتم خارجون في شهر ايب » اما الوصية بجعله رأس الشهور فواردة في الاصحاح الثاني عشر وهي « هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم اول شهور السنة » . ثالثاً : ان يعتبروا الذبيحة التي ذبحت ليلة اهلاك الابكار ليجعلوا من دمها علامة لخلاصهم فريضه تمارس في مثل تلك الليلة من كل سنة وتسمى الفصح . وهذه اللفظة محرفة عن بصاح العبرية ومعناها اجتاز وعبر من قولهم ان المهلك اجتاز ارض مصر وعبر عن بيوتهم

اما الأسطورة المصرية وهي منقوشة على جدران إحدى الغرف الجانبية بمقبرة سيتي الأول فتتلخص في ان المصريين تمرّدوا على الههم رع وخرجوا عن طاعته واهانوا اسمه فغضب عليهم وارسل هاتور تهلكهم جزاء لهم بما كفروا فاجتازت ارض مصر وأُخنّت في اهلها تقتيلاً واذا رأى رع من السماء ما حلّ بالناس استعظم النكبة واخذته بهم رحمة فأراد ان يخلصهم لكن كان يحول دون ذلك ان هاتور طبعت على حب الدماء حتى ليصعب إيقافها عند حد متى استثيرت لسفكها . فلجأ رع الى الحيلة لأتقاذ رحمته وذلك بأنه دعا رسلاً وخاطبهم بقوله اذهبوا الى جزيرة الفيلة واجلبوا من هناك الثمار الجالبة للنوم ولتكن أوبتكم قبل الفجر فذهب الرسل كما أمروا بسرعة العاصفة الى الجزيرة حيث الجنادل الصخرية تعترض مجرى النهر العظيم وحملوا الى هليوبوليس مدينة رع الثمار المطلوبة من ذات اللون القرمزي

وذات اللون الأرجواني وهي التي تعطي عصيراً أحمر بلون الدم
وفي الوقت نفسه امر رع نساء هليوبوليس فطحن الشعير وصنعنه جعة ثم مزجتها بعصير
الثمار الجالبة للنوم فكان من ذلك شراب أحمر كالدم . وقد بلغ ما صنعنه بعجلة في تلك الليلة
قبل الفجر سبعة آلاف مكيال . ثم ذهب رع في بطانة كبيرة من الآلهة الى هليوبوليس
لفحص الشراب ولما الفاه شبيهاً جداً بالدم قال « سيكون هذا الشراب مخلص الأنان »
ثم امر فأهريق الشراب عند الفجر قبل شروق الشمس في الحقول حيث وقعت المذبحة الى
ارتفاع أربعة اشبار

وفي الصباح جاءت هاتور لاستئناف المذبحة ولما لم تجد خلقاً من أعداء رع لتبيدهم تلفتت
يمنة ويسرة فاذا الأرض مترعة بما شبه لها ندم الأعداء الذي اهدرت فضحكت ابتهاجاً برؤيته
ثم انحنت وولغت فيه بشراهة حتى ثقل رأسها بفعل المسكر ونامت واصبحت عاجزة عن استئناف
المذبحة فنجت البقية الباقية من الناس من الهلاك

عندئذ ناداها رع وخاطبها بقوله « ستعمل لأجلك من الثمار الجالبة للنوم كلما جاء العيد
الكبير عيد رأس السنة اشربة عدد الكاهنات اللاتي يخدمني » والى هذا اليوم كلما جاء عيد
هاتور تجهز اشربة من الثمار الجالبة للنوم تذكراً لخلاص جنس الأنان من غضب الآلهة
والمفهوم من السياق ان المراد بالثمار الجالبة للنوم التي يصنع منها شراب شبيه بالدم هو
العنب وعلى هذا يكون اسلافنا اول من اتخذوا الخمر رمزاً للدم وشربوه لذكرى الخلاص

وانت ترى ان القصتين في جوهرهما متطابقتان ففي كليهما عصاة واله منتقم ينفذ من
لذنه مهلكاً ليجري في الناس قضاءه وهو ذو رحمة يهلك فريقاً من الناس ويستحيي فريقاً
بحيلة يوصي لنجاحها ان تتم بعجلة قبل الفجر . وفي كليهما اعتبر الشهر الذي حصل فيه
الخلاص رأس الشهور واوصى ان يعمل فيه العيد كما اعتبرت الوسيلة التي حصل بها الخلاص
فريضة تمارس في ذلك اليوم للذكرى

ومما يؤكد الموافقة بين القصتين علاوة على الأوجه التي ذكرت الحادثة الآتية وهي واردة
في كل من الاسطورة وسفر الخروج في سياق وصف الضربات التي حاقت بالمصريين بسبب
غضب الآله . فقد جاء في الاسطورة « ان النهر صار أحمر وقد ظل يجري كذلك عدة ايام
تباعاً . وكانت الأرض مترعة بدم الناس وهاتور تخوض فيه وهي تحبب أرض مصر وتوغل
فيها الى هينن سيتن فاصطبغت قدمها باللون الأحمر » وهينن سيتن بلدة مكانها الآن
اهناسيا بمديرية بني سويف

وجاء في الأصحاح السابع من الخروج في الكلام عن إحدى الضربات التي سبقت اهلاك
الأبكار « فتحول الماء الذي في النهر دماً وكان الدم في كل أرض مصر »

ان ثبوت محاكاة قصة اهلاك الأبقار لأسطورة انتقام رع يجردها من قيمتها التاريخية ويقضي من ثم على مزاعم بني اسرائيل عن الخروج التي يعلقونها عليها . وفي رأيي ان هذه القصة انما وضعت لتحويل عيد هاتور الى عيد قومي لبني اسرائيل بعد الذي ظهر من تعلقهم بهذا العيد وصاحبه . فقد قيل في الاصحاح التاسع عشر انهم في الشهر الثالث بعد طردهم نزلوا في بركة سيناء وهناك كان موسى يناجي ربه طلب الشعب من هرون ان يصنع تمثالا فلما اتمه وقد قيل انه صنعه على صورة عجل بني مذبحا وقال غداً عيد للرب فبكروا من الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلسوا للأكل والشرب ثم قاموا للعب . اذ يلوح لي ان ذلك العيد الذي عيدوه كان عيد هاتور والذي يرجح عندي هذا الظن ان الشهر الذي صنع فيه التمثال وعيدوا وهو الثالث بعد أيب الذي خرجوا فيه يوافق توت رأس الشهور المصرية الذي يقع فيه عيد هاتور . فان صح حدسي فيكون التمثال الذي صنعه هرون تمثال بقرة لآتمثال عجل لان البقرة هي رمز هاتور وكان يكنى بها عن العناية الربانية وقد كان جديراً ببني اسرائيل احتفالهم بهذا العيد ليس فقط لانهم ألفوه في مصر وقد كان اكبر اعيادها حتى انه ما زال منه بقية في مصر الى ايامنا هي عيد شم النسيم (وسأفرد مقالاً لاثبات ذلك) بل لانهم كانوا في اشد الحاجة الى الزلفى الى رمز العناية الربانية بما مسهم في الصحراء من الضر وتملكهم من اليأس . بيد ان هذا العمل قد اسخط زعماءهم فعملوا منذ ذلك الحين على قطع كل صلة لهم بمصر اولاً : بإبعادهم عن آلهة المصريين لكنهم فطنوا الى ان الطفرة في هذه الحالة ليست من الحكمة وان اصابة الرأي تقضي بمصانعة الشعب في دور الانتقال فاقتبسوا هذا العيد وادخلوه ضمن تقاليدهم وذلك بأنهم استبقوا المظاهر التي تتعلق بها الشعب ثم جعلوا للعيد مناسبة من تاريخهم لصبغه بصبغتهم القومية : وثانياً . بتنفيرهم من مصر وذلك بما ألقوا في روعهم انها كانت بيت عبوديتهم وان فراغتها قد أذلّوهم وساموهم سوء العذاب وقد بالغوا في ذلك اشد المبالغة وجاوزوا الحد في الهجاء حتى اصبح لفظ فرعون وهو لقب ملوك مصر الاقدمين عنواناً على الطغيان والجبروت

والآن وقد ارتفع الغطاء عن هذا الحادث واسفر وجه الحقيقة فيه واتضح ان بني اسرائيل كانوا البادئين بالعدوان بحيث لم يكن لمصر مندوحة عن طردهم حرصاً على سلامتها فاني اطمع ان يقر الحق في نصابه تبرئة لمصر من وصمة الظلم التي وصمت بها في صدد هذا الحادث ، وانصافاً لتلك البلاد القديمة التي وضعت للعالم اسس الحضارة واعلت منار الحكمة وفتحت ابواباً للمعرفة كانت من قبل موصدة

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

الدولة والحكومة والرعية

الدولة والاسرة : مما يسهل على القارئ الاحاطة بمعنى الدولة ان يشبهها باقرب الاوضاع اليه واعز الاوساط المتصلة به — ان يشبهها بالبيت الذي نما فيه والاسرة التي ترعرع في احضانها . فالوالدان هما الحكومة والاولاد هم الرعية والعادات والتقاليد المتوارثة هي الدستور والبيت هو الوطن ومن مجموعهم تتألف الدولة الصغرى وهي الاسرة . وكما ان هنالك انواعاً من الادارة « العائلية » كذلك هنالك انواع من الادارة الحكومية : هنالك ابوان شديدا الوطأة ظالمان يأخذان ابناهما اما القوة وربما سخرهم لمنفعتهما الخاصة فقط وهنالك حكومة ظالمة فاشحة تستثمر الرعية وتسخرها لاغراضها كما يسخر الفلاح الثيران لحراثة الارض . وفي مقابل ذلك نجد سلطة ابوية حكيمة تستخدم نفوذها لهداية الابناء والحصول على السعادة المنزلية كما نجد حكومة صالحة تتخذ من سلطانها ذريعة لاصلاح الدولة . وهنالك ايضاً اسرة متفككة الاوصال يتأكلها الحسد ويهدم كيانها البغض المتأصل في الاعضاء كما ان هنالك دولة مؤتلفة من عناصر متنافرة لم تجمع بينها تربية صحيحة ، يدس بعضها لبعض ويتجسس بعضها على بعض ولم يتفق افرادها على شيء الا على السعي لهدمها والخلاص منها . وفي وسعنا ان نزيد في هذه الامثال حتى لا يبقى نوع من الانواع الاسرة او الدولة — النوع القديم او النوع الحديث ، الحر او المحافظ ، المقيد او الطليق ، الجاهل او العاقل — الا تناولناه بالمقابلة

الاقتصاد العام والتدبير المنزلي : وليس الشبه فيما تقدم من الكلام قاصراً على الوجهة الادارية السياسية فقط بل هنالك شبه عظيم في الشؤون الاقتصادية ايضاً بحيث يجوز لنا ان نقول ان ادارة الامور الاقتصادية في الدولة تماثل الادارة المنزلية فالتبذير والتقتير وبسط اليد وقبضها واضاعة الاموال سدئ وسوء الاستعمال قصداً والجهل بالحصول على الموارد وطريقة

توزيعها هي في الاسرة كما هي في الدولة لكن العيار مختلف طبعاً لان الاسرة دولة صغرى والدولة اسرة كبرى

ومما يسترعي الانتباه ان هذا الاتصال الوثيق بين الاسرة والدولة لم يكن قائماً على الشبه فقط بل هو اتصال تدرجي نشوئي كما سيتبينه القارئ من كلامنا ، ويزيد في إحكام هذا الاتصال ان الفرد وهو طفل يتعلم في المجتمع العائلي معنى المعيشة والتآلف مع غيره وتكون القواعد التي مشاه عليها والداه اول الدروس العملية التي تلقاها في الانقياد والطاعة الى الشريعة، اما ولعه باهله « الاكارم » ونخره باسرته « الشريفة » وبالتقاليد « المقدسة » التي ورثها « كابرأ عن كابر » وتعلقه بالبيت « الرفيع » الذي سكنه وباولاد الجيران « النبلاء » الذين لعب معهم فكل ذلك يولد في نفسه شعور الاخلاص ، وقد عرف فوائد التعاون مع غيره معرفة عملية منذ ما سار مع افراد أسرته في طلب الافراح والحصول على المسرات^(١)

اصلاح الاسرة في العالم العربي : لا جرم ان اصلاح الاسرة في البلدان العربية الناشئة هو اهم توطئة للحصول على الحكومة الصالحة واغوى ضمان لا مكان الاحتفاظ بالمجتمع على بنائه الحاضر من غير انقلاب خطير في اوضاعه والاسقط حق الاسرة الجاهلة في الاستمرار على استبدادها بالابناء واستقلالها بادارتهم والاشراف عليهم ، وتكون الاشتراكية المتطرفة حينئذ على صواب في اصرارها على وجوب انقاذ الاطفال من براثن الآباء والامهات لان الدولة تكون صالحة على قدر الصلاح في ابناءها العاملين

﴿ اصل الدولة ﴾ : كثير من الناس لا يفرقون بين الدولة والحكومة ، فالدولة هي جمع من الناس انتظموا بالفطرة لتحقيق مصلحة سياسية عامة ينشدونها لمجتمعهم مباشرة ولافرادهم بالواسطة . ولكي يكون هذا الجمع دولة ذات سلطة بالمعنى المتعافى لا بد له (اولاً) من اداة سياسية تدعى حكومة قوامها هيئة من الموظفين يدعون حكماً (ثانياً) من مجموعة شرائع او قواعد مدونة او مستظهرة تعين حدود هذه السلطة العامة وطريقة تنفيذها

فالحكومة اذن هي القوة المتسلطة في المجتمع السياسي او هي الاداة التي تنفذ رغائب الدولة وسواء أ كان شكلها ملكياً ام جمهورياً ، نيابياً ام استبدادياً فهي الاداة التي تمثل قوة الدولة ، ولا تتغير هذه الحقائق ما لم تكن الحكومة مطية لتنفيذ رغائب اهل المصلحة من الجماعات الاخرى المعتدية ، وحينئذ تدعى حكومة الاجنبي القاهر ولو كانت في شكلها على احدث طراز في الديمقراطية ، وقد رأينا دولة من هذا النوع لم ينفعها لا دستورها الضخم ولا مجلس نوابها الفخم ولا رئيس جمهوريتها لما محارها من الوجود بحجرة قلم رشيقة مندوب

اجنبي ! ومن الزيادة في النكاية ان هذا المندوب نفسه فرض على مكلفيها منذ سنتين ديوناً اجنبية تبلغ الملايين من الجنيهات من غير ان يستشير واحداً من نوابها مما يخالف ايسر قواعد الاستقلال — يعني قاعدة « لا ضرائب من غير تمثيل » — ومع ذلك فالباحث يعرض نفسه لتهمة اذا هو لم يقل عن هذا المال ما قاله رئيس هؤلاء النواب من انه ثمن الاستقلال الذي نالته بلاده على ايدي الفاتحين المنقذين !

وقد بدرت بوادر الانتظام السياسي من حدوث اشرف سياسي عام وخضوع المنتظمين لقواعده منذ تألفت العترة الاولى وتكاثرت بالتوالد والتبني حتى صارت قبيلة ومنذ اخذ بعض الافراد فيها يخرجون مجتمعين بشكل سرايا تجوب الاطراف للصيد والقنص ، وهذا الاشرف السياسي والخضوع له امر لا بد منه لكل جماعة من الناس دخلوا في دور من التعاون والاشتراك ، واما الطريقة التي يتم بها فهي حدوث سلطان او هيئة معينة محدودة تدبر شؤونه ويخضع الافراد للاوامر التي تصدرها

ويؤيد هذا الرأي من جعل لحة النسب اساساً للانتظام الدولي الرئيس (ودرو ولسن) فقد جاء في كتابه (الدولة) قوله « يجب ان يكون تاريخ الحكومة في فجره واحداً عند جميع الشعوب الراقية ، وان تتجلى بوادره في النظام العائلي » واستدل من الاحوال التي كانت عليها تلك الامم التاريخية المركزية على ان التنظيم الاجتماعي وما تولد منه من تأسيس الحكومات هو وليد القرابة وان الروابط الاولى التي بني عليها الاجتماع والدواعي الاصلية التي سمحت باحداث السلطة الحكومية هي في الاصل واحدة — هي لحة النسب سواء أ كان هذا النسب صحيحاً ام ملفقاً (١)

﴿ نشوء الاوضاع الحكومية ﴾ : ولكي يحيط القارئ بالتدرج الحقوقي الشرعي الذي لازم الالتحام والتكاثر في الاقوام بطريق الاتحاد والتوالد والغزو والفتح نفرض له مثلاً من قبيلة كقبيلة (الرولا) النازلة باطراف سورية فهب ان هذه القبيلة البسيطة التي تمثل الاوضاع الحقوقية البدوية التي كانت في الاعصر الخالية تكاثرت بالتوالد والتبني والفتوحات الموضعية فنمت نمواً عظيماً حتى الجأها العوز وقلة الكلا الى اكتساح المعمور فاستولت على (حوران) واستمكنت الاملاك واستأسرت الاسرى ووضعت يدها على السائمة وسائر انواع الماشية ففي تلك الساعة تتغير الموضع الشرعية التي عليها هذه القبيلة لان جميع الطوارىء التي طرأت تتطلب سنناً جديدة في معاملة المغلوبين وادارة شؤونهم وممتلكاتهم التي سلمت من النهب وحفظ الامن بينهم وتوزيع الكسب المسلوب منهم وتعيين العلاقات بين الغالب والمغلوب وغير ذلك من

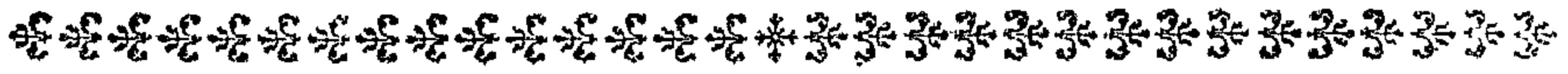
(1) W. Wilson, The State, p. p. 2, 3, 13.

الضرورات الشرعية المستجدة التي عبر عنها المشترون المتأخرون بقولهم « تتغير الاحكام بتغير الزمان » لا جرم ان شيخها (النوري بن شعلان) وهو السيد المطلق المطاع في القبيلة يضطر الى اتخاذ الاجراءات الادارية التي توافق هذه الطوارئ مع محافظته على عادات سلفه وتنفيذ التقاليد التي درجت عليها القبيلة فيصبح والحالة هذه كما قال « الموجز في علم الاجتماع »^(١) عن زملائه الشيوخ مشترعاً يقضي في الشؤون لفض الخلافات وهذا يعني انه صار (القاضي الاكبر) في الجماعة . وعلاوة على ذلك فقد كان للشيخ الزعيم في الاقوام الابتدائية عمل اقتصادي بالاضافة الى منصب الحاكم الذي كان يشغله فلم يكن ممثلاً الآلهة وخليفها على الارض فقط بل السيد المالك لرقاب النساء والاولاد والمستأمن على ممتلكات الجماعة وهكذا اجتمعت في قبضة يده في تلك الاعصر السحيقة الوظيفة الثلاثية الآتية : القضاء والتشريع والاجراء وهو السلطة التنفيذية

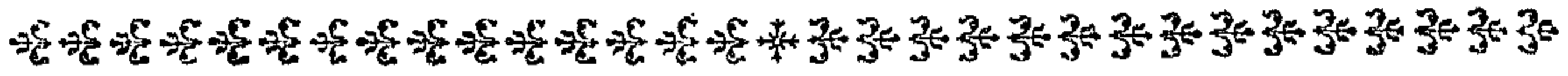
لا جرم اننا نرى في هذه النظم الاهلية الخالية التي قامت على صحة النسب تلك الوحدات المؤتلفة او الجماعات الاصلية التي تتألف منها اسس الدولة واركائها وذلك عندما يسكن افراد هذه الجماعات المدر ويتخذون الطين مقراً ثابتاً لهم ويصبحون غزاة فاتحين يملون ارادتهم على المغلوبين كما املى الغطغط ارادتهم على الحجازيين ولا نبالغ اذا نحن قلنا ان هذه العناصر الاجتماعية الجديدة الناشئة عن الهجرة والغلبة والكسب هي عناصرها المقام الاول في تنظيم الدولة . بل ان بعض العلماء امثال الاستاذ (كومونس) ذهبوا الى ان التملك الخاص هو الباعث الاول على تأسيس الدولة وان التطاحن بين الطبقات للحصول على ادارة الممتلكات المنقولة وغير المنقولة واستثمارها افضى بالضرورة الى التسوية والخضوع للنظام، فالدولة بهذا المعنى تكون قد اشرقت عند ما مدّ اول رجل يده الى المنافع العامة التي كانت مشاعة للجميع وادّعى انها أصبحت ملكه الخاص واخذ يضارب ويحارب من اجلها

لكن القبائل متى استقرت ونمت وتكاثرت تأخذ قاعدة تنازع البقاء تعمل عملها فيها فتتلاشى قبائل وتتحد قبائل شأن كل صراع جدي بين الاحياء . ويجري الاتحاد غالباً على قاعدة استعباد الغالب للمغلوب واتخاذ خولاً وربما جرى على اساس الامتزاج السامي الاختياري . وبديهي ان تنشأ من مثل هذه الاحوال والملايسات الشرائع التي تبين سلطة الفريق الواحد على الآخر وتدل على المطالب التي تقتضيها الطوارئ التي طرأت بعد الاتحاد بنوعيه السامي والحربي

(1) Outline of Sociology, P. 165.



ايليا أبو ماضي الشاعر



لبثت أسبوعاً أطالع ديوان الجدول للشاعر ايليا أبو ماضي ، وإذ فرغت من درسي قصائده
هممتُ بكتابة مقالة فيها تلبيةً لطلب مجلة « المقتطف » ، إلا أني بحثت عن « الجدول » فلم
أجده . وأغرقت في بحثي عنه من غير جدوى
وكنت إذ ذاك في أقصى الحاجة الى مراجعته وإعادة النظر في الملاحظات التي دونتها على
هوامشه في اثناء المطالعة

وفي أحد الايام اذ انا منصرف الى كتابة مقالة جافة سمعت خطيبي تنشد في خدرها
هذه الابيات ، وقد لحنها على هوى نفسها تلحيناً جميلاً ساحراً :

أراد الله أن نعيش ق لما أوجد الحسناء
وألقى الحب في قلبك إذ ألقاه في قلبي
مشيئته ... وما كانت مشيئته بلا معنى
فإن أحببت ما ذنبك أو أحببت ما ذنبي ؟

يريد الحب ان نضحك ، فلنضحك مع الفجر
وان نركض ، فلنركض مع الجدول والنهر
وان نهتف ، فلنهتف مع الببلب والقمري
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجري ؟
فأفلتت القلم من يدي وهرولت الى خطيبي فألقيتها مستغرقة في تطريز قماشة ، وإذ وقع
نظرها عليّ ابتدرتني بقولها : هل أنهيت مقالك الجاف ؟
فقلت : لا ، ولكنني سمعتك تهتفين مع الببلب فأسرعت اليك ... من اين جئت بهذه الابيات ؟
فأجابتني بلهجة رصينة : من ديوان الجدول لأبي ماضي
ثم ابتسمت ابتسامة عفوية وأردفت قائلة : ألا يروقك ان انشد غير صادراتك ؟

فقلت : لا تزالين تخطئين في فهمي . . . واين الجداول ؟
 فأشارت بيدها الى سريرها وقالت : تحت المائدة
 فضحكتُ بدلَ ان اغضب ، وضحكتُ في كثير من الغبطة إذ وجدت في هذه الصدفة
 خير ما استهل به الكلام على الشاعر ايليا ابو ماضي

قال الكاتب الفرنسي غاستون راجو : « إن الشاعر هو الذي يستطيع ان يخاطب الاشجار
 لدى هبوب النسيم عليها او البشر في ساعة حزنهم وآلامهم وهو الذي يفهم ما لا يفهمه الغير
 ويحزر جميع اللغات الرمزية المبهمة ، وهو الى ذلك الرجل الذي يحاول الصعود الى الله ، وما
 يزال يحد في محاولته هذه حتى يوشك الامتزاج بالذات العليا أو يخيل اليه انه امتزج بها
 وصار رسولا . »

كم خفضنا الجناح للجاهلينا وعذرناهم فما عذرونا
 خبروهم يا أيها العاقلونا

إنما نحن معشر الشعراء يتجلى سر النبوة فينا

وايليا ابو ماضي هو في معظم قصائده ذلك الشاعر الممتزج بالطبيعة، المتصرف بأسرارها
 وغوامضها الشاخص من وراء ذلك الى الخيال الاسمي، الى الذات العليا، الى الله ! على أن في
 شخوصه الى ذلك الخيال شيئاً من التشكك قد نستطيع معه ان ندرج الشاعر في عداد السفسطائيين،
 أو ندرج ناحية من نواحيه فقط . لان للشاعر نواحي متعددة كما لمعظم الشعراء ، فهو تارة
 مؤمن وطوراً متشكك ، على انه لا ينحدر من هاتين الناحيتين الى الاتحاد

جئتُ ، لا أعلم من اين ، ولكني أتيتُ

ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشتُ

وسأبقى سائراً ان شئت هذا أم أبيتُ

كيف جئتُ ؟ كيف أبصر تَ طريقتي

لست أدري

ولقد تجلّت الناحية السفسطائية من روح الشاعر في « طلاسمة » أو في « لأدرياته »
 التي عمد فيها الى الشك في كل شيء ، على أنه جاوز في شكوكه الحد الذي وقف عنده الفلاسفة
 حتى أوشك أن ينكر ذاته أو أنكرها . وليس في « طلاسمة » الاستاذ ابو ماضي نظريات
 تستطيع أن تكتشف فيها مذهباً فلسفياً فطلاسمة مزيج من أسئلة ما برحت منذ القديم الى اليوم
 تخرج على السنة الفلاسفة والمفكرين ، على انه عرف ان يذر عليها رشاشاً من الشعرية الرائعة :

أتراني كنت يوماً نغمًا في وتر
وأقصى رغبة صاحب «الجدول» في طلائمه أن يكون شاعرًا لا فيلسوفًا

وللشاعر إيليا أبو ماضي طريقة هو معها نسيج وحده ، فهو لا يلتزم الخيال المجرد من الدهن كالعدد الكبير من شعرائنا في المهجر ، ولا يحجر فكره بالافراط في الوضعيات الذهنية كما هو شأن البعض من شعراء سوريا ولبنان ، بل هو في شعره بعيد ما بين هؤلاء وأولئك ، في الندر ما تجده لا يلتزم وحيًا يتمسك بالاحتكاك بالحقيقة ، فهو في كل ما يكتب — اذا استثنينا بعض قصائده وبعض الطلائع منها — يصل ياقوتة الشاعرية بلؤلؤة الحقيقة السوداء ، على أنه يطلي شعره بقليل من الألوان ويمهره بكثير من الموسيقى

ولا يحمل بنا أن ننكر ان الشاعر أبا ماضي يرمي في شعره الى هدف فهو في المجتمع الانساني مصلح صارم ، وقد يمت من هذه الناحية الى الشاعر Lafontin الذي أنطق الاشجار والبهائم ليسمع الرجل ، ومن يطالع قصائده « الضفادع والنجوم » و « الطين » و « ابن الليل » وغيرها يتضح له بآية نظرة ينظر الشاعر الى المجتمع ولا يبق مجال للشك في أن الشعب والليث والبدر والضفادع والنجوم إنما هي نحن ، فاجتمعنا هذا ليس سوى كهف للبهائم الشرسة أو المحتالة ، والويل لكل بهيمة ضعيفة أو مسالمة

واذا قرأت قصيدة « الطين » وهي أبلغ قصائد الشاعر المتمردة ، وقعت على فكرة اشتراكية وربما كانت شيوعية أيضاً ترمي الى الوقوف في وجه القوة والاقوياء والأغنياء والمتسلطين وكل ما ادعاه ويدعيه المجتمع المتكبر ، المجتمع الذاهب في مذاهب العجرفة المكتسبة من جهل الانسان ذاته الحقيقية :

نسي الطين ساعة أنه طين حقيق فصل تيهاً وعربد
وكسى الخبز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد

وإنك لتقع في هذه الطرفة الشعرية على كبرياء الشاعر ، تلك الكبرياء الجميلة ، وقد أوتيت قوة التعبير الساحر القاهر فتجسدت في كل بيت من أبيات القصيدة وراحت تعمل في المتكبرين من أبناء الطين مبضعها الجراح ، وما زالت تعمل فيهم هذا المبضع حتى استوى لها ما أرادت فأنزلت الجبار عن عرشه المزعوم وقالت له إنك من جنس غيرك وإن تكن متقلداً السيف وملتحفاً بالبردة الموشاة :

يا أخي لا تمل بوجهك عني ما أنا خمة ولا أنت فرق
أنت لم تصنع الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلد

... أنت في البردة الموشاة مثلي في كسائي الرديم تشقى وتسعد

... أيها المزهدي، اذامستك السقم ألا تشكي؟ ألا تنهّد؟

أجل، والاسكندر الذي دوّخ الأرض وافتتح الهند وفارس وقهر الفينيقيين في أعز أيامهم والذي شرب «خمر الآلهة» ووزع كؤوسها على قواده مات كما يموت الدهاء، لقد مات على أثر استحمامه في البحر وهو سكران...

عند ما انتهت الحرب العالمية سمعنا أصواتاً ساحرة تنحدر إلينا من العالم الجديد، ولم يكن لنا عهد بمثلها قبل ذلك الحين، فشحص الشباب بأرواحه إلى مصادر تلك النغمات وما لبث أن أخذ بجملها الجديد وروعها النادرة وإذا بتلك النغمات تترج بأرواحه وتملك عليها مذاهبها وإذا بأدب صادق ينشأ على شواطئ بحر الروم كان من ثماره هذا التطور الذي نلسمه اليوم في أدب الشباب

أما تلك الأصوات الساحرة فكانت صادرة من قلوب جبران، ونعيمه، وعريضة، وأيوب، وأبو ماضي وغيرهم. علي أن نغمات شاعر «الجدول» تختلف عن نغمات إخوانه أدباء لبنان في المهجر التي توشك أن تكون على وتيرة واحدة على ما هي عليه من الصدق في العاطفة والاخلاص في الشعور. ففي شعر إيليا أبو ماضي وحدة في الندر ما تجدها في شعر غيره، وبهذه الوحدة يمتاز شعر صاحب الجدول الذي يُعدُّ بحق في طليعة شعراء هذا العصر قلت إن إيليا أبو ماضي يرمي في شعره إلى هدف، فهو في كل قصيدة من قصائده يحوم حول فكرة يتخطفها بما أوتيته من قوة المنطق وصدق التصوير حتى يقسر على الاقتناع بها كما يريد، من غير أن يلهيك بكثرة الألوان والأصباغ كما هو شأن العدد الكبير من شعراء المهجر الذين يتعشقون جمال الكلمة الملونة فيأتونك بالصورة والموسيقى ويهرونك بسحرها حتى لتكاد تنسى أنك أمام مفكّر، وفي هذا جمال رائع على أنه فيه نقصاً يُحذرُه عن مستوى الشاعرية الحقة. وعندي أن الشاعر العبقرى هو من تجسّم في قلمه الثالث الأكل: الموسيقى والصورة والفكرة

وقد لا تجد بين الشعراء من قدّر له أن يبرز لك صورة صادقة عن عصره كإيليا أبو ماضي فهذا الشاعر يغمس ريشته بدم زمنه ويصوّر، ولهذا نجده يعمد في كل ما يكتب إلى استشعار الحقائق الواقعة فيرسم لك أحزان الحياة وأشجانها وأفراحها وملذاتها ثم يذهبها بنور من أنوار الخيال، ولهذا أيضاً لا نجده يعمد إلى التكلف في شواعره، وقد يكون حاش بنفسه كل ما عبر عنه بقلمه، ولن يستطيع أن يطلق هذه الصرخات:

قد يصير الشوكُ إكليلاً للملكِ أو نبيٍّ
ويصير الوردُ في عُرٍ وقرٍ لصٍّ أو بنغيٍّ
أغار الشوكُ في السحقِ من الزهرِ الجنيِّ
أم ترى يحسبهُ أحقرَ منه ؟ . . .

أجل ، لن يستطيع أن يطلق هذه الصرخات إلا من مهت الحياة جبينه باكليل من الشوك وإلا من ارتته بلاهة الاقدار زهر الحياة على صدور اللصوص والعاهرات ! لا مشاحة في أن الشاعر عرف مصائب الحياة ، ولهذه المصائب أثر في شعره ، على أن روحه الجبارة تأبى عليه البكاء ، ولكنه كثيراً ما يعمد الى الانتقام من تلك المصائب فيظهر بمظهر العاثر بالحياة الواقف على قمتها البيضاء . . . فبينما نراه وقد سئم الحياة مع البشر ومل حتى أحبابه وخلاته ، وبينما نراه متضجراً من المراوغين والذرافين

ومن القبح في نقابٍ جميلٍ ومن الحسن تحت الف نقابٍ
ومن العابدين كل إلهٍ ومن الكافرين بالاربابِ
إذا بنا نسمعه يرجع الى كبريائه الجبارة فيقول :

قد سقتنا الحياة كأساً دهاقا حسنت نكهة وطابت مذاقا
وسقينا مما شربنا الرفاقا

ثم يتزهد في كبريائه فيستطرد قائلاً :

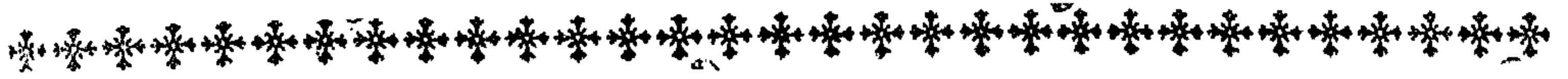
لو سكنتم قصورنا بعض ساعه لنسيتم شهوركم والسنينا
ثم يتكلف ، انتقاماً من الحياة ، رؤية الناحية الجميلة منها فيقول :

والذي نفسه بغير جمالٍ لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

وربما أراد بذلك أن يقول للبشر : « إنكم تدنسون في نفوسكم صورة الانسانية النبيلة » على أن هذه النظرية صارمة قاسية وإلا لكانت نفس بيرون وبودلير في أبعد ما يكون من البشاعة ! وإلا لكان الشطر الكبير من نفس أبي ماضي بشعاً ايضاً ، وذلك ما لا نريد أن نسلّم به فالشاعرية السامية تبسط اليه يدها الالهية وترفعه الى فردوس الكواكب الأزلي فهو بدعة من بدع القلب والروح

الياس أبو شبكة

بيروت



سر ناموس النور

فيما هو اعلم من الكهر

لنقول الحداد

صاحب مجلة السيدات والرجال



في احد اجزاء المقتطف الماضية مقالة ضافية عن عملية «ميكلسن — مورلي» التي اراد بها اعتبار سرعة الارض بالنسبة الى الاثير^(١). ولكن كانت نتيجة العملية بعد تجربتها مراراً في اوقات مختلفة خيبة وفشلاً. اي لم تكتشف بها سرعة الارض بالنسبة الى الاثير (ان كان ثمة اثير) بل اكتشف بها ناموس طبيعي لم يكن معروفاً من قبل وهو ان الاجسام (والاجرام ومن الجملة الارض وكل ما عليها) تتقلص في اتجاه مسيرها بنسبة ثابتة بين سرعتها وسرعة النور. ولتفسير هذا القول لابد من ايضاح كيفية خيبة العملية المذكورة

خطر لميكلسن ، وقد كان احد كبار علماء الطبيعة في اميركا وله اكتشافات عن اسرار النور، ومباحث دقيقة في قياس سرعته — خطر له خاطر وجيه جداً وهو ان شعاعة النور التي تسير باتجاه حركة الارض معها وضدها تكتسب مع سرعتها سرعة الارض اذا كانت سائرة ضدها. وتخسر من سرعتها سرعة الارض اذا كانت مجارية لها. واما الشعاعة التي تسير معامدة لخط سير الارض (او سير سطحها في دورانها) فلا تخسر ولا تكسب بقدر تلك. ولذلك اذا صدرت شعاعتان من مصدر ارضي واحد وانطلقتا الواحدة الى الشرق والاخرى الى الشمال في مسافتين متساويتين ثم انعكستا عن مرآتين وعادتا الى بؤرة واحدة فلا بد ان تعود الشعاعة الشمالية قبل الشعاعة الشرقية. واعد ميكلسن جهازاً دقيقاً مضبوطاً وكافلاً للحصول على هذه النتيجة التي يستطيع بها ان يعلم مقدار سرعة الارض بالنسبة الى الاثير الذي يظن انه ساكن. ولكن نتيجة تجربته جاءت مخالفة للمنتظر. فان الشعاعتين عادتتا في وقت واحد كما لو كانت الارض ساكنة. ولكن الارض تدور حول الشمس بسرعة ٣٠ كيلو متراً في الثانية وهي سرعة كافية لان تجعل ميعاد عودة الشعاعتين مختلفاً ولا سيما لان الجهاز كان دقيقاً جداً يضبط ما هو ادق من هذا

تخير ميكلسن وسائر اهل العلم في عدم حدوث هذا الاختلاف المنتظر. وحاولوا ان يجدوا له تعليلاً. فما توفقوا الى تعليل مقنع ، الى ان قام فتزجركل وزعم ان الارض (وكل

(١) وقد ورد الاثير في كتاب ابي الريحان البيروني الخوارزمي من خيوى منذ القرن الرابع للهجرة بلفظ الاثير (بتقديم الياء على الشاء) بمعنى الجلد او الفضاء. وهي معرب اللفظة اليونانية التي اوردها علماء اليونان القدماء بالمعنى نفسه

جسم عايتها وجهاز ميكافن نفسه) تتقلص في اتجاه سرعتها بقدر الفرق بين رحلتى الشعاعتين بحيث تعود الشعاعتان في وقت واحد . ثم قام لورنتز واستخرج بعملية رياضية مقدار هذا التقلص فكان هكذا :

$$\frac{\bar{m}}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} = m$$

وهنا (م) ترمز الى مسافة رحلة الشعاعة الشرقية و (م̄) الى مسافة رحلة الشعاعة الشمالية و(ن) الى سرعة النور و (س) الى سرعة الارض . ومعنى ذلك ان الارض تتقلص الى ان تصير بقدر هذه العبارة

$$\frac{1}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}$$

واعتبر اينشتين هذا التقلص سنة طبيعية وجعله قاعدة لمبدأ النسبية فبنى عليه كل مباحثه فيها. وقد قرأت عن عملية ميكافن هذه في بضعة مؤلفات عن النسبية ، لأنه ما من مؤلف خلا منها . ولكني لم اجد في واحد منها تفسيراً لسبب هذا التقلص . ولذلك كان يابوح في ضميري هذا السؤال : ما هي علاقة سرعة النور بسرعة الاجسام حتى توجد بين الفريقين هذه النسبة. ولما قرأت كتاب ادنجنتن «طبيعة العالم المادي» The Nature of the Physical World عثرت في الصفحة الرابعة منه على تفسير سبب التقلص واليك محصله : —

« ان بين الذرات (Atoms) مسافات بعيدة جداً (بالنسبة الى احجامها) ولكنها متساوية البعد . والذرات تحافظ على هذا التباعد المحدود فيما بينها ، وعلى الحيز الذي تتحرك فيه . تحافظ على ذلك بتفاعل كهربائي فيما بينها ، منه قوا جاذبة ، ومنه حركات (قوات) اخرى مختلفة تحاول ان تبعد الذرات بعضها عن بعض . وكلتا الطائفتين من القوات متوازنتان بحيث يبقى حيز الذرية في سعة محدودة ويبقى بعده عن غيره في مسافة محدودة ايضاً . ذلك على افتراض ان الذرية ساكنة . ولكن متى كانت متحركة (او متى شرعت تتسارع بحركتها ، اي تمجل) تتغير القوات الكهربائية التي كانت تقيد بها بالمسافات المحدودة فيما بينها لان تسارعها ينشئ امواجاً كهربائية مغناطيسية Electro-magnetic waves وهي نوع من القوات يختلف عن النوع الاول ، فيختل توازنها السابق وينشأ لها توازن جديد — اه

فترى من خوى كلام ادنجنتن ان سر المسألة في التيار الكهربائي المغناطيسي الذي انشأته سرعة الذرية او تسارعها . وهو مطابق للرأي العلمي الذي جرى عليه اينشتين وزملاؤه . وهو ان الذرية المسرعة تنشئ حولها جواً كهربائياً مغناطيسياً Electro-magnetic field وفي هذا الجو تتخذ الكهارب (Electrons) افلاكاً (Orbits) تدور فيها حول نواة

الذرية كما تدور السيارات حول الشمس في جاذبي Gravitational field — تدور بتأثير هذا الجو الذي يمنعها ان تشرد عن فلكها حول النواة . (انظر مطلع فصل الجاذبية في كتاب مبدأ النسبية لاينشتين) ولكن ادنجتن لم يفسر لنا سبب محافظة الذرات على تباعد محدود فيما بينها وعلى الحيز الذي تتحرك فيه بحيث لا يقعهم بعضها على حيز البعض الآخر

وفي ظن هذا العاجز ان السبب هو ان الكهارب تتدافع لانها ذات كهربائية من جنس واحد (سلبية) فكهرب الذريزة الواحدة تصدّ كهارب الذرية الاخرى فلا تدعها تتجاوز حدود جوها . وهكذا تبقى الذرات Atoms على مسافات محدودة فيما بينها

اذاً ، التقلص الذي هو بيت القصيد في بحثنا هذا يحدث في نفس الجو الكهربائي المغنطيسي في كل ذرية . اي ان هذا الجو نفسه يتقلص في اتجاه سير النواة ولا يتقلص في الاتجاه المعامد له . وقد تبجّر كاتب هذه السطور طويلا في هذه المسألة الى ان حل لغزها حلا طبيعيا وبرهنة رياضيا . فجاء البرهان مطابقا تمام المطابقة لمعادلة لورنتز الآنف ذكرها . وبهذا الحل نفس السؤال الذي سبق نصه : وهو : ما علاقة سرعة النور بسرعة الاجسام ؟

وقبل بسط البرهان الرياضي لا بد من شرح الحل الطبيعي فنقول : —

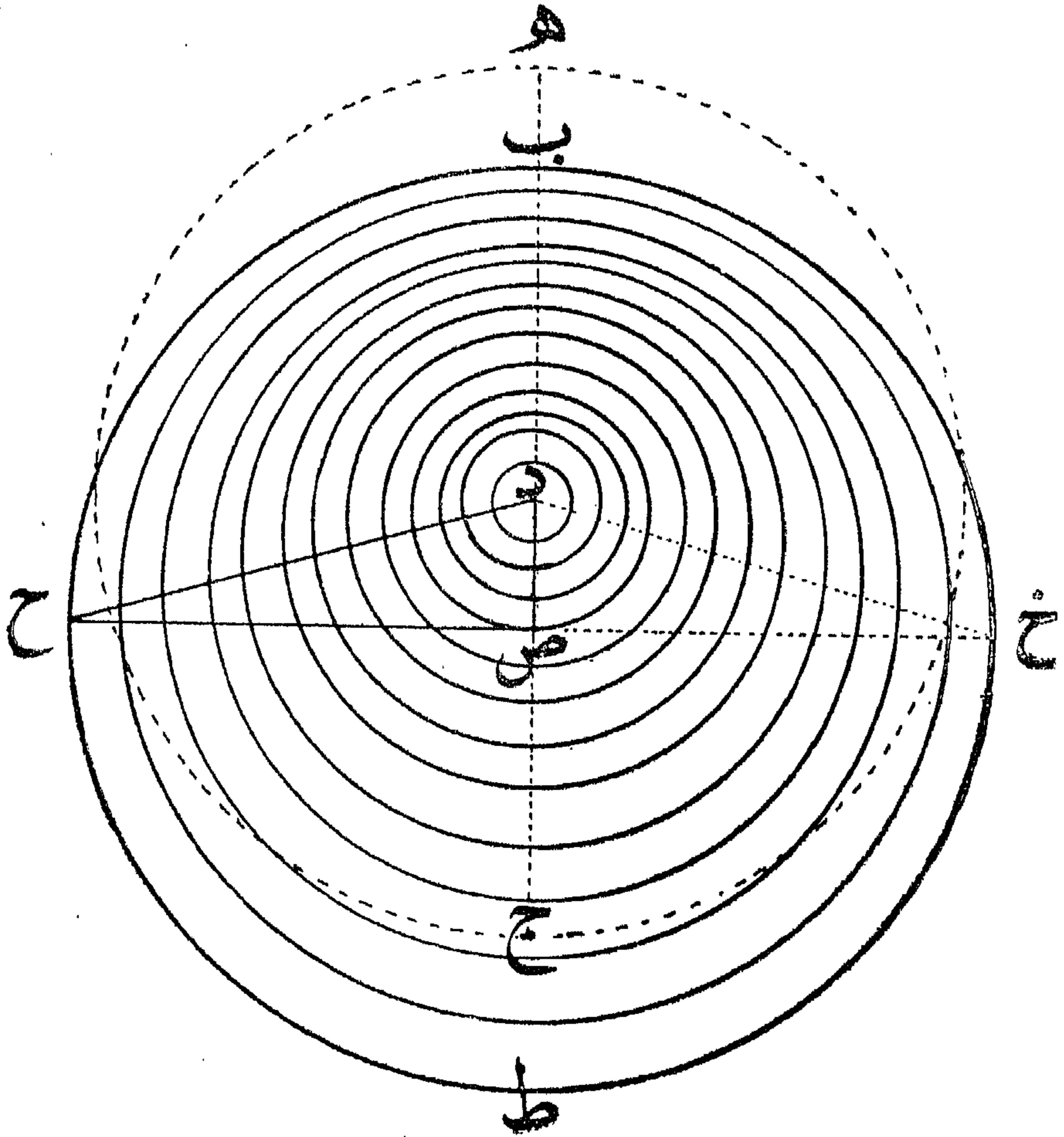
للنور سرعة ثابتة لا تتغير في زمان ولا في مكان وهي ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية . وكذلك لامواج الجو الكهربائي المغنطيسي سرعة ثابتة لا تتغير وهي $(10) \times 10^3$ سنتيمتر في الثانية اي عشرة مضروبة بنفسها عشر مرات ثم بثلاثة . والحاصل يساوي ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ سنتيمتر = ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر، وهي نفس سرعة النور

(ليس هذا التساوي بين سرعة النور وسرعة المواج الكهربائية المغنطيسية امراً بالمصادفة بل هو امر طبيعي . لانه ثبت ان النور ليس الا امواجاً كهربائية مغنطيسية)

ولما كانت سرعة امواج هذا الجو مساوية لسرعة النور فبالنتيجة المنطقية تكون النسبة بين سرعة النور وسرعة النواة كنفس النسبة بين سرعة امواج الجو الكهربائي المغنطيسي وسرعة النواة . فلندع النور ونبحث عن النسبة بين سرعة النواة وسرعة امواج جوها المذكور ولننظر كيف يظهر هذا الجو متقلصاً بسبب سير النواة فيه

لا يخفى ان اي نوع من الامواج (نور او كهرباء مغنطيسية او صوت او موجة ماء الخ) متى صدر لا تبقى لمصدره سلطة عليه البتة ، فتصبح الموجة مستقلة تمام الاستقلال عن مصدرها . فشعاع النور متى صدرت عن اي مصدر (الشمس او المصباح) تستقل عن الجسم المنير ولا تبقى له سلطة عليها . كذلك الموجة الكهربائية المغنطيسية الخ

تصور نواة الذرية سائرة بسرعة كسرعة الارض مثلاً فتصدر حولها امواجاً كهربائية مغنطيسية تسير بسرعة مساوية لسرعة النور (٣٠٠٠٠٠ كيلومتر بالثانية) وتصبح النواة على



الأثر ساجحة في هذه الأمواج ويصبح الكهرب الذي يدور في فلكه (دائره) حولها ساجحاً مثلها كما يصبح القمر حول الأرض في أثناء سيرها في الفضاء (حول الشمس)

تصور النواة سائرة وهي تصدر حولها موجة أثر موجة . فكلما خطت خطوة إلى الامام كانت أقرب إلى قوس الموجة التي امامها وابتعد عن قوسها التي ورائها . ولهذا السبب عينه تكون اقواس الأمواج الامامية متقاربة واقواسها الخلفية متباعدة ، كما ترى في الشكل . يمكن القارئ ان يمتحن صحة هذا الامر بعملية بسيطة . قف عند حافة بركة صغيرة ساكنة ولا ريح تحرك سطحها . وخذ قصبة وضع في جوف طرفها ماء وسدها بقطنه سدًا يؤذن للماء ان يقطر منها كل هنيهة قطرة على التوالي . ثم ابسط القصبة على مداها فوق البركة . فترى انه كلما سقطت قطرة منها إلى الماء احدثت موجة مستديرة تتسع رويداً . وترى الأمواج متوالية بعضها ضمن بعض . وترى ان السعة بين دوائرها متماثلة . واسكن حرك القصبة ببطء إلى يمينك فترى أن دوائر الأمواج إلى يمينك أقرب بعضها إلى بعض منها إلى شمالك

ولا يخفى عليك ان الجو الكهربائي المغنطيسي الذي نحن بصدد انما هو هذه الأمواج بعينها . وهو مشابه من كل قبيل للجو الجاذبي Gravitational field كما زعم فرادي وجاراه اينشتين وسائر علماء هذا العصر ولذلك تضعف قوة (جذب) هذا الجو بنسبة مربع البعد فيه عن النواة

أذاً ، لانهاية لهذا الجو من الوجهة النظرية وانما فلك (Orbit) الكهرب الذي يرسم فيه يعتبر حدًا لحجم الذريرة . فاذا قلنا «الذريرة» (Atom) عيننا النواة والجو الكهربائي المغنطيسي الذي تصدره والمحيط الذي يدور فيه الكهرب . وبُعْد هذا المحيط عن النواة يكون بقدر فعل الجو على الكهرب (يضاف اليه فعل قوى اخرى خارجية قد تطرأ على الذريرة — وللسير تجايمس تيجنز بحثٌ ضاف بهذا الموضوع في كتابه «الكون حولنا») بعد هذا البيان نتخذ ذريرة الهيدروجين مثلاً تسهيلاً للشرح لانها تحتوي على كهرب واحد، فهي ابسط الذريرات

الرسم يمثل تمثيلاً خيالياً دوائر الأمواج الكهربائية المغنطيسية (واذا صورتها كروياً امكنك تصور الأمواج كروية ايضاً) منذ صدرت الموجة الاولى حين كانت النواة عند (ص) إلى ان وصلت إلى (ل) . ويمثل النسبة بين سرعة الأمواج المذكورة وسرعة النواة قليلة جداً . وهي بالحقيقة اضعاف ذلك الوف المرات . فهي في النواة الارضية كنسبة ٣٠ إلى ٣٠٠ الف . ولا يمكن تمثيل الحقيقة بالرسم بسبب هذا التباين العظيم بين سرعتين

كانت النواة عند (ص) . ففي مدة معينة (قل مثلاً جزء من الف من الثانية) سارت إلى (د) وفي خلال ذلك صدرت منها عدة امواج . ولما كانت النواة عند (ص) صدرت الموجة الاولى منها

وفي مدة انتقالها الى (د) وصلت قوس الموجة الاولى الى (ب) امامها والقوس المقابلة لها الى (ط) ورائها

ولا يخفى ان كل موجة تتبعها موجة اخرى كلما خطت النواة خطوة . فامام النواة ووراءها صفوف موجات تكاد تكون غير متناهية . ولنفرض ان فلك الكهرب يحيط بقدر من الجو الكهربائي متوازن القوى حول النواة . فنود ان نعرف هل طول قطره الموازي لخط اتجاه النواة مساوٍ لطول قطره المعامد له ؟ هل $b = c$ ؟ والافأيهما اطول وهذه قضيتنا التي نحلها فيما يلي حلاً رياضياً

اذا رمزنا عن سرعة النواة بحرف (س) ، وعن سرعة الامواج الكهربائية المغنطيسية بحرف (ن) ، وعن المدة بحرف (ق) ، وعن المسافة بحرف (م) ، امكننا ان نستخرج طول القطر (الشعاعين Radii 2) الموازي لخط اتجاه النواة . ولا يخفى انه لما كانت الموجة الاولى سائرة الى الامام كانت النواة سائرة ورائها فتقصر المسافة بينهما . ولذلك تطرح سرعة هذه من سرعة تلك في قياس الشعاع Radius الامامي (نصف القطر) . وكذلك لما كانت الموجة الخلفية منطلقة الى الوراء كانت النواة تبتعد عنها فتطيل المسافة بينهما . ولذلك لا بد من اضافة سرعة هذه الى تلك في قياس الشعاع (نصف القطر) الخلفي . اذاً طول القطر الموازي لاتجاه سرعة النواة يُعبر عنه بهذه المعادلة

$$c = \frac{m}{n - s} + \frac{m}{n + s} \text{ بالجمع } = \frac{m + m - n + n}{(n + s) \times (n - s)} =$$

$$\text{اذن } n - c = \frac{n^2 - m^2}{2n} \text{ طول القطر الطولي كله}$$

$$\text{ونصفها : طول الشعاع فقط } = \frac{n^2 - m^2}{2n} \text{ معادلة اولى}$$

علينا الآن ان نبين نسبة هذا القطر الطولي المجاري لاتجاه سير النواة الى القطر العرضي المعامد له ح ح

لما شرعت النواة تسير من (ص) الى (د) صدرت الموجة الاولى منها متجهة الى (ح) و(الى ح) ايضاً) وكلما انتقلت (ص) خطوة الى الامام تصدر منها موجة الى جهة ح (وح) وهكذا على التوالي الى ان وصلت الى (د) فكانت الموجة الاولى قد وصلت الى ح (وح) والموجة الاخيرة لا تزال حول (د) والامواج التي توالى بينهما متتابعة بينهما كما يمثلها الرسم كلها في مدة الرحلة . فاذا رسمت خطاً من الموجة الاخيرة عند (د) الى حيث صارت الموجة الاولى عند (ح) كان لك الخط (دح) او (دح) يمر في عدد من الامواج اكثر من عدد الامواج التي يمر بها الشعاع (صع) او (ص ع) . وتري اذاً ان الخط (دح) هو وتر مثلث قائم الزاوية مربعه يساوي مجموع مربعي

الضلعين (ص د) و (ص ح) حسب هندسة اقليدس

ولا يخفى ان مسافة الخط (ص د) = سرعة النبوة مضروبة بالوقت ^(١) (المدة) = (س ق)

ومسافة وتر المثلث (دح) تساوي سرعة الامواج المتتابة مضروبة بالوقت = (ن ق)

و (ص ح) هي طول نصف القطر المجهولة قيمته فنعتبر عنها بحرف م

فلنا اذاً من هذا المثلث هذه المعادلة

$$(ن ق)^2 = (س ق)^2 + م^2 \quad \text{او} \quad (ن ق)^2 = (س ق)^2 - م^2$$

$$\text{اي} \quad ق^2 = (ن^2 - س^2) م^2$$

$$\text{فاذاً} \quad ق^2 = \frac{ن^2 م^2}{ن^2 - س^2} \quad \text{وبالتجذير} \quad ق = \frac{ن م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} \quad \text{معادلة ثانية}$$

في كلتا المعادلتين (ق = ق) اي ان انتشار الامواج الى الامام والوراء والى الجانبين كان في مدة واحدة. اذاً المعادلة الاولى تساوي المعادلة الثانية هكذا : —

$$\frac{ن م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} = \frac{ن م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} \quad \text{نضرب المعادلة بقيمة} \quad \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}}$$

$$\text{فلنا :} \quad م = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}}$$

نقسم الصورة والمخرج (بالاصطلاح المصري البسط والمقام) على (ن) فلا تختل المعادلة

$$\text{فلنا} \quad م = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}} \quad \text{او} \quad \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}} = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}} \quad \text{او} \quad \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}} = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}}$$

وهي عبارته لورنتز بعينها

يستفاد مما تقدم انه في اثناء سير الذريرة الى الامام يكون محيط الجو الكهربائي المغنطيسي

غير تام الاستدارة بل يكون قطره (ب ج) الموازي لاتجاه سير الذريرة اقصر من قطره ح ح

المعامد له فهو في الدائرة ب ح ح وليس في ب ع ط ح ولا في ه ح ج ح

واذا كانت الذريرة تتقلص في اتجاه خط سيرها على هذا النحو والذريرات تحافظ على ابعاد

مقررة فيما بينها فلا بد ان يعم هذا التقلص الجسم كله في اتجاه خط مسيره . ومقدار تقلصه

يساوي مجموع تقلص صنف من الذريرات مواز لاتجاه مسيره

بقيت حكاية الاثير وماذا جرى له بعد تجربة ميكلسن فلها فصل آخر

نقولاً الحداد

شبرا

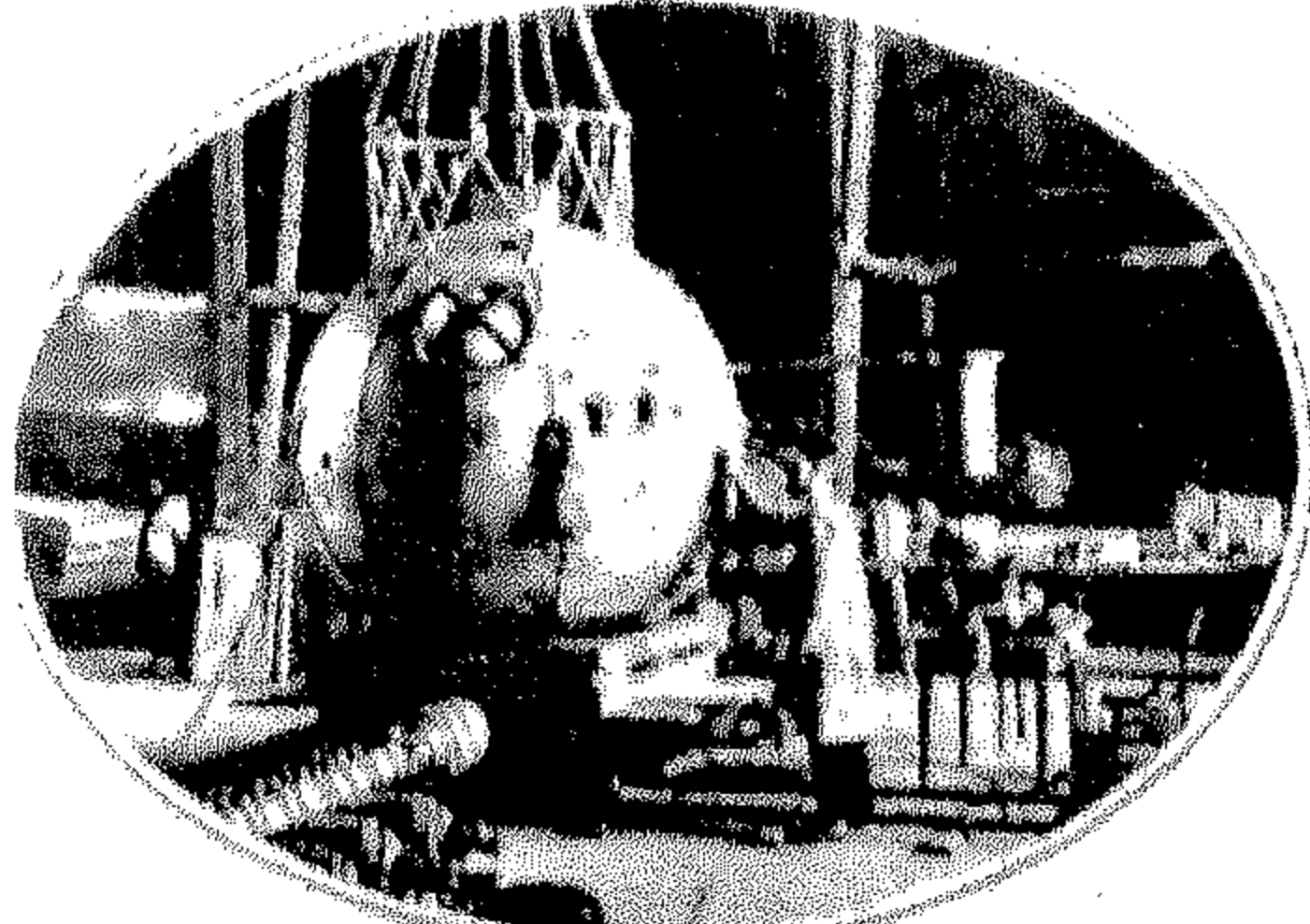
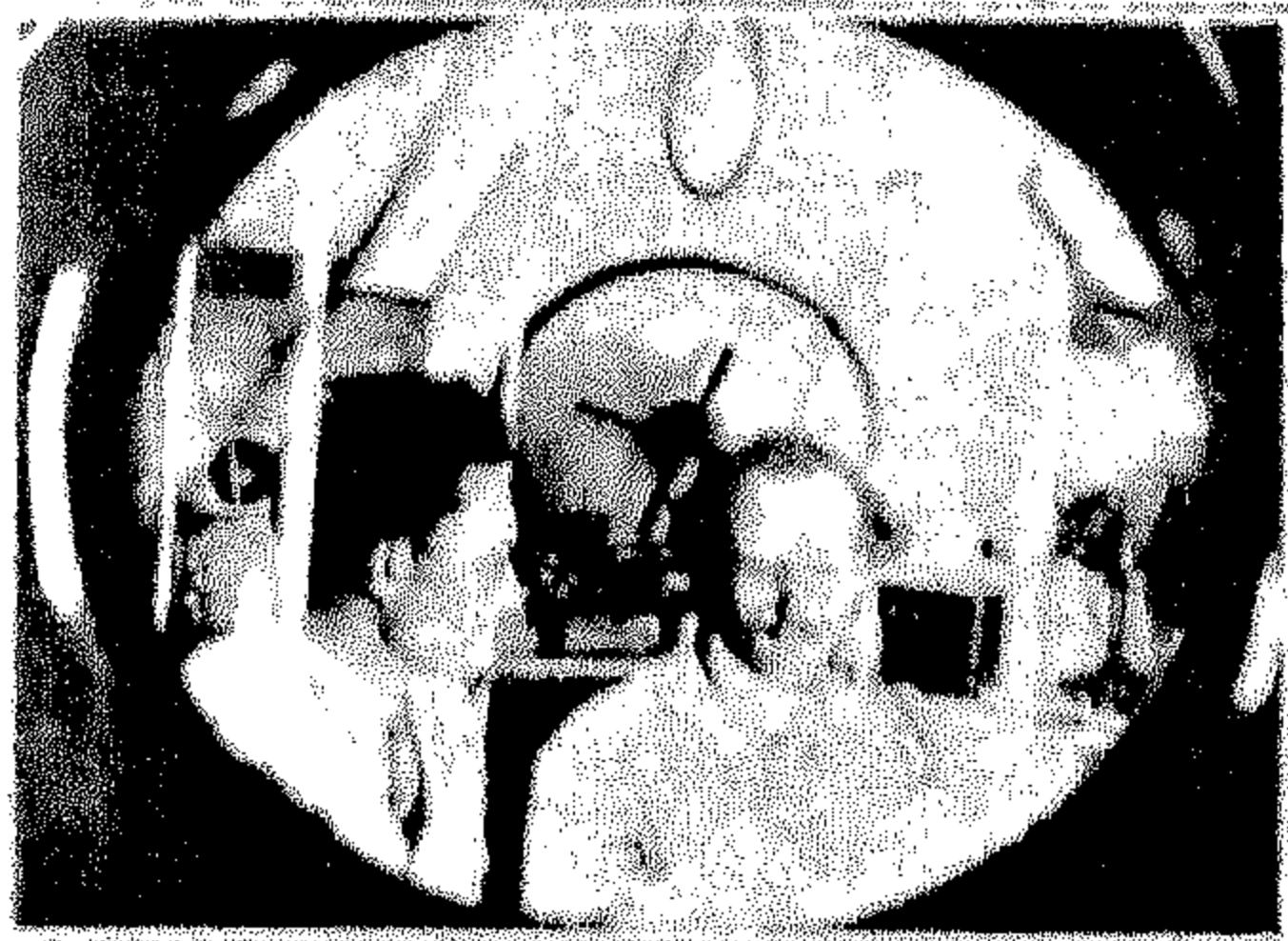
(١) حسب قاعدة الطبيعيات المسافة = معدل السرعة مضروباً بالوقت م = س ق

حرقة

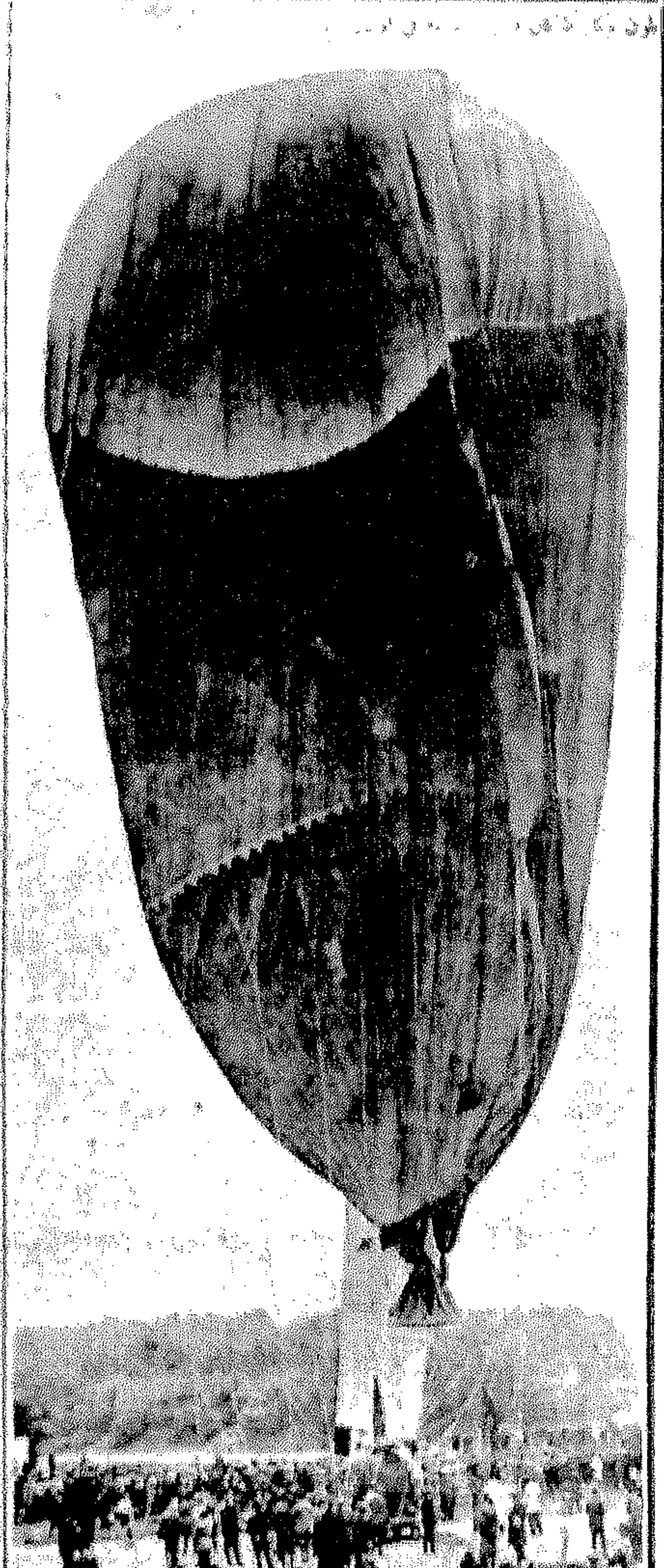
لا تَرُعْ قلبي العبيد إذا ضجَّ أو قلقُ
 لا تَسَلْ عن شكاته دَعِهْ بالله وانطلقْ
 لا تَظُنَّ ما به أثر الأَهِوِ والحُمُقْ
 أيَّ قلبٍ كمثل قلبي الفتي فاته النَزَقْ
 أدَبَتْهُ الحياةُ طَا رَغِيَةً فَظَّةَ الخُلُقْ
 وقديماً أَتَتْهُ تَفَنُّرٌ عن ثَغْرِ ائْتَلَقْ
 أضْحَكْتُهُ الضحى لِشُحْنَسِينَ إِبْكَاءُهُ الفَسَقْ

باريس

بشمر فارسي

[illegible]

SECRET



حقائق مصورة تمثل نواحي من تخليق الاستاذ بيكار Piccard الى ارتفاع عشرة اميال
فوق سطح البحر في ١٧ مايو سنة ١٩٣١

ارتداد طبقات الهواء

رحلة بيكار الثانية - بلون رجندر المحلق

الهواء في نظر اهل العلم طبقات اقربها الى الارض طبقة تعرف بالترپوسفير اي المحيطة بالارض واقصى ارتفاعها نحو عشرة كيلو مترات (او $6\frac{1}{2}$ ميل) وتليها طبقة (الستراتوسفير في هذه الطبقة تتكون الغيوم Cirrus وقد دماها العرب الطخارير جمع طخور فرأينا ان نطلق على طبقة الستراتوسفير اسم الطبقة الطخورية من قبيل تسمية الشيء باسم جزء منه) واقصى علوها نحو ٣٠ كيلو متراً (او $18\frac{3}{4}$ الميل) ثم على ارتفاع خمسين كيلو متراً توجد (نهارة) طبقة كنلي هيفيسند وهي التي يفسر بها العلماء انتقال الامواج اللاسلكية حول الارض بانعكاسها بين سطح الارض وباطن هذه الطبقة . والمرجح ان الجو وراء هذا الحد فراغ تقريباً كما يستدل من ظهور اضواء الشفق . ولكن هنالك من يذهب الى ان نيازك شوهدت على هذا الارتفاع مما يدل على ان كثافة الهواء كافية لاجداث احتكاك يشعل هذه الرجم المنطلقة في الفضاء ويرى السر جيمز جينز ان آثار الهواء تمتد الى ابعد من ذلك فوق سطح الارض . وقد قيست درجة الحرارة في الطبقتين المحيطة والطخورية فهي واطئة جداً ثم ترتفع . واما حرارة الطبقات العليا فلا يعرف عنها شيء مؤكد

اما رفع جسم وزنه ثلث طن الى علو ١٦ الف متر او اكثر بواسطة بلون فليس امراً متعذراً لان من شاء ان ينفق في سبيل غرضه كل ما يجب انفاقه يفوز ببغيته . أما إعداد بلون للارتفاع برجلين اثنين وادواتهما العلمية الى هذا العلو ، ثم تمهيد سبيل التنفس لهما والدفع والبحث العلمي والرجوع الى سطح الارض ، فأمر آخر . والاستاذ بيكار جدير بكل ثناء وعجاب لتحقيق ذلك كما اثبت في رحلتيه

فالبلون كيس يحتوي على ٢٨٠٠ متر مكعب من غاز الايدروجين على سطح الارض وهو خمس حجمه اذا بلغ اقصى انتفاخه . فاذا صار على ارتفاع ٥٦٠٠ متر قل ضغط الهواء على خارج غلافه فيتمدد الغاز داخله ويزيد حجمه الى ٥٦٠٠ متر مكعب وهو خمساً حجمه الصحيح فاذا بلغ ارتفاع ١٠ آلاف متر قل ضغط الهواء كذلك فيتمدد الغاز ويصبح حجم البلون ١٠٠٠٠ متر مكعب ثم اذا صار على ارتفاع ١٥ الف متر بلغ البلون اقصى انتفاخه وصار حجم الغاز فيه ١٤ الف متر مكعب . ويكون البلون وهو على سطح الارض كمثري الشكل ثم يزداد كروية رويداً رويداً الى ان يصير كرة كاملة على ارتفاع نحو ١٥ الف متر

اما الكرة التي جلس فيها بيكار مع معاونيه فمصنوعة من خليط من الالومنيوم والقصدير قطرها

متران ومعلقة بالبالون بحبال متينة . والهواء داخلها يحدد بواسطة أكسجين نقي يخرج خروجاً منتظماً من اسطوانتين خاصتين تحتويان عليه وكل منهما تحتوي على مقدار منه يكفي لحفظ هواء الغرفة طبيعياً مدى ثماني ساعات . وقد عمدا الى ذلك لان الكرة مقفلة اقللاً محكماً . فالهواء على الارتفاع الذي كان الاستاذ بيكار ينبغي ان يصل اليه لطيف جداً لا يستطيع الانسان ان يتنفس فيه . والحرارة واطئة لا يحتملها الجسم البشري . واذاً فيجب ان نحيط العالم المحلق بجو كالجو الذي اعتاده . وكانت الكرة تحوي كذلك ادوات علمية كثيرة لقياس قوة الاشعة الكونية والحرارة والضوء وبخار الماء في الطبقة الطخروية وغاز الحامض الكربونيك وغير ذلك من المسائل التي يتوق العلماء الى معرفتها . ويظهر انه في رحلته الثانية وجهه جل عنايته الى قياس قوة الاشعة الكونية

غرض الرحلة العلمي

مضى الآن بضع سنوات وعلماء الطبيعة معنيون بدرس نوع جديد من الاشعة تعرف آنأ باشعة ميلكن وآنأ باشعة هس وآنأ بالاشعة التي وراء اشعة غما وآنأ بالاشعة الكونية وهو اشهر اسمائها نسبة الى مصدرها في فضاء الكون الرحيب . وليس هذا مجال البحث في هذه الاشعة ^(١) فنكتفي بان ننقل عن الاستاذ بيكار نفسه الباعث الذي يجعل قياس هذه الاشعة على مرتفعات عظيمة امراً جديراً بعناية العلماء

فالمشهور ان الغازات في حالتها الطبيعية لا توصل الكهرباء كما توصلها الاسلاك المعدنية اي انه لا يسهل على الكهرباء اجتياز مقدار من الغاز كما يسهل عليها اجتياز قطعة من النحاس . ولكن اذا صوبت بعض الاشعة الى الغاز الذي لا يوصل الكهرباء اصبح موصلاً كهربائياً ضعيفاً . ومن هذه الاشعة الاشعة التي وراء البنفسجي ، والاشعة السينية (اشعة رنتجن) ، والاشعة السالبة (الالكترونات) والاشعة المنطلقة من العناصر المشعة . ويعلم ذلك بان الاشعة تفصل من ذرات الغاز بعض كهاربها (الالكترونات) فيصبح الجزء الباقي من الذرة وشحنته الكهربائية شحنة موجبة (كانت الشحنة الكهربائية الموجبة والشحنة السالبة متعادلتين فلما نقص كهرب من الذرة اصبحت شحنة الجزء الباقي منها موجبة) وهو يعرف « بالأيون » والفعل « أيّسن وتأيّسن تعريباً » . اما الكهارب المنفصلة فتصطدم بذرات كاملة وتلتصق ببعضها فتصبح الذرة التي التصق بها كهرب شارد وشحنتها الكهربائية شحنة سالبة (زيادة الكهرب ذي الشحنة السالبة) فهي « أيون » كذلك . وهذا يجعل الغاز موصلاً للكهربائية لشدة حركة الدقائق الكهربائية التي فيه . ومع ذلك فالغازات « المؤينة » اضعف جداً من الفلزات في اقبال الكهربائية

ولدى البحث وجد اننا اذا ازلنا من المنطقة المحيطة بغاز من الغازات كل مصدر من

مصادر الأشعة التي «تؤينته» ظل موصلاً ضعيفاً للكهربائية فيتولد فيه في السنتيمتر المكعب «ايون» واحد أو «ايونان» في الثانية. ولكن اذا انزل الوعاء المحتوي على هذا الغاز الى عمق مائة متر من الماء النقي من شوائب المواد المشعة) وهي التجارب التي قام بها هس في المانيا وملكن في اميركا) اصبح الغاز لا يوصل الكهرباء على الاطلاق. اي انقطع تولد الايونات فيه وعلى الضد من ذلك اذا رفع الوعاء المحتوي على الغاز الى علو ٩ آلاف قدم فوق سطح البحر زادت قوته على ايصال الكهرباء اي زاد تولد «الايونات» فيه.

واذا فثمة اشعة تصل الى سطح الارض من مصدر مجهول تفعل في هذا الغاز «فتؤينه» وتجعله صالحاً لا يوصل الكهرباء بعض الايصال. هذه الاشعة اطلق عليها اسم «الاشعة الكونية» ونحن لا يصلنا الا جانب ضئيل منها لان الهواء يمتص الجانب الآخر.

وقد دلت المباحث على ان هذه الاشعة اشد نفوذاً من اشعة الراديوم. فلوح من الرصاص ثخانتة سنتيمتر ونصف سنتيمتر يضعف اشعة غمماً — اذا نفذته — الى نصف قوتها. واما الاشعة الكونية فتحتاج الى لوح من الرصاص ثخانتة ١٥ سنتيمتراً ليضعفها الى نصف قوتها واكثر هذه الاشعة يحتاج الى لوح رصاصي ثخانتة متر ونصف متر ليفعل فيه الفعل نفسه.

ثم هنالك الناحية النظرية الفلسفية. كيف تتولد هذه الاشعة. ومن اين تجيء. هل هي كما يقول ملكن انباء من رحاب الكون بأن العناصر الثقيلة تتكون في الفضاء من ذرات الايدروجين وانه في اثناء تكونها يفنى جانب ضئيل من الايدروجين (راجع المقال الاول في هذا الجزء من المقتطف) فيتحول الى اشعاع شديد النفوذ؟ او هي كما يقول معارضوه — الفيلسوف جينز وغيره — نتيجة لفناء المادة بتحولها الى اشعاع؟

ولما كان الهواء يمتص جانباً كبيراً من هذه الاشعة فلا يصل الى الارض الا اليسير منها جعل الاستاذ بيكار غرضه قياس قوتها على مرتفع قريب من سطح الغلاف الهوائي. وعند العلو الذي بلغه في رحلته الثانية (١٦٥٠٠ متر فوق سطح البحر) يبلغ ضغط الهواء على الزئبق $\frac{1}{3}$ من ضغطه على سطح الارض اي ان مقدار الهواء تحته كان تسعة اعشار الهواء وفوقه عشر فقط وقد توسل الاستاذ ريجنر Erich Regener الالماني الى تحقيق الغرض نفسه بارسال بلون لا يحتوي الا على آلات تدون من تلقاء نفسها قوة الاشعة الكونية في فترات منتظمة فبلغ بلونه هذا — في ١٣ اغسطس الماضي ^(١) الى ارتفاع نحو ٣٦ كيلو متراً او $\frac{1}{4}$ ١٧ الميل (في حين ان اعلى ما بلغ اليه الاستاذ بيكار عشرة اميال ونصف ميل). وبعد ما ظل البلون محلقاً بضع ساعات نزل الى الارض في حراج فلز هيتم قرب مدينة ستغرات. ومن اغرب النتائج التي اسفر عنها البحث في الواحه الفوتوغرافية المدونة ان قوة الاشعة الكونية تزيد زيادة مطردة الى نحو علو ١٣ كيلو متراً ثم تنقص. ولكن هذه النتيجة تحتاج الى تأييد

(١) كانت رحلة بيكار الاولى في ٢٧ مايو ١٩٣١ والثانية في ١٨ اغسطس ١٩٣٢

نشأة المسرح الاغريقي

او العناصر التمثيلية الاولى عند الاغريق قبل القرن الخامس ق . م .

بقلم الدكتور علي عبد الواحد وافي (١)

لم يصل التمثيل عند الاغريق الى درجة النضوج والكمال التي بلغها في العصر الاتيكي (٥٠٠-٣٠٠ ق . م.) الا بعد ان قضى عهد طفولته الاولى في العصور السابقة وفي حضارة الدين اليوناني الذي تمخض عنه ، وتعهده حتى نما وترعرع ، وأبى الا ان يلازمه ملازمة الام الرءوم في كل اطوار حياته . فقد جرت عادة الاغريق ، منذ اقدم عصورهم ، ان يقيموا حفلات دينية لآلهتهم يحرصون فيها كل الحرص على اظهار تأثيرهم بما ملأ حياة هذه الآلهة من خطوب ، فيفرحون بما نالهم من نعيم ويحزنون لما اصابهم من شقاء . وأمثلة طريق تخيلوها لاظهار مايسرهم او يحزنهم من حياة هذه الآلهة وما عرض لهم فيها انما هي محاكاتهم اياهم محاكاة مصحوبة بأغنيات تروي قصصهم وتفصل جليل اعمالهم وحقيرها . وبذلك تحقق قبل العصر الاتيكي ، بفضل هذه الاعياد الدينية عنصران كبيران من عناصر التمثيل : المحاكاة وإثارة العاطفة

اشرب اليونان في قلوبهم حب هذه الاعياد ووجه نحوها أكبر قسط من عنايتهم ، وخاصة في المدن المقدسة حيث مقر كبار الآلهة وشهيري المعابد كقريط وديلوس ودلف وما اليها من الاماكن التي حبتها الاساطير بضياء ديني رفع من مكانتها وميزها بين سائر بلاد الاغريق . حفلات دلف مثلاً ، كما وصفها لنا فلوطرخس ، كانت تشتمل على حلقات تمثيلية طويلة متعددة الفصول قريبة الشبه بالتمثيل التراجيدي^(٢) ، لولا ما كان يعوز فصولها من التناسق وإحكام ربطها بعضها ببعض . كانت الاساطير تحدث اليونان مثلاً بأن « أبيلون » (إله الوحي ، والطب ، والموسيقى ، والماشية ، والنهار والشمس) لما وصل الى دلف قتل تنيناً بريئاً^(٣) رمياً بالسهم ، وبعد ان تلوثت يدها بهذه الجريمة ذهب الى وادي « تمي » ليتطهر من خطيئته ، ثم رجع الى دلف . . . الى آخر ما جاء في هذه الخرافة . فكانوا ينتهزون فرصة حلول عيد « السبتيون » الذي كانوا يقيمونه لأبلون فيمثلون معركته مع الحية والحوادث التي نجمت عنها . وفي العيد المسمى « الهرواس » الذي كانوا يقيمونه « لسيميلية »

(١) ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة باريس ، استاذ التربية بدار العلوم العليا ، والاخلاق بقسم التخصص بالازهر ، وتاريخ الادب المسرحي بقاعة المحاضرات التمثيلية (٢) الرواية الفاجعة ، الحزنة ، المأساة (٣) Python وتعرف هذه الحية في السودان بالاصلة عن معجم الحيوان

محبوبة المشتري (الآله جوبيتر او زفس، ابو الآلهة ورئيسهم، إله الارض والسماء والفصول والصواعق والسحاب والرعد . . .) وأم الآله « باخوس »، كانوا يمثلون ما تقصيه عليهم الخرافات من الامور المتعلقة بهيام المشتري بسيميلية وبموتها مصعوقة وبنشوء جنينها باخوس . وكان ثمة ، غير هذين العيدين ، أعياد كثيرة يضيق بنا المقام عن حصرها بعضها محلي قاصر على اهل مدينة خاصة ، وبعضها عمومي تشترك فيه مقاطعة أو أكثر من المقاطعات الاغريقية وقد شاطر الآلهة في هذا التقديس كثير من ابطال اليونان الاول الذين جاء ذكرهم في قصائد هوميروس والذين اكتسبوا على تقادم الزمن صفات قربتهم من الآلهة دون ان تفصلهم فصلاً تاماً عن البشر . فكانت كل مدينة ينتسب اليها بطل من هؤلاء الابطال تقيم له أعياداً شبيهة بالحفلات التي كانت تقام للآلهة انفسهم ، تمثل فيها حياته ويتغنى فيها بأقاصيص حروبه وانتصاراته واعماله الجليلة وما كان له من فضل على المقاطعة المختلفة بذكره . وقد كان لهذه الاعياد الوطنية في نشأة التمثيل أثر لا يقل عن أثر الاعياد الدينية

غير ان إلهين اثنين قد أثرت اعيادهما في نشأة المسرح الاغريقي تأثيراً خاصاً لما كانت تشتمل عليه هذه الاعياد من محاكاة في حياتهما الحافلة بكثير من الحوادث المحزنة والسارة ولما كانت تثيره هذه المحاكاة في نفس الشعب من مختلف الانفعالات والعواطف من هيام ورعب وحزن وسرور وقسوة وحنان وابتهاج الظفر ومرارة الاخفاق وما الى ذلك من حركات الوجدان التي تعتبر إثارتها كما اشرنا الى ذلك فيما سبق ، عنصراً كبيراً من عناصر التمثيل ، وهذان الإلهان هما : « ديميتير » Demeter و « ديونيزوس » Dionysos

١ - أما « ديميتير » فهي إلهة الارض وقوى الطبيعة المنتجة ، تروى الاساطير أن « هاديس » (ملك جهنم وإله الموت) ، قد خطف بنتها « كورتي » فأثار ذلك شجونها ، وآلت ألا يهدأ لها مضجع أو تعثر عليها ، فطفقت تبحث عنها مبليلة الخاطر ، فارغة الفؤاد ، تتقاذفها الطرق ، وتتبادلها الاصقاع ، كأنها موكلة بفضاء الارض تذرعه ، حتى ألقت عصاها بمدينة « اليزيس » الواقعة في الشمال الغربي من أثينا ، حيث استقبلها ملكها « تريبتوليم » استقبالاً باهراً ، حفظته له ، وكافأته عليه بأن علمته فن الزراعة . . . إلى آخر ما جاء في هذه الاسطورة . فكانت تمثل في أعيادها كل هذه الحلقات الالهية التي تألفت منها سلسلة حياتها ، وتسرد قصصها في أشعار غنائية لا يسع سامعها إلا مشاطرة هذه الامم البائسة آلامها ، ومقاسمتها قلقها وبليلة خاطرها في أثناء بحثها الهائج العميق ، والحقد على ذلك الإله القاسي الذي حرماها فلذة كبدها وصيرها إلى تلك الحال ، والسرور عندما يظهر في ظلمات حياتها وميض أمنية أو بارقة أمل . هذا إلى أن من ذلك التمثيل ومن هذه الأغنيات كانت تظهر صور مختلفة للطبيعة وما ينالها في فصول السنة على اختلافها من نضرة وبهجة حيناً ومن ذوى

وذبول حيناً آخر . وبذلك كانت تتمزج في نفوس الرائيين والسامعين عاطفة الاجلال لنواميس الطبيعة ونظمها والاذعان لما تشاؤه مع انفعالات الاضطراب والاسى ، — والهدوء والسرور... التي تثيرها قصة ديميتير نفسها . ومن خلال هذا كله تنبثق معان فلسفية وتعاليم دينية تتعلق بالانسان ومصيره وضعفه أمام قوة القضاء

٢ — ولكن هذه العبادة ، على ما فيها من جلال وجمال وفضل على التمثيل ، لم تبلغ الشأو الذي بلغته في هذه النواحي عبادة ديونيزوس

تروى الاساطير أن ديونيزوس (إله الخمر) ، قد ماتت امه سيميلية ولما تتم مدة حملها ، بصاعقة أرسلها عليها حبيبها المشتري (جوبيتر او زفس) حين طلبت إليه أن يريها كل مظاهر قدرته ، وحينئذ انتقل الجنين ديونيزوس إلى نخذ والده حيث قضى بقية مدة الحمل ، فوضع بجبل « نيزا » حيث تولته الآلهة المسماة العذارى (Nymphs) ، ثم تعلم فن زراعة الكرم من الآله «سيلين» وينسب اليه ، فضلاً عن هذا ، عدة أمور لا تقل صفاتها التمثيلية عن حوادث حملها وولادته وتربيته الاولى ، منها أنه شخض الى الهند على رأس كتيبة حربية كملت أعمالها بالظفر ، ومنها أنه اشترك مع والده في الحروب التي أعلنتها آلهة المجمع الاولمي على الشياطين وانه قد ابدى في هذه الحروب شجاعة نادرة جعلت رئيس المجمع الاولمي يعجب به ويهنئه ويعتمد عليه ، ومنها انه قد اختطفه يوماً القرصان (لصوص البحر) ولكنه انتقم لنفسه منهم شر انتقام ، ومنها انه أحب « أريادن » بنت « مينوس » (أحد ملوك قريط الخرافيين) وأشربت حبه في قلبها ، ومنها انه كان لا يسير إلا مع رفاق فرحين يتألفون غالباً من « الساتير » (وهم في الطبقة الدنيا من طبقات الآلهة لهم قرنان صغيران وسوق كسوق المعز ووجه كوجه الانسان وقامة كقامته ، ويحملون بأيديهم غالباً مزماراً وتارة كأساً وآونة عصا « السيليين ») ومنها ان الملك « ليكورغوس » قد طرده هو ورفاقه احتقاراً لهم وظناً منه انهم لا حول لهم ولا قوة ، ولكنه قد طاش سهمه فقد اذاقه ديونيزوس كؤوس العذاب جزاءً له على فعلته الشنيعة (وهذه الاسطورة الاخيرة كانت منتشرة على الاخص بين اهل تراقية) وغير ذلك من الامور التي يضيق المقام عن حصرها . فاذا كان لأعياد ديميتير ما رأيت من الأثر في نشأة المسرح الاغريقي ، مع ان القصة التي كانت يتغنى بها في هذه الاعياد لا تشتمل إلا على عنصر واحد أو عنصرين : حزن الام على فقد بنتها وبلبله خاطرها اثناء بحثها عنها ، فماذا عسى ان يكون أثر اعياد ديونيزوس وقد اشتملت قصته على هذه المفاجآت العديدة التي تقدم ذكر بعضها والتي من شأنها ألا تدع قوة من القوى العاقلة حتى تستحجبها ولا مظهر من مظاهر الوجدان حتى تثيره ؟ !

يذهب اليوناني يوم عيد ديونيزوس ، يوم عيد الهة الذي يضم له الحب كله ويعرف له اياديه البيضاء على خصب حقله ونتاج كرمه ، يذهب الى المكان المعد لاقامة الاحتفال وقد

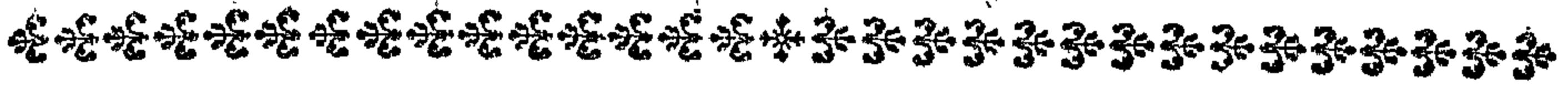
ملكته عليه عاطفته الدينية كل مشاعره وجعلته قابلاً لأن يتأثر بأدنى مؤثر ويشور لاقبل الاشياء إثارة ويطير لبه. لا ضعف صوت موسيقي، فيسمع الجوقة تغني قصة الآله المحتفل به، بادئة بحوادث حمله وما أصاب والدته المسكينة التي راحت ضحية حمقها وشكها في قدرة المشتري، فيتملكه حزن عميق لا ينقذه منه إلا عاطفة اشد وطأ: عاطفة القلق على مصير ذلك الجنين الذي صعبت أمه ولما تتم مدة حمله. وبينما هو في ذلك الاضطراب النفسي، إذ يقرع آذانه خبر انتقال ديونيزوس من بطن امه الى نخذ ابية فتهداً تأثرته ويشمله فرح مؤقت لا يلبث ان يختفي ليحل محله انزعاج آخر عند ما يصل المغنون في قصصهم الى حادثة خروجه، بعد ان تمت مدة حمله، من هذا الفخذ الوثير، الى قمة ذلك الجبل الموحش، حيث لا أم تتعده، ولا حاضنة تقوم بشئونه، ولا غذاء يقيم أوده، ثم تترك اسارير وجهه فرحاً عند ما يعلم ان الله قد قيض له « العذاري » واستبدله امهات بأم واحدة. وهكذا دواليك يظل قلبه ميداناً لشتى العواطف حتى يؤذن مؤذن ان قد انقضى العيد

هذا الى ان تلك الاغنيات كانت تتعرض لقوانين الطبيعة الخاضعة لها الكائنات الحية، ولا سيما ما يتعلق منها باعمال الاله ديونيزوس، فتتصف تتابع الفصول وآثارها على اشجار الكرم التي يمتها الشتاء، فتتيسر جذوعها وتذوي ثمرتها وتتساقط اوراقها، ثم يبعث الربيع فتسري فيها عناصر الحياة قليلاً قليلاً حتى تعود اليها نضرتها الاولى كاملة غير منقوصة. وبذلك كان يمتزج في نفوس السامعين والرائين نوعان من العواطف: عواطف الحزن والسرور، والاضطراب والهدوء، والخوف والطمأنينة... وعواطف الاجلال لسنن الطبيعة وإكبار أعمالها والاعتراف لها بالجميل

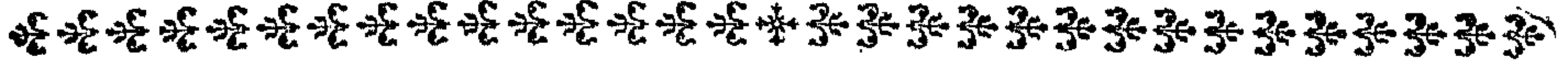
ومن هذه الاغنيات أيضاً كانت تظهر معان فلسفية دقيقة تمثل عمل الانسان وجهله اذ يحسب احياناً شقوة ما يكفل له الهناءة، ويسعى تارة الى حتفه بظلفه فيجلب على نفسه الوبال بالوسائل التي يخال انها تحقق له السعادة. فلم يكن اثر هذه الاعياد قاصراً على الوجدان والعاطفة بل كان يتعداها الى كثير من مظاهر التفكير

وكان يساعد على إظهار كل هذه العواطف والمعاني في نفوس المغنين وسامعيهم ما كانوا يلتجئون إليه من وسائل الاثارة الصناعية مستفيدين مما كان يبيحه الدين الاغريقي في اعياد ديونيزوس خاصة من الاغراق في المأكل والمشرب والاستمتاع بلذة الحياة المادية وكانوا يأكلون حتى التخمة ويشربون حتى التمل وتميد بهم النشوة فيرقصون

وقصاري القول: إن عبادة ديونيزوس كانت اضعف العبادات ثروة في العناصر التمثيلية، فلا غرو ان ينسب اليها أكبر قسط من الفضل في تمهيد الطريق أمام المسرح الاغريقي وإعداد النفوس لتذوقه، وأن تعتبر أجلاً فاتحة لتراجيديات العصر الاثيني



الله في الحياة



نتباين العلوم بمادتها ومقدماتها وبالمعاني التي تنتهي اليها رغم الاسلوب العلمي الذي يوحد بينها ورغم نزعتها الحادة الى الحقيقة الصرفة . فجلاء فكرة الله ليس وقفاً على علم دون آخر ولكل علم رسالة الخاصة في الله ووصفه الخاص لتلك الناحية من الله التي يتصل بها . فلا بد من العرض لجميع العلوم سعياً وراء تكوين فكرة نزيهة غير مشوهة عن رسالة العلم الحديث في الله وطبيعته وقد تناولنا في مقالين سابقين الوجهة الرئيسية من رسالة العلم الطبيعي في الله . وهي تتلخص في اثبات الحرية والابداع في اقصى تركيب الكون ، اي في تصرف الكائنات ، كما انها تعزو الى الله التفكير الرياضي الخالص لانها تدهش اذ تلمح الرياضيات متغلغلة في جميع ما طرقه العلم بعد من جوانب هذا الكون . واذا قرنا ان الرياضيات ترمز الى منتهى القدرية والضبط اوضح لنا ان الطبيعيات الحديثة تنتهي فيما يختص بالله الى اسناد صفتين في الظاهر متناقضتين اليه ، اعني صفة الحرية وصفة القدرية . اما كيف السبيل الى التوفيق بين هاتين الصفتين في نفس الرسالة الواحدة فلا اخال احداً يستطيع الآن التكهّن به . لكننا نعتقد ان هذا التناقض ظاهري اكثر منه حقيقي ، وزائل اكثر منه دائم ، ولنا من حالة العلم الحالية غير الكاملة ، ومن حداثة هذا الضرب من التفكير عن الله ، ومن يقيننا بان الفكرة الكاملة لله لا تستخرج من جانب واحد من جوانب النشاط البشري بل تنبثق في انسجام رسالات الحياة جميعاً — لنا من كل هذا ما يجعلنا نؤمل ونعتقد اننا انما نحن الآن في طور فطري لحركة لن تلبث ان ترقى مع الزمن الى درجات الكمال

إن الكمال النظري لا يهبط بغتة من عليين بل يرسم بحروف تختلف وضوحاً وغموضاً في افق النشاط البشري المتواصل . ومن الجهل الفاضح ان ننتظر كمالاً جاهزاً من حركة ذهنية هي بعد في الطور الاول الشديد المرونة . ولا تطلب الحقيقة التاريخية منا في هذه الحال الا ان ننفذ ببصيرتنا الى ما تنطوي عليه هذه الحركة وقد تنكشف عنه . من اجل هذا لا يقلقنا كثيراً ان نرى في رسالة العلوم الطبيعية في الله شيئاً من التناقض والاثرة والعيب ، بل نحن نحوط هذه الرسالة صبراً واطمئناناً حتى تتكامل وتتفتح عن جميع متضمناتها . ويقيننا ان هذا التكامل قريب الحدوث

وهناك جانب ثان من النشاط الذهني الحديث غير جانب العلوم الطبيعية يحاول اصحابه بطريقتهم الفذة ان يستثنوا معنى من معانيه يستطيعون اسناده الى الله . هذا هو جانب العلوم

الحيوية . فهذه العلوم لها رسالة خاصة في الله ، وفي هذا المقال نحاول عرض هذه الرسالة ونقدتها عند ما نشأت الروح الحديثة في علوم الاحياء الفت نفسها تجاه تراث ضخيم من العقيدة والنظرية ، وسرعان ما ايقنت انها تتعارض اسلوباً ونظرة مع هذا التراث الهائل ، فاخذت على عاتقها بادى ذي بدء نقد هذه الكتلة النظرية من اساساتها . وحركة النقد هذه بلغت اشدّها في القرن التاسع عشر ولا تزال نشطة الى يومنا هذا

اما العيب الكبير الذي رأتُهُ الحركة العلمية الحديثة في علوم الاحياء العتيقة فهو أن هذه ترتكز في عقائدها وتصريحاتها على ثلاثة فروض يكفيها جميعاً قليل من النقد الحديث حتى تنكشف عن اساس جدّ واهنة . اولاً إن جلّ ما يُطلب الى العالم في دراستهِ الاحياء ان يصنّفها جميعاً فيضع كل حيٍّ في بابهِ الخاص به . ثانياً ان الاحياء موجودات ثابتة ثبوت عناصر الكيمياء لا سبيل لايّ تغيير اليها . ثالثاً ان الشرط الأوحد لصحة نظرية حيوية ان يقتنع التفكير الخالص بانها نظرية معقولة فيجب لذلك ان يؤيدها الواقع

اذا قابلنا هذه الفروض الثلاثة بالروح العلمية السائدة في علوم الاحياء الحالية الفيناها اشد ما تكون مناقضة لهذه الروح . فالتصنيف لم تعد له القيمة التي تخيلها العلم العتيق وهو الآن على اية حال يستمدُّ الهامه من مبادئ غير تلك التي تحكمت في التبويب السالف . فمثلاً كان التصنيف السابق يبني معظم نتائجه على التشابه في التركيب دون اعتبار وافر لوظائف الاعضاء اما الآن فالوظيفة هي اهم ما يسترشد به في التصنيف الحديث . كذلك البيئة الخارجية لم يعرها التصنيف القديم انتباهاً يذكر بينا هي الآن بتفاعلها مع الكائن الحيّ الفكرة الاساسية لمعنى كلمة «حيّ» . هكذا الامر فيما يختص بقيمة التصنيف العامة لأن العلم عاد لا يرى كما كان يرى فيما مضى قيمة كبرى لمجرد تبويب حيّ ما في صفٍ او جنسٍ خاص لانه شغل عن كل هذا باستيعاب تصرف هذا الحيّ وتفاعله مع محيطه وطريقة نموه والتعاون البديع بين اعضائه ومجموعة العوامل التي تؤثر في حياته . وما لم تفهم جميع هذه الواجه حق الفهم سقط ما توخاه العلم من قيمة التصنيف لأنّ هذا يصبح اذ ذاك تصنيفاً تعسفياً لا يستند الا على الوجهة التركيبية الجامدة من الحيّ ، وهذه الوجهة مهما ظهرت هامة بحد ذاتها لاتعدو في الواقع عن ان تكون احدى اوجه الحيّ الكثيرة . فالنظرة الجديدة للحيّ ترى في تركيبه وسيلة لاغير ، ترمي الى ابعاد منها ، اي الى استكمال ذاك التوازن العضوي بينه وبين بيئته الذي لا يتكشف معناه كاملاً الا باعتبار الحيّ كاملاً متواصلاً منذ تكوينه الى نهايته ، مندجاً كذلك في تاريخ سلالاته ، موحداً في النهاية في تاريخ الحياة العام

والدعامة الثانية للتفكير العضوي العتيق هي ان الاحياء مخلوقات ثابتة لم يطرأ عليها تحوّل في التركيب والوظيفة منذ خلقها . ويكفي بصدد هذا المبدأ ان نقول ان النظرة الحديثة ترمي

الى عكسه تماماً اي الى الايمان الوثيق بان الاحياء كسواها من الموجودات قابلة للتطور في تركيبها وتصرفها وانها قد تطورت فعلاً خلال تاريخها تبعاً لمقتضيات تفاعلها ببيئتها . هذه نظرية التطور العضوي ، والعالم الذي يرى من الشجاعة المنطقية بعد دراسته الاحياء ألا يؤمن بها غير معروف لحسن الحظ . ولا اعرف وسيلة لتعريف القارئ مقام هذه النظرية الحالي افضل من حالته الى المقالة النفيسة في صدر مقتطف يونيو الماضي عن « دارون ومذهبه »

والمبدأ الثالث الذي تضمنته النظرية الحيوية العتيقة هو مصيبة مصائب التفكير القديم على اطلاقه وهو لا يزال الى يومنا هذا متحكماً في تفكير فريق غير قليل من علماء الاجتماع . هذا المبدأ هو الخلط بين الحقيقة الواقعية والكمال النظري . فكان يكفي لبرهان وقوع حقيقة ان تتمكن من اظهار هذه الحقيقة وهي جزء صحيح في تركيب منطقي . فمثلاً نود ان نعلل ظاهرة ما يسمونه بالتنويم المغنطيسي . هذه الظاهرة تُحسب معللة تمام التعليل اذا قلت مثلاً ان التفكير تموج اثري ينبعث من دماغ مفكر في الوسط المحيط به ، فاذا وجد في هذا الوسط دماغ آخر موافق لدماغ الاول من حيث خصائصه الاشعاعية التفاعل هذه التموجات وفهمها . ولذلك فالمنوم المغنطيسي يبعث بموجات تفكيره في الاثير المحيط به والوسيط ينفعل بهذا التموج ويفهمه كما تفهم ذاك التموج الهوائي الذي تنفعل به اذنك اعني الصوت . هذه كلها نظرية جد معقولة لا ينقصها شيء من حيث البناء المنطقي . ولكن هل هي حقيقة واقعية ؟ هل ثمة تفكير على الاطلاق ؟ واذا كان ثمة تفكير فهل هو في الواقع تموجات اثيرية ؟ وماذا نعني بالاثير هنا ؟ وهل يلتقط دماغ ما تفكير دماغ آخر بحيث ينفذ الى معناه ؟ هذه كلها لم تعن النظرية العلمية العتيقة لانها خلطت بين المعقول والواقع . وقد بلغ هذا الخلط اوجاه في علوم الاحياء ، فما نظريات ارسطو وبوفون ولا مارك وفيزمان وغيرهم الا شواهد على هذا الخلط . وقد وقع دارون نفسه ، على شدة حذره ودقته ، في نفس هذا العيب فيما يتعلق بأرائه في الوراثة وسننها

يمتاز التفكير العلمي الحديث بانه فصل نهائياً بين الواقع والمعقول وحدد لكل نطاقاً خاصاً به من الحقيقة القصوى . فالمعقول بحث امكان الوجود والواقع بحث حقيقته . وقد يلوح الواقع في بادىء الأمر غير معقول لكن في الحقيقة كل واقع لا بد وان يكون معقولاً كذلك . اما المعقول على اطلاقه فكثيراً ما لا صلة له بالواقع . والعلم بتصويره الحديث انما هو بحث الحقيقة الواقعية ، في حين ان المعقول تتناوله الفلسفة والرياضيات . وشروط غير شروط الواقع لكن الاثنان ينسجيان في الخبرة البشرية العامة

هذه الاركان الثلاثة للنظرية العضوية القديمة كانت اول ما شغل العلم الحديث بنقدها . وعملية النقد هذه ليست غاية لذاتها بل الغرض منها تعبيد الطريق للبحث الحديث .

ولذلك فما ان استقر في ذهن العالم العلمي ان هذه الاركان فاسدة تتطلب نقداً واصلاحاً حتى وقع النقد والاصلاح بالفعل ونشأت الطريقة العضوية الحديثة بأسلوبها التجريبي ونزعها الجامعة ونشدها الحقيقة الواقعية . ولكل اسلوب ونزعة ونشدها فلسفة خاصة اي مجموعة من الفروض والمعاني تنطوي عليها جميعاً . فما هي الفروض والمعاني التي تنطوي عليها النظرة الحديثة للحياة والأحياء ؟

تنطوي اولاً على هذا الذي اشرنا اليه عن الواقع والمعقول . إن الامر الواقع فيما يختص بالحياة أنها ناحية واحدة من الكون قد كان بمقدور ذاك النطاق الأوسع ، اعني نطاق المعقول ، ان يجعلها غير ما هي عليه الآن . فما نشاهده من سنن الحياة الاساسية ، كضرورة تركيب البروتوبلازم وسنن الوراثة وسنن النشوء والتنسيق العضوي ، كل هذه امور واقعية يجب تبيانها وتعرفها بما هي عليه بالضبط . لكن ليس ثمة ، من الوجهة السابقة ، اي اطلاق او ضرورة فلسفية لوقوع هذه الامور . فقد كان بالإمكان وضمن حيز المعقول ان تقوم في صاب هذا الوجود حياة غير هذه الحياة لها نفس المسوغة الفلسفية الذي لهذه الحياة . واذن نستنتج من كل هذا ان إمكانات الوجود اكثر مما نستطيع التعبير عنه من واقعياته

هذا من حيث الإمكانيات المطلقة للوجود . والوجود كذلك إمكانات نسبية لها روعتها وجلالها . ذلك ان هذا النظام الذي تتعرفه في الطبيعة الحالية لم يحقق بعد جميع ما يضمه هو من إمكانات وقيم ، وكل ما نشاهده في هذا الكون من نجوم وذرات وبشر ينزع الى ضروب من الوجود لا يمكننا التمكن بها الآن . ففي قدس هذا الوجود ترتع أنظمة وعلاقات وتراكيب من الابداع والغنى بحيث تلوح وهي وجود جديد مستقل عن هذا الوجود الذي يضمها خذ هذه الحياة مثلاً لذلك ، فتاريخها منذ ظهورها على هذا السيار حافل بما نحن بصدد من إمكانات هذا الكون . فالصفات التي بزغت في الحياة خلال تفتحها التاريخي ابلغ شاهد على ما يكتنه النظام الكوني الحالي من وفرة وغنى . فالتفاعل الحيوي ، والذاكرة ، والاستفادة من الخبرة ، والغريزة ، والاغتباط بالصحة والقوة ، وال عاطفة ، والشعور ، والتأمل ، والمعرفة ، والوعي ، والجودة الادبية ، والحب — جميع هذه تمثل وفرة ما كان مضمراً في نطفة الحياة الاولى وفي سنن هذا الكون . ولا اقصد بهذا ان بين هذه النطفة الاولى وهذه الصفات علاقة سببية كاملة ، بمعنى السببية المألوف ، بل اعني ان تفاعل الحياة منذ نشأتها مع ذاك النظام الذي يحتضنها احتضاناً ، اي الطبيعة وسننها وحركاتها ، هذا التفاعل الحيوي المستمر انتهى الى هذه الصفات . فالحياة توازن دقيق مع الكون ، وصفات الحياة أثر هذا التوازن الدقيق

وعند النقد والتأمل الدقيقين نستطيع ان نلمح في تتابع الصفات الحيوية الذي وقع بالفعل في التاريخ نظاماً عاماً يطبع هذا التتابع بطابع مميز له عن اي تتابع آخر . هذا النظام هو ما نعبر عنه عادة بلفظة « رقي » او « تقدم » . وقاعدة هذا الرقي هي الانتقال العام من البسيط الى المركب ومن العام الى الخاص ومن الوحدة والانفراد الى الاتحاد والائتلاف . اي ان الكون ، بسننه وتركيبه ، سمح لبزوغ سلسلة من الصفات الحيوية تتسق جميعاً في قاعدة عامة هي هذه القاعدة التقدمية التي وصفنا . فعندما بزغ وعي الانسان او حبه او عاطفته او اجتماعيته لم تبزغ هذه جميعاً في عالمٍ معاكسٍ معادٍ لها لقيامها بل نشأت في محيط شديد العطف عليها متين الصداقة لها . او بالاحرى انها نشأت لان الكون اراد لها النشوء ، اذا صحَّ اسناد صفة الارادة البشرية الى الكون

نخلص من هذا الى تصريحين هامين ، اولاً ان الحياة وليدة الكون ، ثانياً ان الرقي في الحياة وليد الكون كذلك

والله في هذا التصوير يصبح ذاك التركيب في صلب الكون الذي سمح بالحياة وبالرقي فيها . ان الحياة حقيقة واقعية والرقي فيها حقيقة واقعية كذلك . من اجل هذا وجب وجود تركيب خاص للكون يسمح بوقوع هاتين الحقيقتين . هذا التركيب هو الله . والله اذن حقيقة واقعية لا سبيل البتة الى التشكيك في وجودها

الست تشاهد الحياة في نفسك وفي سواك ؟ اليس تلوّح لك وهي منتظمة في سلسلة تقدمية متواصلة ، من نقيق الضفدع الى موسيقى بيتهوفن ؟ كيف امكن حدوث هاتين الظاهرتين ، الحياة ورقياً ؟ لا بد وان توفّر في الكون تركيب خاص شدّ ازرها ولم يكتف بأن جعل من وقوعها امراً ممكناً بل احدث هذا الوقوع فعلاً . هذا التركيب ، هذه الخاصة الكونية ، هذا الجانب من اجزاء الكون وحركاته ، هو الله

هكذا تستوي فكرة الله في فلسفة الحياة . وعلى هذا المنوال يبني الكسندر ومورغن وهيويتهد وويغان فلسفتهم المشتركة في الله . فالله في نظر هؤلاء حقيقة واقعية كهذا القلم او كالف كليبوطرا لان الحياة والرقي فيها حقيقتان واقعتان . وما لم نطعن بالحياة وبرقيها ونؤمن بأنهما وهم وسراب تعذر علينا نكران وجود الله

اذا اضطررنا الى اطلاق لفظة تصف هذه النظرة الى الله فإننا نميل الى استعمال عبارة « النظرة الزمنية » لله ، لانها تستمد فكرة الله من تفتّح معاني الحياة مع الزمن ، فهي ترى يد الله وتستشف أثره من البزوغ العضوي المستمر لان هذا البزوغ لا بد وان يقع في كون ذي تركيب خاص يسمح بحدوثه . والله ليس سوى هذا التركيب الذي يكفل بزوغ الحياة ورقياً ونحن ننتهي الى النتيجة نفسها اذا تناولنا المأماً النزعة الجامعة الحديثة في دراسة الحياة

والأحياء. زعيم هذه النزعة العلامة الانجليزي الاستاذ هولداين. هذا العالم لا يرى أي معنى لفكرة الحي مجردة عن فكرة البيئة التي يتفاعل معها. فالإنسان مثلاً ليس هيكلًا عظميًا محشورًا أعضاء وأنسجة مربوطًا بعضلات وبشرة وكفى، وليس هذه بوظائفها وعملياتها، بل هو جميع هذه موحدة بيئتها. فالأكسجين وخصائصه جزء من فكرة «الإنسان»، كذلك الغذاء والحرارة والماء والسنن الكيماوية وقشرة هذه الأرض والجاذبية وكل ما يمس الإنسان مسًا جوهريًا. لأن لا كيان للإنسان البتة إلا بتأزر هذه الجوانب من الطبيعة وتعاونها بعضها مع بعض. وعلى حد قول الاستاذ هولداين أن القول بأن الرئتين تنفسان الهواء لا يفوق صوابًا القول بأن الهواء يتنفس الرئتين. لأن بين هذين الموجودين — الرئتين والهواء — صلة من الوثوق والدقة بحيث يستحيل الفصل بينهما. فالإنسان تركيب طبيعي لا ينحصر في جسمه فحسب بل يمتد إلى جميع عوامل بيئته لأن من هذه جميعاً يزرغ الإنسان حقيقة واقعية يغتبط لها الكون ويمكنها من الوجود والاستمرار

هذان المنوالان — المنوال الزمني والمنوال الجامعي — يستمدان أسلوبهما في التفكير من علاقة الموجودات بعضها ببعض ومن تساندها بعضها إلى بعض، أي أنهما يريان الوجود بكميته وهو جسم واحد محكم التنسيق مستدق التأثير والاحساس يرن بجوانبه الأربعة لأي تغير يقع فيه ويعين نوع هذا التغير وقيمته. المنوال الواحد يرسم هذه الصورة من دراسته تاريخ الحياة، والمنوال الآخر يرسمها من اعتباره حقيقة الحال. والعبارة الواحدة التي توحد بين هاتين النظرتين هي عبارة «النظرة العضوية» فالكون بموجبها كل ذو أعضاء يفعل بها ويفعل فيها ويتسق اتساقاً مختلف كمالاً ونقصاً باختلاف انسجام هذه الأعضاء بعضها مع بعض وسواء انظرنا إلى الحياة وهي حقيقة حالية أم حقيقة تطورية نشأت وتكاملت مع الزمن، فإننا أمام نفس النتيجة وهي أن الحياة وليدة الكون لا قيام لها بدون «إرادته». فالله هو تلك الحقيقة الكونية التي جعلت من الحياة امرأً ممكنًا والتي لم تكتف بمجرد هذا الامكان بل أحالته إلى حقيقته الواقعية

ونحن نقر أن هذا النحو من تشييد فكرة الله متين ليس باليسير نقده أو تبليان عيوبه. ذلك لأنه يرتكن على حقيقة الحياة ووفرته. وما قد يلوح لأول وهلة ضعفاً في هذه الفلسفة يبدو بعد النقد والتأمل قوة ومناعة. وأعرف عدداً من الانتقادات يلجأ إليها التفكير التقليدي ويحسبها كفيلة بهد هذه الفلسفة، لكنها جميعاً قائمة بالفعل على خطأ في تفهم ما ترمي إليه ونحن لن نحاول هنا بحث هذه الانتقادات وتبليان أوجه الضعف فيها لكننا بدورنا نود أن نشرح بإيجاز نقصاً لهذه الفلسفة نحسبه نقصاً حقيقياً

لئن ظهرت هذه الفلسفة وطيدة البنيان فهي برغم ذلك لا تعدو ان تكون تركيباً ذهنيّاً مجرداً قوامها التفكير الخالص بشأن الله . والله قبل ان يكون تفكيراً خالصاً يجب ان يكون خبرة داخلية تهتز بها جوارح النفس من اعماقها . في هذه الحال يعرف الله مباشرة وتقاس قيمة اية فلسفة بشأنه على ضوء هذه المعرفة المباشرة . فأما ان تقبع في ركنة وتحصر فكرك في امر وتستخرج منه فلسفة عامة فشيء واحد ، واما ان تتناول هذا الامر بالخبرة الغنية المباشرة شيء آخر . ومتى امتزج امر من الامور امتزاجاً وافياً في خبرة الانسان سهل تفهم اسرار الله الذهنية . لان الله عندئذ يستضيء بالخبرة الداخلية وينتفع بها ويتخذها محكاً لموضوعاته وتصريحاته الخبرة الواقعية تُقدم مادة غزيرة للتفكير ، والله يرتبها وينظمها ، فالله ينظم الخبرة وتنسيقها واذا حصرت ذهنك في دائرة حركته شحنت نفسك وظهر تفكيرك باهتاً لا لون فيه ولا غنى واقعي . كذلك اذا جعلت من حياتك انتقالاً مستمراً من خبرة الى خبرة دون ان تنتحي بنفسك هنيئة للتأمل في هذا الغنى الاختباري ولتنسيقه واستشفاف معناه تكون قد جنيت على كمال نفسك بتضحيتك جانبها الذهني الهام في سبيل جانبها الاختباري الهام ايضاً . هذان الجانبان يجب ان ينسجما ويتعاونوا في الحياة الكاملة لان عمل الواحد خلق مادة التفكير وعمل الآخر تنسيق هذه المادة المعروضة . وفي نظرنا ان اهم ما ينقص فلسفة الله العضوية التشديد اللازم على الخبرة البشرية بشقّي الوانها . فالله حقيقة يجب ان يخفق القلب لها قبل ان يتناولها العقل بالنقد والتحليل . ومحال ان يتعرف العقل المجرد جميع اسرار الله لان العقل المجرد ليس بكل ما في الوجود . لكن لكل خبرة دينية يجب ان ينتظم تفسير ذهني ينيرها ويستخلص جميع معانيها وافتراضاتها

الدين اليوم في كل الارض بحاجة ماسة الى ثورة فكرية تتناول اسس التفكير فيه . واهم هذه الاسس حقيقة الله . فالبحث الجديد يجب ان يعرض لفكرة الله بالنقد الصريح والتحليل النزيه حتى يستقيم التفكير عن الله مع نزعات الحياة الجديدة ومراميها . ويقيننا ان ضرر اهل الله لا يقل عن ضرر اساءة التفكير فيه ، لان فكرة الله تضر اعظم ما عرفت البشرية من نعم وخيرات وقيم ، ولان في تصويرها الصحيح خلاص البشرية الوحيد من عبودياتها واضطراباتهما وشرورها . وويل داسم للبشرية ان هي اخطأت التفكير في الله . اما اذا عرفت السبيل الى التفكير العلمي الحديث بشأن الله وقيّمته فابواب الخير والنعم مفتوحة امامها . وشرطا هذا السبيل ان يؤخذ القلب بخبرة الله المباشرة والعقل بالتفكير المجرد فيه . عندئذ تنفتح امام العقل والقلب ابواب لم تسمع بها اذن ولم يحلم بها شاعر ، وعندئذ يعرف الانسان حقيقة معناه في الوجود

موت عزرائيل

في الزمان المجهول، في كنف الغي
حيث تبدو الدنيا كأول عهد
قد توارى سكانها وتخلوا
لا خراب فيها فينشق بوم
لا رياض فيها فترتاح نفس
قد توارت أنهارها، وتلاشى
ليس فيها إنس يعيث وجن
ساحة يحطر السكون عليها
لا زمان ساعاته تتوالى
أو نهار يمضي، ليعقب ليل
سكنت ريحها فليست تدوي . . .

ب وحيث الرُّجْعَى، وحيث المقر
أنشئت فيه: بَلَقْعاً لا يسر
فتساوى كوخ لديها وقصر
أو غصون فيها فينشد طير
لا زهور فيها فينشر عطر
كل حُسن منها، وغيب سحر
ليس فيها وحش يجوب ونسر
لا ديب، لا همسة تستسر
فتواري عصراً، ليعقب عصر
أو ظلام يخفي، ليطلع فجر
عالم مائت الطبيعة صفر

نظر الله للدُّنَى فراها
مثل رأس في القبر، كانت قديماً
نام عنها شر تولد فيها
وتولّى منها بنوها حيارى
أسلمتهم للجهد والكدر حتى
أخرجتهم من ظلمة فإذا هم
أخرجتهم من ضيق فإذا هم
نظر الله للدُّنَى فراها

قد تلاشت آثارها فهي قفر
مهد فكر يغزو الدُّنَى وهي سر
واختفى غيبها وكان يغر
لم يفدّهم جمع هنالك وفر
أسلمتهم لراحة هي أسر
بعد حين في ظلمة هي شر
بعد حين في عالم هو قبر . . .
ليس فيها إلا خيال يمر

«إيه.. عزريل : هل تواروا جميعاً واستردت افلاذها من غنمهم ؟...»
« قد تلاشوا مولاي ، وانقض دهرنا »
وتلاشوا عن هذه... واستقروا؟

« إيه.. عزريل أحيئك الآن داني فامض واجرع ما لست منه تفر »

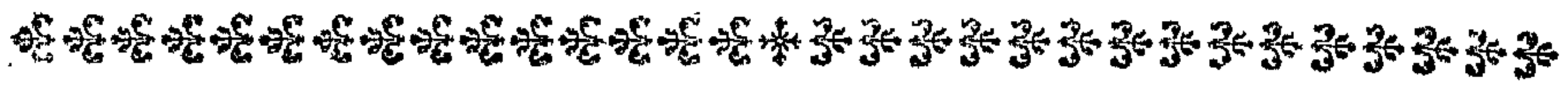
فمضى خاشعاً وفي يده المنج
حائر الطرف في القفار كئيباً
قد أذاق الموت الخلاق طراً
وترامى تفكيره في نواح
خادعاً يهبط الثرى فإذا في
محزناً يبعث الأسى حيث حلت
قد ترامى تفكيره فإذا
تلك أم ضمت حشاشة قلب
قد تعالت أنفاسها دعوات
وكبير قد عاجلته المنايا
يرتجفها في آخر العمر كئيباً
وفتاة خال الردى بذورها
وحبيب يشفق رؤية وجه
وأزاهير في الكهائم راحت
وبلاد أصابها في زعيم
وتوالت رؤى ضحايا تبدي
كل هذي الاشباح كانت سراعاً

ل يهتز اهتزازة هي دغر
أترأ من موته يقشعر...؟
فليذقه... فالموت حل وممر
كان يسعى فيها فيسختهم أمر
قبضت يديه : عمر ، وعمر ، وعمر
قدماء فيختفي منه بشر
مبصراً مسرحاً مرثية كشر...
بين صدر يخفي الأسى ويسر
فإذا الموت بالحياة يمر...
في فتاة بالشيخ كانت تبر
تتولى إغماضه فيقصر...
فإذاها الى الشقاء تجر
فإذا الوجه في الثرى مستقر
دون ريث ، وفي الأزاهير عطر
كان تنو اليه إن هب شر...
صور الهول وهو أسود نكر
في خيال الموت الكئيب تمر

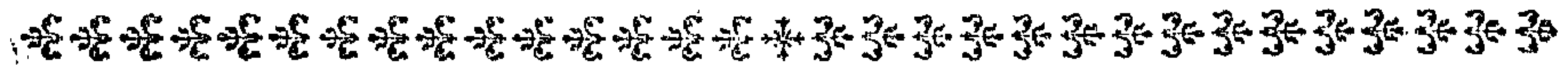
ثم حاب الوقت الذي ليس منه
فدوت صرخة فمادت لها الأر
ودوت صرخة فأسلم فيها

في محيط الاقدار يوماً مفر
ض وطافت اصداؤها لا تقر
ملك الموت روجه تستقر

حسن لامل الصيرفي



القاهرة تستولي على بغداد



محاولاتها وآثارها

كانت بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري معركة دول مختلفة وأجناس متباينة ومذاهب متعددة متعادية وسياسات متناقضة ، فالعباسيون وخليفتهم عبد الله القائم في سبيل إحياء عزهم ، والبويهيون وملكهم ابو نصر الرحيم في امر مريخ وسياسة مضطربة ، والعرب وامراءهم الكبار ديبس الاسدي ومهارش العقيلي وأمير خفاجه وغيرهم اولو سلطة وعرة عظيمنتين في العراق ، والسلاجقة وملكهم طغرلبيك في قصده الى بغداد والجند من اترك و فرس وعرب في شغب مستطير مستمر ، والفتن المذهبية السنية والشيعية بين اهل بغداد حاملة اوزارها عظيم اوارها ، والناس من هذه البلايا والرزايا في ويل عظيم وعلى شفاهالاك متوقع وغلاء متكرر

وصالت الموجة السلاجوقية الى بغداد واستحوذ عليها طغرلبيك وتمهدت الطريقة السنية ببغداد وتضاءلت الشيعة وهي مذهب البويهيين المطرودين من بغداد ، واستقر الخليفة عبد الله القائم بعد اضطرابه

كان من امراء الاتراك في زمن الملك الرحيم « ابو الحارث ارسلان عبد الله البساسيري » مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة وكان الخليفة القائم يقدمه على جميع الاتراك وقلده الامور بأسرها وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم امره وهابته الملوكة ، وكان وزير القائم رئيس الرؤساء علي بن الحسين المعروف بابن المسامة فوقع بينه وبين البساسيري شر فهرب البساسيري من بغداد وظهر للخليفة القائم تشييعه وانه عازم على قصد بغداد ونهب دار الخلافة بالجانب الشرقي منها والقبض عليه ، فاستنهض الخليفة ابا طالب محمد بن ميكائيل طغرلبيك وكان بالري من ايران واستعان به على البساسيري ورغبه في المجيء الى بغداد ، وهذا سبب استيلاء طغرلبيك على بغداد سنة ٤٤٧ هـ (٢) وقد قدمنا ذكره والاشارة اليه

لما سمع البساسيري بانتحاء طغرلبيك هرب الى الرحبة (٣) وكاتب صاحب مصر المستنصر بالله معد بن الظاهر لاعزاز دين الله العلوي الفاطمي « ٤٢٧ — ٤٨٧ هـ » فأمدّه بالاموال

(١) الوفيات « ١ : ٦٥ » وتاريخ السيوطي ص ٤٢٨ (٢) الفخري ص ٢١٥ والسيوطي ص ٤٢٨

(٣) هي رحبة مالك بن طوق وهي بين الرقة وحانة على الفرات انشئت في عهد المأمون

والعدد وحينئذ نهد الى بغداد بجيش من الأتراك وغيرهم ، أما طغرل بك فإنه ثار عليه أخوه ابراهيم حاكم بلاد الجبل المعروفة بالعراق العجمي وخطب خليفة مصر في همدان واصفهان وغيرها و قطع خطبة القائم العباسي ولي أخيه طغرل بك ، وكان ارسلان البساسيري هو الذي كتب اخا طغرل المذكور وحسن له الخلاف عليه واطمعه في الانتصاب منصبه اذا قهره ودحره ، وبانصراف طغرل بك لحرب أخيه بقيت بغداد في يد وزيره عميد الملك ^(١) ابي نصر محمد بن منصور ، وكانت هذه الحال فرصة للبساسيري ، فانتهى بجيشه الى الأنبار وزحف منها الى بغداد تحت الرايات البيض الفاطمية وملك الجانب الغربي منها ، ثم عقد جسراً وعبر الى الجانب الشرقي ونزل بالزاهر وهو بستان جميل عظيم ^(٢) وحارب جيش الخليفة ودخل بغداد ، وبدخوله ابتداء استيلاء القاهرة على بغداد وانفتح باب في السياسة لم يكن احد يجرأ على فتحه قبل البساسيري ^(٣) ، وكان ذلك سنة ٤٥٠ هـ قال ابن الطقطقي في البساسيري وعن بغداد « تغلب البساسيري على بغداد ونهبها وقتل من بها وأخرج الخليفة فخبسه بقلعة الحديثة وكانت فتنة البساسيري فتنة عظيمة » ثم قال « ثم ظفر بابن المسامة رئيس الرؤساء فمثل به ، فمن جملة ما فعل به انه حبسه ثم اخرجه مقيداً وعليه جبة صوف وطرطور من لبد احمر وفي رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيهة بالتعاونيد واركب حمراً وطيف به في المحال ووراءه من يضربه بجملد وينادي عليه ، ورئيس الرؤساء يقرأ « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » وشهره في بغداد ، فلما اجتاز بالكرخ نثر عليه اهل الكرخ المداسات الخلق وبصقوا في وجهه ووقف به بازاء دار الخلافة من الجانب الغربي ثم أعيد وقد نصبت له خشبة في باب خراسان (من ابواب مدينة المنصور) فانزل عن الحمار وخيط عليه جلد ثور سلخ في الحال وجعلت قرونيه على رأسه ، وعلق بكلاب في حلقه واستبقى في الخشبة حياً الى ان مات من يومه ^(٤) » اهـ . وقال ابن خلكان « واجتمع قريش (بن بدران العقيلي) مع ارسلان البساسيري المقدم ذكره على نهب دار الخلافة ثم ان الامام القائم بامر الله جرى على سجيته في الحلم وكتب الى السلطان طغرل بك المقدم ذكره في المحمدين ليرضى عنه . . . » وكان ارسلان هذا يعذب بالقتل ويقتل بها ^(٥) وهي معروفة عندنا اليوم بالعراق يستعملها القصابون فيعلقون بها الدبائح لها أسنة مربعة محددة معقوفة . وقوله « وعلق بكلاب في حلقه » يوضح صورة التعذيب بها . كان دخول البساسيري فرجة للشيعه ومحوراً لهم من ذل الاضطهاد والامتهان ومنهم اهل الكرخ وهم الذين نثروا التاسومات (الاحذية) على رئيس الرؤساء — كما تقدم —

(١) ترجمته في الوفيات « ٢ : ١٨٤ » (٢) ارض هذا البستان تشمل البلاط الفيصلي الحالي ببغداد وما حوله الى حد واسع (٣) خلاصة الذهب المسبوك ص ١٩٥ والفخري ص ٢١٧ والسيوطي ٤٢٨ والوفيات « ١ : ٦٥ » و « ٢ : ٢٢٣ » (٤) الفخري (ص ٢١٥ — ٧) (٥) الحوادث الجامعة في المائة السابعة ص ١٢٧ و ١٥٠ من نسختنا الخطية

الخطبة للفاطميين ببغداد

ابتدأت الخطبة للمستنصر الفاطمي في مساجد بغداد من سنة «٤٥٠» الى سنة «٤٥١» والجوامع المشهورة إذ ذاك : جامع المنصور بالجانب الغربي ببغداد ويسمى « جامع المدينة » ايضاً اي مدينة المنصور المدورة ، وجامع الخليفة المكتفي ويدعى « جامع القصر » قصر التاج ويعرف اليوم بجامع سوق الغزل ، وجامع المهدي بن المنصور ويسمى « جامع الرصافة » ايضاً بالجانب الشرقي من بغداد ولا اثر له اليوم ولا للرصافة فانها اصبحت بساتين ومزارع وبني فيها على العهد الفيصلي « جامعة آل البيت » ثم عطلت ، وزيد في الأذان « حي على خير العمل »^(١) على حسب مقتضى المذهب الجعفري ، وقد أجبرت القاهرة بغداد على تحمل هذه التهمة في الاذان كما أجبر المغرب البلاد المصرية عليها عند استواء جوهر الصقلي فيها^(٢) ، واصر ارسالان ببناء مشهد الامامين علي الهادي والحسن العسكري في بلدة سامرا ، قال كمال الدين عبد الرزاق بن الفوطي الشافعي في حوادث سنة « ٦٤٠ » من كتابه « وفيها وقع حريق في مشهد سر من رأى فأتى على ضريح علي الهادي والحسن العسكري — ٤ — فتقدم الخليفة المستنصر^(٣) بالله بعلمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين واعادتهما الى ايجل حالتهما ، وكان الضريحان مما امر بعمله ارسالان البساسيري فجعل النار سبباً لأزالة اسمه ١١١^(٤) » ظفر طغرل بك بأخيه ابراهيم فقتله ثم كاتب متولي « عانة » مهارش بن المجلي في رد الخليفة الى بغداد ورجع هو اليها ليخرج البساسيري منها فلما قرب عسكره منها هرب البساسيري الى واسط فلاحقه الجيش وحاربوه فأسروه ثم قتلوه وبعثوا برأسه الى بغداد فطيف به في اسواقها وشوارعها ثم علق قبالة « باب النوبي »^(٥) وهو الباب الكبير من ابواب دار الخلافة بالجانب الشرقي وعنده يجلس الحاجب الاكبر للخليفة العباسي ، وكان مقتل البساسيري سنة « ٤٥١ » هـ فكانت مدة استيلاء القاهرة على بغداد والخطبة فيها للمستنصر الفاطمي سنة واحدة كما مر ثم عاد الخليفة القائم الى بغداد وانتعشت الخلافة العباسية بعد تلك الكبوة الشديدة^(٦) واخذ الخليفة يتتبع مخالفيه في المذهب فيضطهدهم ويشرد بهم

كتاب القائم لمحو سنة الفاطميين وغيرهم

كتب القائم الى نقيب الطالبين بالبصرة السيد يحيى كتاباً صورته « شرف الله مقام الجانب الكريم السيد النقيب الشريف النسيب الحسيني ، بقية البيت النبوي ، محب خليفة الأمة ، عضده

(١) تاريخ السيوطي ص ٤٢٨ (٢) الوفيات « ١ : ١٢٩ » (٣) هذا المستنصر العباسي لا الفاطمي والفاطمي اقدم منه بكثير (٤) الحوادث ص ٤٩ من النسخة المخطوطة (٥) بضم النون قال ابو عبيدة « اللوبة والنوبة بوزن الكوفة فيهما الحرة وهي حجارة سود ومنه قيل للأسود لوبي ونوبي » (٦) الوفيات « ١ : ٦٥ » والسيوطي ٤٢٨ — ٩

بنصرة السنة، صالح الاولياء، علم هداية العلماء، لا زال عرفانه منيعاً وهداه متبعاً، ما داخل الكلام كيت وكيت وتليت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نحن نجلك عن الوصايا إلا ما يتبرك بذكره، ويسرك إذا اشتملت على سره، فأهلك أهلك، راقب الله ورسوله جادك — ص — في ما أنت عنه من أمورهم مسئول وارفق بهم فهم أولاد أمك وأبيك حيدرة والبتول، وكف يد من علمت أنه استطال بشرفه فهداً الى العناد يداً واعلم بان الشريف والمشروف سواء في الاسلام إلا من اعتدى، وأن الاعمال محفوظة ثم معروضة بين يدي الله، فقدم في اليوم ما تفرح به غداً، وأزل البدع التي ينسب اليها أهل الغلو في ولائهم والعلو في ما يوجب الطعن على آبائهم لأنه يعلم أن السلف الصالح — رض — كانوا منزهين عما يدعيه خلف السوء من افتراق ذات بينهم ويتعرض منهم اقوام لما يجبرهم الى مصارع حينهم، فللشيعة عثرات لا تقال من اقوال لا تقال، فسد هذا الباب سد لبيب واعمل في حسم موادهم عمل أريب، وقم بنهيمهم والسيف في يدك قيام خطيب، وخوفهم من قوارعك مواقع كل سهم مصيب، فادع «بحي على خير العمل» خير من الكتاب والسنة والاجماع فالظم في نادي قومك عليها عقود الاجتماع، ومن اعتزى الى اعتزال أو مال الى الزيدية في زيادة مقال وادعى في الأئمة الماضين ما لم يدعوه أو اقتفى في طرق الإمامية بعض ما ابتدعوه، أو كذب في قول على صادقهم أو تكلم بما أراد على لسان ناطقهم، وقال: إنه يلقي عنهم سرّاً حُسنوا على الأمة ببلاغه، وذادهم عن لذة مساغته، أو روى عن يوم السقيفة والجلل غير ما ورد اخباراً، أو تمثل بقول عبد شمس: قد أوقدت لبني هاشم نارا، أو تمسك من عقائد الباطن بظاهر أو قال: إن الذات القلعة بالمعنى تختلف في مظاهر، أو تعلق له بأئمة الستر رجاء^(١)، أو انتظر مقبلاً برضوى عنده غسل وماء^(٢)، أو ربط على السرداب فرسه لمن يقود الخيل يقدمها اللواء، وتأنيت بوجهه يظن علياً — ك — في الغمام، أو تفلسّت من عقال العقل في اشتراط العصمة في الإمام، فعرفهم جميعاً أن هذا من فساد أذهانهم وسوء عقائد أديانهم، فانهم عدلوا في التقرب بأهل هذا البيت الشريف عن مطلوبهم، وإن قال قائل: إنهم طلبوا، فقل لهم (كلاً بل ران على قلوبهم ما كسبوا) وانظر في امور أنسابهم نظراً لا يدع مجالاً للريب، ولا يستطيع معه أحد أن يدخل فيهم بغير نسب، ولا يخرج منهم بغير سبب، وساو المتصرفين في اموالهم في كل حساب واحفظ لهم كل حسب وأنت أولى من أحسن لمن طعن في أسانيد الحديث الشريف أو تأوّل فيه على غير مراد قائله — ص — تأديباً^(٣)، وأرهم ما يوصلهم الى الله والى رسوله طريقاً قريباً،

(١) نوه بالخليفة هنا وعرض بالامامية الاثني عشرية الذين يقولون: غاب الامام الثاني عشر محمد بن الحسن وسيظهر ويملا الأرض عدلاً وهداية (٢) اشار الى الشيعة الكيسانية المختارانية التي قيل انها ادعت غياب محمد ابن علي بن ابي طالب المعروف بابن الحنفية في رضوى وأنه سيعود (٣) اراد: أنك أحق بتأديب هؤلاء المتبذرين تأديباً حسناً كاملاً

وخل من علمت أنه قد مال عن الحق وأمال الى طريق الباطل فرقاً وطوى صدره على الغل وغلب من أجله على ما سبق من علم الله من تقديم من يقدم حنقاً ، وجاروا — وقد اوضحت لهم طريقته المثلى طرقاً ، واردعهم إن تعرضوا في القدح لنضال نضال وامنعهم فان فرقهم كلها — وان كثرت — خابطة في ظلام ضلال ، وقدم تقوى الله في كل عقد وحل ، واعمل بالشرعية الشريفة فانها السبب الموصول الحبل ، والله يرفعك في الزلنى الى اشرف محل ويمد لك رواق عز اذا برز له البرق خده خجل ، أو مد الغمام معه سرادقاته اضمحل (١)

وبعد دخول هولاء كوا بغداد سنة « ٦٥٦ هـ واستيلائه على العراق صارت القاهرة ملجأ الاسلام الأعظم وملاذ العلماء والأمرأ المضطهدين ومأمن الخائفين الهاربين فكان لها ومن صريح حقوقها أن تستولي على بغداد التي استئصلت منها الخلافة العباسية تلك الخلافة الدينية الرسمية ، وأصبحت تراثاً لأبناء العباسية ولا سيما من التجأ منهم الى مصر التي كان يحكمها الأتراك مماليك الأيوبية وكان ذلك العهد عهد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس « ٦٥٩ — ٦٧٦ هـ وكان على شيء هائل عظيم من القوة والسيطرة والعظمة واعداد الجنود والعتاد ، فالتجأ اليه « أبو القاسم أحمد بن محمد الظاهر بأمر الله العباسي » هرباً من سيوف التتر وكان مستقلاً ببغداد — على عادة الخلفاء في أقاربهم — فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وبقية أرباب الدولة فاشتق بسيره القاهرة ثم أثبت نسبه على يد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ثم بويج بالخلافة وذلك سنة « ٦٥٩ هـ ونقش اسمه على السكة (٢) وخطب له ولقب بلقب أخيه المنصور بن الظاهر وهو « المستنصر بالله » وتم أمره وتثبت استخلافه الصوري

ازداد طمع القاهرة في بغداد بهذا الخليفة العباسي وارث الخلافة العباسية وعزم الخليفة او اعزموه على التوجه الى العراق واتفق مع عزمه عزم صاحب الموصل الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ وأخيه علاء الدين بن بدر الدين صاحب سنجار والمغول اللائذين بالملك الظاهر من غدر التتار ، فجهز السلطان الخليفة وابني صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم « مليون دينار » و « ٦٦ » ألف درهم فهدأ الخليفة بعسكره الى العراق ففتح الحديثة وهيت منه وكادت القاهرة تستولي على بغداد ولكن عسكر التتار أدركهم فصافهم فقتل من جيش القاهرة جماعة كبيرة وذُهب بالخليفة المستنصر بين سمع الأرض وبصرها ، قيل قتل وهو الظاهر ، وقيل : أضمرت به البلاد ، وذلك في ثالث المحرم من سنة « ٦٦٠ هـ وكان المقاتل له من

(١) صحاح الاخبار (ص ٧١ — ٢ — ٣) والثبت المصان

(٢) وجد أحد العمال في ٥ مارس سنة ١٩٣٢ بارض دار من دور القاهرة قدرين مملوءتين من هذه النقود منها « ١٥٧ » نقدة ذهبية ، وقد قرأنا قطعة منها فوجدنا ما صورته « لا اله الا الله محمد رسول الله الذي ارسله بالهدى » وعلى الوجه التالي السلطان الملك الظاهر ركن الدين والدنيا بيبرس قسيم أمير المؤمنين « فهي مسكوكة بعد سنة « ٦٥٩ هـ »

التتار « قرايغا » نائب هولاء في بغداد (١) ولم تهيب الاتفاقات للقاهرة الاستيلاء على بغداد هذه المرة

كان العراقيون قد سمعوا بتجديد الخلافة العباسية ومنهم من علم بمهاجمة الخليفة لعسكر التتار ، فهوت أفئدتهم الى القاهرة وركنت ثقتهم اليها ولا سيما الناقين على التتار ، وانفتح للقاهرة طريق شرعي وسبب ثأري للاستيلاء على بغداد ورجعها الى خلفاء العباسيين ظاهراً وسلطنة المماليك حقيقة ، وأحس التتار بهذا الشعور في العراقيين وذلك العزم والطوية من المصريين فطلقوا يثواخذون الناس على الظنة ويعاقبون بالفتنة ويقتلون بالشبهة ويسرفون في العقوبة باضعف الأدلة ، ففي سنة « ٦٧٧ » هـ أرسل السلطان « أبا قابن هولاء كو » إزعاج والى العراق « علاء الدين عطا ملك الجويني » الى الأردو (المعسكر) مقر سلطنته لاستنطاقه عما نسب اليه من مكاتبة سلطان مصر الملك المنصور قلاوون الألفي في اطاعه في العراق والانتقاض على التتار وقبض على شرف الدين علي بن أميراك كاتب الانشاء ببغداد وطوق بطوق من حديد وأشخص مع الوالي وقبض على حمزة التكريتي التاجر وطوق وازعج معهما إلى الأردو ، وكان سبب هذه التهمة أن رجلاً من أهل بغداد يعرف بنجم الدين بن حسين ويلقب بالكيباية اتصل بخدمة شحنة بغداد « تتارقيا » التتري واتخذ لنفسه هو وابن بغا الشرابدار جاسوسين على والى العراق علاء الدين الجويني ، فاتفق احمد بن بغا الشرابدار ونجم الدين الكيباية على ان نسبا أكبر اهل بغداد الى مكاتبة سلطان مصر قلاوون المذكور باتفاق علاء الدين معهم وتحدث الكيباية بذلك عند الامراء والحكام فأحضروا والى العراق وصاحب الديوان علاء الدين المذكور وجماعة من الاكابر الذين نسبهم الى المكاتبة — وقد ذكرنا منهم شرف الدين علي بن أميراك والتاجر حمزة التكريتي — واستعاد الامراء كلام الكيباية ، فقال اشياء كثيرة ، فطولب بالبرهان على صحتها ، فلم يقدر على ذلك ، فلما شدد عليه وضويق قال : إني كاذب في كل ما قلته والذي بعثني على الكلام نصرة الدين بن ارغش واخوه وولده ، فأحضروا وسئلوا عن ذلك ، فاعترفوا به وقالوا : إن تتارقيا الشحنة وضع القائل على ما قاله فأعروا بحبس الجميع ، وأحضر أحمد بن بغا الشرابدار ، وسئل عن الحال فاعترف بها ، فسلم الى صاحب الديوان علاء الدين فأمر بحبسه فحبس اياماً ثم عملت له حجلة وسمّر عليها وجعل على رأسه مسخرة كان ببغداد يعرف بالموصلي يصفعه بنعل ويروحه بها ثم يبول عليه والناس يجرّون الحجلة بالحبال في الاسواق والدروب في جاني بغداد ، وكانوا يحبون صاحب الديوان ،

(١) مختصر ابن الساعي لرجل من اهل القرن الثامن للهجرة ص ١٣٩ ومثله ما في ص ٤٨٩ من السيوطي وص ٤٩٢ من مختصر الدول وص ٨٥ من الاعلام باعلام بيت الله الحرام وص ١٨٣ من القرماني وص ١٢٧ ج ٢ من دول الاسلام

فأخذ يسب صاحب ويبسط لسانه فيه ، فنفذ اليه من قال له : إن صاحب قد عفا عنك وأمر بتخليصك من الحديد على أن يقطع لسانك فإن آثرت ذلك فأخرج لسانك لنقطعه ، فأخرجه فوضعوا فيه مسدسه فنعته من الكلام هذا الشكل ، وما زالوا يعذبونه بجر الحجلة واضطرابها الى آخر النهار ، ثم قطع رأسه ووضع مكانه رأس معز بلحيته وطيف به في بغداد واحرق العوام جثته ورفع رأسه على خشبة وطيف ايضاً به ، ثم ان نصرة الدين بن أرغش المذكور احضر بدويًا واعطاه كتباً ملصقة وأشار اليه ان يقول. هذه سلمها الي صاحب الديوان علاء الدين ، فلما قال ذلك أخذ وحبس ، أما الكيبياية فقال : إن الامير نضر الدين مفدي بن قشتمر كان ايضاً ، من جملة الجماعة الذين كاتبوا سلطان مصر فأحضر وسئل عن ذلك فانكر ، فوكل به ، ثم قال الكيبياية : ان العدل جمال الدين احمد بن عصية هو كان يكتب عن مفدي ، فأحضر وسئل فانكر فوكل به ، ثم إن صاحب عرف صدق العدل جمال الدين وبراءة ساحته فأفرج عنه وخلع عليه وقدم له مالاً ولم يزل الكيبياية والبدوي في السجن الى ان اشخص علاء الدين الى اردو السلطان ابا قبا بن هولاً كواخذها صحبتته ، وهناك استنطقوا الجميع عن هذه التهمة فظهر كذب المدعين وبراءة ساحة صاحب ، فأمر أبا قبا خان بقتل الكيبياية وأنفاذ يديه الى بغداد ورأسه الى بلاد الاناضول ونادوا في الاسواق « هذا جزاء من يقدم على عبيدنا المخلصين بالزور والالتباس ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » وسلم أصحاب الوالي علاء الدين معه وعزل تتارقيا مدير الشرطة ببغداد. وفي سنة « ٦٩٢ » هـ عزم الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الالفى سلطان مصر على المسير الى العراق وتجهز وعمل السلاسل ومروساً من القنسب لأجل الجسر ثم برز من القاهرة الى الصالحية في آخر هذه السنة فافسد الامير بيدر بن كتبغا عليه الامراء منهم حسام الدين لاجين وكتبغا ، فقتلوه يوماً وهو يتصيد وشرقت القاهرة بهذه الشريرة التي ذهبت لذتها بحسد هؤلاء الامراء ، ويظهر لنا ان الملك الاشرف قد استعد لهذه الهدية استعداداً عظيماً ، ففي سنة « ٦٩٢ » المذكورة وثب رجل على نقاجو امير المسلحة التتري بالعراق ، على رأس الجسر العضدي ببغداد وضربه بحجر عدة ضربات فقتله بها واشتد يعدو هارباً ، فمد له رجل اصبهاني رجله على الجسر فسقط ، وقبض عليه فجعل يقول « فداء الملك الاشرف ، فداء الملك الاشرف » فسلم الى ابن نقاجو التتري فقتل به. وقطع أطرافه وهو حي ثم كسر ظهره فلم يستغث ولا تأوه. ثم قال لقاتله : يا مخنث إنك لم تصنع شيئاً إلا وهو دون ما كان في نفسي فأصنع ما شئت فقتله وألقاه في المكان الذي قتل فيه أباه ، فقول هذا الرجل « فداء الملك الاشرف » يدل على أن الملك الأشرف صلاح الدين خليلاً أرسله الى العراق قبل جيشه ليغتيال أمير المسلحة فيضطرب الأمن ويهتبل هو الفرصة للاستيلاء على بغداد

ومن ضحايا محاولات القاهرة للاستيلاء على بغداد « العدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز الناسخ » فقد نسب اليه في سنة « ٦٦٩ » هـ مراسلة الملك الظاهر بيبرس في الاستيلاء على بغداد ، فحُـبِسَ وقرّر فاعترف بذلك فأمر بقتله وكان على ما قيل فاضلاً ورعاً تقيّاً (١)

وفي آخر القرن الثامن للهجرة تهيأ للقاهرة أن تبسط سيطرتها في بغداد وأن تضرب سكتها باسم سلطانها « برقوق بن أنص الجركسي » وتخطب له على منابرها وتُعترف بسيادته ، وجليّة ذلك ان سلطان العراق « أحمد بن أويس بن الشيخ حسن » التتري الجلايري من سلاطين « الشيخ حسنية » وسلطنته حدثت بين « سنة ٧٨٤ » هـ وسنة « ٨١٣ » هـ كان قد غزاه « تيمورلنك » سنة « ٧٩٥ » هـ وهو في بغداد فهرب على طريق مشهد الحسين بن علي — ع — بكر بلا ثم وصل الى رحبة مالك بن طوق ثم تحول الى حلب ونزل الميدان فأكرمه نائبها وطالع السلطان « برقوق » بخبره فأذن له في دخول القاهرة في سنة « ٧٩٦ » هـ ووصل السلطان أحمد الى القاهرة في شهر ربيع الاول من السنة فالتقاء الأمراء وخرج اليه السلطان برقوق مسافة الى موضع كان فيه مصطبته ، فترجل له السلطان أحمد على بعد مئة سهم فأمر برقوق الأمراء بالترجل ثم لما قرب منه قام له ونزل من المصطبة ومشى اليه فالتقاء ، وأراد أحمد ان يقبل يده فامتنع ، وطيب خاطره وأجلسه معه على دسسته ثم خلع عليه وأركبه صحبته الى القلعة فأنزله في بيت (طغتمر) على بركة الفيل ونزل جميع الأمراء في خدمته ثم ارسل اليه السلطان برقوق مالا كثيراً وقماشاً ومماليك لخدمته ، قيل : ان قيمة ذلك نحو عشرة آلاف دينار ذهباً ثم حضر الموكب السلطاني فأذن له في الجلوس ثم أركبه معه الى الجيزة للصيد وانتهى الامر به الى ان تزوج السلطان برقوق بنت اخيه « دوندي سلطان » وبني عليها قريب السفر ثم تجهز برقوق للغزو وبقي أحمد في القاهرة وبعد مدة طلب إجازة التوجه الى بغداد فخلوها من تيمورلنك وكان فيها « الخواجه مسعود الخراساني » نائباً عنه ، فاستعد بجيش وقصد بغداد فهرب منها الخواجه مسعود المذكور ودخل السلطان أحمد بغداد وضرب السكة باسم السلطان برقوق وخطب له — كما تقدم آنفاً — وبقيت بغداد في حماية القاهرة ورعايتها الى سنة « ٨٠٣ » هـ اذ رجع تيمور اليها وهرب السلطان أحمد منها وترك فيها نائباً اسمه « فرج » فاستولى عليها تيمور (٢) وانقطت سلطة القاهرة بدخوله

فما بسطناه للقارى يظهر له استيلاءات القاهرة على بغداد ومحاولاتها لتلك وآثار هذه المحاولة ، ولإضافة هذا البحث أفردنا له هذا الفصل الذي يعد مستقلاً مستوجباً للعناية والالتفات والتجوير والاثبات

بغداد مصطفى جواد

(١) هذه الاخبار الاخيرة من الحوادث الجامعة في المائة السابعة (٢) التاريخ الغياثي المخطوط لعبد الله ابن فتح الله البغدادي

علاقة جوته بشلر

١٧٩٤ - ١٨٠٥

بعد ما تقابل الشاعران الكبيران لأول مرة سنة ١٧٧٩ في مدينة كارل شوله Karlschule عادا فتقابلا ثانية سنة ١٧٨٨ بمدينة رودلفشتادت Rudolfsstadt ولكن بعد ما بينهما فان جوته كان قد نأى عن طريقته المعروفة بطريقة العواصف والاندفاع (Sturm & Drang) عقب سياحته في ايطاليا بينما كان شلر لا يزال عالقا بها. لهذا لم يمل جوته لمؤلفات شلر في شبابه التي من هذا القبيل حتى ان كانت سنة ١٧٩٤ اذ تقابل الشاعران وتقرب احدهما الى الآخر وسرعان ما تمكنت عرى الصداقة بينهما تمكنا قل ان تجد له مثيلا في تاريخ الادب الالماني . وقد لبثا يتراسلان بكتب بينهما لا ينقطع ورودها ثم انهما كانا يتقابلان كل يوم تقريبا لما انتقل شلر الى فيمار سنة ١٧٩٩ وكانا يتبادلان الآراء بينهما ويشتركان في التفكير والتدبير لبعض آثارها الشعرية كما كانا صريحين في انتقادهما وأحكامهما وكانا يتنافسان منافسة كلها النبل والشرف. وقد كانت طرق تفكيرهما متباينة فقد كان جوته من انصار مذهب الحقيقة وكان يبدأ بالخاص من الاشياء وينتهي الى العام منها بينما كنت ترى شلر من عشاق المثل الاعلى وكان يذهب في كتاباته الى اقصى ذرى افكاره وكان ينزل من العام الى الخاص . وكانت طبيعة روجيهما اللينة تتكامل في النهاية على احسن ما يكون. وقد قال جوته معبرا عن ذلك تعبيراً خاصاً: انهما انحدرا اتحاد التكملة (اعني ان احدهما يكمل الآخر اي يتممه). وقد كان من بواكر تلك الصداقة ان اصدر شلر مجلة (die Horen) (أي آلهات فصول السنة) سنة ١٧٩٤ ودعا صديقه جوته للاشتراك معه في تحريرها فاخذ ينشر فيها ما كان قد انشده من قبل من (المراثي الرومانية) . ثم انضمت مجلة اخرى اليها واتحدت فيها وكان الغرض من اتحادهما ان يهذبا من ذوق الجمهور وان يرفعا من شأنه ولو ان النتيجة لم تحقق ذلك الغرض الذي قصدوا اليه . فقد صادفت الاشياء المبتذلة والساقطة استحساناً وقبولاً فاتفق الشاعران على ان يؤلفا محكمة لعقاب كل من اعتدى على الآداب (آداب اللغة) في عصرهما وكان جوته هو اول من فكر في ذلك وكان اول من نشر في المجلة ما نشر . وجددا الشاعران في عملهما ونشرا في ذلك القصائد العديدة والقطع الكثيرة وفي تقديمها لكل تافه او قليل القيمة في الادب

وقد اثار عملهما هذا عاصفة هوجاء وعظم امر ذلك على خصومهما وكثرت الردود ولم تهدأ تلك العاصفة الا بعد زمن طويل . وبعدئذ اخذا في نشر أغاني جميلة وقصص شعرية بديعة نذكر منها (صبي الساحر) و (الحافر على الكنز) و (الزوجة من كورنت) و (الله) و (القاهرة) وكلها لجوته وتبان مذهب الاثنين وعاد جوته لشعر المآسي وقصص الابطال والملاحم النظمية . فاتم في سنة ١٧٩٦ (ايام تعليم فلهم مايلستر) وهو عنوان رواية كان الشاعر قد بدأها قبل سياحته

في إيطاليا . على ان اشتغاله بكتابة القصص الروائية سنين متوالية الحق الضرر بالوحدة الفنية لمجموعها . وتراه يأتي على وصف النبيل ورقيق الحال كما يصف اصحاب كل الحرف المتباينة وصفاً يطابق الحقيقة والواقع . وتلاحظ من قصصه ما كان عليه من معرفة كبيرة بشؤون الحياة وتجاربها وتعمقه في فهم الفنون وتقصيها كما تلمح فيها كل قوانين فن المآسي التي راعاها شكسبير في (هاملت) . وكذلك عالج بعض اسس التربية والمسائل الدينية ثم ان الجمعيات والفرق السرية التي كانت منتشرة في المانيا في ذلك الحين لم تسلم من تهكمه وسخريته وكذا تراه يعرض امامنا صورة واضحة كل الوضوح زاهية الالوان للحياة فترى في القصص الروائية سلسلة من صور الاخلاق والشخصيات التي قد اجاد رسمها وبيانها ايما اجادة

وفي سنة ١٧٩٧ اظهر مؤلفاً من خيرة ما كتب في دائرة الملاحم وقصص الابطال الحماسيين ونعني بذلك : Das liebtätige Gera gegen die Salzbrugischen Emigranten ومعناها « احسان مدينة جيرامهاجري سالزبورج »

وهي قصة حدثت بين ابن اسرة ثرية سرية واحدى المهاجرات الافاقات . ومن تلك القصة اخذ مادته للمحمته الشعرية (هرمان ودوروثيا Hermann & Dorothea) وقد وصف فيها الشاعر حياة اسرة من صميم الالمان . ولكي يجعل لقصيدته هذه مرجعاً هاماً جعل حوادثها الماضية كأنها حدثت في عصر الثورة الفرنسية وارجع اصول المهاجرين المطرودين من متبعي مذهب لوثر من سكان سالزبورج كأنهم من سكان الحدود الفرنسية . ويرفرف على كل القصة الروح الوطنية فيريك الطبيعة الالمانية والفضائل الالمانية والعادات الالمانية ويصورها لك تصويراً حسناً . ويسود القصيدة من اولها الى آخرها الوضوح التام وحب الحرية من كل المطاردين والمضطرين ثم اتنا نرى فيها ما نرى في الحياة الصحيحة من وصف للمعيشة الالمانية وما يحدث فيها بين الابناء ووالديهم وكما نراها في المدن وبين اوساط الناس ولما اتم تلك القصيدة الحماسية المذكورة ساح الشاعر سياحته الثالثة في السنة عينها في سويسرا وكتب هنالك قصيدة اويوفروزييني « Euphrosyne » وقد كتبها رثاء وذكرى لاحدى ممثلات فيمار المعدودات وكانت قد توفيت في سن العشرين واسمها كريستيان نويمان Christiane Neumann وفي اثناء تلك السياحة بدأ يفكر في انشاد ملحمة جديدة يسميها « فيلهلم تل » ولكنه سرعان ما عدل عن فكرته وبيننا كان شر يخرج للناس كل يوم شيئاً جديداً من مؤلفاته في المآسي العظيمة في اواخر القرن الثامن عشر ومستهل القرن التالي كان جوته قليل الثمر نادر النشر والاذاعة عن مبتكرات فهمه وعصير ذهنه ولكنه كان قد اتم الجزء الاول من (فوست) وترجم من مؤلفات فولتير تمثيلية (محمد) وتنكرد (Tancred) لمسرح فيمار واتم الجزء الاول من (البنت الطبيعية Die natürlich Tochter) علي مظهر

الحضارة الفينيقية

وتأثيرها في التمدن القديم

علاقة فينيقية بمصر

— ١ —

اثباتها بحوادث التاريخ الى عهد الفتح العربي

اصل الرعاة

الرعاة (هيكسوس) اول حلقة من سلسلة العلاقات الوثيقة التي ربطت فينيقية بمصر من اقدم عصور التاريخ الى اليوم. وهم قوم ينتسبون الى السلالات الفينيقية الاولى وبعبارة اخرى هم اخلاط من البدو المتنقلين بين سورية وبلاد العرب ومعظمهم من الكنعانيين وهو مذهب مارييت باشا. والرأي الراجح فيهم انهم من قبائل سامية وكنعانية جاءوا من ارض كنعان وسورية وبلاد العربية واجتازوا فلسطين الى مصر. والامة الحثية هي التي جمعهم في عهدة واحدة فالضوء تحت رايتها وتولت قيادتهم. وقد وجدوا في هيكل سمحه «تاميس» صحيفة قديمة ترمز الى هذه العهدة. ووجدوا في منطقة قرنه من اعمال مصر صحيفة اخرى استدلوها من رسومها على ان الحثيين هم الذين قادوا الرعاة في غزوتهم لمصر السفلى. وهذا ما يجعل لنا السر في حصر الفراعنة لاعمالهم الحربية في ما يلي من الزمن في شمال سورية موطن الحثيين اذلالاً لهم وانتقاماً منهم

عصر الرعاة في مصر

اجتاح الرعاة مصر السفلى بين القرنين الحادي والعشرين والعشرين وانشأوا فيها دولة قوية حكمت ٥١١ سنة على قول يوسيفوس و٥١٨ على قول غيره من المؤرخين وغزوة الرعاة لمصر كانت نتيجة طبيعية للاتقلاب الذي احدثته في العالم القديم فتوحات الشعوب الاسيوية ولا سيما العيلاميين الذين ضايقوا الكنعانيين وسدوا عليهم منافذ الرزق ففرّت بعض قبائل منهم من وجه الغزاة وما زالت تتنقل من مرحلة الى اخرى في طلب الاستعمار حتى وصلت الى مصر واوغلت في ارض الدلتا وبسطت سلطانها عليها

وقد اتهم بعض المؤرخين هؤلاء الرعاة بأنهم ارتكبوا في غزوتهم هذه لمصر كثيراً من المظالم كسبي النساء والاطفال ودك الهياكل وحرق المدن غير أن هنالك من الأدلة التاريخية ما يثبت أنهم ابقوا على الهياكل والآثار ولم يدكوا أو يحرقوا إلا ما قضت عليهم ضرورة الفتح بدكه أو حرقه من المدن والحصون بدليل أنهم عثروا في «تانيس» المناوحة لدمياط وفي تل البسطة «بوبست» قرب الزقازيق بتماثيل وآثار ملوك تقدموا عصر الرعاة ولم يعثروا هؤلاء بها والرعاة انشأوا في مصر السفلى كثيراً من المدن نظير آفاري «مدينة المهاجرين أو الهاريين» شرق السويس وكانت حصينة جداً ومدينتي تانيس وبوبست وكانتا عاصمتي ملكهم . واقاموا ابنية نفمة لا تزال آثارها شاخصة الى اليوم وتقشوا اخبارهم واسماءهم على هذه الابنية وعلى الآثار المصرية الاولى

وفي عصر الرعاة انشأ الفينيقيون في مصر السفلى كثيراً من المستعمرات التجارية كانوا يأتون اليها بسلعهم ومصنوعاتهم ويحملون تجارة مصر على سفنهم الى الاقطار الاسيوية . وامتدت متاجرهم على طول السواحل الافريقية المقابلة للساحل الاوربي من اطراف مصر شرقاً الى جبل طارق غرباً . واقتبس المصريون شيئاً كثيراً من اخلاقهم وعلومهم واخذوا عنهم صناعات كثيرة كانت ذائعة عندهم . وباتصال الفينيقيين بالمصريين في عصر الرعاة اتصل نفوذ فينيقية الى مصر قبل ان يتصل نفوذ مصر الى فينيقية ولا سيما في ما يتعلق بالصناعات والدين والآداب وفي عهد الرعاة هجر يعقوب حفيد ابراهيم الخليل حبرون في ارض الخليل مع عشيرته الى مصر حيث انضم الى ابنه يوسف كبير وزراء ابابي آخر ملوك الرعاة واشهرهم وكان اباً للشعب الاسرائيلي الذي اقام في مصر اربعة قرون

على ان اكتساح الرعاة لمصر السفلى وانصرافهم الى تعزيز دولتهم فيها ايقظ ملوك الصعيد الوطنيين من غفلتهم وما برحوا منذ ما رسخت قدم الغزاة في ارضهم يجاهدون في تعزيز مقامهم الى ان آنسوا من انفسهم القوة فهبوا لمناهضة الرعاة ووقعت الحرب بين الدولتين وطال اجلها ولا سيما الحرب الاخيرة التي ترجع الى اسباب دينية وقد ظلت سجالاً بين الدولتين اكثر من مائة عام حتى قام احمس الاول مؤسس الدولة الثامنة عشرة من دول الفراعنة فحاصر آفاري عاصمة الرعاة باربعمئة وثمانين الف مقاتل ولكنه عجز دونها فصالحهم على ان يحلوا عن مصر آمنين فخرجوا منها في مطلع القرن السابع عشر قبل الميلاد الى اليهودية ولم يستطيعوا تخطيطها لان الاشوريين كانوا قد بسطوا سلطانهم على الديار الشامية وظل قوم من الرعاة في مصر الشرقية يحرقون الارض ولا سيما في القرى الواقعة حول بحيرة المنزلة . وبخروج الرعاة من مصر رسخت سلطة الفراعنة في سائر البلاد المصرية

عصر الفراعنة في فينيقية وسورية

لما اشتدَّ ساعد المصريين واستتب لهم الامر في بلادهم تطالت اعناقهم الى التوسع في الملك واخذوا يترصدون الرعاة غزاتهم في الامس لينثأروا لانفسهم منهم باكتساح بلادهم والانتفاع بثمار الفتح . وكانت سورية في ذلك الحين ميداناً يتبارى فيه ملوك الجزيرة الفراتية احرازاً لسيادة ممالكها الآمنة فكانت هذه المباراة باعثاً للفراعنة على التحفز لمنافسة الممالك الشرقية والقضاء على بابل والتسلط على هاتيك الاصقاع متوسلين بما شهدوا من التنافس بين ممالك سورية الصغيرة المتخاذلة وتهافتها على استنجادهم والتماس عونهم الى التعرض لشؤونها تظاهراً منهم بالتوفيق فيما بينها او برذر غزاة المشرق عنها على نحو ما فعل الرومان وسواهم من طلاب الاستعمار بعد ذلك بحقبة من الدهر اذ لالاً للام الشرقية والتسلط عليها . وهكذا شهرت الدولة المصرية على آسيا حرباً عواناً وثبتت على مناوأة سورية ومنازعة الممالك الشرقية السيادة فيها خمسة قرون كاملة اي من القرن السابع عشر الى اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد حيث ابتداء عصر الاستقلال الوطني في سورية

على ان الفاتحين المصريين قاسوا الشدائد في اخضاع ملوك سورية لما كان هؤلاء عليه من النزوع الفطري الى الاستقلال . ومن اولئك الفاتحين من افنى سني ملكه في مقاتلة العصاة في سورية ورد الممالك الكنعانية الى طاعة مصر نظير طوطمس (تخوتمس) الثالث وساتي الاول ورعمسيس الثاني ورعمسيس الثالث . وقد تتبع الفاتحون في غزواتهم طريقاً واحداً فكانوا يجتازون بلاد كنعان الاصلية الى مدينة مجدو الحصينة ومن هناك يجتازون الوهاد فوق بحيرة طبرية في جوار قدس « بحيرة الحولة » ومنابع الاردن عند مدينة لايش ثم يسرون في المضائق عند سفح حرمون الغربي ولبنان الشرقي ثم يمرون على وادي الليطاني الذي كان وقتئذ بحيرة كبيرة ثم على بعلبك فوادي العاصي الى ان يصلوا الى قدس الكبيرة وهي حمص وحماة ثم يدخلون في البادية سائرين الى قرقيسيا وهناك يعبرون الفرات الى الجزيرة الفراتية

اما مملكة صيدون فقد واتهم وحالفهم واقتفت اثرها مملكة يروت وجبيل فحفظوا لها استقلالها الداخلي ولذلك فان معظم الضرر الذي نشأ عن غزوة مصر لسورية وما بين النهرين لحق البلاد الكنعانية والآرامية الواقعة بين مصر وآسية . ولم ينل فينيقية والمدن الساحلية منه في بادىء الامر الا القليل لان الفينيقيين والوا اولئك الفاتحين فتجنبوهم وملكوا في غزواتهم طريق الشرق على نحو ما يتنا في ما تقدم

وكان الفراعنة في غزواتهم يكتفون ببسط سيادتهم العليا على البلاد التي يفتتحونها في الديار السورية والاسيوية لعجزهم عن اخضاعها تماماً ولعدم وثوقهم من ثباتها على ولائهم

وقتاً طويلاً فيفرضون عليها خراجاً سنوياً ويجندون جماعة من اهلها ويربّون في مصر خلفاء ملوكها ويأخذون منها رهائن و يقيمون حاميات عسكرية في مدنها لئلا تخلع نيرهم وتعالى عداتهم عليهم . وكانت حكومة البلاد الخاضعة لمصر ممثلة لحكومة الاقطاعات تتمتع باستقلالها الداخلي التام ويتولاها حاكم من اهلها يلقب بملك . وكان الفراعنة يحافظون على شرائعها الوطنية ويحترمون عادات اهلها وتقاليدهم ودياناتهم ويطلقون لها الحرية في مسالمتهم او ابرام معاهدة معهم يتبادل الفريقان بمقتضاها المنافع السياسية والتجارية والاقتصادية

هامة فينيقية ومصر

وقد اثبت المؤرخون انه كان بين فينيقية ومصر معاهدة تقضي على الفريقين بالتآزر والتعاون في الخطوب والمهمات . فكانت صيدون عاصمة فينيقية لا تتعرض قط للفراعنة في غزواتهم للاقطار الاسيوية . وكان اسطول صيدون رهن اشارتهم لينجدهم في غزواتهم ويسير بجندهم لجباية الجزية من الجزر والاقاليم الساحلية ولها في مقابل ذلك تعزيز الاسطول بالجند المصري ومعدات الحرب . وقد اقام الصيدونيون على مسالمة الفراعنة حقبة طويلة من الدهر فسلموا الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ولا سيما في عهد طوطمس الثالث الذي انشأ عمارة بحرية عهد اليهم في قيادتها وتعهدها بالعناية اللازمة وهكذا في ولاية رعمسيس الاول مؤسس الدولة التاسعة عشرة وابنه ساتي الاول ورعمسيس الثاني . واستمرت الصلات مستحكمة الحلفات بين مصر وعاصمة فينيقية الى عهد الدولة السادسة والعشرين فان هذه الدولة استخدمت الصيدونيين في عماراتها البحرية لانها وجدتهم ابرع اهل زمانهم في فن الملاحة ولذلك لم يتعرض اولئك الغزاة بسوء لصيدون وهكذا لجبيل وبيروت اللتين حذوا في مسالمتهم خلافاً للممالك الكنعانية الاخرى فانها شايعت اعداء مصر من كلدان واشوريين ونصرتهم عليها

والنتيجة ان خضوع فينيقية لمصر لم يكن الا لتبادل المنافع السياسية والاقتصادية على ان يكون ملوك فينيقية سائدين في قومهم مستقلين في شؤونهم بمقتضى شرائعهم الخصوصية ولكنهم يعترفون بسيادة مصر ويؤدرون للفراعنة الجزية وينجدونهم باساطيلهم . وهذا التحالف بين مصر وفينيقية من اكبر الادلة على ان الممالك الفينيقية كانت على ضيق مساحتها عزيزة الجانب وكان شأنها مع مصر من وجوه كثيرة شأن النظير مع نظيره

حروب الفراعنة في سورية

واهم الحروب التي اصبى الفراعنة نازها في سورية كانت مع الروتن وهم مزيج من اللودين

والآراميين ومع الحثيين الشماليين وهم الذين قادوا عشائر الرعاة في غزوتهم لمصر . واول من حاربهم من الفاتحين المصريين طوطمس الاول الذي اقام على الفرات نصباً نقش عليه خبر فتحه لبلاد الحثيين . وطوطمس الثالث الذي افتتح من الممالك السورية ١١٩ مدينة نقش اسمائها على احد جدران الكرنك في الاقصر . وطوطمس الرابع وقد نقش خبر حملته عليهم على حجر وجدوه في هيكل امون في طيبة عاصمة الفراعنة . ثم قام رعمسيس الاول وهم باخضاعهم ففشل ومع انه كان يترفع عن محالفة ملوك سورية عملاً بخطة سلفائه اضطره ما شهد من بطش الحثيين وقوتهم الى محالفتهم محالفة الند لند كما جرى للذين تقدموه من الفراعنة مع الصيدين . ولما افضى تاج مصر الى ساتي الاول عاد الحثيون الى مناوأة مصر فزحف عليهم وفتح قادش « قدس » عاصمتهم ثم حالف ملكهم موتنار . غير ان هذه الحلفة لم يطل اجلها فخان موتنار العهد وقطع على المصريين طريق حلب والفرات بحيث باتت املاكهم محصورة في فلسطين وما جاورها من بلاد الاراميين والفينيقيين . وقد نقش اخبار غزواته لبلاد الشام في هيكل امون في الكرنك . وفي جملة آثار هذه الغزوات صورة تمثل اهل لامنون « اعالي لبنان » يقطعون خشب الارز والسرو لابنية الظافر وصورة اخرى تمثل مدينة قادش يحاصرها المصريون

ثم قام رعمسيس الثاني « سيزوستريس » بين اواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن الخامس عشر فثارت فلسطين عليه باغراء الحثيين فزحف عليها وأخضعها ووصل الى بيروت فنقش صورته على صخر عند مصب نهر الكلب تذكاراً لانتصاره هذا وفي ايامه كان الحثيون في ابان صولتهم واتسع نطاق املاكهم حتى تناول جميع الاقاليم الواقعة بين قادش واطراف آسية الصغرى جنوباً ولبنان والفرات شمالاً ووالتهم اقاليم سورية برمتها ما عدا صيدا وجبيل فانهما انحازتا الى جانب مصر . وقد كسروا رعمسيس ثم استظهر عليهم عند العاصي في معركة هائلة نقش خبرها في هيكل الكرنك واستمرت الحرب بينه وبينهم اربعة عشر عاماً ولم تخمد جذوتها الا بمقتل ملكهم موتنار غيلة في احدى المعارك خلفه اخوه كيتاسار وابرم مع المصريين عهدة نقش على جدار في هيكل الكرنك وقد تعاهد فيها الملوك على التضافر والتعاون واعتبار الشعبين المصري والحثي متساويين في جميع الحقوق والمرافق . وتحافظ المصريون والحثيون على هذه العهدة قرناً كاملاً . وبمقتضاها جعلت مدينة جبيل حداً فاصلاً بين املاك الدولتين فجعلت املاك مصر في الغرب والجنوب واملاك الحثيين في الشرق والشمال . وتزوج رعمسيس بنت كيتاسار الحثي وزاره هذا في مصر واقام في مدينة طيبة عاصمة مصر حيث التقى المتحالفتان نصب نقش عليه صورتهم تتوسطهما صورة رعمسيس الحثية . ومن ذلك الحين توطدت العلاقات بين الشعبين المصري والحثي واخذ المصريون يستعملون في لغتهم

الفاظاً من فروع اللغة السريانية وانتقلت عبادة كثير من الآلهة السورية الفينيقية الى مصر ولا سيما عبادة بعل وعشتروت « الزهرة »

الفتح الاسرائيلي

تلا عصر الفراعنة في سورية وآسية فتح الاسرائيليين لارض الميعاد وطن آبائهم . خرجوا من مصر منهنزمين بقيادة موسى من وجه رعمسيس الثاني الى برية سيناء وأوغلوا في الصحراء فتاهوا هناك اربعين سنة كانت في اثنائها قوى المصريين والحشيين قد خارت وملوا القتال فعقد الصلح في ما بينهم . ثم مات رعمسيس وخلفه ابنه منفتح وفي عهده تم خروج بني اسرائيل من ارض مصر الى ارض الميعاد بعد ان اقاموا في ارض الفراعنة نيفاً واربعة قرون وافتتحوا ممالك الكنعانيين واستقروا في فلسطين واحججت مصر عن انجاد هذه الممالك لاشفاقها ان ينالها اذى في تعرضها لهم وهم لم يخرجوا منها الا بعد ان انزلوا بها البلاء الاعظم فرأى الفراعنة انهم في غنى عن تجشم المصاعب في الذود عن ارض كنعان ولا سيما ان الفاتحين لم يتخطوا حدود مملكة صيدون حليفة مصر ولم يجاوزوا الاردن الى المدائن الفينيقية التي امتنعت عليهم بغير ان تفتقر الى عون مصر حليفها

نور العلاقات بين مصر وفينيقية

وما انفكت المودة مستحكمة الحلقات بين مصر وفينيقية الى ان سقطت صيدون وافضت السيادة السياسية الى صور في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد . فهاج مجد صور مطامع الفراعنة ووقفوا لها بالمرصاد الى ان جلس على عرشها عبد عشتاروت في القرن العاشر فأغرى فرعون شيشق ابناء مرضعه الاربعة بقتله اضعافاً لشأن الفينيقيين بالانقسام الداخلي الذي يعقب عادة مثل هذا الانقلاب السياسي . واتخذ فرعون من جهة اخرى فرار يربعام الافرائيمي من وجه سليمان والتجائه اليه لايقاع الشقاق بين الاسرائيليين . وقد نجحت حيلته في الامرين وغزا فلسطين وافتتح اورشليم وانشقت مملكة اسرائيل الى شطرين مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل وكانت بين المملكتين حروب طاحنة أثارت كوامن الطمع في نفوس الفاتحين من ملوك دمشق وفراعنة مصر وملوك اشور وبابل وفتحت عيونهم على ما يستطيع من الغنم في مثل هذا الانقسام وافضى الامر اخيراً الى وقوع مملكة اسرائيل تحت نير الاشوريين ومملكة يهوذا تحت نير الكلدان

وأما صور فبعد مقتل عشتاروت وجلوس ابن مرضعه على العرش نشبت فيها نار الفتن الاهلية فأوهنت قواها وشل اعصابها تنازع الزعماء السيادة فيها ولم تسترد ما كان لها من

المجد الطريف إلا في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حيث جلس بيكماليون على العرش وفرت اخته ديدون الى افريقية بطائفة من اشراف المملكة وشيدت هناك مدينة قرطاجنة . وبقرار ديدون هذه توطد النظام الجديد في صور وأصبحت الكلمة النافذة للشعب بعد ان كانت للخاصة

العصر الآشوري

وتوالى على سورية وفلسطين حوادث كثيرة وقف المصريون بازائها وقفة الرقيب المحاذر لأن آشور كانت تسلطت على هاتيك البلاد ودانت لها مصر . وقد ارجعت آشور العالم القديم بالمظالم التي ارتكبتها في تغلبها على الشعوب الآسيوية ونسج ملوكها على منوال واحد في الاستمتاع بشقاء هذه الشعوب . على ان مصر ما برحت منذرسوخ قدم آشور في الديار الشامية تأكيد لها المكاييد حتى اذا نجحت حياتها في اثاره السوريين عليها هبت لمقامتهم الغنيمة والا اخلدت الى السكون وتلاها بشؤونها الداخلية وحمت من التجأ اليها من ملوك فلسطين اثر غزوات الآشوريين لبلادهم

وكان الفينيقيون يضطرون احيانا الى ممالأة آشور على المصريين اشفاقاً من بطشها فانجدوا أسرحدون ثالث ابناء سنجاريب في حملته على مصر واخضاعه لها وانهزم ملكها ترهاقة احد ملوك الدولة الحبشية من وجهه وهكذا ابنه آشور بانيبال فانه لما غزا مصر وطرده الاحباش منها في منتصف القرن السابع اكره ملوك فينيقية وسورية على انجاده برجالهم

عصر البطران

ولما انقرضت دولة آشور قامت على انقاضها دولتا مادي وبابل واقتسمتا ممالكها فكانت سورية ومصر من نصيب نيوبلاصر البابلي . غير ان هذا الفاتح تشاغل عن الديار الشامية والمصرية بمعارضة الماديين حتى انس السوريون بضعفه فدانوا للمصريين وقام فرعون نيخو فاستقل ببلادهم وحمل على سورية وفتح اشدود . وخلفه نيخو الثاني — وهو الذي ارسل بعثة فينيقية دارت حول القارة الافريقية — فزحف على الديار الشامية وبعد ان كسر ملك يهوذا وقتل به عند مجدو عقاباً له على ولائه لآشور استأنف الزحف الى فينيقية حليفة مصر في الامس فرحب به الفينيقيون وأنجدوه برجالهم ووصل في غزوته هذه الى الفرات . غير انه ما كاد يستتب الامر لمصر في ديار الشام حتى زحف عليها نبوخذ نصر « بختنصر » وهزم المصريين وأجلاهم عنها ووطد سلطانه فيها . على ان هؤلاء عادوا الى دس الدسائس فيها

وحرضوا اليهود على خلع نير بابل فزحف بختنصر عليهم وكسره ثم أعاد الكرة على فلسطين وسبي من أهلها عدداً عظيماً إلى بابل

ولما وقع النفور بين مادي وبابل واضطربت المملكةتان تحين حفرع خليفة نبحو فرعون مصر الفرصة وعاد ينازع بابل سيادة سورية وتعاهد مع بعض ملوك فينيقية ويهوذا وعمون وموآب على خلع نيرها وزحف على صيداء وافتتحها واستخدم أسطول صور لافتتاح قبرس وسائر المدن الفينيقية فدمه الفاتح البابلي وكسره تحت أسوار اورشليم وافتتحها وجلا ملكها صدقيا إلى بابل . ثم حاصر صور ثلاث عشرة سنة فعجز دونها . ثم أعاد الكرة عليها في أواخر القرن السادس فتم له فتحها ودمرها . أما فرعون فكان قد تأهب لإنجاد صور ولكن قبل أن يستكمل معدات النجدة وقعت في أيدي الكلدان . وخيل إلى صور أن مصر أحجمت عن مساعدتها عمداً خوفاً من الفاتح البابلي فاستاء أهلها ولذلك لما همت عمارة مصر بأثارة الفينيقيين على الكلدان لم تتردد صور في نصرة البابليين على مصر . وعندنا أن الفينيقيين كانوا لا يزالون على ولاء مصر ولكنهم لم يتجرأوا على ممالأتها ضد بختنصر خوفاً من أن يحل بهم ما حل باخوانهم السوريين فانقلبوا على المصريين . ولكن أسطول مصر استظهر على أسطولهم وافتتح صيداء وأرواد وغيرها من مدن فينيقية . غير أن ولاية مصر على سورية لم تستمر أكثر من أربع سنين فعاد بختنصر وافتتح سورية ومصر وأخضعهما لبابل

عصر الفرس

وفي ولاية الفرس على سورية ظل شأن المصريين في علاقتهم بملوكها وشعوبها كما كان لعهد الآشوريين والبابليين . وكان الفرس يستنجدون السوريين على المصريين فلا هم يجرؤون على معارضة فارس ومناصبتها العداء ولا يسعهم نبذ تقاليدهم الموروثة القاضية عليهم بموالاته المصريين ومناصرتهم فكان موقفهم بازاء تنازع مصر وفارس محفوفاً بالمخاطر

ذلك أنه لما استحوذ قورش الفارسي على بابل دانت له فينيقية فصادقها واستعان بها على المصريين فجهزت له أسطولاً ضخماً لمحاربة مصر . وخلفه على إخضاعها ابنه قمباز مستنجداً العمارة الفينيقية . وباتت السفن الفينيقية من أعظم قوى الدولة الفارسية تجري عليها المرتبات الضخمة وقد فازت بفتوحات كثيرة استعادت فيها مجد فينيقية وعظمتها وفي أيام ارتخششتا الأول كان الأسطول اليوناني يغزو السواحل الفينيقية حيناً بعد حين أنجاداً للمصريين على الفرس ولكن العامل الفارسي كسره . ثم همت مصر باسترجاع سورية فتأهب الأسطول الفينيقي لصد غارة أسطولها فكفت عن التناول . وفي أيام ارتخششتا الثالث ثارت الحملات الفارسية فاقتلس فرعون نكتانبو فرصة الاضطراب وزحف على فلسطين وكسر الفرس .

وشاع نبأ انكسار الفرس في حرب المصريين فثار ملوك قبرس وفينيقية وثبتت فينيقية على المقاومة وانجدها مصر بجيش من جندها بقيادة منتور الرودسي فزحف ملك الفرس على صيدا وافتتحها غرة بمساعدة زعيم جند مصر وبسقوط صيدا عادت فينيقية الى طاعة الفرس . ثم زحف ارتخششتا على مصر لمعاقبها وافتتحها وضمها الى مملكته . وما زالت كذلك الى ان انتصر الاسكندر المقدوني على داريوس سنة ٣٣٤ ق.م وقضى على سيادة الفرس في الديار الشامية والمصرية وضم سورية الى فينيقية وجعلها ايلة واحدة

عصر البطالسة والسلوقيين

وفي عصر البطالسة والسلوقيين خلفاء الاسكندر لم ينفك المصريون عن التعرض لشؤون سورية فتابعوا الخطة التي جروا عليها في عهد سلفائهم . وكانت فلسطين من نصيب بطليموس صاحب مصر وتعاقب البطالسة عليها الى بدء القرن الثالث . واما فينيقية فظلت تتنازعها ايدي الفاتحين من هؤلاء الملوكة الى اجل طويل فكانت تارة تقع في ايدي السلوقيين واخرى في ايدي البطالسة اصحاب مصر الى ان تسنى للرومان التدخل في شؤون سورية لالتجاء هنيبال بطل قرطاجنة اليها وهو الدعدو لهم . ولم يطل الزمن حتى وقعت الحرب بين الرومان والسوريين وانجحت عن فوز الرومان وفرضهم الجزية على ملك سورية . وبعد حين عادت رومية الى التحرش بسورية واستفززتها الى مناصبتها العداء — وفي اثناء ذلك كانت مصر تدس الدسائس في الديار الشامية اضعافاً لها ليتسنى لها الاستيلاء عليها . فاعزت الى الاسكندر بالان يدعي العرش السلوقي ففعل وظفر به . ثم قام عليه ديمتريوس نيقاتور وخلعه عن العرش بمساعدة مصر . واساء التصرف مع الشعب فنشبت ثورة في البلاد وبرز المكابيون بقيادة سمعان المكابي فصالوا واتوا اعمالاً عظيمة واستقلوا بالملك . وتلا ذلك قيام تريفون على الطيوخس الثامن وفتكه به واستبداده بالدولة وحدث اضطراب عظيم ادى الى انقسام المملكة . وتخاذل امرائها وزعماء اقوامها والسياسة الرومانية جارية في مجراها بكل دقة واحكام ولما دخلت الدولة السلوقية في دور الاحتضار كان الضعف بلغ اشد من المملكة السورية فتحسين الرومان الفرصة وجاء بومبايس سنة ٦٣ ق.م وافتتحها وجعلها ولاية رومانية . ثم اكتسح القطر المصري والحقة بالممالك الرومانية . فكانت مصر وسورية في عصر الرومان شقيقتين تتقاسمان البلوى وتشكو ان عبر الزمان على السواء ولو ان هذا العصر كان في كليهما عصر رخاء واقبال من الوجهتين الاقتصادية والعلمية

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف. ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنناظر ك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالملقات الوافية مع الایجاز تفضل على المطولة

الشاهنامه وترجمتها العربية

حضرة رئيس تحرير المقتطف المحترم

اطلعت على ترجمة الشاهنامه للفتح بن علي البنداري التي نشرها وعلق عليها الحواشي الدكتور عبد الوهاب عزّام المدرس بالجامعة المصرية وصدرها بمقدمة ثمينة مما دل على اطلاعه الواسع وادبه الجلم. فلا شك ان العلماء والادباء يقدرون همته القعساء ويشكرون له مساعيه العظيمة في سدّ ثلثة في الآداب العربية وايقاف ابناءها على كنز من كنوز الآداب الفارسية طالما اشتاقوا الى زلاله

مررت على هذا الاثر النفيس فبدت لي بعض ملاحظات وتضويبات لهجات هيّئات لا يكاد يخاو منها كتاب من الكتب الكبيرة كالشهنامة فاستأذن الدكتور عزّام نشرها تلمساً للحقيقة التي هي رائد كل نفس كبيرة فأقول

جاء في المدخل ص ٢٠: « موسى القوريني » وصوابه « الخوريني » كما يأنفذه الارمن. وكتبه الفرنسيون Moise de Chorène ووفال الآداب السريانية ص ٢٤٢ وكتبه الانكليز Moses of Chorone سايكس ١: ٤٦٧

وفي ص ٨٠ من المدخل: الدولة الميديّة: ترجمة Media الانكليزية او La Médie الفرنسية والمشهور الدولة المادية او الماذية

وفي الصحيفة عينها « الآثار الاسورية » وكأني بالناشر الكريم يريد بالاسورية ترجمة Assyrian فقالت العرب في هذا المعنى الاثورية او الاشورية ولم ترد في كلامهم اسورية. وورد في ١: ٧٨: تعريب Malcolm ملكولم والحال يتبع في نقل الاسماء اللفظ وليس الحروف فوجب عليه القول استناداً الى هذه القاعدة « ملكم » كما قال في Mohl مول في الصحيفة عينها

وفي ٢ : ٧٤ : ذكر « مروثا اسقف العراق » جاء رسولا يخبر ملك الفرس بولاية ثيودسيوس وأُسند الرواية الى سايكس ١ ولم يذكر الصحيفة والصحيفة هي ٤٦٤ فنقول مروثا او ماروثا لم يكن اسقف العراق بل كان اسقف ميفارقين ولم تكن ميفارقين في يوم من الايام من العراق بل كانت من مدن بين النهرين Mesopotamia وعرفها العرب بالجزيرة والاصح « جزيرة اقور » كما جاء في معجم البلدان ومن امهات مدنها حرّان والرّها والرقّة ورأس عين ونصيبين وماردين وآمد وميفارقين والخابور الخ . والذي حدّا بالدكتور الى قوله « مروثا اسقف العراق » عبارة سايكس Marutha, a Mesopotamian bishop فترجمة هذا النص هكذا : مروثا احد اساقفة بين النهرين (او الجزيرة) او ماروثا اسقف من الجزيرة او اسقف من بين النهرين وفي حاشية ٢ : ١٠٥ اسماء جيل من الناس يدعون في مصر الغجر ويسمون في بلاد فارس اللورية وفي بلاد العرب الزط والعشرية . وقد غفل الناشر انهم يدعون ايضاً النور ويقال لهم في العراق القرج والكاولية

وفي حاشية ٢ : ١٠٦ قال : وقد ذُبح في كركا ؟ (كركوك) آلاف من المسيحيين يحتفل بذكري شهادتهم حتى اليوم في كركوك (اسندها الى سايكس ١ : ٤٥٣) سهواً والصحيح ص ٤٧١ . وقد عرّب الدكتور عزّام اللفظ Karka طبقاً للحروف اللاتينية ولو لم يردف اسم هذه المدينة بكر كوك لعسر على المطالع معرفتها لأن المؤرخين عرفوها باسم كرخا او كرخاد بيت سلوخ . وكذلك نقلها المؤرخون العرب . ويسرنا ان نذكر ان اللفظ « الكرخ » او « كرخ » اسم لموضع عرفها العرب . وهو من هذا الاصل السرياني . ومنها جانب الكرخ في بغداد . وفي صفحة ٢ : ١٩٨ نقرأ هذه العبارة : « وقد اخطر في اوائل عهده البطريق الهرم سپراء شو (؟) الى مصاحبة جيشه ليباركه : قلنا الافصح ان يقول البطريك او البطريك بمعنى Patriarche تمييزاً عن البطريق ترجمة Patricien . ومع هذا فاننا لا ننكر ان فريقاً من الكتاب عرّب اللفظ الاول بالصورة التي عرّبها الناشر . غير ان المهم في هذا الموقف ان نضبط اسم هذا البطريك الذي يدعوّه ناشر الشاهنامه « سپرإشو » فهو سبر يشوع وقد تولّى كرسي بطريركية المدائن ٥٩٦ - ٦٠٤ م وقد نتج هذا السهو من نقل الحروف اللاتينية Sabir Isho . وفي ٢ : ٢٣٥ = ثم استرده هرقل (اي عود الصليب الحقيقي) بعد وفاة ابرويز سنة ٥٢٨ كما يأتي (آه) قلنا جاء التاريخ ٥٢٨ مغلوطينا وربما اراد الناشر سنة ٦٢٨ فشط به القلم . وعلى ذكر عود الصليب نقول ان الدكتور عزام رجع اليه في ص ٢٥١ و ٢٥٩ وقال احتفل هرقل برده في ١٤ سبتمبر ٦٢٩ فان صحّ هذا التاريخ فاسترجاع الصليب انما كان في عهد اردشير (اه)

يسرنا ان ننقل هنا عبارة عن استرداد الصليب وردت في كتاب لابور الفرنسي النصرانية

في المملكة الفارسية» ص ٢٤٢ وهي: — ان فرائين Farrukhan الذي خلف شيرويه على عرش
الأكاسرة رد الى هرقل الصليب الحقيقي مع هدايا نفيسة وذلك شكراً له عن مساعدته او عن
عطفه عليه في سبيل تبوئه العرش

وفي ٢ : ٢٣٦ كلام عن مريم وشيرين زوجتي كسرى برون وعن اصلهما وتوحيدهما :
فالارجح انه كان لكسرى برون امرأتان مسيحيتان الواحدة مريم الروحية بنت الملك موريقي
والاخرى شيرين الارامية من ميسان فبنى لكل منهما كنائس وبيعاً (راجع شير : تاريخ
كلدو واثور ٢ : ٢١٤) وفي ٢ : ٢٣٧ : كان فرهاد المهندس الذي بنى لخسرو برون طاق خسرو
في تحت البستان (؟) رب كرمشاه والقصر الذي في مشيطة (؟) على خمسة وعشرين ميلاً الى
الشرق من المنتهى الشمالي للبحر الميت (اه)

قلنا في هذه العبارة غلطان اولهما ان البناء قرب كرمشاه لا يسمى « تحت البستان » بل
طاق بستان وقد صور احد مشاهده سايكس ١ : ٥١٣ وكتاب تحت الصورة TAK-I-Bustan
or Arch of the Garden وقد زرت سنة ١٩٢١ ووصفته وبحثت في تاريخه وصورته في المقتطف
(نوفمبر ١٩٢١) والغلط الثاني قصر مشيطة ؟ لا يهتدي المدقق الى ما يريد الدكتور عزام
الاحدس والتخمين . فلا شك انه اراد بقصر المشيطة قصر المشتى في بلاد موآب غربي
وادي سرحان وقد وقع الناشر في هذا الغلط من نقل الحروف اللاتينية Mashita راجع عن
هذا القصر مجلة المشرق ١ : ٤٨١ و ٦٣١ ثم ٤ : ٧٦٥ و ٥ : ٦٦٩ و ٧ : ٣٩١ وسايكس ١ : ٥١١ ؟
و ٥١٥ و ٥٢٣ و ٢ : ٢٤٦ : وقد عرّب الناشر اسم الامبراطور « Phocas » فوكاس
والامبراطور « Maurice » موريس وكان جديراً به ان يتبع في التعريب احد المؤرخين
العرب كـمزة الاصفهاني او الطبري لئلا يحدث صورا جديدة لمثل هذه الاسماء الغريبة .
فالاصفهاني والطبري قالا في « Maurice » موريقيس او مريقيس وفي Phocas فوقاس وفوقا
هناك غير هذه الملاحظات ضربت صفحة عن ذكرها . ولكن كل ذلك ليس بشيء تجاه
فضل الدكتور عزام بابرار هذه الترجمة بثوبها القشيب وحواشيها ومقدمتها الفياضة
بالمعلومات النفيسة (بغداد) ي . غنيمه

ثعلبان . . . مفرد او مشني

قرأت في مقتطف يوليو سنة ١٩٣٢ مقالا نفيساً للاستاذ العالم الامير مصطفى الشهابي
عنوانه « العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية » ولي ملاحظة بسيطة على نقطة في ذلك المقال، هي :
قال « وربما جال في خلدك ان تتخذ لك صنماً تعبد به ، ولكنني اخشى ان يكون
من عجيب او حلوى فتضطر الى اكله في مضطرب هذه الازمة الاقتصادية كما فعل العرب قبل
الاسلام وأخشى ان يصيبه ما أصاب صنم بني سليم ، وكان سادته يسمى غاوي بن ظالم فبينما

هو ذات يوم جالس بعيداً عنه اذا بثعلبان اقبلا وهما يشندان فشعر كل منهما رجله وبال على الصنم فنظر اليه غاوي وقال

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب «

فلاستاذ الشهابي يقول انهما كانا ثعلبين اثنين اقبلا وهذا قول يخالفه ما ورد عن كبار أئمة اللغة فالذي روي عنهم وسمعه من اساتذتنا في مجالس الادب انه ثعلبان وبضم الثاء وهو مذكر الثعالب لا تثنية ثعلب . ويظهر ان الأستاذ قد اعتمد على ما ذكره الفيروزابادي صاحب القاموس ولكن صاحب القاموس اخطأ لأنه ذهب الى انه مثنى وتخطئته للجوهري — كعادته على رأي الأستاذ الجليل استاذنا احمد امين — غير صحيحة ، والصواب ما ذهب اليه الجوهري لان عدداً ليس بالقليل من أئمة اللغة ذهبوا الى ما قاله الجوهري منهم الكسائي وشارح القاموس ، وابن منظور ، والبغوي في معجمه ، وابن شاهين ، والاصفهاني صاحب دلائل النبوة ، والجاحظ ، والحافظ شرف الدين الدمياطي وغيرهم (١) من المحدثين كالاستاذ فريد وجدي ، والمعلم بطرس البستاني ولا نعرف احداً ذهب الى ما يقوله الأستاذ الشهابي اللهم الا الهروي وصاحب القاموس وقد رد على الهروي ابو عثمان الجاحظ كما في دائرة معارف القرن العشرين ، وقد رد على الهروي ايضاً الحافظ ابن ناصر فقد ورد في تاج العروس ما نصه « وقال الحافظ ابن ناصر اخطأ الهروي في تفسيره ، وصحف في روايته وانما الحديث ثعلبان بالضم مذكر الثعالب مفرد لا مثنى واهل اللغة يستشهدون بالبيت ارب يبول الخ للفرق بين الذكر والانثى كما قالوا في الافعوان والعقربان وحكى الزمخشري عن الجاحظ ان الرواية هي بضم الثاء »

وقد رد شارح القاموس ردّاً مطولاً قال فيه ان قول الفيروزابادي غير صحيح والصواب ما قاله الجوهري نقلاً عن الكسائي والكسائي عمدة في هذا وثقة اذن فما ذهب اليه القائلون بالتثنية غير صحيح منشأ الغفلة وتتمياً للفائدة اقول ، ان الرواة مختلفون في صاحب هذا البيت فبعضهم يقول هو العباس بن مرداس وبعضهم يقول هو ابو ذر الغفاري وبعضهم يقول انه غاوي بن ظالم. ولهذا البيت رفيقان هما :

لقد خاب قوم املوك لشدة ارادوا نزالاً ان تكون تحارب

فلا انت تغني عن امور تواترت ولا انت دفاع اذا حل نائب

ارب . . . الخ م . اسعد طلس

حلب (سورية) بكلية الآداب — الجامعة المصرية

مساعداً تاريخية

جاء في « ٤٣ : ٨١ » من المقتطف « كما اننا لا نعلم هل كان يومئذٍ في بغداد من كان يحسن قراءة وفهم رسالة كتبت باللاتينية او ان الخادم المذكور تولى هذا الامر بنفسه »
نقول : ورد في وفيات الاعيان لابن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ « ١ : ٣٧٧ » ما صورته « وجميع كتابات الامم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة وهي : العربية والحيرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية والانديسية والهندية والصينية ، فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها وذهب من يعرفها وهي الحيرية واليونانية والقبطية والبربرية والانديسية ، وثلاث قد بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي الرومية والهندية والصينية ، وحصلت اربع هي مستعملات في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والسريانية ^(١) والعبرانية » فقد اراد بالرومية « اللاتينية »
والكون وفاة الخليفة المكتفي المبحوث عن معرفة اللاتينية على عهده ، حدثت في آخر القرن الثالث للهجرة ووفاة ابن خلكان في آخر القرن السابع للهجرة ، يرجح انه كان في بلاد الاسلام في القرن الثالث للهجرة من يعرف الرومية فالمدّة بين العهدين قراب أربعة قرون ويؤيد هذا الرأي الرجح قول ابن خلكان « وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام » لانه اشارة الى عرفانها قبل عصره ، بل يحشر هذا الرأي محشر الحقائق ما ورد من اخبار رسالة الروم الى الخليفة المقتدر في الصالح والفداء سنة « ٣٠٥ » هـ وكان هو التالي في الخلافة للمكتفي ، قال ابو علي أحمد ابن محمد المعروف بمسكويه في « ٥ : ٥٤ » من تجارب الامم عن رسولي ملك الروم « وكان معها ابو عمر (عدي) بن عبد الباقي يترجم عنهما ولهما » وجاء في « ١ : ١٠٤ » من تاريخ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ما أصله « ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ولنصر القشوري — وكانا يترجمان عن المقتدر — : لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبلة . . . » والظاهر ان الرسالة كانت باليونانية لا باللاتينية وكذلك الترجمة لان ملك القسطنطينية واهلها اذ ذاك من اليونان ، لكن حياة اللغة اليونانية في بلاد الاسلام — وقد ذكر موتها ابن خلكان — يدل على حياة اللغة اللاتينية التي عدم العارف لها في بلاد الاسلام على عهده وكانت معروفة قبله ، ونحن لا نشك في ان

(١) قال الدكتور « اسراييل ولفنسون » في ص ١٤٧ من تاريخ اللغات السامية « وفي القرن الرابع عشر أخذت السريانية تفنى بسرعة بسبب تغلب الفتوح التتارية بشكل لم يحفظ مثله التاريخ » وابن خلكان قد ذكر استعمال هذه اللغة في بلاد الاسلام على عهده وكان التتر اذ ذاك قد استولوا على ايران والعراق وآسية الصغرى واكبر سورية حتى وصلوا الى عين الجالوت — كما في مرصد الاطلاع — وكتبت السريانية على الجدران ببغداد في اول دخول التتر اياها

اللغة اليونانية في عهد المكتفي كانت أشيع من اللاتينية لأن كثيراً من المسيحيين النساطرة أتقنوا اليونانية وترجموا جماعة من كتبها إلى العربية — كما هو مشهور في تاريخ الثقافة الإسلامية — وكانت بعضها متداولة في زمن المكتفي

القبة والطير والمظلة

وورد في ص ٤٦ بحث قيم لذيذ في القبة والطير والمظلة فنقول : ذكر القبة أيضاً قطب الدين الحنفي في ص ٨٧ من الاعلام باعلام بيت الله الحرام قال في ذكره الجراكسة « وكانت تقع فتن وقتال ... إلى أن يستقر الأمر على واحد منهم فيركب في شعار السلطنة واصطاحوا على هيئة خاصة أخذوها عن الملوك الأيوبية الأكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولاً عندهم فإن العرف يحسن ويقبح وإن كان صورة مضحكة عند من لم يألها ... فكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصباغ مكلفة يجعلون في مقدمها ويمينها ويسارها شكل ستة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة في نفس الشاش يلبسها السلطان في مواكبه وديوانه ويلبس ققطاناً من فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين طراز مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار ... ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير صغير، يظل السلطان بتلك القبة التي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطاناً بعد ذلك » . وذكر المظلة المعروفة عند الترك بالجرتر ابن خلدكان أيضاً قال في ترجمة المستنصر بالله الفاطمي « وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته » وقال في موضع آخر بترجمة يعقوب بن كلس الوزير « وخرج العزيز وعليه حزن ظاهر وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته أنه لا يركب إلا بها وصلى عليه وبكى » (١) وذكر الجتر أيضاً أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن القوطي المؤرخ البغدادي قال في أخبار سنة « ٦٩٤ هـ ما نصه « وأما لاحقين فانه دخل مصر ورفع البيسري الجتر على رأسه ولقب الملك المنصور » (٢)

وورد في ص ٤٦ أيضاً « السلطان سنجر » ولم تشر السيدة المحققة مدام ديفونشير إلى تاريخ هذا السلطان ولا ميزته عن اسمائه ، أهو سنجر الذي قال فيه أبو القاسم هبة الله بن الفضل المتوفي سنة « ٥٥٨ » :

تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا نمضي لنأخذ ترمداً من سنجر (٣)

أم هو سنجر بن ملكشاه بن داود السلجوقي المتوفي سنة « ٥٥٢ » هـ (٤) وذلك أوفق للحال أم هو سنجر آخر ؟
بغداد مصطفى جواد

(١) الوفيات « ٢ : ٢٢٣ ، ٥٠٤ » (٢) الحوادث الجامعة (٣) الوفيات « ٢ : ٣٢١ — ٣ » وابن الاثير « ١١ : ٧٧ » والفخري (ص ٢١) (٤) الوفيات « ١ : ٢٣٤ »

باب الزراعة والاقتصاد

المغفور له الامير كمال الدين حسين

في الجمعية الزراعية الملكية

لما فوجئت الجمعية الزراعية الملكية بنعي المغفور له رئيسها العظيم الامير كمال الدين حسين بادر اعضاء مجلس ادارتها ومديرها وموظفوها وعلى رأسهم جميعاً حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون نائب رئيس الجمعية برفع التعازي الى القصر الملكي والى صاحبة السمو السلطاني الاميرة كمال الدين والى اعضاء الاسرة العلوية الكريمة خارج القطر المصري وداخله واقفلت الجمعية مكاتبها ونكست اعلامها حداداً على فقيدها وفقيد الامة المصرية واجلت اجتماع لجنتها الادارية

ذلك ان الجمعية الزراعية الملكية قد فقدت بوفاته ركناً متين الدعائم كانت تستند اليه في جلائل شئونها منذ ولي امرها بعد ابيه مؤسسها ساكن الجنة المرحوم السلطان حسين كامل عند ما تبوأ عرش مصر في سنة ١٩١٥ فأقتنى الشبل النجيب اثر والده العظيم وسار على منواله في العمل على تحسين الاحوال الزراعية بالقطر المصري

اما اعمال الفقيد في الجمعية الزراعية فلا يكاد يحيط بها الحصر . فهو الذي انشأ متحف القطن بسراي الجمعية بالجزيرة ويمد هذا المتحف نفراً للجمعية وللبلاد لا ينافس ولا يقوّم من الوجهة العلمية اذ هو منقطع النظر في العالم اجمع وهو مدرسة جامعة لكل ما يهم الوقوف عليه من احوال القطن وتاريخه وزراعته وتجارته وصناعته . وقد بدىء به في سنة ١٩٢٣ فنسقت فيه المعروضات المختلفة ارقى تنسيق من حيث روعة الوضع وسلامة النوق وكان في اقبال الجماهير من كل طبقات الزراع والصناع والتجار وغيرهم على مشاهدته والاستفادة منه في المعرض الاخير ما دلّ على ان مصر كانت في اشد الحاجة الى مثل هذا المتحف الفريد في بابه وكان رحمه الله كلفاً بالمباحث العلمية البحتة يعنى بها كل العناية وفي عهد رآسته انتجت الجمعية قطن (المعرض) الذي اصبحت الآن في مقدمة الاقطان الطويلة الشعرة التي يقبل عليها الغزاون ايما اقبال فازداد انتشاره بين الزراع في الوجه البحري ازدياداً مطرداً

وكان رحمه الله فوق ذلك يعمل على تقوية روح التنافس بين الزراع فخصص في كل سنة مداليتين ذهبيتين أحدهما لأحدى مديريات الوجه البحري والأخرى لأحدى مديريات الوجه القبلي ليتبارى في نيتهما كبار الزراع الذين يتقدمون للمباراة تحت إشراف الجمعية الزراعية والغرض منهما التشجيع على تحسين الأحوال الزراعية بالقطر المصري ووضع سموه السلطاني شروط المباريات بنفسه وكان يشرف على إجراءات التحكيم واهداء المداليات لمستحقيها من كبار الزراع والدوائر منذ سنة ١٩٢٤ إلى قبيل وفاته

وفي المعرض الزراعي الصناعي الأخير الذي أقيم في سنة ١٩٣١ أهدى سموه السلطاني أربع مداليات ذهبية إلى الفائزين الذين عرضوا أحسن أنواع قطن المعرض والسكلاريديس وأكرم الماشية للنتاج

وكان سموه قبل رأسته للجمعية رئيساً لقسم تربية الحيوانات بها منذ عهد إلى الجمعية في سنة ١٩٠٨ في إدارة ذلك القسم بعد أن كان تحت إشراف لجنة تابعة لوزارة الداخلية وذلك لتحسين أنواع الخيول والمواشي فعمد رحمه الله لشغفه وشدة عنايته بتربية الماشية وعلى الأخص الخيول الأصيلة العربية إلى إعادة الخيول الأصيلة التي أوجدها في مصر بعض أمراء الأسرة المالكة والمرحوم علي شريف باشا بعد أن كانت قد تسربت إلى خارج القطر وكادت تنقرض باذلاً في سبيل ذلك ما وسعه من خبرة ونفوذ

وبعد الحصول عليها أنشأ في الجمعية قسماً خاصاً لإنتاج الخيول العربية واستكثرها وجمع بنفسه أنساب الخيول العربية الأصيلة وأعد لها سجلاً خاصاً فأصبحت مجموعة الخيول في قسم تربية الحيوانات بالجمعية الزراعية أجود مجموعة للخيول العربية في العالم وقد جعل سموه السلطاني مزارعه خير مثال للمقتدين بقدوته الحسنة فكان يعنى بجودة النوع في حاصلاته ويحصل على أثمان لا تقاونه تكون في بعض الأحوال أعلى ما يتسنى الحصول عليه وله في تفتيش صنف خالد مجموعة ثمينة من الخيول والأغنام التي كان يوجه النظر إلى تربيتها ومن ما أثر سموه السلطاني على الزراع أيام الحرب العالمية عند ما ساءت الأحوال المالية وارتفعت أثمان الأسمدة الكيماوية ارتفاعاً عظيماً بسبب الحاجة إليها وانقطاع الواردات منها أن الجمعية بأمره وإشارته جارت الحالة المالية في ذلك الوقت العصيب بتخفيض أثمان الأسمدة وتحمل فرق السعر كواجب عليها تؤديه خدمة للمزارعين

وكان رحمه الله ينفق من جيبه الخاص آلاف الجنيهات على البعثات العلمية التي توفدها الجمعية للتخصص في الخارج وعلى طبع المؤلفات الفنية التي لا تسمح أبواب الاعتمادات في ميزانية الجمعية بتدبير الأموال لها ولا غرو فإنه كان نصير العلم والمباحث وأكبر مشجع للقائمين بها أما المعارض الزراعية والصناعية فكان شديد الاهتمام بها ويرجع إليه الفضل في وضع

البرنامج لتنسيق ارض المعرض بالجزيرة والنسجام ابنيته وتناسب الاذواق في اوضاعها يشرف بنفسه على التنظيم بجملته ويضحي بوقته في الاطلاع على التفاصيل فكان النجاح الباهر حليف المعرضين الذين اقيموا في عهد رآسته للجمعية بالجزيرة سنة ١٩٢٦ و ١٩٣١ وبالنظر الى ما لقيا من الرعاية العليا التي تفضل بها عليهما حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك كان اثرهما عظيماً في ترقية الاحوال الزراعية والصناعية في القطر المصري

وكان الفقيد رحمه الله في كل ما يقوم به من امثال هذه الخدم الجليلة التي لا يحصرها العد يراعى ان لا يشهر له فضل او يذاع له اسم او تذكر له منقبة لا يطلب جزاء ولا يبتغي شكوراً فلا شك في ان الجمعية الزراعية الملكية اول من يشعر بعظم الرزء وفداحة الخسارة في فقدته تغمد الله برحمته واسكنه فسيح جناته

قطر اسود يهدد الفلاحين

اثر الشاي الاسود في صحة الفلاحين وقواهم

عن المقطم لكريم ثابت

لما زار المسيو موريس ديكوبرا الكاتب الروائي الفرنسي الشهير هذا القطر سأله في حديث دار معه ونشر في المقطم يومئذ عن اهم ما استوقف نظره في مصر فقال « اجتهاد الفلاح ونشاطه وتجلده على العمل » ثم استطرد الى ذكر أمور أخرى قال انها وقعت وقعا عظيماً في نفسه وقد أجمع العارفون على ان الفلاح المصري في طبيعة فلاحى العالم لثلاثة اسباب جوهرية. الاول انه يقنع من الاجر بيسيره والثاني انه يكتفي من القوت بقليله والثالث ان عدد الساعات التي يمضيها في أرضه ليست محدودة . وكان أولئك العارفون يعزون نشاطه هذا الى تمتعه بصحة جيدة وباقليم ملائم لها بالرغم من رداءة مسكنه وربما كان لبساطة مأكله نصيب من تمتعه بتلك الصحة فانه يأكل الخبز والخبز واللبن والخضر في معظم الاحيان ولا يذوق اللحم الا نادراً غير ان بعض الكتّاب المشتغلين بالشؤون الزراعية يكتبون من مدة عن تفشي عادة شرب الشاي بين الفلاحين وينبهون على ضررها وعواقبها لتأثيرها السيء في صحتهم وقواهم وقد نشر بعض هذا في المقطم ولكن ظهر الآن ان الحالة بلغت من الخطورة ما يقضي بمعالجتها بعلاج سريع فعال لتلافي ضررها وتدارك عواقبها فان العارفين اكدوا لنا في هذين اليومين ان الحالة لا تبعث على الاطمئنان فعلاً وان شرها سيتفاقم اذا دأبنا على مواجهتها بالتردد والتراخي اللذين واجهناها بهما حتى الآن

اجتمعت امس بحضرة صاحب العزة جلال فهم بك وكيل وزارة الزراعة فحدثني عن هذا

الموضوع حديثاً مستفيضاً سألخصه للقراء هنا لما حواه من معلومات وبيانات جديرة بالبحث والتحصيل قال حضرته : لا يخفى عليكم انه لما نشبت الحرب العظمى اخذت السلطة عدداً كبيراً من الفلاحين عمالاً فكان لهم القدرح المعلى في المهام التي نيّطت بهم فلما عادوا الى بلادهم كانوا قد افوا شرب الشاي فاستمرّوا في شربه ونشروا هذه العادة بين اخوانهم فلم ينقض على ذلك زمان طويل حتى انتشر انتشاراً مريعاً وعم جميع طبقات الفلاحين فتراهم الآن يحملون معهم الى الحقل لوازم اعداد الشاي الى جانب آلاتهم ومعداتهم الزراعية . وغني عن البيان انهم يضيعون وقتاً طويلاً في اعداده وشربه ولو اقتصر الامر على ذلك لكان ولكنهم يشربون من الشاي ارداءً ويغلوّنه الى ان يصبح لونه اسود تقريباً وهم يشربونه بهذه الكيفية عدة مرات في اليوم وقد يستغنون عن الطعام ولكنهم لا يستغنون عن الشاي وقد لا تجد عند الفلاح غلة لما كاه ولكن لا بد ان تجد عنده الشاي والسكر

قال جلال بك : ومنذ ان انتشر الشاي بين الفلاحين على هذا المنوال بدأت قوى الفلاح تنحط فتضاءلت جهوده في الحقل وساءت صحته وكان لذلك تأثير وبيد في تناسله واصبح لا يعمل في اليوم كله سوى جانب مما كان يعمل قبلاً بسبب ما اعتراه من وهن في قواه البدنية ونقص في ساعات العمل التي يعملها . وامامي هنا احصاء يستدل منه على مقدار الشاي الذي كان يستهلك في القطر من عشرين سنة والزيادة التي زادت بها بعد الحرب العظمى فقد استهلك مصر من الشاي في سنة ١٩١١ نحو ٨٩٥٧١٥ كيلو غراماً واستهلك في سنة ١٩٢٠ نحو ١٦٢٣٠٩٢ كيلو غراماً واستهلك في سنة ١٩٣١ نحو ٦٩٩١١٥٤ كيلو غراماً ومتوسط الزيادة في السنوات الاربع الاخيرة كان ٥٩١ في المائة عن مقطوعة ما قبل الحرب

وقد وضع قسم الطب البيطري بوزارة الزراعة مذكرة عن الشاي الاسود والمواد التي يتألف منها وتأثيرها في المرء وجاء في هذه المذكرة ان اهم تلك المواد الكافيين والتنين « والكافيين جوهر سام شبه قلوي ينبه المجموع العصبي والعضلات ويزيل شعور التعب والميل الى النوم ويطيل في ضربات القلب ويرفع ضغط الدم ويعجل التنفس واذا اعطي بمقادير كبيرة يسبب اضطراباً في الاعصاب ويخفق القلب بشدة ثم يقف ويهبط ضغط الدم بعد ارتفاعه وتبطىء حركة التنفس بعد اسراعها »
« والتنين مادة سامة كاكثر الحوامض وهو يجفف الريق ويسبب العطش ويضعف حاسة

الدوق ويقلل من قوة العصارة المعدنية مقداراً ونوعاً وينتج عسر الهضم ويقلل افراز الامعاء»

قال جلال بك : ويتضح مما تقدم ان للشاي مزايا ومضار من حيث تأثيره في صحة الانسان فاذا امكن شربه بمقادير معتدلة تفصل بينها فترات طويلة رجحت فوائده عيوبه غير ان الاعتدال في شربه غير مكفول والمشاهد انه يصبح عادة يتغلب فيها الافراط فتنتج اضراره وهي خفقان القلب وتصلب الشرايين وعسر الهضم والامساك المزمن . نعم انه يذهب الاعصاب ويزيل الشعور بالتعب ويزيد الرغبة في العمل ولكن هذا كله لا يدوم الا فترة قصيرة يعقبها ضعف في الاعصاب وفتور في العمل

ويرى جلال بك ان خير ما تصنع الحكومة لمعالجة هذه الحالة ان لا تسمح الا باستيراد الانواع الجيدة من الشاي وان تفرض ضريبة عالية عليه حتى يتعذر على الفلاح شربه وعند وكيل وزارة الزراعة ان خطر الشاي اصبح اعظم من خطر الحشيش والكوكايين لان عدد الذين يدخنون الحشيش ويشمون الكوكايين محدود في حين ان شرب الشاي يكاد يشمل جميع الفلاحين

هذا موجز الحديث الذي افضى به جلال فهم بك في هذا الموضوع الخطير رأيت ان اردده هنا عسى ان يلقي العناية التي يستحقها من الجهات المختصة فتتضافر على تدبير العلاج الناجع بلا تردد ولا توان فان الذي يرفع المصباح الاحمر هذه المرة هو وكيل وزارة الزراعة وهو بحكم منصبه وخبرته وبما له من صلة بالفلاحين من اعرف الناس بأحوالهم فاذا قال اليوم ان هنالك خطراً يهدد الفلاح وان هذا الخطر هو الشاي الاسود الذي يشربه وجب علينا ان نصدقه وتعين على الحكومة ان تعير انذاره ما هو جدير به من عناية واهتمام اننا نردد صباحاً ومساءً ان الزراعة عماد ثروة مصر . والعارفون يقولون ان لصون هذه الثروة ثلاثة اركان اساسية اولها سلامة الفلاح من الامراض وثانيها المحافظة على خصب الاراضي وثالثها اتقان الري والصرف

ولكن ماذا تنفع المحافظة على خصب الاراضي وماذا ينفع اتقان الري والصرف اذا اضمحلت قوى الفلاح اي اذا انهار الركن الاساسي لصرح ثروة البلاد فهل ننقذ الفلاح ام ندعه يذهب ضحية هذا الخطر الجديد — هذا الخطر القائم — خطر الشاي الاسود

مكتبة المقتطف

ديوان ابن زيدون

رسائله ، اخباره ، شعر الملكين — شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة —
طبع مصطفى البابا الحلبي وأولاده بمصر في ٥٢٠ صفحة تقريباً من الحجم الكبير

للادب الاندلسي — وخاصة الشعر — صلة قوية بالحركة التجديدية التي نلهمها الآن في الشعر العربي ، ولا أخال أديباً مجدداً لم يتذوق تلك الحلاوة التي يتميز بها هذا الادب ، أو لم ينهل من نبعه الصافي ، كما لا احسب أن أديباً من أنصار القديم لم تستهوه تلك الحلاوة ، أو لم يرتو ايضاً من ذلك النبع . وفي الحق أننا في أشد الحاجة الى دراسة الادب الاندلسي دراسة وافية نتعرف بها الوسائل التي سما بها ونهض ، وحللاً بها ورق

ولقد ظهر في ذلك الفردوس العربي المفقود أدباء نفحوا جو الأدب طيباً ، وسموا الى مراتب الخلود. وابن زيدون يعتبر من هؤلاء في الطليعة ، فهو متفوق عليهم بعاطفته القوية ، وقد ظل ديوانه محبوباً عنا لم يصلنا منه إلا اليسير يفيض رقة وعذوبة حتى تقدم كامل كيلاني وزميله فأخرجنا لنا تلك التحفة النادرة من مكنها ، والدرة الساحرة من صدفها ، وجلسوا لها فتنة على فتنة وان نظرة واحدة الى التهذيبات التي قاما بها في تصحيح ما لحق آثار هذا الشاعر النابغة من تحريف الناسخين لتبين عظم ذلك المجهود الذي بذل في سبيل إخراج الديوان على حقيقة ما كان . . . فقد ظللنا زماناً نردد عن اساتذتنا هذا البيت من نونيته المشهورة هكذا :

وبيت ملك كأن الله أنشأه مسكاً ، وقد أنشأ الله الوري طينا

حتى طلع علينا الديوان مصححاً فاذا البيت هكذا :

ريب ملك كأن الله أنشأه مسكاً ، وقد أنشأ الوري طينا

فظهرت الصورة جميلة ، والاسلوب متسقاً . وقد ذكر امثلة كثيرة من هذا التحريف وكتب مقدمة طويلة عن ابن زيدون — حياته وشاعريته — وعقد منها فصلاً عن ملوك الطوائف ، وذيّل الديوان برسائل ابن زيدون وشعر الملكين — المعتضد والمعتد — لصلتها بالشاعر ، وأتى ببعض معارضات الشعراء لقصائده ، كما ذيّل بأهم الدراسات التي كتبت في العصر الحديث عن ابن زيدون

وابن زيدون في اعتقادي — بالرغم من الزمن البعيد الفاصل بيننا وبينه — شاعر أحسن عند قراءته انه يعيش بيننا الآن ، تظهر الجودة على شعره ، وتظل ألوانه التي رسم بها تلك البدائع محتفظة بروائها

شاعر عاطفي يشبهه من وجوه كثيرة الشعراء الانجليزيين: شلي وبيرون، والشاعرين الفرنسيين: لامرتين وموسيه... وإني لأحس بحرارة تلفحني كلما قرأت له مقطوعاته التي كتبها الى ولادة، وأجد تقارباً شديداً بين قصيدة «البحيرة» للامرتين وقصيدة ابن زيدون النونية التي مطلعها:

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تحافينا

وابن زيدون شاعر فنان، . . الوانه الاخاذة وشعوره المتقدم يغطيان في شعره العاطفي على صناعته اللفظية التي كان مغرمًا بها فلا تظهر فيه، وتصبح سحراً في السمع كما في مقطوعته الآتية:—

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع سرُّ إذا ذاعت الاسرار لم يدع
يا بألماً حظُّه مني، ولو بذلت لي الحياة، بحظ منه، لم أبع
يكفيك أنك إن حملت قلبي ما لم تستطع قلوب الناس، يستطع
ته أحتمل، واستطل أصبر، وعزَّ أهْن وولَّ أقبل، وقيل أسمع، ومُرَّ أطلع
وما خلد ابن زيدون إلا عاطفته، وما قلده تلك الزعامة إلا أنه كان يستمد من قلبه
شعره، ويصوغه من وجدانه. وإني لأهتف البيت من شعره فأظلم أسمع صداه زمناً يتردد،
ويخيّل اليّ أن صدى صوت ابن زيدون ما يزال يرنُّ في جوف الليل هاتفاً:

يا ليل طُلِّ لا اشتهي — الا بوصول — قصرك

لو بات عندي قمرى ما بت أرعى قمرَك

أو وداعه لولادة إذ يقول: —

ودّع الصبر محبَّ ودّعك ذائع من سرِّه ما استودعك

أو قصيدة الذكرى التي يقول فيها:

إني ذكرك بالزَّهراء مشتاقا والأفق طلق، ومرَّ أي الارض قد راقا

وارتفع وياه في عالم السموات عند ما يقول:

سأقنع منك بلحظ البصر وارضى بتسليمك المختصر

ولا أخطئ التماس المنى ولا أتعدي اختلاس النظر

أصونك من لحظات الظنن وواعظيك عن خطرات الفكر

وأحذر من لحظات الرقي ب، وقد يستدام الهوى بالحذر

أما قصيدته التي كتبها وهو في السجن، وبعث بها الى صديقه الوزير الكاتب والتي يقول منها:

ما على ظني بأس يجرح الدهر ويأسو

ربما أشرف بالمرء على الآمال يأس

ولقد ينجيك إغفال، ويرديك احتراس

فهي لوحة خالدة الذهب، وأنة أبدية الصدى

على ان طلاوة ابن زيدون ورقته لا تدفعان بشعره في المدح والرثاء الى الذروة التي تسمو بشعره اليها عاطفته ، فتظهر صناعته اللفظية وعليها من التكلف ما عليها . ولكن لحسن الحظ ان معظم شعر ابن زيدون آمال وآلام ، وتغريدات وتأوهات ، ستظل ثروة في الادب العربي سامية القدر . وانها لخدمة عظيمة قدمها الاديبان الفاضلان الى الادب العربي باخراجهما هذا الديوان في الحلة القشبية التي يستحقها ، ونشكرهما الاهتمام بالادب الاندلسي والعزم على إظهار تحفه وطرائفه

الصيرفي

حول ديوان الرصافي

لعل ديوان الرصافي الذي طبع في بيروت اخيراً (مطبعة المعرض) يعد من اكبر الدواوين الشعرية الحديثة حجماً ان لم يكن هو اكبرها على الاطلاق ، ولا شك اننا نظلم هذا الديوان ظالماً قاتلاً اذا نظرناه على انه شعر كله ولكننا ننصفه الانصاف كله اذا نظرناه على انه ديوان أدب وفلسفة ولغة وتاريخ وسياسة واجتماع . أما الشعر فلعله أقل مواد هذا الديوان العظيم ولعلك لو سألت الرصافي نفسه هل نظمت ديوانك بهذا الحجم الكبير على انه شعر خالص لاجاب : كلاً . ولكنني أردته ان يكون صورة كاملة للعصر الذي أعيش فيه ولا جدال في ان الرصافي قد وفق فيما اراده من ديوانه كل التوفيق ، فديوانه يعطيك اقرب صورة للحياة العربية في مدة الثلاثين سنة الماضية ، وهو يريك بوضوح في هذه الحقبة من السنين كيف كان الشرق العربي يعلو ويهبط بين قوتين متجاذبتين كلتاها أقوى من الاخرى ولعني بهما قوتي المجددين والمحافظين سواء أ كانت هذه المشادة في الآراء السياسية او الدينية او العلمية على حد سواء ، فديوان الرصافي يعطيك اوضح صورة للشرق العربي في هذه الحقبة التي تعد بحق اهم فترة من عصر النهضة والتجديد والانتقال ولكن من الحق ان تقرر ان في نظم الرصافي جاذبية موسيقية وانه على ما فيه من صنعة فانه يبدو غير متكافئ . فاذا كان هذا الديوان ليس مثلاً لتجديد الشعر فانه بدون شك مثال لتجديد النظم . وهو اذا لم يكن جميعه شعراً مطبوعاً فان جميعه نظم مطبوع . بل هو اذا لم يكن اكثره شعراً فنياً صرفاً فان اكثره حقائق وافكار وآراء اصلاحية من احسن ما وصل اليه علماء الاجتماع والعمران . انك في هذا الديوان تقرأ قصائد برمتها قد تبلغ القصيدة منها نحو السبعين بيتاً فلا تجد بيتاً واحداً من الشعر ولكنك لا تجد بيتاً واحداً خالياً من حقيقة علمية ، أو فكرة فلسفية أو رأي اجتماعي ، ذلك الى رنين موسيقي يجذبك جذباً الى اتمام قراءة القصيدة من قبل ان يلحقك شيء من السأم او من الملل . واليك مثال لما نقول من هذه الابيات وهي مطلع القصيدة الاولى للديوان . قال تحت عنوان مشهد الكائنات

جالك يا وجه الفضاء عجيب وصدرك يأبى الانتهاء رحيب
وعينك في ام النجوم كبيرة تضيء على ان الضياء لهيب
ومازلت تغضيها فنخطيء قصدنا وتفتحها براءة فنصيب
فيحمر منها في الغديّة مطلع ويصفر منها في العشي مغيب
فأنت ترى ان هذا النظم رائع حقاً وانه ذو موسيقى تجذب الاسماع وقد تسترق او تستهوى
بعض الطباع ولكنك الى جانب ذلك اذا بحثت في هذه الايات عن الشعر فانك لن تجده ،
قل بربك اي انسان فوق هذه الارض لا يعرف ان جمال وجه الفضاء عجيب وان صدره
رحيب وهل هذا الكلام الا كمثل قولهم السماء فوقنا والارض تحتنا واذا كان هذا الكلام
قد وصل من التبذل الى هذا الحد فأى معنى شعري نجده فيه واي فضل للشاعر اذا نظمه ،
وليت شعري اي فضل للشاعر اذا لم يسبق احساسه احساسات الناس جميعاً ليكشف لهم اسمى
المعاني التي يزخر بها هذا الوجود . ثم ومثال آخر من النظم الرائع الذي تجده في ديوان الرصافي
فتشعر في قراءته بشيء كثير من الموسيقية والروعة والجلال ولكنك مع كل هذا لا تجد
فيه شيئاً اصلاً من الشعر يقول

الا يا قبوراً زرتها غير عارف بها ساكن الصحراء من ساكن القصر
لقد حار فكري في ذويك وانه ليحتار في منوى ذويك اولو الفكر
فقلت وللاجداث كفي مشيرة الا ان هذا الشعر من افجع الشعر
لا شك ان هذا النظم بديع حقاً ولكني أسألك هل تحس فيه بشيء من الحياة بل اسألك
هل تحس فيه بشيء من الموت . اؤكد انك لن تحس فيه بشيء مطلقاً لانه لم يوجد فيه النبض
مطلقاً لم يوجد فيه الشعر اصلاً على رغم ان الرصافي يثبت ان فيه شعراً وانه من افجع الشعر
او كما قال ان هذا النوع من النظم الرائع الذي لا يحتوي الا على الرنين الموسيقي والسلاسة
اللفظية قد ضخم دواوين الشعر العربي تضخيماً يجعلنا نترحم على المتني يوم عوذ سيف الدولة فقال
اعيدوها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست ادري اي حظ عظيم كان يبلغه الشعر العربي لو أن سادتنا اصحاب هذه الدواوين
الضخام قد وفقوا بين شاعرياتهم وبين مقدرتهم العجيبة على هذا النوع من هذا النظم العالي البديع
تكلم بشار ذات يوم في مجلسه فقال انا اشعر العرب فقيل له بماذا فقال لا في نظمت احدى
عشر الف قصيدة فلو لم يكن لي في كل قصيدة الا بيت واحد لكنت اشعر العرب ويظهر ان
شعراءنا لا يريد احد منهم ان يكون اقل من اشعر العرب ولكن لا بطريقة جديدة يبتدعها
ولا بمعان غوال يفترعها ولكن بنفس الطريقة القديمة التي جرى عليها صاحبنا اشعر العرب القديم
بنظم آلاف القصائد ليبنى منها آلاف او مئات ابيات

ومع اني لا اشك في ان الاستاذ الرصافي قد سبق الكثيرين من جيله الى فهم حقيقة الشعر الا انه لم يستطع ان يتحرر تماماً من سلطان هذه الطريقة التي تسود شعراء العرب حتى اصبح الجمهور وفي طبيعته كثير من الادباء لا يعدون من كبار الشعراء الا المكثرين من النظامين ولا اتردد في القول بأن الرصافي لو استطاع ان يقلل من النظم نوعاً ما لكان احد شعرائنا الذين نعد اسماءهم على اصابع اليدين

وليس ادل على صدق ما اذهب اليه من ان ادعو القارئ الى قراءة مقطوعاته والمقارنة بينها وبين ما له من القصائد المطولات

واني اختتم هذه الكلمة بما ذكره لي رئيس تحرير هذه المجلة ، قبيل كتابة هذه السطور قال : « كنت اقرأ نقداً لاحدى روايات المؤلف الاميركي المشهور سنكار لوس نائل جائزة نوبل بقلم كبير النقاد الاميركيين المستر سيدل كاني فأخذ على المستر لوس ان روايته ليست مكتملة العناصر من ناحية الفن ولكن ليس من ينكر انها مثل معظم روايات لوس تاريخ اجتماعي للاميركيين في العصر الحديث . وليس من ينكر ان لسنكار لوس المؤرخ الاجتماعي في رواياته مقام ادبي قريب من الذروة ا »

وبعد فاذا لم يكن ديوان الرصافي مكتمل العناصر الشعرية فانه ولا ريب تاريخ اجتماعي للشرق الادنى في العصر الحديث . وليس هذا بالاثر اليسير

محمود ابو الوفا

الجاحظ معلم العقل والادب

بقلم شفيق جبري عضو المجمع العلمي العربي . عدد صفحات الكتاب ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط

« فاذا ظهرت الى هذه المحاضرات آثار الانفراد بالفكر وبالشعور دون الانسحاب على ذيل أحد ، فقد بلغت الغاية التي أتوخاها ، وسواء علي بعد هذا أكنت مصيباً في فكري وشعوري أم كنت مخطئاً فيهما »

شفيق جبري

بهذه الكلمات الواضحة الحكيمة يصدر الاستاذ شفيق جبري كتابه النفيس أو على الأصح محاضراته الجديدة التي ألقاها على طلبة كلية الآداب في دمشق ، وفي هذا التصدير القصير يرى القارئ صورة واضحة المعالم دقيقة التفاصيل لمؤلف كتاب الجاحظ ، ولو أن كاتباً منصفاً يتوخى النزاهة والدقة والانصاف قرأ هذه المحاضرات من غير أن يقرأ هذا التصدير لكان اول ما يلاحظ على كاتبها ميله إلى الانفراد بالفكر وبعده الشديد عن التقليد الاعمى والجري على اساليب التعبير التي ألفها أكثر المؤلفين في هذا العصر حتى كادت تصبح (كليشيات) مخفوظة . ولو أن هذه هي كل ما في الكتاب من مزايا لألحقنا الاستاذ الفاضل مؤلف الكتاب بظائفة من غلاة المجددين لا يسر الاستاذ أن يحشر في زمرتها ، فان كثيراً من المجددين في هذا العصر يكرهون التقليد اكثر مما يكرهه مؤلف الكتاب وينفرون منه أكثر من نفوره .

ماذا ، بل منهم من آلى على نفسه ان يعارض كل رأي قديم وينقض كل ما أجمع عليه القدماء بالحق وبالباطل رغبة في اقناع الناس بأنه مبتكر غير مقلد ، حر غير مقيد ، لا ينسحب على ذيل أحد — على حد تعبير المؤلف — ولا يعبأ بعد ذلك أكان مصيباً في فكره ، وفي شعوره ، أم كان مخطئاً فيهما ، كما يقول الاستاذ شفيق ، ولكن شتان بين المذهبين ، وان كان اسلوب التعبير عنهما واحداً ، فان اولئك يتكبدون الجادة ، ولا يعبأون بالحقيقة ، ولا يُعَنُّون أنفسهم بالبحث عن المصادر وتمحيص المقدمات والوصول الى نتائج صحيحة يقرها العقل والمنطق . وليس يعنيه ان يجبدوا البحث ويمحصوه بقدر ما يعنيه ان يشتهروا بالطرافة والابتكار والبعد عن التقليد

اما الاستاذ شفيق فله مذهب آخر يخالف مذهب اولئك المسرفين كل المخالفة ، فهو يكره التقليد كل الكره ، ولكنه — الى ذلك — يحرص على الحقيقة كل الحرص ، وهو لا يندفع وراء رأي مشهور وعبارة مقررة مخفولة ، ولكنه — مع ذلك — يحرص على النصوص والاسانيد ويعتز بها كل الاعتزاز بعد أن يقرها عقله ويرضاها منطقته ، وبعد ان يضعها في بوتقة البحث ، وثمة يستشهد بها الاستاذ ليحق حقاً او يزهد بها باطلاً ، فهو يستعمل كل أدوات البحث المشروعة ويدقق ويمحص ما شاءت له دقته وتمحيصه ، فاذا اصاب فقد أرضى نفسه ، وأرضى الحقيقة معه ، واذا أخطأ فقد بذل ما في وسعه ، ولم يأل جهداً في الوصول الى الصواب ، ثم هو لا يعنيه بعد ذلك أن يكون مصيباً في فكره وفي شعوره ، او مخطئاً فيهما كما يقول

هذه كلمة موجزة سريعة نكتبها للقارئ انصافاً لمؤلف الكتاب وهي — كما رأى القارئ — نقيصة في غيره ، ولكنها فضيلة فيه ، فقد كاد ينقسم الباحثون عندنا الى قسمين مغالين في الجهد ومغالين في التجديد أولئك لا يجرؤون على مخالفة القدماء والبعد عن آرائهم قيد شعرة ، وهؤلاء لا يطيقون صبراً على موافقة القدماء في اي شيء مهما أيدته النصوص التي لا سبيل الى المسكارة فيها رغبة في الجدة والطرافة أو جرياً وراء نظريات خاطئة تلقفوها بلا روية ولا تمحيص عن الفرنجة

وقد تكاثفت فئة من افاضل الباحثين في السنين الاخيرة على درس الجاحظ والعناية بآثاره ، واذاعة فضائله ومزاياه الباهرة على الناس ، وهي جهود مشكورة ستعود بأحمد النتائج على الأدب العربي والبيان العربي ، وقد وفق الاستاذ شفيق في كثير من فصول الكتاب توفيقاً عجيبيماً جديراً بالاغتراب والثناء والاعجاب ، وليست تتسع هذه الكلمة الموجزة السريعة الى عرض آرائه المبثوثة في كتابه ومناقشتها وهو يقع في مائتين وخمسين صفحة ، فلنجتزئ به بقوله في الفصل الذي كتبه عن تحقيق الجاحظ اذ يقول :

« فالجاحظ لم يفتنه فضل العيان والتجربة ، وان فاته في بعض الاحيان روح الترتيب في الذي عاينه ، او جرب فيه ، او فاته خيال العالم ، وأعني بهذا الخيال قدرة العالم على التصميم ، وعلى الحزر والحدس لاستنباط القوانين العامة ، أو فاته التمكن من انشاء المقاييس العامة ، فقد نجد كثيراً من معارفه مبعثرة لا يجمعها نظام واحد

وكما جرب وعان فقد سمع : وكان في معرفة السماع شديد التثبت والتوثق ، ولقد ضم إلى هذه المذاهب كلها ، الى التجربة والعيان والسماع ، مذهباً آخر وهو العقل ، فقد جعل العقل دليلاً في مجامع أموره ، فما كان يصدق إلا ما تثبته الأدلة ، ويحققه الامتحان ، فالعقل في نظره انما هو الحجة في حكم الامور . وقوله :

« ولم يقتصر الجاحظ على مؤاخذة ارسطاطاليس بأنه لم يعتمد في تحقيقه على العيان والسماع والامتحان وانما عاب عليه في بعض الاحوال انه اذا تكلم على حيوان فانه لا يستوفي عجائب هذا الحيوان ، من هذا كلامه على الفيل :

« وما أعجب ما قرأت لصاحب الحيوان في كتاب المنطق ، وجدته وقد ذكر قصر عنقه ولم يذكر انقلاب لسانه ، وذلك أعجب ما فيه ، ولم ينظر في كم يضع ، ولا مقدار مدة حمله ، وكيف يخرج من بطن أمه نابت الاسنان . » الخ الخ

وقد عرض الاستاذ شفيق جبري الى كثير من النواحي الرائعة للجاحظ وأدبه وثقافته ، فذكر لنا كيف كان النقد قديماً في لغة العرب ثم تدرج في سبيله الى السكال ، وذكر لنا أول عهده بالجاحظ ، ونواحي الجاحظ ، ووطن الجاحظ ، وحياته ، وثقافته ، وحرية الفكر في عصره ، والزندقة في عهده ، وأثر الانقلاب الفكري في نفسه ، وأصوله في التحقيق ، واعتماده على التجربة والعيان ، واستعاضته بالعقل ، ونقده العلمي ، وطريقته في الشك والتعليل ، ومذهب المعتزلة الجاحظية ، وشعور الجاحظ الديني ، ومذهبه في التفسير والتأويل ، وضحكه ، وتهكمه ، واسلوبه في النقد ، ورأيه في التوليد والشعر ، واهتمامه بالصنعة ، وطريقة تفكيره ، وروعة فنه وبعد ، فقد أحسن الاستاذ شفيق جبري في كتابه « المتنبي » الذي عرضنا له بالنقد والتحليل في مقتطف العام الماضي كما أحسن في كتابه الجاحظ ، وانا لجهوده الموفقة المحمودة القادمة لمنتظرون ، أكثر الله من امثاله ، وبارك الله في جهوده المثمرة الخصبية ، ولقد صدق الاستاذ الامام محمد عبده حين قال : « كل طعام يتناوله الصحيح ينقلب الى صحة ، وكل طعام يتناوله المريض ينقلب الى مرض » فقد انتج الاستاذ شفيق جبري في محاضراته اشهى الثمار وخلف لنا في بحوثه اروع الآثار

فتح الاندلس : رواية تمثيلية شعرية

تأليف فؤاد الخطيب

طالعت هذه الرواية التمثيلية ، وعنيت بها خاصة لانها من قلم الاستاذ الخطيب ، ولشعر الخطيب عندي منزلة ممتازة . فقلت لعله يجيد في الرواية التمثيلية ، كما يجيد في الشعر . فهل حقاً اجاد فن الرواية ؟ وهل تثبت روايته اذا وازناها بغيرها من صنع اقطاب الفن ؟ وأين يكون مكانها بجانب روايات شوقي مثلاً وهي شبيهة بها كل الشبه ؟ الرواية تاريخية ملخصها ان القوط الذين حكموا الاندلس اساءوا الحكم واثروا في البلاد فساداً ، فاستغاث الشعب المظلوم بالعرب ، فأغاثوه ، وجاء طارق بن زياد البطل المشهور ، صاحب الخطبة التاريخية الفذة ، ارسله الامير البطل موسى بن نصير ، واخيراً تم للعرب الفتح ، وامتد سلطانهم حتى عم الاندلس بأجمعها : هذه هي الرواية يعرضها الاستاذ الخطيب في فصول ثلاثة ، هي اشبه بالعرض من اي شيء آخر ، ففي الفصل الاول ترى امراء العرب واحداً بعد واحد . وفي الفصل الثاني يعرض عليك المتآمرين بملك القوط ، وفي الثالث يعرض عليك لذريق في مجده وخلاعته ، ثم يختم القصة بانتصار العرب ، وبقتل لذريق

يعرض عليك كل هذا في شعر رائع بليغ يصل الى القمة احياناً ، فعند ما يتكلم عن مجد العرب تسمع صليل السيوف ، وترى بعينيك نار المعمة ، او عند ما يسمعك سعداً يشكو غرامه يرق الشعر حتى يصير جدولاً يسيل ! وسأورد امثلة من ذلك الشعر الرصين اما الحبكة المسرحية ، اما العقدة ، والمفاجآت التي تبني عليها الرواية فغير موجودة ، لم يعرها المؤلف اهتماماً ، لانه عني بالشعر ، وبالعرض التاريخي ، وبالمجد القديم يبعثه حياً ، فيروح يتخير المواقف له ويخلقها خلقاً ، ولقد يغرق في ذلك فيأتي بلا شيء . خذ مثلاً مؤامرة اليهود في الفصل الثاني ، فانهم يجتمعون ويتكلمون كثيراً ، يريدون ان يساعدوا العرب ، فيفكرون في السيوف عند العرب ، السيوف البتارة ، يفكرون في المال ، لانهم يهود ، العرب اغنياء ، اذن تنتهي المؤامرة بالدعوات ! والحق انك لتضحك ملء شديك حين تنتهي مؤامرة الاسرائيليين عند ذلك . ولكن الجميل في الرواية ، انه حين يريك لذريق في فجوره وفسقه ، لا يزال يحتفظ ببطولته ، فتؤمن ان النفوس القوية مهما تطرق اليها الفساد ، تبقى فيها جوانب كثيرة من العظمة ، يتجنبها الفساد ويتهيأ بها !

ولنورد امثلة من الشعر البليغ الذي يروق ترديده السمع ويعذب

ما الذي كان على الظي الا غن
بعد برح الهجر لو رفه عني
انا لا ارجع عن عهد الهوى
ولئن كان الهوى صفقة غبن
صدق الباكي على احبابه
ايها الدمع على الشوق اعني ا

ومن خطبة طارق :

امامكم الاعداء والبحر خلفكم
وانتم من الايتام اضيع موقفاً
كذلك يتم في الجزيرة انها
لمنزلكم بالعز او انها القبر ا

ومن حوار بين الشيخ المتقاعد والشباب المتحمس :

تالله ما الموت الا العيش في ضعة
من يرض بالشوب نجعل ثوبه الكفنا
ان يعوز العرب في بنيان دولتهم
هدم الحياة بذلنا الروح والبدنا
وليجعلوا من بقاينا ومن دمنا
طيناً وماءً فيبنوا الملك والوطنا
يا سيدي الشيخ ان طأطأت ممتهاً
فهل يطأطىء كل الشعب ممتهاً

والشعر كله من هذا الطراز العالي المشرق :

وبالجملة للمؤلف كل التهنية ، فاذا كان هذا هو استهلاله فهي براعة كبيرة ا وانا لما قنتجته
عبقريته في المستقبل المنتظرون ا
الدكتور ابراهيم ناجي

المطبوعات الجديدة

رأينا بعد اطالة النظر في موضوع المطبوعات العربية الجديدة ونقدها ان نختار كل شهر بضعة كتب
ونعني بالكتابة عنها كتابة وافية ينصف بها الكاتب والموضوع والقارئ معاً. وهذا ما تفعله المجلات الكبيرة
في بلدان اوربا واميركا . فنحن نطالع مجلة نايتشر العلمية الاسبوعية فنطالع فيها مراجعات وافية لكتابين
او ثلاثة كتب كل اسبوع ثم اشارة الى الكتب الاخرى او نبذ موجزة عنها

وقد حالت عنايتنا — في هذا العدد — بأربعة من اهم الكتب العربية التي ظهرت حديثاً دون العناية
بكل الكتب العربية الجديدة التي ظهرت في خلال فصل الصيف واهدت اليها فنكتفي بذكرها الآن على ان نعود
الى العناية ببعضها في اعداد تالية وهي :

اهدت اليها المطبعة العصرية بمصر — جريمة سلفستر بونار تأليف انا تول فرانس وترجمة نعمة غازار ولها
مقدمة بقلم محمود ابو الوفا — ومريم المجدلية تأليف موريس مترلنك ترجمة الارشمنديريت انطونيوس بشير —
ومراقى النجاح بقلم الارشمنديريت انطونيوس كذلك * ومطبعة التعاون بمصر العدد الاول من مجلة « ابولو »
لصاحبها الدكتور ابوشادي وهي مجلة فنية لخدمة الشعر الحي * وعبد اللطيف الطيباوي بحثاً تاريخياً في جاعة
اخوان الصفا * وادوار مرقص كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسية * ومجلة الحارس البيروتية كتاب اسماء
البنات ومعانيها وعلاقاتها التاريخية واشهر نساء دعين بها * وعبد اللطيف النشار مجموعتين من قصص رابندراناث
طاغور * والدكتور قدس مجتاً المانياً في ادب محمود تيمور * ومجلة المشرق درس الرسالة الخاتمية بقلم فؤاد افرام
البستاني استاذ الادب العربي في كلية القديس يوسف ببيروت * وادارة الهلال كتاب المسرح الجديد وهو مجموعة
ملخصات لاشهر القصص المسرحية بقلم الاستاذ محمود كامل * مكتبة صادر ببيروت ترجمة رواية المثري النبيل لموليير بقلم
الياس ابو شبكة — وقصتي عيد سيده صيدنايا وفاجعة حب تأليف انطون سعادة وكتاب المذهب الطبي الجديد
بقلم اسكندر زخور والدرة اليتيمة لابن المقفع ضبطها وعلق حواشيها جرجي شاهين عطية * والمكتبة العربية بدمشق
رسالة الاخنف بن قيس ملخصة عن تاريخ ابن عساكر * ومطبعة دار الايتام بالقدس ترجمة رواية نا ثان الحكيم
تأليف الشاعر الالماني لسنع وترجمة الياس نصر الله الحداد * ومطبعة الطلبة بمصر كتاب تاريخ اللغات السامية
بقلم محمود الطحلاوي * والاديب محمد قاييل قصة له موضوعها العزلة * ومطبعة العلوم بمصر ترجمة علي ابن
أبي طالب بقلم الاستاذ احمد زكي صفوت * ومطبعة العرب بالقدس كتاب العراق تأليف السر نيجل دافسون
وترجمة عجاج تويهض وله مقدمة بقلم اسعد داغر * والحامي انور شاول ي بغداد ترجمة تمثيلية شريدان في وللم تل
* ومطبعة باييل بدمشق رواية لقيط الصحراء تأليف احمد تقي الدين

باب الاخبار العلمية

بناء المادة الكهربائي

للسر الفرد يُورنغ

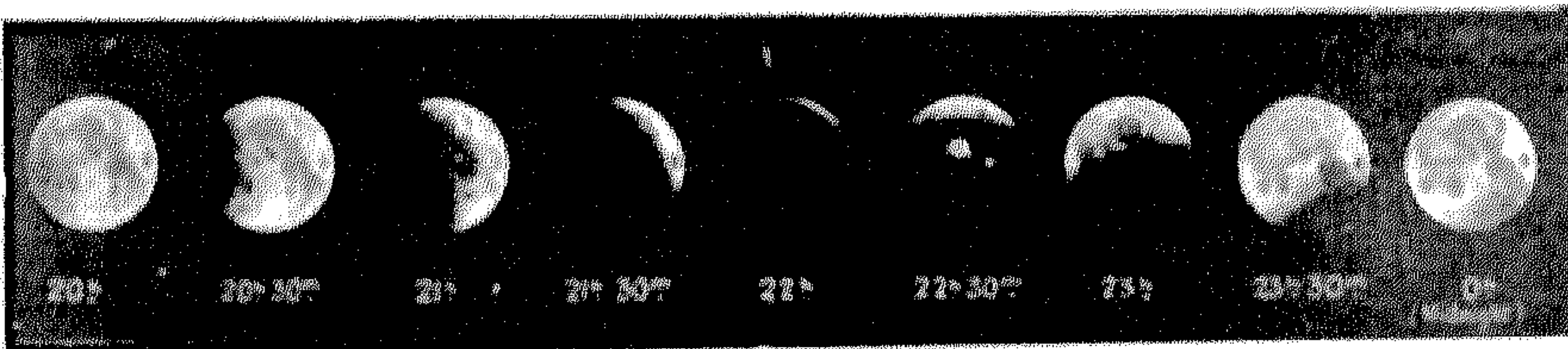
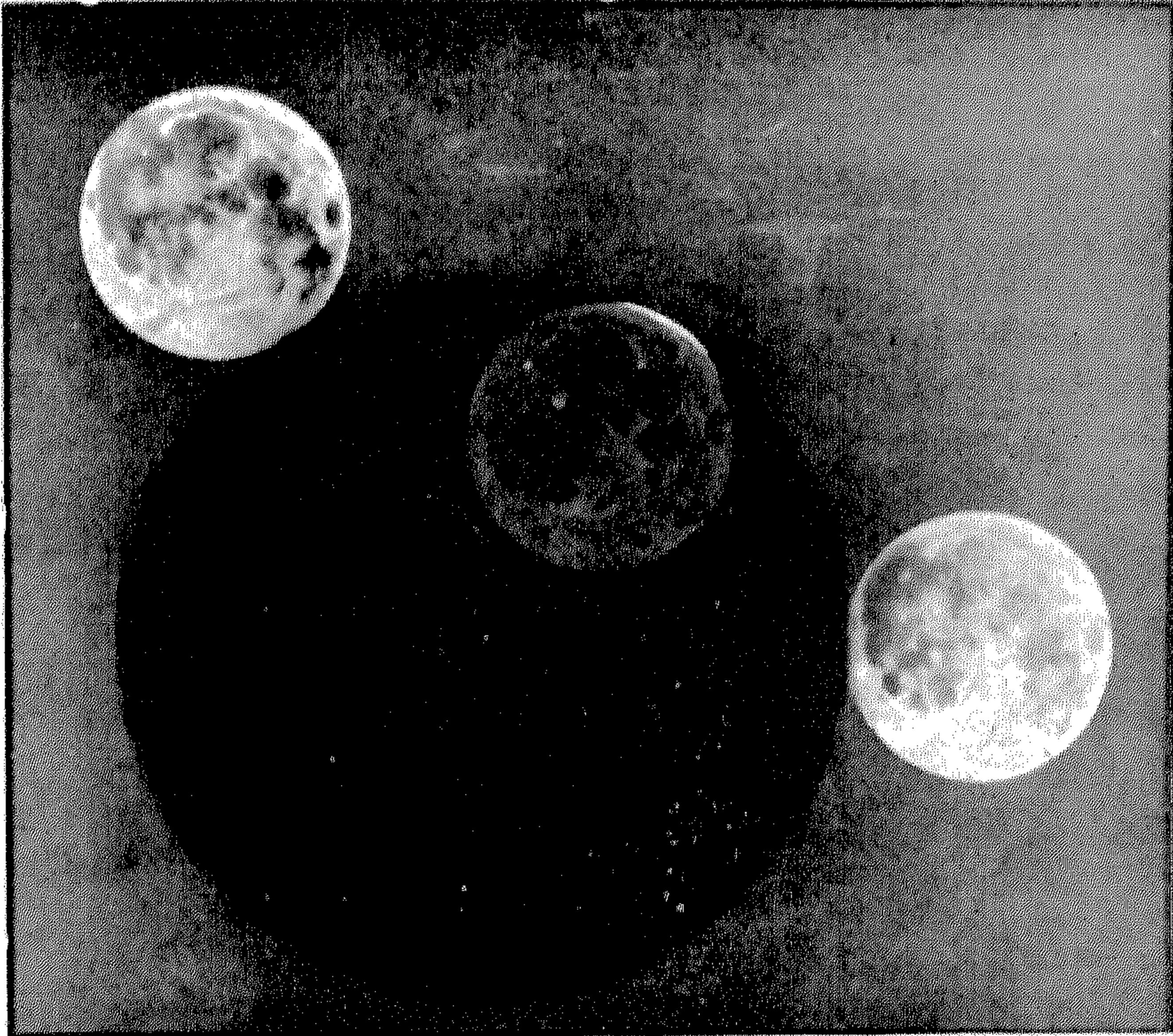
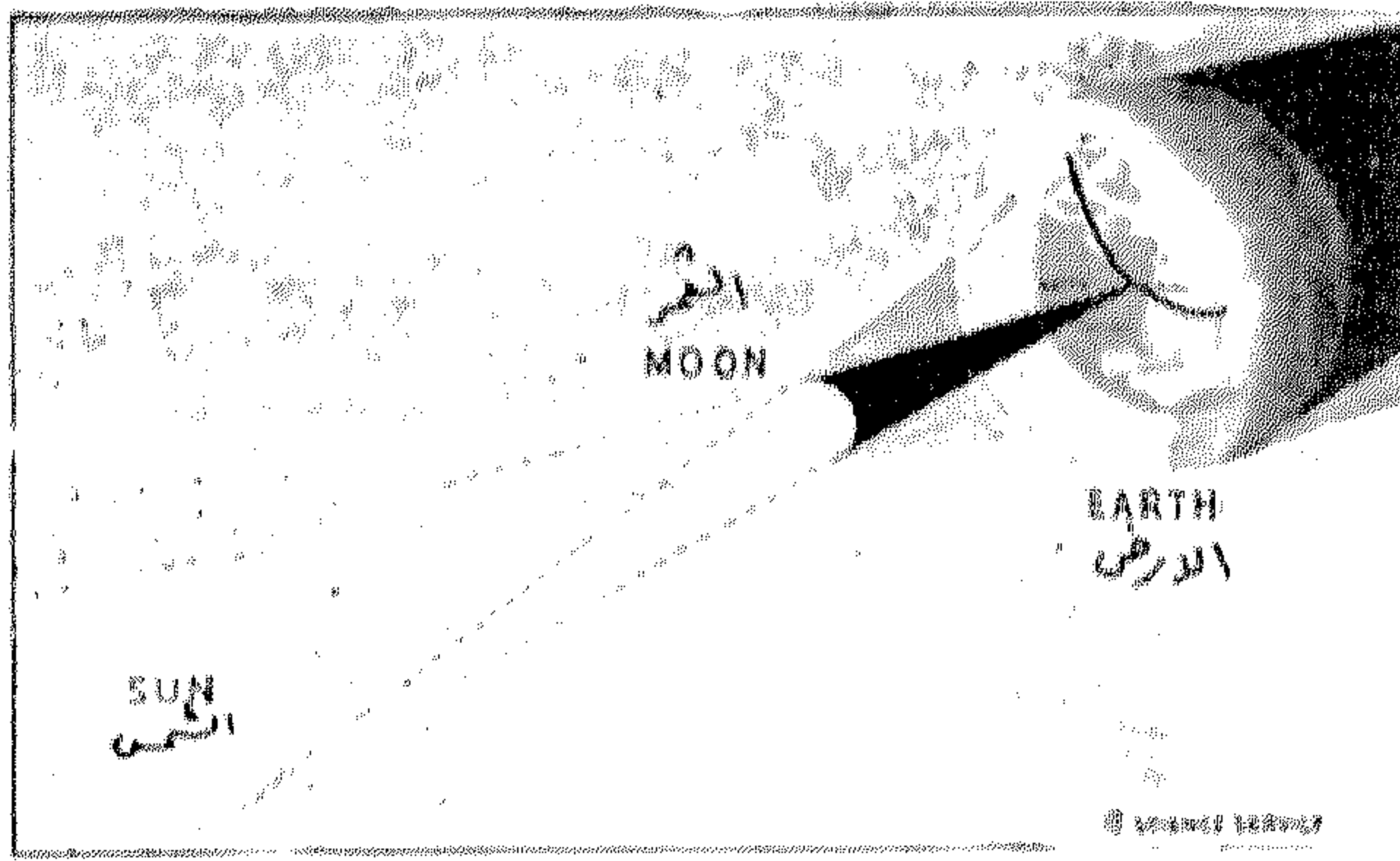
رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني ملخصاً من خطبة الرأسة فيه

الكهربائية السالبة والبروتونات وهي وحدات لا تجزأ من الكهربائية الموجبة . فالمسألة في ظاهرها بسيطة فكاننا عدنا الى غرفة طفل وقد اعطي بين العابه طائفتين من الكعاب متساويتين عدداً وكل منهما مؤلفة من كعاب متماثلة ثم طلب اليه ان يبني هذا النكون المادي الرحيب المنوع بهما . انها كعاب لا تحطم ولا تتغير . اما فيما يرتبط بشحنتها الكهربائية فشحنة الكعب في الطائفة الواحدة تعادل وتعادل شحنة الكعب في الطائفة المقابلة . ومع ذلك ترى ان نصيب كل منهما من كتلة الذرة يختلف عن نصيب الآخر . فنصيب البروتون — لسبب ما زلنا نجهله — من كتلة الذرة يفوق نصيب الالكترون نحو ١٨٤٠ ضعفاً

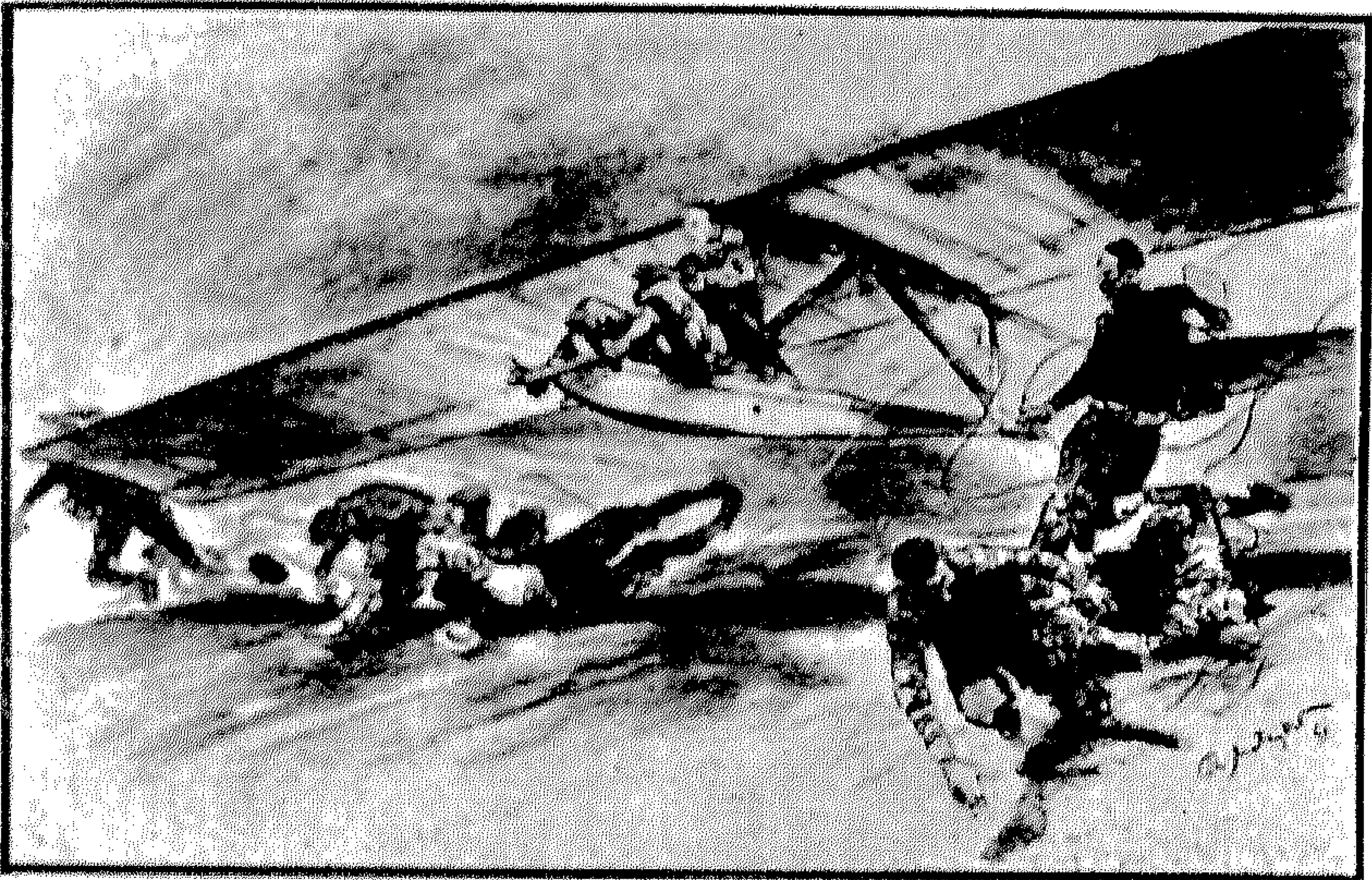
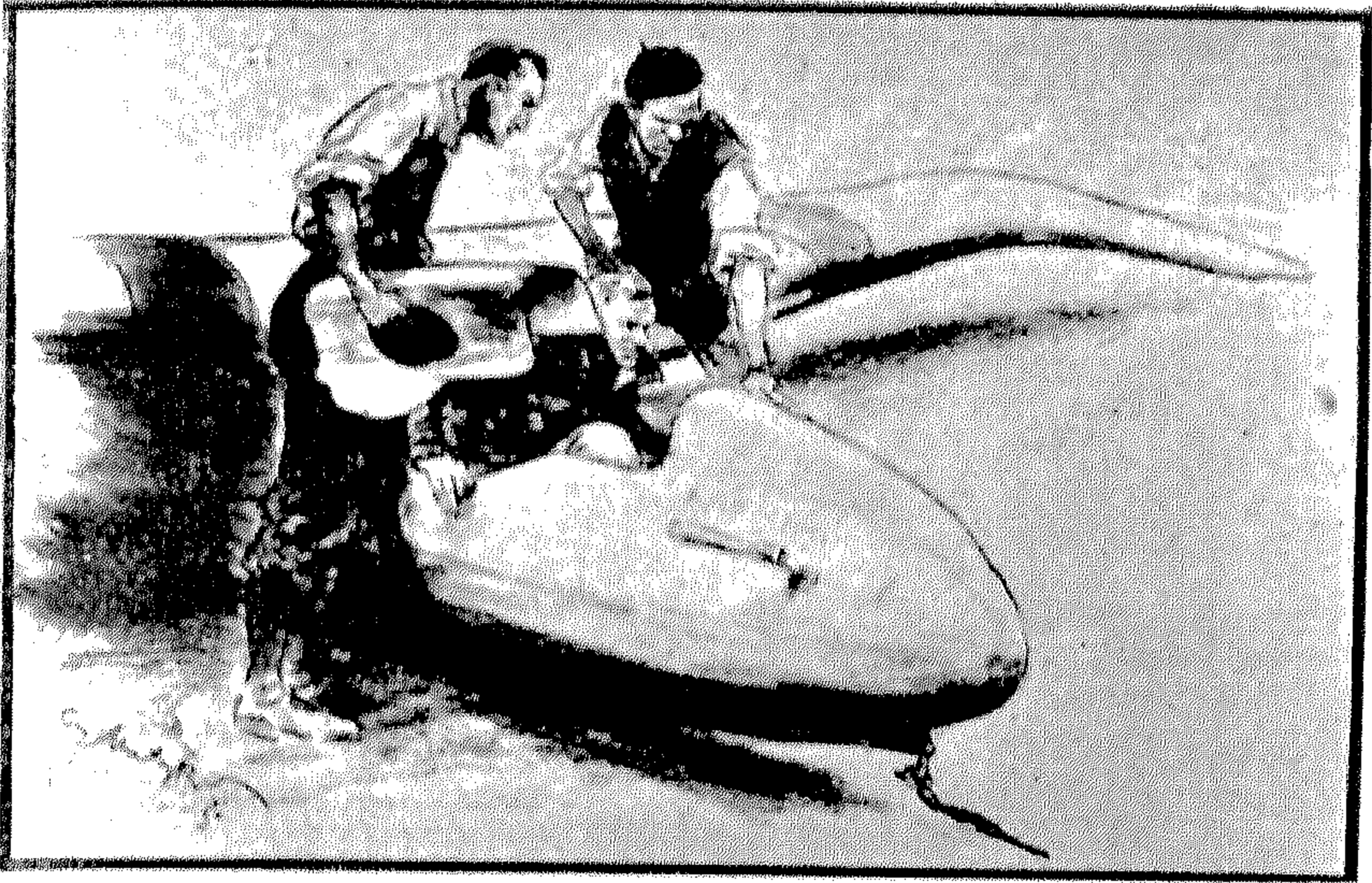
وكل مادة مبنية من هاتين الطائفتين من الكعاب . فاذا وازنت بين مادتين مختلفتين وجدت الاختلاف بين خواصهما الكيميائية ناشئاً من الاختلاف في ترتيب الكعاب الموجبة والسالبة في بنائهما . وكل ذرة ، في حالتها الطبيعية السوية ، يجب ان تحتوي على اعداد متساوية من الكهارب والبروتونات

في اواسط العقد الاخير من القرن الماضي بدأت نهضة عجيبة في علم الطبيعة كان مدارها « الذرة » ثم امتدت منها الى « النجوم » . ففي ١٨٩٥ كشف رنتجن الالماني الاشعة السينية (اشعة اكس) وفي السنة ١٨٩٦ كشف بكرل الفرنسي ظاهرة الاشعاع وفي السنة ١٨٩٧ كشف طمسن الانكليزي الكهرب (الالكترون) فبعثت هذه المكتشفات في اذهان الطبيعيين شعور الدهشة والحيرة ولكنها في الوقت نفسه دفعتهم الى ميادين جديدة من البحث والتجريب فهبوا الى تجهيز معاملهم بالادوات الموافقة لاساليب البحث الجديد فتلا ذلك تيار من المكتشفات الجديدة ولما ينقطع بعد . وقد انبئنا في الشهور الاخيرة انباءً جديدة بكل عنايتنا

واظني اكون ملبياً مقتضى الحال اذا انا ذكرت اهم ما تم في هذه الناحية في نظري انا نعلم الآن بفضل المباحث التي قام بها طمسن ورذر فورد وبوهر ان الذرة مبنية بناءً شديد التعقيد من مادتين اساسيتين — هما الالكترونات وهي وحدات لا تجزأ من



في الصورة العليا رسم يمثل كسوف الشمس الاخير (٣١ اغسطس) وقد شوهد
كلياً في شمال اميركا من اعالي بكندا الى شمال الولايات المتحدة الغربي.
والصورتان التاليتان تمثلان خسوف القمر في ١٤ سبتمبر الماضي
مقتطف اكتوبر ١٩٣٢
الاخبار العالمية



السباحات في الجو

كتبنا قبلا عن الرياضة الجديدة وقوامها الطيران بطائرات لا محرك لها فيعتمد الطيار اولاً على جرّ الطائرة فوق سطح منحدر ثم يسبح في الجو مستعملاً تيارات الهواء . وقد تمكن بعض هؤلاء الطيارين من البقاء نحو ١٥ ساعة في الجو. وهذه الصفحة يرى القارئ في اعلاها الطيار راكباً طيارته واثنان يدفعانها وفي اسفلها الطائرة وقد ارتفعت عن سطح الارض

وهذه المناطق لها صلة وثيقة بالخطوط الطيفية الخاصة بالعنصر . اما ذرات العناصر الزينة (الثقيلة) فمناطق الالكترونات حول نواها كثيرة ولذلك نرى خطوطها الطيفية متعددة وما يجب ان نعلمه هو ان كل المادة مبنية من نوعين من الكهربائية - البروتونات والالكترونات مع ان الكهربائية كانت في نظر الباحثين الكهربائيين الاولى صفة من صفات المادة لا غير . اما نحن فنحسبها - المادة نفسها - الشيء الاساسي الذي تبنى منه الذرات اما اذا سألتم ما الكهربائية فلن تحصلوا على جواب الا انها شيء تجدوه في نوعين سالب وموجب والواحد منهما يجذب الآخر . ثم عرض الخطيب للنيوترون وتحطيم الذرة مما سوف تفصله في مقالتي على حدة

الزكام : بحث طريف فيه

مدى الزكام العادي ثلاثة ايام او اربعة . فالذين يشكون اصابتهم بالزكام « طول فصل الشتاء » انما يشكون اصابتهم بعدوى ثانوية تلزمهم بعد شفاء الزكام . هذا على الاقل ملخص رأي الدكتور سملي Smillie استاذ الصحة العامة في جامعة هارفرد . فقد اجري الدكتور سملي مباحثته في الزكام في اربع جماعات من الناس احداها في الايام بالولايات المتحدة الاميركية والثانية في لابرادور في شمال كندا الغربي والثالثة في جزيرة سبتسبرجن التي يطير منها الذين يحاولون الطيران الى القطب الشمالي والرابعة في احدى جزائر التلنتيكي النائية

اما البروتونات فمجمعة في قلب الذرة مع بعض كهارب فيتألف من مجموعها كتلة صلبة كثيفة تعرف بالنواة . ومعظم وزن الذرة في نواتها ولكنها مع ذلك لا تشغل من حيز الذرة الا جزءا يسيرا . اما الالكترونات التي في النواة فعملها ربط البروتونات بعضها ببعض . واما الالكترونات التي خارج النواة فتؤلف حولها منطقة او مناطق متوالية بعيدة بعدا نسبيا عن مركز الذرة مما يجعل بناء الذرة كثير الخواء . وقد تحدث انقلابات في هذا البناء بفعل العوامل الخارجية فيزول كهرب من الكهارب الخارجية فتصبح بقية الذرة ذات شحنة كهربائية موجبة وهو التأين Ionization . ولكن الكهرب الشارد قد يعود او يحل غيره محله ، فاذا حدث هذا انطلق قدر قليل من الاشعاع . وقدرا لا شعاع الذي ينطلق لدى انتقال الكترون من منطقه الى منطقة تالية يدعى « الفوتون » . والفوتون يتصرف انما كدقيقة مادية وانا كما موج . ولا بد من التسليم الآن بذلك مع عجزنا عن التوفيق بينهما . و« الفوتون » له قدر معين من الطاقة ويتذبذب تذبذبا معيناً . اما طاقته فتوقفة على المنطقة حول النواة التي هبط منها والمنطقة التي هبط اليها . وهذا يعين سرعة تذبذبه . ومن الغريب ان سرعة تذبذب الالكترون تعدل طاقته مقسومة على القيمة الطبيعية الثابتة التي اكتشفها بلانك الالماني ودعاها الكونتم . فالذرات في عنصر واحد متماثلة في مناطق الكتروناتها حول نواها .

في هذه الجماعات من الناس كان الاتصال بالعالم الخارجي قليلاً فاستطاع الدكتور سمي واعوانه ان يتتبعوا سير الزكام من بدئه من دون ما يعقد التبشع . فوجدوا ان الزكام معد وانه ينتشر باللمس والاختلاط . ففي جماعة سبتسبرجن لم يصب احد بزكام — من نوفمبر — لما اقلعت آخر سفينة منها — الى ابريل بعد وصول اول سفينة بيوم واحد . فالمعدون في تلك المستعمرة خمسمائة معدن يعيشون في بيوت دافئة رطبة ويخرجون منها كل صباح الى عملهم في جو شديد البرد وريح هوجاء فيعملون في مناجم حيث الحرارة تهبط تحت درجة الجهد احياناً ثم يعودون الى بيوتهم الدافئة ليلاً . وهذه الاحوال في الرأي السائد مؤاتية كل المؤاتاة للاصابة بالزكام ولكن هؤلاء المعدنين لم يصابوا به فلما وصلت السفينة الاولى من الخارج في ابريل فحص سمي واعوانه ركامها وملاحيها قبل نزولهم الى اليابسة فكان احدهم مصاباً بزكام شديد . وفي اليوم نفسه ذهب موزع البريد من سبتسبرجن الى السفينة واصيب بالزكام الاول . فلم تنقضي ٣٦ الى ٤٨ ساعة حتى اصببت الجماعة بوافدة من الزكام . وما شاهد الدكتور سمي في جماعة سبتسبرجن شاهده في الجماعات الثلاث الاخرى على بعد الدار بينها وتباين الاحوال . وانما وجد ان الزكام في البلدان الاستوائية اخف وطأة منه في البلدان الباردة ولا تعقبه عادة اختلاطات مثل اصابة تجاويف الانف والاذن او الشعب

الرئوية او النزلة الصدرية . وهذه الاختلاطات — عدا النزلة الصدرية — تطول احياناً وتحسب انها الزكام نفسه . والزكام الواحد يطول ثلاثة ايام او اربعة . فاذا شفيت منه تماماً اصبحت ذا مناعة ضد الزكام تدوم ثلاثة اشهر . اي اذا شفيت من زكامك شفاه تاماً فلا تصاب باخر قبل انقضاء مدة المناعة الموقته وهي نحو ثلاثة اشهر . ولكن اذا اهملت الزكام نفسه فقد تصاب بعدوى ثانوية هي امتداد الزكام الاول فيبدو كأنك تصاب بزكام تلو الآخر ولم يعثر الدكتور سمي ولا اعوانه على مكروب يحدث الزكام وانما وجد غيره من الباحثين ان سبب الزكام Virus فيروس مرشح . فاللقاح ضد الزكام لا يصنع من هذا الفيروس وانما يصنع من الميكروبات التي تحدث العدوى الثانوية . فاللقاح لا يمنع زكاماً قط ولكنه من الوجهة النظرية على الاقل يستطيع ان يمنع العدوى الثانوية التي تنشأ من الزكام

الانسان النيندرتالي في فلسطين

اعلن الدكتور مكردى MacCurdy احد اساتذة جامعة يال ، في اول الصيف ان بعثة المدرسة الاميركية للبحث السابق للتاريخ والمدرسة الاثرية البريطانية عثرت في كهف على مقربة من حيفا على اربعة هياكل للانسان النيندرتالي يرجع عهدها الى قبل ٧٥ الف سنة . ويختلف انسان فلسطين النيندرتالي عن انسان اوربا النيندرتالي في ان ذقن الفلسطيني

ليست مرتدةً وجهتهُ اُعلى . ويتشابهان في بروز حجاجي العينين واسنان الفك الاعلى وقوة العضلات كما يتبين من درس العظام ويذكر قراء المقتطف ان المستر تورفيل بيتر الانكليزي عثر سنة ١٩٢٥ في كهف تبغة على مقربة من طبرية على جحمة انسان نيندرتالي غير كاملة فلم تصلح اساساً للمقابلة بين اناس ذلك العصر في فلسطين واوروبا وجحمة تبغة اول اثر للانسان النيندرتالي عثر عليه المنقبون في آسيا

الاشعة الكونية : تعليل جديد

ذهب الدكتور اسكندر دوقيليه Dauvillier احد اساتذة معهد العلوم العالية في باريس مذهباً جديداً في تعليل منشأ الاشعة الكونية ومصدرها فقال ان كهارب سريعة تنطلق من الشمس بسرعة تقارب سرعة الضوء تقريباً فتحدث لدى اصطدامها بذرات الهواء الاشعة التي نحسبها قادمة اليها من رحاب الكون . ومصدر هذه الكهارب البقع الماعة على سطح الشمس lacunae حيث الحرارة تبلغ نحو سبعة آلاف درجة بميزان سنتغراد . فتنتطلق الكهارب بسرعة غير عظيمة اولاً ثم تزداد سرعتها زيادة عظيمة اذ تمر في جو الشمس الموجب . وجو الشمس المؤلف من عنصري الايدروجين والكاسيوم في الغالب موجب لأن الاشعة التي فوق البنفسجية المنطلقة من قلب الشمس تصدم ذرات هذين العنصرين فتطرد بعض كهاربها . والذرة اذا

فقدت احد كهاربها اصبحت شحنتها موجبة ثم اذا اقتربت الكهارب من الارض انجذبت بفعلها المغناطيسي وتجمعت اقواساً ثم اذا دخلت طبقات الجو العليا اطارت من ذرات غازاته بعض كهاربها وهذه مصدر الضوء القطبي . فاذا قيست اقواس الاضواء القطبية امكن الوصول بعملية رياضية الى سرعة الكهارب الاولى المنطلقة من الشمس والتي جذبتها مغناطيسية الارض . والظاهر ان سرعتها لا تقل الا ٣٠ سنتمتراً عن سرعة الضوء في الثانية . واذاً فهي تصل الارض في بضع دقائق (يصل النور من الشمس الى الارض في ثمانى دقائق وثلاث ثوانٍ) وآثار هذه الكهارب تحيط بالارض من كل النواحي فيبدو للباحث انها تأتينا من نواحي الفضاء على السواء . وقد حسب دوقيليه طاقة هذه الكهارب فوجدها قريبة جداً من طاقة الاشعة الكونية ويرى من العبث البحث عن تعليل آخر لهذه الاشعة

تجديد العناية بسكنى الزهرة

للزهرة جو تسبح فيه غيوم تحجب سطحها عن الراصد الارضي . ويقدر عمق الهواء تحت هذه الطبقة باربعة آلاف قدم . ولكن اذا رصدت الزهرة وهي عابرة وجه الشمس — أي حين تتوسط بين الارض والشمس — بدت حولها هالة من الضوء ليست الا اشعة الشمس وقد عكستها طبقة الغيوم التي تحيط بالزهرة الى هذه الهالة وجهه طمان من عاماء مرصد

كبيرة من الزجاج افرغت الا من قليل من الهواء فضغط الهواء فيها يماثل ضغطه في طبقات الجو العليا حيث تظهر انوار الشفق القطبي ثم اطلقت في فضاء الكرة الزجاجية — حيث الهواء لطيف كل اللطف — كهرباء بطيئة من مهبط (Cathode) ضغطه ٢٠٠ فولط واجرى تياراً كهربائياً في الاسلاك التي تحيط بالكرة الحديدية . فلما انطلقت الكهرباء في الهواء انحرفت بفعل مغنطيس الكرة الداخلية . وفي اثناء انطلاقها اصطدمت بذرات الهواء فاطلقت منها كهرباء ثانوية احدثت اضواءً شبيهة باضواء الشفق القطبي . بل كونت حلقة منيرة حول الكرة الداخلية شبيهة بالشفق القطبي الذي رآه العالم نوردنسكيولد (Nordenskjold) سنة ١٨٧٨ ووصفه . وتختلف اشكال الشفق باختلاف حقل الارض المغنطيسي

سرعة دوران الشمس

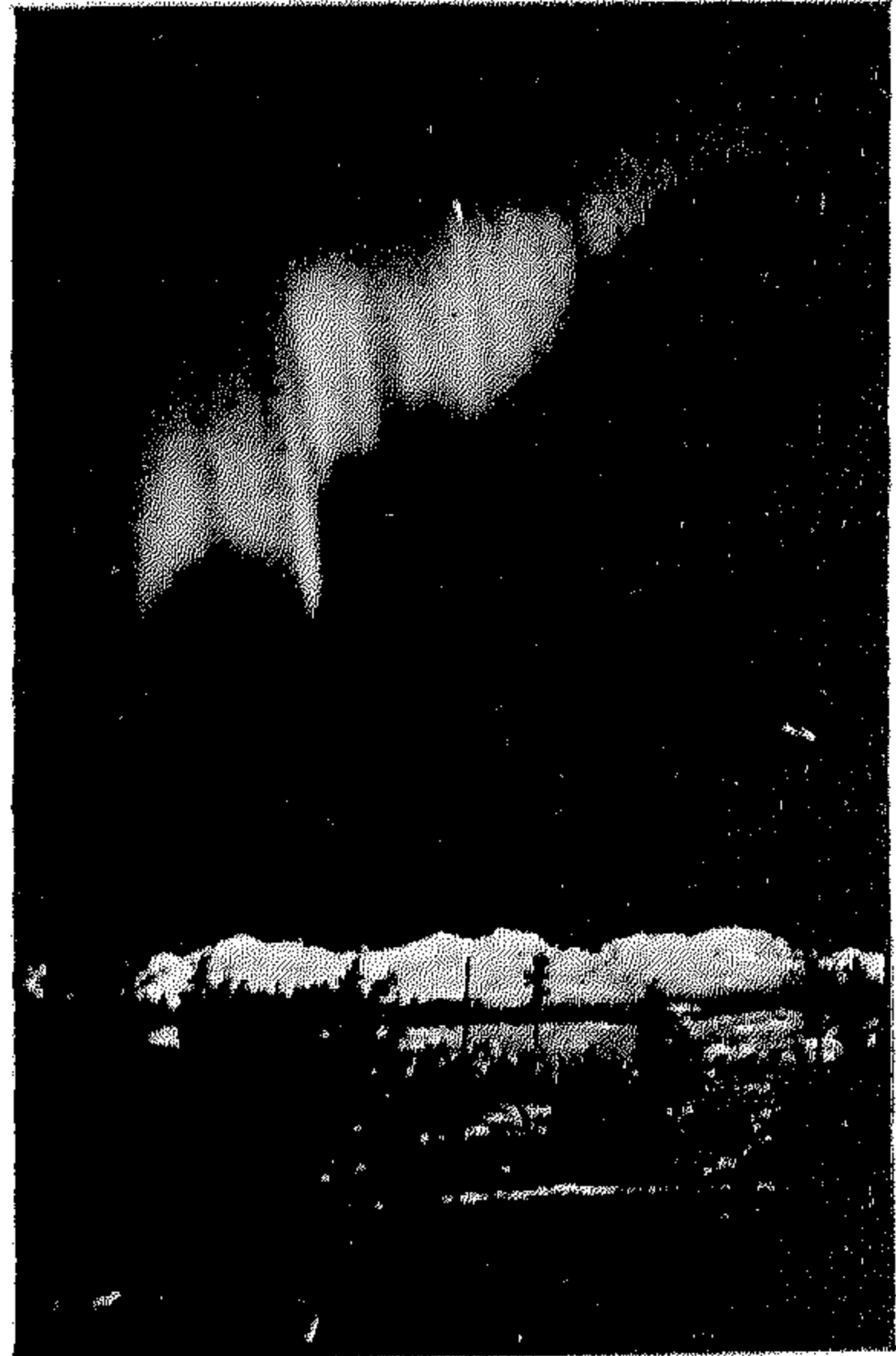
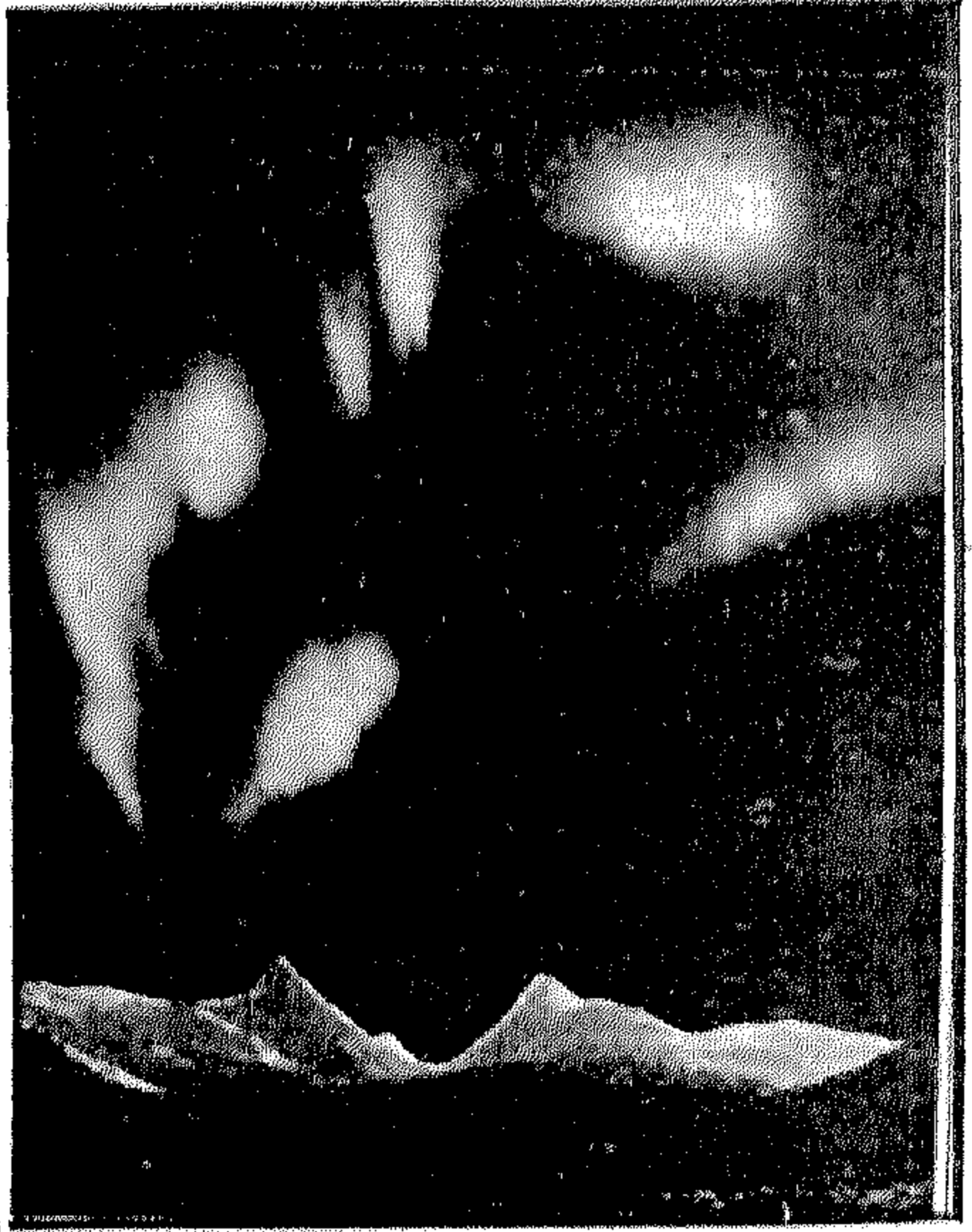
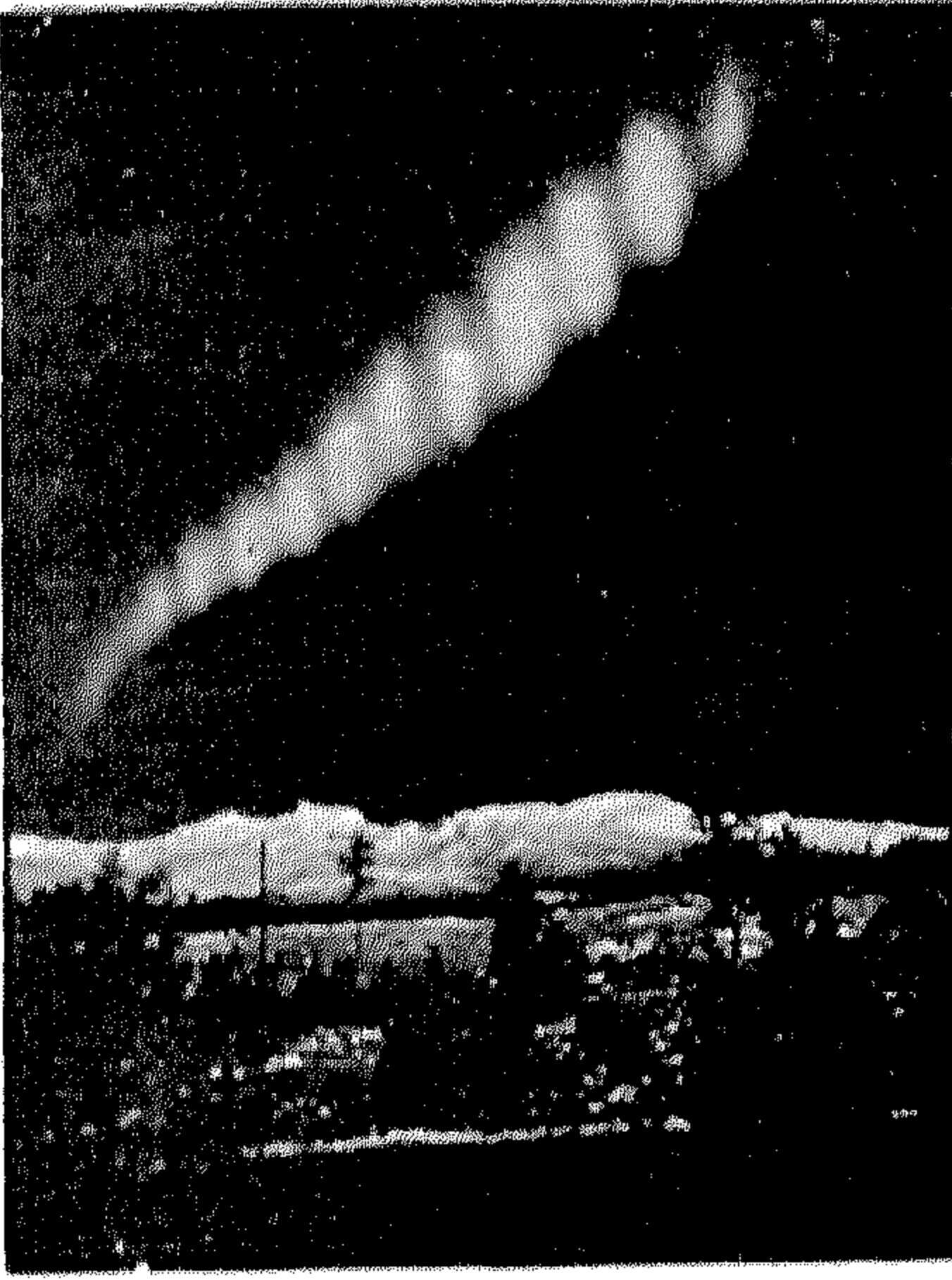
لعلماء الفلك طريقة في قياس سرعة دوران الشمس على محورها بقياس سرعة نقطة معينة في محيط قرصها ولا يبلغ الخطأ في هذه الطريقة زيادة أو نقصاً أكثر من واحد في المائة . وقد قيست سرعة نقطة في محيط قرصها مراراً بين سنة ١٩٠٠ و ١٩١١ فبلغت سرعتها نحو كيلومترين في الثانية . ثم قيست بين سنة ١٩١٥ — ١٩٢٩ فبلغت ١٩٢ كيلومتر في الثانية وابطأ سرعة قيست في هذه المدة ١٩٠ من الكيلومتر . وقد عني بقياسها حديثاً

جبل ولسن التلسكوب الكبير الذي فيه وغرضهما حل الاشعة التي تحت الاحمر في ضوء هذه الهالة . فوجدوا ان طيف هذه الاشعة تنقصها امواج يمتصها عادة غاز ثاني اكسيد الكربون . فحكم بان جو الزهرة يحتوي على هذا الغاز . ولا يخفى ان البحث لمعرفة ما يحتوي عليه جو الزهرة من مقومات الحياة — كالاكسجين وغاز ثاني اكسيد الكربون — لم يسفر قبل الآن عن نتيجة ما . فوجود غاز ثاني اكسيد الكربون — وهو من مقومات الحياة النباتية لانه اساس ما تبنيه النباتات من النشاء والسكر وهو كذلك من نفايا الحياة النباتية والحيوانية لان الحيوانات والنباتات تفرزه على اثر تنفسها — باعث على تجديد عناية الباحثين في امكان وجود احياء على سطح الزهرة وبوجه خاص لان درجة الحرارة على سطحها توافق الحياة كما نعرفها على الارض

الشفق القطبي المصطنع

صنع الاستاذ دو فيليه الفرنسي جهازاً يمكنه من توليد ضوء في المعمل كالضوء القطبي المعروف «بالشفق القطبي» . ويؤيد في الوقت نفسه المذهب الذي علل به الاشعة الكونية (راجع النبذة الرابعة في هذا الباب)

اخذ كرة مفرغة من الالومنيوم ووضع داخلها كرة مفرغة كذلك من الحديد تحيط بها اسلاك موصلة للكهربائية لمغطة الكرة الحديدية متى شاء . ثم وضع الكرتين في كرة



اربعة مشاهد للشفق القطبي الشمالي صورت حديثاً نقلناها هنا على ذكر
الرأي الجديد في تعليلها (انظر صفحتي ٣٧٥ و ٣٧٦ من هذا الجزء تحت
عنوان «الاشعة الكونية تعليل جديد» و «الشفق القطبي المصطنع»)
مقتطف اكتوبر ١٩٣٢
الاخبار العلمية

الدكتور افرشد الانكليزي فبلغ متوسط السرعة ١٥٠٢٠ من الكيلومتر في الثانية وهو اكثر قليلاً من متوسط المقاييس بين ١٩٠٠ و ١٩١١ ولذلك يظن ان سرعة دوران الشمس حول محورها يزيد وينقص في مدد كل منها نحو ثلاثين سنة . كما يكثر ضوءها ويقل في مدد كل منها ١١ سنة — وهي مدة الدورة الكافية (sun-spot cycle)

بعض الماس يولد كهربائية

مما يدعو الى الدهشة ان بعض انواع الماس النادرة شفافة للاشعة التي تحت الاحمر والاشعة التي فوق البنفسجي شفوفها لامواج الضوء . وما هو ادعى من ذلك الى الدهشة ان هذه الانواع النادرة تولد تياراً كهربائياً اذا صوبت اليها اشعة معينة . وقد صرح السر روبرت روبرتسن كيميائي الحكومة البريطانية انه امتحن ٢٥٠ نوعاً من الماس فلم يجد الا خمسة تولد تياراً كهربائياً . وقد جرب حديثاً تجربة بماسة منها في حفل من اعضاء الجمعية الملكية بلندن . فاخذ الماسة ووضعها بين قضيبين من الكربون وصوب اليها اولاً شعاعاً من الاشعة التي فوق البنفسجية ثم شعاعاً من الاشعة تحت الحمراء وفي كلتا الحالتين ولدت الماسة تياراً كهربائياً حرف ابرة الغلفانومتر (مقياس كهربائي)

اقدم مدينة في العالم

عثر الباحثون في العراق على ما يحسبونه آثار اقدم مدينة في التاريخ عرفت حتى الآن

هذه المدينة تدعى تيب جوزا (Tepe Gawra) وهي في شمال العراق ويرتد تاريخها الى ٣٧٠٠ ق . م . والظاهر من كلام الدكتور سينيتر عليها — وهو رئيس بعثة جامعة بنسلفانيا والمدارس الاميركية للبحث الشرقي التي كشفت عنها — ان تخطيط مبانيها وشوارعها يبعث على الاعجاب ببناها . ففي قلب المدينة كان ميدان فسيح والى شماله معبدان يتصلان بمحطات ومخازن . وقرب الميدان قلعة . والى الجنوب حي السكن . وفي احدى النواحي خزان كبير للماء عمقه مائة قدم لاستعمال مائه في ايام الحصار . وبناها اول بناء في التاريخ — على ما نعلم — عرفوا بناء القناطر . فالكشف عن هذه المدينة يضيف جديداً الى تاريخ « فن العمارة »

وقد كانت آثار هذه المدينة مدفونة حتى ثمانى طبقات متراكمة فوقها والظاهر ان الطبقة السادسة توازي في قدمها مدينة اور الكلدانيين اما الثامنة فتاريخها اقدم من ذلك بنحو خمسمائة سنة

اشعة الجسم الفتاكة

كشفت طائفة من علماء جامعة كورنل عن اشعة تنطلق من دم الانسان وانامله وانفه او تشع من عينيه وتفتك بخلايا الخيرة وغيرها من الكائنات الدقيقة . وقد عني الاستاذ اوتو ران Otto Rahn البكتيريولوجي بدراسة هذه الاشعة من ناحية فعلها بالمكروبات فاسفر ببحثه عن نتائج حملته على المضي في البحث وحث الآخرين عليه

املاح تؤخر الشيخوخة

يرى الدكتور فكتور لامير (La Mer) احد اساتذة جامعة فولجيا ان املاح الكالسيوم والفسفور اذا أخذت في مقادير معينة تطيل شباب الجسم وتؤخر الشيخوخة نحو عشرة في المائة . فمن يموت عادة في السبعين من العمر يعيش الى السابعة والسبعين اذا تناول ملح فصقات الكالسيوم — وهو الملح الذي يضاف الى ملح الطعام لينع تبلله بامتصاصه للرطوبة — ولكن لا بد من تناول هذين العنصرين في نسبة معينة لان تناول العنصر الواحد دون الآخر ضار بالجسم . ومما يذكر في هذا الصدد النتيجة التي وصل اليها الدكتور مكلم (Mc Collum) استاذ التغذية في جامعة جنز هيكز الاميركية وهو ان اسنان الفئران التي جرب تجاربه فيها يصيبها النخر اذا لم تتناول الفئران مقادير كافية من هذين العنصرين اللذين لا مندوحة عنهما لبناء العظام . والظاهر ان حاجة الاطفال اليهما هي ضعف حاجة الكبار اليه وان حاجة الامهات اليهما ثلاثة اضعاف حاجة الكبار

لقاح ضد التيفوس

وفقت طائفة من اطباء معهد الصحة الاميركي الى صنع لقاح يقي من الحمى التيفوسية المتوطنة في الولايات المتحدة الاميركية . وقد جرب في خنازير الهند فوقها من التيفوس ومتى اتقن صنعها يجرب في البشر ويرجح ان اول من يجربه الاطباء الذين استنبطوه

والاستاذ ران الماني تلقى علومه في المانيا وهو الآن استاذ البكتريولوجيا في جامعة كورنل . فلما بسط نتائج تجاربه على الجمع الاميركي لترقية العلوم الملتئم في الصيف الماضي دهش العلماء لانها تعيد الى الدهن بعض المعتقدات القديمة بان الجسم البشري يؤثر اراً ضاراً في ما يحيط به

فمن تجاربه انه اخذ قدرًا من الخميرة المستعملة في صنع الخبز فقُتِلت خلاياه بالاشعاع المنطلق من انامل شخص واحد في خمس دقائق . فلما وضع لوح من الكوارتز بين الانامل والخميرة انقضت ١٥ دقيقة قبلما فتكت اشعة الانامل بخلايا الخميرة

ثم قام بتجارب اثبتت له ان اشعة شبيهة باشعة الانامل التي تقتل خلايا البكتيريا تنطلق من الانف والعينين . وان اثر الاشعة المنطلقة من العين تذكرنا بقول الاقدمين في « اصابة العين » واحداث ما قام به ران من التجارب يدل على ان هذه الاشعة لا تنطلق من صدر الانسان ولكنها تنطلق من الدم والاعاب . وانما تختلف قوتها باختلاف الشخص — وان المنطلق منها من انامل اليد اليمنى اقوى دائماً مما ينطلق منها من انامل اليسرى

اما طبيعة هذه الاشعة فلم تعرف بعد ولا يبعد ان تكون من قبيل الاشعة التي فوق البنفسجي ، فانها تحترق الكوارتز مثلاً ، وتبقى فعالة بعد اختراقها له

(راجع مقالة الاحياء المشعة في الصفحة ٢٨٢ من هذا الجزء من المقتطف)

المصابين انه قد توجد علاقة بينه وبين اضطراب الغدة النخمية وهي الغدة التي لها اثر قوي في عمل الغدد التناسلية . فلما عجزت وسائل معالجة الصداع العادية عن تخفيف آلامهم عمد الى حقنهم بهرمون المبيض ovarian follicular hormone فخف الم الصداع وزالت سائر الاعراض . ولما صورت هاجم هؤلاء المصابين بأشعة اكس ظهر تغير في المنخفض العظمي الذي يحتوي على الغدة النخمية . فهذا المنخفض مفتوح من اعلاه عادة فاذا تضخمت الغدة النخمية كما يحدث عند النساء في بعض الادوار لم تجد ما يعيقها

اما اذا كان اعلى المنخفض مسدوداً أو مسقوفاً لم تتمكن الغدة من التضخم فتضغط على بعض الاعصاب والاعوية الدموية فيحدث الصداع . اما الذين لا يصابون قط بهذا النوع من الصداع فقد ثبت ان منخفض الغدة النخمية ليس « مسقوفاً » في هاجمهم . وفي حالتين من الحالات التي درسها وجد ان الفتاة ورثت من امها الحالة العظمية المذكورة والصداع كذلك . وهذا مما يؤيد رأيه

اعتراف بفضل

نشرنا في مقتطف ابريل الماضي مقالة موضوعها « حول مؤتمر الموسيقى » لبشر فارس وامام الصفحة ٣٩٥ نشرنا ثلاث صور لآلات موسيقية عربية قديمة وفاتنا ان نذكر هناك انها من كتاب « ارث الاسلام » في المقال الذي كتبه عن « موسيقى العرب » الاستاذ هنري فارمر

والحمى التيفوسية المتوطنة في الولايات المتحدة الاميركية تختلف عن الحمى التيفوسية التي تنفشي احياناً في اوربا . فالحمى الاميركية اخف وطأة على الجسم من الحمى الاوربية التي تميت المصاب في الغالب . والحمى الاميركية ينقل فيروسها برغوث متطفل على الجرذان . اما الاوربية فينقل فيروسها — وهو يختلف قليلاً عن فيروس الاميركية — القمل الصداع وهرمون التناسل

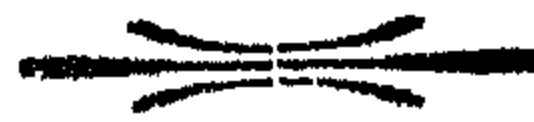
الهرمون اسم يطلق في اللغات الاوربية على ما تفرزه الغدة الصماء . ففرز البنكرياس الذي لا مندوحة عنه لوقاية الجسم من مرض البول السكري يدعى هرمون البنكرياس . ومفرز الغدة الدرقية اللازم للجسم لكي يحتفظ بمحدود النمو الطبيعية يدعى هرمون الغدة الدرقية . والظاهر ان الهرمونات التي يفرزها مبيض المرأة لها اثر في علاج نوع اليم من الصداع يصحبه غشيان وقيء و احياناً زيف النظر وقد بعث الدكتور طمس (A. P.)

طبيب المستشفى العام للاطفال في مدينة برمنغهام برسالة الى مجلة اللانست الطبية ذكر فيها انه جرب هذا العلاج في عدة حالات فاسفرت تجربته عن النجاح . وكان صداع الذين عالجهم شديداً ارغمهم على ملازمة الفراش نحو يومين واضطر بعضهم الى استعمال المورفين حقناً فراراً من الألم . على انهم كانوا فيما عدا ذلك لا يشكون علة ما يمكن ان تسبب الصداع

ويرى الدكتور طمس من بحث اعراض

الجزء الثالث من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
٢٥٣	القوى الكامنة في الذرة
٢٥٩	السرعة
٢٦٦	حافظ ابراهيم . لمصطفى صادق الرافعي (مصورة)
٢٧٧	حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر . للدكتور محمد شاهين باشا
٢٨٢	الاحياء المشعة
٢٨٥	قلب راقصة (قصيدة) للدكتور ابراهيم ناجي
٢٨٨	الحياة الاجتماعية في الحيرة . ليوسف رزق الله غنيمة
٢٩٦	أثر الاساطير في قصة خروج بني اسرائيل . لناشد سيفين
٣٠١	القضايا الاجتماعية الكبرى . للدكتور عبد الرحمن شهنادر
٣٠٥	ايليا ابو ماضي الشاعر . لالياس ابو شبكة
٣١٠	سر ناموس النور . لنقولا الحداد (مصورة)
٣١٦	حرقة . (قصيدة) لبشر فارس
٣١٧	ارتياذ طبقات الهواء (مصورة)
٣٢٠	نشأة المسرح الاغريقي . للدكتور علي عبد الواحد
٣٢٤	الله في الحياة . لشارل مالك
٣٣١	موت عزرائيل (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي
٣٣٣	القاهرة تستولي على بغداد . لمصطفى جواد
٣٤١	علاقة جوته بشلر . للدكتور علي مظهر
٣٤٣	الحضارة الفينيقية . لبولس مسعد



٣٥٢	باب المراسلة والمناظرة * الشاهنامه وترجمتها العربية ، ثعلبان . مفرد او مثنى . مساعدات . تاريخية
٣٥٨	باب الزراعة والاقتصاد * المغفور له الامير كمال الدين حسين . خطر اسود يهدد الفلاحين
٣٦٣	مكتبة المقتطف * ديوان ابن زيدون . حول ديوان الرصافي . الجاحظ مع العقل والادب . فتح الاندلس . المطبوعات الجديدة
٣٧٢	باب الاخبار العلمية * وفيه ١٣ نبذة (مصورة)

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوسنة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

٣٥	القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثمانية)	١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فري)
٧٠	القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)	٥	خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٣٥	القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى)	٥	التعليم والصحة
٧٠	القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثمانية)	١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
٣٥	القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس	١٥	ذكرى وانثى خلقهم » » »
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس	٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران) » »
٢٠	قاموس الجيب عربي انكليزي فقط	١٥	اسرار الحياة الزوجية » »
١٥	قاموس الجيب انكليزي عربي فقط	٢٥	المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور فخري)
٧٠	» سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)	٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها » »
٥٠	» سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ)	١٥	الزينة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي)
١٠٠	» سقراط انكليزي عربي وبالعكس	١٠	تاييس » » »
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)	٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٢	الهدية السنوية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)	١٠	القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)	١٠	مسارح الازهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٠	عشرة ايام في السودان » » » »	١٢	رواية احوال الاستبداد ٤ مصورة
١٢	مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد)	١٠	رواية فاتنة المهدي ٤ او استعادة السودان
١٥	روح الاشتراكية (لنوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد زعيتير)	٨	رواية الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
١٥	روح السياسة » » »	٥	فقر وعفاف (للاستاذ احمد واقف)
١٠	الآراء والمعتقدات » » »	١٢	رواية باريزيت ٤ مصورة (توفيق عبد الله)
٢٠	اصول الحقوق الدستورية » » »	١٢	غرام الراهب او الساحرة المجدورة
١٠	الحضارة المصرية (لنوستاف لوبون)	٧٥	رواية روكامبول ٤ ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٨	مقدمة الحضارات الاولى » »	٢٥	رواية ام روكامبول ٤ ٥ اجزاء »
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونالد)	٢٠	رواية باردليان ٤ ٣ اجزاء »
١٥	مآقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء	٢٠	رواية الملكة ايزابو ٤ اجزاء »
١٠	اليوم والغد (للاستاذ سلامة موسى)	٢٠	رواية الاميرة فوستا ٤ جزآن »
١٠	مختارات سلامة موسى	٢٠	رواية عشاق فينسيا ٤ جزآن »
٨	نظرية التطور واصل الانسان » »	١٦	رواية كاييتان ٤ جزآن »
٢	انا تول فرانس في مبادله (الامير شكيب ارسلان)	١٦	رواية الوصية الحمراء ٤ جزآن »
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)	١٢	رواية فلمبرج ٤ جزآن »
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبد الله)	١٠	رواية فارس الملك »
١٠	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني)	١٠	رواية ضحايا الانتقام »
١٠	قبض الريم (» » » » »)	٥	رواية المتشكرة الحسنة »
٨	نسبات وزوابع شعر منثور مصور	٥	رواية مروة الاسود »
١٠	رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبد الواحد)	٥	رواية شهداء الاخلاص »
١٠	الفرجال في الادب المصري (للاستاذ نجمايل نعيمه)	٨	رواية المرأة المفترسة »
٥	حكايات الاطفال ٤ اول (مصور بالالوان)	١٦	رواية دار المعجائب جزآن (نقولا رزق الله)
	» » » » »	١٠	» فرانسوا الاول » »

اعلان مهم للهزارعين

استعملوا

الاسمدة الازوتية الاكثر فائدة لجميع زراعاتكم

نترات الجير الالماني الابيض اللون

الذي يحتوي على ١٥ و ٥ في المائة آزوت

نتر و سلفات الالماني

الذي يحتوي على ٢٦ في المائة آزوت

سلفات النشادر الالماني

الذي يحتوي على ٢٠ و ٦ في المائة آزوت

اطلبوها من

محل ثابت ثابت

الوكيل العام لنقابة المماثل الالمانية للاسمدة الازوتية

بالقاهرة : بشارع المناخ بمك فرنسيس

تليفون ٤٢٣ - ٥٤ - تلغرافياً : الثبات

بالاسكندرية : بشارع اسحق النديم غرفة ٢

تليفون غرفة ١١ - ٣٤ - تلغرافياً « الثبات »

Nov. 1932

نوفمبر ١٩٣٢

المقتطف

شوقي

لمسطفى صادق الرافعي

غاندي يطلب العلم

فصل من سيرته لاسماعيل مظهر

الحياة والكهربائية

هل هما من معدن واحد

AL MUKTATAF



امثلة من روائع الفن الاسلامي

(منقولة عن الطبعة الاخيرة من دائرة المعارف البريطانية)

مقالة مآثر الحضارة العربية

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢

المقتطف

مجلة علمية سياحية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الحادي والثمانين

٢ رجب سنة ١٣٥١

١ نوفمبر سنة ١٩٣٢

تشية الحيوانات وتصيفها

غرائب الطبيعة وعجائب المخلوقات

لا يخفى ان بعض الحيوانات كالادباب والخفافيش والسلاحف والارانب وغيرها تستكن في الشتاء فتدخل مكاناً تأوي اليه وتبقى فيه زمناً لا تأكل ولا تشرب ولا تتحرك فاذا جاء الربيع خرجت من مشتها سعياً وراء رزقها . فهذا السكون في الشتاء يسميه علماء الطبيعة (Hibernation) ومعناه بالعربية التشية من قولهم شئت في المكان اي اقام فيه شتاء وبعض الحيوانات يكمن في الصيف كالخلازين والضفادع وبعض الاسماك في البلاد الحارة وهو ما يسميه الافرنج (Aestivation) اي التصيف من صيف في المكان اي اقام فيه صيفاً . وقد كانت التشية معروفة عند العرب اشار اليها الجاحظ في كتاب الحيوان حيث قال « وجميع الحشرات والاحناش والعقارب وهذه الذبابات التي تعض وتلسع تكمن في الشتاء الا النمل والذر والنحل فانها قد ادخرت ما يكفيها وليست كغيرها مما تثبت حياته مع ترك الطعم » . وقال الدميري في وصف الضب « ومن شأنه في الشتاء ان لا يخرج من جحره وقد اشار الى ذلك امية بن ابي الصلت في قوله يباري الريح تكربة ومجداً اذا ما الضب اجحره الشتاء »

أي إذا جاء الشتاء فلزم جحره . وقال في وصف الدب وهو « يحب العزلة فاذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذ في الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء . . . »
والحيوانات التي تشي أو تصيف كثيرة جداً منها الخفافيش أي الوطاويط فانها إذا جاء

الشتاء أوت كهفاً أو جوف شجرة وتعلقت بمخالبها وادلت رؤوسها والتصقت بعضها ببعض وبقيت على ذلك الشتاء بطوله لا تتحرك مطلقاً وإذا نهت قليلاً أخذت تتنفس رويداً رويداً ثم عادت إلى ما كانت عليه من السكون فإذا جاء الربيع خرجت من مكمنها وعادت إلى الحركة والطيران ومنها الادياب فانها تشي في أكثر الأماكن الباردة تدخل كهفاً فيسقط الثلج ويغطيها وهي داخل الكهف نائمة لا تأكل ولا تشرب وقيل إن أنثى تلد وترضع صغارها وهي في داخل الكهف ولا تغتذي بشيء مطلقاً فإذا جاء الربيع خرجت من مشتها سمينة قوية كأن الصيام لم يؤثر فيها. على إن بعض الحيوانات كالمرموط وسنجاب الأرض يخرج من مشتها هزياً ضعيف القوى ومنها القنفذ المعروف في الشام بكبابة الشوك فإنه يدخل ثقباً في صخر أو تحت جذور شجرة ويبقى زمناً لا يأكل ولا يتحرك. والزغبة وهي التي يسميها الإنكليز (Dormouse) أي الفأرة النومة تقيم شتاءً في عش طائر أو تبني لها بيتاً من الطحلب أو الريش وتكن فيه عدة أشهر نائمة لا تتحرك. والأرنب تندس تحت الثلج فيغطيها وتبقى كذلك عدة أشهر لا يصيبها مكروهاً وهذا السكون في زمن الشتاء أو زمن الصيف ليس مقتصراً على الحيوانات اللبونة أي التي ترضع صغارها بل نراه في كثير غيرها من الحيوانات البرية والبحرية كالزحافات والأسماك لكنه غير معروف في الطيور. فالسلحفاة البرية تكمن زمناً في حفرة من الأرض والسلحفاة النهرية تغوص في الطين على شواطئ البحيرات والأنهار. والضفادع تفعل ذلك أيضاً في بعض الأماكن أحياناً يحف الطين في زمن القيظ فتبقى عدة أشهر في الطين الجاف على عمق عشرين قدماً أو أكثر لا تغتذي بشيء ولا تتنفس ثم إذا جاء الشتاء خرجت من مكمنها. أخبرنا بعضهم أنه كان يحفر بئراً في السودان في مكان تجتمع فيه المياه في زمن المطر فحفر إلى عمق ٤٢ قدماً ولم يجد ماء ولكنه وجد ضفادع كثيرة على عمق ٢٠ قدماً إلى ٣٠ قدماً. والسماك الرئوي يصيف أشهراً في زمن الجفاف فإنه يغوص في الطين ويحف الطين حوله ويبقى في الطين الجاف إلى أن يأتي المطر وتفيض المياه وتملأ الخيران فيخرج من مكمنه ويعوم في الماء وأكبر الحلازين البرية تبقى زمناً طويلاً في الصيف بلا تغذية فالزراق وهو نوع منها يختبئ في حفرة أو نقرة ويجعل لفوهة بوقه غطاءً فيه ثقب صغير يتنفس منه ويبقى كذلك الصيف كله إلى أن يقع المطر. والغطاء مصنوع من مادة يفرزها من فمه والغاية منه منع التبخر فتبقى الرطوبة في جسمه زمناً طويلاً ومتى شتئ الزراق أو صيِّف لا يأكل شيئاً لذلك يقول العامة أنه صائم والفراش والعث وغيرها من الحشرات والهوام تكمن في الشتاء وبعضها يكمن زمناً طويلاً جداً قبل أن يصير حيواناً كاملاً ك بعض أنواع زيز الحصاد فإنه يبقى بضع عشرة سنة تحت الأرض وهو دغموص قبل أن يصير حيواناً كاملاً. أما النحل فكما قال الجاحظ لا يكمن في الشتاء بل على ضد ذلك فإنه يحتاج إلى مقدار كبير من الغذاء في الأشهر الباردة وبقاؤه في الخلايا

لا يعدّ تشتية بالمعنى الذي يفهمه علماء الطبيعة لأن الحيوانات التي تشتي لا تتناول غذاءً مطلقاً في زمن التشتية أو أنها تأكل حيناً بعد آخر كالمرموط لكن ذلك ليس تشتية بالمعنى الحقيقي ومتى تشتى حيوان أو صيْف ضعفت فيه كل القوى الحيوية وانخفضت حرارته كثيراً وقد تصل إلى درجة من الانخفاض لا تزيد كثيراً عن حرارة ما يجاوره من الأجسام . وبعض الحيوانات التي تشتي تهبط في آخر الصيف مقداراً من الطعام تدخره إلى زمن الشتاء لسكن ذلك لا يكون تشتية بالمعنى الحقيقي فإنه يراد بالتشتية ادّخار الدهن أو الشحم في الجسم قبل الزمن الذي يستكن فيه الحيوان فمتى استكن نام نوماً طويلاً لا يتناول فيه طعاماً ما بل يستعاض عن ذلك بالاغتناء بما ادخره من الدهن في جسمه فإذا كان بهيمة أي من أكلة البقول صار في تشتيته سبباً أو لاحقاً أي من أكلة اللحوم لأن غذاءه يكون من لحمه فيحدث فيه بعض التغيير الفسيولوجي وتتغير الفضول التي يفرزها تغيراً يذكر وتصير مثل فضول السباع في تركيبها الكيماوي

والمشهور أن التشتية في الحيوان سببها البرد لكننا إذا انعمنا النظر وجدنا أن البرد وحده ليس كافياً لذلك فإن أكثر الباحثين قد وجدوا أن عرض الحيوانات للبرد الشديد في الصيف لا يجعلها تشتي . والتجارب التي من هذا القبيل متناقضة على أن أكثرها يثبت ما ذكر . ولا ريب أن قلة الغذاء قد تكون سبباً من أسباب التشتية فإن الحيوانات التي تشتي إذا كثرت الطعام عندها تؤخر الزمن الذي تشتي فيه عادة لكن ذلك ليس مطرداً فإن بعضها يشتي رغماً عن كثرة الطعام لديه ومما يحسن ذكره تأثير قلة الطعام في الإنسان كما يحدث لفلاحى روسيا في سني الجذب فإنهم إذا رأوا أن غلاتهم لا تكفيهم إلى آخر الشتاء احتاطوا لذلك وانقصوا طعامهم اليومي ولكي لا تخور قواهم قبل انتهاء الشتاء ناموا نوماً طويلاً فوق مواقدهم فلا يتحرك الواحد منهم ولا يقوم من فراشه إلا لا يقاد النار واكل كسرة من الخبز وشرب قليل من الماء ثم يعود إلى فراشه وينام فإن السكون والنوم الطويل يقللان انحلال الجسم والمقدار اللازم من الطعام لتغذيته وإلى القارىء بعض الظواهر الفسيولوجية في الحيوانات اللبونة متى كنت شتاءً

التنفس . يقل التنفس كثيراً ويسير سيراً غير منتظم ثم تقف عضلات التنفس وقوفاً تماماً ولا يعود الصدر يتحرك فيبقى التنفس قائماً بحركة القلب فقط فإذا انقبض دخل الهواء إلى الرئتين وإذا انبسط خرج منها . فالزغبة مثلاً متى كانت مشتية تراها تتنفس تنفساً قليلاً ثم يقف نفسها تماماً نحو عشر دقائق ثم تعود إلى التنفس وهلم جرا . وهي تتنفس عادة ثمانين مرة أو أكثر في الدقيقة . ومن الغريب أن بعض هذه الحيوانات كالمرموط والخفاش إذا وضعها في حالة التشتية في صندوق فيه مقدار كبير من الحامض الكربونيك لا يصيبهما سوء وإذا وضع عصفور أو جرذ في الصندوق نفسه مات حالاً مما يدل على أن الحيوانات متى كانت مشتية

لا تتناول إلا مقداراً يسيراً جداً من الأكسجين لشدة انخفاض القوى الحيوية فيها والسبب نفسه لا ينبعث منها إلا مقدار قليل جداً من الحامض الكربونيك
الدورة الدموية . تضعف ضربات القلب كثيراً وينقص عددها في الخفاش والرغبة ينقص من مائة ضربة في الدقيقة إلى ١٤ أو ١٦ ضربة فقط . وقد فحص الدم الوريدي في الحيوانات المشتية فكان شريانياً أي أحمر قائماً . على أن بعض الباحثين وجدوا الدم في الاوعية وريدياً أي أرجواني اللون

الهضم . يختلف الهضم باختلاف عادات الحيوان فالرغبة والمروط وغيرهما من الحيوانات التي تشتي تدخر طعامها في أواخر الصيف فإذا أقبل الشتاء وكنت استيقظت حيناً بعد آخر واكلت قليلاً فلا بد إذا أن أعضاء الهضم فيها تعمل بعض العمل أحياناً . وبعضها كالدب الأسود لا يأكل مطلقاً وهو مشتب فيقف الهضم فيه وقوفاً تاماً

والكبد شأن كبير في زمن التشيتية فتكون مخزناً يخزن فيه ما يسميه الفسيولوجيون بالغلو كوجين أي مولد السكر وهو مادة مصدرها المواد النشائية فتحولها الكبد إلى سكر تفرغه في الاوعية الدموية فيسير مع الدم إلى الانسجة فتغذي به مثلاً تغذي به في اليقظة أيضاً الجهاز العصبي والحرارة . يضعف تنبه الاعصاب كثيراً في الحيوانات المشتية لكنها تصير من هذا القبيل شبيهة بالحيوانات الباردة الدم^(١) كالضفادع أي إن التنبه العصبي يبقى في عضلاتها مدة طويلة بعد فصلها عن الجسم . وتفقد الحيوانات الحارة الدم قوة ضبط حرارتها فتسير مثل الحيوانات الباردة الدم أي عوضاً عن أن تكون حرارتها منتظمة وعلى معدل واحد تعبير مثل حرارة ماحولها فترتفع او تنخفض بارتفاع هذه الحرارة وانخفاضها ومتى اوقظت رفعت حرارتها حالاً إلى حالتها المعتادة

المناعة . وجد بعضهم إن الحيوانات المشتية تقاوم الامراض المعدية اشد المقاومة وإن مدة الحضانة تطول فيها ووجد آخرون إن بعضها يكون موقياً من الامراض الميكروبية متى كان مشتباً الخلاصة إن التشيتية ستكون بعض الحيوانات سكونا تاماً تقف فيه اعمال اكثر الاعضاء حتى لقد قال بعضهم ان التنفس يقف وقوفاً تاماً في التشيتية الحقيقية لكن هذا القول مشكوك فيه . وهي تتدرج من النوم الطبيعي حيث تقف اعمال بعض الاعضاء إلى التشيتية الحقيقية حيث تكون ظواهر الحياة في أدنى درجة من الضعف . ويظن إن السبات الذي يقع فيه دراويش الهند نوع من انواع التشيتية . والتشيتية لازمة لهذه الحيوانات ولولاها لانقرضت عن وجه الارض

(١) يراد بالحيوانات الباردة الدم الضفادع والسلاحف والعظاء وما اشبه وحرارتها بين الصفر والتسعين من مقياس فارنهایت وقلما ترتفع عن حرارة ما يحيط بها اما الحيوانات الحارة الدم كالإنسان والطيور وما اشبه فتكون حرارتها اكثر من ذلك ولا تتغير بتغير الحرارة التي يحولها بل تبقى على معدل واحد



توفاه الله في فجر

١٤ أكتوبر ١٩٣٢

فقيه الشعر العربي

أحمد شوقي بك

امام صفيحة ٣٨٥

عن اللطائف المصورة



شوقي

لمصطفى صادق الرافعي



هذا هو الرجل الذي يُسَخِّلُ الي أن مصر اختارته دون أهلها جميعاً لتضع فيه رُوحها المتكلم ، فأوجبت له ما لم توجب لغيره وأعطته بما لم يتفق لسواه ووهبت له من القدرة والتمكين وأسباب الرياسة وخصائصها على قدر أمة تريد أن تكون شاعرة لا على قدر رجل في نفسه ، وبه وحده استطاعت مصر أن تقول للتاريخ : شعري وأدبي

شوقي . هذا هو الاسم الذي كان في الأدب كالشمس من المشرق متى طلعت في موضع فقد طلعت في كل موضع ، ومتى ذكر في بلد من بلاد العالم العربي اتسع معنى اسمه فدل على مصر كلها كأنما قيل النيل أو الهرم أو القاهرة . مترادفات لا في وضع اللغة ولكن في جلال اللغة

رجل عاش حتى تمَّ وذلك برهان التاريخ على اصطفاؤه لمصر ودليل العبقرية على أن فيه السرَّ المتحرك الذي لا يقف ولا يكَلِّ ولا يقطع نظام عمله كأن فيه حاسة نحلة في حديقة . ويكبر شعره كلما كبر الزمن فلم يتخلف عن دهره ولم يقع دون أبعداياته ، وكأنه مع الدهر على سياق واحد وكان شعره تاريخ من الكلام يتطور أطواره في النمو فلم يجمد ولم يرتكس ، وبقي خيال صاحبه الى آخر عمره في تدبير السماء كعَرَّاض الغمامة سحابة كثير البرق ممتلئ بمطر ينصب من ناحية ويمتلئ من ناحية

والناس يُكْتَبُ عليهم الشباب والكهولة والهرم ولكن الاديب الحق يُكْتَبُ عليه شباب وكهولة وشباب ، إذ كانت في قلبه الغايات الحية الشاعرة ما تنفك يلد بعضها بعضاً الى ما لا انقطاع له فانها ليست من حياة الشاعر التي خلقت في قلبه ولكنها من حياة المعاني في هذا القلب

اقرر هذا في شوقي رحمه الله وأنا من أعرف الناس بعيوبه وأما كن الغميرة في أدبه وشعره ، ولكن هذا الرجل انفسلت من تاريخ الأدب لمصر وحدها كاتقالات المطر من سحابها المتسار في الجو فأصبحت مصر به سيدة العالم العربي في الشعر وهي لم تذكر قديماً في الأدب إلا بالنكتة والرقعة وصناعات بدعية مملقة ولم يستشعر لها ذكر بناغة ولا عبقرية

وكانت كالمستجدية من تاريخ الحواضر في العالم حتى ان أبا محمد الملقب بولي الدولة صاحب ديوان الانشاء في مصر للظاهر بن المستنصر (وقد توفي سنة ٤٣١ هـ) وكان رزقه ثلاثة آلاف دينار في السنة غير رسوم يستوفىها على كل ما يكتبه — سلم لرسول التجار الى مصر من بغداد جزءين من شعره ورسائله يحملهما إلى بغداد ليعرضهما على الشريف المرتضى وغيره من أدبائها فيستشيرهم في تخليد هذا الادب المصري بدار العلم ان استجدوده وارتضوه . كأن حفظ ديوان من شعر مصر ونثرها في مكتبة بغداد قديماً يشبه في حوادث دهرنا استقلال مصر وقبولها في عصبة الامم

وهذا أحمد بن علي الاسواني امام من أئمة الأدب في مصر توفي سنة ٥٦٢ هـ) وكان كاتباً شاعراً يجمع الى علوم الادب الفقه والمنطق والهندسة والطب والموسيقى والفلك — أراد أن يدون شعر المصريين فجمع من شعرهم (وشعر من طراً عليهم) اربع مجلدات كأن الشعر المصري وحده الى آخر القرن السادس للهجرة في العهد الذي لم يكن ضاع فيه شيء من الكتب والدواوين لا يملأ اربع مجلدات ٠٠٠ على اختلافهم في مقدار المجلدات فقد تكون جزءاً لطيف الحجم والاسواني نفسه يبلغ ديوانه نحو مئة ورقة

واخوه الحسن المعروف بالمهذب الاسواني المتوفى سنة ٥٦١ قال العماد الكاتب انه لم يكن بمصر في زمنه أشعر منه وسارت له في الناس قصيدة سموها النواحة وصف فيها حنينه الى اخيه وقد رحل الى مكة وطالت غيبته بها وخيف عليه . فالرجل اشعر اهل مصر في زمنه وحادثه النواحة تجعله في هذا المعنى اشعر من نفسه على أنه مع هذا لم يقل الا من هذا :

ياربع أين زى الأحبة يسموا هل أنجدوا من بعدنا ام أنهموا
رحلوا وفي القلب المعنى بعدهم وجد على مر الزمان مخيمهم
وتعوضت بالانس نفسي وحشة لا أوحش الله المنازل منهم

ولولا ابن الفارض والبهاء زهير وابن قلاقس الاسكندري وامثالهم وكلهم اصحاب دواوين صغيرة وليس في شعرهم الا طابع النيل اي الرقة والحلاوة ، لولا هؤلاء في المتقدمين لاجدب تاريخ الشعر في مصر . ولولا البارودي وصبري وحافظ في المتأخرين وكلهم كذلك اصحاب دواوين صغيرة لما ذكرت مصر بشعرها في العالم العربي . على ان كل هؤلاء وكل أولئك لم يستطيعوا ان يضعوا تاج الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقي وحده

والعجب ان دواوين المجيدين من شعراء المصريين لا تكون الا صغيرة كأن طبيعة النيل تأخذ في المعاني كأخذها في المادة فلا فيض ولا خصب الا في وقت بعد اوقات وفي ثلاثة اشهر من كل اثني عشر شهراً . ومن جمال الفراشة ان تكون صغيرة وحسبها عند نفسها ان اجنحتها منقطة بالذهب وأنها هي نكتة من بديع الطبيعة

على انك واجدٌ في تاريخ الادب المصري عجيبة من عجائب الدنيا لا تذكر معها الا لياذة ولا الانيادة ولا الشاهنامة ولا غيرها ولكنها عجيبة ملائمتها روح الصحراء ان كانت تلك الدواوين الصغيرة من روح النيل، وهي قصيدة نظمها ابو رجاء الاسواني المتوفى سنة ٣٣٥ هـ وكان شاعراً فقيهاً اديباً طاملاً كما قالوا، وزعموا انه اقتصر في نظمه أخبار العالم وقصص الانبياء واحداً بعد واحد . قالوا وسئل قبل موته كم بلغت قصيدتك فقال ثلاثين ومائة الف بيت.... وما أشك ان هذا الرجل وقع له تاريخ الطبري وكتب السير وقصص الاسرائيليات فنظمها متوناً متوناً.... وافنى عمره في ١٣٠ الف بيت حولها التاريخ الى خبر مهمل في ثلاثة اسطر

كل شاعر مصري هو عندي جزء من جزء ولكن شوقي جزء من كل ، والفرق بين الجزئين أن الاخير في قوته وعظمته وتمكنه واتساع شعره جزء عظيم كأنه بنفسه السكل . ولم يترك شاعر في مصر قديماً وحديثاً ما ترك شوقي وقد اجتمع له ما لم يجتمع لسواه وذلك من الادلة على انه هو المختار لبلاده فساوى الممتازين من شعراء دهره وارتفع عليهم بامور كثيرة هي رزق تاريخه من القوة المدبرة التي لا حيلة لاحد أن يأخذ منها ما لا تعطي او يزيد ما تنقص او ينقص ما تزيد . وقد حاولوا اسقاط شوقي مراراً فأراهم غباره ومضى متقدماً ورجع من رجع منهم ليغسل عينيه.... ويرى بها ان شوقي من النفس المصرية بمنزلة المجدد المكتوب لها في التاريخ بحرب ونصر وما هو بمنزلة شاعر وشعره

ولد شاعرنا سنة ١٨٦٨ في نعمة الخديوي اسماعيل باشا ونثر له الخديوي الذهب وهو رضيع في قصة ذكرها شوقي في مقدمة ديوانه القديم ثم كفله الخديوي توفيق باشا وعلمه وانفق عليه من سعة وأزل نفسه منه منزلة اب غني كما يقول شوقي في مقدمته ثم تولاه الخديوي عباس باشا وجعله شاعره وتركه يقول

شاعرُ العزيز وما بالقليل ذا اللقبُ

واذا انت فسرت لقب شاعر الامير هذا بالامير نفسه في ذلك العهد خرج لك من التفسير شاعرٌ مُرْهَفٌ مُعَانٌ باسباب كثيرة ليكون أداة سياسية في الشعب المصري تعمل لاجياء التاريخ في النفس المصرية وتبصيرها بعظمتها واقحامها في معارك زمنها وتهيتها للمدافعة ، وتصل الشعر بالسياسة الدينية التي توجهت لها الخلافة يومئذ لتضرب فكرة اوروبا في تقسيم الدولة بفكرة الجامعة الاسلامية . ولا يخرج لك شوقي من هذا التفسير على انه رجل في قدر نفسه بل في قدر أميره ذلك وكان ممتلئاً شاباً يغلي غلياناً ومُعِدّاً يومئذٍ لمطامح بعيدة ملففة حشوها الديناميت السياسي....

كنت ذات مرة أكل صديقي الكاتب العميق فرح النطون صاحب الجامعة وكان معجباً

بشوقي إعجاباً شديداً فقال لي إن شوقي الآن في أفق الملوك لا في أفق الشعراء. قلت كأنك نقيته من الملوك والشعراء معاً اذ لو خرج من هؤلاء لم يكن شيئاً ولو نفذ الى أولئك لم يعد شيئاً. انما الرجل في السياسة الملتوية التي تصله بالامير هو مرة كوزير الحربية ومرة كوزير المعارف وهذه السياسة التي ارتاض بها شوقي ولا بسها من اول عهده واتجه شعره في مذهبها من الوطنية المصرية الى النزعة الفرعونية الى الجامعة الاسلامية فكانت بهذا سبب نبوغه ومادة مجده الشعري — هي بعينها مادة نقائصه فلقد ابتلته بحب نفسه وحب الثناء عليها وتسخير الناس في ذلك بما وسعته قوته الى غيرة اشد من غيرة الحسناء تقشعر كل شعرة منها اذا جاءها الحسن بشانية . وهي غيرة وان كانت مذمومة في صلتها بالادباء الذين لدعوه بالجر . . . ونحن منهم ، غير انها ممدوحة في موضعها من طبيعته هو اذ جعلته كالجواد العتيق الكريم ينافس حتى ظله ، فعارض المتقدمين بشعره كأنهم معه ونافس المعاصرين ليجعلهم كأنهم ليسوا معه ونافس ذاته ايضاً ليجعل شوقي اشعر من شوقي . وعندى أن كل ما في هذا الرجل من المتناقضات فرجه الى آثار تلك السياسة الملتوية التي ردت بطبيعة القوة عن وجوها الصريحة فجعلت تضرب في وجوه من الحيل والاسباب مدبرة مقبلة مستهدية في كل مجاهلها بارة مغناطيسية عجيبة لا يشبهها في الطبيعة الا أنف الثعلب المتجه دائماً الى رائحة الدجاج

ومؤرخ الادب الذي يريد أن يكتب عن شوقي لا يصنع شيئاً ان هو لم يذكر ان هذا الشاعر العظيم كان هدية الخديوي توفيق والخديوي عباس لمصر كالدلتا بين فرعي النيل . وما اصابه المتنبي من سيف الدولة مما ابتعث قريحته وراش اجنحته السماوية وأضفى ريشها وانتزى بها على الغايات البعيدة في تاريخ الادب — أصاب شوقي من سمو الخديوي عباس اكثر منه فكان حقيقة ان يساوي المتنبي أو يتقدمه ولكنه لم يبلغ منزلته لان الخديوي لم يكن كسيف الدولة في معرفته بالادب العربي ورغبته فيه . وسر المتنبي كان في ثلاثة اشياء: في جهازه العصبي العجيب الذي لا يقل في رأي عما في دماغ شكسبير ، وفي ممدوحه الاديب الملك الذي ينزل من هذا الجهاز منزلة المهندس الكهربائي من آلة عظيمة يديرها بعلم ويقوم عليها بتدبير ويحوطها بعناية ، ثم في أفق عصره المتألق بنجوم الادب التي لا يمكن ان يظهر بينها الا ما هو في قدرها ولا يتميز فيها الا ما هو اكبر منها ولا يتركها كالمنطفئة الا شمس كشمس المتنبي تتفجر على الدنيا بمعجزاتها النورانية

ولقد والله كان هذا المتنبي كأنه يوزع الشرف على الملوك والرؤساء وهل أدل على ذلك من ان ابا اسحاق الصابي شيخ الكتاب في عصره يرأسه أن يمدحه بقصيدتين ويعطيه خمسة آلاف درهم فيرسل اليه المتنبي : ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ولكني ان مدحتك تنكر لك الوزير (يعني المهدي) لاني لم أمدحه فان كنت لا تبالي هذا الحال فانا أجيبك ولا

أريد منك مالاً ولا من شعري عوضاً . فأين في دهرنا من تشعره عزّة الادب مثل هذا الشعور ليأتي بالشعر من نفس مستيقنة ان الدنيا في انتظار كلماتها ؟

على ان شوقي لم يكن ينقصه باعتبار زمنه الا (الجمهور الشعري) وكل بلاء الشعر العربي أنه لا يجد هذا الجمهور ، فالشاعر بذلك منصرف الى معانٍ فردية من ممدوح عظيم او حبيب عظيم او سقوط عظيم حتى الطبيعة تظهر في الشعر العربي كأنها قطع مبتورة من الكون داخلة في الحدود لا بسة الثياب . ومن ذلك ينبغ الشاعر وليس فيه من الاجساس الا قدرته لا قدر جمهوره والا ملء حاجاته لا ملء الطبيعة فلا جرم يقع بعيداً عن المعنى الشامل المتصل بالجمهور ويسقط بشعره على صور فردية ضيقة الحدود فلا تجد في طبعه قوة الاحاطة والتبسط والشمول والتدقيق ولا تواتيه طبيعته ان يستوعب كل صورة شعرية بخصائصها فاذا هو على الخطر العارض يأخذ من عفوه ولا يحسن أن يوغل فيه واذا هو على نزوات ضعيفة من التفكير لا يطول لها بحثه ولا يتقدم فيها نظره واذا نفسه تمر على السكون مرّاً سريعاً واذا شعره مقطع قطعاً واذا آلامه وأفراحه أوصاف لا شعور وكلمات لاحقائق وظل طامس ملقى على الارض اذا قابلته بتفاصيل الجسم الحي السائر على الارض

واجتمع لشوقي في ميراث دمه ومجاري اعراقه عنصر عربي وآخر تركي وثالث يوناني ورابع شركسي وهذه كثرة انسانية لا يأتي منها شاعر الا كان خليقاً ان يكون دولة من دول الشعر . والى هذا ولد شاعرنا باختلاله العصبي في عينيه كأن هذا دليل طبيعي على ان وراءها عينين للمعاني تراجمان عيني البصر . وما لم يكن التركيب العصبي في الشاعر مهياً للنبوغ فاعلم انه وقع من تقاسيم الدنيا في غير الشعر وليس في الطبيعة ولا في الصناعة قوة تجعل حنجرة البلبل في غير البلبل . ومع كل ما تقدم فقد اعين شوقي على الشعر بفراغه له اربعاً واربعين سنة غير مشترك العمل ولا متقسم الخاطر على سعة في الرزق وبسطة في الجاه وعلو في المنزلة ، وبين يديه دواوين الشعر العربي والاوروبي والتركي والفارسي . وان تنس فلا تنس ان شاعرنا هذا خص بنشاط الحياة وهو روح الشعر لا روح للشعر بدونه فسافر ورحل وتقلب في الارض وخالط الشعوب واستعرض الطبيعة يتخللها ببصره ما بين الاندلس والاستانة وظهيره على ذلك ماله وفراغه ، وانما قوة الشعر في مساقط الجو وفي كل جو جديد روح للشاعر جديدة ، والطبيعة كالناس هي في مكان بيضاء وفي مكان سوداء وهي في موضع نائمة تحلم وفي موضع قائمة تعمل وفي بلد هي كالانثى الجميلة وفي بلد هي كالرجل المصارع ولن يجتمع لك روح الجهاز العصبي على أقواه وأشدّه الا إذا أطعمته مع صنوف الاطعمة اللذيذة المفيدة ألوان الهواء اللذيذ المفيد

وعندي انه لا أمل أن ينشأ لمصر شاعر عظيم في طبقة الفحول من شعراء العالم الا اذا أعيد تاريخ شوقي مهندياً منقحاً في رجل وهبه الله مواهبه ثم تهبة الحكومة المصرية مواهبها

والكتاب الاول الذي راض خيال شوقي وصقل طبعه وصحح نشأته الادبية هو بعينه الذي كانت منه بصيرة حافظ وذكراؤه في مقالنا عنه اي كتاب الوسيلة الادبية للمرصفي. وليس السر في هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ومختارات الشعر والكتابة فهذا كله كان في مصر قديماً ولم يغن شيئاً ولم يخرج لها شاعراً كشوقي. ولكن السر ما في الكتاب من شعر البارودي لانه معاصر والمعاصرة اقتداء ومتابعة على صواب ان كان الصواب وعلى خطأ ان كان الخطأ. وقد تصرمت القرون الكثيرة والشعراء يتناقضون ديوان المتنبي وغيره ثم لا يجيئون الا بشعر الصناعة والتكلف ولا يُخلدُ الجيلُ منهم الا لما رأى في عصره ولا يستفتح غير الباب الذي فتح له. الى ان كان البارودي وكان جاهلاً بفنون العربية وعلوم البلاغة لا يحسن منها شيئاً، وجهله هذا هو كل العلم الذي حوّل الشعر من بعد فيا لها عجيبة من الحكمة وهي دليل على ان اعمال الناس ليست الا خضوعاً لقوانين نافذة على الناس. واكب البارودي على ما أطاقه وهو الحفظ من شعر الفحول اذ لا يحتاج الحفظ الى غير القراءة ثم المعاناة والمزاولة، وكانت فيه سليقة فخرت مخرج مثلاً في شعراء الجاهلية والصادر الاول من الحفظ والرواية وجاءت بذلك الشعر الجزل الذي نقله المرصفي بالهام من الله تعالى ليخرج به للعربية حافظ وشوقي وغيرهما. فكل ما في الكتاب انه ينقل روح المعاصرة الى روح الاديب الناشئ فتبعته هذه الروح على التميز وصحة الاقتداء فاذا هو على ميّزة وبصيرة واذا هو على الطريق التي تنتهي به الى ما في قوة نفسه ما دام فيه ذكاء وطبع. وبهذا ابتداء شوقي وحافظ من موضع واحد وانتهى كلاهما الى طريقة غير طريقة الآخر والطريقتان معاً غير طريقة البارودي

تحول شوقي بهذا الشعر لا الى طريقة البارودي فانه لا يطبقها ولا تهياً في اسبابه وخاصة في اول عهده وكان لغة البارودي فيها من لقيه اي فيها البارود.... ولكن تحولنا كان عن طريقة معاصريه من امثال الليثي وابي النصر وغيرهما فترك الاحياء وانطلق وراء الموتى في دواوينهم التي كان من سعادته أن طبع الكثير منها في ذلك العهد كالمثني وابي تمام والبحري والمعري ثم اهل الرقة اصحاب الطريقة الغرامية كابن الاحنف والبهاء زهير والشاب الظريف والتلعفري والحاجري ثم مشاهير المتأخرين كابن النحاس والامير منجك والشرقاوي. وقد حاول شوقي في اول أمره أن يجمع بين هذا كله فظهر في شعره تقليده وعمله في محاولة الابتكار والإبداع وإحكام التوليد مع السهولة والرقّة وتكلف الغزل بالطبع المتدفق لا بالحلب الصحيح وأنا حين أكتب عن شاعر لا يكون اكبر هي الا البحث في طريقة ابتداعه لمعانيه

وكيف ألم وكيف لحظ وكيف كان المعنى منسبته له وهل ابداع ام قلد وهل هو شعر بالمعنى شعوراً فخالط نفسه وجاء منها ام نقله نقلاً فجاء من الكتب . وهل يتسع في الفكرة الفلسفية لمعانيه ويدقق النظرة في أسرار الاشياء ويحسن ان يستشف هذه الغيوم التي يسبح فيها المجهول الشعري ويتصل بها ويستصحب للناس من وحيها ، ام فكره استرسال وترجم في الخيال واخذ للموجود كما هو موجود في الواقع ؟ وبالجمله هل هو ذاتية تمر فيها مخلوقات معانيه لتخلق فتكون لها مع الحياة في نفسها حياة من نفسه ام هو تبعية كالسمسار بين طرفين يكون بينهما وليس منهما ولا من احدهما ؟ في هذه الطريقة من البحث تاريخ موهبة الشاعر ولا يؤديك الى هذا التاريخ الا ذلك المذهب اليه ان اطقته أما تاريخ الشاعر نفسه فما اسهله إذ هو صورة أيامه وصلته بعصره وليس في تاريخ ما كان الا نقله كما كان

واذا عرضنا شوقي بتلك الطريقة رأينا نابغة من أول أمره ففيه تلك الموهبة التي أسمىها حاسة الجو إذ يتلمح بها النواخب معاني ما وراء المنظور ويستزلون بها من كل معنى معنى غيره أنظر أبياته التي نظمها في أول شبابه وسنه يومئذ ٢٣ سنة على ما اظن وهي من شعره السائر:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الشناء
ما تراها تناست اسمي لما كثرت في غرامها الاسماء
إن رأيتي تميل عني كأن لم تك بيني وبينها أشياء
نظرة فابتسامه فسلام فكلام فوعد فلقاء

دع غلطته في قوله (تميل عني) فان صوابها تميل إذ هي جواب إن الشرطية ولكن تأمل كيف استخرج معانيه، وانا كنت دائماً وما أزال معجباً بالبيتين الثاني والرابع لا إكباراً لمعناها فهما لا شيء عندي ولكن اعجاباً بموهبة شوقي في التوليد فانه اخذ البيت الثاني من قول أبي تمام أثبت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام

فر المعنى في ذهن شوقي كما يمر الهواء في روضة وجاء نسيماً يترقرق بعد ما كان كالريح السافية بترابها لأن الزحام في بيت أبي تمام حقيق بسوق قائمة للبيع والشراء لا بقلب امرأة يحبها . بل هو يجعل قلب المرأة شيئاً غريباً كأنه ليس عضواً في جسمها بل غرفة في بيتها وقد سبق شاعرنا ابا تمام بمراحل في ابداعه وذوقه ورقته

والبيت الرابع من قول الشاب الطريف

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا ثبات في حبهم لم يبلغ الغرض
رأى حب فسام الوصل فامتنعوا فرام صبراً فأعيا نيله فقضى

وهذه « فاءات » تجر الى القبر ونعوذ بالله منها ومما كنت أعيبه على شوقي ضعفه في فنون الادب فان المويدي الكاتب الشهير انتقد في جريدته مصباح الشرق ابيات (خدعوها)

عند ظهور الشوقيات في سنة ١٨٩٩ فارتاع شوقي وتحمل عليه ليمسك عن النقد مع ان كلام المويلحي لا يسقط ذبابة من ارتفاع نصف متر ومن مصيبة الادب عندنا بل من اكبر اسرار ضعفه ان شعراءنا لا طاقة لهم بالنقد وانهم يفرون منه فراراً ويعملون على تفاديه وانهم لا يحسنون غير الشعر فلا البارودي ولا صبري ولا حافظ ولا شوقي كان يحسن واحد منهم ان يدفع عن نفسه او يكتب فصلاً في النقد الأدبي او يحقق مسألة في تاريخ الأدب ومن معاني شوقي السائرة :

لك نصيحي وما عليك جدالي آفة النصيح أن يكون جدالا
وكرره في قصيدة أخرى فقال :

آفة النصيح أن يكون جدالا وأذى النصيح أن يكون جهارا
والبيتان من شعر صباه ايضاً وهما من قول ابن الرومي :

وفي النصيح خير من نصيح مودع ولا خير فيه من نصيح مواب
فصحيح شوقي المعنى وابدل الموابة بالجدال وذلك هو الذي عجز عنه ابن الرومي . ومن ابداعه في قصيدته (صدي الحرب) يصف هزيمة اليونان

يكادون من ذعر تفر ديارهم وتنجو الرواسي لو حواهن مشعب
يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى ويقضم بعض الارض بعضاً ويقضب
وهذا خيال بديع في الغاية جعل هزيمتهم كأنها ليست من هول الترك بل من هول القيامة وهو مع ذلك مولد من قول ابي تمام في وصف كرم ممدوحه أبي دلف
تكاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق الى كل راكب
فقاس شاعرنا على ذلك واذا كادت الدار تركب الى الراكب اليها من فرحها فهي تكاد تفر
مع المهزم من ذعرها ولكن شوقي بنى فأحكم وسما على ابي تمام بالزيادة التي جاء بها في البيت الثاني ومن احسن شعره في الغزل :

حَوّت الجمال فلو ذهبت تزيدها في الوهم حسناً ما استطعت مزيدا
وهو من قول القائل :

ذات حسن لو استزادت من الحسن اليها لما أصابت مزيدا

غير ان شوقي قال لو ذهبت تزيدها في الوهم والشاعر قال لو استزادت هي فلو خلا بيت شوقي من كلمة (في الوهم) لما كان شيئاً ولكن هذه الكلمة حققت فيه المعنى الذي تقوم عليه كل فلسفة الجمال فان جمال الحبيب ليس شيئاً الا المعاني التي هي في وهم محبه فالزيادة تكون من الوهم وهو بطبيعته لا ينتهي فاذا لم تبقى فيه زيادة في الحسن فما بعد ذلك حسن . وقد بسطنا هذا المعنى في صور كثيرة في كتبنا رسائل الاحزان والسحاب الاحمر واوراق الورد فانظره فيها

ومما يتمم ذلك البيت قول شوقي في قصيدة النفس

يا دُمِيَّةً لا يستزاد جمالها زبديه حسن المحسن المتبرع

وهذا المعنى يقع من نفسي موقعاً وله من اعجابي محل فهذه الزيادة التي فيه كزيادة العمر لو أمكنت وهي في موضعها كما ينقطع الحظ ثم يتصل وكما يستحيل الأمل ثم يتفق ويسهل . وقد علمت مأخذ الشطر الأول أما الثاني فهو من قول ابن الرومي

يا حسن الوجه لقد شذتته فاضمم الى حسنك احسانا

وفي القصيدة التي رثى بها ثروت باشا وهي من احسن شعره تجد من أبياتها هذا البيت النادر

وقد يموت كثير لا تحسُّهمو كأنهم من هو ان الخطب ما وجدوا

وشوقي يعارض بهذه القصيدة ابا خالد ابن محمد المهلبى في دليته التي رثى بها المتوكل وكان المهلبى حاضراً قتله هو والبحري فرثاه كل منهما بقصيدة قالوا انها من اجود ما قيل في معناها وبيت شوقي مأخوذ من قول المهلبى

انا فقدناك حتى لا اصطبار لنا ومات قبلك أقوامٌ فما فُقدوا

اي لم يحس موتهم أحد ولكن البيت غير مستقيم لان الذي يموت فلا يفقد هو الخالد الذي كأنه لم يموت فاستخرج شوقي المعنى الصحيح وجعل العدم الذي هو آخر الوجود في الناس اول الوجود ووسطه وآخره في هؤلاء الذين هانوا على الحياة فوجدوا وماتوا كأنهم ماتوا وما وجدوا

والى ما علمت من قوة هذه الشاعرية ودقتها فيما تتأتى له ومجيتها بالمعاني النادرة مستخرجة استخراج الذهب مصقولة صقل الجوهر معدلة بالفكر موزونة بالمنطق — تجد لها تهافتاً كتهافت الضعفاء وغرّة كغرة الاحداث حتى لتحسب أن طفولة شوقي كثيراً ما تنبعث في شعره لاعبة هازلة أو كأن للرجل شخصيتين كما يقول الاطباء فهما تتعاوران شعره كالأ ونقصاً وعلواً ونزولاً أو قل هي العربية واليونانية في ناحية من نفسه والتركية والشركسية في ناحية أخرى . لتلك الابتكار والبلاغة والمنطق ، ولهذه التهويل والمبالغة والخلط ، وشوقي هو بهما جميعاً تفتنه القوية منهما فيعجب بها إعجاب القوة وتخدعه الضعيفة فيعجب بها إعجاب الرقة . كما أعجب بيته الذي قاله في الحنين إلى الوطن من قصيدته الاندلسية الشهيرة

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي

وهذا البيت مما يتمثل به الشبان وكتاب الصحافة ولم يظن أحد إلى فسادهِ وسخافته معناه فان الخلد لا يكون خلداً الا بعد فناء الفاني من الانسان وطبائعه الارضية وبعد أن لا تكون أرض ولا وطن ولا حنين ولا عصبية . فكان شوقي يقول: لو شغلت عن الوطن حين لا أرض ولا وطن ولا دول ولا أم ولا حنين الى شيء من ذلك فاني على ذلك أحن إلى الوطن الذي لا

وجوده في نفسي ولا في نفسه . . . وهذا كله لغو . . . والمعنى يعد من قول ابن الرومي
 وحبيب أوطان الرجال اليهمو ما رب قضائها الشباب هنا لكا
 اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو عهود الصبي فيها فحنسوا لذلكا
 ومنازعة النفس هي الحنين ومعنى ابن الرومي وان كان صحيحاً غير انه لا يصلح لفلسفة الوطنية في زمننا
 وان في شوقي عيبين يذهبان بكثير من حسناته احدهما المبالغات التركية الفارسية مما تنزع اليه
 تركيته ولا مبالغة في الدنيا تقاربها كقول بعض شعرائهم ان النملة بفرتمها جففت الأبحر السبعة . . .
 وهو اغراق سخيف لا يأتي بخيال عجيب كما يتوهمون بل يأتي بهذيان عجيب . واذا كان الصدق
 يأنف من الكذب فان الكذب نفسه يأنف من هذا الاغراق . ومن هذه التركية في شوقي
 إضافات وهمية هي من تلك المبالغات كذيل الحمار من الحمار ، قطعة فيه ودليل عليه وآخر لأوله
 ولا محل لها في ذوق البلاغة العربية كقوله

(عيسى الشعور) إذا مشى رد الشعوب الى الحياة

وقوله في سعد باشا في حادثة الاعتداء عليه

ولو زلت غيب (عمرو الامور) وأخلي المنابر سجنائها

ويدخل في جنایات هذه التركية على شعره تكراره الاسماء المقدسة والاعلام التاريخية كيوشع
 وعيسى وموسى وخالد وبدر وسيناء وحاتم وكعب وغيرها مما هو شائع في نظمه ولا تجده اكثر
 ما تجده إلا ثقيلًا مملولًا ولهذا اللفاظ عندنا فلسفة لا محل لها الآن فهي احياناً تكون
 السحر كله والبلاغة كلها على شرط أن يكون القلب هو الذي وضعها في موضعها وأن لا يضعها
 إلا على هيئة قلبية فيكون كأنه وضع نفسه في الشعر ليخفق خفقانه الحي في بضعة الفاظ
 وهذا ما لم يحسنه شوقي . والعيب الثاني ان الفاظ شاعرنا لا يثبت اكثرها على النقد لضعفه
 في الصناعة البيانية ثم لضعف الموهبة الفلسفية فيه وإعتباره التهويل شعراً والمبالغة بلاغة
 وان فسدت بهما البلاغة والشعر . أنظر إلى قوله من قصيدته الشهيرة ٢٨ فبراير

قالوا الحماية زالت قلت لا عجب قد كان باطلها فيكم هو العجبا

رأس الحماية مقطوع فلا عدمت كنانة الله حزمًا يقطع الذنبا

قلنا فاذا قطع (رأس الحماية) وبقيت منها بقية ما ذنب او يد او رجل فان هذه البقية في لغة
 السياسة التي تنقد اللفاظ وحروفها ونقط حروفها . . . لن تكون ذنباً ولا يداً ولا رجلاً
 بل هي (رأس الحماية) بعينه . . . على ان شوقي انما عكس قول الشاعر

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ان كنت شهماً فأتبّع رأسها الذنباً

وهذا كلام على سياق من العقل فما غناء قطع ذنب الأفعى اذا بقي رأسها وانما الأفعى

كلها هي هذا الرأس

ولقد ظهر لي من درس شوقي في ديوانه أمر عجبت له فاني رأيتُهُ يأخذ من أبي تمام والبحتري
والمعري وابن الرومي وغيرهم فرما ساواهم وربما زاد عليهم حتى اذا جاء الى المتنبي وقع في البحر
وأدركه الغرق لأنه نشأ على رهبة منه كما تشير إليه عبارته في مقدمة ديوانه الاول . وقد
وصف خيل الترك في قصيدة انقره بقوله :

والصبر فيها وفي فرسانها خلقٌ توارثوه أباً في الروع بعد أب
كما ولدت على أعرافها ولدت في ساحة الحرب لا في باحة الرحب
وشعره هذا كأنه يرتعد امام قول المتنبي :

أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها
الثابتين فروسة كجلودها في ظهرها ، والطعن في ليئاتها
فكانها نستجت قياماً تحتهم وكانهم ولدوا على صهواتها

فانظر أين صناعة من صناعة وأين شعر من شعر . وقال في (صدي الحرب) يصف مدافع الدردنيل :
قدائف تخشى مهجة الشمس كلما علت مصعيدات أنها لا تصوب
اذا هب حاميا على السفن انثنت وغائمها الناجي فكيف الخيب ؟

وهذا الاستفهام (فكيف الخيب) استفهام مضحك لأنه اذا كان الناجي غائماً فالخيب خاسر
بلا سؤال ولا فلسفة . والكلمة الشعرية في هذا كله هي قوله (وغائمها الناجي) وهي كاهاربة
تتوارى خوفاً من بيت أبي الطيب

أغبر أعداؤه اذا ساموا بالهرب استكبروا الذي فعلوا

فهذا هو الشعر لا ذاك . على اني اشهد ان في قصيدة (صدي الحرب) ابياتاً هي من
اسمى الشعر وكان شوقي رحمه الله كان ينظم هذه القصيدة من ايمانه ومن دمه ومن كل مطامع
دنياه وآخرته . يبتغي بها الشهرة الخالدة في الناس والمنزلة السامية عند الخديوي ونباهة الشأن
عند الخليفة والثواب عند الله تعالى . ولو هو في اثناء عملها اسقط نصفها او اكثر لجاءت
فريدة في الشعر العربي غير ان الحرص كان يغتره وكان طول عمره مفتوناً بشعره فجاء في هذا
الشعر بالطم والرم كما يقولون . وله كثير من الكلام الرذل الساقط بضعفه وتهافته ولو لا تلك
التركية الفارسية وضعفه البياني لما رضي ان يكون ذلك في شعره . وليت شعري كيف غاب عن
مثله ان التهويل والاغراق والاإحالة مما يهجن الشعر ويذهب بأثره في النفس ويحيله الى صناعة هي شر
من الصناعة البديعية لان هذه تكون في الالفاظ والالفاظ تحتل العبت البديعي ويخرج بها الامر
الى ان تكون ضرباً من الرياضة كعمالة بعض المسائل في الجبر والهندسة تركيباً وحلاً ، ولكن المعاني
لا تحتل ذلك اذ هي تفكير لا يلتوي الا فسد . والمعاني التي يأتي بها الشاعر يجب ان تكون فيها مزية
بخاصتها من الجمال والبيان وان تكون أخيلتها هي الحقائق التي أول مواضعها فوق حقائق البشر

ان الخيال الشعري يزيع بالحقيقة في منطق الشاعر لا ليقلبها عن وضعها ويحيي بها ممسوخة مشوهة ولكن ليعتدل بها في أفهام الناس ويجعلها تامة في تأثيرها وتلك من معجزاته اذ كانت فيه قوة فوق القوة عمداً أن تزيد الموجد وجوداً بوضوحه مرة وبغموضه أخرى ولعلماء الادب العربي كلمة ما أراهم فهموها على حقها ولا نفذوا إلى سرها. قالوا أعذب الشعر كذبه يعنون إن قوام الشعر المبالغة والخيال ولا ينفذون إلى ما وراء ذلك وما وراءه إلا الحقيقة رائعة بصدقها وجلالها. وفلسفة ذلك أن الطبيعة كلها كذب على الحواس الانسانية وإن أبصارنا وأسماعنا وحواسنا هي عمل شعري في الحقيقة اذ تنقل الشيء على غير ما هو في نفسه ليكون شيئاً في نفوسنا فيؤثر فيها أثره جالاً وقبحاً وما بينهما. وما هي خمرة الشعر مثلاً؟ هي رضاب الحبيبة. ولكن العاشق لو رأى هذا الرضاب تحت المجهر لرأى.. لرأى مستنقعا صغيراً.... ولو كان هذا المجهر اضعاف الاضعاف مما يجهر به لرأيت ذلك الرضاب يعرج عجيجاً بالهوام والحشرات التي لا تخفى بنفسها ولكن أخفاها التدبير الالهي بأن جعل رتبها في الوجود وراء النظر الانساني رحمة من الله بالناس. فأعذب الشعر ما عمل في تجميل الطبيعة كما تعمل الحواس الحية بسر الحياة، ولهذا المعنى كان الشعراء النوابغ في كل مجتمع هم كالحواس لهذا المجتمع ومن سخييف الاغراق في شعر شوقي قوله في رثاء مصطفى باشا كامل وهي ابيات يظن هو انه أوقع كلامه فيها موقعاً بديعاً من الاغراب :

فلو أن أوطاناً تصوّر هيكلاً دفنوك بين جوائح الاوطان
او كان يحمل في الجوارح ميت حملوك في الاسماع والاجفان
أو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت في القرآن

فهذه فروض فوق المستحيل بأربع درجات... وتصور انت ميتاً يحمل في الجوارح فيترم فيها ويبلى.... وما زال الشاعر في ابياته يخرج من طامة إلى طامة. حتى قال رثيت في القرآن. ولو سئلت أنا إعراب (لو) في هذه الابيات لقلت انها حرف نقص وتلفيق وعجز.... وكيف يسوغ في الفرض أن تكون للقرآن بقية لم تنزل والله تعالى يقول فيه «اليوم أكملت لكم دينكم». والامر أمر دين قد تم وكتاب مقدس ختم ونبوة انقضت والشاعر ماض في غفلته لم يتنبه لشيء ولم يدر انه يفرض فرضاً يهدم الاسلام كله بل حسب أنه جاء بخيال وبلاغة فارسية. وشوقي في الحقيقة كامل كناقص وإن من معجزات هذا الشاعر أن يكون ناقصاً هذا النقص كله ويكمل وفي الشوقيات صفحات تكاد تغرد تغريداً وفيها صفحات أخرى تنقّ نقيق الضفادع. وفي هذا الديوان عيوب لا يزيد أن تقتصها فأن ذلك يحتاج إلى كتاب برأسه اذا ذهبنا نأتي بها ونشرح العلة فيها ونخرج الشواهد عليها. ولكن من عيوبه في التكرار ان له بيتاً يدور في قصائده دوران الحمار في الساقية وهو هذا البيت:

وأنما الامم الاخلاق ما بقيت فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا
بل هذا البيت : وأنما الامم الاخلاق ما بقيت فان تولت مضوا على آثارها قدما
بل هو هذا : كذا الناس بالاخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم امرهم حين تذهب
بل هو هذا البيت : ولا المصائب اذ يرمى الرجال بها بقاتلات اذا الاخلاق لم تصب
وقد تكرر (فيما قرأته من ديوانه) ثلاث عشرة مرة فعاد المعنى كطيلسان ابن حرب
الذي جعل الشاعر يرقعه ثم يرقعه حتى ذهب الطيلسان وبقيت الرقع والبيت الاول
من العيّن النادر ولكن افسده في الباقي سوء ملكة الحرص في شوقي أو ضعف الحس البياني ،
او ابتذاله الشعر في غير موضعه ، او وهن فكرته الفلسفية من جوانب كثيرة . وهذه الاربعة
هي الابواب التي يقتحم منها النقد على شعر صاحبنا ولو هو كان قد حصنها بأضدادها لكان
شاعر العربية من الجاهلية الى اليوم وليكان عسى ان ينقل الشعر الى طور جديد في التاريخ .
ولكن الفوضى وقعت في شوقي من اول امره فارسل الى اوربا لدرس الحقوق وكان الوجه ان
يرسل لدرس الآداب والفلسفة ، وفاصر في سياسة الارض وكان الحق ان يشتغل بسياسة السماء
وتهالك في مادة الدنيا وكان الصواب ان يتهاك في معانيها

ان الفوضى ذاهبة بنا مذاهبها في الادب والشعر . فكل شاعر عندنا كمؤلف يضع رواية
ثم يمثاها وحده وعليه ان يمثاها وحده فهو يخرج على النظارة في ثياب الملك فيلتي كلاماً ملكياً ثم
ينفقل فيجيء في ثوب القائد فيلتي كلاماً حربيّاً ثم ينقلب فيعود في هيئة التاجر فيلتي كلاماً
سوقيّاً ثم يروغ فيرجع في مبادل الخادم ثم . . . ثم يتوارى في جلدة بربري . . .
وهذه الفوضى التي اهلتها الحكومة واهماها الامراء والكبراء هي حقيقة مؤلمة ولكن هي الحقيقة

وشوقي على كل هذا هو شوقي اول من احتفى بتاريخ مصر من الشعراء وأول من توسع
في نظم الرواية الشعرية فوضع منها ست روايات وهو صاحب الآيات البديعة في الوصف وهذه
الناحية هي اقوى نواحيه . ولقد اهتمني قراءة البارع من شعره في اغراضه وفنونه المختلفة
ان الله تعالى ينعم على الآداب الجميلة بأفراد ممتازين في جمال ارواحهم وقوتها تجدد الآداب لذتها
فيهم وسموها بهم ، كأن الامر قياس على ما يقع من عشق الناس لبعض المعاني فيكون في المعاني
ما يعشق بعض الناس . ومتى بلغ عشق المعنى لانسان مبلغ الاختصاص والوجد ظهر الفن ابداع
ما يرى كأن المعنى الادبي يتجمل ويتعجب ليستميل هذا الانسان الحاكم عليه حكم الحب
فيا مصر لقد مات شاعرك الذي كان يحاول ان يخرج بالجيل الحاضر الى الزمن الذي لم
يأت بعد . فاذا جاء هذا الزمن الزاخر بفنونه وآدابه العالية وذكرت مجد شعرك الماضي فليقل
اساتذتك يومئذ : كان هذا الماضي شاعراً اسمه شوقي

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للكاتب الدكتور عبد الرحمن شهبندر

بناء الدولة

العوامل النافذة في بناء الدولة : قد يستاء الباحث الاخلاقي ان يعلم ان انقذ البواعث اثرأ في تأليف الدولة باعث اناني مزدوج مؤلف من عاملين اثنين جمع الثروة وحب التسلط على الناس. ولكن ماذا يفيد الاستياء وماذا تنفع الحوقلة ومعظم الاوضاع التي يباهي بها البشر كوضع الزواج الذي شرحناه يبتدىء حقيراً ذا فجر مظلم ثم لا يلبث ان ينطبع بطابع الانسانية اللا لاء؟ ويلوح لنا ان الاستئثار والطمع والخوف والشهوة والظلم والانانية وغير ذلك من البواعث الطبيعية كل ذلك كان له الشأن الخطير في تأسيس اوضاعنا الاجتماعية مادية كانت ام معنوية وقد دل التاريخ على ان عامل جمع الثروة كالكسب الذي يكسبه الغزاة من ماشية وسائمة واماء وعبيد يؤول الى تقوية الروابط الحكومية وتأييد قوة الفاتحين ونفوذهم بالنظر الى ما تجلبه الدولة من المنافع المادية ناهيك بالحاجة التي يشعر بها سواد الناس الى النظام واجراء العدل في توزيع هذه المنافع — وهو وظيفة الحكومة طبعاً

ومن الامثال التي نضربها على ذلك ان الملك عبد العزيز بن سعود ملك نجد والحجاز اليوم كان في بداءة القرن الحاضر لاجئاً الى الكويت بسيطاً عند اميره الشيخ مبارك بن الصباح لان آل الرشيد كانوا قد احتلوا موطن آبائه واجدادهم وانتزعوا السلطة منهم وابن السعود هذا هو رجل شجاع ذو عزيمة صادقة وطموح وثاب فوطد النفس على العودة الى نجد واخراج آل الرشيد المغتصبين منه فدبر امره في ليل حتى تمكن من اغتيال عامل الرشيد في فراشه وبمساعدة كمين ابقاه خارج القصر تمكن من ترسيخ قدمه في البلاد ثم اخذ ملكه في التكامل والاتساع الى ان امتد الى البحر الاحمر غرباً وسورية والعراق شمالاً ولكن هذا الاتساع ما كان ليتم لولا المنافع التي جناها الغزاة الفاتحون من جنوده واعوانه . فمزج هذه المنافع الاساسية بدعوة روحية جذابة كالدعوة الى التنزيه ومحاربة الشرك ولا سيما الاستيلاء على اموال المشركين جزاء لهم كل ذلك ألف من همج النجديين خصوصاً ممن يدعون « غططاً » جيشاً لجباً متحمساً اكتسح هذه الاصقاع المترامية الاطراف ولم يتورع ان يطبق على الكثير

من سكانها قاعدة القتل العام — ولو على ابواب مكة — باسم التوحيد والتطهير من الشرك !
 فالقارىء يرى من هذا المثال الملموس كيف ان الباعث الاول على تأسيس هذه المملكة المترامية
 الاطراف هو باعث طبيعي يرتكز على شعور بالثأر متأصل في العرب ، فلما ذر عليه القائمون به
 فلفلاً وبهاراً من دعوة اخلاقية خيالية كمالية صلح طعمه وصار لذيذاً حتى في افواه الاتقيين
 المتأقين ناهيك بالشريين الشرسين . ولاحظت في المدد التي اقمها في الصحراء ان كل دعوة
 كائنة ما كانت متى وضعت عليها التوابل الروحانية المقبلة وكان من ورائها نفع مادي تلاقي
 رواجاً عظيماً ولا سيما عند القبائل التي تشكو القلة وتعاني المحل . ولا نخطيء اذا نحن قلنا
 ان المؤمنين بمثل هذه الدعوة عن اخلاص طاهر لا تمازجه المنافع المادية هم الاقلية . واما
 سواد الناس فهم لا يدركون الكمال عادة الا اذا كان مصداقاً طعمه بالمنافع فلا يصلون لله
 مثلاً الا اذا اعتقدوا ان تحت السجادة في الدنيا ديناراً وهاجاً وفي الآخرة قصر آحافلاً بالخورالين
 ويمكننا ان نضع القاعدة العامة الآتية عن الاقوام التي لا تزال على الطريقة الفطرية العمياء
 في نموها — يعني انها لم تدخل بعد في طور الارتقاء الغائي الذي يكون التحول الاجتماعي
 فيه غاية يدركها الناس بعقولهم — وهذه القاعدة هي ان التابل الذي يذر على الباعث المادي
 الاصلي ليجعل طعمه لذيذاً هو مقياس ارتقاء الشعب الذي يذره . بل ان هذه القاعدة تنطبق
 على اي شعب كان ما دام سواده كرة تتقاذفها صواعج الدعايات المزوقة فتتلقفها ايدي اللاعبين
 تأثير الدين في تأسيس الدولة : ومن العوامل المتجلية في تأسيس كيان الدولة العامل الديني
 منذ العصر القبلي الاول الى اليوم فقد ايد الدين الاستقرار السياسي وساعد على حفظ
 النظام بما اتاه من تعزيد الشيخ الزعيم وتثبيت الفاتح العظيم وذلك للمصلحة التي توخاها من
 مقامها الرفيع ولا يزال الملوك والقواد الى يومنا هذا حتى في ارقى البلدان الغربية مظهر عطف
 الا كايروس ومجلى تأييده . وزاد في سلطة الشيوخ والناتحين في العصر السحيقة ان الكهنة
 كانوا يجمعون الى الخوف من الآلهة والفرع من الاصنام والارواح الخوف منهم . وقد مثل
 الشيخ الزعيم والفاتح العظيم سلطة هذه المعبودات في القرون الاولى كما مثلاها في القرون الوسطى
 فلم يكن الفرق كبيراً بين فرعون الرب الاعلى وشارلمان ظل الله على الارض . وبالا انتقال من الوضع القبلي
 البسيط الى الوضع الدولي المعقد انتقل الدين من شكله المحلي الاهلي الى شكله القومي العام كما حدث
 عند الاسرائيليين اذ تغلب دين احد الاسباط على اديان الاسباط الاخرى فاكتمسحها ومن ثم صار
 الدين اليهودي القومي ، وحينئذ انتقل (يهوه) من بقعته المحدودة الى مقامه الشامل — من
 صنم سبطي محلي لا يختلف كثيراً عن الالة والعزى ومناة الى اله قدير يحكم على المشارق والمغرب
 اشراك الآخرين في الحكم : وغني عن البيان ان اتساع القبيلة على الطريقة التي ذكرناها ادت الى
 رغبة الناس في الحصول على النظام والتمتع بالحماية تحقيقاً للمصلحة العامة لكن القيام بجميع الوظائف

التي يقتضيها هذا التحول. يتعذر على أي فرد من الأفراد ولو كان من الجبابرة فلو اصرَّ (الشيخ النوري بن شعلان) في المثال المتقدم أو اصرَّ المرتزقة من اعوانه ممن يتمتعون بنواله مباشرة على أن يبقى هذا الأمر جميعاً في قبضة يده لاختل النظام وتآلب عليه الناس في الداخل والخارج. لا جرم أنه مضطر إلى إشراك غيره في الحكم من انتداب من يساعده في التشريع والقضاء والتنفيذ لأن سياسة جمهور كبير من الناس والإشراف على أعماله ومعاملة أفرادها بالعدل هي كلها أمور تدل على التعقد الذي طرأ مما لا يقوى الشيخ الزعيم على معالجته كما يعالج الوالد الشؤن العائلية فلا بد والحالة هذه من اختيار المنتدبين الصالحين للأعمال وهذا الانتداب يحدث تنوعاً مستمراً في الوظائف الحكومية وهو تنوع يدل على طريقة تأليف الدولة

ومن أكبر البليات التي أصيب بها الحسين بن علي ملك الحجاز وزعيم الثورة العربية طمعه في أن يبقى «شيخاً زعيماً في القبيلة» يتناول الأشياء كبيرها وصغيرها بقبضة يده مما كان سبباً عظيماً في انهيار ملكه، وعسى أن يتعظ الآخرون من ملوك العرب ممن يجرون على طريقته الهرمة العتيقة هذه أما بسائق الغفلة أو بتحريرض المرتزقة من حوالهم. وفي وسعنا وضع القاعدة الآتية وهي أن كل قطر متسع متشعب يبلغ به الولع بالمحافظة إلى درجة أنه يحاول البقاء مقتصرأ على سلطة «الشيخ الزعيم» أو على السنة التي استنها بمفرده من غير اعتبار للطوارئ ولا إشراك غيره معه في الأمر هو قطر رجعي يطلب العودة إلى الأوضاع القبلية الاجتماعية البائدة النظرية الفشوية في تحليل الدولة: كما تولدت الاسرة من سمي الرجل والمرأة لأن يعيشا معاً بالآلفة والتعاون ويستولدا الأولاد ويحضنهم كذلك الدولة نشأت من سمي الناس لأن يعيشوا معاً متكاتفين متآلفين تحقيقاً لغايات مشتركة يطلبونها فلم تكن الدولة والحالة هذه بداية المجتمع الإنساني ولا الغاية الاختيارية التي نشدها الإنسان بمحض اختياره وبعد نظره بل هي إحدى الوسائل المتأخرة التي توسل بها بفطرته وبطبيعته للحصول على المناء الاجتماعي وذلك بما استجد من نظام معين خضع له وهذا النظام هو النظام السياسي فالدولة إذن هي فرع من فروع تلك الشجرة الاجتماعية الباسقة التي انبتت فروعاً أخرى من أوضاع خطيرة مثل وضع الزواج والاقتصاد والدين. وكما أن هذه الأوضاع متأصلة في المجتمع ومشتبكة به اشتباك السدية بالعضمة كذلك الدولة هي ظاهرة من ظواهره الجوهرية. ولا يظن أحد أن تعيين الزمن الذي بدأت فيه الجماهير بالخضوع للإدارة السياسية والإشراف «الحكومي» العام هو أهون من تعيين الزمن الذي اتصل فيه الرجل بالمرأة لتأسيس الأسرة بل كلاهما حادث مع المجتمع وملازم له. وليست حاجة المجتمع إلى التعاون والنظام والحماية العامة دون حاجته إلى استيلاء الأولاد والأولاد لما اختلفت الجمعية البشرية كثيراً عن قطيع من الجواميس يرود المستنقعات في الهند أو سرب من القرود بحبب الغابات في إفريقيا



قبر شاعر

الى روح الشاعر فوزي المعروف

[نظمت على أثر مطالعة الشاعر لقصيدة « على بساط الريح »]

رفقت عليه مـورقات الغصون وحفـة العشب بنواريه
ذلك قبر لم يشده المنون بل شاده الشعر بآثاره
بناه من لبنات الفنون وزانه المجد بأحجاره
ألقى به الشاعر عبء الشجون وأودع القلب بأسراره

وجاورته نخلة باسقه تجثم في الوادي إلى جنبه
كانها الثاكلة الوامقه تقضي مدى العمر إلى قربه
تنس في النسمه الخافقه كأنما تخفق عن قلبه
وترسل الأغنية الشائقة هتوفه ظلت على حبه

وَيُقْبَلُ الْفَجْرُ الْوَضِيءُ الْأَهَابُ يَهْفُو عَلَى الْقَبْرِ بِأَضْوَائِهِ
كَأَنَّمَا يَذْكُرُ تَحْتَ التُّرَابِ لَوْلَا تَزْرِي بِلَا لَأْتِهِ
إِسْتَلَّ مِنْهَا الْمَوْتُ ذَاكَ الشَّهَابُ غَيْرَ شِعَاعٍ فِي الدَّجَى تَائِهِ
يَظَلُّ يَهْفُو فَوْقَ تِلْكَ الشُّعَابِ يَطُوفُ بِالْيَنْبُوعِ مِنْ مَائِهِ

وَيَذْهَبُ النُّورُ وَيَأْتِي الظَّلَامُ وَتَبْزُغُ الْأَنْجُمُ فِي نَسَقِهِ
حَيْرَى تَجُوبُ اللَّيْلَ كَالْمُسْتَهَامِ أَسْمَرُهُ الثَّأْرُ مِنْ شَوْقِهِ
تَبْحَثُ عَنْ نَجْمٍ بِتِلْكَ الرَّجَامِ هَوَى بِهِ الْمَقْدُورُ عَنْ أَفْقِهِ
أَخْ لَهَا فِي الْأَرْضِ وَدَّ الْمَقَامِ وَآثَرُ الْغَرْبِ عَلَى شَرْقِهِ

وَيُطْلِقُ الطَّيْرُ نَشِيدَ الصَّبَاحِ بِسَنَعَةٍ تَنْبِيءٍ عَنْ حُزْنِهِ
يُمَدُّ فَوْقَ الْقَبْرِ مِنْهُ الْجِنَاحُ وَيُرْسِلُ الْمُنْقَارُ فِي رُكْنِهِ
أَفْضَى إِلَى الرَّاقِدِ فِيهِ وَبَاحَ بِأَنَّهُ الْمَلْهُمُ مِنْ فَنِّهِ
فَمِنْ قَوَافِيهِ اسْتَمَدَّ النُّوْحُ وَمِنْ أَغَانِيهِ صَدَى لَحْنِهِ

وَحِينَ تَمْضِي نَسَمَاتُ الْخَرِيفِ وَتَمْلَأُ الْأَرْضَ رِياحُ الشِّتَاءِ
وَيُقْبَلُ اللَّيْلُ الرَّهِيْبُ الْخَفِيفُ فَلَا تَرَى نَجْمًا يَنْيرُ السَّمَاءَ
هَنَّاكَ لَا ظِلٌّ عَلَيْهِ وَرَيْفٌ يَهْفُو وَلَا طَيْرٌ يَشِيرُ الْغَيْنَاءَ
يَظَلِّلُ الْأَرْضَ الظَّلَامُ الْكَثِيفُ كَأَنَّهَا تُمْسِي بَوَادِي الْفَنَاءِ

يَا شَاعِرًا مَا جَمَعْتَنِي بِهِ كَوَاكِبُ اللَّيْلِ وَشَمْسُ النَّهَارِ
لَكِنَّهُ الشَّرْقُ وَفِي حُبِّهِ يَنَاقِ بِنَا الشُّوقُ وَتَدْنُو الدِّيَارُ
سَكَبْتَ مِنْ شَجْوِكَ فِي قَلْبِهِ وَمِنْ مَآقِيكَ الدَّمُوعُ الْغِزَارُ
فَوَدَّ أَنْ لَوْ نَمَتَ فِي تَرْبِهِ لِيَشْفِي النَّفْسَ بِهَذَا الْجَوَارِ

صَوَّرَ لِي الْقَبْرَ الَّذِي تَنْزِلُ تَخَيَّلُ الشَّعْرَ وَوَحْيَ الشُّعُورِ
فَجِئْتُ لِلْقَبْرِ بِمَا يَجْمَلُ مِنْ صُورِ الدُّنْيَا الْقَتُونِ الْغُرُورِ
قُلْ لِي بِحَقِّ الْمَوْتِ مَا يَفْعَلُ بِالشَّاعِرِ الْمَوْتُ وَتِلْكَ الْقُبُورِ
وَهَلْ وَرَاءَ الْمَوْتِ مَا نَجْهَلُ مِنْ ظَلَمِ الرَّجْعِيِّ وَيَوْمِ النُّشُورِ

قَدْ رَأَيْتُ مَوْتُكَ يَا شَاعِرِي فِي مَيْعَةِ الْعَمْرِ وَفَجْرِ الشَّبَابِ
وَهَزَّنِي مَا فَاضَ مِنْ خَاطِرِ كَأَنَّ يَنَابِيعَ الْبَيَانِ الْعِذَابِ
وَنَفْسَاتِ الْقَلَمِ السَّاحِرِ فِي جَوْثِكِ الْآفَقِ وَطَيِّ السَّحَابِ
وَوَقْفَةٍ بِالْكَوْكَبِ الْخَائِرِ رَأَى بِسَاطِ الرِّيحِ يَدُنْوَ فَهَابِ

لَكِنَّهُ شَعْرُكَ لَمَّا يَزَلُ يُرَدِّدُ الْكَوْنُ أَنْشِيدَهُ
شَعْرُ كَصَوْتِ الْوَحْيِ أَنَّى يَزَلُ أَرْقَصُ فِي الرُّوضِ أَمَالِيدَهُ
وَعَلِمَ الطَّيْرُ الْهَوَى وَالْغَزَلُ فَاسْمَعَ الزَّهْرُ أَغَارِيدَهُ
وَعَنَّتِ الرِّيحُ بِهِ فِي الْجَبَلِ فخرَّكَتْ مِنْهُ جَلَامِيدَهُ

يَا قَبْرُ لَمْ تُبْصِرْكَ عَيْنِي وَلَا رَأَيْتُكَ إِلَّا فِي ثَنَائِي الْخَيَالِ
مَلَأْتَ بِالرَّوْعِ فُؤَادًا خَلَا إِلَّا مِنْ الْحُبِّ وَنُورِ الْجَمَالِ
أَوْحَيْتَ لِي سِرَّ الرَّدَى فَانْجَلَى عَنْ عَيْنِي الشُّكُّ وَلَيْلُ الضَّلَالِ
غَدَاً سَتَطْوِي الْقَلْبَ أَيْدِي الْبَلَى وَيَقْنُصُ النُّجُومُ عُقَابُ اللَّيَالِ

وَهَكَذَا تَمْضِي لَيْلِي الْحَيَاةِ وَالْقَبْرُ مَا زَالَ عَلَى حَالِهِ
دُنْيَاً مِنْ الْوَهْمِ وَدَهْرُ تَرَاهُ يُغَرَّرُ الْقَلْبُ بِآمَالِهِ
يَسْخَرُ مِنْ مَبْتَسِمَاتِ الشُّفَاهِ وَجَارِفِ الدَّمْعِ وَسَيِّئِ الْهَالِ
دَهْرُ عَلَى الْعَالَمِ دَارَتْ رَحَاهُ فَلَمْ تَدْعُ رَسْمًا لِأُطْلَالِهِ

علي محمود طه المهندس

ارز لبنان ومغارة قاديشا

الامير مصطفى الشهابي

لا يسمع الانسان باسم الارز الا وترتسم في ذهنه صورة فيها جمال واتساق وروعة وعظمة ، صورة شجرة من دهاقين الشجر وسادتها وسرحة من سراحة الدوح وعيونها تفتنك بعلو ساقها الشاهق وبطول اغصانها المعترضة (الافقية) وبخضرة اوراقها الخائضة وبقيام عمارها البيضية كالشموع او كالفناديل على الاغصان فوق الورق. ولا عجب فالأرز شجر الرب المنسوب الى اكرم فصيلة نباتية وهي الفصيلة الصنوبرية لأن فيها ملوك النبات كما ان في الفصيلة النخلية امرأها ولكم تاقت النفس الى رؤية هذا الشجر المبارك في حرمة والى ولوج المغارة التي تتدفق منها مياه نهر قاديشا القدسية حتى اتاحت لي الايام فرصة انتهزتها في ١٢ آب (اغسطس) ١٩٣٢ فكتبت بعدها هذه الكلمات

الارز من اعظم اشجار الفصيلة الصنوبرية لكنه ليس انفعها ولا اكبرها قدراً. فأنواع الصنوبر اكثر انتشاراً منه واعم نفعاً وكذا الشوح والعرعر والزاب وغيرها. وقاما يزيد علو الارزة على ٤٠ متراً على حين ان الشجرة الجبارة (وهي تدعى سكوي في كليفورنيا) يبلغ قدما ١٣٠ متراً في بلادها. وهي من الفصيلة نفسها

وللأرزة الصغيرة ساق ملساء تضرب الى اللون الرمادي اما المعدة فلها ساق سمراء محزوزة اللحاء حزاً غير عميق. ويكون لكل شجرة ساق واحدة في الغالب وعليها الفروع والاغصان لكنه قد يكون للأرزة ساقان او ثلاث سيقان احياناً تعلو صُعُداً على مقربة من الارض وربما اندغم بعضها ببعض اندغاماً جزئياً او كلياً على طول الزمن. وقد شاهدنا كثيراً من اشجار الارز القديمة لكل منها جذعان او اكثر

وفروع الارز قوية غليظة تمتد امتداداً افقياً الى بعيد وتقصّر على التتابع كلما قربت من قمة الشجرة وينشأ عليها اغصان كفية عظيمة تغطيها الاوراق في جزئها الاعلى فيكون للشجرة شكل مخروطي او شبيهه بالبيضي له في العين روعة وجمال. ويكون الورق اما متفرقاً على الغصن السنوي او مجتمعاً خصبلاً على زنود اي غصينات طول كل منها سنتيمتر تقريباً. والشكل الثاني اعم. وعدد الاوراق على كل زند ٣٠-٥٠ ورقة. وهذه دائمة ابرية الشكل خضراء حائثة رأسها قاس يكاد يكون شائكاً ويبلغ طولها سنتيمتراً الى سنتيمتر ونصف في معظم الاوراق التي قسناها

والزهرة وحيدة الجنس وكلا الزهرتين الذكورية والانثوية على شجرة واحدة . والازهار في اواخر الصيف . وتسمى الزهرة هريرة في علم النبات . فالهريرة الذكورية غليظة اسطوانية مترافقة الفلوس اي العصفات وهي صغيرة لا يتجاوز طولها سنتيمترين او ثلاثة فيما شاهدناه منها وتقوم على غصينات فوق الورق . اما ثمرة الارز فهي من الثمار الصنوبرية (كوز) قست عدداً منها فبلغ متوسط طول الواحدة ٧ — ٩ سنتيمترات وقطرها ٤ — ٥ سنتيمترات . وهي تكاد تكون بيضية او اهليلجية تقوم على غصنين فوق الورق وتنضج في سنتين ولا تتفتح الا في ثلاث سنين او اربع فتنتثر البزور وتبقى الثمرة على الاغصان . وقد شاهدت ثماراً في مختلف هذه الحالات . وبزرة الارز ثخينة راتينجية ذات زوايا يعلوها جناح مستطيل . وهي تشبه بذرة التنوب لكن غلاف بذرة الارز (ويسمى الغدفة نباتياً) اكثر لمعاناً واشراقاً ويستخرج البذر من الثمرة التي لم تتفتح على الشجرة بنقعها في الماء البارد ، يوماً او يوماً ونصفاً ثم توضع في الشمس فتنفصل العصفات بعضها عن بعض فتؤخذ البزور بسهولة . والبزرة المزروعة تنتش فيخرج مع السويق ثماني وريقات فلقية ويضرب الجذير في الارض الى غور بعيد . ويكون نمو الارزة بطيئاً جداً في السنين الخمس الأولى من حياتها ثم تزداد الشجرة نشاطاً ورسوخاً مع الزمن . ولا تتحمل الارزة الصغيرة الظل ولا النقل من ارض الى ارض وكثيراً ما يتلفها النقل او يفقدها رأسها فتكف عن النمو الى فوق فيسوء مظهرها وخشب الارز الخارجي تحت اللحاء ابيض اللون اما خشب القلب فاسمر وردي او اسمر الى صفرة . وخلاياه دقيقة متجانسة مرنة . ويحتوي الخشب على فجوات راتينجية متفرقة تجعل له رائحة خاصة زكية . ووزن الخشب النوعي ٠/٨٠٦ الى ٠/٨٠٨ ويختلف الخشب من حيث جودته بحسب المكان الذي عاشت شجرة الارز فيه فاذا كانت الشجرة نامية في ارض جبلية عالية بعيدة عن الاشجار السائرة يكون خشبها جيداً وجديراً بالشهرة التي نالت خشب الارز في سالف الزمان . اما اذا عاشت الشجرة في سهل ونمت بسرعة فان خشبها يكون رخواً اسفنجياً قليل الصلابة . وقد نُقل الارز الى فرنسا منذ قرنين والى انكلترا منذ قرنين ونصف تقريباً . وهو هنالك يحتمل هبوط الحرارة الى ٢٥ درجة تحت الصفر . ويرى الشجّارون وعلماء الحراج انه من اجل الاشجار واروعها في حدائق التزيين لكنهم يرون ان في بلادهم اشجاراً كثيرة اصلح منه في الحراج من حيث استعمال خشبها وقيداً او استعماله في الصناعة وللأرز ذكر في تاريخ كل الشعوب القديمة التي سكنت بلاد الشام او غزتها . فسلیمان الملك اشغل عشرة آلاف حامل في قطع شجر الارز والشوح من حراج لبنان لبناء هيكل اورشليم . وكان البابليون والآشوريون يستعملون خشب الارز في بناء هياكلهم . واستعمله المصريون الاقدمون في صنع السفائن واثاث البيوت والجسور والتوايت . وعثر احد علماء

الآثار اثناء التفتيش عن مخلفات الاشوريين على خشب الارز الذي كان هؤلاء يستعملونه منذ ثلاثة آلاف سنة ونيف فاذا به لا يزال صلباً ومعطراً برائحة الراتينج المنعشة . وكان القدماء يعتقدون بأن الفساد لا يتطرق اليه ولذلك كانوا يصنعون منه اصناماً لآلهتهم كما كانوا يصفحون به جدران الهياكل . واتسعت تجارة خشب الارز قديماً وعمت فوائده وصار الفراعنة وملوك العجم وبابل وآشور يتطلبون الخشب من حراج لبنان جزية على الناس ومن المعروف ان لكل نبات مهداً أصلياً يعيش فيه وينتشر منه الى الأصقاع المجاورة فجبال لبنان وطن الأرز او هي من موطنه الأصلية ^(١) . ولا شك ان تربة هذه الجبال وهوائها يلائمان كل الملائمة وانه كان قديماً اهم اشجار الحراج في ذلك الاقليم . ويتضح من آثار الأقدمين ان حراج لبنان كانت عظيمة الشأن في العصور الخالية وانها كانت تغطي معظم روابيه ووهاده وان اهم اشجارها الأرز والشوح والعرعر والزاب والسنديان والمول وغيرها . وكل هذه الأنواع مبدولة فيه اليوم الا الارز فان منه بقايا في بقاع قليلة وهي بشري والحدث (حدث الجبة) واهدن وسير وعين زحلما ومعاصر الشوف والباروك حيث يسمى الأهل

أرز بشري

اعظم حراج الأرز شأنًا واقدمها سنًا حرج بشري فهو الذي يطلقون عليه اسم « ارز لبنان » تعميماً وهو الذي صوروا احدى شجراته على علم لبنان الحاضر وهو ايضاً الحرج الذي زرناه وكتبنا فيه هذه المقالة . ويقع هذا الحرج في جبل المكمل (يلفظونه بميمين مفتوحين بينهما كاف ساكنة) الواقع شرقي طرابلس بين جبل العاقورة جنوباً وجبال عكار شمالاً . وجبل المكمل هذا هو الذي فيه اعلى قمم لبنان كقمة قم الميزاب وقرنة السوداء وظهر القضيبي . ولم اصعد في الجبل فوق الأرز الا قليلاً . ولم اصل الى هذه القمم ولذلك اضطررت في معرفة علوها فوق سطح البحر الى مراجعة ما لدي من المآخذ كخريطة لبنان التي رسمتها الحملة الفرنسية سنة ١٨٦٠ - ١٨٦١ وخريطة بلاد الشام التي صنعها ديوان المساحة في جيش الشرق الفرنسي سنة ١٩٢٨ وكتاب لبنان الذي ألفه عدد من العلماء خلال الحرب الكبرى وطبع في بيروت سنة ١٣٣٤ رومية بهمة المتصرف اسماعيل حتي بك وغيرها فألفت علو ظهر القضيبي ٣٠٦٣ متراً وعلو قم الميزاب ٣٠٤٧ متراً وعلو قرنة السوداء (هكذا يلفظها الأهالي ويجب كتابتها القرنة السوداء) ٣٠٨٨ متراً وهي اعلى قمة في بلاد الشام لان قمة صنين لا يزيد علوها على ٢٦٠٨ امتار وقمة جبل الشيخ ٢٨٦٠ متراً

(١) في الجزائر صنف من ارز لبنان يسمى ارز لبنان الاطلنطي (ومن النباتين علماء يجعلونه نوعاً مستقلاً) في حراج واسعة بولاية قسنطينة خاصة . وهو موجود ايضاً في جبال الريف من اعمال مراکش ويعرف باوراق اقصر من اوراق ارز لبنان وثمار اصغر . وفي جبال حملايا وجبال التبت شمالي الهند نوع يسمى ارز حملايا ربما بلغ ارتفاعه في بلاده ٦٠ — ٧٠ متراً . اوراقه اطول من اوراق ارز لبنان وثماره اكبر

وتقع حرجة أرز بشري في وسط الدائرة المتكونة من قم جبل المكمل تلك الدائرة التي تنفتح في الجهة الغربية حيث تتدفق مياه نهر قاديشا . وتعلو الحرجة ١٩٠٠ متر ونيف عن سطح البحر وفيها ٤٠٠ أرزة تقريباً كبيرة وصغيرة^(١) . فاما كبرياتها ففيها جلال مسورق الشجر العظام . ولقد قست ساق كبراهها فبلغ محيطها نحو ١٦ متراً وعمرها أكثر من ألفي سنة ويقول بعضهم انها تبلغ ٤٠٠٠ سنة من العمر لكنه لا يمكن معرفة سنّها على وجه الضبط ولا على وجه التقريب . وشاهدت أربع أرزات مسنة محيط ساقها بين ١٢ و ١٣ متراً وعلوها نحو ٣٠ متراً وسنّها أكثر من ألف سنة في الغالب . اما باقي الاشجار فاقل ثخناً واقصر عمراً ومع هذا فهي هنالك منذ بضعة قرون إن لم تكن كلها فعظمها . ولا تخلو الحرجة من اشجار فتية ومما يسترعي النظر ان رحالة من الغربيين اسمه رولوف Ranloov ذكر في سنة ١٥٧٤ ان الاشجار الهرمة العظيمة الجذوع تبلغ ٢٦ شجرة عدداً . اما اليوم فهي لا تزيد على بضع شجرات كما ذكرت والباقي عملت به يد المحتطيين والجهال من سكان ذلك الجبل . وادرك المتصرف المعروف رستم باشا مكانة البقية الباقية من حرجة بشري فحاط معظم اشجارها بسور من حجر وصرف عنها اذى الناس ثم عيّنت حكومة لبنان لها حارساً ودليلاً يطوف بالسياح وطالبي الفائدة . وعبدت الطريق بينها وبين بشري فصار من الصعب ان يقدم احد على قطع شجرة دون ان تدري الحكومة به فتعاقبه

والتطعيم الطبيعي امر مألوف في الحراج وفي اغصان الشجر المتجاورة . وهو ان يحنك غصن بغصن بفعل الهواء وضيق المكان فينحت لحاؤها فتتماس المادتان المولدتان الواقعتان بين الخشب واللحاء فيلتصق الغصنان ويغلظا مع الزمن . وقد شاهدت في أرز بشري اشجاراً متجاورة حصل في سوقها تطعيم طبيعي واخرى حصل في قروعها . ورأيت أرزة احترق ساقها وهي لا تزال حية لأنها تستمد الغذاء من فرع شجرة مجاورة أنشبتة^(٢) الطبيعة في الشجرة المحروقة فوق ساقها . وهنالك شجرة يسمونها أرزة لامارتين وهو الشاعر الفرنسي المشهور نقش اسمه واسم ابنته جوليا على ساقها ونقش التاريخ ايضاً فكان سنة ١٨٣٢ اي منذ قرن تماماً . وعلق شباب بشري لوحة على الشجرة تذكراً لزيارة الشاعر الموما اليه للارز وهنالك ايضاً شجرة يسمونها أرزة الناسك وارزة الراهب وارزة الحبس يزعمون ان ناسكاً كان يقيم في تجويف ساقها فيأكل من المن ويشرب من ماء في داخل الشجرة . ولعل هذا الماء الذي تلمسناه يحصل من ذوب الثلج المتراكم في الساق او لعله من طر الشجرة اي نسفها وهو اقرب الى الدهن

(١) قرأت في احد كتب الاشجار القديمة ان القبطان الانكليزي المسمى اوليفر Oliver عد منها ٣٨٤ أرزة مختلفة القد في سنة ١٨٧٨ . وحاولت عدّها فلما بلغت الرقم ٢٩٠ اخطأت العد فأجهت لضيق الوقت
(٢) التطعيم والتركيب والانشاب بمعنى واحد

ولفتت نظري تربة الرابية التي فيها الارز والتربة التي تحتها فهي لا تشبه في علم الجيولوجية راسبات الحقبة الرابعة التي كوَّنها الانهار والسيول بل هي قفّ اي حجارة كبيرة وصغيرة معظمها كلسي خاص بعضها ببعض مما يدل على انه كان يوجد في الحقبة الرابعة ركام جليدي مكان الارز Glacier وراجعت للتثبت من ذلك كتاب جيولوجية لبنان للعالم اليسوعي زوموفن احد اساتذة الجامعة اليسوعية في بيروت فاذا به يرجح هذا الرأي ترجيحاً لكنه يذكر ان معظم العلماء من الرواد على هذا الرأي مثل هوكر وفراس ولارته وطومسون وغيرهم اما جبل المكمل وكل الهضاب المحيطة بوادي قاديشا فهي جيولوجياً من الاراضي الطباشيرية التابعة للحقبة الثنائية . وتكون الاراضي الطباشيرية على بضع طبقات لكل منها اسم وجميعها تتجلى في اعضاد الوادي العميق الذي حفره نهر قاديشا . وتراب هذه الطبقات كلسي الا تراباً رملياً يسمى رملة نوبيا شاهدناه بين بشري واعدن وبالقرب من حدث الجبة . وهو مبذول في انحاء لبنان . ولا بد لمثلي ممن يأنسون بالنبات وحياته ان يتعرف الى الاعشاب الجبلية في حرجة الارز وحولها وهذه الاعشاب عديدة تنتسب الى فصائل مختلفة في ابان الازهار على حين اننا في آب (اغسطس) . فما عرفته منها النباتات الآتية :

Inula viscosa	عرق الطيَّون	Berberis	بربريس
Campanula	انواع من الجُرسيس	Isatis	إيستس
Anthriscus	انترسكس	Dianthus brevifolius	القرنفل القصير الورق
Cerastium	سراستيوم	Gypsophilla	جبسوفيللا
	انواع من البنفسج بقرب اهدن الخ . . .	Arenaria cassia	زهرة الرمال الاقرعية
		Ononis	اللتين

مغارة قاديشا

هي المغارة التي تخرج منها مياه نهر قاديشا وهي في لحف جبل الارز فوق وادي قاديشا الشهير . ولفظة قاديشا هذه لفظة آرامية معناها المقدس توجد بهذا المعنى في كل اللغات السامية . ويظهر ان قداسة الوادي المذكور منبعثة من انه كان يقطن جماعة من النساك كهوفه ومغاوره . ويرى الانسان في تلك المغارة صورة جميلة لتأثير المياه الشديدة في الصخور الكلسية فمياه قاديشا تحصل خاصة من ذوبان الثلج على قمم جبل المكمل وسفوحه لا من الامطار التي تهطل عليه . والدليل على ذلك ان الماء يشح في الشتاء واوائل الربيع لا في الصيف . ولقد شق الماء طريقاً في الصخور الكلسية على بعد مئات من الامتار فتكونت مغارة قاديشا . وسالت نقاط الماء في اماكن عدة من سقف المغارة وجوانبها فأفلت منها ما تحويه من الغاز الكربونيك فرسبت مذوبات كربونات الكلس فحصل منها مجموعة بديعة من الشموع الرواسب التي يسمونها

في علم الجيولوجية استلاغيت واستلاغيت. وأُنيرت المغارة بالكهرباء فصار لهذه الشموع منظر جميل ومهيّب . ومن العجيب أن بعض الشموع الرواسب تشبه أناساً مشهورين في التاريخ فهذه فيكتوريا ملكة الانكليز وذاك السلطان عبد الحميد وذلك توت عنخ آمون بعينه وهلم جرا . وعندما يخرج الماء من المغارة ينصب في الوادي على شكل شلال رائع المنظر الى عمق ثلاثمائة متر تقريباً . لكن شركة قاديشا الوطنية للتنوير الكهربائي ضبّطت قسماً من ماء النهر واسالته في قناة حفرتها في لحف الجبل على طول ٩٥٠ متراً ثم هوّت به في انبوب عظيم الى قعر الوادي حيث بنت معملاً لتوليد الكهرباء

الخلاصة

جمال الجبال في القمم العمودية او المسننة والمياه المتدفقة والمثلج البيضاء والوديان السحيقة والحراج الملتفة . وحظ لبنان من ذلك اقل من حظ جبال اوربا الشهيرة كجبال الالب وجبال البرانس . لكن لبنان يمتاز بسمائه الصافية طول الصيف وبقربه من سائر بلاد الشرق العربي وبلغة سكانه وهي العربية ويمتاز شمالي لبنان عن جهاته السائرة بالارز ومغارة قاديشا ووادي قاديشا الذي لم ار اروع منه في كل انحاء لبنان

وفي الارز فندق حديث فيه كل وسائل الراحة . وبينون اليوم فندقاً كبيراً بقرب الارز على الرابية الواقعة فوق مغارة قاديشا في مكان مطل على الوادي وقراه . وربما تم بناؤه في السنة القادمة . وعبدت الطريق بين بشري والارز . وجرت مياه نبع شاغورة الى الارز وحواليه وأنيرت كل القرى المهمة بالكهرباء كأهدن وحصرن وبشري وغيرها . ومدّت اسلاك الكهرباء الى الارز والى طرابلس حتى مقر شركة السمنت عند رأس الشقعة . ويمكن الذهاب من طرابلس الى الارز في طريقين معبدتين الاولى طريق الحدث وحصرن وبشري والارز . والثانية طريق زغرتة واهدن وبشري والارز وتكاد تكون المسافة واحدة في الطريقين (٦٠ — ٦٣ كيلو متراً) وكلاهما جميل ينتقل فيه المرء من الساحل وموزة، فالكورة وزيتونها، فالجبل المتوسط الارتفاع وتينه وعنبه وصنوبره وأبهره وبطمه فالجبال العالية وسنديانها ودفرانها وتنوبها وأرزها

ووسائل الراحة متوفرة في كل فنادق بشري وحصرن واهدن والارز . والقرى الثلاث الاولى تعلو اكثر من ١٤٠٠ متر عن سطح البحر . اما الارز فاكثر من ١٩٠٠ متر كما ذكرت ولذلك يمكن الانسان ان يتصور مبلغ نقاء الهواء وبرودته في الصيف . فميزان الحرارة عند ما كنا هنالك في آب (اغسطس) لم يزد على ٢٥ درجة في الفرط . وكان يهبط ليلاً الى ١٤ درجة وهذه هي حرارة الربيع في دمشق وحرارة الشتاء في مصر في كثير من ايام هذين الفصلين

قاهر البعوض

سيرة السر رنلد رُس واعماله
Sir Ronald Ross

— ١ —

في اساطير البشر قصص ابطال حاربوا جبابرة مرده، واحاديث فرسان نازلوا تنانين مفترسة
فرفعهم الناس الى مستوى الآلهة . وقصص مكافحتهم لها حافلة باروع الروايات وابعدها أثراً
في نفس الانسان . وما زلنا حتى اليوم ، وقد انقضت عليها القرون ، وتبددت اشباح الجبابرة
والمرده بفعل العلم والاستنباط ، نقرأ هذه القصص صغاراً فنؤخذ بها ونجعل أبطالها الخياليين
ابناء عالمنا الحقيقي ، ونطالعها كباراً — وقد تبددت اخيلة الصغار — فتملكنا نشوة الصور
التي ابتدعها الذهن البشري وقد اخذ يتفتح عن ازاهير الفكر

على ان عصر الابطال لم ينقض . وفي قصص بعض العصريين منهم من الروعة والرواء
ما يفوق كل اساطير القدماء . وهذه قصة رجل فرد ، من ابناء عصرنا ، تغلب على عدو صغير ،
ولكنه عدو فتاك ، ولولاه لكان ذلك العدو ماضياً الآن يفتك بالوف الوف الناس كل سنة .
ذلك الرجل هو السر رنلد رُس . والعدو الذي قهره هو البعوضة الناقلة لطفيلى الملاريا
ووجه الاختلاف بين رُس ، البطل المصري ، وابطال الاساطير الاقدمين ، ان اولئك
عرفوا عدوهم وما يتصف به واين يوجد . فكانوا على بيئته مما يقدمون عليه . اما هو فكان
عليه ان يكشف اولاً في اية صورة من الصور تختفي قوة هذا العدو ، واين يستطيع لقاءها ،
واية الاسلحة تفيد في مكافحتها والتغلب عليها . فاستغرق بحثه سنين من الدأب المضني ولكنهُ
توج في اغسطس سنة ١٨٩٧ بتاج الظفر ، اذ كشف رُس طفيلى ملاريا العصفير ، وهو مرض
شديد الشبه بملاريا الناس ، في معدة انثى من صنف من البعوض يدعى انوفيليس

جرّد رُس سلاحه ضد هذا العدو الذي لا يرى . اما قصة الحرب التي شنّها ، وحديث
الايمان الذي لا يقهر ، والجهد المضني الذي لا يني ، فمن اروع القصص في تاريخ الشعب البريطاني .
كان امامه سبيل واحد وهو المضي في تشريح البعوض تحت عين المجهر الى ان يفوز بالعثور
على طفيلى الملاريا في احداها وقد شرح اكثر من الف بعوضة على ما يقال . كان هذا العمل
يقتضي قوة عشرات من الجبابرة وصبر كثيرين من امثال أيوب . فقد كان محتوماً على رُس
ان يشتغل في جو استوائي شديد الحرارة والرطوبة في كلكتة من دون ان يستعمل « مروحة
الخيش » لان هوائها ينثر قطع البعوض الدقيقة التي على مائدته . وكان محتوماً عليه كذلك
ان يقضي نحو ساعتين في تشريح كل بعوضة . وفيها في حين ان اخواتها كنّ يهاجمنه من

غير مهادنة . وكان الهنود — وهم على وشك ان يجنوا اعظم الفوائد من بحثه — ينظرون اليه شزراً ، ويظنونهُ ساحراً ، ويترددون في مدّ اصابعهم لوخزها واستخراج الدم منها بغية فحص كرياتته ، مع انه كان ينفخهم بثلاث ربّيات لقاء كل وخزة

واخيراً في ٢١ اغسطس ١٨٩٧ لمح الجندي الباسل العدو الفتاك الذي خرج لذبحه . في ذلك اليوم ، ابصر رُسُ على جدران غرفته ببعوضة من نوع لم يمتحنه قبلاً ، فقبض عليها فرحاً ، وكانت نوعاً خاصاً من جنس الانوفيليس . ثم جاءه في ذلك اليوم نفسه ، احد جامعي البعوض بنحو ١٢ بعوضة من هذا النوع . فوضع البعوضات واحدة اثر واحدة على شريحة الميكروسكوب وشرّحها ، مكروناً مكروناً (المكرون هو جزء من الف جزء من المليمتر) ولكن لم يعثر بجديد يسترعي النظر ، فاقبل على الاخيرة ، ومرارة الاخفاق في عينيه وهنا نترك الكلام لرُس يقصُّ نهاية بحثه الاخذة قال : —

كان التشريح تاماً . ففحصت الانسجة بعناية . بعدما صارت معروفة لدي . باحثاً في كل مكرون بنفس اللفتة والعناية اللتين يبحث بهما في قصر خرب عن كنز مدفون . لا شيء — كلا ان هذه البعوضات الجديدة سوف تخيبني . لا بد من خطأ في النظرية . ولكن نسيج المعدة لم يفحص بعد . رأيته ملقى هناك فارغاً رخواً ، على شريحة زجاجية وهو امتداد فسيح ابيض من الخلايا كدار كبيرة مبلطة . كل خلية يجب ان تفحص بدقة . عمل نصف ساعة على الاقل . وكنت متعباً . فقلت وما الفائدة من البحث . واظن انني كنت قد فحصت اكثر من الف بعوضة قبل ذلك ولكن ملاك القدر وضع لحسن الحظ يده على رأسي . فرأيت امامي دائرة صافية قطرها نحو ١٢ مكروناً وكانت جلية جلاء غير عادي . والخلية اصغر من ان تكون خلية حادية في معدة بعوضة . فحدقت قليلاً . ها هي خلية اخرى . تشابه الاولى كل التشبه . وكان الجو حاراً معتماً . واذكر انني فتحت حذقة الميكروسكوب لادخال قدر كاف من النور اليه ثم غيرت ضبط العدسة . في كل من هذه الخلايا رأيت مجموعة من حبيبات صغيرة سوداء كالخبر

كانت هذه الحبيبات طفيليات ملارية . وبعد يوم رآها وقد كبر حجمها . ومن ثم ، تتبع طفيلي الملاريا ، درجة درجة ، من معدة الانوفيليس ، الى ممصّه ، (وهو كالخرطوم) وبه يدخل الى مجرى الدم في الطيور اي في ما تلسعه البعوضة من الطيور

كان هذا اكتشافاً مجيداً ، وخالداً ، لانه مهد السبيل لمنع الملاريا ومعالجتها العلاج الناجع ولانه مكّن الاطباء والعلماء كذلك من مكافحة الامراض الاستوائية وغير الاستوائية بالجري على الخطة نفسها في البحث والمكافحة

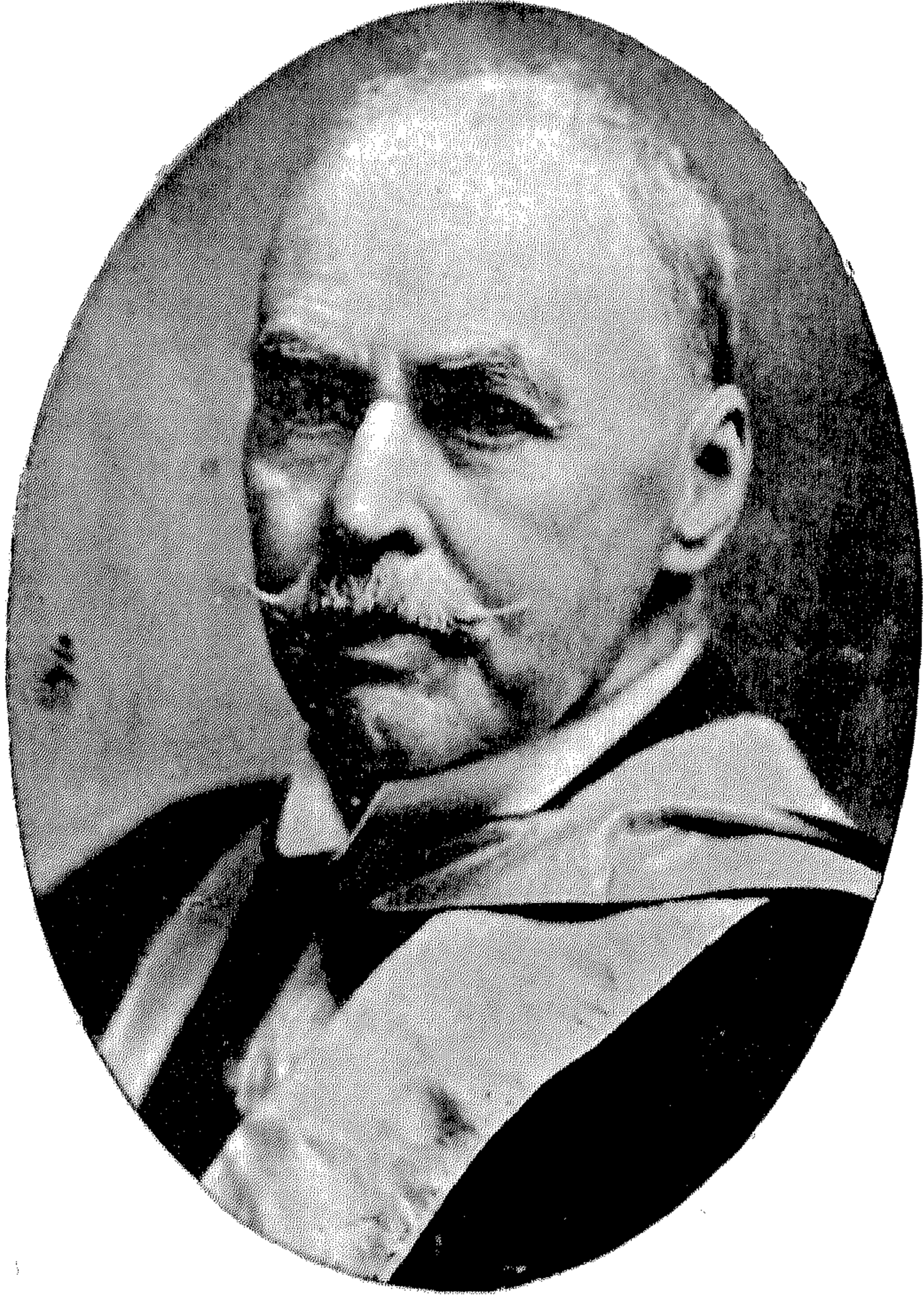
وقد وصفه شاعر العرش البريطاني جون مايسفيلد بانه اعظم عمل قام به الانسان في عصرنا

— ٢ —

ولد السر رونلد رُس في ألبورا بالولايات الهندية الشمالية الغربية عند سفح جبال حماليا سنة ١٨٥٦ وهو اكبر ابناء الجنرال السر كامبل رُس . فلما كان في الثامنة من عمره بعث به والداه الى انجلترا وعهدا به الى عم له قاطن جزيرة ويسط فتلقى مبادئ العلم في مدرسة سبرنغفيل في مدينة سوثمبتن وهي تناوح جزيرة ويط على شاطئ انكلترا الجنوبي . ويؤخذ من مذكراته انه كان في حداثة شديدة الميل الى الهندسة والرياضيات والموسيقى . وقد ظل شديد الميل اليها حتى قال مرة انه

ظن ان بحثه في انتقال الملاريا ومكافحتها ليس الا فترة في عمله الطبي الذي لم يقع من نفسه وقعا عظيما
وفي سنة ١٨٧٥ دخل مستشفى سانت برتوليو في لندن لدرس الطب فلما انقضت عليه اربع
سنوات فاز بشهادة عضو في كلية الجراحين الملكية . ولكنه لم يكن في اثناء تلقي العلوم الطبية
تلميذا ممتازا . بل كان لا يميل قط الى الدروس السريرية مما حمله على التفكير بالتحول الى درس
الفنون . ولكن البحث المجهرى كان الموضوع الوحيد ، بين الدروس الطبية ، الذي فتن لبته
على ان والده السر كامبل رُس كان جنديا ممتازا ذا مقام رفيع في جيش الهند ، كما كان
جده من قبله ، فكان الطريق ممهدا امام رُس للاندماج في سلك القسم الطبي في جيش
الهند ، والمحافظة على تقاليد اسرته ومقامها فيه . فانتظم فيه سنة ١٨٨١ ملبيا دعوة ابيه
غير مدفوع بباعث نفسي خاص . وتنقل في الهند من ميسور الى بنغالور الى مدراس الى
كوتنا الى مولين في برما الى جزيرة أندمان ، فكان يقوم بأعماله الطبية في كل منها خير قيام
ولكن لم يبد عليه في اثناء ذلك كله أي ميل خاص للبحث العلمي . فأهمل حتى ميلاه الشديد
السابق الى البحث المكرسكوبي . وقضى وقت فراغه ينظم الشعر ويدرس مسائل الرياضة العالية .
وفي هذه الفترة تبينت له علاقة وطيدة بين الموسيقى والرياضة . فجعل يكتب الرسائل
الرياضية ويبعث بها الى المجلات الخاصة بها مع ما كان يناله من رفض نشرها . ونظم رواية
شعرية عنوانها « ابن الاوقيانوس » . وقد نشرت هذه الرواية وغيرها من الفصول النثرية
التي كتبها فأننى النقّاد ثناء جمّا على ما يبدو فيها من آثار الخيال الرائعة . واشتغاله بالرياضة
والادب الموسيقى ، هوّن عليه البقاء في الهند قبل الرجوع الى انكلترا في اجازته الاولى
وكان مجال العمل في ناحية الصحة العامة في الجيش الهندي متسعا للعامل النشيط ، فلما اقترب
موعد اجازته الاولى عزم على البقاء في الجيش وان يقضى اجازته في انكلترا في درس موضوع
الصحة العامة والحصول على شهادته (D. P. H.) التي كانت قد انشئت حديثا في مدارس انكلترا
وفي سنة ١٨٩٠ عاد رُس الى الهند وقد تمكن من اصول علم البكتيريا فشغل منصب جراح
مستشفى بنغالور . ومع ان عنايته بالموضوعات الادبية والرياضية لم تني أ كبت بعد عودته
على مطالعة المؤلفات الطبية ، فأدرك اثر علم البكتيريا ومقامه في مكافحة الامراض الاستوائية .
فلما انقضت مدة عمله في بنغالور سنة ١٨٩٤ عاد الى انكلترا وعرض على الاستاذ كانشاك آراءه في اصل
الملاريا فقدمه هذا الاستاذ الى باترك مانسن Manson وهو امام الطب الاستوائي في ذلك العهد
كان مانسن يعرف كل ما يعرف عن طفيليات الملاريا^(١) في ذلك العهد ، وكان ذكاؤه قد

(١) رأى لافران الفرنسي سنة ١٨٨٠ ، وهو في الجزائر حينئذ اجسامنا خيطية على جوانب خلايا الدم
الحمراء في مريض مصاب بالملاريا ، وكانت تشبه الذنبيات وتتحرك داخل الخلايا وتحل محل المادة الملونة فيها .
فقام في نفسه ان هذه الاجسام من النوع الطفيلي وانها هي سبب الملاريا ، وبعث باكتشافه هذا الى الاكاديمية
العلمية والاكاديمية الطبية في باريس سنة ١٨٨٠ و ١٨٨٢ كتابا في ذلك رسالة موضوعها الملاريا مرض طفيلي
ووصف الاجسام التي وجدها في دم المصابين بها .



السِرُّ رُونَالْد رُوسْ
Sir Ronald Ross

امام صفحة ٤١٣

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢

هداه الى القول بأن للبعوض شأنًا في نقل الداء من انسان الى آخر . ولكن قوله هذا لم يكن حجة من دون سند علمي . ذلك ان مانسن كان قد بحث في الصين في مرض يسببه طفيلي يدعى «فيلارية بانكرافت» وهناك كشف عن ظاهرتين غريبتين في حياة هذا الطفيلي — وهما ظهوره في دم الانسان في الليل دون النهار وفقدانه غمده اذا اخذت قطرة من الدم وبردت فكأنها تستعد لحياة اخرى . فسأل نفسه ما معنى كل هذا وهل له علاقة بأدوار حياة الطفيلي . وكان قد تحقق ان هذا المرض لا يمتد باللمس والمخالطة ، وان لا بدالة من اسلوب دقيق يمكن الطفيلي من الخروج من جسم الانسان . فحكم من هذه المقدمات على ان البعوض هو هذه الوسيلة في الغالب . فاذا مصّ البعوضة دم الانسان ، امتص الطفيليات كذلك ، فتعيش في البعوضة مدى حياتها ، ثم اذا ماتت البعوضة اتصلت الطفيليات بالماء ثم تنتقل الى جسم الانسان . كذلك قال مانسن واتبع قوله بالا كباب على درس الملاريا في لندن فشهد بعض ظواهر في طفيلي الملاريا حسبها ادواراً في حياته افضى مانسن الى رُس بكل هذا ، وكان قد اصبح رُس بكتيريولوجيًا بارعاً ، فاسترعى البحث كل عناينه ، وبوجه خاص لما ادرك ما ينطوي عليه كشفه لناقل طفيلي الملاريا من امكان مكافحة هذا الداء الويل . فقضى نحو سنتين يبحث على غير طائل . فشرح أكثر من الف بعوضة ، باحثاً في كل نسيج من أنسجتها عن الطفيلي المنشود . ولم يكن يعلم حينئذ ولا كان مانسن يعلم ، ان أنواعاً خاصة من جنس بعوض الأنوفيليس تحمل هذه الطفيليات دون غيرها . ولكنه عثر أخيراً على نوع جديد من بعوض الأنوفيليس ، قرباه وغذاه بدم مصاب بالملاريا وبعد انقضاء ايام على ذلك شرح نسيج المعدة فوجد فيه طفيلي الملاريا — وهو جسم دقيق ولكن عين الباحث البصيرة تبينت فيه الطفيلي الذي تبحث عنه ، لأنه كان يحتوي على حبيبات من المادة الماونة التي تمتاز بها خلايا الدم الأحمر . فتخطى بذلك عقبتين في آن واحد ، فكانه اصاب عصفورين بحجر ، ذلك انه عرف في اي نسيج من انسجة جسم البعوض يعيش الطفيلي ، وثانياً عرف نوع البعوض الخاص الذي ينقله بين مئات الانواع والاجناس من البعوض والظاهر انه يندر بين رجال الحكم في كل البلدان من يستطيع ان يقيم للبحث العلمي قيمة صحيحة ، فعيّن رُس ، وهو في مستهل النصر الكامل في مقاطعة خالية من الملاريا . ولكن مانسن انتصر له ، فنقل الى منصب لا يشغله فيه الا البحث العلمي . فتمكن في سنة ١٨٩٨ من نقل الملاريا من عصفور الى عصفور ولم يلبث ان تتبع تتبعاً علمياً دقيقاً ادوار حياة الطفيلي من ممصّ البعوض الى دم العصفور الى معدة البعوض فالى الممص من جديد . ثم جرى علماء ايطاليا على طريقته فأثبتوا في جسم الانسان ما كان قد اثبتته في اجسام العصافير . فلما عرض مانسن النتائج التي اسفرت عنها مباحث رُس على القسم الخاص بالامراض الاستوائية في مؤتمر الجمعية البريطانية الطبية في ادنبره سنة ١٨٩٨ احدث أثراً عظيماً في نفوس الاعضاء فوقفوا مهالين

— ٣ —

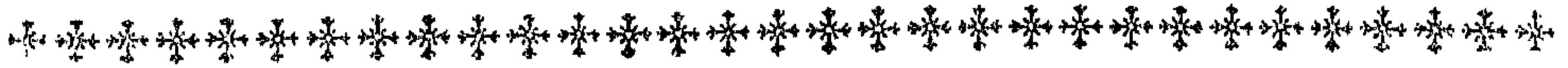
ولكن الانسان لا يخاف من ضده او شائى او حاسده ولو كان في رأس الجبل . ففي السنوات الاخيرة من القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن دار نزاع عنيف على السابق في اكتشاف ناقل الملاريا وتتبع ادوار حياته . وعقد النصر مؤقتاً حينئذٍ ، لأطباء ايطاليا ، الذين ادعوا انهم سبقوا رس . ولكن الانصاف حمل كوخ ولاقران ولستر ومتشكوف واسر سنة ١٩٠١ على اعادة التاج الى رأس مستحقه . ولما التأم مجمع تقدم العلوم البريطاني اقترح اللورد لستر توجيه الشكر الى رأس باسم المجمع فقال في اقتراحه « ان اكتشاف بعوض الملاريا وتتبع ادوار طفيليه يعود الفخر فيهما الى رس وحده وما امتاز به من براعة وحماسة ومثابرة » وفي سنة ١٩٠٢ وهب جائزة نوبل الطبية وكانت قيمتها حينئذٍ ٧٤٠٠ جنيه وكان رأس مثلاً في الاعتراف لكل عامل بنصيبه . فكتب سنة ١٨٩٨ ما يأتي : « هذه المشاهدات تثبت نظرية انتقال الملاريا بالبعوض التي ابدعها الدكتور مانسن . ولا بد لي في الختام من الاشارة الى مدى استفادتي بارشاده ومعاونته . فان نظريته الالمعية عينت لي الطريق فما كان علي الا السير فيه » بعد رجوعه من الهند سنة ١٨٩٩ عين مدرساً في مدرسة الطب الاستوائى بجامعة لقربول فظل فيها ثلاث سنوات وراتبه السنوي لا يزيد على ٢٥٠ جنيهاً في السنة ا ثم فتح عيادة للاستشارة الطبية في لندن . ولكن زيارته المتعاقبة الى سيراليون وجزائر مورشيوس وجزيرة قبرص والقطر المصري — جاء الاسماعيلية بدعوة من شركة قنال السويس لدرس الملاريا فيها — حالت دون نجاحه كطبيب مستشار نجاحاً مالياً . فمنح رتبة سر سنة ١٩١١ وجعل اصدقائه يفكرون في تشييد معهد للبحث الطبي الاستوائى يجعل هو مديره . ولكن نشوب الحرب حال دون ذلك فعين عند نشوبها طبيباً مستشاراً في الامراض الاستوائية المرتبطة بالجيوش الهندية في اوربا . ثم ارسل الى الاسكندرية للبحث في الدوسنطاريا الاستوائية التي فشت في الدردنيل سنة ١٩١٧ ورقى الى رتبة كولونل سنة ١٩١٨ فلما وضعت الحرب اوزارها عاد الى ميدان العمل الحر واكب من جديد على مباحثه وكتاباته الادبية والرياضية ولكن اصدقائه لم يهتموا انشاء المعهد الخاص به فجمعوا له المال وبنوه على اكمة بتني خارج لندن وافتتحه البرنس أف ويلز سنة ١٩٢٦ وفي السنة التالية رحل رأس الى بلدان الشرق فزار ملابار واساموبرما ومدينة كلكتة حيث حضر حفلة ازاحة الستار عن نصب بني فيها تخليداً لاكتشافه العظيم . وفي سنة ١٩٢٩ بدأ اصدقائه يجمعون له مبلغاً من المال قدره ١٥ الف جنيه ، على اثر عرضه اوراقه العلمية للبيع لما اشرف على الافلاس ، فابتاعت اللايدي هوستن هذه الاوراق بالنفي جنيه واهدتها الى معهد رأس . وكانت وفاته في ١٦ سبتمبر الماضي في معهد رأس بعد مرض طويل



الحياة الاجتماعية في الحيرة

مقال مستل من كتاب « الحيرة : المدينة والمملكة العربية »

تأليف يوسف رزق الله غنيمه
وزير مالية العراق سابقاً



—٢—

كان لحانات الحيرة شهرتها الطائفة يقصدها اهل القصف واليهو من سكان المدن والبدو ولا بأس ان ننقل هنا بعض حوادثها للتفكير والفائدة

قال المغيرة بن شعبه : كنت في ركبة من قومي في طريق لنا الى الحيرة فقالوا لي قد اشتهينا الخمر وما معنا الا درهم زائف فقلت هاتوه وهلموا بزقين فقالوا واما يكفيك درهم زائف زق واحد قلت اعطوني ما طلبت وخلاكم ذم ففعلوا وهم يزؤون من قولي فصببت في احد الزقين شيئاً من ماء ثم جئت الى خمار فقلت له كل لي ملء هذا الزق فلاه فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته اياه فقال ان ثمن هذا الزق عشرون درهماً جيداً وهذا درهم زائف فقلت انا رجل بدوي وظننت ان هذا يصلح كما ترى فان صلح والا فخذ شرابك فاكتال مني ما كاله وبقي في زقي من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء فافرغته في الزق الآخر وحملتهما على ظهري وخرجت فصببت في الزق الاول ماءً ودخلت الى خمار آخر فقات اني اريد ملء هذا الزق خمرأ فانظر الى ما معي منه فان كان عندك مثله فاعطني فنظر اليه وانما اردت ان لا يستريب بي اذا رددت الخمر عليه فلما رآه قال عندي اجود منه فقات هات فأخرج الى شراباً فاكتلته في الزق الذي فيه الماء ثم دفعت اليه الدرهم الزائف فقال لي مثل قول صاحبه فقلت خذ خمر ك فاخذ ما كالي وهو يرى اني خلطته بالشراب الذي اريته اياه وخرجت فجعلته مع الخمر الاول ثم لم ازل افعل ذلك بكل خمار في الحيرة حتى ملأت زقي الاول وبعض الآخر ثم رجعت الى اصحابي فوضعت الزقين بين ايديهم ورددت درهمهم فقالوا ويحك اي شيء صنعت فحدثهم فجعلوا يعجبون^(١)

ومن الشعراء الذين ذكروا خمر الحيرة والسكر فيها عبدالله بن ايوب التيمي احد الخلاء الوصافين في الدولة العباسية قال^(٢)

هل الى سكر بناحية الحيرة شنعاء يا قبيص سبيل
وابو التيجان في كفة القرعة والرأس فوقه اكليل

وعرار كأنه يذوق الشطرنج يفتن فيه قال وقيل
ومن نوادر الحمارين في الحيرة بعد الفتح ان الأقيشر شرب يوماً في بيت خمار في الحيرة
جاء شرطي من شرط الأمير ليدخل عليه فغلق الباب دونه فناداه الشرطي اسقني نبيناً وانت
آمن فقال والله ما آمنك ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وأنا اسقيك منه ثم وضع
له انبوباً من قصب في الثقب وصب فيه نبيناً من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب
حتى سكر فقال الأقيشر :

سأل الشرطي ان نسقيه فسقيناه بانبوب القصب
أما نشرب من اموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب (١)

ولع الحيريون بالصيد والقنص وخرج اليه ملوكهم وامراؤهم واشرافهم وشبابهم. وتروى
الاخبار والاشعار الكثيرة في وصفه وحوادثه فاقصرنا على الالامع اليه في هذا المقام للايجاز
ولا بد لنا هنا من كلمة عن القيافة التي اشتهر العرب بها وهي معرفة الانسان والحيوان
من آثاره في الرمل او التراب (٢) وقد مارسها الحيريون وها نحن نورد حكايتين عنها اولها ان
امراً مرثد بن سعد بن مالك شغفت بابن اخيه عمرو بن قنينة الشاعر المشهور وراودته يوماً
عن نفسه في غياب عمه فامتنع وارادت الايقاع به عند عمه فكفأت جفنة على اثر بن قنينة .
ولما رجع عمه اخبرته ان رجلاً من قومه قريب القرابة جاء يستأجرها نفسها ولما سأها عنه اجابته :
أما انا فلا اسميه ولكن قم فاقتد أثره تحت الجفنة فلما رأى الأثر عرفه (٣)

والحكاية الثانية : ان المرقش الأصغر كان يهوى فاطمة بنت الملك المنذر صاحب الحيرة
وكان لفاطمة قصر يحرسه الحرس وينثرون التراب حول قبتها ويمجرون عليه ثوباً حين تمشي
ولا يؤذن لاحد بالدخول عايتها الأجارية لها تعرف ببنت عجلان . فحمت الجارية ليلة ما المرقش
على ظهرها واخذته الى سيدتها فلما أصبح الصباح بعث الملك بالقيافة فنظروا وعادوا اليه فقالوا
نظرنا اثر بنت عجلان وهي مثقلة . (٤) . والظاهر ان هذه الحكاية موضوعة ملفقة ولكن تدل
دلالة أكيدة على القيافة والعمل بها في الحيرة

اعتقد اهل الحيرة بالخرافات والرواقي شأن الامم القديمة ولا تزال بقايا تلك العقائد عند
اعرق الشعوب في المدنية الآن مما ورثوه من السلف وفي ذلك يقول عدي بن زيد (٥)

او تكن وجهة فتلك سبيل الناس لا تمنع الختوف الرواقي

وقد تغلغل هذه العقائد في الطب عندهم ومنها انهم كانوا يعتقدون ان دماء الملوك تشفي
من الخبل (٦) والكلب (٧) والمجبة (٨) وقال المتلمس

(١) كذلك ١٠ : ٨٦ (٢) زيدان آداب اللغة العربية ١ : ١٨٩ (٣) الاغانى ١٦ : ١٥٨
(٤) كذلك ٥ : ١٨٤ (٥) شعراء النصرانية ٤٥٤ (٦) الاغانى ١٤ : ٧٢ (٧) الميداني مجمع
الامثال ١ : ١٥٨ في مثل « خطب يسير في خطب كبير » (٨) الاغانى ١٤ : ٧٢

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المحبة والخليل

وقال المثقب العبدى (١) :

يا جريّ الدمّ مرّ طعمه يبرؤ الكلب اذا غصّ وهرّ

وعلى ذكر الطب نسرد على سبيل المثال بعض ما كانوا يطبّبون به . يعالجون بالكي من كان يطعن من الغمّ أو يصعق بخبر أو حادث يفزعهُ (٢) ولا يزال أهل العراق يأخذون بهذه الوصفة حتى اليوم . وقد كان قسوس النصارى يتعاطون الطب في الحيرة قال أبو الفرج الأصفهاني بينما المتوكل الليثي بالحيرة رمد رمداً شديداً فرّ به قس منهم فقال مالك ؟ قال رمدتُ — قال أنا أعالجك قال فافعل فدرّه (٣) واستعمل أطباؤهم السعوط والدود قال شاعرهم عدي بن زيد (٤) :

والأطباء بعدهم لحقوهم ضلّ عنهم سعوطهم والدود

وعالجوا الجرب في الأبل بالطلاء بالقار ولا تزال هذه الوصفة عند عرب البادية حتى اليوم قال النابغة الذبياني مخاطباً النعمان في قصيدة (٥)

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطليّ به القار أجرب

ويجمل بنا أن نذكر هنا أن البيطرة كانت مسروفة في الحيرة لمداواة الحيوانات قال الذبياني (٦)

شكّ الفريضة بالمدرى فأنفذها طعن المبيطر إذ يشني من العضد

وكانوا يداوون العُرى وهي قروح تخرج في عنق الفصيل بكى بعير آخر صحيح فيبرأ العليل بل قيل أنهم كانوا يكوون الصحيح للمناعة لئلا يتعلق به المرض وليس ليفيق العليل وفي ذلك يقول الذبياني (٧)

لكلفتنى ذنب امرئ وتركتهُ كذي العُرى يكوى غيره وهوراتع

ومن عاداتهم أنهم كانوا يجعلون الحلي والخلاخل في يد من تلدغه الأفعى ويسمون المدوغ السليم تماؤلاً . ويحركون تلك الحلي لئلا ينم فيدبّ السم فيه وقال بعض الأعراب إذا لدغ الرجل علقنا فيه الحلي سبعة أيام لتنفعه الحمة وإشارة إلى هذه العادة انشد النابغة الذبياني

يُسَهَّدُ من ليل التمام سليمها حلبي النساء في يديه قعاقع (٨)

ومن عادة أشرف الخيرين أنهم يرسلون أطفالهم للرضاعة والتربية إلى بيوت معارفهم أو من يعتمدون عليه من أخصائهم . وكانت هذه عادة العرب في غير الحيرة أيضاً ولا تزال قائمة

(١) شعراء النصرانية ٤٠٤ (٢) الميداني مجمع الامثال ١ : ١٥٨ في مثل « قد يضطر العير والمكواة في النار » (٣) ٤٠ : ١١ (٤) شعراء النصرانية ٤٧١ (٥) كذلك ٦٥٦ (٦) كذلك ٦٦١ (٧) كذلك ٦٩٣ (٨) كذلك ٦٩٠

حتى اليوم عند بعضهم . ولما ملك المنذر جعل ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد^(١) ووضع المنذر بن ماء السماء ابنه له اسمه مالك عند زرار^(٢) وترك الاسود بن المنذر ابنه شرحبيل عند سنان بن ابي حارثة المري لترضعه زوجته^(٣)

لنقف قليلاً عند اولاد الحيريين ونرى العابهم وملاهيهم . نراهم يلعبون بالدوامة وهو «المصراع» بلسان العراقيين اليوم تصحيف «المرصاع» الفصحى قال المتلمس^(٤) وتظل في دوامة م المولود يظلمها تحرق^(٥)

ومثلها لعبة الخذروف المنتشر يومئذ عند العرب وفيها يقول امرؤ القيس في معلقته
درير نخذروف الوليد امرء تتابع كفيه بخيط موصل

والخذروف لعبة مستديرة يديرها الصبيان بخيط ادخل في ثقبه وقتل . ولعبوا بالكعاب على ما نراه حتى اليوم عند اولاد العراقيين وغيرهم فقد جاء ان المرقش كان يهوى ابنة عمه اسماء فذهب الى أحد الملوك وفي غيابه زوجها عمه من رجل آخر فخبره اخوته عند عودته انها ماتت ودفنوا عظام كبش في قبر وهموه انه قبرها فأخذ يزوره فبينما هو مضطجع ذات يوم وابنا اخيه يلعبان بكعبين لهما اذ اختصما في كعب فقال أحدهما هذا كعبى اعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا اذا جاء مرقش اخبرناه انه قبر اسماء . فاطلع المرقش على الخبر من قول الولد^(٦) . . .

وفي الحيرة العاب لعبها غير الاولاد منهم . نذكر الطَّبْن وقيل هي السُّدر قال المتلمس من قصيدة يهجو الملك عمرو بن هند^(٧)

أعني الخوؤلة والعموم فهم كالطَّبْن ليس لبيته حَوْل

ومن العابهم الجعررى وهي لعبة للصبيان وهو أن يحمل الصبي بين اثنين على أيديهما ولا تزال هذه اللعبة حية بين اولاد العراقيين ويسمونها في بغداد «صندوق عال» والبوصاء وهي لعبة لهم يأخذون عوداً في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم . وهذه موجودة في العراق ولكن اسمها غير معروف اليوم . و «الخُطَّة» يخط الصبيان دائرة ويقف فيه صبي ويحيطون به ليأخذونه . وهي باقية في بلاد الرافدين بهذا الاسم والوصف وربما سميت في اللغة الفصحى الحاجورة ايضاً . والزحافة تزج الصبيان من فوق التل إلى أسفله . واللعبة مشهورة في العراق ويسمونها بعضهم الزحلوقة . أما الخوالس فلعبة لهم بالخصى وأنشد الشاعر :

(١) شعراء النصرانية ٤١٦ (٢) الاغانى ١٩ : ١٢٨ (٣) ابن الاثير ١ : ٢٣٣ (٤) شعراء النصرانية ٣٤٦ (٥) الدوامة لعبة صبيان العرب يرمون بها على الأرض بالخيوط فتدوم اي تدور . يقول شاعرنا بهذا البيت لعمرو بن هند ملك الحيرة : لك هذه الدنيا وهذه القصور وانت اذا أخذ من ابنك دوامة تحرق اي تلهب غضباً (٦) الاغانى ٥ : ١٨٠ (٧) شعراء النصرانية ٣٣٩ والمشرق

فأسألهني حامي فبت كأنني أخو خرق يُذْهِبُهُ ضَرْبُ الْحَوَالِسِ
قلنا هذه اللعبة تسمى في الموصل « الحالوسة » وفي بغداد والشام « المنقلة » يلعب فيها اثنان
يأخذ كل منهما ٤٩ حصاة أو ودعة أو خرزة ويوزعها كلٌّ منهما على سبع حفرٍ محفورة في
خشبة متقابلة ويأخذ كل في دوره محتويات إحدى الحفر من الحصى ويلقي حصاة في كل
حفرة من الأربع عشرة حفرة وهكذا يسير في توزيعه فإذا انتهى إلى حفرة فارغة وألقى فيها
حصاةً . يبدأ الآخر بتوزيع الحصى وإذا انتهى إلى حفرة صار فيها حصاتان أو أربعة حصى
رج هذه الحصى وما في الحفرة المتقابلة

ومن ألعاب الحيريين المخراق وهو منديل أو نحوه يُلَوَّى فيضرب به أو يُلْفُ فيفزع
به وأنشد أبو علي :

أرقت له ذات العشاء كأنه مخارقٌ يُدعى وسطه خريج
قلنا ولا تزال هذه اللعبة معروفة في بغداد يسميها صبيانهم باسم تركي « قره قامجي »
معناه السوط الاسود

ومن ألعابهم المِقلَّة والقُلَّة عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذي يضرب به هو
المِقلَّة والقُلَّة خفيفة الخشبة الصغيرة التي تنصب ويقال لها أيضاً المقلَّة والقال وأنشد الشاعر
كأن نزو فراخ الهام بينهم نزو القلات زهاها قال قالينا
وهذه اللعبة تعرف في العراق حتى اليوم ويسميها الصبيان والبغداديون « الشنطرة
والبلبل » عوضاً عن المقلَّة والقُلَّة^(١)

كما أنهم لعبوا بالنرد والشطرنج اللعبتين اللتين أخذهما العرب من العجم^(٢) وتعلموا لعبة
الصولجان من العجم أيضاً^(٣)

وكان من عادة الحيريين إذا أراد الرجل منهم أمراً نذر أنه لا يشرب الخمر ولا يغسل أو لا
يأكل اللحم أو لا يعمل ذلك كله حتى يتم له الأمر^(٤)

ولهم عادات في الموت والمناحة . فكانوا يكفنون موتاهم ويحنطونهم وتقوم نادية تنادهم^(٥)
وقال عدي بن زيد في النائحة :^(٦) سأ كسب مجداً أو تقوم نوائح

وكانت المرأة عندهم إذا ناحت قائمة على زوجها علم أنها لا تريد أن تزوج بعده وهكذا
فعلت عائشة بنت طلحة على زوجها الأخير عمر بن عبيد الله بن معمر^(٧)

ولا تثريب علينا ان مررنا بكم بطرق الحيرة وطفنا مجتمعاتها وسمعنا صور حيلف القوم

(١) راجع التخصص لابن سيدة ١٣ : ١٦ — ١٩ والساق على الساق لفارس الشدياق ٨٧ للتوسع
(٢) الاغاني ٨ : ٩٥ (٣) شعراء النصرانية ٤٤١ (٤) الاغاني ١٠ : ٨٦ (٥) كذلك ١٩ : ٨٨
(٦) شعراء النصرانية ٦٧ : ٤ (٧) الاغاني ٢ : ١٣٣

بمقدساتهم ومعتقداتهم واقسامهم الدالة على نفسياتهم واديانهم فيها اننا نسمع ملكهم المنذر يقسم لزيد بن عدي « حق سبد » وسبد صنم اهل الحيرة ^(١) وها اننا نسمع عبد المسيح المتلمس يحلف باللات والانساب وهو يهجو عمرو بن المنذر فيقول ^(٢)

أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانساب لا تسئل

ونسمع المنذر يقسم ايضاً باللات والعزى ويقول بعد هلاك عدي بن زيد لما اراد اهل الحيرة اخذ الف ناقة كانوا قد اعطوه اياها يوم ولوه عليهم « لا واللات والعزى » لا يؤخذ مما كان في يد زيد تفروق ^(٣) وقد جمع شاعر الحيرة عدي بن زيد في قسمه بين مكة والصليب في قصيدة نظمها في سجنه يوم القاء فيه النعمان : ^(٤)

سعى الاعداء لا يألون شرّاً عليك ورب مكة والصليب

وحلف عمرو بن عبد الجن بالعزى والنسر وما يضحى عليهما من الضحايا وبقربان المسيح على الهيكل فقال : ^(٥)

اما ودماء مائرات تخالها على قلة العزى او النسر عندما

وما قدس الرهبان في كل هيكل أبيل الابلين المسيح بن مريم

وجاء في حلف الاخطل القسم بمكة ومناسك الحج ^(٦)

اني حلفت رب الرافصات وما أضحي بمكة من حجب وأستار

وبالهدايا التي احررت مزارعها في يوم نسك وتشريف وتنحار

وما بززم من سمط محلقة وما يثرب من عور وأبكار

واقسم الاعشى ذا كراً يوم ذي قار قائلاً ^(٧)

حلفت بالملح والرماد وباللعزى وباللات تسلم الحلقة

ومما يسترعي الانتباه في هذه الاقسام ان بعض هؤلاء الشعراء حلفوا بالاصنام والاولثان ومكة في الجاهلية اخذاً بعاداتهم القومية ليس الا كما يقال باللاتينية حتى في عهدنا بحق هر كل « Mehercle » او بالاطالية بحق بنخوس « Per Bacco » . ^(٨)

واقسمت هند بنت النعمان « بالصليب » لما رفضت المغيرة بن شعبه اذ جاءها خاطباً فقالت له « والصليب » لو علمت ان في خصلة من جمال او شباب رغبتك في لأجبتك ولكن اردت

(١) الاغاني ٢ : ٢٠ (٢) شعراء النصرانية ٣٣٩ (٣) شعراء النصرانية ٤٤٥

(٤) الاغاني ٢ : ٢٣ (٥) الطبري ٢ : ٣٤ ونسب الاب شيخو في كتابه النصرانية وآدابها ص

٤٠٤ البيت الاول للاخطل وذكر ص ١٩٠ ان البيت الثاني منسوب للاعشى وللأخطل ولابن عبد الجن

(٦) ديوان الأخطل ١١٩ (٧) الاغاني ٢٠ : ١٣٩ (٨) شيخو: النصرانية وآدابها ص ٤٠٤

ان تقول في المواسم ملكت مملكة النعمان ونكحت ابنته « فبحق معبودك » اهذا اردت .
قال اي والله قالت فلا سبيل اليه فقام المغيرة وانصرف ^(١)
واقسم عدي بن مرينا قبل عهد هند بالصليب والمعمودية قال للاسود بن المنذر قد غشك
عدي بن زيد « والصليب والمعمودية » ^(٢) ونسمع حنين ابن بلوع يقول ان صوت ابن سريج
ما صنع « والصليب والقربان » الا في منزلنا وفي سرداب لجدي ^(٣) وعلى ذكر الحلفان بالقربان
نقول ان العرب في الجاهلية سميت القربان الشبر واقسم به عدي بن زيد ^(٤)
إذا أتاني نبأ من مُنعم لم أخنه والذي اعطى الشبر
وحلف الأخطل هكذا « قدوس قدوس وحق الصليب » ^(٥) وحلف في محل آخر
« والمسيح » ^(٦) كما حلف قبله جد حنين الحيري « فوحق المسيح » ^(٧) وكان يحلف نصارى الحيرة
بالله قال عدي بن زيد ^(٨)

إنني « والله » فاقبل حابني لا بيل ^(٩) كلما صلى جأراً
وحلف قصير بن سعد للزباء يوم قصدها وهو أجده قائل « ورب البشر » ما كان على
ظهر الارض أنصح لخدمة جذيمة مني ^(١٠)
وكانوا يقسمون بكتاب الله فهذا زيد بن عدي النصراني يقول ^(١١)
ناشدتنا « بكتاب الله » حرمتنا ولم تكُن بكتاب الله ترتفع

ومن عادة الحيريين للتوثيق من قسمهم انهم يحلفونه في البيعة وقد قام بهذا كل من عدي
ابن زيد وعدي بن مرينا واليك رواية الاثاني ^(١٢) . . . وقام عدي بن زيد الى البيعة فحلف
ان لا يهجو عدي بن مرينا ابداً ولا يبغيه غائلة أبداً فلما فرغ عدي ابن زيد قام عدي بن
مرينا وحلف . . .

نقف عند هذا الحد في موضوعنا راجين أن نتوفق الى الاسهاب فيه عند طبعنا كتابنا
« الحيرة : المدينة والمملكة العربية »

يوسف غنيمة

بغداد

(١) الاثاني ٢ : ٣١ (٢) كذلك ٢ : ٢٢ (٣) كذلك ٢ : ١٢١ (٤) شعراء النصرانية
٤٥٢ (٥) الاثاني ٨ : ٨١ (٦) كذلك ٨٢ (٧) كذلك ٢ : ١٢٢ (٨) شعراء النصرانية
٤٥٣ (٩) الايل جبر النصاري وهو ايضاً السيد المسيح (١٠) الاثاني ١٤ : ٧٢ (١١) شعراء
النصرانية ٤٧٢ (١٢) ١٢٢ : ٢

ماثر الحضارة العربية

في العلم والعمران

في اقل من قرن واحد افتتح العرب كثيراً من البلدان حتى وصلوا الى اسوار الصين واصبحوا ذوي سيادة وسلطان ، وبعد ان استتب لهم الامر تحولت عنايتهم الى ناحية العلم فصرفوا اكثر همهم اليه وبقي اعتناؤهم به بارزاً رغم ما اعترى الخلافة العباسية من ضعف وانحلال . ولم تضعف النهضة العلمية رغم استقلال كثير من الامارات عن بغداد ، فعوضاً عن ان يكون لها مركز واحد صار لها مراكز عديدة في حواضر الامارات المستقلة . ولقد استطاع العرب في مدة وجيزة ان يترجموا كتب اليونان والفرس والهنود في مختلف العلوم ولم يكتفوا بالنقل فقط بل توسعوا في الابحاث العلمية و اضافوا اليها اضافات خطيرة تعتبر اساساً من أساس الحضارة الاوربية القائمة الآن . (وهنا اشار الكاتب المماً الى آثارهم في اللغة والدين والشعر) كتب العرب كثيراً في التاريخ وبعضهم اجاد اجادة اثارت اعجاب المنصفين من علماء الغرب ، ولقد فاقت مؤلفاتهم فيه مؤلفات غيرهم من الامم ، واذا رجعنا الى كتاب كشف الظنون الذي يبحث في اسماء الكتب والفنون وجدنا فيه اكثر من (١٣٠٠) كتاب غير الشروح والاختصارات وما فقد منها في اثناء الانقلابات التي حدثت في العصر العباسي « ومن الكتب التاريخية ما هو مرتب احسن ترتيب باعتبار السنين كالطبري وابن الاثير وابي الفداء او باعتبار الامم او الدول كالمسعودي والفخري وابن خلدون او بحسب المدن او الملوك مما لا يحصى » (١) . وكان بعض المؤلفين بليغاً في كتاباته مجيداً في سبك عباراته دقيقاً في استنتاجه . ولقد ظهر في المسلمين مؤرخون اعترف لهم الغرب بعقريتهم ولا تزال المعاهد العلمية الاوربية وغيرها تستعين بكتبهم ، فابن خلدون ألف تاريخه المشهور ورتبه على الدول كما اسلفنا وافاض في اخبار المغرب والاندلس مما لم يسبقه اليه احد . ومن مميزات هذا التاريخ مقدمته التي يقول فيها احد علماء الافرنج « ان مقدمة ابن خلدون هي اساس فلسفة التاريخ وحجر الزاوية في هذا العلم » (٢) ويقول آخرون « انها مقدمة فلسفية لم ينسج احد على منوالها قبلها حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم من الامم القديمة »

وللعرب فضل في علم الجغرافية وتقدمها فهم بعد ان نقلوا عن اليونان وغيرهم الكتب

الجغرافية وتوسعوا في مباحثها زادوا عليها ما شاهدوه في اثناء خوضهم البحار وارتدادهم الاقطار. ولقد صححوا كثيراً من اغاليط بطليموس^(١) وامتازوا على الرومان بكونهم عرفوا الصين وتوغلوا فيها وفي افريقيا ايضاً فدخلوا الصحراء الى بلاد السودان. ويمتاز العرب على الامم التي سبقتهم بكونهم استطاعوا ان يؤلفوا في الجغرافية ويرسموا الخرائط ويبدعوا في ذلك وحسبهم فخراً انهم اول من عرف اصول الرسم على سطح الكرة واول من وجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار. واشهر جغرافي العرب المسعودي والبيروني والادريسي وياقوت والمقرزي والقزويني وابن بطوطة. اما الادريسي فهو ابنخ الذين ظهوروا في القرن الثاني عشر للميلاد^(٢). وهو مؤلف كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وقد السفه لروجر ملك صقلية ورتبه على الاقاليم السبعة واورد فيه اوصاف البلاد والممالك تفصيلاً، وعمل لروجر خارطة على كرة مسطحة من الفضة^(٣) ورسم عليها الاقاليم والاقطار التي كانت معروفة في زمانه. ولقد استرعى الادريسي انتباه علماء الفرنجة اكثر من غيره لانه كان حلقة الاتصال بين جغرافية الاسلام وجغرافية الافرنج، ويقول كتاب تراث الاسلام « ان طلب الملك روجر ملك صقلية عمل كتاب جغرافيا ورسم خرائط من عالم مسلم مما يدل على ان تفوق المسلمين العامي كان معترفاً به في ذلك العهد »^(٤)

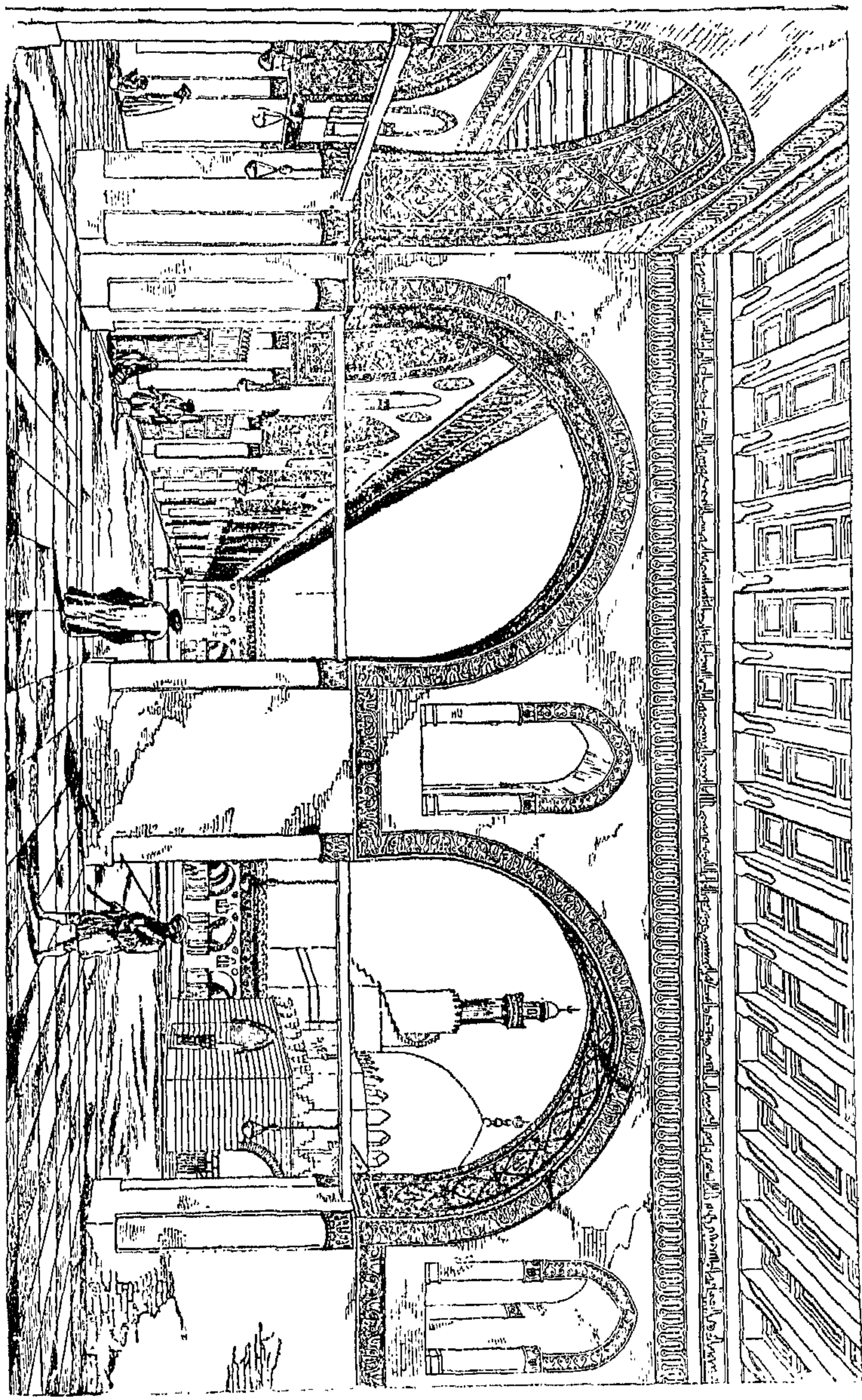
يقول بعض الكتّاب ان العرب لم يكونوا غير نقلة ماهرين ولم يعرفوا من العلوم الا جانبها النظري وهذا القول يردده بعض الذين يدعون العلم من الغربيين المتعصبين ويقلدوهم في ذلك بعض المتعلمين منا، وهو قول لا شك فيه خطأ وتحامل. فلقد ثبت حديثاً لدى الباحثين المنقبين المنصفين من علماء الغرب ان العرب كانوا مبدعين مخترعين اكثر منهم ناقلين في كثير من فروع المعرفة. ففي الطب بعد ان عكفوا على دراسة ما اخرج به اليونان والسريان والكلدان اصباحوا بعضه وزادوا عليه ويعترف كتاب تراث الاسلام « ان العرب زادوا على الطب اليوناني كثيراً وزياداتهم مبنية على التجربة اي انها كانت عملية » وهذا يرد رأي القائلين بان علوم العرب كانت نظرية مبنية على الاسلوب الفيني. وقد ظهر لهم فيه مؤلفات قيمة كالقانون لابن سينا وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الاندلسي ولقد استفاد الافرنج من هذا الكتاب في نهضتهم الحديثة فائدة كبرى. وبقيت بعض المؤلفات الطبية العربية تدرس في جامعات اوربا حتى القرن الثامن عشر للميلاد. والذين نبغوا في الطب عند العرب كثيرون وتصنف بيسط لكتب طبقات الاطباء ونراجم الحكماء وكشف الظنون وغيرها تثبت ان الذين زاولوا الطب والسيدلة كثيرون جداً. وقد كان هؤلاء نظام مخصوص يسرون عليه ورئيس يمتحنهم ويميز المقتدر منهم وبلغ عدد الاطباء في زمن المقتدر

(١) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٩٧ (٢) كتاب تراث الاسلام (Legacy of Islam)

ص ٨٩ (٣) دائرة المعارف البريطانية مادة (Map) (٤) كتاب تراث الاسلام ص ٨٩

بالله في بغداد « ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلاً سوى من كان في خدمة السلطان » (١) ولم يقتصر النبوغ في الطب على الرجال فقط فلقد نبغ في النساء عدد غير قليل كاخت الحفيد بن زهر الاندلسي وابنتها اللتان كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء (٢). والفحص الطبي عند العرب لا يختلف كثيراً عما هو عليه الآن فقد كانوا يفحصون البول ويحسون النبض ، وانتقدوا كثيراً من آراء اطباء اليونان واصلحوها عدا ترتيبهم الكتب اليونانية وتعليقهم عليها . وهم (اي العرب) اول من استخدم المرقد — البنج — في الطب والكاويات في الجراحة على نحو استخدامها اليوم وهم اول من وجه الفكر الى شكل الاظافر في المسلولين ووضعوا علاج اليرقان والهواء الاصفر واستعملوا الافيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجنون ووصفوا صب الماء البارد لقطع الزيف وعالجوا خلع الكتف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة الفجائي (٣) وكذلك هم اول من كتب في الجذام (٤) وفي الحصبة والجذري والعلق واشكاله وخصائص كل منها . وكانوا يعالجون المرضى ويدرسون الطب في امكنة مخصوصة تسمى بمارستانات وهذه تخرج الاطباء كما يجري الآن في مدارس الطب وكانت على غاية ما يكون من النظام والترتيب اذ كانت مجهزة بكل الادوات الضرورية وبالخدم ومقسمة الى غرف كل واحدة لمرض من الامراض المعروفة عندهم . وبحث العرب في الجراحة واول من اهتم بها الرازي ، ومن برع في عمل اليد واجراء العمليات الجراحية واستعان بالآلات والادوات هو ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (٥) . واشتغلوا في الصيدلة واشتغلوا بالعقاقير من الهند وغيرها من البلدان ، وتحقق لدى الافرنج ان العرب هم واضعو اسس فن الصيدلة (٦) واستطاعوا ان يستنبطوا انواعاً جديدة من العقاقير يدلنا على ذلك اسمائها التي وضعها العرب والتي لا تزال على وضعها عند الغربيين . واكتشفوا في الكيمياء كثيراً من مركباتها وعرفوا عمليات التقطير والترشيح والتصفيد والتذويب والتبلور وتحضير الكحول واكتشفوا بعض الخواص المعدنية والقلويات النباتية والمعدنية ، وكتبوا في ابطال الكيمياء القديمة . ويرجح لدى الباحثين ان العرب هم الذين ركبوا البارود ، ويقول ابن الاثير ان العرب استعملوا ادوية اذا طلي الخشب بها امتنع احتراقه . واشتهروا في صناعة الزجاج والتفنن فيها . ولا يفوتنا ان نذكر ان العرب برزوا في علم النبات واشتهر في هذا العلم ابن البيطار ورشيد الدين ابن الصوري الذي كان كثير التدقيق والبحث « فكان يستصحب معه مصوراً (عند بحثه عن الحشائش في منابها) ومعه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه الى المواضع

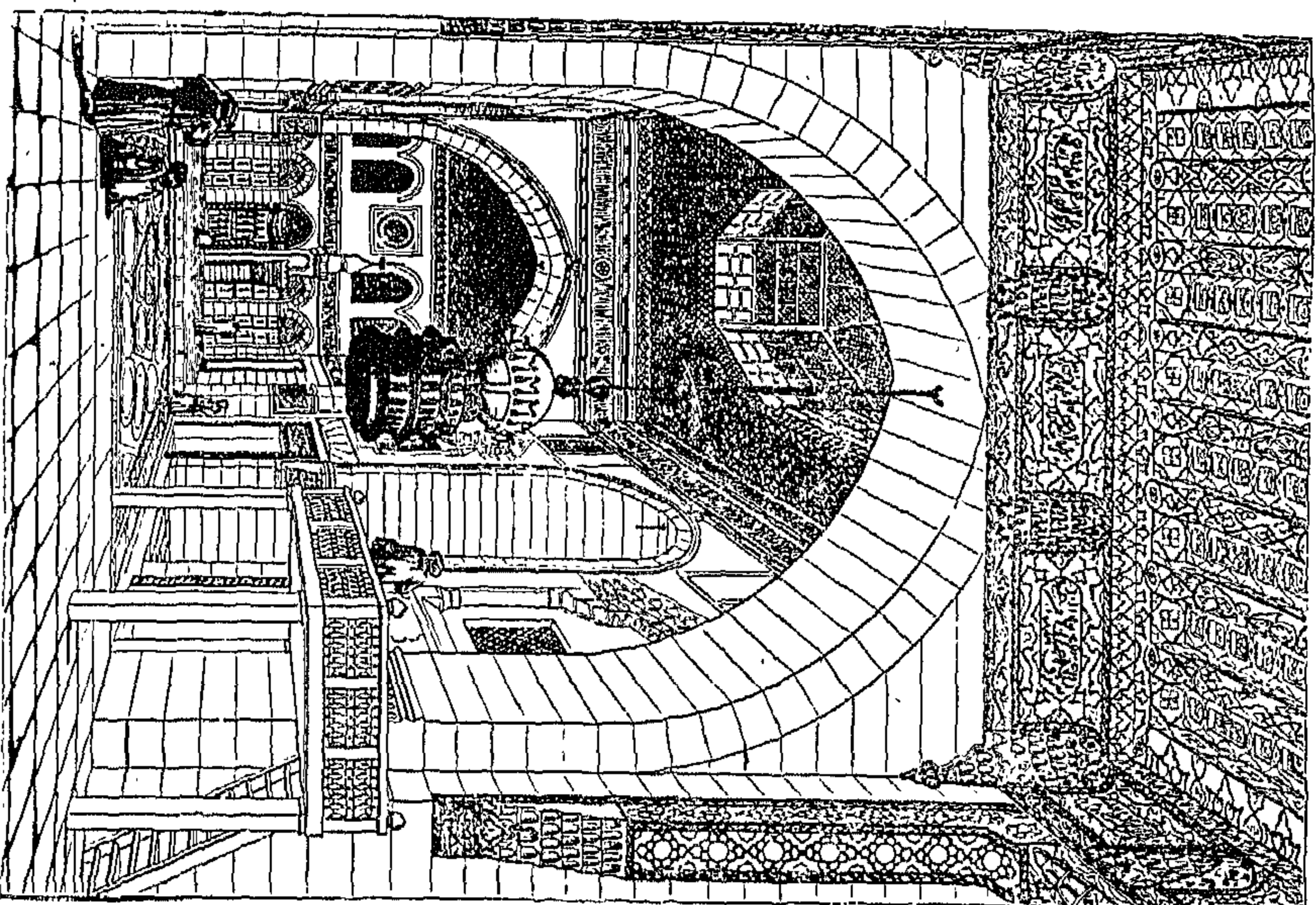
(١) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ١ ص ٢٢٢ (٢) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٧٠ (٣) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٨٠ (٤) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ١ ص ١٨٣ (٥) الدكتور احمد عيسى — آلات الطب والجراحة عند العرب ص ٤ — (٦) زيدان — تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٨١



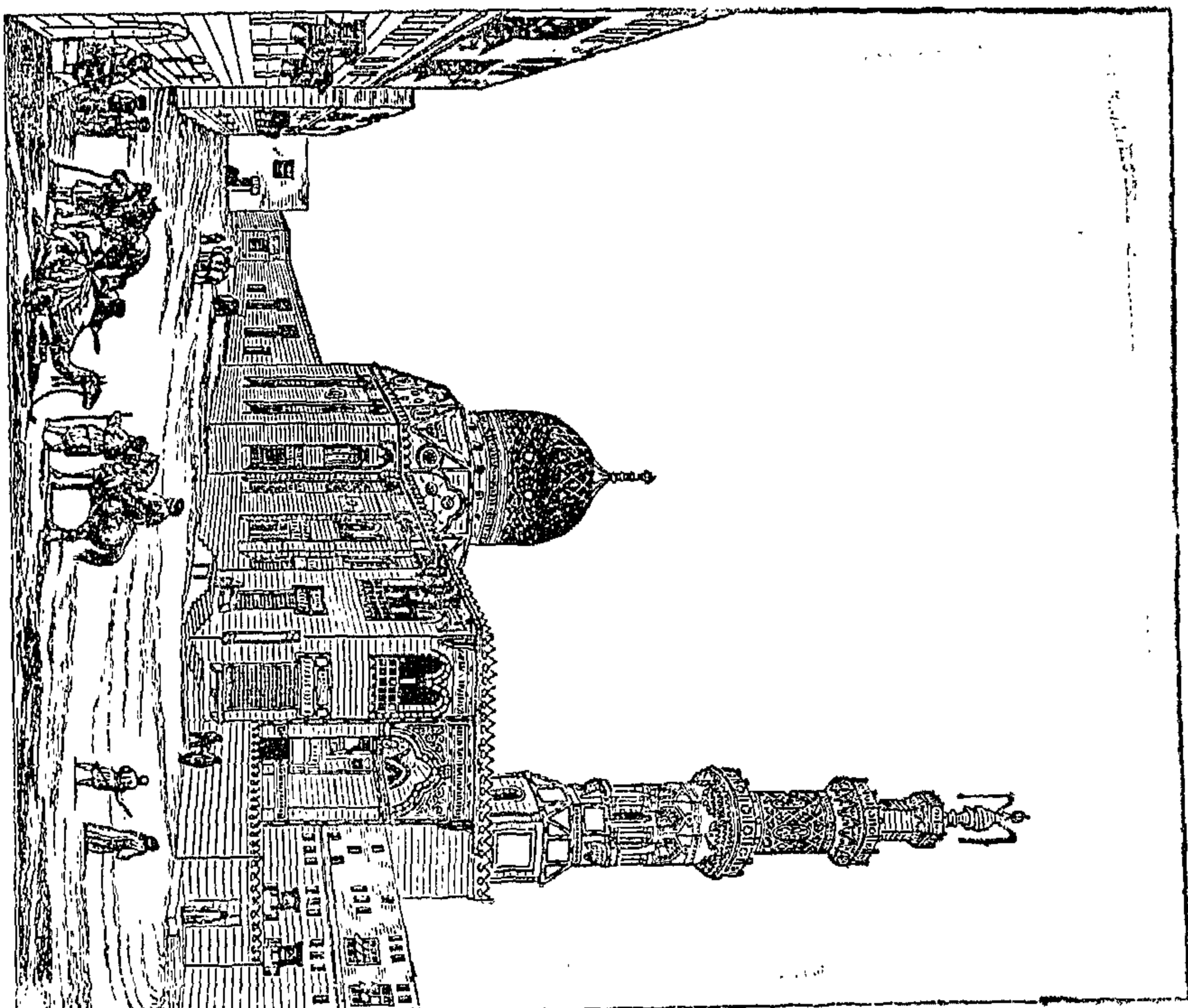
صحن جامع ابن طولون في القاهرة عن دائرة المعارف البريطانية

إمام صفحة ٤٢٥

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢



جامع قايتباي في القاهرة من الداخل
امام صفحة ٤٢٥



جامع قايتباي في القاهرة من الخارج
مقطف نوفمبر ١٩٣٢

التي بها النبات فيشاهده ويحتمله ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه واصوله ويصور بحسبها ويجهده في محاكاتها، ثم انه سلك ايضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً وذلك انه كان يري النبات للمصور في ابان نباته وطرأوته فيصوره ثم يري اياه ايضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ثم يري اياه ايضاً وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن ان يراه به في الارض فيكون تحقيقه له اتم ومعرفته له ابين « (١) ولا أظن ان علماء النبات في هذا العصر اكثر دقة في ابحاثهم العلمية من ابن الصوري

واشتغل العرب في علم الطبيعة (الفيزيكس) ولهم فيه ابحاث مبتكرة فبعد ان ترجموا كتب اليونان في هذا الفرع توسعوا فيه وزادوا عليه . ولقد استنبطوا طرقاً واخترعوا آلات تمكنوا بواسطتها من حساب الثقل النوعي واستعملوا موازين دقيقة حتى ان فرق الخطأ كان اقل في ٠.٠٠٤ من الغرام . وبينوا أن الهواء يحدث ضغطاً من اسفل الى اعلى ، وبحثوا في الجاذبية وقالوا بها (٢) ولهم في الضوء نظريات وآراء لم يسبقهم احد اليها ، ولقد توسعوا فيها كثيراً وصححوا آراء اليونان في بعض المباحث عدا الاضافات التي لولاها لما كان بحث الضوء على ما هو عليه الآن . ويقال ان كتاباتهم هذه هي التي اوحى اختراع النظارات (٣) وكتبوا في العين وتشريحها (٤) واما في الموسيقى فقد زادوا وتراً خامساً زاده زرياب بالاندلس واستنبطوا الآلة المعروفة بالقانون والذي اخترعها الفارابي الفيلسوف وهو اول من ركبها هذا التركيب (٥) ولا تزال عليه الى الآن . ويقال ايضاً ان الفارابي اخترع آلة غريبة الشكل في بابها مؤلفة من عيدان يركبها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ، يحكى انه كان مرة في مجلس سيف الدولة فسأله هل تحسن صناعة الغناء؟ فقال نعم « ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها واخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغيّر تركيبها وضرب عليها ضرباً آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج (٦) . وفكروا في امكان الطيران وأول من فكر فيه عباس ابن فرناس ، جاء في نفح الطيب « واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنباً (٧) »

ولنرجع الآن الى ما عمله العرب في الرياضيات والفلك فنقول بعد ان عكف العرب على

(١) ابن ابي اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٢١٩ (٢) الدكتور صروف — بسائط علم الفلك ص ٢٢ (٣) دائرة المعارف البريطانية مادة Light (٤) كاجوري — تاريخ الفيزيكس ص ٢٣ (٥) ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ (٦) ابن خلكان — وفيات الاعيان ج ٢ ص ٧٧ (٧) المقرئ — نفح الطيب ج ٢ ص ٢٣١

دراسة ما كتبه اليونان والهنود في هذين الفرعين توسعوا فيهما وزادوا عليهما . ففي الحساب بحثوا في الأعداد وخواصها ، وهم أول من استعمل لفظة صفر لنفس المعنى الذي نستعمله نحن ، ويغلب الظن أنهم وضعوا علامة الكسر العشري ، وينسب اليهم اكتشاف ميزان الجمع باسقاط التسعات ^(١) ، وهم الذين نقلوا الأرقام الهندية ، قال الخوارزمي في إحدى مؤلفاته ان الأرقام وصلتنا عن طريق الهند ^(٢) ، وعندهم (اي عن العرب) اخذ الأفرنج (الأرقام) . اما في الجبر فالعرب الفضل الا كبر في تقدمه اذ لم يكن معروفاً تماماً عند اليونان . ويمكننا ان نقول دون تردد ان الجبر هو من موضوعات العرب . قال كاجوري ان العقل ليدهش عند ما يرى ما عمله العرب في الجبر . وهم أول من اطلق لفظة جبر على العلم المذكور ، وعندهم اخذها الأفرنج ، ولقد اكتشفوا كثيراً من نظرياته التي نعرفها الآن ووصفوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب وحلوا المعادلات ذات الدرجة الثانية والثالثة وفي حل القسم الأخير اجادوا جداً ولهم فيه ابتكارات هي محل اعجاب علماء الغرب . قال كاجوري « ان حل المعادلات التكعيبية بواسطة قطوع المخروط من أعظم الاعمال التي قام بها العرب » ^(٣) فيكونون بذلك قد سبقوا دكرات وبيكر ، وقد حلوا ايضاً بعض اوضاع للمعادلات ذات الدرجة الرابعة ^(٤) ، ونشر محمد بن موسى الخوارزمي بأمر من المأمون كتاباً في الجبر والمقابلة وهو أول كتاب عربي ظهر في هذا العلم واشتهر هذا الكتاب كثيراً وطار اسمه في الآفاق وله شأن تاريخي كبير اذ كل ما ألفه علماء الفرنجة في الجبر مبني على الكتاب المذكور الذي كان ايضاً اساساً لدراساتهم ومباحثهم الرياضية المختلفة . وأما في المثلثات فلقد تفننوا فيها كثيراً ولهم فيها باع طويلة جداً فهم أول من ادخل المماس في عداد النسب المثلثية ^(٥) واليه يرجع الفضل في اكتشاف قانون تناسب الجيوب وحسبهم فخراً أنهم أول من اكتشف قانوناً عاماً لحل المثلثات الكروية وأول من عمل الجداول لنظير المماس والقاطع ونظيره . وعلى العموم فالعرب لم يتركوا زيادة مستزيد في علم المثلثات ويعترف بذلك علماء الأفرنج واشتغل العرب في الفلك ولم يقفوا فيه عند النظريات بل خرجوا منها الى العمل - الرصد - ولقد اكتشفوا بعضاً من النظريات المهمة وابتنوا المراصد الكثيرة وأجروا فيها ارساداً جليلة النفع . وظهر منهم عدد لا يستهان به من الفلكيين ومنهم من اعترف لهم الغرب بالعبقريه والتفوق حتى ان لالاند العالم الفلكي الفرنسي الشهير عد البتاني من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله ^(٦) . وقالوا باستدارة الارض وبدورها على محورها ^(٧) وعملوا

(١) كتاب تراث الاسلام ص ٣٩٤ (٢) سمث كاربنسكي - الأرقام الهندية العربية ص ٥ (٣) كاجوري تاريخ الرياضيات - ص ١٠٧ (٤) كاجوري - تاريخ الرياضيات - ص ١٠٧ (٥) دائرة المعارف البريطانية مادة مثلثات Trigonometry ونصير الدين الطوسي - شكل القطاع ص ١٢٦ (٦) انظر مقال مقتطف يناير سنة ١٩٣١ (٧) مجلة الكلية مجلد ١٤ ص ٢٧٠

الازياج العظيمة الفائدة وبينوا حركة نقطة الذنب للأرض وأصلحوا قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي . وحسبوا قيمة ميل فلك البروج على فلك معدل النهار ومن الغريب ان حسابهم في قيمة هذا الميل دقيق جداً وقد اصابوا في رصدهم وحسابهم الى دقيقة واحدة (١) ونتائج حسابهم لبعده الشمس عن مركز الأرض قريبة جداً مما وصل اليه العلماء الآن (٢) وقد اختلف علماء الغرب في اكتشاف بعض أنواع الخلل في حركة القمر الى تيخو براهي أو الى ابي الوفاء (٣) ولكن ظهر حديثاً ان اكتشاف هذا الخلل يرجع الى ابي الوفاء لا الى غيره (٤) وهم الذين اخترعوا الاسطرلاب وغيره من آلات الرصد ، واعتنوا كثيراً باتقان صنعها (٥) ، ووجدت في إحدى الكتب الفلكية (بسائط علم الفلك) ان خمسين في المائة من أسماء النجوم الموجودة فيه من وضع العرب ومستعملة بلفظها العربي في اللغات الافريقية ، وشدة ولوع العرب بهذا العلم جعل بعضهم « يصنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظرين فيها النجوم والغيوم والبروق والاعود » (٦)

ولما اصبحت العرب في سعة من العيش وصار لهم سلطان يمتد الى أكثر اقطار المعمور بدأ دور الترف عندهم فخلقوا في سماء الخيال ونبغوا في الشعر وبرعوا في الموسيقى وشيدوا الأبنية التي تحاكي الجنان بحملها وبهائها والتي تبهر العقول بفخامتها وزخرفها والتي لها مميزات جعلت الفن الاسلامي في البناء يجمع بين التناسب والتناسق . ونظرة الى جوامع مصر القديمة والى جامع الاموي في دمشق والى قصور الأندلس ومعابدها تريك العظمة والاتقان والمتانة بأجلى معانيها . لا استطيع وصف الجمراء (كما يجب) ولكنني قرأت عدة اوصاف لها وكل وصف يختلف عن الآخر ، وما الاختلاف على ما اعتقد الا نتيجة لما عليه القصر من عظمة الفن والجلال الهندسي . والجمراء اقسام اهمها ردهة الحكم ، حوش السباع ، حجرة بني سراج ، حوش الريحان ، ردهة السفراء ، وقد نقش جدران كل منها بنقوش هي غاية في الابداع في جلال الفن وروعة المنظر ، وقد اعترف الغربيون بعجائب الجمراء وكثيراً ما وصفوه وغالوا في ذلك متأثرين بالفخامة ودقة الصنعة . ولقد اتخذ الافرنج الكثير من ابنيهم العظيمة ومراسيحهم الكبرى أسماء الهمبرا أي الجمراء والالكزازاي أي القصر (٧) وأصبحت كلمة الهمبرا عندهم تعني قصرأ منيفاً بديعاً تكتنفه حدائق ذات أشجار باسقة منسقة أجل تنسيق . وعلى كل فقصر الجمراء آية بينة على ما وصل اليه العرب من جاه ورفاهية . ويضيق الوقت عن وصف القصر الكبير بأشبيلية والزهراء والزاهرة وغيرها من القصور والدور التي في الاندلس . ويقال انه كان « في قصر

(١) اسماعيل مظهر — تاريخ الفكر العربي ص ٤٥ — ٤٦ (٢) اسماعيل مظهر — تاريخ الفكر العربي ص ٤٦ (٣) فاندريك — كتاب علم الهيئة — ص ١٣٧ (٤) كاجوري — تاريخ الرياضيات ص ١٠٥ (٥) كتاب تراث الاسلام ص ٣٩٥ (٦) المقري — فتح الطيب — ج ٢ ص ٢٣١ (٧) مجلة الكلية مجلد ١٥ ص ٣٣٠

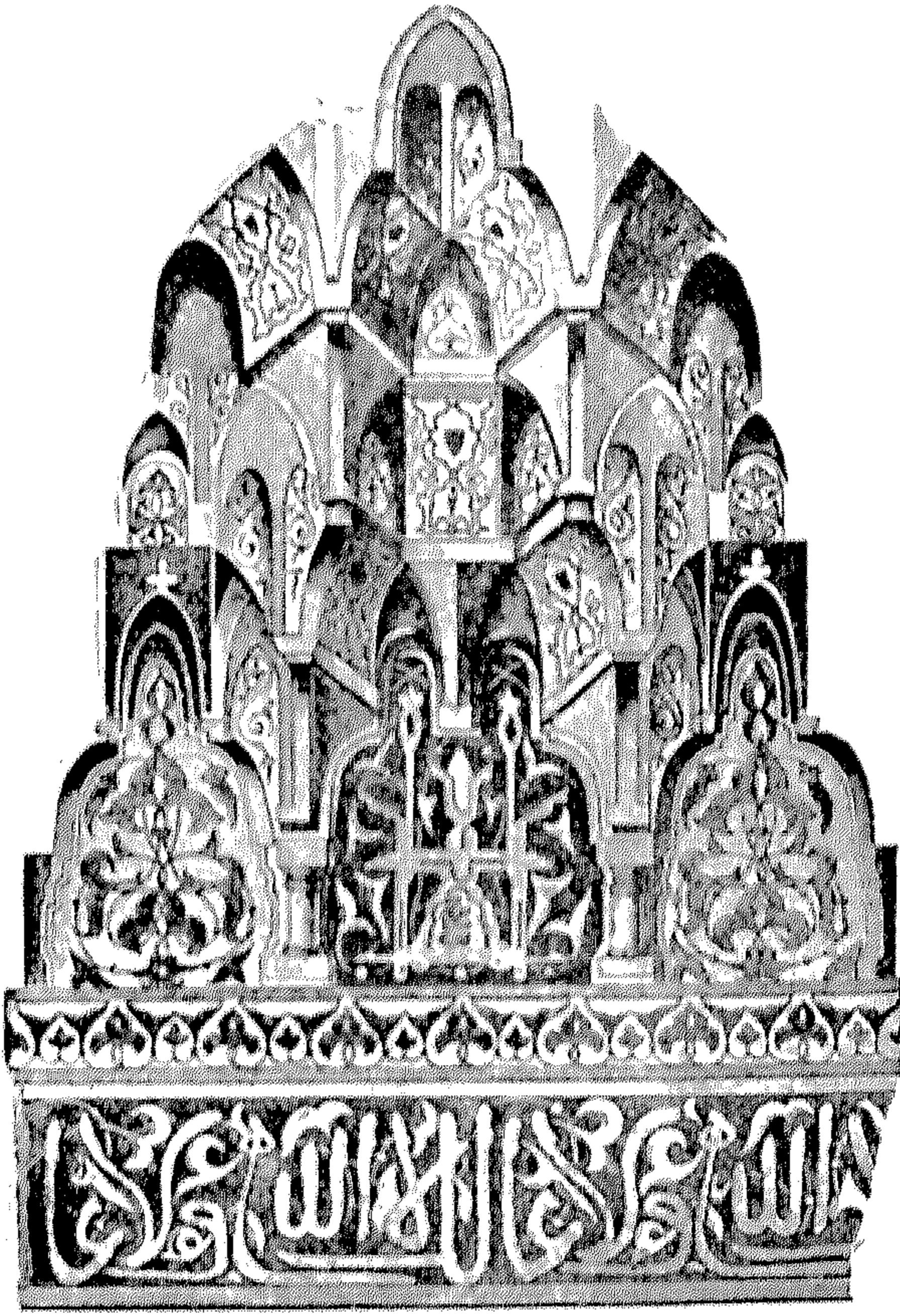
الزهراء كثير من الرخام الابيض والاخضر والوردي والمجزع ومائة وعشرون تمثالاً من الذهب الأحمر تمثل العقبان والغزلان والتاسيح والشواهين وكلها مرصعة بالجوهر يجري الماء من افواهها^(١) هذه ابنتهم كانت ولا تزال مرتعاً خصباً لقرايح الشعراء وميداناً واسعاً لجولات الادباء فلقد أجادوا وصف هاتيك الديار التي تمتاز على غيرها بقناطرها وقببها السماء، وما آذنها ذوات القمامات الهيفاء، ومقرنصاتها التي جعلت لتزين تيجان العمدان، وجبكها الهندسية المملوءة خلاياها بنقوش الازهار وأوراق النباتات، وباطاراتها التي كثيراً ما كانت ترصع بكرم الاحجار، وبالالوان المختلفة التي تزيد في جمال البناء وبمسائل المياه التي تعد من آيات فن المعجزات، وبالصور والنقوش الذهبية التي تظهر في قصورهم فتزيدها بهاء فوق بهاء قيل في وصف بركة على حافتها اسود تقذف المياه من افواهها وعليها نقوش وطيور :

وضراغم سكنت عرين رياسة	تركت خربير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشي النضار جسومها	واذاب من افواهها البورا
اسد كأن سكونها متحرك	في النفس لو وجدت هناك مشيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما	اقعت على ادبارها لتثورا
الى ان يقول: وبديعة الثمرات تعبر نحوها	عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى	سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد صوبحت اغصانها فكأنما	قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأتي لوقع طيرها	ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها	ماء كسلسال اللجين عميرا
خرس تعد من الفصاح فان شدت	جعلت تغرد بالمياه صفيرا ^(٢)

هذا عدا ما بني في الشام والعراق وغيرها من البلدان الاسلامية من الابنية الفخمة التي هي وليدة حضارة عالية يفتخر بعض الافرنج بالانتماء اليها. يقول احد المهندسين الاسبان « انه يفتخر بالانتماء الى العصر العربي في اسبانيا » ويقول ايضا في مكان آخر « اني ارى مسجد قرطبة هو انخر واعظم تحفة فنية في هذه البلاد (اسبانيا) ولست ادري هل له في العالم نظير » وهو الذي يقول « ان اعمال الري وتوزيع المياه التي قام بها العرب بالاندلس كانت تفوق حتى ما وصل اليه الفن في العصر الحديث »^(٣) واشتهر العرب بالفلسفة ونبغ فيهم عدد كبير منهم الكندي وابن سينا وابن الهيثم وابن رشد وغيرهم ولا تزال الآراء الفلسفية لبعضهم موضع دراسة العلماء واهتمامهم

هذا قطرة من بحر الحضارة العربية الخضم ولا يتسع المجال لاكثر مما تقدم ومع ان

(١) مجلة الكلية ١٥ ص ٣٣٠ (٢) القرى — فتح الطيب — ج ١ ص ٢٣٠ (٣) الفتح عدد ٢٩٢



اثران من روائع الفن الاسلامي في الحمراء
الى يمين الناظر اثر من ردهة ابن سراج والثاني من حوش الاسود

الغربيين قد ضربوا بسهم وافر في البحث عن حضارة العرب فان نواحي عديدة منها لا تزال غامضة اذ لم يكن لها نصيب من البحث والتنقيب ، والذي اراه ان الغربيين كلما تقدموا في البحث عن مآثر العرب تبجلى لهم فضل العرب في السبق الى كشف كثير من الآراء والابحاث العلمية . يقول احد علمائهم : من الغريب ان بعض ابتكارات واختراعات حسبناها من عملنا ثبت بعد قليل من البحث ان العرب سبقونا اليها . والغريب ان طائفة من مؤلفي الفرنسية انتحلت بعض الابحاث التي وضعها العرب لنفسها ، وآخرين لم يذكروا المصادر التي اعتمدوا عليها او نقلوا منها فكأنهم يدعونها لانفسهم . ومع كل هذا استطاع علماء العصر الحاضر المنصفون ان يدركوا شأن حضارة العرب اذا قيس بشأن حضارتهم التي ينعمون بها فاعترفوا بمآثر كعبها وبما قدمته من خدمات جليلة للمدنية الحديثة . قال فلوريان « كان للعرب عصر مجيد عرفوا فيه بانكباهم على الدرس وسعيهم في ترقية العلوم والفنون . ولا نبالي اذا قلنا ان اوربا مدينة لهم بمخدمتهم العلمية — تلك الخدمة التي كانت العامل الأكبر في نهضة القرنين الثالث عشر والرابع عشر » ولا شك ان الحضارة العربية هي حلقة الاتصال بين اليونان والحضارة الحالية فهم الذين حفظوا علوم اليونان وغيرهم من الضياع وهم الذين نقلوها ونقلوا معها اضافاتهم الكثيرة الى اوربا عن طريق الاسبان . واعترف كاجوري وسمت بفضل العرب على الرياضيات والفلك . ويقول البارون دي فو « ان الميراث العلمي الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به ، اما العرب فقد حفظوه واتقنوه فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ولكنهم توفروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد في تحسينها وانماها حتى ساموها للعصور الحديثة » . وقال الدكتور سارطون في خطاب القاه حديثا في جامعة بيروت الاميركية « ان بعض الاوربيين يحاولون ان ينتقصوا من قدر العرب العلمي في القرون الوسطى وذلك بقولهم ان العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم اليونانية ولم يزدوا عليها شيئا . . . هذا خطأ . . . واذا افترضنا ان العرب لم يكونوا غير نقلة للعلوم الاقدمين ، اليس في عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلو لا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ولكننا حتى الآن في قرون وسطى » . والدكتور سارطون يعتقد ان الاخذ عن الغير يتلو الا اكتشاف من حيث خطورة الشأن فالاكتشافات اذا لم تؤخذ وتستعمل فلا فائدة منها ، والذي يعرف كيف يعلم ما اقتبسه عن الغير هو (في نظره) مخترع ثانٍ « ولذلك فان العرب كانوا اعظم معلمين في العالم في القرون الوسطى لا سيما في القرون الثلاث الثامن والحادي عشر والثاني عشر للميلاد لم يكن نقل العرب للعلوم ميكانيكيا بل على الضد فيه روح وحياة ، ولم يقتصر على نقل علوم اليونان فحسب بل استطاعوا ان يأخذوا عن الهنود وفي كثير من الحالات جمعوا بين الثقافتين الهندية واليونانية »

قدري حافظ طوقان

نابلس — فلسطين

من الشعر الغربي

لثوماس هاردي

بعد الموت

القبر اروح لي مقيلاً والردى خير وفيه أعودُ أصلحَ حالا
قرّ الذي أضناك طول لجأجه والجهدُ والتعبُ المعاود زالا

برق الحياة لقد خبا بوميضه وأخذت في الوادي الرهيب مكاني
وأنا الوفيّ اذا قدمت وجدتي رهن انتظارك لا أمل زماني

شفاء الآلام

يا كم دعوت الوحي واستلهمته شعراً خليقاً بالحبيب المجتبي
أصف المحاجر والشفاه وسحرها والطبع والخلق الكريم الطيبا
فاذا اجنّني الشقاء نظمته معنى سواوياً ولفظاً مُغربا
واذا طغا ألمي عزفتُ كأنه قيثارة رقت كأنفاس الربّي

ولذلك كم هددت سورة خاطري ونسيت ما اشقى الفؤاد وعذبا
حتى اذا ران الهدوء حسبتني بين المقابر موحشاً متهيبا
فأصيح يا لهفأ على ايامه من ذا يعيد عذابها المستعذبا !

لرئيس فرخ هين

دعاء الراعي

يا ايها الحمل الوديع انا الذي يحنو عليك انا الحبيب الراعي
كم ليلة والرعب عشي في الدجى والهول منتشر على الاصقاع
اغفيت في كنفي وفي ظل الكرى كالطفل في أمن من الاوجاع
يا رب قد وهت العصا واستأثرت غير الليالي بالقوي الباع
يا رب ان تك قد اذنت بفرقة وحكت للراعي بوشك زماع
فالنظر الى الحمل الوديع ووقه شر النفوس وفتنة الاطماع
نضّر له الدنيا ومُدّ ربيعها وانشره مؤتلقاً بكل شعاع
واجعل له الايام ظلاً وارفاً وخير انهار وخصب مراعي
الدكتور ابراهيم ناجي

وبعد تحطيم الذرة

إطلاق قوتها الكامنة — تحويل العناصر — حجر الفلاسفة الجديد

منذ ما اثبت السر جوزف طمس أن الذرة مركبة من دقائق ، أصبح تحطيم الذرة موضوعاً يخلب لب العلماء وقراء الروايات الاخاذة على السواء . وقد اهتم العلماء بهذا الموضوع لانهم علموا ان في داخل الذرة تكمن طاقة عظيمة . ولكن الباعث الاعظم على عنايتهم كان رغبتهم في الكشف عن اسرار البناء المادي . ففهم بناء الذرة يقضي الى فهم طبيعة الكهرباء وحركات الاجرام السماوية ، وقد يقضي اخيراً الى فهم لغز الاشعة الكونية .

ولكن الناحية الاخاذة في موضوع تحطيم الذرة ، هي الناحية التي استرعت عناية الجمهور فقد قيل للجمهور انه اذا تحطمت الذرة لم يدر احد ما يسفر عن تحطيمها — وهو صحيح . فتسرع الناس في الحكم المبني على هذه الاقوال وظنوا ان قوى هائلة تنطلق منها في لحظة ، كما ينطلق الغاز من مادة متفجرة ، فينشأ عن انطلاقها انقلاب عالمي . ومكث مكاتبو الصحف على ابواب العلماء ينتظرون الانباء ، وكأنهم في فوهة بركان لا يدرون اي متى يشور . اما كتاب الروايات الباحثون عن استنباط غريب يعزونه الى ابطال رواياتهم فوجدوا في تحطيم الذرة مناط آمالهم ، فذهب خيالهم في وصفه ووصف نتائجه كل مذهب

لقد حطمت الذرة فتم للدكتور كوكروفت والدكتور ولطن — وهما من علماء معهد كافنديش بجامعة كمبريدج الذي رأسه اللورد رذرفورد — تحقيق ما حاول العلماء تحقيقه منذ ما اكتشف الالكترون وقسيمة البروتون . ومع ذلك ما زلنا حيث نحن ، لم يحدث انفجار مدحرج ، ولا انطلقت قوى عظيمة لا نستطيع السيطرة عليها . فذاعت انباء هذا الاكتشاف كالنار في الهشيم ، ولكنها لم تسحب في اثرها ذيلاً من التخريب والتدمير كما تنبأ المتنبئون والواقع ان تحطيم الذرة اثر علمي عظيم . فحقق هذان العالمان في معملهما ، بادوات بسيطة ، ما عجز عنه العلماء الالمان والاميريكيون بقوى كهربائية عالية الضغط مستمدة من شرر البرق . انهما استعملتا قوة كهربائية ضغطها يبلغ ١٢٠ الف فولط مع ان الاميريكيين والالمان كانوا قد ذهبوا الى ان قوة كهربائية لا يقل ضغطها عن عشرة ملايين فولط تعجز عن تحطيم الذرة . واذا قلنا ان عمل كوكروفت وولطن عمل علمي مجرد لم ينتقص قولنا من شأنه ، مع ان الذرة

حطمت من قبل . ولا ننسى ان من بعض المباحث النظرية المجردة نشأت طائفة من اعظم المستنبطات واكبرها فائدة . فلما بدأ لورد راليه Rayleigh مباحثه التي افضت الى كشف الغازات النادرة في الهواء ، كان يرمي من ورأها الى ضبط اخطاء طفيفة وجدها في نتائج تجاربه السابقة فدل القياس على وجود مقادير ضئيلة جداً من الغاز في الهواء ثم ثبت انها غازات الارجون والهلوم والنيون والكربتون والكزينون . والغازات الثلاثة الاولى كثيرة الاستعمال في الصناعة الآن . فالهلوم مثلاً به البومات لانه خفيف ولا يشتعل . والنيون يستعمل في صنع المصابيح التي تضيء بضوء احمراً فتستعمل في الاعلانات المضيئة وغيرها . والارجون مثلاً به المصابيح الكهربائية

وما تم للغازات النادرة قد يتم للذرة وقد حقق تحطيمها . فالعلماء يصورون لنا قدراً عظيماً من الطاقة كامناً فيها . والاستاذ اندريد العالم الطبيعي الكبير ، يقول ان الطاقة الذرية المنطلقة في اثناء صنع اوقية هليوم من غاز الايدروجين ، تجهزنا بقوة مليون حصان مدة سبع ساعات . ولكن القوة التي نحتاج اليها لكي نحطم ذرات الايدروجين توطئة لتحويلها اعظم من القوة التي تنطلق في التحويل

والى القارىء مثلاً آخر يوضع الماء في مرجل قاطرة فيحول بخاراً يدفع القاطرة . ولكن لا بد من استعمال قدر من الطاقة — حرارة الفحم — لتحويل الماء الى بخار . فالوقود الذي يدفع القاطرة ليس البخار بل الفحم . كذلك البحر مصدر طاقة عظيمة ولكن لا بد من تحويلها الى بخار — او طاقة ميكانيكية — قبل استعمالها

وهذا يصح على الذرة . فالذين يتنبأون بان طاقة عظيمة سوف تنطلق من الذرة اخطأوا . في حسابهم انهم يستطيعون اطلاق هذه القوة عفواً — اي من دون استعمال قوة اخرى لاطلاقها . قد نكشف في المستقبل ان الذرة مصدر قوة محركة — كقوة البخار . ولكننا نحتاج الآن الى استعمال مقدار من الطاقة في تحطيم الذرة اكبر من مقدار الطاقة المنطلقة منها بعد تحطيمها . ولنذكر بعض ارقام توضح ما تقدم وتؤيده

تتحطم الذرة باطلاق دقائق سريعة عليها منبعثة من انبوب شبيه بانبوب اشعة اكس او انبوب الراديوم . ولكي تتحطم الذرة يجب ان تنطلق من الانبوب دقيقة تصيب نواة الذرة في الصميم ، اذ لا يكفي ان تمسحها مسحاً . ولكن نواة الذرة دقيقة جداً اذا قيست بحجم الذرة نفسها . والذرة صغيرة جداً لم يتمكن عالم من رؤيتها باقوى المجاهر . فاحتمال انطلاق دقيقة صغيرة واصابتها نواة الذرة في الصميم احتمال بعيد جداً

والواقع ان ملايين من الدقائق تنطلق من الانبوب على ملايين من الذرات . ونواميس الأرجحية تقضي بان تصيب بعض الدقائق بعض الذرات . وقد قدّر اللورد رذرفورد — وتأيد تقديره بالصور — ان دقيقة من ٥٠٠٠٠ دقيقة تصيب نواة ذرة . وهذا يعنى اننا اذا اخذنا ربع جرام من النتروجين وارادنا ان نحطم ذراته بالطريقة المتقدمة وجب ان نستعمل انبوباً يحتوي على جرام من الراديوم ، بتوجيه الراديوم الى النتروجين مدة سنة . ولا يخفى ان ثمن جرام راديوم الآن يبلغ نحو ٢٥ الف جنيه : واذاً فتحطيم الذرة باستعمال الراديوم كبير النفقة . فاذا استعملت الوسائل الكهربائية كانت النفقة اقل وانما احتاج الباحث الى قدر كبير من الطاقة ومع ذلك لا يفوز الا بتحطيم ذرة او بضع ذرات على الاكثر . وثمة فرق بين تحطيم بضع ذرات وتحطيم كمية كبيرة منها !

لتحطيم الذرة وجهان جديران بالعناية . الاول امكان اطلاق الطاقة الكامنة فيها . والثانية تحقيق ما تصوّره الكيميائيون الاقدمون من تحويل العناصر ، كتحويل الرصاص الى ذهب مثلاً . وكان العلماء في مطلع العصر العلمي الحديث يهزأون من اقوال الكيميائيين القدماء وما تخيلوه عن « حجر الفلاسفة » . ولكننا نعلم الآن ان ما حاولوا تحقيقه ليس مستحيلاً ، وان « حجر الفلاسفة » الذي يحول بلمسه السحري خبث المعادن الى ذهب ، قد يكون الكهربائية . بل يدعي بعضهم انه قد فاز بذلك ولكن المقادير التي تحولت اقل من ان ترى فالمباحث التي بدأت من نحو ست وثلاثين سنة ، لما كشف السرجوزف طمس الالكترين وتبعه رذرفورد باكتشاف البروتون وشذك باكتشاف النيوترون ، اسفرت هذه المباحث الجديدة عن ان المادة مبنية من دقائق صغيرة يظن انها شحنات كهربائية . فشحنة الالكترين شحنة كهربائية سالبة . وشحنة البروتون شحنة كهربائية موجبة . والنيوترون لاشحنة كهربائية له . لان الكهربائية السالبة فيه تعدل الكهربائية الموجبة . ولذلك دعي نيوترون اي « المتعادل » . هذه الدقائق تجتمع ذرات والذرات هي لبنات هذا الكون العظيم . فاذا استطعنا ان نستفرد الدقائق التي تبني منها المادة ، افلا نستطيع ان نستعملها في بناء ما نريد منها ؟ هذا هو الحلم الذي قرب تحقيقه بتحطيم الذرة . اي ان العلماء يبتغون ان يجزئوا ذرات الرصاص مثلاً الى الدقائق المبنية منها ثم يعيدون بناءها في شكل آخر ليصنعوا منها عنصراً نادراً كالذهب مثلاً . فكانهم يملكون احجاراً وطيناً فيستطيعون ان يبنوا بها قصرأ او سجنأ او زريبة كلاب ولكن المسألة لا تبلغ هذا المبلغ من السهولة ، للاستباب التي يبتناها . والمحاولات القديمة لم تصب كثيراً من النجاح . واذا كان احد العلماء قد حوّل ذرة الى اخرى في المعمل —

وهو امر لم يثبت بعد — فالنجاح نجاح علمي مجرد ، والمقدار الذي صنع من العنصر ضئيل جداً لا يمكن تبيينه إلا بألة الحل الطيني (السبكتروسكوب)

ولا ندس ان ذرات بعض العناصر تتحطم تحطماً مستمراً في حالتها الطبيعية . فاذا راقبت ميناء ساعتك المضيئة في غرفة مظلمة فأنت تشاهد ذرات تتحطم . فذرات العناصر المشعة في تحطيم مستمر . تنطلق منها دقائق وتتحوّل الى ذرات عناصر اخرى . اي انها تنصل . ومن نكد العلم انه لا يستطيع ان يغير هذا الانحلال اسراعاً ولا ابطاءً ، لا بالحرارة ولا بالبرد ولا بالضغط ولا بغيرها من الوسائل الطبيعية او الكيميائية على ما نعلم

فاما اكتشف الراديوم رأى العلماء رؤى ، فتصوروا انفسهم وقد اخذوا بناصية القوة عن طريق تحطيم الذرات . ذلك انهم وجدوا ان كتلة صغيرة من الراديوم ، تطلق في اثناء حياتها الطويلة طاقة تكفي لتسيير باخرة كبيرة بسرعة ٢٥ عقدة في الساعة . ولكنهم خذلوا لما وجدوا انهم لا يستطيعون ان يسرعوا انطلاق القوة من الراديوم . فما ينطلق من الكتلة الصغيرة في مليون سنة مثلاً لا يمكن ان يطلق في ساعة او يوم او شهر . ضعه في الهواء السائل او في اتون حامٍ ، فلا تتغير سرعة انطلاق طاقته . ولو انهم استطاعوا ان يفعلوا ما تصوره لقات عنايتنا بالفحم والزيت ونفادها . ولكانت مقادير الراديوم القليلة في العالم كافية لتجهيز ما نحتاج اليه من القوة المحركة . ولكن لو ... هذه وقفت في سبيلهم سداً منيعاً على ان ثمة فرقاً كبير بين مراقبة الذرات تتحطم وتعيد بناءها من تلقاء ذاتها ، وبين تحطيمها واعادة بناءها بحسب ما نريد ؟ يقول الاستاذ لو العالم والمستنبط الانكليزي : —

ولا ريب في حلول يوم يتناول فيه العالم الالكترونات والبروتونات ويلعب بها كما يتناول الطفل الحجارة . قد لا يحلّ ذلك اليوم قبل جيل او اجيال ولكن لا ريب في انه آت . حينئذ يستطيع العالم ان يحذف من هنا بروتوناً او يلجم هناك نيوتروناً او يعيد هنالك ترتيب الالكترونات فيحصل على المادة التي يطلبها . وبعد ذلك لن يخامرنا خوف من نفاد اية مادة من مواد الصناعة لان في طاقة العالم حينئذ ان يحوّل الصخور الى ذهب والتراب الى رصاص ومن الخطأ البالغ ان نحسب اننا نعرف كل ما يمكن معرفته عن الذرة . فالعلم بالبحث حي ، ولا تقيمن الوزن لعالم يدعي انه وقف على التعليل النهائي لأية ظاهرة من الظاهرات . وقد يسفر البحث عن ان كلا من الدقائق التي تتركب منها الذرة — الالكترون والبروتون والنيوترون — بناءً معقد . وليس الزمن الذي كان فيه العلماء يحسبون الذرة اصغر دقائق المادة التي لا تتجزأ بمعيد . فلو اتبعت لدلتن ان يقرأ الآن كتاباً حديثاً في علم الطبيعة لدهش . وقد يشفق علينا حقدتنا اذ يقرأون عن محاولتنا الضعيفة لتحطيم الذرة ومعارفنا الناقصة عن بنائها

مولد المأساة

BIRTH OF TRAGEDY

وردتنا في أوائل الصيف مقالتان في موضوع قلما يطرقه أدباؤنا وهو الادب الاغريقي
فقدما مقالة نشأة المسرح الاغريقي (مقتطف اكتوبر ١٩٣٢) على مقالة مولد المأساة لانها
أعم وفهم الثانية بعد مطالعة الاولى أقرب منالا

اشهر فردريك نيتشه الفيلسوف الالماني المعروف بموضوعين ، قتلهاما بحثاً وتنقيباً ، هما
الادب الاغريقي وفلسفة الاجتماع . استغرق تأليفه في القسم الاول سبع سنين من حياته وتمتاز
مؤلفاته في هذه المدة بصفتها الكلاسيكية الفلسفية الصبغة ومن اهم تلك المؤلفات واشهرها :
مولد المأساة : طبع هذا الكتاب سنة ١٨٧٢ واطاف اليه مقدمة خطيرة سنة ١٨٨٦ تغلغل به
في ابحاث الادب الاغريقي ، وبرز من زواياها خبايا الحقائق في التاريخ وفي الفن . فجلى الاصول التي
منها نشأت المأساة ، والاطوار التي تعاقبت عليها

الالهان : ديونيسوس وابلون

هنالك كلمتان هما مفتاح مؤلفات نيتشه الاغريقية ، وكثيراً ما ترددتا في كتاباته ، وفيهما
الكشف عن اصل المأساة وهما ديونيسوس وابلون الاول اله الخمر والمرح ونزق الشباب . والثاني
اله الفن والتعبّد والترصّن . والنسبة اليهما الديونيسية والابلونية . تمثل الاولى الهمة
الوثابة في عالم الطرب والمرح ، عالم الموسيقى والاغاني والرقص والخلاعة والحركات المعربة عما
انطوت عليه الاضالع من الانفعالات الغرامية والمجونية ، المتحكممة في النفس في شرح الصبا .
وتمثل الثانية جمال الجنس وثقاوته ورصانة الطلعة والوقار . شرحها فوجيه في كتاب خاص قال : —
هنالك جنس أحبّ الجمال والحياة دون ما سوى . واختصّ بحبه الحياة والقوة والتفوق
والمرح . يُدعى الاغراق في هذه الاشياء : النفس الديونيسية : لكن ذلك الجنس أحبّ
ايضاً الجمال والطهارة والاتزان والتقوى . ذلك ما ندعوه : النفس الابلونية

اقرنت هاتان الرغبتان في ادراك الاوليبيا . والاوليبيا معنى الكائنات السامية المملكة القدرة
والجمال ، المعتزّة بتأكيدها خلودها — بارادة الحياة — والخلود كلمة فقدت قوتها لكثرة
التكرار . فهي تعني عدم الشبع من الحياة ، والرغبة في دوامها الى الابد . ولما كانت تلك
الكائنات مسرورة ايضاً بالجميل ، وهي تتأكّد جهالها ، وتروم دوامه كان الاولميّ ذلك الشخص
الذي في نفسه كلتا الصفتين ، الديونيسية والابلونية . فالنفس الابلونية مثال النظام والتعمق
والارتكاز . والفن الديونيسي مثال الموسيقى المرتبكة ، مثال الانفعال . وقد عرفنا اتجاه كل

منهما ضد أخيه . على أنهما اقترنا اقتران الزوجين على ما فيهما من تضاد فوسفقا في انتاج انجب المواليد . فمداً بينهما جسراً هو فن المأساة . فالمعجزة الهيلينية زواجهما فولادتهما المأساة . وكيف ذلك ؟ تشبّه الابلونية بحلم الجمال ، والديونيسية بحال السكر . فنرى في ابلون مثلاً الهياً مجيداً . وصفه شوبنهاور وصفاً شعرياً تصويرياً قال : — رعبة مخيفة تملك على المرء شواغره فتغادره ذاهلاً جامداً كالصخر الأصم لأحسّ ولا انس . فيحسب الدهن في اوضع ظاهراته حالة استثنائية بازاء ما حصل في نفسه من الغيبة الساحرة التي بلغت عمق اعماق وجوده . اضف الى ذلك رعبة الدهول الفني الناشئ عن الانفعال الحاصل في قرارة النفس . اذ يشعر الذاهل بفقد وجوده الفردي المستقل فكأنه أصبح جزءاً من اللامتناهي . هذا هو موقف المرء امام ابلون

في غمرة هذا الاختبار الفريد تقع الدين على الكائن الديونيسي الذي يمثل حالة السكر والتمول ، الذي يستولي على العقل ، اما بتأثير مجالي الربيع وظاهرات شواغر النفس للهيام ، والثورة على الهدوء والجمود ، او بتأثير المغيبات ، كما روت لنا ذلك اشعار الاقدمين والمحدثين . فبهذا وبذلك تبعث النفس امواجاً من الحبور والبهاء فتستيقظ عواطف الديونيسي في غيبة زول عندها الذات . بعد ما تبين القارئ المراد بالديونيسية والابلونية يتقدم نيتشه لبسط الكلام في الموضوع . قال : —

كان الفن الاغريقي والتمدن الاغريقي ، على ما نعلم ، ابلونياً واهياً . والمأساة عندهم قرينة الديانة ووليدتها . ادخل اليهم الفينيقيون ديونيسوس آله الخمر . فضموا اليه باخس وغيره من الآلهة ، مع ابلون آله الشمس واخته ديانا الالهة القمر . وكان خدامه (الكهان) يلبسون جلود الذبائح المقدمة له في الحفلات والاعياد . وهؤلاء هم الساتيريون — جمع ساتير — وساتير مخلوق خرافي عندهم نصفه انسان ونصفه تيس (ذكر في التوراة مع الاشارة الى ما كان يجري في تلك الحفلات الدينية من الرقص التمثيلي بجلود المعز . جاء في اشعيا ص ١٣ عدد ٢١ : بل تربض هناك وحوش القفر ، ويملاّ البوم بيوتهم ، وتسكن هناك بنات النعام ، وترقص معز الوحش : فمعز الوحش ساتير الذي كان يمثل عباد باخس) اقول ، كان الكاهن او صديقه يلبس جلد التيس مقنعاً كأنه يمثل « ساتير » ويرقص ويرنم منشداً اغاني باخس آله الخمر المعروف ، ويونيسوس زميله ومثيله . ويقال ان آلهة المأساة اربعة هم ديونيسوس وباخس وابلون وديمترىوس . وان المأساة من اصل خمريات باخس . نشأ ذلك في نحو القرن السادس قبل المسيح . فيقف الشاعر على منصة عالية ليراه المحيطون به ، ويقف معه الكاهن او الزعيم . فيشرع في تلاوة الاغاني ، او الالتقاء ، وزعيم المرنمين يتلقى منه ذلك في صورة محاورة تشتمل على اساطير الاولين والكائن في الوسط . والمرنمون يحيطون به في شكل نصف دائرة تجاه

المنهج . وقد اضاف (ثيبس) القناع الى هذه الهياة والمقصود منه اخفاء حقيقة الممثل من العامة فكانوا يحسبون « ساتير » ومثله واحداً

بدأ هذا الطقس المقدس عندهم — على ما روى نيتشه — اورفيوس او بروميثيوس ، الذي سرق نار الآلهة من السماء ، وهبط بها الى الارض . فأضرم في صدور الاغريق تلك الجذوة التي اضرمت اوربا والعالم . وهي مثل نار (هورمز) التي لا تطفأ . اقول : كان ذلك الفن الالهى الرصين يملأ فراغ النفس في العهد الدوري والابلوني والاتيكي . فيقود الشعب الى مظاهر الورع والتعبد ومراسم الخشوع والتأدب . ففاجأه في المشهد ديونييسيوس الموسيقي المرح . اراد نيتشه ان يقول انه طراً على المسرح الديني روح علمانية تخاطب نفوس الشبان بلا استئذان ، فتخلب الالباب وتستلب ائمن ما دخر في مخابيء الحياة . فراع العنصر الابلوني ذلك وحسب اصحابه له أي حساب . هذا كان موقف الديونيسي والابلوني في مسرح باخس . وما عثم ان اقترنا اقتران الذكر والانثى فولد الفن السامي ، وخريات باخس ، والمأساة . هذه هي ذرية الآلهي . الفن . فقد توج قراهما بالامجاد بعد معارك طاحنة ختمت بميلاد انتيفون وكندرا . كان الوسط التاريخي والمسرحي مسقط رأس المأساة في حفلات باخس ، الذي ترى صورته في الآثار اليونانية طفلاً يلوذ بأمه او بالكبرمة . وهو لا يريد ان يدرك من الحياة سوى معنى المرح والاستسلام البريء . وكان المرغون ينشدون الترانيم المنطوية على التسبيح والتعظيم والعامة يحسبون « ساتير » شخصاً حقيقياً . وذلك يعرب عن امياله الفطرية للحرية والقصوف ، والرغبة في الحياة بحسب الفطرة ، على اكثر مما عناء جان جاك روسو لما ارسل بداءه الذي هز به اوربا قائلاً : عودوا الى الطبيعة :

استمال ممثلو « ساتير » ألباب الاغريق الذين كانوا يحبون ان يروا الآله في شخص الممثل المقنع . في وسط تلك الهياة المسرحية بدأ فرينيكس المأساة . ومن ابطالها الاولين اسخيلس سنة ٥٢٥ ق . م . وصفوقليس سنة ٤٩٥ ق . م . ومن قبلهما ثيبس مستنبط القناع كان هسيودس الشاعر اشد الابلونيين تطرفاً . ودونه في ذلك هوميروس الساذج (وكلمة ساذج هذه من مخرجات الشاعر شلر الالماني الشهير . ومعناها الاصلي على الفطرة) وكان ممثل العنصرين الابلوني والديونيسي ، ارخيلاوس الشاعر الغنائي . ثم تلاءمت الابلونية والديونيسية ، فجمعتا بين الطقس الديني ورغبة الانسان الفطرية في المرح والسرور . وليس الامر خيالاً عند الديونيسي . لانه كشاعر يرى التطبيق في اول مراتب الشأن . وهو يرمي الى تجلية حقيقة الحياة بالأمها وتقاليدها . والشعر اليوناني القديم يرمي الى الحقيقة دون الخيال . فأنشأ الشاعر الديونيسي مجلي هذه الحقيقة وهي نقطة تحول في حياة المأساة . بها تخرج من طور الى طور . وقد حمى الوطيس بين اسخيلس وصفوقليس في اي التفسيرين اجدر بالاتباع

وآراء نيتشه ثقة في هذا الباب في اواخر القرن التاسع عشر . فأبان ان المأساة عنيت أولاً
بديونيسيوس الذي ظهر في المسرح (اي أكثر من عنايتها بابلون)
تمام الانتقال

اجتمعت العناصر الآتفة الذكر ، الابلونية ، والديونيسية ، وحفلات باخس ، والتمثيل
الديني ، ورغبات العامة الفطرية ، وبقيت حلقة واحدة بها تم ولادة المأساة . تلك الحلقة هي :
تحويل التمثيل من الآهي الى انساني : ومن ديني الى علماني : والذي قام بهذه الحلقة هو
يوريبيدس ، استاذ سقراط . هذا عرض أولاً على المسرح روايات تنطوي على احوال الحياة
اليومية . فأخات الآلهة المسرح للناس . والبشر نفعيون أولاً وآخراً . فيؤثرون مصالح
الحياة اليومية على شؤون الآلهة . فكان امراً طبيعياً التفاتهم الى التمثيل المسرحي العلماني ،
شأن التاريخ في كل ادوارهم ، يبدأ في السماء وينتهي على الارض ، يبدأ في جنة عدن وينتهي
في الشوك والحسك خارجاً . يبدأ في مقبب الفلك بين الآلهة والالاهات وينتهي على
ضفاف الانهار وفي الانجاد والاغوار . يبدأ في عالم الشعور والاحلام وينتهي في تقرير الواقعيات .
ذلك ما حدث للمسرح بزعامه يوريبيدس . على ان التطور في الدراما كما في غيرها من حلقات
سلسلة الارتقاء لم يتم الا تدريجاً . ومع ان المأساة لم تبصر ابلونية لا يمكننا حسابها ديونيسية
صرفة . فهي طبيعة فنيّة

جاء سقراط اثينا فاذله اندفاع الناس وراء الحسيات بالحوافز الفطرية . وفي كلمة فطرة ناس
اتجاه سقراط ولباب فلسفته . ففند سقراط تلميذ يوريبيدس الفن النماشي باثينا ، كما فند الاخلاق
والميول السائدة . وحيث اتجهت السقراطية تبينت نقص الاخلاق وسيادة الاوهام . فرأت
من ذلك زيغ الاحوال وفسادها . ورسخ في نفس سقراط انه رسول الاصلاح العظيم .
فدخل المعلمان اعزل ، يدفع عن مصلحة الامة والفن لتحريرها من فساد الشهوة والبطر

قال نيتشه : يسودنا التردد بديهية في امر سقراط . فمن هو هذا الاعزل الذي يرمي الى
قلب الصبغة الاغريقية ومن ابطالها : هو ميرس وديونيسيوس واسخيلس وفيدياس وبيركليس
وبيثا ويندار اسمي ابطال — الاغريق وابعدهم غوراً . افيستحق سقراط هذا اعجابنا ؟ ويل ويل لك
يا سقراط ! فقد حطمت الفن الجميل بلكمة واحدة ولا يزال العالم مكبلاً بالثقافة السقراطية التي
نقلتها اليها الثقافة من الاسكندرية . وآثار سقراط بادية في كل ما نمتد اليه ايدينا . وان من تصور
ذلك يصرخ قائلاً : — ما اعظم ديونيسيوس في وسطك ايها الجنس الهيليني : فيرد عليه
شيخ توج الشيب هامته : — بل قل ايها الاجنبي ما اعظم ما تحمّل هذا الجنس من الآلام
حتى ابرز ذلك الجمال . ولكن اتبعني الى تمثيل المأساة ، وشاركني في التضحية في هيكلي

مهاتما غاندي

— ٤ —

— طلب العلم في لندن —

غاندي في السجن أو خارجة قوة تحاذر . ففي بلاد يكثر فيها الجوع ، أيقام لصومه وزن كبير . فتتحرك طبقات الهندوس وتميز الامبراطورية البريطانية وتردد اصداؤه وانباءه صحف العالم في الشرق والغرب . ولا يخفى ان غاندي نقل الى سجن بونا . بعد استئنافه للعصيان المدني ، على اثر انتهاء مؤتمر الدائرة المستديرة في يناير الماضي . ينال فيه في الفضاء ويستيقظ في الساعة الرابعة كل صباح ليقوم بفروض الصلاة ، ثم يمشي نحو ساعتين في حظيرة لا يزيد طولها على مائة ذراع ثم يغزل القطن ثم يطالع

وماذا يطالع غاندي في سجنه ؟ لقد قرأنا في احدي صحف الغرب انه قرأ في خلال العام الماضي التوراة والانجيل — طبعة الملك جيمس — والقرآن . ثم كتباً مختارة لسكن الانكليزي وقولستوي الروسي وتورو الاميركي

ويقال ان حكومة الهند عينت نحو عشرين غرضاً لتنفق على طعامه وما يحتاج اليه في السجن ولكنه لا يكلفها اكثر من خمسة قروش لانه لا يتناول الا العنب ولبن الماعز وكنا قد نشرنا في مقتطف ابريل ومايو ويونيو ثلاثة فصول في طفولة غاندي وحدائمه تلخيصاً عن الكتاب الذي كتب فيه سيرته بالاشتراك مع المستر اندروز الانكليزي . وهذا فصل رابع يصف فيه حياته في انكلترا في اثناء طلب العلم فيها جدير بان يطالعه كل شاب يطلب العلم في انكلترا او غيرها

زار دكتور « مهتا » حجرتي وتفقد محتوياتها ، ثم هز رأسه علامة على عدم الرضا عنها ثم قال « هذا المكان لا يليق . إننا لا نهبط لننزل للدرس ، بقدر ما نهبطها لممارسة الحياة والعادات الانجليزية ، ولهذا يجب عليك ان تعيش في اسرة . ولكن قبل ان أقدم على هذا اظن انه يحسن بي أن اعهد بك لاحد اصدقائي لتدرس الحياة وتمرن عليها »

ولقد قبلت هذا الاقتراح بكل شكران ، وانتقلت توجاً الى سكن ذلك الصديق . وكان هذا الصديق مثال الرأفة والتيقظ ، فعاملني معاملة الأخ وأخذ يعلمني اصول السلوك الانجليزي . على ان غذائي اصبحت مسألة معضلة . وكنت لا استسيغ الخضر المسلوقة من غير توابل . وتحيرت ربة البيت فيما يمكن أن تجهز لي من غذاء . وكنا نتناول عصيدة القرطم للافطار فكانت كافية ، ولكنني كنت اشعر بالجوع في وجبتي الظهر والمساء . وحاول صديقي الذي عهد بي اليه دكتور « مهتا » أن يغريني بأكل اللحم ، ولكنني كنت اذكر له عهدي الذي عاهدت عليه امي ، واطل صامتاً ، اما وجبتا الظهر والمساء فقد

اعتدنا ان نتناول فيهما الاسفناخ والخبز والمربي . وكانت شهيتي غالباً ما تقوى ، ولكنني كنت اخجل من ان اطلب اكثر من قطعتين او ثلاث قطع من الخبز ، معتقداً انه ليس من حسن الذوق أو الادب في شيء ان افعل غير هذا . وكنا لا نتناول اللبن في غير الصباح . ولقد امتنع صديقي يوماً من هذه الحال فقال لي بصراحة : « لو أنك كنت اخي ، اذن لامرتك بالاسراع في حزم امتعتك . ما هي قيمة عهد تعاهد عليه أما غير مثقفة جاهلة بمجري الاحوال هنا . ان عهدك هذا ليس عهداً على الاطلاق . انه لا يعتبر عهداً صحيحاً امام محكمة قضائية . وصبرك على الاخذ بمثل هذا الوعد ليس اكثر من خيال ووهم فارغ . وعكوفك عليه لا يعود عليك بأية فائدة هنا . انك اعترفت انك اكلت اللحم . وتذوقته . ففعلت هذا في وقت لم يكن اكل اللحم فيه ضرورياً ، وتمتنع عنه في وقت تدعوك الحاجة اليه . ولكنني ظلمت صلباً ولم تلن قناتي

وكثيراً ما كان يستمر هذا الصديق في سرد براهينه ، ولكن كان عندي قوة سالبة استقرت في نفسي اواجهه بها كلما لج في الكلام والتدليل على صحة رأيه . وكان كلما امعن في محاوراته ، امعنت في عنادي . وكنت اصلي لله كل يوم ليحميني ، فخاني . ولم يكن عندي اية فكرة بديلة في الله . بل كان مجرد إيمان اثر اثره . اما هذا الايمان فقد غرسته في نفسي مربيتي عثرت خلال تجوالي في المدينة على مطعم للنباتيين في شارع فرنيهدون . وكان لمجرد وقوع نظري عليه هزة فرح في نفسي كنتك الهزات التي يشعر بها الأطفال لدى عثورهم على شيء تعلقت به قلوبهم الطاهرة . ورأيت قبل ان ادخل المطعم ومن وراء الزجاج ، كتباً عرضت للبيع ومن بينها كتاب « صولت » الذي عنوانه « الدعوة للحياة النباتية » فاشتريته بشلن واحد ودلفت توجاً الى حجرة الطعام . وهناك تناولت اول وجبة ارضتني منذ هبطت ارض انجلترا ، وشعرت بان الله ساعدني وأخذ بيدي

قرأت كتاب « صولت » من ألفه الى يائه ، فأثر في كل تأثير ولما قرأته ، اصبحت نباتياً بالاختيار ، واني لا بارك ذلك اليوم الذي طأته فيه أمتي على ذلك العهد . ولقد كنت امتنع من قبل عن اكل اللحم احتراماً للصدق وللعهد الذي قطعته لامي ، ولكنني كنت أرغب من كل قلبي في ان يصبح كل هندي من اكلة اللحوم . وكنت اتطلع الى حلول الوقت الذي اكون فيه واحداً منهم أعالج الأمر بحرية وجهر وادعو غيري اليه . ولكن اختيارني الآن مال بي الى ناحية الحياة النباتية والتبشير بها اضحى كل همي

وظهر لي ان الملابس التي قدمت بها من « بومباي » لا توافق ذوق المجتمع الانجليزي فبدلتها بملابس أوصيت عليها في مخازن الجيش والبحرية . واشتريت قبعة حريرية كلفتني تسعة عشر شلناً ، ولم اكتف بهذا فاتفقت عشرة جنهيات على بذلة للسهرة اوصيت عليها في

محل « بيوند ستريت » وكتبت لآخي ليرسل اليّ سلسلة ذهبية . ورأيت أنه ليس من حسن الذوق ان البس رباط رقبة مربوط ، فتعلمت كيف اربط رباط الرقبة بعد مرانة عليه . ولم اعتد في الهند النظر في المرأة ، بل كانت المرأة من ادوات الترف لا النظر فيها الا في اليوم الذي يزورنا فيه حلاق الاسرة . اما في لندن فكنت اقضي كل يوم عشرة دقائق امام مرآة كبيرة ، انظر فيها كيف أعدل رباط رقبتي وامشط شعري على طريقة مألوفة ولم يكن شعري ناعماً فكانت تقوم في صبيحة كل يوم معركة مع المشط والفرشاة حتى يستقيم وتسفر المعركة عن توليفه بطريقة منتظمة . وكنت في كل فترة اخلع فيها القبعة او اضعها فوق رأسي ، تمر يدي على شعري بطريقة اوتوماتيكية لاصح شعري واحفظ نظامه .

وكل هذا ايضاً لم يكن كافياً . فبدأت اوجه انتباهي الى تفاصيل اخرى . فرضت اني اذا عكفت عليها استطعت ان اخرج من نفسي سيداً كريماً (جنتلمان) على الطراز الانجليزي . وقيل لي انه من الضروري ان اتلقى دروساً في الرقص واللغة الفرنسية وفن اللقاء . فصممت على ان ادرس الرقص في معهد ، ودفعت ثلاثة جنيهات اجراً على دورة لتعلم الرقص مدتها ثلاثة أسابيع . وكنت احتاج الى ستة أسابيع لاعرف كيف ارقص ولكني وجدت اني عاجز عن أن اقوم بحركات متزنة مؤتلفة ، لاني لم اكن استطيع ان اتبع توقيع البيانة ، فيستحيل عليّ ان اوفق بين حركة اقدمي وتقسيم التوقيع . ولكن ماذا أفعل ؟ تروي اسطورة ان ناسكاً احتفظ بهرة في منسكه ليقاوم الفئران ، ثم ببقرة لتغذي الهرة بلبنها ، ثم برجل ليعلم البقرة ، وهكذا . ولا ريبة في ان مطامعي اخذت تتكاثر ويتبع بعضها بعضاً ، مثل الناسك . ففكرت في أن اتعلم العزف على الكمان حتى اعود اذني على أنغام الموسيقى الغربية وتوقيعاتها . فاشتريت كماناً بثلاثة جنيهات واضفت الى الجنيهات الثلاثة مبلغاً من المال اجراً للمعلمة ، واخذت ابحت عن معلم ثالث ليعلمني فن اللقاء ، ودفعت له جنيهاً لأبدأ عليه درسي وامرني بان اشترى كتاب « بل » — Bell — في فن اللقاء ، فاشتريته غير وان

غير ان كتاب « بل » هذا كان اول شيء قرع « الناقوس » ^(١) في أذني فصحت من هذه الغفوة النفسية . قلت في نفسي « انك سوف لا تقضي عمرك في انجلترا ، فما الفائدة في تعلم فن اللقاء ؟ » والآن « هل من الممكن أن أصبح بتعلم الرقص جنتلماناً ؟ » والكمان عجزت عن تعلمها حتى في الهند . وما دمت في طور التلمذة ، فيجب عليّ ان اعكف على دروسي فاذا أهلت بي اخلاقي لان تخرج مني جنتلماناً فهذا خير من كل ما عداه . وعلى هذا اوجبت على نفسي أن اترك كل هذه الاشياء

اكتنفتني هذه الافكار ومثيلاتهما ، وكتبتها في خطاب ارسلت به الى معلم فن اللقاء

(١) بين كلمة « بل » وهو اسم مؤلف الكتاب وكلمة ناقوس جنان ، لان الناقوس في الانجليزية اسمه « بل »

راجياً أن يعفيني من أتمام دروسي . ثم أرسلت بخطاب آخر إلى معلم الرقص ، وذهبت بنفسني إلى معلمة الكمان ، لاعتذر إليها ولأقول لها بأنها تستطيع أن تتصرف في الآلة الموسيقية بأي ثمن يمكن الحصول عليه . كانت مخلصه ودودة ، فأخذت تظهر لها كيف أنني تبيّنت أخيراً أنني إنما أتبع أملاً خاطئاً ، فشجعتني على أن أتابع ما صممت عليه من تغيير خطتي تغييراً كلياً . ولقد استمررت ولعبت بهذه الأشياء ثلاثة أشهر . أما المحافظة على هندامي فقد استمررت سنين عديدة ولكنني رجعت على كل حال تلميذاً ، بعد أن تخلّيت عن افتتاني هذا

وليس من حق أحد أن يظن أن تجاربي في تعلم الرقص وأمثاله من الأشياء كان طوراً من أطوار الانغماس في الملذات قطعته في حياتي . فاني حتى في أثناء ولعبي بهذه الأشياء ، كنت مالكا لكل قوى نفسي ، ولم يتحرر طور افتتاني بهذه الخيالات من تأمل صميم كنت أقع صريعة الفينة بعد الفينة . وكنت أقيد حسابي فلا أهمل ذكر المليم والدائق الذي أصرّفه . وبدأت أناقش نفسي في نفقاتي ، فاستبان لي أنه من الضروري أن اقتصد . وعلى هذا صممت على أن أخزل نفقات حياتي إلى النصف . فقد استبان لي من مناقشة الحساب أن أبواباً كثيرة تذهب أجوراً . ووجدت من جهة أخرى أن معيشتي في وسط أسرة يستدعي أن أدفع حسابي كل اسبوع . فأقلعت عن عادة التعجب إلى أفراد الأسرة بدعوتهم إلى الطعام ، كما رفضت أن أقبل دعواتهم إذا انصرفوا إلى الزهرة أو اللهو . وكل هذا كان يستدعي زيادة في النفقات . فإذا كانت رفيقتك في الزهرة سيدة وجب عليك أن تقوم بكل النفقات . وظهر لي أيضاً أن الأكل خارج المنزل كان اسرافاً ، لأن كل الوجبات التي لا أتناولها في المنزل لا تنقص من الحساب الأسبوعي شيئاً . ولماذا لا أوفر على نفسي كل هذه الأبواب ؟

صممت على أن أؤجر حجراً مستقلة ، بدل أن أعيش مع أسرة ، وبذلك أتمكن من الاختلاف من مكان إلى آخر على مقتضى طبيعة أعمالي التي أقوم بها ، فأكسب تجربة وعلماً . فانتقيت الغرف التي أجرتها بحيث كانت لا تبعد عن محل عملي أكثر من نصف ساعة مشياً على القدم ، وكذلك أخذت اقتصد في الأجور التي أنفقها . وكنت قبل ذلك لا أنتقل من مكان إلى آخر إلا ركباً ، قائلاً أنني أستطيع أن اقتصد من الوقت ما أقضيه في الزهرة ماشياً . أما الترتيب الجديد فكان زهرة واقتصاداً ، إذ استطعت أن اقتصد أجور الانتقال وإن أقطع كل يوم ثمانية أو عشرة أميال سعيّاً على قدمي . ولقد أفادتني عادة المشي فوائدها جلياً ، فحفظتني من الأمراض طيلة مقامي في إنجلترا ، وأكسبتني قوة في البدن وشدة في الأصلاب

حدث بعد هذا بقليل أن قرأت كتباً في الحياة البسيطة ، سارعت بعدها إلى ترك حجراتي واستأجرت بدلاً منها حجرة واحدة مهيأة بمذفاة ، ومضيت أجهز افطاري بنفسني وفي حجرتي ، ولم يكن يشغلني هذا أكثر من عشرين دقيقة ، إذ لم يكن لي من حظ في وجبة الصباح أكثر

من عصيدة القرطم وماء ساخن للكاكو. وبهذا استطعت ان اعيش بشلن وثلاثة بنسات كل يوم . وكان هذا الوقت وقت اكباب على الدرس وافتتان به . ولقد وفرت عليّ هذه الحياة البسيطة كثيراً من وقتي ، فاجتزت الامتحان . على ان هذا الاقتصاد لم يجعل حياتي جافة كما يخیل الى البعض . بل على الضد من هذا ، فان التغيير الذي ادخلته على نمط حياتي اكسبني ألفة شحات حياتي النفسية والجسمية . بيد أن الطريقة التي اتبعها كانت تلامس موارد اسرتي ، فضلاً عن أنها كانت اقرب للاستقامة ، فعمّ نفسي بذلك فرح لا يوصف

منذ اربعين سنة خلون لم يكن في لندن من الطلاب الهنود سوى عدد ضئيل . وكانت العادة ان يعيش هؤلاء عيش العزوبة ولو كانوا متزوجين . ذلك لانه يشترط في طلاب المدارس والجامعات ان يكونوا غير متزوجين ، لانهم يعتقدون هنالك ان حياة الطلب والدرس لا تتفق مع الزواج . وكانت لنا هذه العادة في الهند خلال الازمان القديمة ، ولكننا استبدلناها في العصور الحديثة بزواج الاطفال ، وهي عادة غير معروفة في انجلترا . وكثيراً ما كانت تعلق حمرة الخجل وجوه شباب الهند عندما يضطرون الى الاعتراف بانهم متزوجون . ولقد اخذتني عدوى هذه العادة فقيدت اسمي أعزبا ، على الرغم من اني كنت متزوجاً وني ابن . ولكنني لم أكن سعيداً بان اشعر اني خادعت ورائيت . ولكن خجلي وصمتي وتكتمتي ، كل هذه الاشياء حملتني عن ان أدلف الى اعماق اشد غوراً

كنت مرة في صحبة اسرة من « قنتور » امضي اجازتي . والعادة في مثل هذه الاسر ان تصحب الفتاة بنت صاحبة البيت ضيوف اهلها للنزهة والتريخ . فاصطحبتني الفتاة يوماً الى تلال جوية هادئة تحيط ببلدة « قنتور » ولست ممن يتشدون في المشي ، ولكن رفيقتي كانت اسرع مني خطأ ، فخرتني وراءها واخذت تثرثر طيلة الوقت . وكنت اجيب على ثرثرتها المرة بعد المرة بكلمة « نعم » او « لا » ، وفي بعض الاحيان بكلمة « نعم . ما اجل هذا او ذاك » . وكانت كأنها طير يطير ، وظلمت أفكر متى نعود الى المنزل بعد ان ضربنا في المسير وبلغنا قمة تل . ولكننا لم نكد نعتلي القمة حتى اخذت افكر كيف نهبط مرة اخرى . وعلى الرغم من حداثتها العالي الكعب ، فان هذه السيدة التي كادت تتجاوز من العمر الخامسة بعد العشرين ، هبطت من فوق التل كأنها سهم زل عن كبد القوس . اما انا فكنت في حيرة الخجل أجاهد لاهبط ذلك المرتقى الوعر . ووقفت هي تبتمسم وتشجعني وتعرض عليّ ان تأتي لنجدي . وبكل ما يمكن ان يتصور ذهني من الصعوبة اخذت اطال الامر فأساند مرة وأزحف على ركبتي اخرى حتى استطعت ان اهبط الى سفح التل ، فصاحت بملء فيها « براشو » . ولكن ضحكاتها اوقعتني في خجل مرير لا استطيع وصفه

غير اني لم استطع ان افلت من غير اضرار . لان الله اراد ان يخلصني من سرطان الكذب والبهتان

ذهبت مرة الى « بريستون » ، وقابلت هناك أرملة عجوزاً معتدلة الثروة . حدث هذا خلال السنة الاولى من اقامتي في انجلترا . وكان جدول الطعام في الفندق مكتوباً بالفرنسية التي لا اعرف منها الا القليل . وجالست الى المائدة التي جالست اليها هذه الارملة . وقد لحظت اني غريب واني مرتبك ، فسارعت الى مساعدتي . بادرتني قائلة : « يظهر انك غريب وانك مرتبك . لماذا لم تطلب شيئاً ما » ؟ فشكرتها وابنت لها عن الصعوبة التي تعترضني لاني لا استطيع ان اميز بين الوان الطعام وأيها يتفق وخطة النباتيين لاني لا اعرف الفرنسية الا جهداً فقالت : « اسمح لي ان اساعدك . سأوضح لك الالوان وارشدك الى ما تأكل » . وكانت هذه بادرة علاقة استحالت الى صداقة استمرت طوال مقامي في انجلترا وزمناً طويلاً بعدها . واعطتني عنوانها في لندن ودعتني الى الغداء في بيتها كل يوم احد ، فكانت تحتفي بي وتقدمني الى فتيات وتحملني على الاشتباك معهن في الحديث . وكان من بينهن على الاخص سيدة فتية كانت تقيم معها ، وغالب ما كانت تتركننا معاً في وحدة شاملة

شعرت اولاً بان الامر شاق متعب . فكنت لا استطيع ان ابدأ حديثاً ، ولا اقدر على ان اشترك في فكاهته . ولكن هذه السيدة الفتية قادتني الى الطريق ورسمت لي الخطة . وبدأت التعلم . ومع مرور الزمن بدأت اشوق الى يوم الاحد من كل اسبوع ، واخذت أميل الى التحدث الى صديقتي الشابة

واخذت الارملة العجوز تمد اطراف شباكها يوماً بعد يوم . كانت تظهر الاهتمام بمقابلاتنا . وليس من البعيد انها كانت تخطط من حولنا خطة تحاول تنفيذها . فتولتني حيرة مزعجة . كيف اقوى على ان اخبر ربة البيت باني متزوج ؟ غير اني تمنيت لو اني اخبرتها . اذن لرأت ان من الصعب عقد خطبة بيننا . ولكن الوقت لم يكن قد فات بعد . ورأيت ان اعلان الحق كفيل بان يوفر عليّ تعساً اكبر من التعس الذي اشعر به . وبهذه الفكرة كتبت لربة البيت خطاباً جاء فيه :

« لقد شملني عطفك منذ ان تقابلنا في بريستون لأول مرة ، حتى انك عنيت بي كما تعني الام بابنها ، وفكرت في ان اتزوج ، واخذت تقدميني لفتيات لأعقد معهن يوماً او اصر الالفة والصداقة . ولا اني لا ارجو في ان تمادى الامور الى أبعد مما وصلت الآن ، اصارحك باني لم اكن خليقاً بعطفك هذا . كان من الواجب عليّ ان اعرفك منذ بدأت زيارتي لمنزلك اني متزوج . فقد عرفت ان طلبة العلم من الهنود يخفون في انجلترا امر زواجهم ، فتابعهم في هذا . واني لا آسف لاني اضطررت لان اخفي عنك الحقيقة طوال هذه المدة . ولكنني الآن مغتبط لان الله قد أمدني بشجاعة حملتني على ان اقول الحق وان اصارحك به . فهل لك ان تغفري لي ؟ واني لا أؤكد لك باني لم اتجاوز حد الآداب مع السيدة التي تفضلت بان قدمتي

لها . فاني اعرف الحدود التي يجب ان اقف عندها . اما انت ، فلانك كنت جاهلة امر زواجي ، فقد رغبت في ان تم خطبتنا . ومن اجل اني رغبت في ان لا تتجاوز الامور حدها الذي بلغت اليه ، رأيت واجباً عليّ ان اطلعك على الحقيقة

« اما اذا وصاك هذا وكان شعورك باني كنت غير خليق بان اوجد تحت سقفك وفي ضيافتك ، فاني اؤكد لك بان ذلك يسوؤني كل الاساءة . ان لك في عنقي ديناً لا يوفيه عرفان الجميل والشكر ان جزاء ما اظهرت نحوي من العطف والحنو . فاذا رأيت بعد هذا ان لا تطرحيني واني جدير بكرمك الذي سوف لا آلو جهداً في ان اجعله من نصيبي ، فلا شك في اني اكون سعيداً ، واعتبر ان هذه خاطرة اخرى من خاطرات حنوك وعطفك »

كتبت هذا الخطاب مرات لا تحصى مرة بعد اخرى . ولكن على كل حال حمل عن كاهلي عبئاً كنت اشعر بثقل وطأته . وفي عودة البريد وصلني الرد فكان فيه ما يلي :

« وصلني خطابك الذي عبر عن اخلاصك . ولقد اغتبط به كلانا ، كما اضحكنا كثيراً . فان الحقيقة التي اخفيها عنا وتعتقد أنك أجرت في اخفائها يمكن العفو عنها . ولكنك احسنت في انك اوقفتنا على حقيقة حالك . وان دعوتي لك ما تزال جارية كما كانت ، وانا لفي انتظارك يوم الاحد المقبل وتتشوق الى سماع رواية زواجك وانت طفل لعلنا نسر ونضحك بعض الشيء ونسري عن انفسنا على حسابك . ولست في حاجة لان اؤكد لك ان صداقتي لم تمس من جراء هذا الحادث »

بهذا طهرت نفسي من سرطان الكذب والبهتان . وما ونيت منذ ذلك الحين ان اتكلم عن زواجي كلما سنحت فرصة للكلام فيه

قبل ان تنتهي سنتي الثانية في انجلترا ، بدأت علاقتي باخوين من الآخدين بمبدأ الثيوصوفية — theosophism — وكان كلاهما غير متزوج : وتكلمنا معي عن اسفار « الغيتا » — The Gita — وكانا في ذلك الوقت مكبين على قراءة ترجمة سير « أدوين ارنولد » لكتابنا المسمى « الاغنية السماوية » ودعياي لان اقرأ الاصل معهما . فشعرت بالخجل لاني لم اكن قد قرأت « الاغنية السماوية » لا في اللغة السنسكريتية ولا في اللغة الجوجراتية . فاضطرت لان اصارحهما باني لم اقرأ « الغيتا » ، ولكنني اقرأ معهما بسرور ، وان معرفتي بالسنسكريتية ان كانت « فجأة » ناقصة ، فقد املت ان افهم الاصل بحيث استطيع ان اعرف اين عجزت الترجمة عن التعبير عن المعنى . وبهذا بدأت اقرأ « الغيتا » معهما . ولقد اثار في جانب من الفصل الثاني تأثيراً لا ينسى ، وعلى الاخص المقطوعة الآتية :

« اذا عكف الانسان على حاجات البدن ، فهناك يبدأ الميل اليها ، ومن الميل تتولد الرغبة ومن الرغبة تتولد نيران الشهوة المفترسة . والشهوة تولد الطيش والتهور . وبذلك تخون الانسان

الذاكرة ، فيقضي على الأغراض النبيلة ، ويتقوض بناء العقل ، فيفنى الغرض والعقل والانسان . ولقد ظهر لي ان الكتاب لا يقدر بشئ . وهذه الفكرة التي كونتها في اسفار « الغيتا » ما تزال حتى اليوم تنمو وتتطور في نفسي ، حتى اني لا اعتبرها اليوم اسمى كتاب يعرفنا الحق . ولقد امدني هذا الكتاب باكثر المساعدات في اشد ساعات محنتي حلقة وقرأت بعد ذلك كل الترجمات الانجليزية التي ظهرت لهذه الاسفار ، فرأيت ان ترجمة سير أدوين ارنولد احكمها وأصفها . فقد حافظ على الاصل ، مع انه صقلها فكانت بعيدة عن روح الترجمة . وعلى الرغم من اني قرأت « الغيتا » مع هذين الصديقين ، فاني لن ادعي اني درستها اذ ذاك . ولكن بعد بضع سنوات من ذلك التاريخ بدأت اصحب « الغيتا » اذ جعلته كتابي اليومي .

ارشداني بعد ذلك الى كتاب آخر بقلم سير « ادوين ارنولد » عنوانه « نور آسيا » . وكنت لا اعرف ان للسر « ارنولد » كتاباً آخر غير « الاغنية السماوية » . فقرأت ذلك الكتاب بلذة واكباب لم اجدتها حتى في قراءة الغيتا . وما فتحت الكتاب حتى اختلني فلم استطع ان القيئه من يدي . وصحبتهما بعد ذلك الى محفل « بلافاتسكي » وقد ماني الى مدام « بلافاتسكي » ومسر « بزانت » . وكانت مسر بزانت قد انتمت الى الجمعية الشيوصوفية حديثاً ، فتبعت بكل عناية حديث اعتناقها لهذا المذهب . ونصح لي الصديقان ان انتمي للجمعية ، ولكنني رفضت بأدب قائلاً « إن معرفتي بمحقق ديني غير تامة ، ولهذا لا أريد ان اتصل باي جماعة دينية » . واذكر اني قرأت بارشادها كتاب مدام « بلافاتسكي » « مفتاح الشيوصوفية » . ولقد كان من اثر قراءتي لهذا الكتاب ما حملني على ان اقرأ كتباً اخرى عن الهندوكية ، خرجت منها بفكرة كاملة في تحامل المبشرين على الدين الهندوكي ، اذ يزعمون انه مدخول بالخرافات والأساطير .

في ذلك الوقت قابلت نصرانياً مستقيم الفكر في « مانشستر » في فندق خاص بالنباتيين . فتكلمنا في الدين النصراني . واطلعت على ما ثبت في ذهني من اعمال المبشرين في راجكوت . فتألم مما سمع وقال « انا من النباتيين ولا اشرب الخمر . وكثير من النصاري يأكلون اللحم ويعاقرون بنت الحان . ولكن كلا الأمرين غير مسموح به في الاناجيل . ارجوك ان تقرأ « الكتاب المقدس » . فقبلت نسخة واعطاني نسخة . ويخيل اليّ ، بقدر ما تسمح بذلك ذاكرتي ، انه كان يبيع الكتب المقدسة ، واني اشتريت منه نسخة تحتوي على خرائط وفهارس للكلمات وغير ذلك من وسائل المساعدة على مطالعة الكتاب . واخذت اطالعه ، ولكنني عجزت عن ان اتم قراءة العهد القديم . قرأت سفر التكوين . اما الفصول التي تتلوه فقد بعثت بالنعاس الى جفوني فتثاقلت واخذني الانغفاء . غير اني حملت نفسي على متابعة القراءة لا استطيع ان اقول اني قرأت الكتاب ، فتصحفت الاسفار الاخرى بصعوبة ، وباقل

ما يمكن ان تتصور من اللذة او القدرة على الفهم . وكرهت ان اقرأ سفر العدد
اما العهد الجديد فقد اثر في نفسي تأثيراً مخالفاً كل المخالفة لهذا ، وعلى الأخص «موعظة
الجبيل» فانها وجدت طريقاً مباشراً الى قلبي . ولقد اخذت اوازن بينها وبين الغيتا ، وتخلقت
بقول عيسى « لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضاً . ومن
اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فارك له الرداء » . وكان تأثيره في نفسي بالغاً لا يقاوم . وزين
لي عقلي الصغير أن أوجد بين الغيتا ونور آسيا وموعظة الجبل

وكان من اثر مطالعاتي هذه ان ولعت بقراءة سير اصحاب الاديان الاخرى . وأرشدني صديقي
الى كتاب كارليل « الابطال وعبادة البطولة » وقرأت الفصل الذي عقده في « البطل في
صورة نبي » وعرفت منه عن نبي الإسلام العظمة البالغة والشجاعة النادرة وعيشة التقشف والصلابة
وما عدا هذه المطالعات التي دارت حول الدين ، لم اقرأ شيئاً ، لان ميعاد الامتحان كان
قد قرب وبذلت كل جهدي في الاكباب على الدرس . ولكن اتجه فكري الى ضرورة ان
أقرأ عن الدين اكثر مما قرأت في كتب الدين وان ألم بكل الاديان العظمى

وكيف استطيع ان اعرف شيئاً عن الاتحاد وانكار وجود الله بجانب هذا ؟ ان كل هندي
يعرف اسم « برادلو » — Bradlaugh — والحاده . فقرأت في الاتحاد كتاباً نسيت اسمه ،
لانه لم يترك اي اثر في نفسي ، وكنت اذ ذاك قد اقتحمت مفازة الاتحاد . وكانت مسز « برانت »
في ذلك الحين قد انتقلت من الاتحاد الى الالهية ، فقوى هذا الحادث عندي الزهد في الاتحاد ،
بعد ان قرأت كتابها « كيف اصبحت ثيو صوفية » ؟

في ذلك الحين مات « برادلو » ودفن في مدفن « بروكوود » . ولقد شهدت الجنازة ،
كما شهدها كل هندي مقيم في لندن . وكان فيها قليل من رجال الدين ليقوموا بآخر واجباتهم
نحو الراحل . وعند عودتنا اضطررنا ان ننتظر في محطة السكة الحديدية مقدم القطار ،
فتقدم احد زعماء الاتحاد من احد رجال الدين وسأله : « أتعقد يا سيدي في وجود الله » ؟
فاجابه الرجل « أفعل » مفضياً من صوته . فاجابه الملحد وعلى فمه ابتسامة الواثق من
نفسه . « أتسلم ايضاً ان محيط كرة الارض ٢٤٩٠٠٠ ميل ؟ اتوسل اليك ان تعرفني ما هو
حجم إلهك وأين هو ؟ »

« نعم . لو اننا عرفناه حقاً ، إذن لعرفنا ان مثواه في قلبينا معاً »
— « لا تهزأ بي كما تهزأ بطفل » — قال الملحد هذه الكلمات وفي عينيه نظرة المنتصر
المنافر . ولكن رجل الدين احتفظ ازاء هذه النظرة بصمت مهيب

وكان لهذا الحديث أثر في نفسي زادني بغضاً في الاتحاد وزهداً فيه هبط انجلترا في ذلك الوقت هندي معروف هو « نارايان همشاندرا » وكنت سمعت عنه ككاتب. وكنا اول ما تلاقينا في منزل مس « ماننج » وهي من اعضاء الجمعية الهندية الوطنية. واعتدت أن أزم الصمت التام كلما زرت بيتها فلا اتكلم الا اذا كلمت. فقدمتني الى « همشاندرا » ولم يكن يعرف الانجليزية. بل كان هندامه عجيباً. بنطلون غليظ صفيق. ومعطف كثير الثنايا متسخ رمادي اللون، مقصوص على الطريقة « الباريسية »، ثم انه كان بلا زيق وبلا رباط للرقبة. وعلى رأسه قلنسوة من صوف يتدلى منها زر كبير، وعلى صدره ترسل لحية كثة طويلة. كان ضئيلاً قصيراً. وشابت وجهه المستدير ندوب الجدري، واستوى في وسط ذلك الوجه انف ليس بالدقيق ولا بالغليظ. ومثل هذا الشخص الغريب بلبسه هذا، كان مرشحاً لان يزحم جماعات لندن المعروفة باناقمتها

كنا نتقابل كل يوم. واتضح لي ان هنالك توافقاً كبيراً بين ما يجول في رأسي من الافكار وما نعزم من العمل. وكلانا كان نباتياً. وغالب ما كنا نتعاطى طعام الظهر معاً. وكنت في ذلك الوقت اعيش بسبعة عشر شهناً في الاسبوع واطهي طعامي بنفسي. وكنت اختلف الى حجره آونة بعد أخرى، كما كان يختلف هو الى حجرتي. وكنت اطهي على الطريقة الانكليزية، ولم يكن يلتذ الا بالطهي على الطريقة الهندية. كنت اصنع شوربا الجزر وكان يرثي لذوقي. وعثر مرة على قليل من العدس فطبخه وحضر به الى سكني. فأكلت منه بشوق وشغف ومنذ ذلك اليوم كنا نتبادل ما نطهي. كنت اذهب اليه بالواني النادرة، وكان يحضر الي بالوانه

كان اسم الكردينال « ماننج » على كل لسان. وكان اعتصاب عمال احواض السفن قد قضى عليه باسرع ما تصور انسان بفضل مساعي « جون برنز » والكردينال « ماننج ». وحدثت « نارايان همشاندرا » عن شكر « دزرائيلي » ومدحه بساطة الكردينال: فقال « اذن فلا بد لي من ان ارى ذلك الحكيم »

« انه رجل عظيم القدر، فكيف تتوقع ان تقابله ». « ولماذا. اني اعرف كيف يكون ذلك. سأجعلك تكتب له نيابة عني فتقول له اني مؤلف واني اريد ان اهنئه شخصياً بعمله الانساني، واني صاحبك معي كترجم لاني لا اعرف الانجليزية » فكتبت خطاباً بهذا المعنى. وبعد يومين او ثلاثة وصلتنا بطاقة من الكردينال ماننج محدداً لنا موعداً. فذهبنا اليه معاً. اما انا فارتديت بزة الزيارات. وبقي « نارايان همشاندرا » كما هو بمعطفه المعروف وبنطلونه الذي وصفت. وحاولت ان اهزأ به، ولكنه ضحك مني قائلاً: « انتم معشر المتعلمين جبناء. ان العظماء لا يعنون بمظاهر الاشخاص. انما هم ينظرون في القلوب »

ودخلنا قصر الكردينال . وما إن اخذنا مجلسنا حتى دخل علينا « جنتلمان » نحيف طويل القامة وسلم علينا يداً بيده . . . وهنا بدأ « نارايان همشانندرا » مقولته :
 « لا أريد ان اضيع عليك وقتك . فقد سمعت عنك كثيراً وشعرت واجباً عليّ ان احضر اليك لاشكرك على ما فعلت من خير للمضربين . ومن عادتي ان ازور حكماء الدين . ولهذا اضطررت ان ازعجك بزيارتي » وكان يتكلم باللغة الجوجراتية ، وانا اترجم الى الانكليزية فرد عليه الكردينال قائلاً : « اني لمسرور بزيارتك . وآمل ان تكون اقامتك في لندن مواتية وان تتمكن من الاتصال بالقوم هنا . وليباركك الله » ولما اتم هذه الكلمات وقف وودعنا

زارني « نارايان همشانندرا » مرة في قميص ودوقيه ^(١) كما نلبس في الهند . ولم تكدر به البيت تفتح الباب اذ قرعته حتى ارتدت اليّ مفزوعة : — « رجل به مس يريد ان يراك » — فسارعت الى الباب وكم كانت دهشتي عند ما رأيت همشانندرا على هذه الصورة وفي هذا الزي . فأخذت . غير ان وجهه لم ينم على شيء ، اللهم الا على تلك الابتسامة الهادئة التي عودناها منه

« ولكن الم يهزأ بك الاطفال في الطريق ؟ »

« نعم فعلوا . فلما اهتمتهم سكتوا »

وذهب نارايان همشانندرا الى باريس بعد ان اقام في لندن بضعة اشهر . وبدأ يتعلم الفرنسية وحاول ان يترجم منها كتباً . وكنت اعرف من الفرنسية قدرًا مكنني من مراجعة ترجمته ، فأعطاها لاطالعتها . وسرعان ما استبان لي انها لم تكن ترجمة بل مادة جديدة وأخيراً صمم على ان يزور اميركا . وبكل صعوبة استطاع ان يحصل على تذكرة سفر في الدرجة الرابعة . ولما كان في اميركا خوكم لانه قليل الاحتشام في ملبسه ، لانه خرج يوماً في قميص ودوقيه . واذكر انه برىء من هذه التهمة

كان من السهل عليّ ان ازاول مهنة المحاماة في انكلترا . ولكن المراتة كانت غير ميسورة المال . كنت قد درست القانون كمادة اساسية ، ولكنني لم ادرس كيف اتابع الاجراء القانوني . درست مبادئ القانون ، غير اني لم ادرس كيف اطبقها في مزاولة مهنتي

كانت الشكوك تمزق احشائي تمزيقاً خلال درس القانون . فأطلعت بعض اصدقائي على ما ارى من هموم . واقترح احدهم ان الجأ الى « دباباي نايجي » في طلب العون والنصيحة . وكنت اشعر بأنه ليس من حتي في شيء ان ازعج مثل هذا الرجل العظيم واشغله بنفسه ،

(١) عبارة عن قطعة طويلة من قماش القطن ، تطوى حول الوسط وتغطي الجزء الاسفل من الجسم

على الرغم من اني كنت اعمل اليه كتاب توصية من الهند . وما فاتني يوماً أن احضر خطاباً اجمع القاءه ، بل كنت اذهب الى المكان واصفى اليه من ركن في الحجرة كنت آوي اليه ، ثم انصرف بعد ان اشبع سمعي وبصري . ومن اجل ان يكون اكثر احتكاكاً بالطلبة اسس جمعية . واعتدت ان احضر اجتماعاته وكنت اسر كل السرور بما ارى من اشفاقه على الطلبة ومن احترامهم له . وعلى مدى الزمان استجتمعت شجاعتي وقدمت له كتاب التوصية . فابتدري بقوله « يمكنك ان تحضر الي لتتلقى نصائحي في اي وقت تشاء » ولكني لم احاول ان انتفع قط من وعده هذا بشيء

ولقد نسيت الآن ان كان صديقي هذا بعينه هو الذي قدمني الى مستر « فردريك بنكت » — Mr-Frederick Pinnett — كان من حزب المحافظين ، ولكن عطفه على الطلبة الهنود كان صافياً ومن غير شائبة . ولقد سأله كثير من الطلبة النصيح والمساعدة ، وسألته بدوري ان احظي بموعده ، فلم يبخل به . ولن انس ما اعيش هذه المحاورة . فلقد رحب بي كصديق وهزأ بتشاؤمي قائلاً : « كن على يقين من انه ليس بشيء غير عادي ان يصبح الانسان محامياً ذا مرانة وحصافة . فالامانة والعمل كافيان لان يجعلاه يعيش . وليست كل القضايا مرتبة الاجزاء كما تتوهم . ولكن عرفني ما هي معلوماتك العامة ومطالعائك »

فلما اطلعت على مقدار معرفتي ، وهي ضئيلة ، رأيت انه امتعض . ولكن امتعاضه لم يستقم اكثر من دقيقة وسرعان ما اشرق وجهه بابتسامة مرضية وقال :

« لقد فهمت السر في اضطرابك . ان معلوماتك العامة ضعيفة . انك قليل الخبرة بالدنيا . والدليل انك لم تقرأ حتى تاريخ بلادك . ان المحامي يجب ان يدرس الطبيعة البشرية ، وواجب على كل هندي ان يُسلم بتاريخ الهند . وليس لهذا من علاقة بمزاولة مهنة المحاماة . ولكن ينبغي لك ان تعرف هذا . وانصح لي انك لم تقرأ شيئاً مما كتب « كاي » او « مليسون » عن تاريخ العصيان في الهند . الجأ الى هذا في الحال ثم اقرأ كتاباً او كتابين في الطبيعة البشرية » شعرت بانني مدين باكر دين لذلك الصديق الذي أمدني بهذه المساعدة القيمة . على ان نصيحة « بنكت » ان كانت لم تفدني فائدة مباشرة ، فاني استعضت بصداقته عما خيل الي ان انال من فائدة بنصحه . وان وجهه الغر البسوم ما يزال حياً في مخيلتي ، وما زلت اعتقد ان الكفاية العليا ليست ضرورية لكي يكون الانسان محامياً ناجحاً في الحياة . فالامانة والاكباب على العمل يكفيان . ومذ كان لي في الحياة نصيب من هاتين الصفتين شعرت بانني حققت قوله فلما اجتزت الاختبار النهائي في القانون ، انقضت مدة اقامتي في انجلترا

اسماعيل مظهر

الجريمة والعقوبة

إذا درسنا المجرمين والعقريين والنابعين من رجال العلم والتأليف والنم ، الذي تمتلئ
باسمائهم سجلات الخلود العالمية ، من الناحيتين العقلية والجسمانية ، وجدنا ان العقري لا يختلف
كثيراً عن المجرم الذي يلتقي في غياهب السجن ويحبس عن المجتمع درءاً لشروبه وآثامه .
فهل هناك علاقة بين الجريمة والعقوبة ؟ وهل العقري يميل لأقتراف الجرائم واجتراح
المساوي أكثر من غيره ؟

لنأت أولاً على تعريف الجريمة ، وماذا نريد بها

اختلف علماء الاجرام (Criminologist) في تعريف الجريمة ، فقال بعضهم : « انها عمل
مخالف لانظمة المجتمع » وعرفها آخرون بقولهم : « ان يعيش الانسان حياة مخالفاً نظام السلوك
والآداب المعترف به من بقية افراد المجتمع » وقال غيرهم : « ان الجريمة اي عمل سواء أ كان
اهمالاً او ارتكاباً يجازي به القانون لفائدة المجتمع » او قول بعضهم : « شذوذ عن احكام
الشريعة والآداب » . فنرى ان ثمة اختلاف ظاهر في التعاريف المذكورة ، وليس بالامر
اليسير تعريف الجريمة تعريفاً دقيقاً . وإذا فما كان يعتبر جريمة في السابق لا يعتبر كذلك الآن ،
وعلى الضد من ذلك فقد نحسب عملاً ما جريمة الآن ولكنه لم يكن في نظر الاقدمين كذلك . فان
الشعوذة كان يعتبر محترفاً مجرمًا ولكنها الآن ليست كذلك . والرقيق الذي كان في الماضي
عملاً يرتزق منه اناس كثيرون اصبحت الآن يعد جريمة اجتماعية لا تغتفر ويطارد صاحبها . وقد
يُعد نوع من الاعمال جرمًا عند امة ولكن عند غيرها قد يحسب عملاً شريفاً

يقول لومبروزو (Lombroso) : « ان المجرم نوع خاص ، يقف وسطاً بين العته والوحشية » .
اما « ونزلاف » العالم النفسي فيقول في كتابه « الانسان العقلي »^(١) ما يلي : « ان المجرم
يمثل نوعاً آخر من النخو المتوقف (اي العاقل) . وليس المجرم شخصاً بسيطاً ، ومجرماً
عَرَضِيّاً ، وانما هو انسان لا يفرق بين واجباته وحقوق الآخرين . وتنقصه حاسة الاخلاق
واما قوة ادراكه فضعيفة بوجه عام ، وهو قليل الشعور بحاسة الالم بوجه خاص ، ولذا كان
قاسياً عديم الشفقة . ومن صفات المجرم ايضاً الكسل ، وهو معجب بنفسه ، لا يندم على ما
يقترف من آثام واجرام ، شديد الولع بالمنبهات ، والقمار ، والنسق ، والدنارة ، مهمل للديانة ،

بسبب البيئة والوراثة ، واعراض كثيرة تتوالى على الانسان في مختلف ادوار حياته . وللأمراض ايضاً أثر قوي في العبقرية ، وخصوصاً ما كان منها مزمناً كالسل وغيره . وكثيراً ما قيل ان العبقرية تنشأ من الأمراض . ولقد قضى كثير من العبقريين ، كالشاعر الانكليزي كيتس والروائي الروسي تشيخوف والكاتب الانكليزي ستيفنسون ضحية هذا الداء الويل (السل) وقد جاء في محاضرة للدكتور بيرسون ^(١) Dr. A. Vere Pearson الطبيب في مستشفى

مندسلي ما يلي : —

« كثيراً ما نسب العلماء البواعث المثيرة للعبقرية الى مرض السل . ولكنني احسب ان هؤلاء قد افراطوا جداً فيما نسبوه اليه . ومما لا ريب فيه انه يحدث هيجان واضطراب في بعض اعراض مرض السل الرئوي ، وثمة شعور بقصر الحياة ، ولكن هذا الشعور لا يسلم به العقل الواعي . ان الشعور بقصر الحياة والهيجان المضطرب الناشئين عن هذا المرض المزمن ، وخصوصاً في ادواره الشديدة ، قد يكونان كباعث قوي ومنبه للانتاج والابتكار ، ولا سيما عند المؤلفين ، الذين يتمكنون من دون كبير عناء جسماني ، من اظهار آثارهم ونبوغهم »

يتلخص معنا من هذا ان المرض ليس شرطاً من شروط العبقرية ، وانما هو عارض طارئ لا يلبيث ان يزول ، اما العبقرية فاذا وجدت ، فهي موجودة اصلاً ، ولكن المرض قد يزيدها تأججاً واضطراباً

هذا وبعد ان اتينا على تعريف الجريمة والعبقرية فلنبحث الآن في العلاقة بينهما ، وهل يكون المجرم عبقرياً ، والعبقري مجرمًا ؟ ؟ اننا نرى العبقرى غريباً في افكاره وأطوار حياته ، متصفاً بصفات شاذة ، اكثر ما يتصف بها المجانين والمجرمون . وثمة تقارب ظاهر بين المجرم والمجنون والعبقري ، والصفات والعادات التي يتصف بها هؤلاء الثلاثة ، لا نقول انها واحدة ، ولكنها قريبة مشتركة ، ويمكننا ان نعد هؤلاء ثواراً على الهيئة الاجتماعية وهم ابعد ما يكونون عنها وعن الانسان العادي . فالعبقري تتمثل فيه الروح الاجرامية النائرة بمظاهرها المختلفة ، ويتأجج في نفسه البغض نحو المجتمع الذي لا ينفك يثيره ويهيجهُ وهو في خصام دائم معه ، تتنازع صدره الاطاع والمنافع ، وتثيره الانظمة والقوانين فيكاد يحطمها ، ويسعى جهده لتبديلها وتغيير معالمها . فأوجه الشبه بين العبقرى والمجرم انهما مشتركان في صفات عدة ، كالانفعال الشديد الهدام ، والثورة المضطربة والبغض المتأجج ، والحنق الدائم ، والخيال الوثاب ، وغير ذلك . اما الشواهد الدالة على تقارب ذهني المجرم والعبقري فكثيرة في التاريخ

(١) راجع عدد آب (اغسطس) سنة ١٩٣٢ من مجلة "Journal of State Magazine"

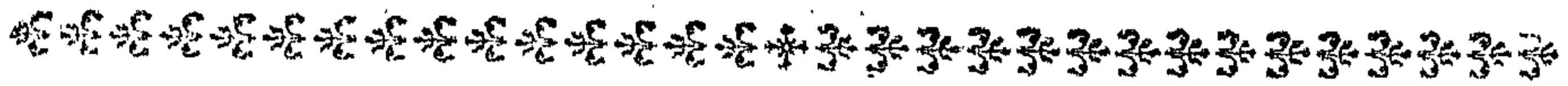
يقول هنري رودس في كتابه « المجرم والعبقري »^(١) ما يأتي : —
 « إنَّ العبقرية أكبر اعداء المجتمع . والمجتمع يعمل لهدم العبقري وهلاكه أولاً ثم يتخذ آراءه الاجرامية ويتبعها . فالعبقري يضر المجتمع ويهدمه أحياناً كثيرة . وقد جعل نابوليون من اوربا مذبحاً ومجزرة . اما لينين فقد ترك روسيا جائعة دامية . وقد قيل ان فولتير يحمل تبعه الثورة الفرنسية وهو مسببها ، فقد قوّض بقامه الحاد ، دعائم النظام في فرنسا ، ومهد بذلك السبيل للثورة . ولكن من الخطأ ان نعتبر العبقرية مضرّة ، او نافعة ، فقد تكون هذه او تلك . . . »

فالعبقرية نتيجة حالة غير طبيعية في العقل البشري ، وهي بثوراتها ضد المجتمع تدور في دائرة ، وكثيراً ما ترى لها مخرجاً في الرجل المجرم . ومن امثلة الطبيعة النائرة « اوغست سترينبرغ » الكاتب القصصي السويدي . فقد تجمعت فيه صفات كثيرة ومواهب عديدة ، فكان مؤلفاً مسرحياً وكاتباً روائياً ، وعالمًا نباتياً ، وكيميائياً ، ومن العجيب انه تعلم اللغة الصينية وهو لم يزر قط بلاد الصين ! وقد كان يحتقر ما تواضع عليه المجتمع من مقاييس السلوك والآداب ، ويكره ما اختلف عليه الناس من قواعد الاخلاق وأنظمتها . وقد اتهم بالتجديف ، وكتبه مشحونة بالآراء الثورية ضد المجتمع ، حتى انه في بدء حياته ظهرت فيه بوادر عديدة للأجرام . وكان ريشيليو غير شريف في الاساليب والطرق التي سلكها لجمع المال . وبدأت حياته بالتزوير ولما اعطيت له ورقة عماده الكنائسية بواسطة وثائق مزورة ، وضع فيها اسمه في سجل العمد بدلاً من اسم اخيه . ويقول رودس المذكور آنفاً : « ان جرائم ريشيليو سبب قوي في ظهور عبقريته ، وان ريشيليو المجرم هو الذي كان عظيماً . واما بقية مواهبه فكانت عادية ، بل حقيرة »

اما (ادجر ألن يو) الشاعر الاميركي فكان (عبقرياً — مجرماً) بمعنى الكلمة ، فكان دائم النزاع والنفور من المجتمع ، وقصصه اجرامية حافلة بمحادثات المجرمين ووقائعهم . ويصف (يو) المجرم وصفاً لا يصفه به غير المجرم . واما اسكار وايلد فحأ كتمته وسجنه تظهره للملا مجرماً كبقية المجرمين ، لا يختلف عنهم في شيء . ولعلّ من قرأ كتابه « من الاعماق » De Profundis الذي ترجم للغة العربية ، يعرف ماذا قاسى وكيف عاش وايلد في السجن مع زملائه العاديين !
 فبين العبقرية والجريمة اذاً ، اتصال وثيق ، ولكن ليس شرطاً ان يكون العبقري مجرماً او ان يكون المجرم عبقرياً .. وانما هي فلتات الطبيعة وشذوذها ، تجعل من الانسان تارة عبقرياً يخلق في سماء الخلود ، واخرى مجرماً يعيش وراء القضبان في ظلام السجون . . .

فؤاد عينتابي

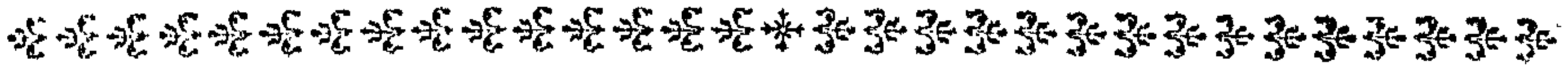
حلب : سورية



شيخوخة جوته

١٨٠٥ - ١٨٣٢

للركنور - على مظهر



لحق الاسى والجزع بجوته عندما فقد نده في الشعر والادب وزعامتهما ونعني بذلك شلر الشاعر المفكر الذي قضى وهو في ربيع الحياة وتخليداً لذكراه وقياماً بالواجب نحو صديقه الراحل نظم له قصيدة سماها (النشيد الختامي للاجراس) وعاش جوته بعد شلر سبعة وعشرين سنة كان فيها مثال الجهد والنشاط في جميع ابواب العلوم والآداب فكنت تراه احياناً يدرس البصريات ونظريات الالوان وعلم تركيب عظام الهيكل الفقري وعلم طبقات الارض وعلم الافلاك والكواكب والتغيرات التي تطرأ على النبات وغير ذلك من الامور النافعة المفيدة . اما الشعر فكان حظه من قرضه في اثنائها اقل مما سبق

وكان اول مؤلفاته الممتعة روايته القصصية التي اسمها Die Wahlverwandtschaften (القربى المختارة) التي اظهرها للناس سنة ١٨٠٩ . وقد اراد ان يبين في تلك الرواية ان سعادة الحياة تتبدد بمجرد انفصام عرى الآداب الفاضلة . وقد خطر له هذا الخاطر عند ما فكر في مسألة الزواج الذي قال عنه انه هو مبدأ الحضارة وذرورها وانه اقدس عقد يعقد لا انفصام له اذ ان عروته وثقى . وان الزواج يكون مقروناً بالسعادة ويكون زواجاً حقيقياً اذا ما امتزج فيه الحب الطبيعي غير المتكلف باحترام الآداب ومراعاتها . ولندكر ما يخصنا لتلك القصة :

عاش ادوارد وشارلوتي عيشة زوجية سعيدة ناعمي البال كما كان يظهر عليهما وبقيت لهما تلك السعادة وذلك الهناء حتى ان دعت الزوج هويتمان واوتيلي في ضيعة لها بالريف وبمجرد ما حدث ذلك الاتصال بدأت (المعركة) وكانت شارلوتي امرأة حازمة خيرة امكنها ان تتفادى بكل ما اوتيت من قوة ما كان القلب به يتحدث والنفس اليه تميل وان تقوم بواجبها كزوجة طيبة بارة وكذلك كان هويتمان فقد كان رجلاً صلباً يعرف ان يضبط نفسه وان يراعي قانون الآداب الفاضلة وان يتغلب على حبه فيكبح جماحه . اما اوتيلي فكانت طفلة بطبيعتها لا تقدر ان تحكم عواطفها وميولها ولا ان تقاومها وكان ادوارد زير نساء من غواياته يعيش ويحيا وكان ارضاء ملذاته اكثر الاشياء التي تهمة وتشغله في هذا الوجود بل قل انه كان يعتبر غايته من هذا العالم ووجوده فيه انما كان للافساد لا للاصلاح لهذا كان يعيش ولهذا وجد ولم يكن له من عمل آخر غير البحث والتنقيب عن الغواية والملذات فلم يتمكن هو ولا تمكنت هي من ضبط عواطفهما وتبعاً غواية الشيطان وضلالته فعكر صفو تلك الحياة التي كانت من

قبل وكفرا بحتفهما عن آثامهما وانها كهما لحرمة الآداب
ولما انتهى جوته من كتابة تلك القصة الروائية اراد ان يكتب قصته هو وان يصور
للناس حياته وان يخطط لهم تاريخها بنفسه فأخرج للناس كتاباً نفيساً عنوانه (من حياتي —
شعرو حقيقة) وقد اظهر من هذا المؤلف سنة ١٨١١ الجزء الاول ثم ضم اليه جزءين آخرين
بعدئذ فأتى فيها على وصف حياته كما كان القدماء يكتبون وكيف كان يعيش وجاء بذكر
هنواته ومساعيه ومحاولاته وكيف تكوّنت عنده الشاعرية وقد اجاد في وصف ذلك ايما اجادة
ولكن مما يؤسف له انه وصف حياته الى السادسة والعشرين من عمره والى ان اقام في فيمار فقط
وتجد شيئاً من التتمة في اوصاف رحلته في ايطاليا ورحلته الثالثة الى بلاد سويسرا ووصفه
لحملة في فرنسا وحصار ماينز وفي كراساته اليومية والسنوية

ولما ان كانت حروب الاستقلال والحرية المعروفة عند الالمان ودع جوته تلك الحياة الشائرة
العاصفة وولّى وجهه شطر الشرق فبدأ يدرس اللغة العربية والفارسية واخذ يترجم عن هذه
اللغات بعض اشعارها احياناً او ينظم من عنده ويلبس قريضه ثياباً شرقية وقد جمع تلك
الاشعار بعدئذ في سفر اسماء : ديوان الشرق والغرب (Der westöstliche Diwan) وظهرت
تلك المجموعة الشعرية سنة ١٨١٩ اما زوليخا (Suleika) التي يذكرها في ديوانه هذا فهي
السيدة ماريانه فون فيليمير Mariane v. Willmer واصلها من فرنكفورت (ولدت سنة ١٧٨٤
وتوفيت سنة ١٨٦٠) . ويؤخذ مما ذكره عنها في بعض قصائده ما كانت عليه تلك السيدة من
سجايافاضلة ونبل وشرف . وقد بدأ جوته صحبتها لها سنة ١٨١٥ . ومع ان الشاعر لم يشترك في
حركات الالمان الوطنية حينئذ ولكنه حيى تحرير المانيا من نير الفرنسيين بروايته التمثيلية
(يقظة بيميندس Des Epimenides Erwachen) التي مثلت في برلين يوم ٣٠ مارس سنة ١٨١٥
وكانت رغبة الشاعر الشيخ او شيخ الشعراء ان يتم مؤلفين كان قد بدأ بهما واشتغل
بهما طويلاً فظهر في سنة ١٨٢١ (سني تجوال فلهم مايستر) وهو عبارة عن سلسلة من
القصص عاج فيها تربية الانسان الخلقة الدينية وفيها آراء في التربية واجتماع الطبقات الوسطى
وحياة رجال الادارة والسياسة وغيرها من القصص والنوادر

ولما بلغ الثانية والثمانين من عمره (١٨٣١) اتم جوته رواية (فاوست) التي اشتغل في
اعدادها ستين عاماً . وكان اول ما بدأ كتابته فيها لما عاد من ليبزج الى منزل والديه في
فرنكفورت وكان يشغل نفسه بدراسة الكيمياء اثناء نقاهته ثم عثر على كتاب شعبي قديم
للدكتور فاوست فاثرت الافكار التي وجدها فيه تأثيراً كبيراً وما زالت تلك الامور وغيرها
تملك عليه نفسه ومشاعره حتى بدأ في كتابتها سنة ١٧٧٤

ثم اخذ جوته يزيد في روايته كل حين وصار يزيد في مجموعها ويضيف الى مناظرها مناظر

جديدة ويبدل ويغير فتراه يكتب بعض المناظر في اثناء سياحته الاولى في بلاد سويسرا وكذلك لما كان في ايطاليا واشتغل قليلاً بها لما كان في روما سنة ١٧٨٨ وما زال يكتب فيها كلما خطرت له اشياء جديدة حتى تم الجزء الاول وظهر سنة ١٨٠٨ اما الجزء الثاني فقد ابتداءً في كتابته وهو في سن الشيخوخة مع انه اشتغل بجزء صغير من قبل ذلك وترى جوته سنة ١٨٠٠ وهو يتبادل الرأي مع نده ورصيفه شلر لوضع خطة للجزء الثاني من (فاوست) وقد قرأ اوله على شلر في سبتمبر سنة ١٨٠٠ ولبت سنين لا يعمل فيه ثم عاد يعمل فيه حتى ظهر سنة ١٨٣٢ عقب وفاة الشاعر الكبير . وترى من هذا ان هذا العمل الكبير شغل حياة الشاعر كلها تقريباً او بمعنى آخر انه شغل نفسه طيلة حياته الشعرية بهذا الاثر النفيس الذي تجد فيه عناصر من كل درجات الذنوء المختلفة التي مر بها جوته كما انه يمكنك دراسة حياة الشاعر العقلية برمتها في طيات الخرافة القديمة . وبينما تراه يصف فيها اموراً حدثت له اثناء حياته الطويلة اذ تراه يجعل من الاشياء الجامدة او الامور الشخصية اموراً واشياء عامة للانسانية ولذا فانك لست بمستعرض صورة من صور عصره ولكن صورة من صور الدنيا والانسانية بأسرها . وترى فيها مناظر شتى منها ما هو محبوب ولطيف ورقيق واخرى كلها الشياطين والفضاعة والبشاعة ويريك صوراً شتى من اعمال البشر واوصاف الناس وافكارهم

وأول ما عني به ما يشور في النفس من حروب عنيفة كالحرب التي تنشب بين العقيدة والعلم وبين طبيعة الملاذ البشرية وطبيعة العقل والحكمة . وقد افتتح جوته الاقصوصة بذلك المطالع على طريقة اهالي القرون الوسطى وما كانوا يتخيّلونه من اسرار ومعجزات . فتراه يرجع الى كتاب ايوب في ذلك اذ يظهر الشيطان امام الله فيسأله الله عن ايوب فيجيبه الشيطان انه يراهن الله على ان ايوب قد عصاه لما حل به من فاقة وبؤس . كذلك فعل جوته اذ يظهر الشيطان امام الله فيسأله عن (فاوست) وهل يعرفه فيسأل ميفيستوفوليس الشيطان الله الرحمن الرحيم عما يرغب ان يراهن به اذا ما جعله يضل السبيل وهنا سار جوته على منوال ما جاء بالتوراة اذ سمح الله للشيطان بأن يسعى لضلال ايوب . كذلك قال الله للشيطان ان يسعى لتضليل فاوست فقال الشيطان ما من شيء عسير عليه وانه سوف يضله سواء السبيل

وبعد تزد ترى فوست وهو رجل يعمل في غرفته منكباً على عمله يبحث وينقب ويدرس ولكنه لم يكن يقنع في نفسه بما ناله من دراسة وعلم كما كان يأمل حتى السحر الذي عني به ووقف له وقته ونفسه لم يصل الى اصل الوجود ومنشأه وكاد يأسه من ذلك يبلغ به الى الانتحار بأن يشرب ما كان بكأس السموم ليريح نفسه من قيود الجسم التي تعوقه من التغلغل في باطن الطبيعة وتحول بينه وبين حقيقة الاشياء . وبينما هو يرفع الكأس السامة ليشرب منها اذ باجراس البيعة تقرر واغنية عيد الفصح تملأ الفضاء . فأعادت تلك الانعام ذكرى طفولته العذبة وذكرى

ايامه الاولى التي قضاها وهو طفل صغير فرجع عن عزمه ثم كاد يتغلب عليه اليأس من جديد واخذ يزجر واصبح في قبضة الشيطان

وسار فاوست مع تلميذه وامين سره (Famulus) المدعو قاجنر يروحان عن النفس واذا بالشيطان الشرير قد اتخذ هيئة كلب يبصبص بذنبه وينظر الى فاوست نظرة كلها ملق فعطف عليه واخذه معه الى منزله وهناك عرف الحقيقة فاخذ يقرأ عليه آيات سحره وتعاويذه و (تعازيمه) فلم يؤثر كل ذلك فيه ثم انقلب الحيوان واصبح في هيئة تلميذ على اهبة السفر ولما سأل فاوست عن حاله اجاب بانه (الروح الذي ينفي — اي يجيب بالنفي — دائماً) وقال له انه سوف يعلم حقيقته بعدئذ حين يسعى لمزج الحسن والجميل والحقيقة والطهارة بالقاذورات ظاهره حسن وكله لباقة ومهارة ونبل وداخله حب الذات واللؤم والسفالة. ثم انه وعد فاوست بالسعادة وراحة الضمير في هذا العالم اذا ما اسلم اليه نفسه ويظل العهد قائماً بينهما حتى يحصل فاوست على طمأنينته وراحة ضميره . وتم الاتفاق بينهما فاراد ميفستوفوليس ان يقود فاوست ويطلعه على ما بهذه الدنيا الواسعة الارحاء من مباحج وعظمة ومسررات . ثم اخذ الشيطان فاوست وطاف به على عالم الملذات الحية من اماكن لهُ ومتاع واكل وشراب مما لذ وطاب ولم يؤثر كل ذلك في الدكتور وعندها اطلعه الشيطان على مرآة مسحورة فرأى بها اهل صور رآها في حياته لامرأة وناولها شراباً ساحراً حرك فيه حب الملاذ والشهوات. وسار في المدينة فرأى (جريتشن Grétchen) احدى النساء الجميلات وهي التي عنى جوته بوصفها فتحركت اطاعة وغلبت عليه شهواته وطلب من الشيطان المساعدة والعون ومال الرجل الى البنت لما رأى فيها من طهارة وعفاف واحبها حباً جما . وقارب فاوست ان يحقق آماله وان يظفر بالبنت زوجاً له وهذا ما كان اليه يصبو الا ان الشيطان قد تغلب ونجح في تأثيره فقد اظهر له صورة مشوهة من نفس جريتشن . ولشدة تعلقها بفاوست ضلت عن طريقها الى العفاف بحسن نيتها وعندها بدأ الشيطان يحد وينحدر بها في هاوية الشقاء والبؤس وماتت امها لانها شربت شراباً مسموماً كان فاوست قد نصح البنت بتعاطيه ثم مات اخوها فالنتين من يد فاوست وكان يحرس منزلها ليلاً واخذ يلعن اخته . وجعل الشيطان يضل فاوست ويجعله يسفك الدماء لكيلا يفلت من يده ويظل تابعاً له . وما زال ذلك الشيطان اللعين يمس الاثنين فيتخبطان ويقعان في حبائله ومكائده . وترى الآنسة قد حملت وقتلت طفلها واستولى عليها الجنون وزجت في اعماق السجون فذبل عودها وهزل جسمها ووقفت بين يدي العدالة لتكفر بالموت عن سيئاتها . وعندها اشتد غضب فاوست على الشيطان اذ انه اخفى عنه كل ذلك واراد التملص منه والخلاص ولات حين مناص فقد استولى عليه اليأس وجعله يتمسك به لكي يساعده على تخليص جريتشن من السجن والقيود . وتمكن فاوست من اقتحام السجن ليخلص محبوبته المسكينة ولكنها

تراجعت ولم تأمن على نفسها ، وقدمت للمحكمة الجنائية العليا فرأى رئيس القضاة ان يعفو عنها بعد ان توسلت هي اليه وظل فاوست في رعاية الشيطان ورهين ارشاداته . والى هنا ينتهي القسم الاول من فوست وفيه ترى ان فاوست قد طاف بكل ناحية من نواحي العلم والعرفان ولكنه لم يشف غليله وانه ذاق كل انواع المذات والمسرات ولكنه لم يرض ضميره وظل اكثر التصاقاً بالشيطان من ذي قبل . وفي القسم الاول من تلك المأساة ترى العقدة تعقد وفي القسم الثاني منها ترى حلها فاذا ما جئنا الى القسم الثاني رأينا فاوست في رعاية الشيطان في بلاط احد القياصرة الذين ساء ملكهم وفسد نظام امورهم قد تحكمت بملكه القوة وعم الظلم والجبروت وارتفع العدل ونذر في السوق العثور عليه واكل الناس الاموال بينهم بالباطل وكثرت الرشوة وأصبحت الخزائن اخوى من جيب الموظف آخر الشهر وازدادت ديون الدولة . وعندئذ تقدم الشيطان في زمن العسر والحاجة وافهم الناس انه رجل الدنيا وواحد لها وانه يعرف امثل الطرق للخروج بالدولة من هذا المأزق المخرج وذلك باختراعه للعملة الورقية (بنك نوت) واخذ فاوست يضارب في المسائل المالية فاحبه البلاط والناس ومالوا اليه ثم انعكست معه الآية وساء عمله هذا فعدل عنه الى سواه واخذ يبحث عن اعلى مثال للجمال حتى عرف هيلينا Helene اخيراً وتجد هذا في قصة فاوست القديمة قبل جوته ولكن الشاعر الكبير قد جعلها وفق طلبته وحاجته وجعل فاوست يبني بهلينا Helena ويرزق منها بولد اسماء Euphorion (اوفوريون) وحي فاوست حياة شعرية وتنقل بين فنون الشعر ونواحيه وجاء الى شاطئ البحر وسكنه واصلاح من شأن الارض حوله وجعلها خصبة مثمرة معمورة بالسكان وارسل الاساطيل التجارية الى البلاد الاخرى وجملة القول انه اوجد لنفسه عملاً كبير النفع كثير الخير للآخرين جعله يشعر بالراحة والطمانينة في شيخوخته تلك الطمانينة التي طالما جد وراءها ثم يموت فاوست وقد رضي الله عنه في خاتمة اذنا نظرنا الى قسمي فوست من حيث قيمتهما الشعرية رأينا القسم الاول يفضل الثاني ويتفوق عليه . فترى الشاعر يصف لك في الاول الحياة صافية اشخاصها يتكلمون ويعملون بينما تراه في الثاني يكثُر من الاستعارات والتشبيه والاشارات وفي الاول ترى (جريتشن) انسانية يجري الدم في عروقها ذات تقى وفهم طفلة طاهرة لطيفة المعشر ظريفة الحركات بينما تراه يعني بهلينا في القسم الثاني الشعر القديم الذي كان للاغريق والرومان من قبل . وكان جوته يعلم انه قد اخفى اشياء كثيرة في القسم الثاني وجعلها مبهمة مستورة حتى ان الايضاحات والتفسيرات العديدة والشروح المختلفة لا تجعلها واضحة مفهومة للكثيرين ولما انتهى جوته من كتابة (فاوست) شعر كأن عبثاً ثقيلاً قد رفع عن عاتقه وكان يقول انه اتم عمله وواجهه كشاعر . ومات جوته في فيمار في الثاني والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٣٢ بعد ان مرض اياماً قليلة ودفن في مدفن الامراء في تلك المدينة الشعرية الخالدة اللطيفة

الحياة والكهربائية

هل هما من معدن واحد

قال أحد الكتّاب ان علم الطبيعة أخذ يضم تحت جناحيه سائر العلوم . ومما لا ريب فيه ان طائفة كبيرة من العلوم المختصة بناحية معينة من البحث اخذت تستمد من علم الطبيعة ما يمكنها من درس الظواهر الخاصة بها ، فأصبحت وكأنها أقسام من علم الطبيعة . فعلم الكيمياء حيث يتناول الاركاز يدعى الآن « علم الكيمياء الطبيعية » ومن اشق الأمور على الباحث تعيين الحد الفاصل بين الطبيعة والكيمياء الطبيعية . وثمة علم الفلك الطبيعي (Astrophysics) وعلم الجولوجية الطبيعية (Geophysics) . وقد أخذ أصحاب علم المحيطات (الاوقيانوغرافيا) يرون في علم الطبيعة وسائل لحل مسائل كانوا يحسبونها حيوية من قبل . أما علماء الاحياء في بحثهم عن بناء المادة الحية فيسألون نفوسهم ، ألا يستطيعون ان يرجعوا بنواميسها إلى نواميس حركة الالكترونات والبروتونات والايونات

إن إمتداد علم الطبيعة إلى الكيمياء والجولوجية والفلك أمر معقول . وأما تعديده على علوم الأحياء فغير معقول لأول وهلة . إذ يصعب علينا أن نتصور الخلية الحية ، التي تنطوي على دماغ كدماغ نيوتن ، أو يد كيد رفائيل ، وكأنها آلة مركبة من ذرات . ولكن منذ ماركس الكيمياء الألماني وهلم مادة « اليوريا » ضعف القول بوجود قوة حيوية تدخل على المادة فتجعلها حية . وفوز العلماء المحدثين بصنع خلايا تتصرف من بعض الوجوه كتصرف الخلايا الحية ، يقوي الامل الذي بنى عليه أحد العلماء القول بأن صنع المادة الحية في المعمل قد لا يتأخر . فعلماء الاحياء يشدون مطاياهم الآن إلى غاية عظيمة — هي فهم الأفعال الحية ما سر الحياة ؟ . . . ولكن أجب أولاً لماذا تنقسم الخلية إلى خليتين ، فلعلك تجد

في الجواب عن السؤال الاصغر جواب السؤال الأكبر

خذ خلية ملقحة من خلايا القنفذ البحري (الرتسا أو التوتياء) ودعها تنقسم إلى خليتين ثم خذ كلا من الخليتين وضعها في إناء على حدة ترها وقد نمت إلى قنفذ بحري كامل الاعضاء . أو دع الخليتين تنقسمان إلى أربع خلايا أو إلى ثماني خلايا ثم خذ كلا من هذه الخلايا وضعها في إناء على حدة ثم قنفذاً بحرياً كاملاً . فلماذا تنمو كل خلية ، إذا فصلت عن غيرها ، قنفذاً بحرياً كاملاً ، ولكنها لا تفعل ذلك إذا بقيت واحدة من طائفة من الخلايا ؟ وما الطريقة التي تعلم بها الخلية المفصولة ان عملية تخليد الحياة تقع على عاتقها فتتبع قنفذاً بحرياً كاملاً ؟

أو اقطع الغصن الرأسي من شجرة الشوح. فلا تلبث حتى ترى أحد أغصانها الجانبية وقد انتصب وحل محل الغصن الرأسي المقطوع. فجاعة الخلايا التي تتألف منها الشجرة، تتصرف كأنها تعرف أن غصنها الرأسي قد قطع. فلماذا تتصرف هذا التصرف؟ وكيف تعرف أن غصنها الرأسي قد قطع؟ فليس للشجرة ولا لبيضة القنفذ البحري اعصاب: فما هي وسياتهما إلى فعل ما تفعلان أن تعاون الخلايا والتنسيق بين أفعالها مسألة حيوية قديمة حافلة بالأسرار. وطالما استرعت عناية الباحثين وليس ما يلي إلا خلاصة لبعض النتائج الحديثة في هذا الميدان

كان الدكتور لند E. J. Lund استاذ علوم الأحياء في جامعة تكساس، يشتغل في معمل علم الحيوان بجامعة جونز هبكنز سنة ١٩١٤ وكان بحري تجاربه على حيوان مجهرى (مكرسكوبي) يطفو في الماء يدعى البرساريا Bursaria. ولهذا الحيوان اهداب شعرية يحركها فيحدث في الماء تيارات تتجه إلى ناحية فيه وهي طريقة تستعملها الحيوانات المفردة الخلية لالتقاط دقائق الغذاء من الماء. ومن غريب ما رآه أن هذا الحيوان، يكون في بعض الأحيان، فما في مؤخر جسمه أي في الطرف المقابل للطرف الذي فيه فهو العادي. ثم يغير حركة نصف الاهداب التي تغطي جسمه فيحدث في ناحية تيارات مائية تتجه إلى فيه الواحد، وفي الناحية الأخرى تيارات مضادة تتجه إلى فيه الثاني. ثم لا يلبث أن ينشطر الحيوان الواحد إلى اثنين، لكل منهما فم، وينفصل أحدهما عن الآخر، ويعيش كل منهما عيشة مستقلة. ولكنه شاهد في بعض الأحوال أن أحد الشطرين، يضم رويداً رويداً قبل الانفصال ثم يزول، كأن النصف الآخر قد قوي عليه وابتلعه. فلما حاول الدكتور لند أن يعلل هذا التحول في تصرف الحيوان - كتحوّل الذنب إلى فم، وابتلاع النصف الواحد للنصف الآخر - تذكر ما يفعله حيوان آخر، وحيد الخلية إذ يوجهه إليه تيار كهربائي

ذلك الحيوان يدعى البراميسيوم - وهو أبسط تركيباً من البرساريا - ومؤلف من خلية بيضية مستطيلة تغطيها اهداب تتحرك لتحديث في الماء تيارات تتجه إلى فم الخلية لتجهزها بدقائق الغذاء. وكان بعض الباحثين - قبل لند - قد بينوا أنه إذا وُجّه تيار كهربائي دقيق إلى البراميسيوم أثر في حركة اهدابه تأثيراً يختلف باختلاف اتجاه التيار. فإذا كان التيار متجهاً من رأس البراميسيوم إلى ذنبه، تغير اتجاه حركة الاهداب في النصف المؤخر فتحدث تيارات مائية متجهة إلى ناحية الذنب كأن الذنب فما تجب تغذيته، ولكن إذا عكس اتجاه التيار بعد ذلك عكست حركة الاهداب في نصفي الخلية

فبعدما أجرى الدكتور لند مباحث وتجارب كثيرة من هذا القبيل، ثبت له أثر التيار الكهربائي في الخلايا في أثناء نموها. فعرف أنه يستطيع أن يوقف النمو أو يعيقه أو يغير اتجاهه باستعمال التيار الكهربائي. بل تمكن في خلايا بعض الحشائش البحرية من أن يعين اتجاه

النمو كما يشاء فوجد أنه إذا ترك الخلايا الملقحة من دون أن يتعرض لها بتيار كهربائي، نمت منها أعشاب، نموًا مشوشًا في نواحٍ مختلفة، فهذه إلى اليمين وتلك إلى اليسار وأخرى بين الاتجاهين. ولكن إذا وضعت الخلايا الملقحة في مسير تيار كهربائي انتظم اتجاه نموها. وتحوّل الجانب المواجه إلى القطب الموجب إلى جذر دائماً. ولما وجد أن للتيار هذا الأثر الواضح في نمو الخلايا، سأل نفسه، أليس للكهربائية أي أثر في نموها السوي. ألا تولد هذه الأحياء كهربائية في أثناء نموها؟ وإذا كانت تولد كهربائية في أثناء النمو، فهل يشابه تأثير هذه الكهرباء في نموها تأثير التيار الكهربائي الموجه إليها من الخارج؟ أليس لهذه القوة الكهربائية أثر في نماء الأحياء وتنوع خلاياها وأعضائها من رأس وذنب وجذر وغصن

عرف من قبل أن العضلات والأعصاب صفات كهربائية، لأن فعلها يصحبه إطلاق قوة كهربائية. كذلك عرف أن السنط الحساس والاسماك الكهربائية تطلق قوة كهربائية إذا لمست، ولكن إطلاقها للكهربائية متقطع كأنه إطلاق القوة الكهربائية من جرة ليّدن. أي ليس ما ينطلق منها تياراً كهربائياً مستمراً. وظهرت الكهرباء الحيوانية مسلّم بها منذ ما اثبت غلفني العالم الكهربائي ذلك في الضفدع في أوائل القرن الماضي

ولكن الباحث الألماني «بف» كشف في سنة ١٨٥٤ ظاهرة كهربائية أخرى في الأحياء تختلف عن الظاهرة السابقة الذكر. ذلك أنه اثبت وجود تيار كهربائي مستمر من رأس الجذر إلى أجزاء النبات العليا. ثم اعاد العالمان ملسر هنلنجنغ وماثيوز — كل على حدة — تجارب «بف» فأثبتا النتائج التي وصل إليها. فلما بدأ لند مباضه بدأها بدراسة التيارات الكهربائية المستمرة في النباتات والحيوانات، فقصى في جامعة منسوتا والمعمل البيولوجي في بيوجت سوئند وجامعة تكساس اثنتي عشرة سنة يوالي التجربة والبحث وصل في نهايتها إلى النتائج الآتية

- ١ — في النباتات والحيوانات تيارات كهربائية مستمرة مما يبين أن الكهرباء ملازمة للحياة
- ٢ — تولد هذه التيارات في الخلايا الحية في كل كائن فكان كل خلية بطرية كهربائية صغيرة
- ٣ — تختلف الخلايا في مقدرتها على توليد الكهرباء، فهي على أعظمها في الخلايا الناشئة ثم تضعف في الخلايا الهرمة ثم تزول بتاتاً في الخلايا الميتة

٤ — قوة التيارات التي تولدها الخلايا توازي قوة التيارات الكهربائية المستعملة في التجارب المذكورة آنفاً

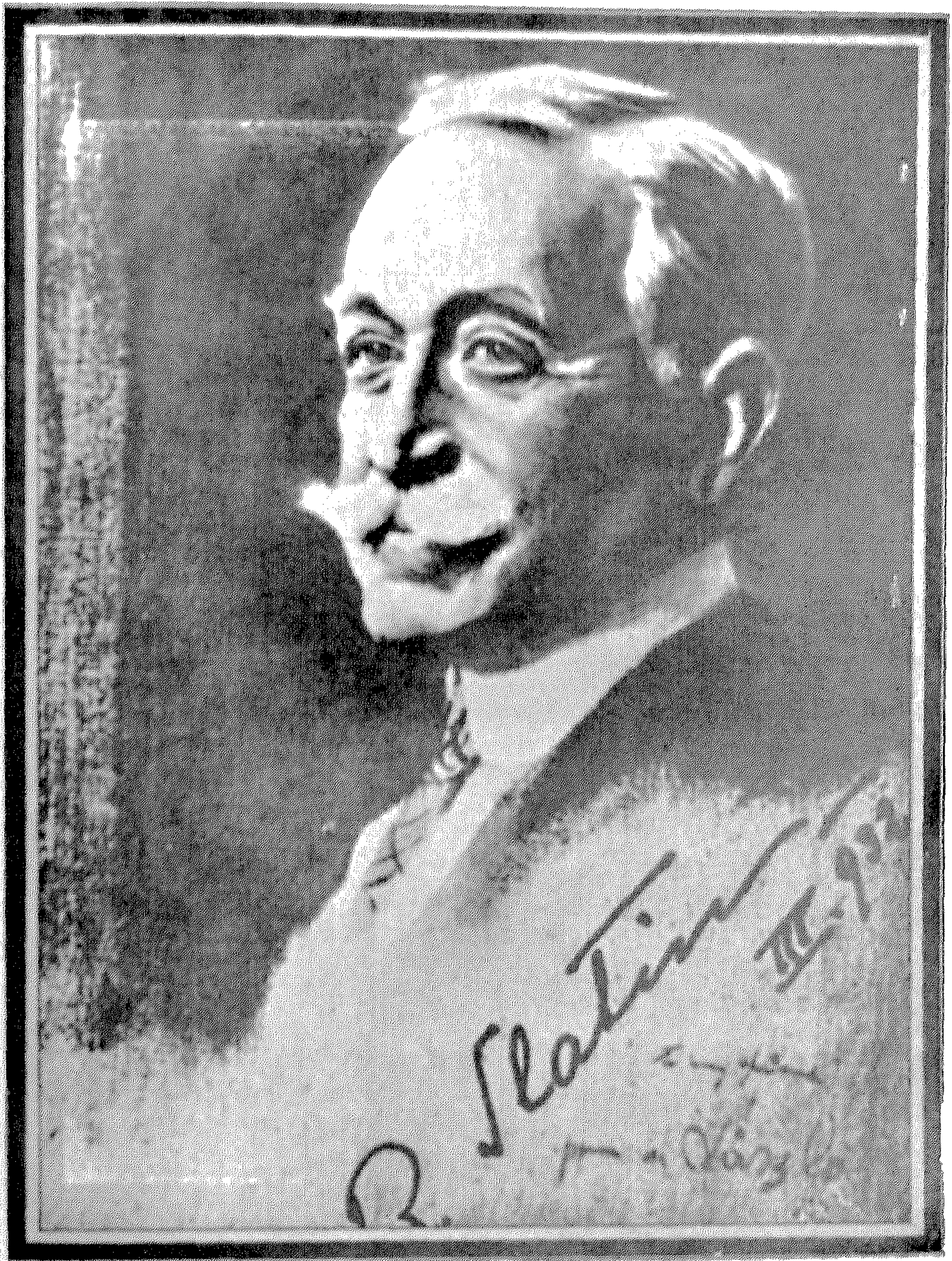
٥ — إن هذه المقدرة على توليد الكهرباء توليداً مستمراً صفة عامة من صفات المادة الحية فهل يأتي التحوّل على الحياة والنماء وفقاً للتحوّل في ما تولده الخلية من الكهرباء؟ هل التقدم في السن والموت نتيجة لضعف هذه القوة أو ظاهرة تصاحبها، فكان الخلية لدى موتها بطرية كهربائية قد فرغت؟ هذه مسائل تبدو للذهن لدى الاطلاع على نتائج هذا البحث الطريف

البارون سلاتين باشا

بقلم من عرفه وصحبه في اعماله واسفاره

لما قامت ثورة المهدي في السودان واستفحل أمرها ثارت قبائل الغرب في جهات دارفور حيث كان سلاتين باشا مديراً عاماً فكان له معها مواقع حامية ذكرها في كتابه وقد بلغت على ما أذكر ٢٧ موقعة كان الفوز له في أكثرها وذلك بحسن تدريبه العسكري وقوة ابتكاره لأنه تلقى العلوم العسكرية في فيينا وكان ضابطاً في جيشها العامل . لكن انتصارات المهدي على جنود الحكومة في كردوفان وجهات أخرى من السودان لا سببا على حملة الجنرال هكس باشا وحصار الخرطوم كان من شأنها أن تؤثر تأثيراً سيئاً جداً في أفكار جنوده الذين كانوا يتحسبون الفرض لترك حصونهم والانضمام الى المهدي بأسلحتهم وذخائرهم وكانوا ينسبون انخذالهم في بعض المواقع — مع انهم كانوا يكبدون الاعداء خسائر فادحة تزيد عن خسائرهم كثيراً — الى كون قائدهم مسيحياً . فرأى سلاتين باشا ان السهم الوحيد الذي بقي في كنانته للاحتفاظ باخلاص جيشه الى ان يتسنى للحكومة القضاء على حركة المهدي هو ان يعتنق الدين الاسلامي بحضور القاضي والمفتي وضباط الجيش ثم استعرض الجنود واعلن لهم اسلامه فهتفوا له طويلاً ووعدوا ان يخلصوا للحكومة وله في القول والفعل . فكان لذلك بعض الاثر . ولما لم يبق لديه الا عدد قليل من الجنود قد برح بها الجوع وفتكت الحميات وتفتت ذخائرها اضطر الى ان يسلم الى قائد جيش المهدي خالد زجل وكان وكيلا للمديرية تحت راسة سلاتين باشا . وكان سلاتين يعرف ان وكيل مديريته من اقارب المهدي وانه على اتصال به فلم ير للتخلص منه ومن دسائسه سوى انفاذه الى المهدي لكي يراقب الامور ويخبره بما يجري لكنه عند وصوله الى معسكر المهدي انضم اليه قلباً وقالباً وصار من اشد اعوانه واكبر انصاره فجعله اميراً وانفذه مع جيش كبير الى دارفور للاستيلاء عليها . وقد ذكر لي سلاتين باشا ان امر ايام حياته كان يوم اضطراره ان يسلم ويخضع الى من كان احد موظفيه ولكنه ابرم معه اتفاقاً حفظ به حياة رجاله وحرمة نسائهم وبناتهم

وقد صحب سلاتين باشا جيش المهدي في اثناء حصار الخرطوم وفي تلك الآونة اوجسوا منه خيفة ان يهرب وينضم الى جيش غردون باشا لانه راسل غردون بذلك فعلاً ولم يتلق منه ردّاً



البارون سلاتين باشا

امام صفحة ٤٦٥

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢

فألقوا القبض عليه بامر الخليفة واثقلوه بالاغلال والقيود ووضعوا في رجله « مكية » ثقيلة جعلته لا يستطيع النهوض او السير على قدميه وأظنه اخذ هذه المكية بعد فتح الخرطوم الى بيته في قينا لكي يريها لاصدقائه ومعارفه ويحافظ على ذكر ملازمتها اياه في سجنه !!

ولما سقطت الخرطوم في ايدي الدراويش وقتل بطلها العظيم غردون باشا اتوا الى سلاتين باشا في سجنه برأس ذلك البطل وقالوا له انظر اليس هذا رأس خالك الكافر الذي كنت تحاول الفرار للانضمام اليه . فنظر سلاتين باشا الى ذلك الرأس هلعاً وكاد ان يغمى عليه لكنه تمالك روعه وظهر تَجَلُّداً لا يستطيعه الا من كان له من قوة الارادة وضبط النفس ما له وقال لهم « ان صاحب تلك الرأس لم يكن الا جندياً باسلاً مات شريفاً في سبيل القيام بواجبه » وبقي سلاتين باشا سجيناً في السائر (اسم سجن الدراويش) يقاسي من العذاب وشظف العيش ما ترتعد له الفرائص الى ان أخرجه الخليفة والحقة بخدمته « ملازماً للفروة » وكان يقف في بابه ليل نهار ويقوم بالصلوات الخمس من دون انقطاع حتى لا يتسنى له فرصة للفرار بعد موت المهدي تسلم الخليفة عبد الله التعايشي زمام الحكم المطلق فشد الرقابة على سلاتين باشا وكان يعتز امام عربان التعايشة وقبائل الغرب البقارة ان الحاكم الذي كان يسيطر عليهم اصبح اسيراً في قبضة يده

وقد روى لي سلاتين باشا ان الخليفة لما كان يستعرض جيوشه التي كانت تملأ السهل والجبل كان يقف تحت رايته الزرقاء فتمر امامه الجنود (جيوش المهديّة) هاتفين مهلين مكبرين ثم يأخذ بعض الفرسان الممتازين بالاتقضا على الراية التي كان الخليفة تحتها ويهز السيف او الرمح فوق رأسه ويتكئ اي يتفاخر . وكان سلاتين باشا في بادىء الامر يجري وراء الخليفة حافي القدمين متحملاً حرارة الارض المحرقة في ايام الصيف حتى ان قدميه تشققتا وصارتا تكف الجمل ولكنه كان يتجالد واضعاً نصب عينيه الفرار والحرية . واخيراً صرح له الخليفة ان يمتطي جواداً ويسير في ركابه وفي احد الايام إذ كان الفرسان يقومون بالعابهم الحربية ويظهر كل منهم ما يستطيعه من ضروب الفروسية التفت الخليفة الى سلاتين باشا وسأله (منادياً له باسم عبد القادر) لماذا لا يبدي امام اخوانه انصار الدين ما يعتاز به من المهارة في ركوب الخيل ويفاخر باعماله مثلهم فقال له حنباً وكرامة يا خليفة المهدي . ثم كرّ بجواده ولعب على ظهره العاباً دهش لها الخليفة وفرسانه ثم انقضّ على راية الخليفة وهزّ سيفه فوق رأسه وقال « انا المصيبة المعلقة بسببية (شعرة الفرس) اذا انقطعت السببية حلت المصيبة » . فابتسم الخليفة واثنى على مهارته واخلصه في نصرة المهديّة وسأله قائلاً من اين تعلمت يا عبد القادر هذه الاقوال الحماسية فاجاب انه تعلمها من العرب الذين عاش اليهم زمناً طويلاً . فقال الخليفة بارك الله فيك وفي مروءتك . ولما تمكن سلاتين باشا من الفرار قال الخليفة لرجال مجلسه الخاص

ان السبيبية قد قطعت كما قال ذلك (الكوينر سلاتين) وقد صدق في ذلك لان فرار سلاتين باشا من السودان كان له الشأن الاول في تقرير امر الحملة لاسترجاع السودان من ايدي الدراويش وكان الخليفة شديد الحرص على سلاتين باشا والاحتفاظ به وكان يقيم عليه الارصاد ويبث الجواسيس لتتسم اخباره ومعرفة كل حركة وسكنة من اعماله وكثيراً ما كانت الاخبار التي كان يتلقاها الخليفة محشوة بالاكاذيب والترهات فكان عند سماعها يستدعي سلاتين باشا اليه ويسأله أن يخبره بالحقيقة ولا يكتم عنه شيئاً فكان سلاتين باشا يتظاهر بثقل السمع حتى يكون له متسع من الوقت للتفكير بما يجيب مستفيداً من الدقائق القليلة التي تلزم لاعادة سرد تلك التهمة . وبقيت تلك العادة متسلطة عليه إلى ما بعد فراره فلما قابل الملكة فكتوريا كان يستعيد القبول إذا تكلمت فسأله هل في سمعه وقر فقصر عليها كيف ان هذه العادة تمكنت منه مدة أسره وكانت وسيلة مكنته من تسويغ اعماله لدى الخليفة في مواقف كثيرة كان الموت أو السجن أقرب اليه من حبس الوريد فأعجبت جلالته بسعة حيلته وشدة دهائه وبعد نظره

وقد حدثني رحمه الله أنه كان في مدة أسره يطلب كل سنة من الخليفة أجازة ثلاثة أيام يقضيها في بيته لتناول دواء خاص تعود تناوله مدة حياته حفظاً لصحته . فكان الخليفة يأذن له بذلك إنما كان يحيطه بالجواسيس والارصاد خوف فراره . ولكنه في السنوات الاخيرة خفف كثيراً من شدة هذه المراقبة وفي السنة التي تمكن فيها سلاتين باشا من الهرب من أم درمان بناءً على الاجراءات التي أعدت له بوساطة مدير المخابرات العسكرية (الميرالاي ونجت بك وقتئذ) ومؤازرة قنصل جنرال حكومة النمسا والمرجومين ملحم بك شكور ونعوم بك شقير والقس يوسف اوهرولدر (الذي تمكن قبله من الفرار من أم درمان مع راهبتين) طلب سلاتين باشا هذه الاجازة السنوية من الخليفة فسمح له بها كالعادة وهذا مكنته من اكتساب الوقت الكافي لاجتياز ما يزيد عن ١٣٠ ميلاً مع أدلته في ٢٤ ساعة فوصل إلى جبل الجلف بالقرب من بربر وهنا اضطر أن يبيت مخبئاً في مغاور الجبل إلى ان اعدوا له مطايا أخرى عبر بها نهر النيل وسار في عتمور أبو حمد إلى أن وصل إلى المرات وكان فيها نقطة للحكومة من عربان العبادلة الموالين للحكومة ومنها ذهب إلى اصوان حيث قابله هنتر بك (هنتر باشا) ومتشل بك وغيرهم من الضباط الانكليز في الجيش المصري

وأذكر انني كنت حينئذ رئيساً لفرع مكتب المخابرات العسكرية في سواكن وقبل وصول سلاتين باشا إلى الديار المصرية بنحو ١٨ يوماً جاءني تاجر من أهل بربر كنت أساعده في أعماله واستخدمه في التحري عن شؤون السودان والسؤال عن أمور كانت تعهد إلي بها ادارة المخابرات في مصر . وقد ساءت لي علمني بفرار سلاتين باشا من أم درمان

فطيرت هذه البشرية في الحال على جناح البرق الى مخبرات مصر فلم ألث حتى وردني الرد بالاستفهام هل الخبر مما يستحق أن يركن اليه وعن الطريق التي سلكها سلاتين حتى إذا كان قد اتخذ طريق بربر الى سوا كن ترسل الحكومة قوة راكبة من الهجانة للاستيلاء على نقطة كوكرب التي كان يتولى الدفاع عنها كتيبة من الهندوه تسهيلاً لفراره . فأجبت باسم المحافظ ان النبأ حقيقي لان الرجل الذي جاء به من اعوان المخبرات وانه قد شاهد الهجانة الذين أرسلهم الخليفة في أثره وانه قد اجتاز مسافة تقرب من ٣٠٠ ميل في ثلاثة أيام ليتصل بأسرع ما يمكن . وان الطريق الذي سلكه سلاتين لا بد ان يكون نفس الطريق الذي سلكه القس يوسف اوهر والدر والراهبستان من قبله وهو عتمور أبو حمد لان الطريق بين بربر وسوا كن مأهولة بقبائل الهندوه لا سيما وان عثمان دجنه وأعوانه يرابطون في جميع الجهات وان سلاتين باشا أحرص من أن يستهدف لمثل هذه الأخطار

وعند وصول سلاتين باشا إلى اصوان ورد تلغراف من مدير المخبرات العسكرية بمصر إلى حاكم سوا كن لويده باشا يزف اليه هذه البشرية ويثني على إدارة المخبرات في سوا كن التي سبق خبرها الهارب

وقد ذكر لي سلاتين باشا في أحاديثه انه عند ما كان مديراً عاماً لدارفور وكان إذ ذاك فتى في بدء عهد الشباب أن أحد معاونيه (وكان متقدماً في السن اشيب الناصية) كان كلما رأى رئيسه رأياً أو أمرأً في شأن من الشؤون أن يعارضه بحجة انه أكبر منه سناً وأنه أعرف منه بأمور الحياة . فقال له سلاتين باشا يوماً وهل تظن يا هذا ان التقدم في السن يعد حجة لعلو كعب الانسان في الشؤون الادارية والسياسية وهذا الطاهي في بيتي أكبر مني ومنك سناً . فوجم الرجل وعلم ان رئيسه الشاب ليس ممن يسهل التسلط على ارادتهم وقد عرفت سلاتين باشا في مواقف عديدة فرأيت من اصالة رأيه في الأمور وسعة مداركه ما يحتاج إلى أكثر من مقال واحد . وقد كان ممن لا يسهل تحويلهم الى ما يخالف رأيهم بوجه من الوجوه الا بالحق والاقناع . ولكنه يذعن للصواب إذا أمكن اقناعه به . اضف الى ذلك انه كان قوي الحجة شديد البرهان سريع الخطا

وقد حدثني يوماً ان جلالة الملك ادوارد السابع دعاه مرة إلى ليلة ساهرة في قصر بكنغهام فذهب بملابس السهرة السوداء ولما التقى بجلالة الملك قرأه السلام لكن الملك اعرض عنه وبعد برهة عاد اليه وسأله لماذا لم يرد ثوبه العسكري ويتقلد جميع اوسمته فأجابه أن ذلك لم يذكر في الدعوة التي تلقاها من القصر فقال له الملك ان أوامره الدائمة في شأنه تقضي بانه اذا دعي إلى القصر لسهرة أو لمأدبة وجب ان يكون بلباسه العسكري متقلداً جميع اوسمته ومدالياته الحربية . وقد قال لي انه منذ تلك الليلة لم يكن يظهر في القصر الملكي الا بلباسه العسكري

وأوسمته فكان يظهر مثل شجرة عيد الميلاد... ولما زار سمو عباس حامي باشا الخديوي السابق الخرطوم أقيمت له حفلة استقبال في قصر الحاكم بالخرطوم حضرها كبار رجال الحكومة والضباط العسكريين والموظفين والعمد والمشايخ والاعيان وقبل الحفلة بقليل ذهبت إلى بيته لآخذ قراره في أمر خطير فوجدته منهمكاً في وضع أوسمته على ثوبه العسكري . ولما رأيته قال لي اني يا ابراهيم أشتغل منذ أكثر من ساعة في ما تراني منهمكاً به فقلت له يا سعادة الباشا اعطني هذه الأوسمة التي تبهر الابصار فلا اسمعك مثل هذه الشكوى المرة فابتسم وقال لي اني لما كنت في سنك لم يكن لي الا القليل جداً منها وها انت الآن تتقصد عدداً لا بأس به اذا نظرنا الى صغر سنك فضحكت وضحك هو لانه ادرك ما كان يدور بخاطري

وقد كان للمرحوم سلاطين باشا رعاية خاصة لدى الملكة فكتوريا ولدى الملك ادوارد وكان هذا احياناً يصطحبه في زيارته الخاصة عند ما يذهب الى مارينباد او كرلسباد للاستشفاء بمياههما المعدنية

زرت مرة سلاطين باشا في مصيفه الجميل القائم على بحيرة ترونكرخن وكان المرحوم مبروك باشا فهمي رفيقي في هذه الزيارة فعرفنا عائلة انكليزية توطنت في تلك الجهة منذ زمن طويل تدعى عائلة هاسوال وقد كان احد أبنائها مديراً لمصلحة التنظيم بمصر ويعرفه كثيرون . وقد ذكر لي سلاطين باشا ان عمه المستر هاسوال المذكور وكانت دائماً تلح عليه ان يساعد في المشول بين يدي جلالة الملك إذا تمكن يوماً وان يستعطفه لان يعرج بقريتهم في اثناء سفره إلى المنتجعات المائية وكانت تقول له ان أقصى أمانها أن ترى جلالته قبل وفاتها . فانهز سلاطين باشا فرصة سانحة وأخبر الملك ادوارد بحديث هذه العائلة الانكليزية مولداً والنسوية تبعة وذكر له شيئاً عن الامنية العظيمة التي كانت تلك السيدة لا تفتر عن المجاهرة بها . فعين جلالته موعداً يمر فيه بتلك الجهة ويقف بقطاره في تلك المحطة وأمر سلاطين باشا أن يبرق بذلك الى هذه العائلة والى اخواته الثلاث ففعل وعند وصول القطار كان الجميع ينتظرونه . في المحطة فنزل الملك من القطار مع شدة الامطار المنهمرة وصافح الجميع . ولما رأت السيدة الطاعنة في السن الملك هتفت بأعلى صوتها قائلة الآن تنطلق عبدتك يا رب السلام لان عيناى قد ابصرتا خلاصك (إشارة لما قاله سمعان الشيخ عند ما رأى المسيح طفلاً)

ومما قصه عليّ انه أصيب في إحدى المواقع التي جرت في دارفور برصاصة في منتصف عقدة بنصر يده اليمنى كسرتها فطلب من احد ضباطه ان يقطع تلك العقدة لكن الضابط تردد في تنفيذ الامر واطهر الجزع فتناول السكين من يده وقبض على الاصبع المكسورة بنواجذه . وقطعها بنفسه وقد صيبت سلاطين باشا في كل اسفاره في جميع انحاء السودان مدة طويلة فلم أر أصلب منه عوداً ولا أكثر صبراً وجلداً على احتمال المشقات وكثيراً ما كنا نضطر اذا اقتضت الحال ان

نسير مسافة تقرب من مائة ميل في اليوم على ظهور الهجن
ثم اني درست حياة سلاتين باشا درساً دقيقاً في حاله وترحاله فعرفت فيه الذكاء وسرعة
الخطاير ومكارم الاخلاق والابتعاد عن الاساءة للغير ولا أذكر إنه سعى في ايداء احد من
الذين اعتدوا عليه أيام اسره وكان يساعد كل من التجأ اليه بكل وسيلة تصل اليها يده وكثيراً
ما كان يحسن إلى أشخاص وأسر اخني عليها الدهر ويجود بمال من جيبه الخاص بعد
نفاد جميع المبالغ المرصودة لمثل هذه الغايات في ميزانية مكتبه وميزانية قلم الاخبارات
وميزانية الحاكم العام . وما رأيته يوماً يخيب رجاء انسان إذا رأى وجهاً لمساعدته . وكان يقول
لي ان السياسة التي كان يسير عليها الحاكم العام ويناصره هو فيها بكل ما في وسعه هي السياسة
التي بلغت بالسودان في مدة قصيرة الى ما وصل اليه من الارتقاء . وقد صدق وايم الحق من
وضع رسم اللورد كتشنر ورسم الجنرال ونجت باشا ورسم سلاطين باشا في اطار واحد وكتب
تحتها The three Makers of the Sudan اي الرجال الثلاثة الذين شيدوا معالم المدنية في السودان
وقد كان سلاتين باشا في اثناء اقامته في الخرطوم مفتشاً عاماً للسودان ، مقصد جميع السياح
والصيادين الاجانب الذين كانوا يحضرون الى السودان افواجا كل سنة في فصل الشتاء وفصل
الربيع التي لا تسقط في اثنائهما الامطار ، فكان يمدّهم جميعاً بما في طاقته ، وكان يقيم الولايم ثلاثة
ايام او أربعة في الاسبوع لمن يكون منهم في الخرطوم في اثناء فصل السياحة فكانوا
يدهشون لاحاديثه الطلية وملحه العذبة التي طرب لها الملوك والامراء فسرّهم استدعاؤه الى
قصورهم وإلى حفلات ولأئمتهم ومراقصهم

وقد ذكر لي أنه أعطى يوماً كريمات الملكة الكسندرا رسمه فقالت له الملكة مازحة انها
تجده كغيره من الرجال لا يروقه سوى إرضاء الشابات فقال لها معتذراً ان كريماتها قدمن
رسومهن له وطابن رسمه ففعل فابتسمت الملكة ولم تفتشها النكتة فقدمت له رسمها الكريم
موقعاً عليه منها وكان للبasha كل الفخر أن يحذو حذوها

وقد كان لسلاطين باشا كما عرفت منه الفخر العظيم يوماً أن يرقص مع جلالة الملكة
الكسندره بناءً على اشارة جلالة الملك ادورد وذلك لكي يرقص محاذياً لجلالته لما افتتح
الرقص مع جلالة ملكة اليابان التي كانت في ضيافته فجاء هذا دليل على ما كان لسلاطين باشا
من المكانة والالتفات في قصر أعظم ملوك العالم

وكان لسلاطين باشا يد في الانتصار على جيوش الخليفة في موقعة أم درمان الشهيرة لأنه أرسل
سراً إلى بعض أصدقائه الأوفياء في أم درمان ممن كان يضمهم بلاط الخليفة وكانوا أعضاء في
مجلسه الخاص يحثهم على أن يشيروا على الخليفة بأن لا يهاجم الجيش المصري ليلاً في كرري
بل ينتظر الى الصباح لان الانوار الكشافاة الكهربائية التي تطلقها السفن الحربية تكشف

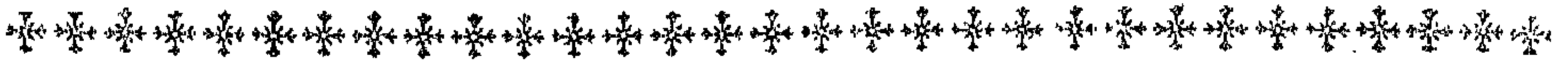
رجال جيشه وتبهر ابصارهم فلا يروُن شيئاً مما حولهم فتفتك بهم المدافع والرشاشات فتكاً ذريعاً وان يشيروا بالتريث إلى بزوغ الفجر فيكر عليهم بخيله ورجله ويبيدهم عن آخرهم ثم يعود إلى أم درمان ليصلي صلاة العصر في الجامع طبقاً لما جاء في نبوة المهدي قبل موته إذ قال ان جند الحكومة سيباد عن بكرة ابيه في كرري . وكرري هو المحل الذي جرت فيه موقعة أم درمان التي اعادت سلطة الحكومة إلى بلاد حلت بها الفوضى وعم الظلم والخراب مدة طويلة من الزمن . ولو أن الخليفة هجم على جنود الحكومة بجيشه اللجب ليلاً لكانت خسائر الجيش اعظم على ما يقوله الخبيرون

ولما نشبت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ كان سلاتين باشا بالاجازة في النمسا . وقد تم زواجه في بدنها بالبارونة رامبورغ فارسل اليه حاكم السودان العام وصديقه الحميم ونجت باشا ان يوافيه الى مصر لكنه لم يفعل لان جنسيته ومركزه الادبي والاجتماعي حالاً دون ذلك على انه ذهب الى الامبراطور وأخبره انه يتحتم عليه كنمسوي مخلص لامته وبلاده ان يخدم وطنه خدمة صادقة لكنه لا يسمح لنفسه ان يستل السيف لمحاربة امة يحترمها وتربطه بملكها وأعظم رجالها او اصر الصداقة فأجابته الامبراطور وكان فرنسوي جوزيف انه يعلم ذلك واستمهله الى الغد حتى يتسنى له ان يستشير رجال وزارته . وفي اليوم الثاني دعاه اليه واخبره انه قرر تعيينه مديراً لجمعية الصليب الاحمر فقام بواجبه نحو امته ونحو الدول المحاربة بما يرضي ضمير كل محب للانسانية . وأذكر ان بعثة الصليب الاحمر التي كانت برئاسة الدكتور خريستوفر سن — وكان هذا من زملاء سلاتين باشا لما كان مديراً لمصلحة الصحة العمومية في الخرطوم — عند ما وقعت في أسر القائد النمسوي عند انتصاره على جيش الجبل الاسود اتوا بها إلى فيينا فقابلها سلاتين باشا بكل حفاوة واحترام على المحطة وقدم لجميع أفرادها هدايا من الحلويات والاشياء التي كان الحصول عليها أيام الحرب متعذراً ثم سعى باطلاق سراحهم جميعاً وترحيلهم إلى البلاد المحايدة . وهذه وغيرها من الخدمات الانسانية التي كان يقوم بها سلاتين باشا نحو الحلفاء من دون الاضرار بمصلحة حكومته وأمته كان لها أبلغ وقع لدى حكومات الحلفاء فحمل ذلك حكومة انكلترا على أن لا تمس رتبة وأوسمته الانكليزية . ولم يكن للخبر الذي نشرته بعض الجرائد انه أعاد أوسمته إلى انكلترا عند وقوع الحرب أدنى اثر من الصحة كما عرفت منه بالذات . وقد جاملته الحكومة المصرية فأعطته كل ما كان متجمعاً له من المعاش مدة الحرب وكافأته حكومة السودان لما وضعت الحرب اوزارها بمبلغ من المال

وكان له يد في مساعي الصلح الابتدائية بين الدول الاوربية فكان لشهرته المظيمة ولحسن صلاته الودية مع ملوك اوربا ووزاراتها اكبر اثر في تسهيل مهمة مفاوضات الصلح كما عرفت منه

ابراهيم ديمتري

حيفا



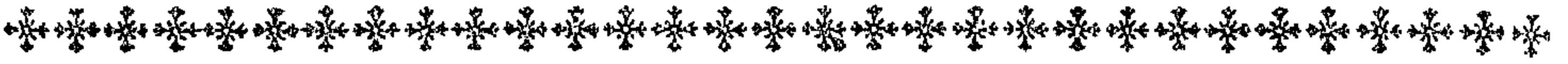
الحضارة الفينيقية

وتأثيرها في التمدن القديم

علاقة فينيقية بمصر

— ٢ —

أثبتتها بحوادث التاريخ من الفتح العربي الى العهد الحديث



الفتح العربي

اذا صرفنا النظر عن العصر البيزنطي ولم نتبسط في الكلام عنه خلاوه من ادلة تاريخية بارزة على اشتراك مصر وسورية في امر هام او تعاونهما على درء شر مستطير وما شاكل ذلك من وجوه الاتحاد والتآزر فلا يسعنا الاغضاض عما قام بينهما من الصلات الوثيقة في عصر العرب. فان التاريخ طافح بالشواهد والبيّنات على ان هذا العصر اعاد العلاقات بين البلادين الى احسن مما كانت عليه في عهد الفراعنة. ذلك انه لما تقلص نفوذ الدولة البيزنطية او الدولة الشرقية من سورية وافضت الساطة فيها الى العرب المسلمين في القرن السابع للمسيح عادت صلات المودة فاستحكمت بين الديار الشامية والمصرية باتصال سيادة الفاتحين الى مصر على يد عمرو بن العاص^(١). وقد كان عصر العرب في القطرين في ولاية بني امية وبني العباس عصر فلاح واقبال ولو انه لم يخل من شوائب شوهت شيئاً من محاسنه. وبلغ الرقي الادبي العلمي في سورية شأواً بعيداً في أيام هارون الرشيد أعظم خلفاء العباسيين وانتشرت دور العلم ومعاهد التربية في ولايته انتشاراً كبيراً ولا سيما في دمشق، ورسخت آداب الفاتحين والعلوم التي تلقنوها من علماء السريانيين واليونان في القطرين السوري والمصري وتأصلت عاداتهم واخلاقهم وتقاليدهم عند السوريين والمصريين على السواء وما زال هذا شأنها الى اليوم. فانك ترى الى الآن في اخلاق الشعبين وعاداتهما وعلاقات الافراد والجماعات احدهم بالآخر مسحة عربية بحت لا تكاد تختلف في شيء عنها في اثنان عصر العرب مع ان الدول الفاتحة التي تعاقبت على حكم البلادين بعد الفتح العربي ولا سيما الاتراك على اختلاف دولهم وتفاوت نزعاتهم السياسية واساليبهم الاستعمارية أفرغت جهدها في التمتع بجميع حقوق الفتح على منوال يؤدي حتماً الى حرمان البلادين من طابعهما العربي

(١) أنشأنا حديثاً رواية تمثيلية بسطنا فيها حكاية فتح العرب لمصر على أسلوب جديد توخينا فيه اظهار الفضائل العربية التي تجلت على أيّامها في حكم العرب للعالم الشرقية

ولما نقل مركز الخلافة الى بغداد قامت في الديار الشامية فتن شديدة تلتها ازمة طويلة الاجل انجالت عن استقلال امراء البلاد وغزاتها بالحكم ولم يبق للخلافة رأي في شؤون بلادهم السياسية فكانوا يجلسون مقامها بما لا يخرج عن الطاعة الاسمية . وأصبحت سورية من جراء هذا الانقلاب كريشة في مهب الريح تارة تضم إلى مصر كولاية خاصة بها وطوراً يقوم على حكومتها ملوك اكفاء يستقلون في شؤونها

عصر الرول الثمونية

وفي مقدمة الفاتحين الذين اغتصبوا ولاية الديار الشامية أثر تلك الفتن احمد بن طولون صاحب مصر في القرن الثامن . ثم قامت دولة الاخشيديين في القرن العاشر . ثم دولة بني حمدان في الموصل . ثم دولة القرامطة فعاثت في البلاد فساداً . ثم قامت المنازعات بين امراء سورية وعمالها على السيادة فيها فتحين الروم الفرصة واسترجعوها . ثم قامت دولة الفاطميين في مصر في منتصف القرن الرابع للهجرة واستولت على ديار الشام وعادت العلاقات السياسية بين مصر وسورية الى ما كانت عليه في العصور السابقة . وقام الحاكم بامر الله ينشر دعوته في الديار فنشبت في البلاد ثورة فكرية تخللتها فتن شوّهت صفحة الفاطميين . ثم قامت دولة الاتراك السلجوقيين في القرن الحادي عشر فاكتملت سورية وعادت الفتن والمنازعات تمزقها وظهرت دولة بني عقيل المردشيين في الشمال ثم عصابات السفاحين المعروفين بالاسماعيلية فعاثت في البلاد كثيراً وانقسمت على يدها دولة السلاجقة إلى قسمين قسم في حلب وقسم في دمشق

عصر الصليبيين

وفي عصر الصليبيين تجددت العلاقات بين مصر وسورية . وحاول بعض ملوك الافرنج فتح مصر على عهد الملك الصالح بن الكامل وخلفائه ولكنهم لم يقووا على ترسيخ قدمهم فيها واكرهوا على الجلاء عنها بعد وقوع لويس التاسع ملك فرنسا في الاسر . ثم قام نور الدين الزنكي صاحب دمشق ففتح مصر على يد قائده الناصر صلاح الدين الايوبي الكردي في أواخر القرن الثاني عشر وقطع دابر الفاطميين منها . ثم استبد صلاح الدين بالحكم وفتح ديار الشام وواقع الافرنج وكسره في معارك كثيرة واليه يرجع معظم الفضل في تقوية اركان سلطنتهم في المشرق

وفي اواسط القرن الثالث عشر ظهر أهل خوارزم وهم من القبائل التي فرت من أمام جنكزخان في زحفه على بلاد الشام وفتحها واستقروا في شمال سوريا بايعاز المصريين لاجسادهم حين الحاجة . ثم تفاقم امرهم واجتاحوا الديار السورية حتى بلغوا أورشليم وغلبوا الافرنج على أمرهم وحصروهم في منطقة ضيقة في بلاد الجنوب

دول المماليك

ثم قامت دولة المماليك البحرية أو الكردية في منتصف القرن الثالث عشر واستولت على مصر وسورية وقضت على دولة الأيوبيين . وفي اثناء ذلك ظهرت دولة التتر أو المغول فاستحوذت على سورية وطردت المماليك منها ثم عاد المماليك فاسترجعوها على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدار الذي دانت لصورجانه بلاد الشام بأسرها . ثم استردَّ المغول سورية في آخر القرن الثالث عشر في عهد تيمور لnk الذي غزا دمشق وأجلى صناعاتها ولاسيما صناعات الاسلحة الدمشقية المشهورة إلى بلاد (سنة ١٤٠٠ م) . ثم قامت دولة الجراكسة المعروفة بدولة المماليك البرجية على حكم مصر وسورية في أواخر القرن الرابع عشر وظلتا في حيازتها إلى الربع الأول من القرن السادس عشر حيث أفضى تاج آل عثمان في الدولة التركية إلى السلطان سليم الأول الفاتح الشهير

الفتح العثماني

ما كاد السلطان سليم يفرغ من قتال الفرس ويستتب له الامر في ولاياته البلقانية والاوربية حتى طمحت نفسه إلى فتح الديار الشاميه والمصرية وكان ما آل اليه هذان القطران الشقيقان في عهد المماليك من الضعف والانحطاط باعثاً له على استئصال شأنهما والتعجيل في اجتياحهما ولا سيما انه شعر بعدم انتظام أمور المماليك فيها وعجزهم عن الاحتفاظ بسيادتهم فيها فزحف على سورية بجيش عظيم (١٥١٦ - ١٥١٧) واكتسحها وتابع زحفه إلى مصر فتملكها بعد أن ظفر بجيش الجراكسة ونكّل به واستأسر الملك طومان باي وشنقه وبه انقضت دولة المماليك . على أن الغازي ترك لامراء سوريا شيئاً من الاستقلال وأقر أكثرهم في ولاياتهم واقطاعاتهم بعد ان فرض عليهم جزية قليلة وترك للمماليك في مصر بيكاتهم الاربعة والعشرين وهي الاقطاعات التي كانوا يحكمونها بأمر ملوكهم وأطلق عليها اسم سناجق مكتفياً بإبطال سيادتهم العليا في وادي النيل وتخلي له المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين في مصر عن الخلافة العربية وبايعه شريف مكة وبذلك دانت الامة العربية لصورجانه

وعلى الاجمال فان الفترة التي انقضت بين الفتح العربي والفتح العثماني في الديار المصرية والشاميه نغصت عيش الشعبين المصري والسوري لما توالى عليهما فيها من الرزايا والنكبات التي صرفت الناس عن أرزاقهم الى الاحتيال على تخفيف عبء المظالم التي حلت بهم بالتزلف الى الحكام ووقف كل ما هو عزيز لديهم من شرف وروح ومال على مشيئتهم وأهوائهم فكانت هذه الفترة أكثر العصور المظلمة شؤماً على البلادين

وقد ظهر الأتراك العثمانيون عند استيلائهم على الديار الشامية والمصرية بمظهر الخلفاء الاولين فأجروا العدل بين الناس وأقاموا دعائم سلطنتهم على اساس الحلم والانصاف فأقالوا البلاد من عثرتها وانتشلوها من وهدة الخراب والانحطاط التي كانت دول الاكراد والمماليك والمغول قذفت بها اليها . لكنهم بعد انقضاء زمن الفتح وانبساط رواق سلطنتهم في هاتيك الديار ظهر عجزهم عن مجاراة الخلفاء الاولين وفقدوا تلك الاخلاق السامية التي تخلقوا بها عند الفتح لانهم لم يألفوها في قصور السلاطين الذين تقدموهم وشادوا مجد دولتهم على أسنة الرماح وشفار السيوف ذاهلين عما ينبغي لارباب التيجان ان يتحلوا به من الفضائل الرائعة ليتمكنوا من اقامة أركان الدولة على اساس صحيح لا تقوى عليه صروف الدهر وكوارث الايام . سجد لذلك السلاطين وجار عمالهم في القطرين الشقيقتين وهم في شغل عنهم يتلاهون بهرجة الملك فرجعا القهقري وغرقا في لجة عميقة من الضنك والشقاء . وحال اعتساف الحكماء ووشاياتهم بعضهم البعض الآخر وتحاسد الاعماء وتنابدهم وتنافرهم دون سد ثلثتهما واصلاح ما فسد من امورها

وفي ايام السلطان سليم الثالث حمل نابليون بونابرت على مصر ثم اجتازها الى سورية سنة ١٧٩٩ فاخضع احمد الجزار والي عكا وفتح بعض مدن فلسطين ثم قفل راجعاً الى مصر ففرنسا وعاهد الأتراك على السلم مكرهاً

عهد ابراهيم باشا في سورية

وفي ايام السلطان محمود (١٨٠٨ — ١٨٣٩) انفرجت الازمة السياسية في البلاد وشعر الاهلون في مصر وسورية بشيء من اليسر والهناء . غير ان ظهور الوهابيين في جزيرة العرب افسد الامر على البلاد . وكان الحكم في مصر افضى الى محمد علي بموافقة الدولة العثمانية وكان هذا الفاتح العظيم منذ ما تبوأ عرش الامارة المصرية يرعى الى التوسع في الملك وانشاء مملكة واسعة الاطراف تليق بعظمته ولم تر الدولة اقدر منه على خضد شوكة الوهابيين فحقق ظننا به وقضى على هؤلاء القوم قضاءً مبرماً . وحدث ان عبد الله باشا بن احمد الجزار والي عكا خرج عن طاعة الدولة فعهدت الى محمد علي في تأديبه واعادته الى طاعتها فارسل ابنه ابراهيم باشا الى عكا سنة ١٨٣٢ فحاصرها وفتحها بمساعدة الامير بشير شهاب الكبير حاكم لبنان مع رجاله اللبنانيين وكافأ صاحب مصر امير لبنان بان خوله الحق في تسمية الحكام المحليين في جميع انحاء سورية ولبنان . ولم يقتصر الفاتح المصري على اخضاع العاصي بل اوغل بمجده في البلاد الشامية واستولى على دمشق وصادق اللبنانيين فكانوا له عوناً على الأتراك ردحاً من الزمن عملاً بالاتفاق السري الذي عقد بين والده والامير بشير يوم زاره في مصر . ثم انقلب فريق من اللبنانيين

عليه لعدة اسباب اهمها اقدامه على نزاع سلاحهم وارهاقهم بالضرائب فقاتلهم واوغل في بلادهم ثم سار الى حمص وبيلان وافتتحهما . وبعد سنة واحدة لاجتيازه حدود مصر دخلت بلاد الشام بأسرها في حيازته وافر حكومة والده فيها واستأنف الزحف على الاستانة لفتحها . فاشفقت اوربا من بطشه على سلامة السلطنة واختلال التوازن الدولي فاتفقت انجلترا والفرنسا وبروسيا وروسيا على اخراجه عنوة من ارض الدولة . وبعد ان امت الدول جانب فرنسا التي كانت تؤيد امير مصر ارسالت الى سورية حملة دولية مختلطة غلبته على امره بمساعدة ثوار لبنان . وفي استيلاء الاميرال بابيه الانجليزي على حصن عكا تمّ جلاء الجند المصري عن ديار الشام على اسلوب فني مذهش اعجب به اعظم رجال الحرب في اوربا ورجوعها الى الدولة العثمانية بعد ان قامت مصر على حكمها ثمانية اعوام

ولقد اشتهرت حكومة ابراهيم باشا في سورية ولبنان بالعدل والانصاف . وما زال السوريون واللبنانيون الى اليوم يتناقلون اخبار هذا الفاتح العظيم ويتحدثون بما تجلّى في بلادهم من آيات عدله وشجاعته ومروءته . وهم يجمعون على انه فاتح عظيم ومن اكبر رجال القرن التاسع عشر

بعد فتنه ١٨٦٠

بعد الفتنة التي اثارها رجال الدولة العثمانية سنة ١٨٦٠ في لبنان وسورية تطرق الضعف الى البلاد الشامية فهجروا كثيرون من اهلها الى الخارج التماساً للحرية والهناء . وادرك الاهلون ما هم مستهدفون له من الاخطار في قعودهم عن الاخذ باسباب الرقي الصحيح وكان ان اقبلت على البلاد الرسالات الاوربية الدينية فانشأت مدارس كثيرة ونشط الاهلون من عقالمهم ونسجوا على منوالها فاكثروا من دور العلم . وما هي الا فترة من الزمن حتى غصت البلاد بالمتعلمين من ابنائها ولا سيما لبنان حيث استقر اكثر الرسالات فقصد فريق كبير منهم الى الديار المصرية في مدات متقاطعة فاختصتهم الاسرة العلوية الشريفة بالتفاتها السامي وقربت نوابغهم ونشطت علماءهم وكتابهم فكانوا من اعظم دعائم الحركة الفكرية في وادي النيل ولم تدخر وسيلة لمساعدتهم على تعزيز مقامهم في هذه البلاد حاذية حذو مؤسسها العظيم الذي كان اول من فكر في اتخاذ اللبنانيين وبعض السوريين عوناً لآخوانهم المصريين وشركاء لهم في تأسيس نهضة مصر الحديثة على قاعدة تبادل المنفعة بين القطرين الشقيقين . وبذلك استطاع هؤلاء المهاجرون ان ينشئوا في وادي النيل وحدة قومية تغبطهم عليها سائر الجاليات غربية كانت او شرقية وان يعيشوا مع اخوانهم المصريين اشقاء متآزرين في السراء والضراء

الزيتون

بولس مسمر

بَابُ شُؤْنِ الْمَرْأَةِ فِي الْمَنْزِلِ

وَتَدِيرِ الْمَنْزِلِ

قد فتحتنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته، من تربية الأولاد وتدير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهورات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ارشادات صحية لربات المنازل

للدكتور محمد زكي شافعي

السكرتير الفني بمصلحة الصحة العمومية

ربة المنزل الحازمة والمالكة لخاصية وظيفتها في الحياة هي نعمة عظيمة من أنعم الله وملاك رحمة واسعاد أرسلها إلى عباده لتخفف من لوعة ما يعانيه بنو الانسا في طريق الحياة المملوء بالاشواك . ربة المنزل الجديرة بهذه المهمة السامية والرسالة المقدسة لها أعظم شأن في مستقبل قرينها وأولادها فهي الرأس المدبر والقوة المنفذة في مملكتها الصغيرة بل هي الاساس الذي تبنى عليه دعائم تقدم القطر إذ هو يتكوّن من مجموعة هذه الممالك الصغيرة فاذا اختلّ توازن احداها حاق ذلك تقدم القطر في ناحية من نواحيه فتأثرت بقية النواحي — ولا تظنوا ان في هذا القول أي مبالغة . فربة المنزل بسبب اهمالها قد تنتج ابناء ضعاف الصحة يصبحون حالة على الامة بسبب عدم كفايتهم للعمل أو أولاداً لاخلاق لهم يكونون شرّاً عليها ومعاول هدم في بنينها اذ أن الامم الاخلاق — ألا ترون أيها السادة ان ربة المنزل اذا حادت عن الطريق السوي قد تكون سبباً في تلف زوجها وفي ذلك الطامة الكبرى بل قد تكون مثلاً سيئاً لغيرها فتقوض في من تتسرب اليهم عدواها دعائم هئاتهم وبالتالي تصبح معولاً من معاول الدمار في كيان الامة

ربة المنزل — أيها السادة — هي المسيطرة الاولى على الصحة العامة هي مفتاح الصحة لنا جميعاً أفراداً وجماعات ولذلك شغلنا وشغلت الامم الاخرى بالعناية بها جنيناً وطفلاً وفتاة وعروساً وأماً وكهلاً وشيخة — فخطورة هذا الموضوع هي التي دعنتي لان أحاضركم هذا المساء في الارشادات الصحية اللازمة لربات المنازل وأرجو ان لا يحول بخاطر أحد منكم ان

ما سأذكره قاصر على الإناث دون الذكور بل العلم به لازم علينا معشر الرجال لأن الجنس اللطيف مهما دفعه الماضي الذي أصبح الآن مصدر ألمنا — ماضي حياته في أسرتنا واستعبادنا — مهما دفعه إلى الانتقام من الجنس النشيط فأننا يجب أن نشعر على الدوام بأننا ملزمون بأعداد وسائل الرفاهية والغبطة لشريكة حياتنا وكفى أنها من جنس أمنا — هذه المخلوقة التي تحوطها هالة من النور والتقديس وتصدر عن صوتهما الحنون أعذب نغمات الموسيقى السحرية لابنائها وفي بساطتها أقوى الآمال وفي لثامها أرقى درجات الحنان وفي احضانها نستمتع بغاية الهدوء والامتنان ومتى أحسنا بالعمس يدها لأجسامنا شعرنا بدبيب الحياة وبالصحة تجري في عروقنا ومنها نأخذ النصيح الخالص ورضائها علينا تذلل أمامنا الصعاب فهي إذا أرادت أزالته من ناموس الحياة كلمة «المستحيل» وقضت — ولا راداً لقضائها — وقالت وكان القول ما قالت — وجماع القول أن الأم هي روح المحبة المتغلغلة في أعماق القوة أو بمعنى آخر هي أسمى مظاهر العقل البار وهذه هي أرقى مرتبة من مراتب الإنسانية

أني أقصد بالارشادات الصحية — أيها السادة — كل ما يدعو للعناية بصحة المرأة ولتجديدها ولصونها فأننا نعلم جميعاً ما عليه جسم المرأة من الدقة ونعلم أيضاً ما له من الوظائف الهامة وما يتحمله في سبيل ذلك من المشاق ولذلك هو في حاجة قصوى إلى العناية به محافظة على روائه وبيئاته وعلى ضمان قيامه بوظائفه على الوجه الأكمل . فالمرأة كالشجرة التي لا تثمر ثماراً طيبة إلا أن كانت سليمة فإن أصابها العطب أثرت ثمراً فجاً أو تعذر عليها الأثمار فأصبحت عقياً ولذلك فأنني سأتابع خطواتها من يوم دخولها في مضمار الحياة العملية المنزلية لأن المجال لا يتسع لتتبع حياتها العملية خارج المنزل — ولنترك ذلك لفرصة أخرى

أيها السادة

تبدأ الفتاة حياتها الزوجية الجديدة وقد تكون مائة بعض الامام بمبادئ الصحة وربما تجتهد في تطبيقها على منزلها وحياتها الجديدة أو تهملها وقد تكون معلوماتها خاطئة وفي الغالب ترجع سبب ذلك إلى تشرب أفكارها بما يلقى الوسط في روعها من المبادئ غير الصحيحة فتتساق في الأخذ بها حرصاً على اتباع ما يقال له «المودة»

إن «المودة» — أيها السادة — لم تترك بيتاً لم تدخله ولم تترك سيدة لم تحترق بنيرانها إلا من عصم ربك وقليل ما هم — يبدأ أثر «المودة» السيء من وقت بدء السيدة لحياتها الزوجية . ينشأ هذا الشر المستطير من اليوم الأول من أيام هذه الحياة المقدسة مع أنه على هذا البدء يتوقف تمتع السيدة بصحة جيدة في معظم الباقي من حياتها وعليه يتوقف قيامها بأحسن وأقدس ما يجب عليها وهو الامومة

كنا فيما مضى نعيب على «المودة» ضيق الثوب والمشد وما مائلهما ونخشى أثرهما في إضعاف النسل ولكننا والحمد لله قد خلصنا من هذه الرزايا بفضل الميل العام الى الرياضة البدنية اذ ان الثياب الضيقة تعوق السيدة عن اداء ما تتطلبه هذه الرياضة ولكن لعنة المودة لا تزال تتبع السيدة اينما سارت اذ حلت بدل الثياب الضيقة الملابس الفضفاضة والطويلة التي لازلنا نرى البعض من السيدات يلبسها في الطرقات العامة فيكنسها بذيولهن وبذلك تبلى الثياب بسرعة فضلاً عما تحمله الذبول من الجراثيم التي تنتقل معها الى المنزل . ولا شك ان مثل هذه الثياب لا تصلح الا لمن لا ينتقل من مكان الى آخر الا وهن راكبات فضلاً عن انها لا ترتدى الا في السهرات . ونحمد الله ان اكثر سيداتنا غير هاويات للسهرات — وان كانت عدوى «المودة» تكاد تهدم فروق الموارد المالية التي يجب ان تراعى بين الغنية والفقيرة اذ السيدة المتوسطة الحال تحاول التشبه في ملابسها بالسيدة الغنية فتختل ميزانية زوجها ويرفرف على المنزل شبح الخراب والشقاء

وهناك ايضاً «مودة» اخرى خطرها يعود على الامة مباشرة وهي «مودة» الاقلال من النسل فان الفتاة تجعل همها الوحيد من بدء السنة الاولى لحياتها الزوجية ان تترك شأنها بغير نسل لكي تصيب من متع الحياة اوفر نصيب قبل ان تقيد حركاتها وسكناتها الاطفال ، ولكي تحافظ على بهاء منظرها وتنتحل هي وقرينها الاعذار لذلك واهما ان نفقات المعيشة اصبحت كثيرة فلا يقدران على تحمل نفقات مولوديهما مجبران على انباته نباتاً حسناً واحاطته بجميع أسباب الهنأة وقد تستعمل لمنع النسل طرقاً ضارة كلها وربما تسبب للسيدة العقم المستديم او امراضاً نسائية عديدة او امراضاً عصبية أو نفسية يتعذر الخلاص منها بسهولة . وفي بعض الاحيان قد تصل القسوة بالام الى قتل الطفل وهو جنين في بطنها ويكفي للتدليل على شناعة هذا العمل أن نصف الام بالكلمة التي تتفق وفضاعة عملها أي بوصف القتالة . والسيدة التي لا تحب النسل هي في الواقع أقل من الحيوان الضاري احساساً وشعوراً بل هي امرأة خرجت عن طبيعتها وظهرت عواطف لا تتفق والغرائز البشرية لان حب النسل والتناسل غريزة في كل انثى في المملكة الحيوانية على الاطلاق — والتناسل للمرأة التي تتصف بالامومة الكاملة هو كالغذاء والهواء اللازمين لحياتها لان رسالتها في الحياة هي اقامة النسل وحفظ الجنس ولا بد لها من ان تلي داعي خالقها والا كانت متعدية لطورها معطلة لحياتها فتحيا حياة لا معنى لها اذ انها بلا غرض سوى ارضاء الغرائز الحيوانية الزائلة — أما الروح فتقصد دائماً الى الخلود لا بالاعتصار على الحياة الاخرى بعد الموت بل بالخلود في هذه الحياة الدنيا أيضاً وما هذا الخلود الا ان نظل احياء في اولادنا واحفادنا الجديرين بان يحملوا اسماءنا . هذه هي مهمتنا في الحياة قد يقال ان الفقر يأتي في اثر الاطفال وأنا أقول إن السعادة في التناسل والنسل . وقد

توجد هذه السعادة في اكواخ الفقراء حيث توجد القناعة في حين ان التماسه قد تهيم على قصور
الاغنياء . ان مظاهر السعادة التي تشاهد أحياناً في هذه القصور قد تكون مظاهر خادعة وقد
يكون في بعض هذه القصور من الشقاء وعدم الهناءة ما لا يخطر ببال ولا سيما اذا كان القصر
لا يزينه طفل ويملاه سروراً وحبوراً لأن نعمتين من اعظم نعم الله على الجنس اللطيف تتمناها
كل فتاة هما « الصحة والاطفال » فاذا حرمت منهما ذات مال فلا ينفعها مالها ولا جاهها
لاستخلاص السعادة مما يحيط بها « لها قنعة »

اهدأت صحتي وطبيتي

الدكتور شخاشيري

مقام الطبيب من صحة الجمهور

لا جدال في ان مقام الطبيب من صحة الجمهور خطير وعلى جانب كبير من الشأن فهو
خطير بحكم صناعته التي يمارسها بين عامة الناس وخاصتهم وخطير بما ينشأ عن هذه الصناعة
من تعارف وروابط بينه وبين افراد الجمهور فضلاً عن الفوائد المشتركة التي يحس بها هو
ومن يتصل بهم على السواء . فتجده يدأب في فنه على صيانة حيوية الأمة والزيادة من نضارتها
والدفاع عن كيانها ويرفع بمهارته وحسن سياسته وبمقدار ما يسديه من خدمات مقامه
الفني والاجتماعي الى المستوى الذي يجب ان يكون فيه محترم الشخصية موفور الكرامة
فيعيش في سعة وطمانينة لا هموم تساوره ولا منازع اقتصادية تصرفه عن متابعة الدرس
والتغذي بالمعارف والعلوم الحديثة والاختبارات المستجدة . ومن الحكمة وسداد الرأي ان
تضمن له وسائل المعيشة الكريمة والظهور بصورة محترمة تتفق وكرامة الفن الذي نصب نفسه له .
وفي ذلك تتوفر جهوده على العناية بصحة الجمهور الذين هم في الواقع جزء من ذلك الجمهور .
ومع هذه الاعتبارات المأموسة الاثر ترى صلة الطبيب بالجمهور ضعيفة متراخية الاوصال على
غير ما يجب ان تكون عليه من تلامم وتقرب . فانك ترى بعض الجماعات حتى في اوقات
اليسر والرخاء لا تنال من الرعاية الطبية لا عن طريق المعالجة ولا عن طريق الوقاية القدر
الذي تستحقه . وترى من الناحية الاخرى اطباء عديدين على استعداد فني كبير من غير عمل
وفي حالة عسر شديد . وكذلك تشاهد مرضى كثيرين بحالة بؤس وشقاء ولا سيما في هذه
الافاق العصبية يطلبون التداوي ويتماسون الدواء فلا يجدون لا هذا ولا ذاك وهم في حال

لا يقوون على دفع تكاليف المعالجة كما يجب فيظلون عرضة للأمراض . في حين ان طائفة من الاطباء تشتغل في استمرار وخصوصاً في العيادات المجانية مقابل أجر ضئيل . وهذا التناقض غير مقتصر على مصر وغير مصر من بلاد الشرق بل تجد امثاله في اوربا واميركا وكل مكان . وقد وصل سوء الحال في اميركا إلى حد الخوف من انقطاع عدد كبير من الاطباء عن مزاولة صناعتهم وفي اوربا يتحدثون بأن العيادات الخصوصية ستبطل وتعود لا وجود لها مما جعل موضوع مقام الطبيب من الصحة العامة في غاية الخطورة . وقد تألفت لجنة في العام الماضي في الولايات المتحدة لدرس تكاليف العناية الطبية من نواحيها المختلفة وأسباب هذا التناقض الموجود في علاقة الطبيب بالجمهور وازالته . ويظهر ان منشأ هذا التناقض هو تقدم العلوم الفنية واقبال الاطباء على التخصص بها والتوفر على فروعها وتيقظ الحكومات لمساعدة الجمهور وتوزيع الفوائد الطبية على افراده في حدود طاقتها . وأقرب شاهد ماثل امامنا حكومة مصر ومنشأتها العديدة من عيادات وملاجىء ومستشفيات فانها تضيق على الطبيب مجال عمله الحر في عيادته الخاصة وترغمه على اتخاذ وسائل تحط من كرامة الفن وتنال من مقامه الاجتماعي . وهو في حال لا يكفيه ان يكون متتبعا لخطوات العلم فقط ملماً بأبحاث العلماء في مختلف الفروع الطبية واقفاً على الخطوات الحديثة في التشخيص والمعالجة والوقاية بل عليه ان يعتبر المريض الذي يتداوى على يديه جزءاً هاماً من جسم الامة لا فرداً مستقلاً عنها وان ما يسبب الجزء من مرض وعلة يتأثر له الجسم ويكون السبب في ضعفه والنيل من قوته والباعث على فنائه واضمحلاله

الحكومات الاوربية وسياستها الطبية

يعنى الاوربيون اشد عناية بتوسيع نطاق المعالجة الطبية إلى اقصى مدى يخوله العلم لانها في نظرهم اساس ينبغي عليه قوام صحتهم وبقدر ما يكون هذا الاساس سليماً من الوهن تكون اعمالهم سائمة ومنتجة . وعليه فهم ينظرون إلى الطبيب كما ينظر إلى المحارب في خطوط الدفاع عن كيان امته فعليه تقع التبعة في دفع غوائل الادواء عنهم والقضاء على مسبباتها بالوسائل العلمية الحديثة . وأهم اركان الدفاع عن الصحة العمومية ومكافحة الوبئة والأمراض الوافدة التشخيص الباكر وان النجاح في التغلب عاها يتوقف على صحة ذلك التشخيص وسرعته . ومقام الطبيب الحر اليوم يختلف عما كان عليه سابقاً فهو بعد توزيع العناية الطبية على افراد الامة فقيرها وغنيها سواء امام امرين لا ثالث لهما فاما ان ينضم إلى الحكومات او الجمعيات ويشغل بأجر محدود وأما ان يبقى معرضاً في أعماله الحرة إلى المنافسة الشديدة ويتقبل مصيرها وما تؤول اليه نتيجة هذا الكفاح القائم بينه وبينها بالرضى ومن غير تدمير

التأمين ضد الامراض

وقد استقر الرأي العام في اوربا واميركا على محاربة الادواء كجماعة منظمة لا كفرد وانشأوا لذلك جمعيات التأمين ضد الامراض ورأوا الحاجة ماسة الى العناية بالعمال وغير العمال ووقايتهم من الامراض ومعالجة من يصاب بها منهم مقابل قدر صغير من المال يدفعونه كل شهر من اجورهم. وقد سري هذا الرأي وعم طبقات العمال وتطور وجعلوا له نظاماً وقيدوا المنضم اليه بشروط كما فرضوا غرامة على من يخرج عليه من الاعضاء . وكانت المانيا اول من قرر الاخذ بنصرتة سنة ١٨٨٣ وانتشر نظام التأمين على صحة العامل بعد الحرب الكبرى في اوربا واميركا وامتد الى ابعد من اوربا واميركا وكان على صورتين اجباري واختياري . فالتأمين الاجباري متبع في المانيا والنمسا ونروج ولكسمبرج والمجر وبريطانيا ويوغسلافيا وروسيا واوربا المتوسطة وفرنسا وهولندا واليابان وتشكوسلوفاكيا والبرتغال وبولونيا واليونان . وجميع هذه الممالك توجب على كل مشغل بصناعة معلومة وكل من لا يتعدى ايراده مبلغاً معيناً ان يضم الى المؤمنين على صحتهم او بالحري الى الجمعيات التي تجمع المال بالتقسيم وتنفقه عند الحاجة على المرضى . وهو اختياري في الارجنتين واسبانيا والدنمارك وسويسرا وبلجيكا وفنلندا واسوج وهذه الامم لا ترغب احداً على التأمين على صحتهم ولكن الحكومة تشجع المؤمنين بالاعانات حيناً وبالمكافآت حيناً آخر . ويظهر من الاحصاء الرسمي العام ان اوربا ماعدا اسبانيا وايطاليا لا يزال نظام التأمين فيها غير شامل لكل الامراض اي ان المؤمن له الحق ان يتداوى من الامراض المعدية وليس له هذا الحق في احوال التداوي بالجراحة فهو مكلف ان يدفع عن هذه الوسيلة عند ما تدعو الحاجة اليها . والغاية التي ترمي اليها تلك الامم هي ان يتأزر المجموع على حمل اعباء المرض لكي لا يقضى على الفرد بسبب المرض او بسبب توقفه عن العمل او عجزه عن دفع نفقات المعالجة . وكانت نتيجة هذا التأزر والاقبال على التأمين ان تضاعفت العناية الطبية بسواد الامة وازداد عمل الاطباء وتحسن ايرادهم وقل نفشي الامراض بينهم . وتدل الاحصاءات على ان ثلاثة اخماس الشعب الالماني منضم الى هذا النظام البديع وله الحق في المعالجة الطبية عند الحاجة اليها مجاناً . وان ثلاثين الف طبيب او ثمانين في المائة من مجموع اطباء تلك الامة قائمون على خدمة هذا النظام يمارسون صناعتهم في ظله الوارف ولولا لضاقت بهم الدنيا على رحبها ودب اليأس في قلوبهم وقنطوا من الحصول على معاشهم. وعدد المؤمن عليهم في بريطانيا العظمى بلغ سبعة عشر مليون عامل. وفي تشكوسلوفاكيا نصف سكانها مؤمن على صحتهم ويعتني بهم نحو خمسة آلاف طبيب من مجموع ٧٣٠٠ طبيب وقد بلغ ايرادهم سنة ١٩٢٧ نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات ، وعدد المؤمنين في

الدانمرك نحو ٦٦ في المائة من مجموع السكان ومعدل نسأهم بين ١٤ و ٦٣ . ومعظم العمال في هولندا مؤمن عليهم . وفي بلجيكا ٥٠ في المائة من الاهالي مؤمنون و ٢٥ في المائة من المجر و ٨٠ في المائة من شعب بودابست . وأما في بولونيا فلم يتجاوز معدل المؤمننين من شعبها ١٦ في المائة . وفي يوغسلافيا ٣ ١/٢ في المائة وهذا يدل على ان معدل المؤمننين ينقص في البلاد الزراعية عنه في غير هذه ما عدا الدانمرك . ويقوم بهذا التأمين الجمعيات المؤلفة من العمال وممثلي الموظفين وهم احرار في شؤونهم . وتجمع الاموال من المشتركين ومن الاعضاء الامناء والحكومة تساعد بالتبرع وفوائد التأمين عديدة وتختلف في بلاد عن أخرى وهي مالية وفنية وليس في نظام التأمين ما يبيح هذه الفوائد لغير المؤمننين الا ان الفوائد الطبية تشمل اهل المشتركين . والفائدة المالية هي ان يدفع للمريض المؤمن مدة مرضه ما يعادل نصف أجره والفائدة الطبية هي ان ينال المريض من الطبيب المعالج العناية الطبية في حدود مرسومه ، ما خلا بريطانيا فالمعالجة غير مقيدة بشروط الأ زمن المعالجة ، ومع ذلك فالمرضى المؤمن على صحتهم يتداوى مدة طويلة ويدفع الى عائلته ما يقوم بمعيشتها مدة مرضه . وفي المانيا ينال العامل المؤمن في حال المرض المساعدة المالية والمعالجة الطبية في جميع صورها واحتياجاتها كاجراء عملية جراحية والمعالجة الطبية في المصحات والمستشفيات والاشعة ومعالجة الاسنان والادوية ويدفع قيمة معينة للحامل عن المدة التي تضطر فيها الى الانقطاع عن العمل مع العناية بها قبل الولادة وفي اثناء الولادة وبعدها ويدفع لها اجر المولد وأجر الممرضة التي تعتني بها وعمولودها . وقد بلغ عدد الامهات سنة ١٩٢٥ اللواتي نلن هذه المعاونة نحو ٨٥٠ الف امرأة وهو نحو ثائي والذات تلك السنة كان اثر هذا النظام الواسع النطاق ان زاد زيادة عظيمة في عمل المستشفيات وغيرها من المعاهد الطبية وكان شبه دعاية للاعمال الطبية وكذلك كان اثره في تقرير اجور الاطباء وتعيينهم في المراكز المزدهمة بالعمال ظاهراً . وقد دعت جمعية الامم في العام الماضي الى عقد مؤتمر دولي ليدرس شؤون الصحة العامة في الارياف والقرى ومعرفة ما يحتاج اليه كل قسم منها من الاطباء بحيث ينال الجميع العناية الطبية على التساوي . ولهذا النظام ثلاث فوائد عامة فالاولى اجتماعية فانه يصون كرامة العائلة من مذلة النقر في اثناء مرض عائلها والثانية طبية بحيث يساعد المريض على التداوي واسترداد قوته بالادوية والارشادات والعمرىض والثالثة الوقاية فهو يضمن للحامل جميع اسباب الصحة والرفاهية قبل الولادة وفي اثنائها وبعدها وفي مدة الرضاعة فضلاً عن الوسائل التي تتخذ ضد انتشار الامراض المعدية كالسل والزهري وغيرها . ولا يخفى على فطنة احد ما ينطوي عليه هذا النظام من فوائد بعيدة المدى في استقرار صحة الفرد على قاعدة منظمة ومعيشة مرتبة وشعور مطمئنة وهو ولاشك اقوى العوامل على حفظ الصحة ووقايتها من عدوى الامراض

المانيا تشكو كثرة الاطباء

نشرت احدى المجلات الطبية رسالة عن كثرة الاطباء في المانيا قالت يحتاج طالب الطب في المانيا الى سبع سنوات دراسة بما فيها مدة الامتحانات وسنة تمرين والى سبعين الف مارك او نحو ٣٣٣٣ جنيهاً ولكي يكون الطبيب المتخرج مطمئن البال الى ايجاد عمل يقوم بتكاليف المعيشة عليه ان يهتم بالحصول على مركز في جمعية العناية بالمرضى لان ايراد العمل الحر في حكم العدم والجمعية المذكورة شروط لقبول الاطباء منها ان يعتني كل طبيب بعدد من المرضى لا يقل ولا يزيد على ستمائة مريض . ولما كانت هذه النسبة قد تعادلت فقبول اطباء جدد اصبح غير متيسر الا في احوال ملء المراكز الخالية بسبب اجازات عادية او مرضية وان على المتطوع ان يقضي ثلاث سنوات بصفة مساعد قبل ان يعيّن تعييناً رسمياً . وعدد المساعدين لا يزال ناقصاً عن المطلوب ومعنى هذا ان طالب الالتحاق مستعد ان يشتغل كمساعد من غير مقابل الى ان يخلو مركز ومع ان الاجر على معالجة المريض المؤمن على صحته ضئيل جداً فيكاد يكون من المستحيل على الطبيب المتخرج حديثاً ان يجد في العمل الحر ما يصرفه عن الاهتمام بمثل ذلك المركز وقبول ما فرضت له الجمعية من شروط . والمراكز في المصالح الاخرى قليلة جداً وخلوها نادر . وصناعة الطب وحاجة البلاد الى معونتها على رأي بعض الثقة الخبيرين لا تدعو الى أكثر من الف ومائة الى الف ومائتي مخرج في السنة وان كل زيادة على هذا العدد تقلل من كرامة الفن بما ينشأ عنه من المحاولات والتنافس جرياً على سنة تنازع البقاء

وهذا من دون شك ينال من شهرة الاطباء القدماء المعروفين . وفضلاً عن ذلك فعدد الطلبة المنضمين الى كليات الطب قد فاق في السنين الاخيرة أضعاف ما تحتاج اليه البلاد . فبلغ في سنة (١٩٢٨-١٩٢٩) ٣٣٥٠ طالباً وفي سنة (١٩٢٩-١٩٣٠) ٣٧٩٥ وفي سنة (١٩٣٠-١٩٣١) ٤٢٦٧ طالباً ومن هذه الارقام يتضح لك ان الزيادة في مدى ثلاث سنوات قد بلغت ٧٨٠٠ طبيب لا تحس البلاد بحاجة الى معونتهم الفنية . وهذه الزيادة مستمرة في صعود وعود من لا يكفيهم دخل عياداتهم بتضاعف كل سنة ويعدون بالآلاف . ومما تقدم فأنت ترى ان الشعب الالمانى مهدد بخطر انحلال اخلاق طائفة كبيرة من ارقى عناصره علماً وخلقاً وهذه الحقيقة تدعو الى الاسراع في اتخاذ الوسائل اللازمة لملاقاته قبل استفحاله وأنجح طريقة هي ان تفرض على الطالب شروطاً مرهقة لا يقبل الاخذ بها الا من كان على استعداد في ظروفه ومواهبه ونحن نأسف اشد الاسف على تقييد العلم بشروط ولا سيما في امة راقية كالمانيا

الدكتور شخاشيري

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَادِ

في الانتاج الزراعي

كتبت هذا البحث على أثر ما قرأته للجنة البرلمانية في موضوعه منذ شهر

متوسط محصول الفدان من القطن الاشعوني بالجهات الجنوبية ٤٥٠ قنطار — حيث
يباع قبل الحليج — ومتوسط ثمنها ونفقات انتاجها بالمزارع الكبيرة قبل سنتين اي في
سنة ١٩٢٩ المتداخلة في سنة ١٩٣٠ والآن

التمن بالقروش	سعر القنطار	النفقات
١٨٠٠	٤٠٠	٦٥٠ مصاريف زراعية بما فيها تطهير المساقى واجرة الخفر (ز)
		٢٥٠ ضرائب ورسوم اميرية ومصاريف ادارة زراعية ٥٠ قرشاً (ل)
		٩٠٠

١١٢٥	٢٥٠	٦٠٠ مصاريف الخ
بمعجز ٣٧٥ ٪	٣٣٠	ضرائب الخ والنقص في مصاريف الادارة لا في الضرائب (ل)
	٨٣٠	

ومتوسط محصول الفدان من القطن السكلاريديس بالجهات البحرية ٣ قناطر ومتوسط
ثمنها ونفقاتها كما يلي :

التمن بالقروش	سعر القنطار	النفقات
١٦٥٠	٥٥٠	٦٣٠ مصاريف الخ
		١٧٠ ضرائب الخ
		٨٠٠

٩٠٠	٣٠٠	٥٧٠ مصاريف الخ
بمعجز ٤٥٥ ٪	١٥٠	ضرائب الخ والنقص في مصاريف الادارة (ل)
	٧٢٠	

ملحوظة : راجع مذكرة سياسة الحكومة القطنية للاستئناس وما سيذكر بعد

وإذا فالربح كما يلي بالقروش :

العجز الآن	الآن	قبل سنتين
بالجهات الجنوبية ٦٧٣ ٪	٢٩٥	٩٠٠
بالجهات الشمالية ٧٩ ٪	١٨٠	٨٥٠

ومتوسط محصول الفدان من القمح ٦ ارادب و ٦ احمال تبين بالجهات الجنوبية و ٣ ١/٣ ارادب و ٣ احمال بالجهات الشمالية ومتوسط الثمن والنفقات كما يلي :

النفقات	السعر	الثمن
مصاريف الخ ٤٣٠	الاردب ١٥٠	} ١٠٢٠
ضرائب الخ ١٦٥	الحمل ٢٠	
٥٩٥		

مصاريف الخ ٣٤٥	الاردب ١٠٠	} ٦٦٠
ضرائب والعجز في المصاريف الادارية ١٥٥	الحمل ١٠	
٥٠٠		

في الجهات الشمالية

مصاريف الخ ٣٧٠	الاردب ١٥٠	} ٥٨٥
ضرائب الخ ١١٠	الحمل ٢٠	
٤٨٠		

مصاريف الخ ٣٠٠	الاردب ١٠٠	} ٣٨٠
ضرائب الخ ١٠٠	الحمل ١٠	
٤٠٠		

وإذا فالربح كما يلي

الفرق	الآن	قبل سنتين
عجز ٦٢ ٪ بالجهات الجنوبية	١٦٠	٤٢٥
بالجهات الشمالية	والآن خسارة ٢٠ قرشاً	١٠٥

وبما انه في المزارع الواسعة لا يستطيعون عادة زراعة الارض كلها زراعة نيلية لحسابهم تزيد نفقاتها في الجملة عن ايراد ما يزرع منها زيادة تأكل الربح الطفيف الذي قد يكون الآن

من زراعة القطن الصيفي وزراعة القمح الشتوي وقد اقتصرنا على ذكر انتاجها ونفقاته دون سائر الزروع اذ الغرض التمثيل لا الاستقصاء فضلاً عن انهما اهم الزروع وتزيد النفقة حينما يكون الري كله او اكثره بالآلة ويزيد الانتاج في الارض الفائقة الخصب — واذا كانت الارض اقل من المتوسط انتاجاً لسوء ظروفها الزراعية او الادارية فان الخسارة تكون في كل زرعة كما هو الحال الآن في كثير من المزارع الكبيرة في هذا الرخص إلا أنه في الغالب يجمع الملك في استغلال ارضه بين ذراعتها لحسابه والتأجير قطاعي لصغار الفلاحين فتتجزأ الارض الى مزارع صغيرة ومن هنا يكون له ربح بقدر ما يكون من التأجير وموافقته للظروف بدون افراط ولا تفريط

في المزارع الصغيرة حيث يستغلها زراعتها بانفسهم واولادهم وحيث ينتفعون من ماشية فلاحيتها انتفاعات اخرى تقل نفقات الانتاج الى النهاية الصغرى واذاً يكون منه ربح هو في الغالب نتيجة عمل الفلاح واولاده يأخذوه وهو كزارع لا كأجير

منذ شهر استشارني احد موظفي الحكومة وهو مستأجر واخوته ارضاً بجوار ارضهم لاحد الملاك — فيما يصنع لاقتناعه بقبول ايجار معقول فكتبت له مذكرة بالقواعد التي يصح الرجوع اليها في تقدير الايجار تقديراً معتدلاً وقد أثمرت هذه الوسيلة وجاء عني هذا الموظف شاكراً فشجعتني هذا على التوسع في تلك المذكرة ونشرها في مجلة المقتطف «عديوني الماضي» منذ شهر سألني احد المشتغلين بالادارة الزراعية عما كان يجري قبل وسعر القطن رخيص في استغلال الارض بربح فأجبته باجمال أيينه فيما يلي

حينما كان ريع انواع الحاصلات الزراعية قطنية كانت او حيوية او علفاً متماثلاً وكانت اثمانها واثمان المصنوعات أهلية كانت او اجنبية متناسبة وكانت الضرائب والرسوم متجهة الى التقليل والتخفيف وكانت احوال الفلاح مستقرة منسجمة وكان هناك مبادئ نهضة عامة زراعية ومالية واجتماعية يسودها الاطمئنان الى الحاضر وحسن الامل في المستقبل — حينذاك وكان ذلك منذ بضع وثلاثين سنة كانت زروع العلف كالبرسيم والفول واثرها الفعال في تخصيب الارض وفي تسهيل تربية المواشي — وكان عدد هذه سواء كانت للعمل او للانتفاع بالبانها ولحومها — وبالتالي كان السماد العضوي الناتج من ذرائبها وكان اثرها في فلاحه الارض وعموم الاسواق المحلية باللحوم والالبان والاكتفاء بها عن الواردات الاجنبية — وكان الاعتماد في فلاحه الارض بانقار تمطى لها اطيان نظير اجرتها — كل ذلك كان اكثر من الحاصل الآن ولذلك كان هناك تناسب بين انتاج الارض ونفقاته وبالتالي كان هناك ربح مرضي (راجع

مقتطف يونيو سنة ١٩٣٢ ص ١٠٢) يقوم بحاجة المالك القانع البعيد عن الدين والاسراف اذ لا ترف ولا دين الا قليلاً في حدود خاصة

ولكن لما غلا سعر القطن وصار الربح منه اكثر من ربح سائر المزروعات زادت زراعته وقلت زراعة الحبوب والعلف وعدد المواشي وبالتالي كثر استيراد الحبوب والاسمدة المعدنية (الكيماوية) ومواد العلف ومنتجات الالبان واللحوم والآلات الزراعية بأثمان عالية عما كانت وكثرت الحاجة للانفاق لفلاحة الارض واعتمد في استكرائها على النقود لو فرتها ومع كل ذلك كان الربح من القطن كافياً لموازنة الاحوال الاقتصادية ولكن كان بعض الزراعيين والاقتصاديين يتوجسون حذراً من الاندفاع في التوسع في زراعة القطن واهمال ما عداه وكتبت في ذلك بحثاً مسهباً بجريدة المؤيد سنة ١٩٠٥ وأعدت نشره بكتابي زراعة القطن سنة ١٩١٠ ولكن استمرار الارتفاع في ثمن القطن أغرى الزراع بالاستمرار في زيادة زراعته والاعتماد عليه وحده والاستدانة للاسراف ومشتري الاطيان بأثمان عالية مقسّط اقساطاً الى ان كان هذا الكساد الذي فاجأنا منذ سنتين كساد ثمن القطن والمنتجات الزراعية وبقاء الغلاء في المصنوعات والواردات الاجنبية والديون ففقد التناسب بين الانتاج ونفقاته وبين كسب الزراع وحاجاته وديونه

وفيما يختص بموضوعنا فقد رجع الزراع الى الاقلال من زراعة القطن والاكثر من زراعة الحبوب والعلف وتربية المواشي الخ واخذ بعضهم في الاعتماد في استكراء الانفاق للفلاحة باعطائهم اطياناً بدل النقود ولكن لا تزال الضرائب والرسوم الحكومية على ما صارت اليه من الزيادة حتى ضريبة القطن التي ضربت عليه وثمانه فوق الاربعين جنيهاً للقنطار ولا تزال اثمان الواردات الاجنبية غالية ولا تزال الديون وقد كانت تعتبر منذ سنتين جزءاً من قيمة الاطيان فصارت الآن ضعف ثمنها او اكثر وصار ريع الارض لا يفي بربا الدين هذا مصداق لقول القرآن الحكيم « يمحى الله الربا ويربي الصدقات » ورحم الله الدكتور صروف اذ يقول (لولا الدين لكنا في رخاء)

ملاحظة --- كان ثمن قنطار القطن في سنة ١٩٢٨ سكالاريدس واشموني اعلى منه في سنة ١٩٢٩ ببضعة ريالات ولكننا اكتفيناً بجعل المقارنة بين هذه وما يليها لانه لو بقي سعر سعر القطن كما كان في سنة ١٩٢٩ ما كانت هذه الازمة الشديدة

احمد الالفي

مكتبة المقتطف

ميزان الاكوان ودولاب الزمان

ظهر في هذه الآونة كتاب بهذا العنوان قلما نرى له ندًا في عالم المطبوعات العربية في عام حتى ولا في بضعة اعوام . وهو كتاب قيم في فلسفة الكون بقلم الدكتور ابراهيم شبلي الصليبي اللبناني . وقد اشتمل على احداث النظريات العلمية وبعضها من مبتكرات المؤلف . اقول قلما نرى له ندًا في لغتنا لأن انفس المؤلفات العربية التي صدرت في هذا العصر الى الآن يندر ان تتجاوز دائرة الادب العربي والتاريخ العربي . وهيئات ان نرى مؤلفًا في موضوع علمي حديث الآراء طريف النظريات عصري الحقائق الطبيعية

لذلك طالعت الكتاب الذي نحن بصدده بشوق عسى ان اجد فيه كل جديد عن فلسفة الكون . وقد وجدت كثيرًا واستفدت كثيرًا وأثنت على المؤلف وشكرت تحفته للعربية توخى المؤلف تحليل كثير من الظواهر الكونية والحركات الفلكية جاعلاً اولية ابحاثه ان الكون شيئان هما الوجود والحركة (ولعله يعني الوجود المادي) وان ميدان الكون طرفان هما المكان والزمان . فكانت هذه الاولية السمط الذي انتظمت فيه حلقات بحوثه في « الجواهر الفرد » الذي اصطلحنا اخيراً على تسميته بالذرية ، وفي الاثير الذي يتحرك فيه الجواهر الفرد ومجموعاته من اجرام وأجسام وفي طبائع حركاتها .

ثم فصل اسباب تلك الظواهر فشرح اولاً كيفية نشوء النظام الشمسي وما نجم عنه من اعراض وما تناوبه من حالات ككلف الشمس وأهليلة افلاك السيارات وتداول قوتي الجذب والدفع وتعاقب الحركات المختلفة في ذلك النظام وتباين افلاك السيارات وميلها وسبب دورانها في محاورها ونشوء الاقمار الخ

ثم تبسّط فيما نجم عن اختلاف الحركات ومن تمايل سطح خط الاستواء على سطح دائرة البروج الى غير ذلك من اسباب المدّ والجذر وتعاقب الادوار الجليدية على الارض . وما اقتضاه ذلك من تعاقب ادوار العمران ورفي الانسان الى غير ذلك من المباحث التي تتسلسل تسلسلاً انيقاً يستهوي القارئ

وبعد ان استغرقت هذه المباحث نحو نصف الكتاب عكف المؤلف على اثبات وجود

الاثير وايضاح انه سبب الجاذبية والامواج النورانية والكهرباء الى غير ذلك جاعلاً هذا الاثير علة لكل ظاهرة كونية وطبيعية ومن جعلتها الحياة والعقل والاجتماع والاخلاق الخ فيما تقدم كفاية لبيان ماهية هذا السفر النفيس للقارىء . ومنه يفهم قيمته وشأنه في عالم العلم . وقد لاحظت ان كثيراً من النظريات المبسوبة في هذا الكتاب انما هي من مبتكرات المؤلف . وفي بعضها يخالف نظريات غيره من علماء العصر . ولذلك تحتمل النقد والمناقشة من اهل العلم او تحتمل الاستزادة من الايضاح والتفسير من قبل طلاب العلم ككتاب هذه السطور ومن امثلة ذلك قوله في مطلع الفصل الاول ان الشمس تسير في الفضاء في خط مستقيم الى جهة معلومة بسرعة ١٣ ميلاً في الثانية نحو السماء الرامح . وبناءً على ذلك يستنتج انها لا بد ان تصطدم يوماً بجرم من الاجرام

والظاهر من قوله هذا انه يقصر فعل السير على الشمس وحدها . وكأن السماء الرامح ثابت في مكانه . ولكن الارصاد الفلكية المختلفة اظهرت ان جميع الاجرام متحركة حتى السماء الرامح نفسه متحرك ايضاً . (ويحتمل ان يكون هو المقبل الى الشمس) وانما جميعها متساوقة كأنها تدور حول محور ولو وهمي . فاذا كان السماء الرامح في جانب من دائرة كون المجرة التي هي عالمنا الخاص والشمس في جانب آخر وهما يتراءيان الآن كأنهما يتقاربان ، في حين ، ولو بعد ملايين السنين ، سيتراءيان متباعدين . وهكذا الامر مع سائر الاجرام . ولذلك يندر الاصطدام . ويغلب ان تكون الشمس ناجية منه . فليس اكيداً ان سبب اشتعال الشمس اصطدام قديم . وجميع النجوم او معظمها مشتعلة . فهل اشتعلت كلها من جرّاء اصطدامات ؟ اذاً الاصطدام امر كثير الحدوث بين ملايين الاجرام ولا بد ان يرى منه كل يوم او كل عام او بضعة اعوام . وقد قدر الاستاذ ادنجن احتمال اصطدام شمسنا باخرى فاذا هو كنسبة واحد الى مائة مليون

ومن اقواله ان من نتائج الاصطدام انفتال كل من الجرمين المتصادمين بحيث يجعل كلا منهما يدور على محوره لان كلا منهما كان قبل الصدمة يسير في خط يميل على خط مسير الآخر . وهنا تجاهل حضرته فعل الجاذبية مع انه قرره في بدء الحديث . ولذلك مهما كان خطأ مسير الجرمين مائلين ، ومهما كانت سرعتهم ، فكلما تقاربا اشتدت قوة التجاذب الى ان تغلب على الحركة الاستمرارية Inertia فينقض كل منهما على الآخر انقضاضاً سحياً Vertical ولذلك لا يحدث الانفتال الذي علل به الدوران على المحور

ولو كان المقتطف يأذن بمزيد البحث لذكرت امثلة اخرى . على اني اعجب جداً بتعليل حضرته لنشوء النظام الشمسي وان كان يخالف الرأي الحديث الذي ارتآه السير تهايمس تيجنز وأذعن له جانب من العلماء . فضلاً عن انه يحتاج الى براهين اسد . وكذلك اعجب بتعليله اهليجية افلاكه

السيارات وان كان سببها الاساسي محل للنظر. وأعجب أكثر بتعليقه لتعاقب الادوار الجليدية على الارض ان اهم ما يسترعي نظر المطلع الدارس تفسير حضرته لنظرية الاثير واثباته لوجوده. وقد تبجرت في مباحثه جيداً فما وجدته يسند تفسيره الى امتحانات واختبارات معملية او رصدية وانما هو وصف الاثير بأنه جسم متصل ، لا مسام فيه ، تام السيولة ، لا يقبل التمدد ولا الانضغاط ، ولا يتأثر بالحرارة ، مالىء كل فراغ في الكون حتى مسام المادة . مترجرج من كل جهة طرداً وعكساً بسرعة فائقة . ولكنه لم يعطنا برهاناً دامغاً على ان الاثير كذلك بل كأنه يطلب من القارئ ان يسلم بوجوده بهذه الصفات تسليماً اعمى . ثم يبني تعليقه للجاذبية وغيرها من نور وكهرباء واشعاع على هذه الاوصاف . فبناء البرهان على شيء غير مبرهن هو كالبناء في الهواء . والا لجاز ان نفرض اي شيء بلا برهان ونبني عليه ما نشاء من المزاعم والذي نعلمه ان الاثير فرض فرضاً لتعليل الانتقال في الحيز كانتقال النور. وكان فرضاً جميلاً لارتياح العقل الى تعليل سير النور به يوم زعموا ان النور حركة تحتاج الى شيء يتحرك. ولكن لما ثبت انه مادة كهربائية مغناطيسية تثقل بلا وسيط اصبح الاثير مستغنى عنه فوضع على الرف الى ان يحتاج اليه فيستدعى ثانية

الى الآن لم يقم برهان عملي على وجود الاثير. وقد اطلعت على كتاب « الاثير والحقيقة » تأليف زعيم الاثيريين السير اوليفر لدج واطلعت ايضاً على مقالة في دائرة المعارف البريطانية الطبعة الاخيرة سنة ١٩٢٩ فما وجدت برهاناً امتحانياً في العمل يثبت وجود الاثير بالصفات التي وصف بها . بل ان عملية ميكالسن — موري التي ذكرت في المقتطف غير مرة عجزت عن اثبات وجوده . لذلك لا استطاع قبول تعليل جناب الدكتور صليبي للجاذبية بصدم الاثير للجرمين المتجاذبين لان الاثير لا يزال فرضاً بلا برهان حسي

واصرار جناب الدكتور على وجود الاثير وكونه علة لكل حركة حمله على شجب نظرية الكهرب Electron في حين ان المعمل اثبت وجوده وقاس حجمه ووزنه وسرعته وشحنته الكهربائية . فكيف نستطيع ان نجحد الكهرباء المبرهن بالمعمل ونسلم بالاثير الذي لا يزال فرضاً ثم انه جحد النسبية مع انها ناموس رياضي لا يمكن شجبه . وما هي زعم لفرض شيء طبيعي . قد تقبل من جناب الدكتور جحدته لنظريتي النسبية والكهرب اذا كان عنده برهان عملي ينقضهما . ولكنه اذا كان يقتصر على التهمك والسخرية في جحدهما فلا نظن اهل العلم يحسبون قيمة لهذا الجحد. فخذوا لو نزّه حضرة الدكتور كتابه القيم عن هذا التجريح. وحبذا لو يغتفر لهذا العاجز الذي لا يدعي الا التلمذة لاهل العلم تعرضه لهذه النقطة المحتملة الاعتراض

نقولا الحداد

شبرا

الحرر — سيصدر في العدد القادم مقال ضاف للكاتب عن الاثير والنور. فنوجه الانظار اليه



ابو عثمان الجاحظ
كما تخيّلهُ مؤلف هذا الكتاب ورسم بارشاده

باب مكتبة المقتطف

مقتطف نوفمبر ١٩٣٢

ادب الجاحظ

تأليف حسن السندوبي — طبع بالمطبعة الرحمانية — صفحاته ٢٤٧

نال الجاحظ من عناية الكتاب في هذا العهد ما لم ينلّه اديب او عالم آخر من علماء العرب وادبائهم . ولا غرو فقد قيل ان الفيلسوف ثابت بن قرّة الصابئي الحرّاني قال « ما احسدُ الامة العربية الا على ثلاثة انفس اولهم عمر بن الخطاب والثاني الحسن بن الحسن البصري (وهو من شيوخ المعتزلة) والثالث ابو عثمان الجاحظ » . وقال ابن العميد « كُتِبَ الجاحظ تعلم العقل اولاً والادب ثانياً » وقال كذلك « ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة انفس اما الفقه واما الكلام واما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ » . وقال ياقوت — بعد ما ذكر ان ابن الاخشيد اقام بعرفات ينادي : يرحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبي لابي عثمان الجاحظ على اي وجه كان — « وحسبك بها فضيلة لابي عثمان ان يكون مثل ابن الاخشيد ، وهو هو في معرفة علوم الحكمة وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام ... » وقال ابو القاسم الاسكافي « استظهراري على البلاغة بثلاثة : القرآن وكلام الجاحظ ، وشعر البحتري » . وجعل ابن دريد « كتب الجاحظ من متزهات القلوب » لما ذكرت امامه متزهات الدنيا او متزهات العيون كما دعاها

وقد اطلعنا في خلال الشهرين الماضيين على كتابين من الكتب الحديثة في الجاحظ الاول كتاب شفيق جبري — وقد ذكرناه في مقتطف اكتوبر الماضي — والثاني الكتاب الذي بين ايدينا الآن . وعلمنا ان خليل مردم بك وضع كتاباً في الجاحظ كذلك ولكننا لم نره . وعندنا بعد مطالعة كتابي السندوبي وجبري ان الاول عني بايراد سيرة الجاحظ وآرائه فانت تخرج منه بصورة واضحة (انظر الصورة) لشكله وتعليمه ورزقه وبسطة جاهه ومقامه الادبي ورأيه في المعتزلة والكتب التي صنفها والمؤلفات التي نسبت اليه . وعني الثاني عناية بدرس ادب الجاحظ وطريقته في البحث والتحقيق والنقد وتحليل شعوره الديني ونواحي ادبه من الضحك الى التهمك الى الصنعة الى الفن وغير ذلك . فاذا استعملنا التعبير الغربي قلنا ان الاول تاريخ خارجي للجاحظ والثاني تاريخ داخلي . وكل منهما مكمل للآخر

وقد حقق المؤلف مولد الجاحظ فرأى ان يعتمد النص الذي جاء به الجاحظ قال (صفحة ٢٠)

نقله الينا ياقوت في معجمه فقد روى انه قال : انا اسنُّ من ابي نواس بسنة ولدت في اول سنة ١٥ هـ (٧٦٧ م) وولد في آخرها » وليس بعد هذا — في رأي المؤلف — نصٌ يعتدُّ به ثم اظهرنا في الفصل الثالث على صورة من اساليب التعليم في ذلك العصر قال : « فقد كان الرجل يبعث بولده الى كتاب الحمي فيتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ، ويشدو شيئاً من قواعد النحو والصرف ، ويتناول طرفاً من اصول الحساب ، ثم يستظهر كتاب الله الكريم استظهاراً تاماً مجوداً مرتلاً ، وهو في خلال ذلك يتردد مع اترابه على القاص فيسمع منه احداث الفتوح ، وانباء المعارك ، وأخبار الابطال ، ومقاتل الفرسان ، ومفاخرات الشجعان ، وسير الغزاة والفاحين ، ممزوجاً ذلك بالمواعظ والعبر وياراد احوال الصالحين وأطوار الزهاد والنسك والمتقين . وبعد ان يأخذ من كل طرف من هذه المعاومات نصيبه الكافي يولي وجهه شطر حلقات الدرس بالمساجد العامة ، والمعاهد الجامعة ، والمدارس الخاصة فيقوم من حلقة الفقيه إلى حلقة المحدث ، ومن مجلس اللغوي الى سارية النسابة ، ومن حضرة الاخباري الى دارة المتكلم ، ومن معهد المنطقي الى مجمع الفلسفي ، ومن محفل الاديب الى قاعة المهندس ، ومن بين يدي المفسر الى حظيرة الاصولي ، ومن غرفة الراوية الى بيت الشاعر ، ومن ديوان الكاتب الى صاحب النجوم ، ومن الاسطرلابي الى الجغرافي ، ومن مشهد الموسيقى الى مقعد المغني ، ومن عند الزمار الى دكالة الوتار . الصبيان والبنات في ذلك سواء ، وان كانت الغالبية في الصبيان دون اخواتهم . حتى السجون ، فقد كان لاهلها حظ من التعليم وكان لهم معلمون يدخلون اليهم في اوقات معينة »

وقد تلقى الجاحظ علومه على شيوخ البصرة والكوفة ومن أخذ عنهم علومه الاصمعي وابو زيد الانصاري وابو الحسن الاخفش ومن تلقى عليه العلم المبرّد صاحب الكامل ويقال انه كان وهو في دور الطلب يعاني الاتجار في الخبز والسمك بسينحان (نهر بالبصرة) وسواءً صحّ هذا الخبر ام لم يصحّ فقد درج الجاحظ في بحبوبة من اليسر والرخاء واتسعت موارد رزقه فلا عجب ان يعلو على امثاله فضلاً وفهماً ، وان يقدم للغة العربية هذه المصنفات التي وضعها في كل ضرب من ضروب العلم وفن من فنون الآداب على كثرتها وجليل شأنها . فان العطايا والاهي تفتح السها ، على شريطة الاستعداد الفطري والكفاية الظاهرة (ملخصاً من الفصل الرابع) وقد أشار مصطفى صادق الرافعي الى ذلك في مقالته عن شوقي (في هذا الجزم)

وما عرض له المؤلف ولم يدعمه باسناد قوله ان الجاحظ أتى مصر قال (صفحة ٧١)

ووقعت في كتاب الحيوان على أنه وفد مصر وأقام بها زمناً وأجرى بها اختبارات فيما عثر عليه من حيوانها « وحبذا الحال لو أشار إلى الفقرة التي نُصّ فيها على ذلك أو يحصل ذلك من معناها . ولكنه كان شديد الحذر لما ذكر أن الجاحظ كان يلمّ بالفارسية — قال أجل ليس هناك نصٌّ صريحٌ يملأ يد الباحث في هذا الشأن ولكن هناك من العبارات والألفاظ ما يدفع إلى استنباط هذا الرأي . . . وقال كذلك بعد ما ذكر شاهداً على قوله . . . فمسألة عرفان الجاحظ باللغة الفارسية تستنبط بالقوة من خلال سطور كتبه ولا تؤخذ بالنصّ

ونرى أنه كان شديد القسوة لما بين أن كتاب « التاج » ليس من مؤلفات الجاحظ (١٤٥ — ١٥٢) فبعد ما أورد نصّ مقدمة صدر بها الجاحظ كتاباً له ونصّ مقدمة « التاج » وهما موجهتان إلى رجل واحد قال: « فأني أمرىء له مسكناً من عقل أو أثاره من الذوق أو بقية من أدب أو لبابة من فضل ، يستطيع أن يقول أن كاتب تلك المقدمة هو كاتب هذه . ولعلّ بلاغة العبارة ساقته في تيار وقعها فانساق

وفي الكتاب فصل مسهب احصيت فيه كل مؤلفات الجاحظ والمؤلفات التي نسبت إليه وفصلان بسط فيهما مذهب المعتزلة ورأي الجاحظ فيه ، وفصول أخرى تحتوي على نوادره ومختارات من نثره وشعره

وفي حواشي الصفحات ترجمات موجزة للأعلام الذين ورد ذكرهم في المتن

نقول وياليت المؤلف توسع في بعض الفصول توسعاً ينقح الغلة كالفصلين اللذين افردهما لمعارف الجاحظ واحاطته وتحقيقه للعلم فانهما شديداً الايجاز . ولكنه قد يفعل ذلك لدى نشره كتاب « الحيوان » وكتاب « البيان والتبيين »

الصاحب ابن عباد

ورثة هذا اللسان العربي هم الآن أقلُّ خلفٍ شوقاً إلى نشر التاريخ المطوى لمن سلف من آبائهم ، وأبعدهم عن معاناة المشقة في استقصاء أخبار من غير من علمائهم وأئمتهم وهداتهم ومن فتح ومن قاد ومن حكم ومن استوزر من أسلافهم ، فلذلك نكبروا التاريخ العربي إذ لم يعرفوه ، ورگت أساليبهم إذ كان الأدب العربي على جانبي التاريخ العربي وفي طريقه ومن بين يديه ومن خلفه . ولا عجب فقد كانت البلاغة لعهدهم هي ميزان الرجال ، ومقياس العقل ، وقسطاس الحكمة . وما عبق هذا الخلف أبوة من غير من أسلافه إلا لأسباب أخذت عليه

طريقه ، ولو ان جلتها ليس مما يبرر هذا العقوق أو يُعذر منه
ولقد انتدب لمداداة هذا العقوق رجال من الادباء والشعراء فبذلوا ولم يرضوا ، وأخرجوا
في رجال الادب والتاريخ كتباً تعرف الناس بهم وبأديبهم وأخلاقهم وفضائلهم وما سوغوا
من الحكمة ، وما رزقوا من الفضل . فن ذلك ما كتب الاديب الجليل « خليل مردم بك »
عن « الجاحظ » و « ابن المقفع » و « ابن العميد » و « صاحب ابن عباد » . والثلاثة الاولى
من كتبه قد نشرت من أشهر وتداولها الناس . ونشر حديثاً كتابه عن « صاحب ابن عباد »
فاستوفى ترجمته ما استطاع ، وجمع شتات ما وصل اليها من اخباره ، ثم ابدى في ذلك من
صواب الرأي والدقة والتوثيق قبل الحكم ما يشهد بأمانته وعدله . وفي الكتاب من رسائل
« صاحب » ومن شعره ما لم ينشر مستقلاً بعد

وأسلوب كتابه هذا ، هو الاسلوب الجيد في عرض التراجم التي يقصد من كتابتها تعريف
الناشئين بمن مضى من أسلافهم ، حتى لا يتقفوا منهم موقف الجهل اذا ما عرض ذكرهم في
حديث أو كتاب . على انه لا يمكن ان يقال ان هذا الكتاب هو أوسع ما يكتب عن صاحب ،
فان أكثر ما كتب هو وما ألف ، او ما كتب عنه أو قيل فيه ، قد استبد به الضياع . ولا
يبعد ان يطلعنا القدر يوماً ما على اثر من آثار صاحب أو آثار من عرض لذكره والكلام عنه
يبدل الحكم عليه او ينقص منه او يزيد فيه

واهم أبواب كتاب « صاحب ابن عباد » هو القول في « اسلوبه وخصائصه » من ص ١٢٩
— ١٥٧ قد وفق المؤلف في الكلام عن الاسلوب ولم يُوف خصائص الاسلوب حقها حتى
تستطيع بعد ان تقرأه ان تعرف ما يميز اسلوب « صاحب » من اسلوب استاذه « ابن العميد »
على ان المؤلف عذراً بيناً في هذا فان آثار « صاحب » و « ابن العميد » قد ضاعت ولم يبق الا
اقلها مما لا يعين على التحديد والحصر والابانة عن مواضع التميز . والكلام على خصائص اساليب
الكتاب من امثال صاحب وابن العميد هو اهم ما يكتب عنهم واجداه على العربية وطلابها
الا انه فيما نرى اشقها وابعدها مطلباً ، ولن يوفق اليه الا من استكمل العُدَّة وتبها له الطبع
الرقيق والبصر النافذ وواتته الاسباب بظهور جزء من الكتب الضائعة والمغمورة واطانه العلم
المستفيض بأخبار الكتاب واخبار عصورهم ومن سبقهم ممن أخذوا عنه او نهلوا منه . واما
بعد ، فان كتاب خليل مردم بك عن صاحب هو من احسن ما يعرف الناس بلسان من الالسنه
البليغة ووزير من الوزراء النابهين في القرن الرابع للهجرة

محمود محمد شاكر

خالتي
وقصص أخرى

وكيل البريد
وقصص أخرى

لشاعر الهند : رابندرانات طاغور

نقلها الى العربية عبد اللطيف النشار

لاسم « طاغور » رنين جميل في أذني ، ولاشعاره وقصصه وآرائه مكان وسيع من قلبي . وما قرأت له شيئاً إلا أحسست في نهايته اني ارتفعت الى عالم بعيد من النور والقداسة اجتذبني اليه في رفق ولين ، وغمرني بالاحلام والاماني ، وحملني على اجنحة هادئة الرفيف فهو الكأس الالهية التي تستقي العالم في عصره المادي خمرأ روحية الكرمة والعصير وهو الناي الذي يجتذب أصداء الخلود من عالمها فيرددتها على أسماع الفنانين الهالكين ولطاغور أسلوب مزدهر الالفاظ ، ألق المعاني ، سامي التفكير ، حلو النفس والرنين ولقد عرف له العالم الغربي هذا فترجم كثيراً من مؤلفاته ، وعرفنا نحن هذا الينبوع الصافي نخففنا اليه ، واغترفنا ما قدر لنا ان نغترف منه . والكتيبان اللذان نحن بصددهما هما مجموعة من قصصه نقلها الى لغتنا الاديب عبد اللطيف النشار

إلا اني قرأتها فأحسست ان ألوان طاغور الفتاة قد تلاشت ، وكأن الناقل الفاضل قد أحس بذلك من قبل فاحتاط اليه بقوله : « ولست أزعم أنني أدتيه في لغتنا كما أداه ذلك بأن معاني الشعر (ومثل القصة) تسقل في سهولة ، أما الضوء وأما اللون فلا ينقلان في الترجمة » وإذا كان هذا عذراً من الناقل يظنه راداً عنه فقد أمثالي فهو عذر ضعيف — وخاصة منه هو — فالأديب النشار شاعر له من الألوان ما يمكن ان يؤلف منها ألواناً تقرب اليها روح طاغور في كتابته

على ان الضوء واللون شيئان غير الروح ، فهما في إمكان الشاعر والرسام نقلهما عن غيرها أما الروح فهي سر في نفس كل إنسان تعطى بقدر ، وتوهب بنسب مختلفة كما اني لا أفهم معنى لان ينقل الأديب النشار اغنية ريفية في قصة « خالتي » باللغة العامية ... ألا ريفية ؟ وما علاقة اللغة العامية المصرية بريف الهند ؟ وهل اذا كتب أديب غربي عن ريف مصر وضع اللهجة الريفية في كتابته ؟

أم اراد أن يصوغها في لغة بسيطة فلم يجد إلا الاسلوب الدارج ، وكان أدبه وشاعريته وروحه كفيلة بان تنقل هذه الاغنية عربية اللهجة سخجة الاسلوب ساذجة اللفظ على ان ذلك لا ينقص من قدر مجهوده الذي نود ان لا يقف به عند حد في نقل زهرات الآداب من لغاتها الى لغتنا وهو حريص على خدمتها حسن كامل الصيرفي

جماعة اخوان الصفا

لعبد اللطيف الطيباوي

اخوان الصفا وخلال الوفا هؤلاء جماعة من العلماء الذين آمنوا بما كان معروفًا في إقليدسهم من صنوف العلوم وضروب المعارف ، وقد تألفوا فيما بينهم بعد أن فشا في العالم الاسلامي نقل فلسفة اليونان وحكمة الهند وآداب الفرس ، وذلك في منتصف القرن الرابع للهجرة . رأى هؤلاء الجماعة ما أصاب الناس من الفساد في الخلق والرأي والمعتقد ، ورأوا ما أصاب أهل العلم والنظر وجملة الآراء والفكر من الاضطهاد والتنكيل والتشريد وتسليط العامة عليهم ففزعوا الى ما بين جنوبهم من ضماير صافية وإلى ما في قلوبهم من رحمة على المجتمع ورأفة ، وحسبوا أنه لا صلاح للناس إلا بصلاح النفوس ولا صلاح للنفوس إلا بالفلسفة متميزة بالشريعة ، او بالشريعة معتمدة على الفلسفة . فأجمعوا أمرهم على أن يحتجوا عن الانظار ويبحثوا في الناس أشعة علومهم ومعارفهم بواسطة رسائل يكتبونها ويثبتونها في الوراقين وباعة الكتب وناسخها ، وقد نشروا من ذلك إحدى وخمسين رسالة (وان شئت فقل : مجلة علمية) وظل أمرهم مخفياً ورسائلهم معروفة متداولة الى أن كانت سنة ٣٧٣ هجرية حيث كان أبو حيان التوحيدي في حضرة الوزير ابن سعدان وزير صمصام الدولة بن عضد الدولة ملك بغداد في عهد الطائع لله العباس فسأل الوزير أبا حيان في كلام كان سمعه من زيد بن رفاعه — وقد كان من الجماعة بلا شك وكان مع هذا من خاصة الوزير ومن أكبر جلسائه — فأخبره أبو حيان بشأنهم وأنبأه بما يتلجلج في صدورهم وأطلعه على أساليبهم في بث تعاليمهم وذكر له أن زيد بن رفاعه « لا ينسب الى شيء ولا يعرف برهط ، لجيشانه بكل شيء وغليانه بكل باب ولا اختلاف ما يبدو من بسطته بديانه وسعوطه بلسانه ، وقد أقام بالبصرة زمناً طويلاً وصادف بها جماعة لا صناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هرون الريحاني ، وأبو أحمد المهرجاني ، والعوفي وغيرهم فسمعهم وخدمهم وكانت هذه العصابة قد تألفت بال عشرة ، وتضافت بال صداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنسيحة ، فوضعوها بينهم منذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله الخ » في هذه الجماعة وضع الشاب النجيب عبد اللطيف افندي الطيباوي خريج كلية الآداب والعلوم بالجامعة الاميركية ببغداد رسالة حاول فيها التعريف بشأن افرادها من هو الرأس المدبر لها وهل كاتب رسائل اخوان الصفا رجل واحد أو عدة رجال . وقد دل بهذه الرسالة انه شغوف بالبحث محب للتنقيب متجه نحو عرفان حقائق الاشياء على وجهها . وهو وإن لم يبلغ في هذه الرسالة الغاية التي يتوخاها أهل البحث والتحصيل فإننا نرجو له بلوغ هذه الغاية في بحوثه الآتية فان استعداداته الظاهر من خلال رسالته يبشر بهذه النتيجة المنتظرة .

باب الاخبار العلمية

مؤتمر الطلبة الشرقيين

ان موقف الطالب الشرقي موقف غريب معقد ، فهو بين حضارة غربية مادية لا توأم طبيعة نفسه ونوع نزاعاته ، ولكنها حضارة غالبية صبغت كل شيء بلونها وكسبت الظفر في كل الميادين فهو مضطر ان يضطنعهما. وبين حضارة شرقية جلييلة ليس في مبادئها شيء من هذه السمة الذي تتسم به الحضارة الغربية ، فيوم ان كانت لها السيادة كانت تبسط النور حيث حلت ولم تكن آثارها الشككات والمعسكرات تترك حيث سارت بل كانت المعاهد والجامعات والتقدم العلمي والروحي والفكري . ولكن هذه الحضارة الشرقية ركبت مياها ، وجمدت حتى فقدت بعض عناصر الحياة فيها ثم زادها ضعفاً ابتعاد الشرقيين عن الشرق وتراهمهم على الغرب وفقد الصلة بين نفوس الشرقيين وتعاليمهم . والطالب الشرقي اذ يستقبل عهد الشباب ، عهد الحماسة والايمان والعمل لا يدري الى اي متجه يتجه ويحس بنفسه كشرقي يجب عليه الاعتداد بشرقيته وكانسان يجب ان يأخذ بأسباب التفوق والنجاح مضطرباً حاراً لا يعرف كيف يوفق بين ما يرجوه وبين ما يجب عليه . على ان هذه الحالة اذا تركت

دون علاج تفاقمت واستفحل شرها لان الشرقيين الذين يأخذون عن الغرب كل شيء يفقدون ثقتهم بأنفسهم فيسعون مقلدين محتذين وتضعف فيهم ملكات الابتكار والابداع . ولان الشرقيين الذين لا يأخذون عن الغرب لا تواتيهم الحضارة الشرقية في نهوض . فما الوسيلة اذن لعلاج هذه الحالة ؟ العلاج فيما يحيل لبعض المفكرين ان العناصر الحية في الشرق يجب اولاً ان تجتمع ، وان تنظم علاقاتها بعضها ببعض . ولهذا الاجتماع آثاره الجلييلة . ذلك لان اجتماع العناصر الحية في الشرق — ونعني الطلبة الشبان — يقرب الشرقيين من الشرق ، لان الطلبة في هذا الشرق لا يقصدون الا الغرب ولا يتعاونون الا مع الغربيين ولا يزورون الا اوربا واميركا فان اجتمعوا مع اخوانهم وهم في شبابهم ، اتجه تفكيرهم اتجاهاً جديداً . ولان الشباب في الشرق يرنو الى النهوض ويبغي العمل ، فاذا اجتمع بعضهم مع بعض احس ان في الشرق حياة وشعر ان هذه الرغبة في النهوض التي يحسها في بلاده وفي الشرق بوجه عام ، هي رغبة شاملة تعم الشرق كله فيزداد قدره في عينه فتعود ثقته بالشرق إليه وبهذه الثقة

يستطيع ان ينزل الى ميدان الحياة بسلاح جديد:
سلاح الاعتداد والاعتزاز

لهذا نبتت فكرة مؤتمر الطلبة الشرقيين ليضم الطلبة من جميع بلاد الشرق على اختلاف ألوانهم وأديانهم وجنسياتهم . على ان يكون اجتماعاً دورياً يعقد كل عام في عاصمة من عواصم الشرق . حتى يكون لكل أمة في هذا الشرق فرصة عرض جهودها امام شباب النهضة فتتاح لشباب الشرق فرصة دراسة الشرق كله والتعرف عليه . والمؤتمر اينما يعقد لا شك سيحمل بزور الحياة لان اجتماع مائة شاب لغرض واحد وقد جاءوا من بلادهم للبحث والاستقراء والتعرف سيفتح الازهار والنفوس للاخوة التي تربط الشرق كما ان بحوثهم ومناقشاتهم في المؤتمر وقراراتهم ستفتح ابواب البحث والجدل والدرس للكتاب والمفكرين

وهذا المؤتمر سيكون بطبيعة الحال أبعد ما يكون عن السياسة والمنازعات الدينية ، والواقع ان غلة هذا الشرق في خلافاته الطائفية والمذهبية والسياسية هذه الخلافات التي تسبب التوزع والتخاذل والتي تذهب بالجهود فيما لا يفيد ولا يجدي . ولعل هذه خدمة جديدة يقدمها المؤتمر للشرق . فيجمع البوذي والهندوسي والمسلم والمسيحي معاً في صعيد واحد ، ويرسم لهم جميعاً مثلاً أعلى مشترك تتجه اليه الجهود ويسعى لتحقيقه الشباب وسينعقد المؤتمر في شهر فبراير القادم بعد ان نظمت له دعاية في البلاد الشرقية كلها ،

وبعد ان كونت لجان له تعمل باسمه في هذه البلاد وتذيع دعوته وتوضح فكرته . على ان هذه الدعاية نفسها ستأخذ صوراً مختلفة حتى ينعقد المؤتمر

وستسعى اللجنة المركزية التحضيرية للمؤتمر في مصر ، للحصول على امتيازات كثيرة لاعضاء المؤتمر من شركات النقل والملاحة ولدى مصالح السكك الحديدية حتى يكون باب السياحة والتنقل مفتوحاً للطلبة الشرقيين دائماً ، وحتى تكون وسائل هذه السياحة مذللة ممهدة . وهذه اللجنة تستطيع أن تظهر بالكثير لانها تتكوّن من سعادة علي باشا ابراهيم نائب مدير الجامعة ومن الدكتور منصور فهمي ، والاستاذ احمد امين والدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور عبد الرازق السنهوري ، والدكتور علي مصطفى مشرفة والدكتور احمد زكي ، والدكتور خليل عبد الخالق وكلهم من كبار اساتذة الجامعة . والى جانب هذه اللجنة لجنة من الطلاب تضم جميع جنسيات الشرق . فهي في اجتماعاتها عصابة امم شرقية صغيرة وقد انتجت اجتماعات هذه اللجنة وجهودها حتى أصبح اسم مؤتمر الطلبة معروفاً في سومطره وجاوه والهند والسنين وفارس ، بالقدر الذي هو معروف به في مصر وسوريا والعراق

وسيدوم اجتماع المؤتمر ٦ أيام يبحث في خلالها الموضوعات الآتية ١ - انشاء صحيفة للطلبة الشرقيين تكون دورية وتكتب باكثر من لغة شرقية ٢ - تنظيم ألعاب اولمبية دورية

شرقية تشبه الالعب الاولمبية الاوربية
٣ — ايجاد اندية للطلبة الشرقيين في جميع
بلاد الشرق ٤ — انتخاب يوم يسمى عيد
الطلبة الشرقيين يحتفل به في جميع البلاد
الشرقية احتفالاً شرقياً خاصاً ٥ — وضع
برنامج خلقي اجتماعي يسير عليه الطلبة
الشرقيون في بلادهم

وسيزور اعضاؤه متاحف مصر وآثارها
ومعاهدها ويلقى عليهم كبار الاساتذة محاضرات
في نواح من العلم والادب مختلفة . وعقب
انتهاء ايام المؤتمر ستنظم رحلة للاعضاء في
صعيد مصر فيزلون في عواصم المديريات كلها
حتى يصلوا اسوان فيقيمون هناك يوماً
او اكثر ويعيشون معاً عيشة كشافية بسيطة
ثم يعودون الى القاهرة

مباحث جديدة في الاشعة الكونية

يعلم قراء المقتطف ان الاشعة الكونية
ظاهرة طبيعية استرعت عناية العلماء في العهد
الاخير . وقد والينا الكتابة في كل طريف
عنها من سنة ١٩٢٦ الى الآن . وأحدث تايخيص
لما عرف عنها نشرناه في مقالة «ارتياذ طبقات
الجو العليا» في مقتطف اكتوبر الماضي
صفحة ٣١٧-٣١٩ وقد قلنا في نهاية تلك المقالة
ان العلماء ينتظرون نتائج رحلة الاستاذ بيكار
بفارغ الصبر

وقد انشأ الاستاذ بيكار في جريدة التيمس
(٨ اكتوبر) مقالاً تلخص فيه نتائج الارصاد
التي قام بها في هذه الناحية فقال انه حاول

درس الاشعة الكونية من ناحيتين : الاولى
تحقيق الاختلاف في قوة الاشعة باختلاف
الارتفاع . والثانية : تحقيق الاختلاف في
قوتها باختلاف الاتجاه

اما نتائج البحث في الناحية الاولى فتتفق
مع نتائج الاستاذ رجندر Regener وهي ان
قوة الاشعة الكونية تزداد بالارتفاع ثم
تقل زيادتها رويداً رويداً الى ان تصبح ثابتة
فوق ارتفاع معين . اما البحث في الناحية
الثانية فأسفر عن ان الاشعة الكونية لا تكثر
في اتجاه معين دون آخر

وليس الاستاذ بيكار بمنفرد بين
العلماء في درس هذه الاشعة . فالاستاذ
ميرايكن الاميركي ما زال يوالي البحث فيها .
كذلك الاستاذ كولهرستر وهو من اوائل
الذين كشفوا عنها . وكان ملكن قد ابان
ان الاشعة الكونية لا تكثر فوق منطقة
معينة على سطح الارض دون اخرى ولكن
الاستاذ كيمسطن الاميركي نظم رحلة علمية
طوق بها الارض من الشرق الى الغرب ومن
الشمال الى الجنوب لامتحان نتائج ملكن
وقياس قوة هذه الاشعة في بلدان مختلفة
فأسفر بحثه عن وجود اختلاف في قوتها
في مناطق مختلفة وخصوصاً في الاشعة الضعيفة
منها . وقد بعث برسالة الى المجلة الطبيعية (اول
سبتمبر ١٩٣٢) قال فيها ان هناك ارتباطاً بين
قوة الاشعة الكونية واتجاه مغناطيسية
الارض . فهي اقوى في نواحي القطبين
المغناطيسيين منها في نواحي اخرى . وقد

ايدُهُ في ذلك العالمان كلاي وبرلاج في رحلة رحلاها من امستردام بهولنده الى بتافيا بجزيرة جاوه لقياس قوة الاشعة في مسير الباخرة التي استقلاها. وهذا منتظر اذا كانت الاشعة الكونية من تيارات من الدقائق المكهربة السريعة لا من امواج قصيرة من قبيل امواج الاشعة السينية (X rays) ولكن اقصر منها . وثمة مباحث اخرى تدور حول هذا الموضوع الاخير ، ويبدو منها ان الاتجاه الآن الى حسابها دقائق مكهربة سريعة — كهارب او بروتونات — وهو مخالف لما كان يراه الاستاذ ملكن

ثمن المواد

اتخذت امم الارض الذهب قاعدة للمعاملات التجارية . لذلك اذا اراد احد ان يعرب عن قيمة مادة ما قال «تعديل وزنها ذهباً» فاذا حاولنا ان نعين اعلى المواد وجب ان نحصر بحثنا في المواد التي تشرى وتباع في الاسواق الحرة ، صارفين النظر عن الاشياء التي تستمد قيمتها من قدمها او طابعها الفني او علاقتها بالعلم كالتحف والآثار والصور والكتب النادرة وطوابع البريد والآلات العلمية المفردة

فاذا سرنا على ذلك وجدنا مواد كثيرة تعدل «اكثر من وزنها ذهباً» . ففي الاحوال العادية يبلغ ثمن الپلاتين ثلاثة اضعاف الذهب وزناً بوزن . أما عنصر الاريديوم فيبلغ ثمنه ١٥ ضعف ثمن الذهب . وأما الماس

فثمنه يختلف باختلاف حجم الماسة ولونها وصفائها . فاذا اتخذنا سعر ثمانين جنيهاً للقيراط الواحد بلغ ثمن الاوقية نحو ١٢ الف جنيه . يقابل ذلك ٨ جنيهات لاوقية من الپلاتين . فثمن الماس يفوق ثمن الپلاتين ١٢٥٠٠ ضعف ويفوق ثمن الذهب نحو ٣٠٠٠٠ ضعف . ومن غرائب الازمة الاقتصادية الحالية ان سعر الماس كان اكثر ثباتاً من غيره من المواد الكمالية . فسعر الپلاتين قد هبط سعره خمسون في المائة وأما سعر الماس فلم يهبط سوى ١٠ في المائة

ولكن اعلى المواد التي تشرى وتباع هو عنصر الراديوم وما يحل محله مثل المزوثيريوم . فقد انقضت سنون وسعر الماغرام الواحد من الراديوم يتباين من عشرين جنيهاً الى ٢٥ جنيهاً . فلما اكتشفت مناجم الراديوم في بلاد الكونغو البلجيكية هبط سعر الماغرام الى ١٤ جنيهاً . والراجح ان هبوطه الى هذا الحد كان يقصد به مزاحمة مستخرجيه في الاقطار الاخرى . فسعر الاوقية يبلغ نحو ٤٠٠ الف جنيه فكان ثمن الراديوم يفوق ثمن الذهب ١٠٠٠٠٠ ضعف وزناً بوزن . يليه في ذلك المزوثيريوم وثن الاوقية منه نحو ٣٠٠ الف جنيه .

الحري الصناعي من الخيزران

تجرب التجارب في الهند الآن لصنع الحري الصناعي من الخيزران

زلزلة اليونان

حدثت زلزلة في بلاد اليونان في ٢٦ سبتمبر الماضي دمرت قرى كثيرة في خلقيدقة وكان مركزها في بحر ايجه على مقربة من شواطئ اليونان حيث يلتقي خط العرض ٣٩ بخط الطول الشرقي ٢٤ وقد دونت آثارها وآثار ما تلاها من الهزات في ادوات رصد الزلازل بالولايات المتحدة الاميركية

ويظن ان زلزلة من هذا القبيل كانت السبب في تدمير الحضارة الزاهرة التي نشأت في جزيرة كريت من نحو ثلاثة آلاف سنة ، ذلك ان كنوسس عاصمة كريت القديمة زالت من الوجود فجأة في سنة ١٢٠٠ ق.م على ان اطلال هياكلها ومبانيها تشير الى ان زلزالاً كان سبب التدمير الذي حل بها. ولعل فعل الزلزال في تدمير المباني وقتل الناس بلغ درجة لم يتمكن معها الاحياء من ترميم المباني المدمرة واعادة حضارة المدينة سيرتها الاولى. ومن ثم توالى عليها القرصان والملاحون من مدن السواحل المناوحة والمجاورة فلم يستطع ابناء الجزيرة من صدّهم عن النهب

نجمة جديدة

اكتشف عالمان احدهما اميركي والاخر روسي نجمة جديدة لا يزيد قطرها على عشرة اميال وتكمل دورتها حول الشمس في ٢٣ و ٢٠ من السنة فهي ثالثة النجيمات في سرعة دورانها حول الشمس. والنجيمات كما لا يخفى هي اجسام

فلكية صغيرة تدور حول الشمس بين فلكي المريخ والمشتري ويقال انها بقايا سيارتهم و يبلغ عددها ١٥٠٠ نجمة

بكتيريا تعيش ٢٢ سنة

بين سنة ١٩٠٣ و ١٩١١ ازرع الاستاذ ويت (Waite) احد اساتذة جامعة نبراسكا الاميركية طوائف من ضرب خاص من البكتيريا في مادة مغذية ثم وضعها في انابيب وختم الانابيب ثم توفي الاستاذ ويت ولم تفتح الانابيب الا من عهد قريب فتدعها الاستاذ ومبر ديكن (Deacon) واجرى عليها تجارب متنوعة فوجدها لا تزال حية

تعليل زيادة اصابات السرطان

الباحثون في الاحصائيات الطبية مجمعون على ان اصابات السرطان في ازدياد مطرد. وتعليل ذلك ان الناس الذين يبلغون الآن بفضل وسائل الصحة العامة والطب الوقائي السن الذي يتعرض فيه الانسان للسرطان هم اكثر من الذين كانوا يبلغون هذا السن من قبل. وثانياً كانت طائفة كبيرة من الناس الذين يبلغون سن السرطان يموتون بامراض اخرى كالزلة الصدرية وغيرها. ولكن نسبة وفياتهم الآن بهذه الامراض اقل جداً مما كانت قبلاً. فتعرضهم للاصابة بالسرطان يصبح مضاعفاً. وعليه فنقص الاصابات بالامراض العامة في الحداثة والشباب والكهولة يصحبه زيادة في اصابات السرطان

الجزء الرابع من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
٣٨١	تشتية الحيوانات وتصنيفها
٣٨٥	شوقي . لمصطفى صادق الرافعي (مصورة)
٣٩٨	القضايا الاجتماعية الكبرى . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٤٠١	قبر شاعر (قصيدة) لعل محمد طه المهندس
٤٠٤	ارز لبنان ومغادرة قاديشا . للامير مصطفى الشهابي
٤١٠	قاهر البعوض . السر رند رُس (مصورة)
٤١٥	الحياة الاجتماعية في الحيرة . ليوسف رزق الله غنيمه
٤٢٢	مآثر الحضارة العربية . لقدرى حافظ طوقان (مصورة)
٤٣٠	من الشعر الغربي . للدكتور ابراهيم ناجي
٤٣٢	وبعد تحطيم الذرة
٤٣٦	مولد المأساة . لحنا خباز
٤٤٠	مهتما فاندني . لاسماعيل مظهر
٤٥٢	الجريمة والعقوبة . لفؤاد عينتاي
٤٥٦	شيخوخة جوته . للدكتور علي مظهر
٤٦١	الحياة والكهربائية
٤٦٤	البارون سلاتين باشا . لابرهم ديمتري (مصورة)
٤٧١	الحضارة الفينيقية . ليولس مسعد
٤٧٦	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * ارشادات صحية لربات المنازل . احاديث صحية وطبية .
	الحكومات الاوربية وسياستها الطبية . التأمين ضد الامراض . المانيا تشكو كثرة الاطباء .
٤٨٤	باب الزراعة والاقتصاد * في الانتاج الزراعي
٤٨٨	مكتبة المقتطف * ميزان الاكوان ودولاب الزمان . ادب الجاحظ (مصورة) . قصص
	لرابندراناث طاغور . جماعة اخوان الصفا
٤٩٧	باب الاخبار العلمية * وفيه ٨ بند



معجم الحيوان

للفريق امين معلوف باشا

كان العلامة الدكتور امين معلوف باشا في طليعة العلماء العرب المعاصرين ، الذين عنوا بوضع معجم للحيوان ، يتوخى فيه ايراد الاسماء العربية مستخرجة من مظانها . مع ما يقابلها من الاسماء العلمية والاسماء السائرة في اللغتين الانكليزية والفرنسية

ونشر فصولاً كثيرة في هذا الموضوع في المقتطف في سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ بعنوان « معجم الحيوان »

وقد قضى معلوف باشا العشرين سنة الاخيرة يدون في اوراقه كل شاردة وواردة يقع عليها في اثناء مطالعته ، ثم يحققها من الناحيتين العلمية واللغوية ويضيفها الى مجموعته . وقد صحت عزيمته الآن على اخراج كتاب جامع لاسماء الحيوان يشتمل على الاسم العلمي والاسم الانكليزي وما يقابلهما بالعربية وتحلية اشهر الحيوانات وصورها فيكون مرجعاً يليق بهضة اللغة العربية في القرن العشرين

ويسرنا ان العلامة معلوف باشا قد عهد الى المقتطف في اخراج هذا السفر النفيس ، فرأينا ان نجعله هدية لمشتري المقتطف عن سنة ١٩٣٢ - ولكنه لا يرسل الا الى كل مشترك يسدد حسابه

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب سوف يصبح علماً في طريق ارتقاء اللغة العربية العلمية . وثمنه بعد توزيعه على المشتركين المسددين خمسون غرشاً صاغاً . ولا يبعد ان يصبح من الكتب النادرة في خلال سنتين ، لان العدد المطبوع منه محدود

Al-Muktataf

طبقات الأرض

او بسائط الجولوجية

وفقاً للمنهج الذي أقرته وزارة المعارف العمومية
للسنة الثالثة الثانوية

بقلم
قوادصوف

ثمن النسخة خمسة قروش تضاف اليها اجرة البريد وهي قرش صاغ
ويطلب من المؤلف بادرة المقتطف بمصر

خطاط جلالة الملك

الحامي نجيب بك هو اويني
واضع كتاب التزوير الخطي

مستعد لفحص الاوراق المطعون فيها بالتزوير واعطاء تقارير فيها. ويتولى عمل كليشيات
واختام. ويطلب منه ومن مكتبة امين افندي هندية بالموسكي بمصر ومن المكاتب المشهورة
تأليفه وهي : (١) كتاب التزوير الخطي وهو اول كتاب وضع لمعرفة الخطوط والاختام
المزورة والصحيحة عربية وافرنجية لا يستغني عنه احد من الحامين والقضاة والخبراء
واصحاب الاشغال وهو علمي عملي ثمنه ٥٠ قرش صاغ. (٢) كرايسه السلاسل الذهبية الرقعة
والنسخ والثلث والفارسي لتعليم الخطوط الجميلة بأسهل اسلوب مبتكر فوقت قصير. (٣) المجلة
وهي مجلة الاحكام العدلية مشروحة ومشكلة بقلمه وهذه المجلة والتزوير الخطي مقرران
رسمياً في سورية وغيرها والكرايس الخطية مقررة من قديم لدى وزارة المعارف في
تركيا وغيرها من البلاد العربية ومنشرة في المدارس المشهورة في جميع البلاد
يكفي كتابة كلمة «مصر» عند مخبرة هواويني. ار مخاطبة تليفون ٥٠٣٣٠

الكتب التي تجعلك بليغا

وتمتع فكرك بأجل ما في اللغة العربية من اوصاف الجمال ومعاني الحب

اوراق الورد

« رسائلها ورسائله »

بقلم

مصطفى صادق الرافعي

اربعون رسالة في ثلاثمائة صفحة بالشكل على احسن ورق . وهذه الرسائل تطارحها شاعر فيلسوف وشاعرة فيلسوفة هيأت لها الأقدار أن يتحاجبا ليتحفا الأدب العربي بهذا الكتاب الذي لا نظير له في اللغة العربية من زمن الجاهلية الى اليوم لا في بلاغته ولا في موضوعه ولا في سمو معانيه . وثمنه عشرة غروش صاغاً غير اجرة البريد ويطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد علي بمصر

رسائل الازهار

في فلسفة الجمال والحب

السحاب الاحمر

في فلسفة الجمال والحب

هذان الكتابان يتيمان (اوراق الورد) وهما في ٣٦٠ صفحة وثمنهما ستة عشر غرشاً غير اجرة البريد ويطلبان من المكتبة التجارية شارع محمد علي بمصر

مكتبة العرب

لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني

بشارع الفجالة بمصر

من اكبر المكاتب واوسعها نطاقاً حاوية على جميع الكتب النادرة من الكتب المطبوعة في جميع الاقطار ولها قائمة مطولة ترسلها مجاناً وايضاً قائمة بالكتب الخطية النادرة وتطبع وتشارك المؤلفين في طبع مؤلفاتهم ولها معاملات مع اكبر مكاتب اوربا واميركا والشرق الاقصى والادنى وتلي جميع طلبات المهاجرين بأسرع ما يمكن

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدراسة عن الشؤون البرازيلية وما آتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبديل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

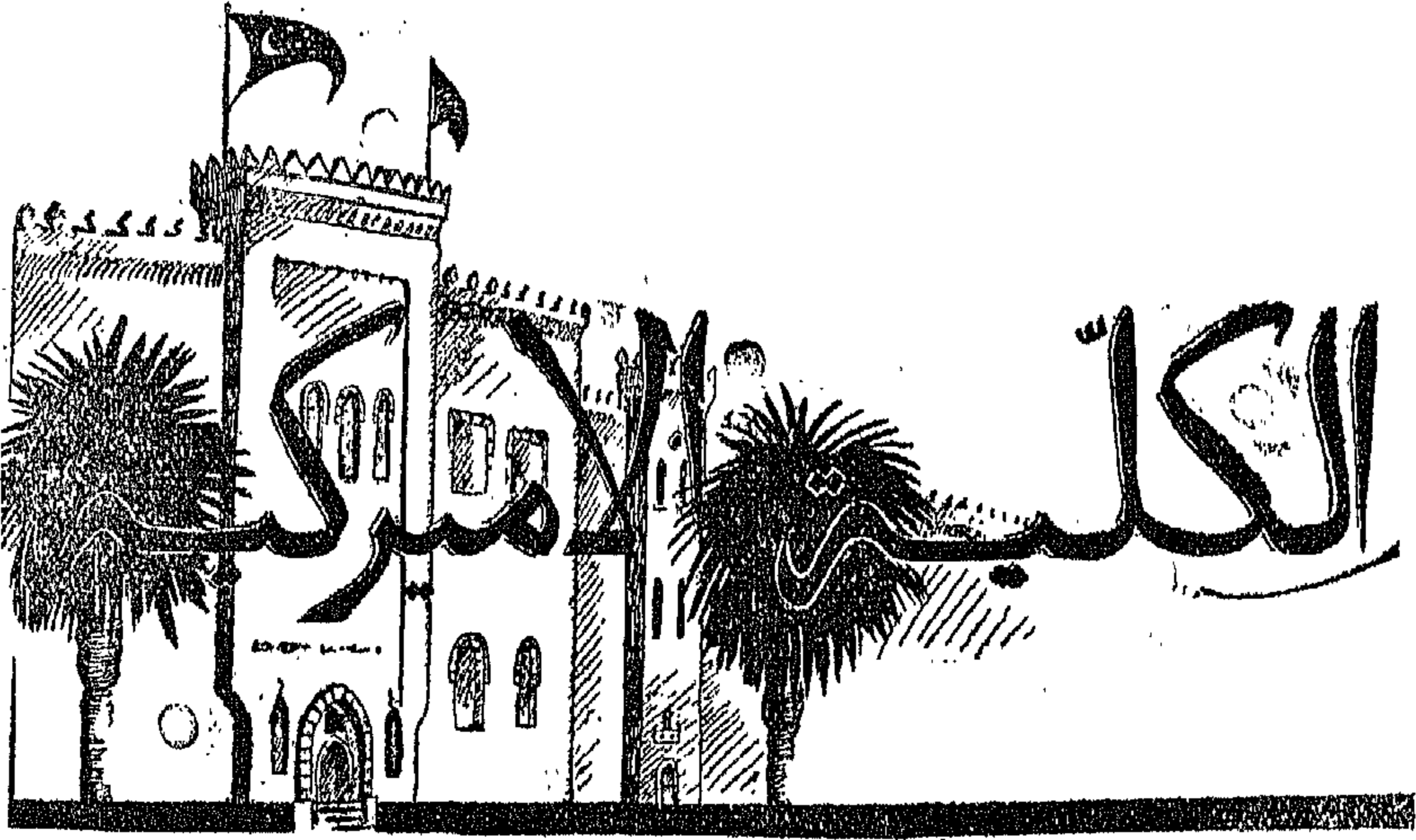
الاصلاح

مجلة ثقافية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس



الكلية الأميركية للآداب والعلوم بالقاهرة

تمتاز هذه الكلية بفخامة بنائها ، وحسن موقعها ، وكفاية اساتذتها ، وأخذها بأحدث أساليب التربية ، فهي تعد الطلبة للحياة فوق اعدادهم للامتحان ، وتعنى بصحتهم عنايتها بأخلاقهم وعقولهم ، وتدريبهم على البحث والدرس فى مكتبتها الحافلة بألوف المجلدات ، وتهيء لهم دراسة العلوم من طريق المشاهدة والتجربة فى معاملها المستكملة الاجهزة والمعدات ، وتقويهم فى اللغة الانكليزية بشكل يدعو الى الاعجاب والفخر وبالكلية عدا قسمها الداخلى المتوافرة فيه جميع وسائل الراحة الحديثة الاقسام الثلاثة الآتية : —

(١) القسم الثانوي ويتبع منهج وزارة المعارف المصرية ويؤهل الطلبة لنيل شهادة الدراسة الثانوية بقسميها : الكفاءة والبالوريا

(٢) القسم الاستعدادي وهو قسم ثانوي على النظام الغربى والتدريس فيه باللغة الانكليزية

(٣) قسم الكلية ويؤهل الطلبة للكلية الفنية والاجنبية او نيل درجة بكالوريوس فى الآداب او العلوم

وجميع المعلومات تطلب بالبريد باسم عميد الكلية بشارع القصر العينى رقم ١١٣ أو بمقابلة الموظف المختص من ٩ — ١٢ يومياً ما عدا ايام الآحاد تليفون ٤٣٠٠٦

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

- | | |
|--|--|
| ١٠ التربية الاجتماعية (الاستاذ علي فري) | ٣٥ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية) |
| ٥ خواطر حار (الاستاذ الجمل) | ٧٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة) |
| ٥ التعليم والصحة | ٣٥ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى) |
| ١٥ الحب والزواج (الاستاذ نقولا حداد) | ٧٠ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثانية) |
| ١٥ ذكراً وانثى خلتهم » » » | ٣٥ القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس |
| ٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران » » » | ٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس |
| ١٥ اسرار الحياة الزوجية » » » | ٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي فقط |
| ٢٥ المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور نظري) | ١٥ قاموس الجيب انكليزي عربي فقط |
| ٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها » » » | ٧٠ » سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ) |
| ١٥ الزينة الحمراء (الاستاذ احمد الصاوي) | ٥٠ » سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ) |
| ١٠ تاييس » » » | ١٠٠ » سقراط انكليزي عربي وبالعكس |
| ٥ مكابد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر) | ١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول) |
| ١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة) | ١٢ الهدية السنوية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ) |
| ١٠ مسارح الازهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة) | ١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكيل بك) |
| ١٢ رواية احوال الاستبداد ، مصورة | ١٠ عشرة ايام في السودان » » » |
| ١٠ رواية فاقنة المهدي ، او استعادة السودان | ١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد |
| ٨ رواية الانتقام العذب (اسعد خليل داغر) | ١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة |
| ٥ فقر وعفاف (الاستاذ احمد رافت) | (الاستاذ محمد زعيتي) |
| ١٢ رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله) | ١٥ روح السياسة » » » |
| ١٢ غرام الراهب او الساحرة المجدورة | ١٠ الآراء والمعتقدات » » » |
| ٧٥ رواية روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده) | ٢٠ اصول الحقوق الدستورية » » » |
| ٢٥ رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء » | ١٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون) |
| ٢٠ رواية باردليان ، ٣ اجزاء » | ٨ مقدمة الحضارات الاولى » » |
| ٢٠ رواية الملكة ايزابو ، اجزاء » | ١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد) |
| ٢٠ رواية الاميرة فوستا ، جزآن » | ١٥ ملقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء |
| ٣٠ رواية عشاق فينيسيا ، جزآن » | ١٠ اليوم والفند (الاستاذ سلامة موسى) |
| ١٦ رواية كاييتان ، جزآن » | ١٠ مختارات سلامة موسى |
| ١٦ رواية الوصية الحمراء ، جزآن » | ٨ نظرية التطور واصل الانسان » » |
| ١٢ رواية فلمبرج ، جزآن » | ٢٠ انا تول فرانس في مبادله (الامير شكيب ارسلان) |
| ١٠ رواية فارس الملك » | ١٥ الدنيا في اميركا (الاستاذ امير بقطر) |
| ١٠ رواية ضحايا الانتقام » | ١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبد الله) |
| ٥ رواية المتشكرة الحسنة » | ١٠ حصان الهشيم (الاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني) |
| ٥ رواية صروضة الاسود » | ١٠ قبض الريح (» » » » ») |
| ٥ رواية شهداء الاخلاص » | ٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور |
| ٨ رواية المرأة المفترسة » | ١٠ رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبدالواحد) |
| ١٦ رواية دار العجائب جزآن (نقولارزق الله) | ١٠ القربال في الادب المصري (للاستاذ نجاة نسيمة) |
| ١٠ » فرانسوا الاول » » » » » | ٥ حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان) |
| | ٥ » » » » » ثانياً » » » » » |

اعلان مهم للمزارعين استعملوا

الاسمدة الازوتية الاكثر فائدة لجميع ذراعاتكم

نترات الجير الالماني الابيض اللون

الذي يحتوي على ١٥ ر ٥ في المائة آزوت

نتر و سلفات الالماني

الذي يحتوي على ٢٦ في المائة آزوت

سلفات النشادر الالماني

الذي يحتوي على ٢٠ ر ٦ في المائة آزوت

اطلبوها من

محل ثابت ثابت

الوكيل العام لنقابة الماعل الالمانية للاسمدة الازوتية

بالقاهرة : بشارع المناخ بمك رئيس

تليفون ٤٢٣ - ٥٤ - تلترافيا : النبات

بالاسكندرية : بشارع اسحق النديم عمرة ٢

تليفون عمرة ١١ - ٣٤ - تلترافيا « النبات »

Dec. 1932

ديسمبر ١٩٣٢

المقتطف

ذكرى حافظ وشوقي

الدكتور شهبندر - الأستاذ سامي الجريديني - علي محمود طه
إسماعيل مظهر - الشيخ عبد القادر المغربي

خبر

سنة

الذرة والحلبة

ناموس النور

للدكتور علي حسن

لنقولا الحداد

قصيدتان

عباس محمود العقاد

مكتبة عفيفي كتب - ورويات
مكتبة خضير والحاج محمد
عبد العزيز عيسى الخواني
أحمد محمد
إبراهيم

AL MUKTATAF



مصباح السلام

صورة لنصب من اروع الانصاب التي اقيمت دعاية للسلام على
مقربة من مدافن الالمان والفرنسيين في أرتوى. فاليد الحاملة لمصباح
السلام ترتفع من الانقراض الى علو ٢٥ قدماً ، لتذكر الاجيال المقبلة
بان مصباح السلام يجب ان يظل مضيئاً

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الحادي والثمانين

٣ شعبان سنة ١٣٥١

١ ديسمبر سنة ١٩٣٢

الاضداد في الطبيعة

العقل الانساني مولع بالمفاضلة . فيتجشم الناس مشاق الاسفار ليروا اعلی الجبال او اكبر المباني او اروع مشاهد الغروب او اقدم الآثار أو للاجتماع باعظم المعاصرين . الا يذکر كل قارئ شعوره لما قيل له في صغره بانه سوف يرى اضخم الفيلة أو اصغر الاقزام أو اقوى المصارعين . ثم اذا قرأنا الصحف اعجبنا اشدّ الاعجاب بما ترويه عن اسطع المنار التي تبلغ قوة ضوئها ملايين من الشموع واصغر المصابيح الكهربائية حتى ليستطيع الجراح ادخالها من ثقب دقيق الى جمجمة الرأس في اثناء عملية جراحية واطول الجسور وادق الاسلاك واطخم البلونات واسرع السفن وما الى ذلك . ان الاشياء العادية لا تسترعي انتباهنا ولكنها اذ شدّت عن المستوى العادي نهت فينا عناية خاصة بها

والطبيعة اغدقت على الانسان هباتها متباينة الصفات والخواص ، فهتد العلم للانسان سبيل تعاديل هذه الخواص وجعلها ملائمة لاغراضه . فاذا كان صانع الساعات يطلب زنبلكا شديدا المرونة همة ان يعرف ما هي العناصر او المركبات التي يستطيع ان يستخدمها لصنع هذا الزنبلك وكيف يعالجها لتتصف بالصفات المطلوبة . كذلك المهندس الذي يطلب كرات دقيقة لمحاور العجلات ، والطبيب الذي يبحث عن علاج لمريض . كلهم يطلب افضل ما يمكن لتأدية غرضه . واذن فرغبتنا الفطرية في المفاضلة بين الاشياء تذكيرها مطالب الحضارة . والبحث في الاضداد — في اصغر الاشياء واكبرها ، أثقلها وأخفها ، اغلاها وارخصها ، اكثرها قابلية للمد والانطراق ،

أعلى درجات الحرارة وأدناها ، ليس الغرض منه ا كفاء الميل الفطري فقط بل هو من امتع ما يعنى به الباحثون وتفسح له المجالات العلمية صنفاتها^(١)

ما أثقل المواد

لابد من التدقيق في الإجابة عن هذا السؤال لان المواد الثقيلة في الطبيعة كثيرة والفروق بينها دقيقة . ولا ريب في ان أثقل المواد يجب ان يكون من الجوامد ، لان الجوامد تحتري عادة على المادة في اكثف حالاتها . فثمة صخور ومعادن كثيرة مشهورة بثقلها ولكن ينادر بينها ما يزيد وزن بوصة مكعبة منه سبعة اضعاف عن وزن بوصة مكعبة من الماء^(٢) ولكن الفلزات (metals) التي يزيد وزنها النوعي عن ١٠ كثيرة ولا تقل عن ١٧ فلزاً . وقد حيرت العامة على قولها « أثقل من الرصاص » اذا شئت ان تصف جسماً ما بالثقل العظيم ، لان العامة خبرت ثقل الرصاص النوعي في كثير من معاملاتها اليومية . ولكن الرصاص يبعد عن ان يكون أثقل الفلزات . فالذهب والزرنيق والبلاتين والتنتالوم والتاليوم والثوريوم والتنغستن والاورانيوم تفوقه جميعاً في وزنها النوعي . وفي اختيار أثقل هذه الفلزات ، يجب ان نعنى عناية خاصة بتحضير النماذج المستعملة اساساً للمقابلة . فالذهب اذا نقي في فراغ كان وزنه النوعي ١٩٨٨ ولكنه اذا مُدَّ بعد احماؤه بالنار وسقيه بالماء أصبح ١٩٢٦ . كذلك الذهب الزهر وزنه النوعي ١٩٣٣ ولكنه اذا كان مطرّقاً أصبح ١٩٣٣ . واذن فالمقابلة يجب ان تتم بين نماذج حُضِرَتْ بطريقة واحدة . واثقل الفلزات التي يتناولها الناس عادة هو عنصر البلاتين ويتباين وزنه النوعي من ٢٠٩ الى ٢١٧ ويشبهه في ذلك الأسميوم والاريديوم وهما من الفلزات غير المشهورة . وكلاهما أثقل من البلاتين قليلاً . فوزن الأسميوم النوعي يتباين من ٢١٣ الى ٢٤ فاذا كان في اكثف ما يكون عليه كان أثقل المواد على سطح الارض

ما أخف المواد

لقد بحثنا عن أثقل المواد بين المعادن والفلزات فيجب ان نبهت عن اخفها بين الغازات لانها تحتوي على المادة في الطف اشكالها . تقول العامة « أخف من الريشة » ولكن خفة الريشة اذا قيسَتْ بخفة بعض الغازات كانت كبعض المعادن ازاء الماء . ولا يخفى ان الريشة أثقل من الهواء ، ومهما يضرب بها المثل في الشعر العربي بعدم الاستقرار ، فلا بد ان تهبط الى الارض .

(١) هذه المقالة مبنية على بحث مسهب في المجلة العلمية الاميركية (٢) تعرف هذه الصفة بالثقل النوعي او الوزن النوعي . وهو النسبة بين وزن جسم من حجم معين ووزن جسم من الماء من الحجم عينه . فاذا قيل هذه المادة يبلغ ثقلها النوعي ١٠ عني ان مقداراً منها يزن عشرة اضعاف مقدار مماثله من الماء

ولكن بعض الغازات اخف من الهواء فاذا اطلقت فيه ارتفعت بدلاً من ان تهبط الى سطح الارض ، وقد جرى الدماء لدى الكلام في الغازات على المقابلة بين مقدار من الغاز بمقدار مثله من الهواء . وكل غاز اخف الهواء تكون كثافته اقل من ١ لان هذا الرقم هو الممثل لكثافة الهواء . فالاسيتلين والامونيا واكسيد الكربون الاول والنيون والنيتروجين والهليوم اخف من الهواء . اما الثلاثة الاولى فركبات . واما الثلاثة الاخيرة فعناصر . وتبلغ كثافة عنصر الهليوم ١٣٨٠٠ فهي اقل من سبع كثافة الهواء . ومع ان الهليوم خفيف جداً لا يمكننا بحال من الاحوال ان نحسبه اخف المواد على سطح الارض . ذلك اننا اذا اخذنا لتراً من الايدروجين ووزناه واخذنا لتراً من الهليوم ووزناه وجدنا ان وزن الايدروجين نحو نصف وزن الهليوم . فيصح ان نحسب الايدروجين اخف المواد التي نتناولها . ولكن لا يصح ان نقول انه اخف المواد على سطح الارض لان المشتغلين بالاشعة المولدة للكهرباء في فراغ الانابيب العامية يتناولون تيارات من الكهرباء ، وهذه التيارات لا بد ان تكون اخف من الايدروجين لان كل الكترون ليس الا جزءاً من ذرة الايدروجين

وقد طبق ما عرف عن اخف العناصر تطبيقاً عملياً في شؤون الملاحة الجوية . فتملا بالونات — مثل البالون غراف تسبلين — بالايدروجين تارة وبالهليوم اخرى . وقوة الايدروجين على رفع الاجسام عن سطح الارض غريبة . فالانسان لا يستطيع ان يرفع نفسه اكثر من ست اقدام ونصف قدم في الهواء . وهو الرقم القياسي في القفز العالي . ومع ذلك لا بد له من قوة عضلية ومرونة وخفة لبوغه . والذين بلغوه قلائل . اما الايدروجين فيرفع جسماً ثقيلاً عن الارض . فاذا ملأت بلوناً بما وزنه رطل من الايدروجين رفع ثقلاً وزنه ١٤ رطلاً . ولكنه شديد الالتهاب ، لذلك يمنع التدخين في البالون غراف تسبلين في اثناء الطيران وعلى مقربة منه في حظيرته . ومرد طائفة كبيرة من الكوارث التي اصاب بالونات الى شدة التهاب الايدروجين . اما الهليوم فانقل وزناً من الايدروجين ولكنه لا يلهب . وقد كانت اكبر مصادره — حتى عهد قريب — في الولايات المتحدة الاميركية فاستعملته حكومتها في ملء بالوناتها الحربية ومنعت اصداره من بلادها

ما اقصى المواد

لا بد من تعريف « القساوة » ثم البحث عن اسلوب لقياسها ، قبل البحث عن المواد المتصفة بها . فاذا قال احد المهندسين ان هذا الفلز أو ذاك قاس فقد يفسر قوله بـ « ان كثرة » . فاذا قال ان كرات العجلات في هذه الماكينة مصنوعة من فلز صلب عني انها

وهي مزيتة لا تتآكل بسرعة في اثناء دوران العجلة وفرك السطوح المعدنية الملامسة لها ، واذا اشار الى الصلب الذي تصنع منه الخطوط الحديدية بأنه صلب قاسٍ قصد انه لا يتآكل بسرعة من سير العجلات عليه من دون تزييته . واذا تكلم عن قساوة الفلزات في آلة معدة لتجليم الحجارة عنى مقاومتها « للهرش » في اثناء هذا العمل . فاذا وصّف بالقساوة فلزاً معدداً للقطع عنى بذلك مقدار ما يلقاه الصانع من الصعوبة في قطعه . وكل واحدة من هذه الصفات تختلف عن الاخرى وكلها تعرف باسم عام هو القساوة (Hardness)

فاختيار وسيلة لقياس قساوة المواد للموازنة بينها يكاد يكون متعذراً . ولكن المهندسين جروا على تعريف القساوة بمقدار ما تحدثه آلة مقساة تقسية خاصة في مادة ما اذا ضغطت عليها ضغطاً معيناً . وطريقة « برينل » تستعمل كرة من الصلب قطرها عشرة مليمترات . فتوضع تحتها المادة التي يراد قياس قساوتها وتضغط هذه الكرة عليها ضغطاً معيناً ثم ينظر في ما أحدثته الكرة في المادة من أثر . وقد يستعمل بدل الكرة مخروط صغير من الصلب او مطرقة ذات وزن معين تهبط من علو معين ثم يقاس مقدار ارتدادها . وغير ذلك . وهذه الوسائل كلها تمكن الباحثين من الموازنة بين قساوة المواد المختلفة بالمعنى الخاص بها دون غيره . لانه قد تكون المادة قاسية جداً ولكنها قابلة للانكسار فاذا ضغط عليها المخروط الفولاذي او سقطت عليها المطرقة تشعنت او تحطمت

اما المعدّن فتهمة الموازنة بين قساوة المعادن (Minerals) ولذلك يستعمل سكيناً او مبرداً مصنوعاً من مادة قاسية فيخدش المعادن بقوة معينة ثم يقيس الخدش وبذلك يوازن بين قساوة المواد المختلفة

واقسى المعادن في الطبيعة هي الماس فالياقوت الازرق فالياقوت الاصفر فالسكوارتز

ولكن ثمة امكان صنع مواد اقصى من الماس . فدرجات الحرارة العالية التي يمكن باوغها في الاتانين الكهربائية مهدت السبيل لصنع مواد قاسية جداً وهي مركبة في الغالب من عناصر الكربون والسليكون والبورون وبعض الفلزات واشهر هذه المواد « الكاربورندم » وهو كاربيد السليكون ويصنع باحماء مزيج من الكربون والسليكون في أثنون كهربائي على درجة عالية من الحرارة . وقساوته تمكاد تساوي قساوة الماس . ويستعمل في الصناعة لصقل الادوات المعدنية والفلزية القاسية . وقد صنعت مركبات السليكون والكربون والبورون من عناصر الالومنيوم والكالسيوم والقناديوم والتيتانيوم والزركونيوم والموليبيدينوم والتنجستن والتنتالوم والكروميوم فجاءت شديدة القساوة . وثمة مركّب « كاربيد البورون » فقد قيل انه يصلح لصقل الماس ، والمرجح ان صنع مادة اقصى من الماس لم يحقق بعد

والماس مشهور على أنه من الحجارة الكريمة . ولكن نصف ما يستخرج منه من المناجم يستعمل في الصناعة في صقل الاجزاء الفلزية في الآلات الدقيقة كالساعات والمقاييس العلمية . ثم ان غبار الماس يستعمل في قطع الحجارة الكريمة وصقلها . واشهر البلدان التي يستخرج الماس منها بلاد جنوب افريقية اذ يستخرج من مناجمها ٩٥ في المائة من الماس المستخرج في العالم . اما اكبر حجارة الماس التي وجدت فهو ماسة كوليانا وكان وزنها لما وجدت ٣١٠٦ قراريط وماسة كوهي نور ووزنها الآن بعد صقلها مائة قيراط

ما اكثر المواد قبولاً للمد

مدّ الحبل ومدّ به مظهره . والمدّ في علم المعادن قابلية الفلز لان يمدّ او يسحب سلكاً طويلاً . ويكاد يلزم هذه الصفة قابلية الفلز للانطراق رقوقاً وهاتان الصفتان تمتاز بهما الفلزات . وفي تعيين ايها اشدّ قبولاً للمدّ والانطراق يجب ان نراعي صفاء الفلز من الشوائب وطريقة تحضيره . فوجود شوائب في الفلز يجعله اشدّ قبولاً للتكسر . ولنا في عنصر التنغستن ابلغ مثل على ذلك ، وهو الفلز الذي تصنع منه اسلاك المصابيح الكهربائية . فلما حاول الباحثون صنع اسلاك المصابيح منه ، وجدوه يتكسر بين ايديهم فلا يستطيعون مدّه اسلاكاً . ولكن لما حضّر تحضيراً صفاً من الشوائب ، وعولج بالنار معالجة خاصة ، اصبح يسهل مدّه اسلاكاً دقيقة كما ترى في المصابيح لذلك يعتقد العلماء ان الفلزات التي تحسب قاسية متكسرة تصبح مرنة قابلة للمدّ والطرق اذا صفت من شوائبها وحضرت التحضير الموافق لها وقد يحدث احياناً ان وجود بعض الشوائب يجعل الفلز اشدّ مرونة منه اذ خلا منها . فالحديد المطروق مثلاً يضرب بين الفلزات في الطراوة والقساوة والمرونة وقابلية المدّ . وذلك لانه يحتوي على مقدار معين من الكربون والفسفور مع ان هذه الشوائب في الحديد تجعله قاسياً وقابلاً للتكسر بوجه عام

ومن المجمع عليه الآن ان الذهب فالفضة فالنحاس اكثر الفلزات قبولاً للمدّ والطرق ويليهما القصدير والپلاتين والرصاص والزنك الحامي

فالذهب ينزل من هذه القائمة في الرّأس ، لانه مدّت منه اسلاك دقيقة لا ترى الا بالمجهر . ويقال ان غراماً من الذهب مدّ سلكاً طوله ٣٠٠٠ متر . فاذا صحت ذلك فاقوية الذهب تمدّ سلكاً طوله خمسون ميلاً . وقد طرق الذهب اوراقاً رقيقة حتى ان ١٥٠٠ ورقة منه لا تزيد كثافتها على كثافة صفحة من المقتطف ، فاذا جمعنا منها ٣٠٠٠٠٠ ورقة لم يزد عاوها عن بوصة

واحدة . واذا اخذنا اوقية من الذهب وطرقناها كما تقدم بلغت مساحتها ١٨٩ ميلاً مربعاً . اما الورق الذهبي المستعمل في التجارة في صناعة التجليد والتذهيب فيحتوي على ٢ في المائة من النحاس و ٢ في المائة من الفضة . والغرض من اضافة هذين العنصرين تحسين اللون وتقوية الورق حتى يستطيع تناوله في الاعمال من دون تفتيته

اما عنصر التنغستن فيباري الذهب في ذلك ولكنه لا يساويه . فقد حضر حديثاً خالياً من كل شائبة وعولج بالنار فامكن مدّه سلكاً قطره خمسة اجزاء من الف جزء من المليمتر او $\frac{1}{3}$ من شخن شعرة الانسان وأنخن قليلاً من ادق اسلاك الذهب . وقد تسفر موالاة البحث في التنغستن عن امكان مدّه اسلاكاً ادق من اسلاك الذهب

ما اعلى درجات الحرارة

ونقصد هنا اعلى درجات الحرارة التي بلغها الانسان بوسائله الصناعية . والطريقة العادية التي يجري عليها الانسان لتوليد درجات الحرارة العالية هي اشعال وقيد جامد مثل الفحم او « الكوك » (وهو الفحم الحجري الذي طار غازه منه) في الهواء . واستعمال هذه الطريقة تمكننا من توليد حرارة تبلغ نحو ٧٠٠ درجة بميزان سنتغراد (مئوية) وهي كافية لصهر القصدير والرصاص والزنك . وقد تولد حرارة تبلغ ١٢٠٠ درجة مئوية اذا استعمل تيار جاف وهي كافية لصهر النيكل والحديد . فاذا اردنا ان نولد حرارة اعلى مما تقدم سحق الوقيد ثم ادخل الى الاتون في تيار من الهواء فيتكوّن من دقائق الوقيد وجزيئات الهواء مزيج يولد لدى احتراقه حرارة درجاتها ١٦٠٠ مئوية وهذا الاتون يستعمل في صنع الاسمنت . فاذا شئنا المزيد ابدلنا الهواء في مزيج الوقيد والهواء بغاز اكسجين فنجنب فعل نتروجين الهواء الذي لا يشتعل وتبلغ الحرارة نحو ٢٠٠٠ درجة مئوية . فاذا استعمل غاز مشتعل مع الاكسجين كالايديروجين مثلاً تولدت حرارة هي اعلى حرارة نستطيع توليدها من وقيد مشتعل . وتبلغ ٢٨٠٠ درجة مئوية . وقد استنبطت حديثاً وسيلة لتجزئ غاز الايديروجين واستعماله مجزئاً في توليد الحرارة فولدت حرارة بلغت ٣٨٠٠ درجة . وهذه الحرارة كافية لصهر أو تبخير كل مادة ارضية معروفة الا الكربون والمادة الصناعية الجديدة وهي كربيد التنتالوم وقد شاع حديثاً استعمال الاتون الكهربائي . ومبدؤه تحويل الطاقة الكهربائية الى حرارة بامرار تيارها في مادة مقاومة له . فاذا لف سلك حول قضيب فلزي وأمر تيار كهربائي في السلك تولدت حرارة تبقى آخذة في الارتفاع حتى تبلغ درجة يلين عندها الفلز . فاذا استعملت اخلاط النيكل والكروم أمكن الحصول على حرارة تبلغ درجة ١٠٠٠ بميزان سنتغراد . واذا

استعمل سلك مصنوع من عنصر المولبدنوم أو التنغستن بلغت ١٦٠٠° . وثمة نوع آخر من الاتاتين الكهربائية مبني على استعمال مبدأ النور القوسي فيمرُّ التيار الكهربائي في انبوب يحتوي على حبيبات من الكربون وهي شديدة المقاومة لمرور التيار فترتفع الحرارة حتى لقد تبلغ درجة ٣٥٠٠ إلى ٣٦٠٠ درجة مئوية وفي هذه الاتاتين تصنع مادة الكربون ندم التي ذكرناها في المواد القاسية. ولكن يؤخذ على هذه الطريقة عجزنا عن السيطرة عليها وتباين درجات الحرارة في احوال متماثلة. وهناك انواع اخرى من الاتاتين الكهربائية نضرب عنها صفحاً وقد حاول بعض العلماء من عهد قريب ان يجمعوا حرارة الشمس في نقطة معينة باستعمال عدسات ومرايا مختلفة وقد بلغت اعلى درجات الحرارة التي بلغوها بهذه الطريقة ٣٠٠٠ درجة مئوية. وقد يسفر البحث في هذه الناحية في بضع السنوات المقبلة عن بلوغ درجات من الحرارة اعلى جداً مما بلغناه حتى الآن

اما قياس الحرارة في درجاتها العالية فمسألة ذات شأن. فنحن قد اعتدنا استعمال الميزان الزئبقي (ميزان الحرارة الذي يستعمله الاطباء في قياس حرارة المرضى او ما هو مبني على مثاله) لما ثبت لنا من صحة الاعتماد عليه. ولكن اذا بلغت الحرارة ٥٠٠ درجة مئوية وجب البحث عن مقياس آخر. وقد عمد الطبيعيون الى الغازات فانهم يعلمون انها تتمدد تمداً معيناً محدوداً بارتفاع حرارتها فبنوا على هذا المبدأ مقاييس غازية لقياس درجات الحرارة. وقد تملأ الانابيب المستعملة لهذا الغرض بالايديروجين او الهليوم او النتروجين او الأرجون ثم يعين ارتفاع الحرارة بمقدار زيادة ضغط الغاز اي بمقدار تمدده. والظاهر انها بسيطة التركيب دقيقة القياس وسهلة التداول

وقد صنعت مقاييس كهربائية ولكنها معقدة التركيب ويحتاج العامل الى براعة خاصة لكي يحسن استعمالها. ومع ذلك فهذه الطرق كلها لا تصلح لقياس اعلى درجات الحرارة. لانه اذا زادت درجة الحرارة عن ١٧٧٤ درجة مئوية — وهي درجة انصهار البلاتين — اصبحت كل هذه المقاييس المبنية من مواد اقل صلابة من البلاتين، لا تصلح لانها تلين وقد تصهر قبل بلوغ هذه الدرجة

لذلك بنوا مقاييس تعرف « بالمقاييس الضوئية » ولا نستطيع ان نتبسط في وصفها هنا انما المبدأ الذي تقوم عليه هو انه كلما ارتفعت الحرارة تغير لون الاشعة المنبعثة منها، أي تغير طول امواجها. فاذا تبين لنا اللون او قسنا طول الاشعة استطعنا تقدير درجة الحرارة التي انبعثت منها هذه الاشعة. على ان اعلى درجات الحرارة التي بلغها الانسان باستعمال اصناف الوقيد المختلفة وبناء الاتاتين الكهربائية، ليست شيئاً يذكر ازاء حرارة الشمس اذ يقدر علماء الفلك الطبيعي (Astrophysics) حرارتها بـ ٤٠٠٠٠٠٠٠ درجة مئوية !

ما أدنى درجات البرد

ان توليد درجات البرد الشديد يقوم على ازالة حرارة الاجسام بوسائل مختلفة . وأشهر هذه الوسائل هي المستعملة في صنع (الجلاته او الدندرمه) اذ يؤخذ المزيج الذي يراد تجميده ويوضع في وعاء من الالومنيوم مثلاً يحيط به وعاء خشبي آخر اكبر منه وبين جداري الوعائين يوضع مزيج من الجمد (الجليد) والملح . والجمد في ذوبانه يمتص كثيراً من الحرارة . ولما كان المعدن اكثر ايصالاً للحرارة من الخشب ، فالجليد يمتص من المزيج في الوعاء المعدني اكثر مما يمتصه من الهواء خارج الوعاء الخشبي . ويمكن الهبوط بالحرارة ، بهذه الطريقة ، الى ٢٠ أو ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر . فاذا استعمل ثاني اكسيد الكربون الثاني المتجمد بدلاً من جمد الماء بلغت البرودة ٥٠ تحت الصفر ، واذا صب سائل طيار على جمد اكسيد الكربون الثاني هبطت الحرارة الى ٧٧ تحت الصفر

ثم هناك طريقة اخرى لتوليد برد اقوى من البرد المولد بالطريقة المذكورة سابقاً . ذلك ان بعض الغازات يؤخذ ويضغط ضغطاً شديداً ، ثم يبرّد الغاز المضغوط باحدى الطرق المذكورة آنفاً ، ثم يرفع الضغط فجأة ، فتمدّد الغازات وفي تمددها تمتص حرارة . فاذا احيطت الانابيب التي يتمدد الغاز فيها فجأة بسائل ما امتصّ الغاز الحرارة من السائل فتهبط حرارة السائل هبوطاً عظيماً وهي الطريقة المستعملة لصنع الثلج الصناعي — وهو في الواقع ليس ثلجاً وانما هو جمد او جليد

فاذا رتبت الانابيب التي يضغط فيها الغاز بشكل دوائر متركزة ، وفتح اولاً صمام دقيق ليخرج منه مقدار ضئيل من الغاز لكي يتمدد ، ثم قفل الصمام ، تمدّد ذلك الغاز وفي اثناء تمدده يمتص الحرارة من باقي الغاز الذي لم يتمدد . ثم يفتح الصمام ثانية ويخرج مقدار آخر فيتمدد ويمتص الحرارة في اثناء تمدده من الغاز الباقي ، وهكذا رويداً رويداً الى ان يبقى مقدار قليل من الغاز وقد هبطت حرارته حتى اصبح سائلاً . وهكذا تسيل الغازات . ومختلف الغازات تسيل على درجات مختلفة من البرودة . فالاكسجين السائل اذا بلغت حرارته ١٨٢ر٥ تحت الصفر تحول غازاً والنيتروجين السائل اذا بلغت حرارته ١٩٥ر٨ تحت الصفر تحول غازاً والايدروجين السائل اذا بلغ ٢٥٢ر٧ تحت الصفر تحول غازاً — وهو ما يعرف بدرجة الغليان لسائل الغاز . فاذا غلت هذه السوائل تحت ضغط عظيم زاد بردها وقد تتحول الى جوامد . فدرجة غليان الهليوم السائل ٢٦٨ر٩ تحت الصفر ودرجة ذوبان الهليوم الجامد ٢٧٢ر٢ تحت الصفر . وهي ادنى درجات البرد التي بلغ اليها العلماء

ولاظهار العلاقة بين الذرة والبلاجا حاول علماء ايطاليا اقامة الدليل على ان البلاجا هي حالة تسمم بطيء ناتجة من اكل الذرة الفاسدة وذلك لان حبوب الذرة عرضة للفساد ولنمو بعض الفطريات عليها خصوصا اذا لم يعتن بتجفيف الحبوب بعد ضمها او اذا ضمت قبل تمام نضجها. وان هذه الفطريات تفرز سموماً اذا اكلت مع الذرة أصيب آكلها بالبلاجا — الا ان هذه النظرية التي وجدت كثيراً من المعضدين اهملت لضعف الادلة التي قدمت للبرهان على صحتها واستبدلت بنظرية أخرى تدور حول الذرة ايضاً. وهذه النظرية الاخرى تقول بان البلاجا مرض ينشأ من الاعتماد على الذرة في الغذاء لان زلاليات الذرة من نوع رديء من الوجهة الغذائية — وهنا يحسن بي ان اوجه نظركم الى بعض حقائق اثبتها علم التغذية منها ان الانسان يحتاج يومياً الى مقدار من المواد الزلالية يتأثر مقدارها بعوامل كثيرة منها السن والنوع والوظيفة ومصدر المادة الزلالية ذاته — وان المواد الزلالية موجودة في لحوم الحيوانات والحااصلات الحيوانية كاللبن والبيض وتوجد ايضاً في النباتات من خضروات وفواكه وحبوب خصوصاً في بزور الفصيلة البقلية ففي العدس والحلبة مثلاً حوالي ٢٥ في المائة زلاليات اما اللحم الاحمر ففيه ٢٠ في المائة فقط وان الزلاليات الحيوانية اكفاً من الوجهة الغذائية اي من وجهة قدرتها على تقديم المركبات اللازمة للاصلاح والبناء من الزلاليات النباتية. ولاضرب لذلك مثلاً : اذا اعطينا فريقين من الحيوانات غذاءين متشابهين الا في نوع الزلاليات التي بها كأن يحتوي غذاء الفريق الاول على عشرين في المائة من زلاليات مستخرجة من اللبن ويعطى الفريق الآخر مقداراً مساوياً لها من مواد زلالية مستخرجة من القمح فان الفريق الاول ينمو ويتوالد بشكل طبيعي اما الفريق الآخر فيكون نموه وتوالده ضعيفاً ضعفاً يبيناً

ولكن النمو والتوالد يتحسن في الفريق الثاني اذا اضيفت الى زلاليات القمح زلاليات اخرى من اصل نباتي آخر ومعنى ذلك انه بينما تنمو الحيوانات وتتوالد جيداً اذا اعطيت غذاءً فيه زلاليات من اصل حيواني واحد كاللحم أو البيض أو اللبن فانها لا تنمو ما يقرب من هذا النمو اذا اغتذت بزلاليات نباتية الا اذا زيدت الزلاليات النباتية في الغذاء وتعددت مصادرها وحسن اختيارها ومسألة تعدد المصادر فيما يختص بالمواد الزلالية النباتية مسألة خطيرة جداً من الوجهة الغذائية لان مقدار الزلاليات في الغذاء مسألة ثانوية ازاء نوعها وقد عرفنا السبب. والواقع انه اذا أردنا أن نعيش على غذاء نباتي محض وجب علينا أن نعدد أصنافه والا تقتصر على ألوان قليلة لنضمن حصولنا على كفايتنا الغذائية من الزلاليات. ويحسن بنا دائماً اتباع هذه السياسة أي سياسة تعدد أصناف الغذاء في كل حال لان الزلاليات ليست بالمادة الغذائية الوحيدة المعرضة للنقص بل هناك مواد اخرى كالفيتامين مثلاً وخطر نقصها في الغذاء شديد لان الحرمان منها مدة طويلة يحدث امراضاً خطيرة

نستطيع الآن ان نفهم كيف نشأت النظرية الثانية التي تربط البلاجرا بتناول غذاء عماده الذرة كما هو حاصل في البلاد التي تزرع الذرة بكثرة — فقد بينا ان زلاليات القمح اقل كفاءة من الوجبة الغذائية من زلاليات اللبن — ونحن اذا قابلنا بين القمح والذرة من الوجبة الغذائية بنفس الطريقة وجدنا ان نمو الحيوانات اذا تغذت بالذرة يقل عن نموها اذا تغذت بالقمح الا ان الفرق في النمو في هذه الحالة قليل. ولقد اظهرت الابحاث بان احد زلاليات الذرة وهو يوازي خمسين في المائة من مجموع زلاليات ينقصه عاملان مهمان من الوجبة الغذائية ولقد استعمل هذا الاكتشاف لتعزيز النظرية الثانية رغم ان زلاليات الذرة الباقية تعوض هذا النقص الى حد كبير شك الكثيرون في صحة هذه النظرية لاستحالة تطبيقها على جميع الحالات فقد شوهدت حالات بلاجرا في بلاد لا تعرف الذرة ولا تدخله في طعامها قط كما ان البلاجرا قد تصيب اشخاصاً يحتوي غذاؤهم على زلاليات من اصل حيواني اي من نوع جيد غذائياً ومع ان هذه الاعتراضات كانت سبباً في تعديل النظرية تعديلاً لم يؤثر كثيراً في أساسها الا ان النظرية بعد التعديل لم تعد تعتبر الذرة العامل الوحيد في احداث البلاجرا وسلم القائلون بها بامكان حدوث البلاجرا بعد تناول غذاء ليس للذرة اثر فيه ولكنهم قالوا ان القيمة الغذائية لزلاليات هذه الاغذية الخالية من الذرة اذا قدرت وجدت تقل عن رقم مخصوص اصطلاحوا عليه لقد اطلت عليكم ولكن كان لا بد لي من هذه المقدمة الطويلة لكي نتمشى معاً في بحث الموضوع الاساسي الذي اخترته لهذه الليلة

يظهر لنا لاول وهلة أن هذه النظرية تفسر حدوث البلاجرا بالقطر المصري لان طائفة كبيرة من فلاحي القطر وهم حوالى اربعة اخماس السكان يصنعون خبزهم من الذرة الشامية او الذرة الرفيعة وان حالتهم الاقتصادية لا تسمح لهم بتنويع طعامهم ولا باختياره من اصناف مشهورة بجودة زلالياتها. واذا علمنا أن متوسط دخل الفلاح في السنة لا يزيد عن خمسة عشر جنيهاً يصرف منها على غذائه وملبسه وباقي مطالبه استطعنا أن نفهم لم يبيع الفلاح بيض دجاجة ولبن ماشيته بدل ان يأكلها هو واهله. وإذا استثنينا الاحوال النادرة التي يوسع فيها الفلاح على نفسه بشراء قليل من اللحم وجدنا انه يعيش على النباتات ولا يختار الا الرخيص منها. من هذا نرى اذاً ان احوال الفلاح الغذائية وتعرضه للاصابة بالبلاجرا تعزز هذه النظرية. ولكن يخيّل اليّ ان هذا التعزيز ظاهري فقط فالقيمة الغذائية في خبز الفلاح باعتباره عماد غذائه يجب ان تحملنا على الريب في صحة هذه النظرية إذا أمكننا أن نثبت بانها تفوق القيمة الغذائية لخبز المدن المصنوع من القمح

ان تفضيل دقيق القمح في صنع الخبز لم ينشأ عن امتيازه على غيره من الحبوب المستعملة في عمل الخبز لان بعض الحبوب كالشوفان مثلاً المستعملة الى وقتنا هذا لصنع الخبز في المانيا

وبلاد بحر البلطيق تمتاز عن القمح من الوجهة الغذائية ألا أنها لم تنتشر انتشار القمح في أنحاء العالم كاساس لصنع الخبز الجيد اقصد خبزاً جيداً من وجهة الصناعة فقط

ولكن هذا التفضيل ناشئ عن احتواء دقيق القمح على مواد زلالية اذا مزجت بالماء اعطتنا عجينة شديدة اللزوجة تشبه المطاط وهذه الخاصية هي أساس الصفات الخاصة برغيف القمح والتي تظهر لنا بوضوح في الرغيف الافرنكي — وهي القوام الاسفنجي والوزن الخفيف بالنسبة لحجمه وهي صفات لا تتوافر في رغيف مصنوع من دقيق آخر — يضاف الى ذلك امكان الحصول من القمح على رغيف يمتاز بشدة بياضه — لا شك في ان القوام الاسفنجي يجعل الرغيف اسهل هضماً وبياضه يحبه الى الجمهور ولكن هل يدري الجمهور اي من يدفع للحصول على هذه النتيجة هل يعلم ان العمليات الكثيرة التي يمر فيها القمح ليعطينا اجود الارغفة شكلاً تزيل من دقيقه كثيراً من مواده الغذائية من زلايات وفيتامين وزيت واملاح ولكني اؤكد لكم بناءً على تجارب اجراها باحثون مختلفون في ممالك متعددة أن انتي الارغفة وانصعها بياضاً اقلها قيمة من الوجهة الغذائية ومعنى ذلك ان الرغيف العادي أجود من الوجهة الغذائية من الرغيف الخاص وان الرغيف المصنوع من الحبة كلها اجود من الاثنين ولذا نرى الجيش المصري يتبع في تجهيز خبزه الطريقة الاخيرة اي أن القمح يطحن ويؤخذ الدقيق كما هو لعمل الخبز واني وان اعترفت بان منظر رغيف الجيش لا يسر كثيراً إلا أنه في الواقع يفضل من الوجهة الغذائية ما سواه

توافقون حضراتكم على أنه في سبيل الحصول على رغيف لطيف شكلاً وقواماً نعرض القمح لعمليات تقلل من قيمته الغذائية أو بمعنى آخر تقرب قيمته الغذائية الى الذرة والفرق بينهما كما قدمنا قليل في الاصل ولكن هل يتعرض الذرة لمثل هذه العمليات — لا — أنه لا يتعرض لذلك لسببين رئيسيين . أولاً أن أغلب أنواع الذرة المستعملة في عمل الخبز بيضاء من الاصل فضلاً عن أن آكلي خبز الذرة لا يعملون مادة للحصول على رغيف ابيض . ثانياً أنه من الصعب عملياً الحصول على رغيف ابيض من الذرة لان الذرة لا تعطينا دقيقاً له نعومة دقيق القمح ومن هذا نرى أن قيمة الذرة الغذائية لا تتعرض للنقص في اثناء تجهيز الحبة لعمل الخبز وعلاوة على ذلك وهو بيت القصيد ان الفلاحين في مصر يضيفون الى الذرة قليلاً من الحلبة فخبزهم اقلية مكوّن من مزيج من ذرة وحلبة ومن النادر ان نرى خبزاً مصنوعاً من الذرة فقط . وازدادة الحلبة الى الذرة في صنع الخبز هي ضرورة عملية لان زلايات الذرة لا تعطينا اذا مزجت بالماء عجينة لزجة كما هو الحاصل في القمح وهذا النقص هو السبب في استحالة الحصول من الذرة على رغيف اسفنجي خفيف فعجينة الذرة الخالصة ليست متماسكة واذا اريد عمل ارغفة منها تعذر ذلك الا اذا كانت في شكل كتل تخرج من الفرن صماء ثقيلة

قد تؤكل بسهولة وهي طازجة اما اذا تركت مدة تعذر مضغها وازدادها فاضافة الحلبة هي لجرد الحصول على عجينة لزجة لان الحلبة تحتوي على مادة شديدة اللزوجة وهي لشدة لزوجتها استعملها صانعوا الاحذية في اثناء الحرب العظمى في لصق الطبقات الداخلية لنعل الحذاء وذلك لانقطاع المادة المستعملة عادة لهذا الغرض وقد تستعمل البامية الناشفة في صنع خبز الذرة بدل الحلبة وهي طريقة يلجأ اليها الفقراء اذا تعذر عليهم الحصول على الحلبة هنا ميزة اخرى لخبز الذرة والحلبة اذ بينما زلاليات خبز القمح ترجع كلها الى اصل واحد هو القمح فزلاليات خبز الذرة والحلبة من اصلين وهذا كما قدمت عامل مهم من الوجهة الغذائية . قد يقول البعض ان مقدار الحلبة الذي تضاف الى الذرة لا يتعدى نسبة قليلة هي حوالي اربعة في المائة وهي لذلك لا تؤثر تأثيراً محسوساً في قيمة الخبز غذائياً ولكن لنذكر اولاً بأن الحلبة غنية بموادها الزلالية اذ فيها ما يقرب من ٢٥ في المائة منها وان هذا المقدار القليل يعطينا فعلاً رغيفاً يفوق من الوجهة الغذائية رغيف القمح

ولقد تيسر لي اثبات ذلك عملياً بواسطة تجارب غذائية — اشرت اليها في مقالي السابق بالمؤتمر الاول لهذا المجمع — اجريت هذه التجارب على حيوانات لمدة ستة اشهر ومنها ظهر أن نمو الحيوانات وتوالدها اذا اغتذت بالذرة مضافاً اليها الحلبة كان احسن منه اذا اغتذت بالقمح وظهر أن النمو يكون ممتازاً حتى ولو انزلت نسبة الحلبة الى اثنين في المائة فقط

خرجت من هذه التجارب بنتيجتي الاولى وهي ان الرغيف المصنوع من الذرة والحلبة اجود من الناحية الغذائية من رغيف القمح. والثانية هي اني بدأت اشك في وجود علاقة بين المواد الزلالية التي في الغذاء وبين البلاجرا . والواقع انه ظهرت في اميركا من عهد قريب ابحاث تشير الى ان البلاجرا نتيجة لنقص فيتامين خاص في الغذاء اطلق عليه اسم الفيتامين الواقي ضد البلاجرا اريد في النهاية ان اعرض على حضراتكم اقتراحاً تشجعني الازمة الحالية على تقديمه. انتم تعلمون بأن الذرة رخيصة الثمن اذا قيس بالقمح اذ بينما سعر اردب الذرة اليوم حوالي ٦٥ قرشاً فسعر القمح ١٤٠ قرشاً ففكروا فيما يمكن توفيره اذا صنعنا خبزاً مركباً من :

٥٠٪ ذرة ٤٧٪ قمح ٣٪ حلبة

يكون الوفرة اعتماداً على هذه الاسعار حوالي ٢٥٪ اما مميزات هذا الخبز فهي :

(١) قيمته الغذائية احسن من قيمة خبز القمح (٢) وثمنه ارخص من ثمن خبز القمح وخبز الذرة فائدة في تنظيم الامعاء فأنتم على ما اظن تعلمون بأن الذرة مُلَسِّن الى حد ما وذلك لانها تترك في الامعاء فضلات كثيرة تنبها للعمل وعليه تكون مصلحة المصابين بالامساك المزمن في استعمال مثل هذا الخبز. تضاف الى ذلك ميزة اخرى وهي انها سهلة المضغ ويظهر ذلك على الخصوص اذا اكل الرغيف بعد خبزه بيوم على الاقل

عيد ميلاد

في الجحيم .

لمستاد عباس محمود العقاد

دخل شقي الجحيم ففسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم ،
ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده ، وقال لآثابه وأنداده :

صُفِّتُوا الموائد واملأوا الأكوأا وادعوا الصحاب، وبشروا الأحبابا
قولوا مضى عام ليوم هبوطه هذا الجحيم ، فقرّ فيه وطابا
وبلا المقام فراح يحمد شرّ ما فيه ، وآدب^(١) باسمه ايدابا
هذا الجحيم أحبّ لي من عالم ما كان لي إلا رجاء خابا
الشرّ ثمة كان شرّاً كاسمه والخير كان كما عامت سرايا
يشقى بنوه ليعمروه ، ويحشموا فيه الشقاء ليرجموه خرابا
لا يعرفون الحق ان سمعوا به إلا ليلقوا في الحقوق عذابا
أهون بصاب في الجحيم اذوقه قد كان ثمة كل شيء صابا
قد كنت اشربه بعيني تارة وفي المرير ، وساء ذاك شرابا
ولربّ وجه يومذاك شهدته فكان سماً في العيون انسابا
وجه اللئيم اذا استهلّ ومثله وجه الكريم اذا اضمحلّ وذابا
ورضى الظلوم وحيرة المظلوم في بلواه يطرق كل يوم بابا

يا صاحب حيوا النار في ويلاتها واحشوا على ذاك التراب ترابا
ما كان من حسن هناك فجهد ان يخذع الابصار والألبابا
او كان من فضل فتلك حباله للبؤس تضني البائسين طلابا
يا صاحب هاتوا من علاقتها لنا وادعوا الأحبة ، واشربوا الأنخابا
من عاش عاماً في الجحيم فلا اشتهى ابداً الى ذاك الجوار مآبا

دراسة علماء الغرب

لمذهب الصوفية

محاضرة الاستاذ المستر ابري مدرس التصوف بجامعة كبريج بانسكترا وتلميذ الاستاذ
نكولسن المستشرق المعروف واستاذ اللغة العربية بجامعة كبريج القاها بنادي
الشبان المسلمين بالقاهرة بدعوة من جماعة النشر والترجمة وعربها السيد
محمد الغنيمي التفتازاني شيخ السادة الغنيمية الصوفية بمصر

امتاز القرن التاسع عشر في الغرب بالتطور السريع الذي ظهر في الأخذ بطرق التحليل
العلمي . وازدياد علم الناس ازدياداً هاماً بالظواهر الطبيعية يضاف الى هذا ما بدا من ضعف
في الاعتقاد بالمذاهب والعقائد الدينية القويمة . تلك العقائد التي ظلت موضع التقدير والاحترام
على مرّ الأزمان وكرّ الأعوام . ولما أثبت لنا علم طبقات الأرض ما لم نكن نتصوره أو نحلم
به عن كرتنا الأرضية وما عمرته من دهور وأحقاب . وكشف لنا علم الفلك عن ذلك الفضاء
اللانهاي . وذلك الزمن الذي حار في حسبانهِ الانسان . والذي لا يعد ما سجله التاريخ منه الاً
بمقدار لحظة أو كلمح البصر . لما أثبت العلم كل هذا . هوى نجم الدين . وضعفت العقائد .
وكاد يطغى على العالم سيل المادية الجارف . فيكتسح في سبيله جميع الآراء الفلسفية والدينية —
غير أنه في بداءة القرن الحاضر أخذت هذه الحركة الفكرية في التراجع . وبدأ يحل محلها الايمان
بالله . والاعتقاد بان هذا الكون لم يخلق عبثاً . وفي الوقت نفسه ظهرت هناك بوادر تدل على
الرغبة في البحث وراء الحقيقة في الديانات الاخرى . واشتدت هذه الرغبة حتى فاقت نظيرتها
في الغرب وبوجه خاص فيما يتعاق بالناحية الصوفية من هذه الديانات . فانها استرعت اهتمام فريق
من الناس طفقوا يبحثون في حياة وسير عظماء الدينين من رجال ونساء . ليستخلصوا من
حياتهم وسيرهم الدليل المباشر على صحة ما اتبع هؤلاء الناس من ملل وارتضوه من عقائد .
هم أدري بها وأعلم . هذا إلى أن وقعت الحرب العظمى فجاءت دافعاً جديداً للبحث عن الحقيقة .
إذ كانت تلك الوحشية . والمأساة الصاعدة التي تمثلت في هذه المجزرة البشرية أشد ما تكون باعثاً على
أن يتطلب الناس الخلاص والاطمئنان بالالتجاء الى قوة روحية تفوق قوى البشر وتسيطر عليها
ولم تعالج دراسة الصوفية بالحماسة العظيمة أو الدقة في البحث بمثل ما عولجت به في أيامنا
هذه . على أن الاحوال الحاضرة هي خير فرصة ملائمة لتقدم هذه الدراسة والسير بها إلى
الأمم — وليس الغرض من هذه العجالة الاً وضع ملخص وجيز للعمل الذي قام به حتى الآن
جماعة العلماء الاوربيين . وبيان خطتهم التي اتبعوها في تناولهم لمذهب الصوفية

وأول رسالة هامة ظهرت في أوربا عن الصوفية هي رسالة (نولك) التي نشرت باللاتينية سنة ١٨٢١ — ويعتبر هذا الكتاب الآن أثراً قديماً . غير أنه لا يزال موضع اللذة لقارئة . وفي سنة ١٨٦٧ — نشر (ادوار بلمار) استاذ اللغة العربية بجامعة كبردج وأحد مترجمي القرآن الى اللغة الانكليزية كتابه الصغير الذي سماه (الصوفية الشرقية) . وقد كتب فون كرامر عن الصوفية كتابة مختصرة في مؤلفه (Die Von Islam) وكذلك (جولزهر) في كتابه القيم (الدراسة المحمدية) ثم ضمن كتابه (Unrenchon Islam) معلوماته الهامة في الموضوع . أما (ف. ج. و. جب) الذي خسر العالم بموته السابق لاوانه أكبر عالم محقق مدقق . فقد رسم لنا في سفره الجليل (تاريخ الشعر العثماني) حدود الصوفية . ووضح لنا معالمها التي تنير السبيل . كما اشار الى الصوفية في مناحيها المختلفة العلامة (ف. ج. برون) في كتابه القيم (تاريخ الادب الفارسي) . كذلك كتب عن الصوفية العلامة (د. ب. مكدونالد) و (ي. س. مارجليوث) الاول في كتابه (نمو الدين الاسلامي) والثاني في (الاسلام في بدء ظهوره) — ومن ثم بقي على الاستاذ (نكلسون) ان يأخذ على عاتقه بعد ذلك التوفر على الصوفية وجعلها الموضوع الاساسي لبحوثه

ولد الاستاذ (نكلسون) الذي يشغل الآن كرسي اللغة العربية بجامعة كبردج في سنة ١٨٦٨ . وقد عكف وهو يجاور في كبردج على دراسة المؤلفات الاغريقية واللاتينية الشهيرة فتفوق فيها . وكان لهذه الثقافة العالية اثرها الذي لا يقدر . فلما وجه عنايته الى دراسة اللغة العربية والفارسية تمكن منهما كل التمكن . ففي سنة ١٨٩٨ وضع مؤلفه الاول (مختارات نظميه من ديوان الشمس التبريزي) وفي مقدمة هذا الكتاب اثار بحثاً في منشأ الصوفية . وهو موضوع لم تحل عقده الى الآن . وقد دحض نظريتين . احدهما ما يمكن ان يعبر عنها بالنظرية الايرانية . لانها تعتبر فارس في جاهليتها (اي قبل ظهور الاسلام) هي المهد الروحي للصوفية ومبعث وحيها . والنظرية الثانية تعزو مثل هذا الى الديانات الهندية — اما الاستاذ (نكلسون) فانه وجد في الفلسفة الاغريقية ما يبعثه على الاعتقاد بأنها مصدر كثير من الآراء الصوفية . وقد عمل على نشر هذه النظرية بعد ذلك (ونزوك) و (اندريا) الاول في ترجمته كتاب اليمامة تأليف (بارهبريوس) والثاني في رسالته الجميلة (الشخصية المحمدية) ومما نشره الاستاذ (نكلسون) عن الصوفية رسالة دقيقة عنوانها « الصوفية في الاسلام » شملت الموضوع برمته وكان لها الحظ الوافر لدى جبهة القراء . ثم كتابه « بحوث في الصوفية الاسلامية » ومحاضرات تتناول نظرية الشخصية في التصوف ومقالات متعددة في دوائر المعارف والصحف . وقد كتب مقالا شائقاً عن الصوفية في « تراث الاسلام » الذي نشر في العام الماضي . ثم هذب او ترجم الكتب العربية والفارسية الآتية . كتاب اللمعة للسراج وكشف المحجوب

للحجوي و ترجمان الاشواق لابن العربي وتذكرة الاوليا للعطار والمثنوي لجلال الدين الرومي وكذلك يعد الاستاذ (لويس ماسينيون) في الغرب حجة في الصوفية . وكانت مباحثه تدور حول سيرة (منصور الحلاج) وشخصيته وآرائه . ويعتبر المؤلف الذي نشره خير مجموعة زادت من علمنا عن الصوفية ومناحيها المختلفة . وقد بلغت مباحثه ذروتها بظهور اهم مؤلفاته وهو كتاب « الحلاج شهيد الصوفية الاسلامية » في سنة ۱۹۲۲ . وكان قد نشر قبل ذلك مؤلفيه « الطواسين » الذي ظهر سنة ۱۹۱۳ و « اربعة الاصول غير المنشورة الخاصة بتاريخ حياة الحلاج » الذي ظهر سنة ۱۹۱۴ . وفي سنة ۱۹۲۲ ايضاً نشر مقالة عن مصادر الكتب الفنية الجامعة للصوفية الاسلامية . وفي هذين الكتابين بحث بحثاً مستفيضاً في تاريخ تطور الصوفية . وخطأ النظريات الاغريقية والارانية والهندية التي اشرنا اليها آنفاً . وأكّد لنا ان اساس الآراء الصوفية وتعاليمها هو القرآن . وفي سنة ۱۹۲۹ نشر (ماسينيون) « مجموعة الاصول الصوفية » وفي العام الماضي مقتطفات من « ديوان الحلاج »

ويحذر بنا ان نذكر المجهود الذي قام به المستشرق الاسباني (آسين بلاسيوس) فقد نشر في العام المنساح نبذته الجميلة عن المذهب الفلسفي لابن العربي . ولما كان في كتابه هذا قد استقصى اثر الآراء الاسلامية في داني . فقد خرج هذا السفر كتاباً قيماً غنياً بمعلوماته . ثم هناك الآتسة (مرغريت سمث) وهي كاتبة دخلت في هذا الميدان حديثاً ويرجى منها كثيراً فكتابها عن رابعة العدوية يعتبر آية العلم والابداع . ثم لما ظهر كتابها المعنون « بحوث في الصوفية الشرقية والغربية » طار صيتها كل مطار

ولا يزال هناك متسع كبير للعمل اذ من المرغوب فيه على الخصوص ان تطبع النصوص الصحيحة لما كتبه جماعة الصوفيين الاوائل امثال (الجنيد) و (الترمذي) و (المحاسي) وعندها فقط تصبح الدراسة العلمية لتاريخ الصوفية في متناول الطالب العادي الذي لا يستطيع الالتجاء الى دور الكتب الاجنبية بسبب قصر وقته او ضيق ذات يده

اما المطبعة المصرية التي قامت حتى الآن بخدمات جليلة للجمهور بما اخرجته من اشهر تصانيف الادب العربي فانها تستطيع ان تأخذ على عاتقها مسألة هذه المؤلفات على انه مما لا نزاع فيه ان التفقه في الدين الاسلامي والتمكن من دراسة القرآن الدراسة الوافية هي خير عدة لكل من اراد ان يتبحر في الصوفية ويلم بأطرافها

والنهضة العلمية التي تخطو الآن في مصر خطواتها السريعة . ستتمخض بلا مرأ عن علماء اكفاء لا تعوزهم الرغبة في متابعة البحث الذي قام به جماعة العلماء الغربيين في الصوفية وهم بلا شك سيذللون كثيراً من الصعاب التي لا تزال بحاجة الى من يكشف عنها النقاب . وفي تضامن المعارف الشرقية مع طرق التحليل العلمي الغربي . ما يكفل الوصول الى ابهر النتائج واثبتها



(١) القراءة المفيدة



قيل ارسل احد الخلفاء يطلبُ احدَ العلماء ليسامره . فلما جاءهُ الرسول وَجدهُ جالساً وحواليه الكتب يقرأ فيها . فقال له ان أمير المؤمنين يستدعيك . فقال قل له : عندي قوم من الحكماء احادهم . فاذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الخادم الى الخليفة وافضى اليه بذلك قال : ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده . قال والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد . قال فأحضره الساعة كيف كان . فلما حضر العالم قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك فانشد :

لنا جلساء لا نملُ حديثهم البساء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأيا وتأديبا ومجداً وسؤدا
فان قلت اموات فلم تعد امرهم وان قلت احياء فلست منفدا

وقال شيشرون الخطيب الروماني المفوّه : الكتب غذاء الشباب وبهجة الشيخوخة . هي الزينة في ايام الاقبال والرجاء والملجأ في الساعات السود . رفاق لا تملهم في الليل او في اثناء السفر او في الريف . وقال شكسبير على لسان احد ابطاله : هذه مكتبتني واية دوقية تساويها . وقال اولفر غولد سميث : اذا قرأت كتاباً نفيساً للمرة الاولى شعرت انني كسبت صديقاً جديداً . فاذا قرأته ثانية شعرت بانني اقابل صديقاً قديماً . وقال بيتشر الواعظ الاميركي الشهير : ان مكتبة تتعهد بها كل سنة باضافة شيء اليها ناحية نبيلة من حياة كل انسان . ويجب على الانسان ان يقتني كتباً . فالمكتبة الخاصة ليست من كماليات الحياة بل من الضرورات التي لا يستغنى عنها . وقال جون رسكن : الحياة قصيرة وساعاتها الهائلة نادرة فلا تضعها سدى في قراءة كتاب سخيف . اما الكتب النفيسة فيجب ان تكون في كل بلاد متمدينة في متناول كل انسان ولو شئت لمضيت اعدد اقوال العلماء والحكماء والشعراء والفلاسفة في مقام الكتاب من الحضارة بوجه عام ومن الثقافة الفردية بوجه خاص وما في القراءة من النشوة دونها نشوة الراح والفائدة التي لا توزن بالدرهم والدينار

والواقع ان القراءة سياحة العقل بين آثار الفكر الانساني . فهي آنا في رياض من هذه الآثار فواحة العبير — هنا الاشعار الغنائية والقصص التي لا تبلى جذتها السنون . وهي آنا بين اعجاز كائنات الحضارات القديمة نعمة كالكرنك راسخة كالاهرام — هنا الملاحم الشعرية وكتب التاريخ والحكمة والعلم يتامس فيها الانسان اشعة النور من خلال الظلمات المطبقة على الدهن

الانساني . وهي آناً آخر في معترك العزائم والآراء والمطامع والعواطف — هنا سير العظام والعظيما من الناس وما تخلل سطور حياتهم من دموع وآهات وطمع وطموح وحب وانتقام . فانت في كل هذا كأن مواكب الانسانية تمر امامك وقد لبست من النثر والشعر حلة الجمال الاسنى وحب القراءة ثمرة الثقافة الصحيحة بل هي مقياسها الذي لا يخطئ . وقد قال احد الحكماء قل لي ما تقرأ من الكتب أقل لك من أنت

لماذا تقرأ

قد يقرأ الانسان ليوسع نطاق خبرته . فالحياة قصيرة محدودة وفي قرارة النفس نزوع الى التخلص من قيودها وحدودها ، فنعمد الى ميادين الخيال ومروج الفكر ، نجول في جنباتها لنجني منها ادب الداهيين ومعرفتهم وحكمتهم . ثم ان بعض الناس يقرأ مدفوعاً بحب الاستطلاع ، فلا يقرأ له قرار إلا باستكشاف الاسرار واستجلاء الخفايا . ومنهم من يقرأ رواية او قصيدة او رسالة لانه في اثناء قراءتها يسبح عليها لونا من شعوره فيحس أن ثمة صلة بين صور هذه الرواية وصور خياله واعية او غير واعية ، فكانه عائش في عالمها ، وهذه ناحية من نواحي ملكة الابداع او التوليد لان الذي يطالع على هذه الطريقة يحس في الغالب احساساً خاصاً به ، او يصل الى نتائج غير النتائج التي يقصد اليها الكاتب ، فكان القراءة حافز نفسي يحفزه الى الكشف عن الاحاسيس والآراء الكامنة فيه كالجر تحت الرماد وبعضهم يقرأ ليفرت من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، وغيره على الضد من ذلك يقرأ ليرهف احساسه بما يقع حوله ويصقل حكمة في حوادث يومه . وثمة طائفة تقرأ لان الحركة والمغامرة والاقدام والنضال في ما تطالعه تستهويها . تقابها طائفة اخرى تنأى في مطالعتها عن ميادين العمل العنيف ، الى سهول التأمل الهادي الرحين

وقد يؤخذ قارىء ما بسير الرجال . ويفتن آخر بسيرة الحياة خلال العصور من النظفة الاولى الى يومنا هذا . وقد يعنى احدثهم بصور العاطفة ولا يهم غيره الا بارتقاء الفكر . وقد يرى احد القراء ان عصر ما ، ليس الا مسرحاً للرجال والنساء الذين ظهر وافيه وبرزوا وانهم في نظره جل ما يستحق العناية والدرس . ولكن رجلاً آخر قد يرى ان الشخصيات الكبيرة ليست الا طريقة من الطرق التي يفصح بها عصر من العصور عن ذات نفسه . وقد يرغب الواحد في الاسلوب البليغ الجزل ، ويتجاهله آخر لان عنايته موجّهة الى تبين البراعة في تحليل الاشخاص وترتيب الوقائع وسرد الادلة مثلاً

هذه طائفة قليلة من البواعث التي تبعثنا على المطالعة . وهي تختلف باختلاف الناس ، بل هي تختلف في الانسان الواحد باختلاف ساعات النهار والحالة العقلية والنفسية السائدة في ساعة ما . والباعث السائد في ساعة القراءة هو الذي يعين موضوعها واليه يكون مرده الاختيار

الفرض من اقتناء الكتب

والواقع اننا نقتني الكتب لغرض من ثلاثة اغراض بوجه عام . يقتنيها بعض الناس الزينة . فهم يعلمون قيمة العلم ، وان العلماء والحكماء لهم صدر النادي من اقدم العصور إلى يومنا هذا ، وان المؤلفات النفيسة تأتي بعد الكتب المنزلة في اعتبار الناس واحترامهم ، فيرون ان اقتناء الكتب من ادوات الزينة والمباهاة التي يزدان بها البيت ، ويغالي بعضهم في ذلك فيحتم ان تجلّد تجليداً فاخراً لتسبغ هي والستائر الحريرية الكثيفة والصحاف الخرفية القديمة والادوات الفضية الثمينة ، على البيت صفة المحند النبيل والحاضر الكريم . وقد قرأت ان احد اثرياء الاميركيين بنى قصرًا فخماً ، والقصر لا يكون كاملاً في نظره من دون غرفة خاصة بالكتب . فأمر المهندس بتوجيه العناية الخاصة الى تلك الغرفة فلما تمّ بناء القصر ، أخذ الثري يجمع من الكتب النفيسة ما كان أجودها طبعاً وأغلاها ورقاً وأنخرها تجليداً وجاء بيته وأمر برصاف الكتب على الرفوف ، فوجد ان عرض الكتب أكبر من عمق الرفوف فتظهر فيها الكتب بارزة كأنها قذى في العين . فعرض عليه المهندس ان يزيد عمق الرفوف ولو تأخر اعداد هذه الغرفة فابى الثري ، انه يفضل ان تقطع مقدار بوصة من الكتب وتترك الرفوف كما هي . قد تكون هذه ، سمة نادرة « كاريكاتورية » موضوعة لبيان التطرف والمغالاة في اقتناء الكتب للزينة فقط . وان الثري لم يحفل بالكتب وانما حفل بمنظرها وجاودها الفاخرة المذهبة ولكنني أؤكد لكم اني اذا دخلت داراً مهما تكن صغيرة ، ولم اجد فيها كتاباً او مجلة ، تدل على حياة النفس في تلك الدار ، شعرت اني في ارض قفر خال من الخضرة والماء ، فاسأل نفسي كيف يقضي اصحاب هذا البيت ساعة من ساعات الفراغ . ومع ذلك افضل بيتاً خالياً من الكتب على بيت يباهي بها ولا يقرأها . فاصحاب البيت الاول على الاقل يتصفون بالصراحة بان القراءة لا تهمهم واما اصحاب البيت الثاني فيرغبون في المباهاة بصفة لا يتصفون بها ، وهو من عيوب الخلق وية يقتنيها بعضهم اداة للعمل كالمشرط للجراح ، والزاوية للمهندس . ويغلب ان تكون الكتب التي من هذا القبيل كتباً فنية . فالطبيب يحب ان يقتني الكتب الطبية الحديثة والمجلات الطبية السائرة في الفرع الذي انقطع له ، وعليه ان يدمن مطالعتها ليجاري سير الاكتشاف والاستنباط . وهذه المطالعة امانة في عنقه للجماهير الذي يعهد اليه في كشف غمة المرض بالتشخيص الصحيح والعلاج الموفق . فالكتب الطبية اداة من ادوات عمله كالمشرط والجهر . وعلى المحامي ان يقتني كتب القانون والتاريخ وعلم النفس التي يرجع اليها ويستشهد باقوال شرّاحها للوقوف على حكمة السابقين قضاة واساندة ومحامين . ولكن الكتب التي من هذا القبيل لا تخلق الرجل ، وانما هي تمكنه من العمل

ولا بد لكل بيت من ان يضم بين جدرانهِ كتباً من هذا القبيل، ويجب علينا ان نعلم ابناءنا تناولها . ولا بد لكل بيت من ان يحتوي على مصوّر جغرافي ومعجم صغير ودائرة معارف مبسطة وكتب في الاوليات والمبادئ . فاذا كان حديث اليوم يدور حول حرب في البلقان جلس الاولاد الى والدهم فيفتح امامهم المصوّر الجغرافي ويريهن اين تقع الاستانة وبلاد اليونان وبلاد البلغار ومضايق الدردنيل . واذا عرضت للولد القارى في صحيفة لفظة لم يدرك معناها هداه والده ، او هدته والدته ، الى المعجم ليبحث عن معناها فيه ، واذا جاء ذكر رجل من مشهوري رجال السياسة او العلم ، فتفتح دائرة المعارف ، او ما يقابلها للبحث عن عصر الرجل وآثاره . ان مطالعة نصف ساعة بهذه الطريقة ، تعلم الولد ، من الجغرافية او اللغة أو التاريخ اكثر مما يتعلمه خلال ايام في دراسة الكتب المعيشة في المدرسة ، فهو ينفر من هذه لانها تمثل في نظره ما يجب عليه لا ما يتوق اليه ويرغب فيه من تلقاء نفسه .

وقد تفتنى الكتب ، كما تمكن اواصر الصداقة مع الصحاب ورحم الله شوقي حيث قال:
انا من بدّل بالكتب الصحابا لم اجد لي وافيّاً الا الكتابا

اتيسحت لي زيارة احدى كليّات البنات في اميركا سنة ١٩٢٤ وقد خصصت الكلية احد مبانيها داراً للكتب . وفي هذه الدار غرفتان استرعتا نظري الاولى طائلة زينة نظمت في باحتها رفوف الكتب والموائد والكراسي من الخشب الصلب . وفيها طاولات مكبّات على البحث والموازنة والتحقيق ، يحددن فيها دروسهن او امتحاناتهن او رسائلهن . وكل العيون متجهات إلى العمل الخاص الذي يشغل الذهن ، فلا تكاد ترتفع عينان لرؤية الداخل . وثمة غرفة اخرى فيها الطنافس الوثيرة ، ورفوف الكتب قريبة المنال ، وفي الموقد نار مشبوبة . هنا تجلس الفتيات وقد مضت فترة العمل والبحث ، ينصتن الى اصوات تتحدث معهن من خلال العصور في صفحات الكتب الخالدة . الكتب في الغرفة الاولى تستعمل ادوات للعمل . وأما الكتب في الغرفة الثانية فتتخذ اصحاباً ، يرشدون بحكمهم ، ويؤدّبون بآدابهم ، ويحفزون الملكات بعرض حور الانسانية في احوالها المتباينة ، وهي تسير ، أنا تقدم وأنا تتعثر ، في طريقها نحو المثل الاعلى وهنيئاً للبيت الذي لا يخلو من كتب هذه صفتها ! يؤوب الرجل من عمله الجاهد ، أو تخلد السيدة الى راحتها بعد جهد النهار المضني ، فيجلس في كرسي مريح والى يساره مصباح متألق ، فيختار من الكتب ، الصديق الذي يلائم حالته النفسية الخاصة . فقد يختار ديوان المتنبي فيقرأ فيه قصيدة من قصائده الخالدات يرى في خلالها عثير الحرب وبريق الاسنة وصليل السيوف ، ويسمع عبارات الفخر ، أو مجلداً من الاغاني في طبعها الجديدة التي اخرجتها دار الكتب ، فيطالع من نواذر الاقدمين وآدابهم ما يروق النفس ويهيج الخاطر . أو قد يختار قطعة من كارليل ، فيرتد بها على أجنحة الخيال الى عهد الثورة الفرنسية ، أو صفحة

من برستد ينفذ منها الى ايجاد الممالك المصرية القديمة، او رواية لاناتول فرانس فيجد فيها الحكمة النادرة والنقد اللاذع في نثر مشعشع كالخمر المعتقة، او نسخة من كتاب عامي بليغ فيتهرف الى اسرار الاحياء وطبائعها او يرود مع أحد اساطين العلم رحاب الفضاء

كيف تقرأ

النظام هو اساس القراءة المفيدة . والقراءة المفيدة ركنها الاستزادة أو الاستيعاب . فاذا كنت ترمي إلى الاستزادة أي إلى توسيع نطاق معارفك بالاطلاع على مباحث الكتاب والعلماء والفلاسفة وجب أن تجري على الطريقة الآتية : خذ كتاباً يروقك . واقرأه على مهل . وبعد أن تأتي على فصل فيه ، أو على فقرة من فصل ، اطبق كتابك ، وانغمض عينيك ، وحاول أن تلخص في ذهنك ما فهمته من معنى ما قرأت . وإذا كان لك غرض خاص من المطالعة ، فيجب أن تدون ما فهمت . ثم سر في مطالعة الكتاب على هذا النمط . ثم اترك الكتاب سنة أو سنتين أو عشر سنوات — فأعمار الكتب الخالدة لا تقاس بالسنين — واعد الكرة عليه . تجد ان فهمك له قد تحول بتحول نظرك إلى الحياة وتفتح مغاليق ذهنك واتساع نطاق خبرتك . فاذهات ذلك ، فقد أضفت إلى حكمتك حكمة رجل آخر . وأذكر ان حكيماً اميركياً قال انه أخذ أحد مؤلفات كارليل وهو في العشرين فقرأه وخرج منه صفر اليدن فأعاد الكرة عليه وهو في الخامسة والثلاثين ، فبدا له فيه من المعاني ما أسبغ على الكتاب حلة الاعظام . وكان وهو يروي لي هذه الحكاية ، في الخامسة والخمسين من العمر ، يقضي ساعات الفراغ في مطالعة ذلك الكتاب للمرة الثالثة . وقد قرأت بعض النصوص في كتاب امرسن «ممثلو الرجال» عشر مرات على الأقل . وكلما شعرت بتمب، او مرارة او خيبة

اعود اليه فأقرأ رسالته في « منافع الرجال العظام » *Uses of Great Men*

اما القراءة للاستيعاب فسرّها ان عبارة واحدة في فصل لكتاب ، او صورة فردة او رأياً سيق في معرض الكلام، قد يحفزك الى التفكير والتصور، فتصرف النظر عما تقرأ حيناً لكي تسترسل مع صور خيالك او افكارك المتداعية . وفي هذه الحال يصح ان تدون على هامش الكتاب هذه الصور أو الافكار الشاردة ، لان اقتناصها بعدمروورها في تيار الوعي متعذر . واحذر تعود قراءة النُتف . فقد شاعت في هذا العصر ، عصر السرعة، صحف ومجلات تجمع من العلم والادب والتاريخ نتفاً يتسلى بها القراء فيكتفون بها عن قراءة المقالات الوافية والكتب الممتعة التي تقتضي مطالعتها حصر الفكر وكدّ الذهن . اما قارئ النُتف فيتسلى بها مهلة ما يقرأها ثم ينساها في الغالب ، وهو يظن انه وعى العلم والادب والتاريخ باطلاعه عليها

وإذا واظب على ذلك ضعفت ذاكرته وخلطت بين الحقائق خلطاً شائناً

وقد كنت أود أن اتناول موضوع ماذا تقرأ. ولكنني أخشى الإطالة فينالكم السأم، فتوصدون دوني آلاكم اللاقطة وابقى هنا وحدي «أتكلم في الهواء» أو كما يقول المثل العربي «اصرخ في وادٍ» على أن المسألة التي لا استطيع التجاوز عنها هي النقص المعيب في المكتبة العربية وفي استطاعتنا تلافيه. ذلك أن علماء الغرب وكبار كتّابه لا يأنفون من الاشتراك مع أصحاب بيوت النشر في وضع سلاسل من الكتب التي تتناول أصول المعرفة البشرية بأسلوب قريب التناول فتخرجها بيوت النشر في طبعات رخيصة الثمن يسهل على كل راغب اقتناؤها والتمتع بما تحتوي عليه من درر العرفان. وإذا اشرت في بدء كلمتي إلى المصور الجغرافي ودائرة المعارف وما إليها من الكتب التي يجب أن تكون في كل بيت فعلت وفي النفس حسرة لأن بعض ما أريده من هذه الكتب غير متاح لنا الآن بالشكل الذي يغري بالقراءة ويحببها إلى الصغار ولكن الأمر ليس متعذراً. فعندنا في نواحي العلم والأدب والفلسفة رجال يستطيعون أن يضعوا — تأليفاً واقتباساً وترجمة — هذه الكتب على ما يريدونها

ولكن الناشرين ومن يتصل بهم من الكتّاب يشكون عدم الإقبال على ما ينشر من الكتب، اقبالاً يغري الناشر والمؤلف على السواء بالاقدام على التوسع في التأليف والنشر وهي شكوى صحيحة إلى حد بعيد^(١). إذ يندر بين الكتب العربية كتاب يطبع منه ثلاثة آلاف نسخة وتنفذ في سنة أو سنتين أو ثلاث سنوات — استثنى من ذلك الكتب المدرسية فإن الطلاب يتعاونونها للدراسة — ومع ذلك فالأقوام الناطقة باللغة العربية يبلغون سبعين مليوناً وتسري في عروق ابنائهم ثورة تدفعهم إلى طلب العلم والاستزادة من الحكمة، والمدارس تخرج كل سنة الوفاً من الطلاب المطلعين على أصول العلم والتاريخ والأدب. فلماذا لا يقرأون؟ ولست اطلق هذا الحكم عليهم جميعاً فأنني أعرف أن طائفة ممتازة منهم تقرأ وتحسن اختيار الكتب والصحف التي تقرأها. ولكن جلّهم لا يقرأ ما يجب عليه أن يقرأ. والآن لما كنا نشهد هذا الركود في ميدان التأليف والواقع أن المسألة خطيرة كل الخطورة تتصل بالاركان التي يقوم عليها التعليم وهل يؤتي الثمار المطلوبة أو لا يؤتيها

ولا يخفى إن الشيء الثمين الاساسي في العلم والتعليم انما هو الانطباع بروح العلم واسلوبه. وتشرب الطالب حب البحث عن الحقائق والاستزادة منها. وحفز ملكات العقل إلى النشاط الذي يمكن الرجل من تكوين رأي مستقل أو ابداع شيء جديد. وواضح إن الاكتفاء بالكتب الدراسية ليس السبيل القويم المفضي إلى هذه الغاية النبيلة، التي لا مندوحة عنها في كل تعليم سليم وارتقاء صحيح

(١) لا ريب أن الناشرين لم يتوسلوا بكل ما يصح التوسل به لطبع الكتب النفيسة وترويجها وهذا يستحق بحثاً على حدة

واري ان وزارة معارفنا الجليلة تملك علاج هذا الضعف في ناحية من أهم نواحيه وقد انعمت النظر في طريقة هذا العلاج ، فرأيت ان اقترح على وزارتنا الجليلة تعيين لجنة من بعض رجال الوزارة وبعض الادباء والنقاد المعروفين بحصافة الرأي واستقلاله لاختيار اثني عشر كتاباً كل سنة — او أكثر أو اقل — من نفيس المطبوعات العربية الحديثة تفرض مطالعة ستة منها على مدرسي المدارس باشراف الناظر ، والستة الاخرى تفرض مطالعتها على طلبة الفرق المتقدمة في المدارس الثانوية في فرقها باشراف المدرسين

وليس هذا العمل بدعة . فقد جرت جامعات الغرب على تكوين حلقات للطلاب والاساتذة ، تجتمع اجتماعات دورية . وهي من الوسائل الفعالة لاحكام الصلة بين المدرسين وتيارات الفكر الحديث من ناحية ولتثبيت عادة القراءة المفيدة في الموضوعات الخارجة عن نظام الدراسة في نفوس الطلاب . ولنفرض ان الحلقة ستة من المدرسين — او الطلاب — تجتمع مرة في الاسبوع او مرة في الاسبوعين . فيفرض على احد اعضائها ان يقرأ كتاباً معيناً فيقرأه ويلخصه في رسالة يتلوها في الاجتماع المعين له . وفي الاجتماع التالي يعمل مدرس آخر ما فعله زميله ولكن في كتاب آخر . وبعد تلاوة الرسالة يتناقش الحاضرون في موضوعاتها ومعانيها ويتحاورون وهذه الطريقة تحفز ملكات التفكير والنقد العامي المنزه الى النشاط . ثم هي تغنيهم عن وجوب الاتفاق منفردين على بعض الكتب التي يرغبون في مطالعتها ولكن غلاء ثمنها يحول دون اقتنائهم لها . فاذا تمكنت وزارة المعارف الجليلة من وضع نظام مبني على مثل هذه المبادئ فانها تؤدي لنشر الثقافة الصحيحة خدمة جليلة

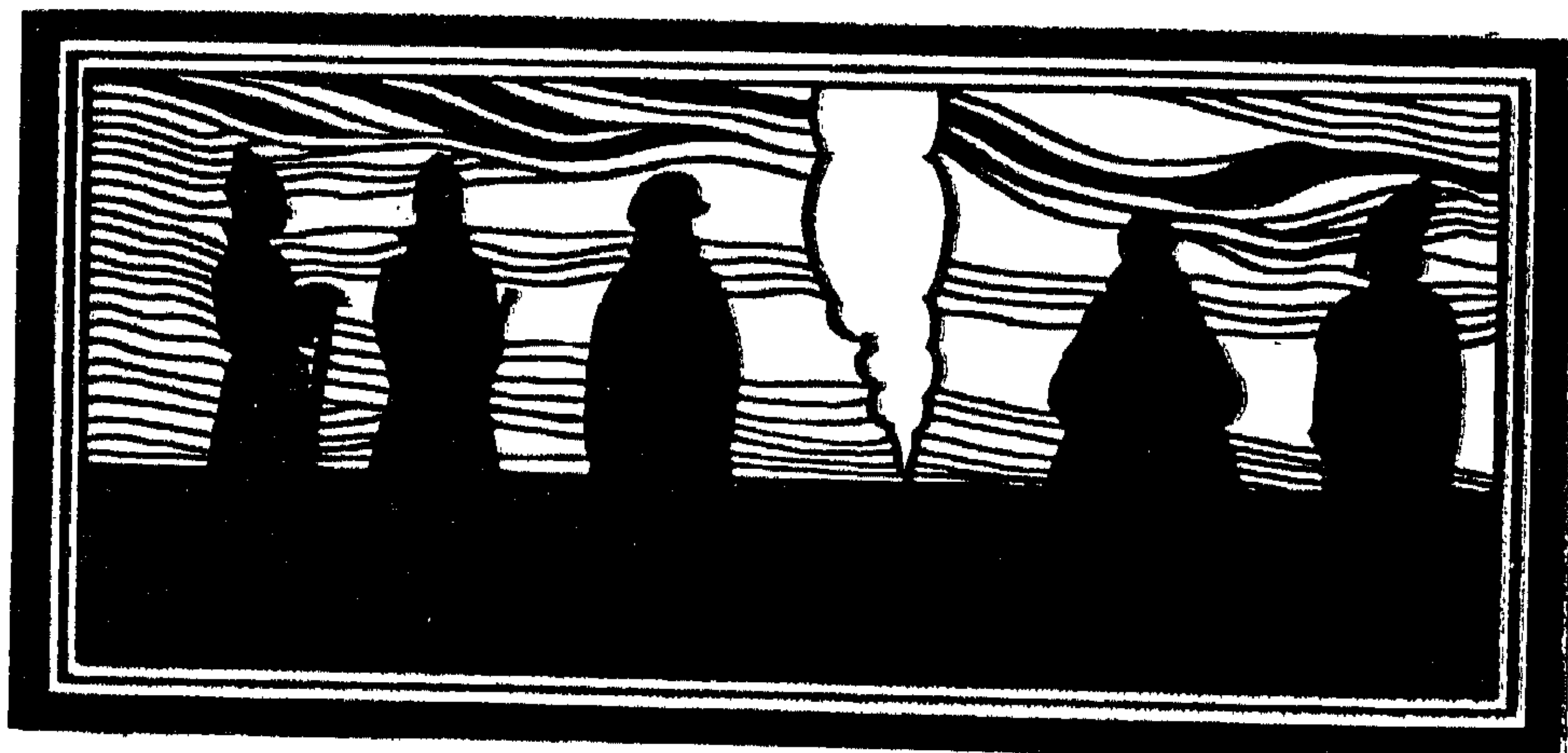
فالاول — تحكم الصلة بين المدرسين ومؤلفي اللغة العربية المعاصرين .
وثانياً — تخلق في نفوس الطلاب رغبة في القراءة المفيدة التي لا معنى للثقافة من دونها .
وثالثاً — يشجع المؤلفون والمترجمون على اتقان ما يكتبون وينشرون اذ يعرفون ان كتبهم قد تختار للمطالعة والمناقشة في الاجتماعات المدرسية المذكورة
رابعاً — تخلق لنا جيلاً يتوق الى القراءة المفيدة ويقبل عليها . وهذا من أقوى البواعث للمفكر على التفكير ، والمؤلف على التأليف ، وللناشر على النشر

وكل هذا لا يكلف الوزارة اكثر من ثلاثة آلاف جنيه في السنة أو أربعة آلاف على الاكثر . لانه إذا افترضنا انها قررت ان تبتاع من كل كتاب تختاره اللجنة التي نسخته — لتوزعها على المدارس — بلغ عدد النسخ التي تبتاعها ٢٤ الف نسخة متوسط ثمن النسخة منها قد لا يزيد على ١٥ غرشاً — فالمبلغ لا يزيد على ٣٦٠٠ جنيه . وهي تنفق اضعاف هذا المبلغ في اعانة المعاهد والمدارس والجمعيات ، فاحر بها ان تنفقه في سبيل تشجيع التأليف وتربية ملكة القراءة المفيدة في نفوس الشبان والشابات



الى روجي

حافظ وشوقي





صورة رمزية عنوانها « آفاق الشعر الواسعة »

مكانة الشعر في كيان الامم

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

رغبنا الى الدكتور شهبندر في كتابة فصل يكون بمثابة مقدمة للمجموعة التي
نشرها في هذا العدد عن شوقي وحافظ فاتخذنا بهذا المقال الادبي الاجتماعي البليغ

الكلمة

ان اليوم الذي اطلق فيه البشر على الاشياء والاجناس اسماء هو يوم سجلوا فيه تاريخ
انتقالهم من صف العجائوات ودخولهم في المرتبة الانسانية . وشأن هذه الكلمات التي ندعوها
اسماء شأن في الامم مقدس خطير حتى ان النصرانية تقول عن «الكلمة» بلسان يوحنا (انها
كانت في البدء) . ذلك لانها وجدت مع الفكر المجرد الازلي الذي لا يحيط به ادراك ولا
يحصره وعي ، فهي الاصل وكل شيء سواها عارض . وتشبه «الكلمة» بهذا المعنى «الفكرة»
في حكمة افلاطون لان الفكرة المجردة عنده هي الحقيقة الدائمة وما عداها صورة منسوخة .
لكن الافكار يعبر عنها بالكلام ايضاً فلا غرو ان تكون «الكلمة» هي الحقيقة الخالدة بقدر
انطباقها على الواقع . وفي الاسلام ان الله خلق آدم من التراب ، فلو تركه وشأنه ما اختلف
عن سائر المخلوقات الحية في شيء ولكنه اعتنى به عناية خاصة فوضعه في مدرسة الالفة
والاجتماع حيث علمه الاسماء كلها فلما اتقنها وبرع فيها نال شهادة الكفاءة الانسانية فاذن له
بموجبها ان يمارس صناعة الابوة البشرية ، ومن احق بها منه يا ترى وقد اصبح قادراً
بالآفات والآهات على بيان الآلام التي يعانها وبالكلمات المنسجمة على الافصاح عن اعق
الاسرار التي تختلج في صدره

ولو كتب على هذا البشر ان ينشأ ويتدرج بطريق النظر بالعين فقط من غير اذن يسمع بها
ولسان ينطق به فاذا تكون حاله ؟ انه يكون كالصم البكم الذين نشاهد من حين الى آخر فيما
بيننا بل هو اضعف منهم وأدنى مرتبة ، ذلك لان هؤلاء قد استفادوا عرضاً من ارتقاء البشر
حولهم بما حصلوا عليه من الخصائص التي اكتسبوها بطريق الاذن واللسان
ولا مرأ ان الصم البكم احد نظراً وأدق لمساً وذوقاً وأقدر على فهم الحركات وقراءة
اسرار الوجه وحفظ الذكريات الا أنهم حسبهم ان يفقدوا المعاني الادبية التي يؤديها الكلام
ليفقدوا معها كل ميزات الثقافة الرفيعة ، واللغة شمس مشرقة على الآفاق لكن الاذن الصماء
كالعين العمياء لا ترى نورها الساطع

لولا «الكلمة» التي نطق بها هذا المخلوق المنتصب على رجليه اسماً للأشياء التي رآها لكان مستواه العقلي على قدر المستوى الرياضي في القبائل الابتدائية المعاصرة التي لا تعرف للأعداد أرقاماً لتجمع بها أو تطرح أو تضرب أو تقسم ، فكما أنه لا مجال بينها للحساب والجبر والهندسة وما تفرع منها من العلوم الرياضية العالية كذلك لا مجال بين السهم البكم للادب والموسيقى والعلوم وما تفرع منها . أولئك لا يملكون الواحد القياسي في الرياضيات وهو الرقم ، وهؤلاء لا يملكون الواحد القياسي في الإدراك وهو الكلمة

الشعر والكلمة

فاذا كان هذا شأن أول «كلمة» نطق بها الإنسان فيهمنا كثيراً أن نعرف كيف تيسر له ذلك ، وكيف توصل إلى ربط الأصوات بالأفكار ولصق الأسماء بالمسميات حتى صار قادراً على التفكير الإدراكي بطريق المبتدأ والخبر . وإن الشاعر ليضطرب كثيراً أن يعلم أن المواقف الشعرية والمعاني الشعرية والأوزان الشعرية القدح المعلى في استيحاء هذه «الكلمة» التي كانت فصل الخطاب بين دورين جوهريين في حياتنا البشرية

يعتقد الذين أخصوا في اللغات وتتبعوا أصولها بأن الأعيان والمراقص والمآتم والمخاطر والمجازر وسائر العادات والمواقف الشعرية المؤدية إلى الأفراح والآراح الاجتماعية خصوصاً الصياح الجوقي المشترك بجوار الثيران المجتمعة ، هذا كله المصدر الدافع إلى النطق . ومتى كان الصوت الجوقي صادراً عن انفعالات نفسية — كالهتاف أو الصراخ في حالة التهيج — يتخذ شكلاً موزوناً ويتكرر على أصول متناسبة . وبعض الحيوانات لا يقتصر على فهم ما يؤمر به فقط «كتمال» و «نم» و «كل» بل يصيح بما يشبه «الوصفة» ينادي بها الفرد فتجيب عليها الجماعة «بالردة» . وهذا الإفصاح عن الشعور بالأصوات النبرية البسيطة يشترك فيه كثير من أصناف الحيوان وقد تدرج في الإنسان في أول الأمر غالباً من صراخ أو جوار فطري إلى غناء جوقي مشترك ثم إلى كلام مقطع صريح^(١) والراجح أن كثيراً من هذه الأصوات الجوقية المحولة إلى غناء بسيط كان في أول الأمر حكاية أصوات حيوانات وأشخاص يحكيها الجوق مجتمعاً ويقلد أعمال أصحابها بالإشارات وبالرقص «البنتوميمي» الصامت . وهكذا متى اقترنت بعض الأصوات بأشياء بعينها أو بجنس منها اقتراناً متلازماً متكرراً بحيث يصير هذا الاقتران عادة ماثلة في النفس فإن مجرد ذكر هذه الأصوات يعيد إلى الذهن صورة تلك الأشياء إما بمفردها أو بجنسها الجامع — والصورة الجنسية هذه هي عماد الإدراك الإنساني . ويعد هذا التلازم أو الاقتران المعنوي العلامة القطعية على توطد أركان النطق

اذن فالبواعث الحافزة إلى الاجتماع والمؤدية إلى الأفراح والآراح وما إليها من المواقف

(1) Elements of Sociology, Giddings, p 240

الشعرية الهائلة قد زودت البشر بأسباب النطق وسلحتهم بأقصى سلاح شقوا به الطريق من الظلمة إلى النور ، ذلك أنهم بمحصولهم على النطق « قد حصلوا على (مغل أرخميدس) في رفع حياتهم الاجتماعية إلى مستوى جديد في التركيب والكمال »^(١)

القصاصات الأولى

وإذا كان النطق الأوّل شبيهاً بالشعر في النبرة والوزن فهل من سبيل يا ترى إلى معرفة « القصائد » التي تلاها الأوائل قبلما اهتمدوا إلى فن التدوين ؟ وما هي الموضوعات التي تناولوها بقصائدهم ؟ وإن درس الأقوام الابتدائية المعاصرة وتتبع القصص التي يسمعونها الأطفال المتمددون في أحضان أمهاتهم حتى في لب البلدان المتقدمة كل ذلك يجيز لنا القول بأن الإنسان الأول نطق بالأوزان وإن تكن غير مقفأة ، وتناولت « قصائده » أخبار الظفر بالحيوانات وخوفها من الشوك الذي وقعت فيه وسعيها للخلاص منه وارتعاشها عند الذبح مع حكاية أصواتها من شهيق ونهيق وخوار وعواء وزئير وغير ذلك مما يؤلف جزءاً ضافياً من معاجم الأمم وتناولت هذه القصائد فيما تناولته أخبار الأعياد والولائم المقامة على لحوم هذه الحيوانات وما تؤدي إليه من مرح وبطر ، وشملت أحداث اختطاف النساء وعشرتها والبكاء على المفقودين من رفقاء السيد والقنص والراجلين من الأخوان والابناء الأعزاء ، وكان فيها الشيء الكثير من أغاني الرقص التقليدي وأغاني الرقص الروحي تقريباً من الآلهة واسترضاء لها وتمجيدها لأعمالها واستجداء لكرمها ، وقد ورث هؤلاء الأوائل أبناءهم أديانهم وعقائدهم وتقاليدهم وحكمهم وخرافاتهم وآدابهم في بطون هذا الكلام الموزون الذي ساعد الثقافة الأولى مساعدة الكتابة والطبع في العصر اللاحقة وذلك بسبب سهولة حفظه ونقله وتلاوته فكان أشبه شيء بموسوعات مطبوعة تخاطفها الأيدي وتناقلها اللسان قبل ظهور (جوتنبرج) ومطبعته في أوائل القرن الخامس عشر

وغني عن البيان أن هذه الموضوعات التي تناولتها قصائدهم هي أسس الموضوعات التي نبأها بها اليوم ونفتخر أن تناولها قصائدنا ، وعليها قامت أوضاعنا من حروب وانتصارات وأعراس ومآتم وأديان وعبادات وتقاليد وشعائر وملوك وأرباب

ولامراء أن قصائدهم كانت طاخنة بما الطبع في قاب الإنسان من الألم المفجع الذي أصابه من الدّ أعدائه وهو أخوه الإنسان فكان فيها روعة الشعر الحي الذي نشاهده في عصرنا في القصائد التي تعالج انانية البشر وما انطوت عليه قلوبهم من اللؤم والأذى . لا جرم أن قصيدة تاييت أو كتبت منذ ألف أو الفين من السنين تقرأ اليوم كأنها كتبت بالأمس لأن موضوعها حي يتصل بأعماق الحياة الإنسانية

الذاكرة والشعر القديم

وفي الحق أننا ونحن في القرن العشرين ما زلنا نتغذى بأدب ما قبل التاريخ ، فأولادنا في طفولتهم وهو سن الانطباع الثابت يسمعون أقاصيص الغيلان والمردة والجنان وأخبار العمالقة والأبطال وأوصاف القوى المحجبة وما لها من أسرار وحديث أدب السلوك وحسن المعاشرة وهم في حجر أمهاتهم على الفرش الوثيرة بصورة لا تختلف كثيراً عن مثابها لما كانت الأمهات يفترنش القش ويلتحنن الجلود في الكهوف والغابات، وعلينا أن نذكر دائماً أن مثل هذه الأخبار الشعرية المتصلة بالحياة المنفعلة الأولى وما فيها من المواقف المضطربة الهائلة لا تزول من النفوس بل وجد أهل التبعية والاستقصاء مثلاً أن الطوائف الأمية الجاهلة النازلة بالأصقاع الجبلية المنقطعة في ولايتي (كنتكي) و (تنسي) من الولايات المتحدة يرددون بعض القصائد الطويلة التي أثرت في عقولهم والتي وصلت إليهم بطريق العنينة من قصص شعرية قديمة حملها أجدادهم معهم إلى تلك البلاد من أنكلتره منذ ما فروا بدينهم من الاضطهادات . ولما قوبلت هذه القصائد بالكتب التي دوت فيها النصوص الشعرية الأصلية في أواخر القرون الوسطى وجدت سليمة في جوهرها ولم تصب إلا بعطل طفيف في انتقالها على الألسنة والشفاه وسفرها من القلب إلى القلب

ولا شك أن مثل هذا الدور الحفظي المتوقع على قوة الذاكرة في الشعوب الأمية القديمة تناول كنوزنا الأدبية الثمينة أحقاباً قبل أن يتيسر تدوينها ، فقد استيقظت هذه الشعوب على بلابل الشعر تغرد في فجر المدنية فلم يكن لديها وسيلة تدوين بها هذا الغناء الفتان سوى طبعه على صحائف القلوب وترديده على الألسنة في الأعياد الخالية كما تدار أسطوانات الخاكي في الحفلات والمقاهي اليوم وحسي أن أذكر أسماء هذه الآلي الأدبية الثمينة التي انارت الظلمة في العصر القديم ليعرف القارئ منها شدة نفوذ الأدب ولا سيما الشعر في تكوين الأمم والتحكم بسيرتها ، « فالإلياذة » « والأوديسة » لهوميروس و « الأعمال والأيام » لهزيود وأغاني « الفيدا » عند الهنودوكين والأجزاء الشعرية من العهد القديم ، ثم ما ظهر بعد ذلك من الطرائف النادرة في جزيرة العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي قبل التدوين واتخاذ العظام وسعف النخل وورق الغزال أداة للكتابة ، أن هذه الكنوز الأدبية الغالية التي هي تراثنا الروحي الخالد يدلنا مجرد ذكرها على سلطان الشعر على الأمم المتنوعة من اليونان والرومان وأبناء عهومتهم الهنود الآريين إلى اليهود الساميين ومن دان بالعهد القديم من الأمم النصرانية فالعرب وسائر من دان بالإسلام في المشرق والمغرب

الشعر العربي

ومع كل التحريف والتلفيق والدس الذي انزله القصصيون والرواة بالشعر الجاهلي فهو بالاجمال مرآة صافية يتجلى فيها مجتمع تلك العصور السحيقة وقد قام بوظيفته في تثبيت الحياة العربية وتأيد الاخلاق الفطرية السليمة ليس في الجزيرة فقط بل في جميع الاقطار التي استولت عليها الجيوش العربية وانتصبت فيها المنابر وارتفعت المآذن . وانك وانت في بلاد الهند أو في القرم أو في التركستان الصينية مثلاً لترى في سيرة الافراد وفي مقاييسهم الاخلاقية ما يعيد إلى ذاكرتك الشيء الكثير من اخبار الحجاز في جاهليته دع عنك ما فعله الادب العربي الاسلامي بواسطة الدين من المعجزات في هذا المضمار

ومما يستوقف الانظار ان نخبة من اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت قامت منذ حين بدرس بعض الشؤون الاجتماعية في الشرق الادنى ولا سيما في سورية فرأت الفضائل الآتية ماثلة في اهلها وهي (١) الالباء أو عزة النفس (٢) الوفاء (٣) قرى الضيف (٤) الميل الفطري للدين (٥) العطف والمواساة (٦) الاهتمام بالاعراض وما للمرأة من ميزة خاصة . فن يقرأ كتباً في الادب العربي الصميم ياترى جاهلياً كان هذا الادب أم اسلامياً ولا يرى هذه الخصال ظاهرة فيه ظهور الشمس في رابعة النهار ؟ ولعمري ان المرء ليستطيع ان ينسلخ من جلده ولا يستطيع ان ينسلخ من تأثير العقل الاجتماعي الادبي حواليه ، وما نحن في الواقع الا سمك يعوم في لجة هذا البحر الذي يحيط بنا من كل جانب ، ولا هون على المرء ان ينكر فعل الاجواء والاهواء والانهار والجبال والوهاد والوديان في جسم المرء من ان ينكر فعل الادب في عقله ويلوح لي ان الجزء العقلي الممزوج في الشعر بالجزء الادبي يكسبه تفوقاً ظاهراً على سائر الفنون الجميلة ، ولئن كان التصوير تمثيلاً بالخطوط والالوان ، والموسيقى تمثيلاً بالانغام والالحان فالشعر تمثيل بالقوافي والاوزان . فالتصوير شعر صامت والشعر تصوير ناطق

قال (ثيودور واطس) « ليس في مقدور احد ان يخط كلمة واحدة في الشعر ما لم يولد من جديد — ما لم يهبط من الملاء الاعلى مرة ثانية

» ثم ما هو الفرق بين الشاعر والنائر ؟ افلا يجوز للكاتب ان يتحلى بشيء آخر غير الشعر ؟ ألا يكون محارباً ايضاً كما كان اسكيلوس ، وتاجراً كشكسبير ، ونديم الملوك كتشوسر ، وفيلسوفاً خليطاً كغوته ؟ بيد انه في اللحظة التي تحمل عليه فيها الشاعرية يتعرى من تلك الكسوة الدنيوية التي اكتسبها منذ سنين ، فيزول من نفسه جميع ما للدنيا من علم واناية واستخفاف وطموح ، ويصبح طفلاً ماهياً من جديد باذنين مطبقتين في النغم على تلك الهمسات التي تهب من (العصر الذهبي) — لما كانت السعادة يأسطة جناحها على هذا الانسان المتعب — فينتشر اريجها المنعش في هذه الارض الفاسدة ويظهرها من الارجاس «

ولعلماء التربية والاجتماع اهتمام خاص بتاريخ الادب وذلك لانهم يرون فيه ميداناً متسعاً لنشر التربية الاجتماعية والتثقيف الفني ، والادب مرآة تتجلى فيها صورة المجتمع ، وتكون هذه الصورة على احدث طراز ، لان الادب يتوقف في شكله ومادته على الاحوال الاجتماعية المستجدة ، فالشعراء هم اشعر الناس بالطوارئ وقلوبهم اوتار حساسة ما اسرعها إلى الاهتزاز برجات الانقلاب والثورة ، وكما ان الشعر صورة الشاعر كذلك الشاعر صورة المجتمع ، بل الشاعر كما قال الاستاذ (بايندر)^(١) نقطة الاحتراق تلتقي فيه جميع الاشعة المنتشرة من الحياة الاجتماعية المضيئة حواليه فيكسبها شكلاً فنياً وبياناً لفظياً بما تحلت به شخصيته من الميزات وسواء أكان الشعر غنائياً أم قصصياً ، ارشادياً هجواً أم تمثيلاً فنجاحه في التأثير في قلوب الناس يتوقف على الاحوال الاجتماعية التي يعيشون تحت سمائها

والشعر العربي هو مثل الغناء العربي طافح بالحزن والاسى والتوجع والبكاء لانه لا يردد فقط مظالم الانسان من سلب ونهب وانتهاك حرمة وازهاق نفس بل يردد ايضاً مظالم الطبيعة من امراض فتاكة وسيول جارفة ورياح سامة ومجاعات قتالة وما اكثرها في بلاد العرب . والواقع ان الجزيرة العربية طبيعة خاصة في شدة التأثير في النفس واستخراج اللاي الشعري من اعماق الصدور . فالكواكب المتلألئة في سمائها الصافية الاديم استوقفت انظار البدو من اقدم الازمان وجذبتهم حتى كادوا يطيطون اليها من غير جناح ، والبوادي الجرداء القاحلة المنتشرة في ارجائها تعد ساكنيها لرؤية الجمال الحي في كل برعمة على اية شجرة كانت من الشجر في الواحة ولو كانت شجر الشوك والبلان . ومعاطشها اليابسة المحرقة تولد في الصاديء عند ورود الماء لذة لا يذوقها المتنعمون بالينابيع والانهار . وحدث لي في آواخر سنة ١٩١٥ — إذ كان الاتحاديون يتتبعون أثري — انني قطعت البادية الموحشة من (تدمر) الى قرب (الميادين) وانا اعيش على الماء الآسن الاجن الذي كان يزيد في غلتي فلما نزلت الفرات وذقت معة من مائه العذب صحت باعلى صوتي « الكوثر . . الكوثر . . » وهذه جنات عدن تجري من تحتها الانهار . ثم ان الهجرة الشاسعة وطى البيد الواسعة والابتعاد عن المنازل في الغزوات وطلب الكلاء مع رؤية الاطلال والمعالم والآثار وما تحدثه في النفس من الذكريات الماضية والايام الخالية كل ذلك من البواعث الشعرية الخاصة بالجزيرة . وكذلك المنقطع الخائف الجائع الصادي متى وجد بيتاً من الشعر نزل به واهلاً امن بهم تجلسى له الكرم « الخامي » باجلى مظاهره فسد البلغة يومئذ — ناهيك بعقر الناقة — يفعل في نفسه ما لا تفعله الولاثم في القصور ، وباب الحرم يسدل عليه ليحميه من مطارديه امنع لديه من مدافع الحصون على حدود الدول . وقصارى القول ان مثل هذه البيئة البسيطة الجافة وما فيها من شظف العيش تبرز المعاني الشعرية بثوبها القشيب وهو ثوب الطبيعة الفتان

فقر الغرب في الشعراء اليوم : يعلل بعض الباحثين فقر الأمم الغربية في الشعراء ورغبتها عن الشعر بالمدنية المادية التي تغوص فيها الى مفرق الرأس ، وعندهم ان وسائل النقل الحديثة وانتشار الاباحية وزوال ذاك البرقع الجذاب عن وجه الانسانية واشتغال الدول بالشؤون الاقتصادية والسياسية وانهمالك الافراد في تحصيل القوت الضروري والخلاصة زوال الاحوال الروائية عن ظهر الكرة الارضية كل ذلك من العوامل التي ذهبت برشاقة النظم وقضت على دولة الشعر ، حتى ان جائزة كبيرة عرضت منذ امد قريب في فرنسا للمجلى في حلبة الشعر فلم يتسابق للحصول عليها احد . ولكن من حسن الحظ ان الناظمين اذا قلوا فان المستمعين ما زالوا عند حسن الظن بهم ، وفي عقيدتي ان ليس الشاعر من نظم الشعر ولا الموسيقي من وقع الاطنان ، بل قد يكون المرء شاعراً وموسيقياً بالفهم والطرب ، ذاك فنان ايجابي وهذا فنان سلبى . والمظنون ان هذه الفترة التي نعانيها في الزهد بالشعر هي فترة موقته او سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع وذلك عند ما نألف محيطنا الجديد المزدهم بالحوادث والسكان فتعود اليها غرائزنا المنفعلة الاولى وتشور فينا مراحل الاضطراب وتسترجع هذه الدنيا السمجة جوها الروائي الجذاب

الشعر والثورة

وقد لا نبتعد عن الصواب كثيراً اذا نحن قلنا ان هذه الانقلابات الاقتصادية المادية التي نعانيها في هذا العصر ليست بمعزل عن الشعر بتاتا بل قد يكون الشعر بمعناه السيكلوجي من ادعى دواعيها ، وسبب ذلك ان هذه الحياة العقلية التي نولد ونذب وندرج في احضانها هي التي يطلق عليها في الاصطلاح العلمي اسم « العقل الاجتماعي » وهذا العقل المتصرف في حركاتنا وسكناتنا لولا اللغة وما انطوت عليه من الادب الرائع ما كان له سلطان على قلوبنا وهو بواسطة ما يحدته في الافراد من رأي مشترك يسمى « الرأي العام » يولد الثورة ويغذيها ولكن لا شيء اهون على الباحث من اظهار العلاقة المتينة بين المواقف الشعرية والتأثير في « الرأي العام » . فكم من مظلمة ناح من اجلها الشعراء فأغضبت الرأي العام وهاجته ولم تنطقى جذوة هذا الغضب إلا بالثورة . والجمعيات التي مثلت اخطر الادوار في سياسة الأمم هي التي عرفت كيف تحرك الرأي العام بما تبثه من الدعايات الشعرية المهيجة وربما استغلت الحادثة الواحدة الطارئة عرضاً فأحدثت بسببها الانقلاب المنشود

وقد ذهب (اوغست كونت) في فلسفته الحسية الى ان « الفكرة » هي التي تدفع الى العمل ، ولكن الفكرة الجامدة الخالية من الروح — الفكرة الباردة المجردة — لا تستطيع ان تعمل عملاً مباشراً بل لابد لها من ان تكون فكرة منفعلة هائجة اولاً ومتزينة بالادب ومتحلية بالشعر لتستحوذ على ارادة الناس ، وان قول تلك البدوية لاهلها في قصيدة تشكي

بها على الأعداء الذين أسروها أنهم « ضربوا موضع العنقة مني بالعصا » ، ونداء تلك الحضرية مستجيرة بالخليفة في بغداد بقولها « وامعتصماه » وبيت الشعر الذي قاله المتنبي « لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم »

ان هذه الأقوال الهائلة وأمثالها احدثت في العالم العربي من الاضطرابات اضعاف اضعاف ما عمله اقليدس بهندسته وبقرط بأمزجته ونيوتن بجاذبيته ورونتجن بأشعته ، وقد رأيت المجاهدين من بني معروف في الثورة السورية الأخيرة يقتحمون مدافع الفرنسيين بسدورهم وهم يصيحون بأعلى أصواتهم مذكرين الجنرال غاملان بوقائعهم الماضية

« ممدوح وسامي قبلك خرجوا من السويد »

ثم ما هي كلمات « حرية » و « مساواة » و « اخاء » وغيرها من الكلمات الحية التي قلبت وجه الأرض وغطته بالدماء ؟ ليست كلها احتجاجاً شعرياً صادراً من اعماق القلب على الاستعباد والظلم والاثرة المغرقة ؟ وهل هنالك موقف يهيج كامن الألم أكثر مما ان يرى الانسان اخاه الانسان مكبلاً بالاصفاد ومداساً بالأقدام ومساقاً للاستثمار كما تساق الغنم للذبح ؟ ان هذه المواقف الشعرية المؤلمة تعمل اليوم في الشرق ما عملته فكرة « الحقوق الطبيعية » في الثورتين الكبيرتين الاميركية والفرنسية

وبديهي ان تكون الافكار حافزة الى العمل ودافعة الى الاضطراب بقدر ما فيها من عناصر الانفعال والتهيج لان ما يفور من القلب كما قال الشاعر (وردورث) يسيل إلى القلب ، وما دام التصوير والموسيقى والشعر هي الوسائط المعبرة عن اسمى الشعور والمفصحة عن ادق الانطباعات المنقوشة على صفحات الصدور — ما دامت هذه الفنون الجميلة مجلى تأثرنا من الطبيعة المحيطة بنا من كل جانب بأفراحها وأتراحها فهي القوة الاجتماعية الدافعة في المقام الاول . ولئن كان آدم البشر الحقيقي كما قال (منصن) هو اول من عمل آلة استعان بها نسله على مكافحة الطبيعة فان حواء هم الحقيقية هي اول من علمت ابناءها اغنية من الشعر ايقظت بها ارواحهم الخاملة ، وكما ان خلايا اجسامنا مؤلفة من العناصر المادية التي تحيط بنا كذلك « خلايا » عقولنا مؤلفة من الحياة العقلية التي اوجدناها ونحن ننمو في وسطها واننا لنستدر الهامنا منها كما يستدر الطفل اللبن من ثدي أمه

ولقد اجاد (مونتسكيو) كل الاجادة عندما وصف التفاعل السياسي بين الدولة والافراد بقوله « في طفولية الامم يربي الرجل الدولة ، ولكن في رشدها تربي الدولة الرجل » وكذلك الحال في التفاعل الادبي الروحي ، ففي الحياة الابتدائية تربي العقول دولة الادب ولكن في الحياة الراقية تربي دولة الادب العقول ، لانها تربي الشعراء والادباء والعلماء والحكماء جميعاً ، ونحن أبناء محيطنا العقلي كما نحن أبناء محيطنا المادي

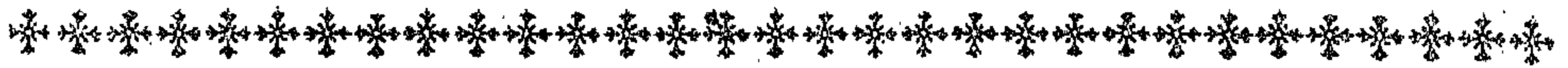


الالهة الشعر الغنائي

لوحة في مكتبة الكونغرس بوشنطن تمثل الالهة الشعر الغنائي في الوسط ووصيفاتها من اليسار الى اليمين يمثلن المرح والجمال
فالشهيرة فالحنو فالحقيقة فالالاخلاص وهي عناصر الشعر الغنائي في نظر المعمر

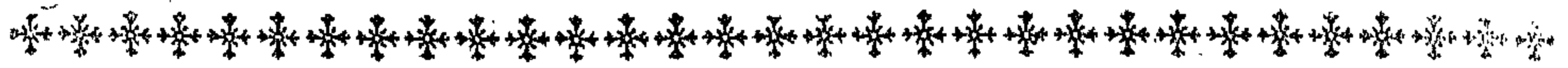
امام صفحة ٥٣٥

مقتطف ديسمبر ١٩٣٢



شوقي او الشاعر

المستند باسمي الجريدني



نزل الهلالُ عن السماء فليتها طويت وعمّ العالمين ظلام
وقد يُودي القدرُ بالهلال فتزول معالمه وتضيع آثار مادته فينا ويبدلنا الله اقماراً خيراً
منهُ او نكتفي بالشمس . وأما هلالنا الروحي الذي ودّع العالم بالأمس فلن ينزل عن سمائه
ما دام في كتب الادب اثر للغة العرب
ولقد طالما جال في الخاطر عند ما كان يدور البحث بين الادباء على الشعر العربي وعلى
شاعرية شوقي وغيره ان نبدي رأينا في الشعر وفي منزلة شوقي منه ثم نحجم خوف التهمة
لأننا نرى ان الكتابة في مثل هذا الموضوع يجب ان تسمو عن الشخصيات وان تساق خدمة
للادب العربي خالصة لوجه الله

ليس لاحد من الناس ان يُسمّى شاعراً الا اذا كان نابغة شعر . وقد قلنا نابغة شعر
قاصدين — فالناس قد جعلوا الشعر مبتدلاً . منهم لشر ما ينظمون . ومعظمهم لسوء ما
يقدرّون ولنفضيحة ما يطلقون من الالقاب على الناظمين . قلنا نابغة شعر ولولا ما قدمنا
لكان حتماً علينا ان نقول «الشاعر» وكفى . لأن كل شاعر نابغة ولا يعكس واذا قلنا الشاعر
فقد قلنا شيئاً كثيراً

فهل كان شوقي شاعراً . وهل كان نابغة ؟ وما هو الشعر والشاعر ؟ وما هو النبوغ ؟
ان استطعنا ان نقرب فهم هاتين الكلمتين الى الاذهان فقد عرفنا الشعر وعرفنا مكانة شوقي منه

ليس الشعر كلاماً مقفى موزوناً . ان هو الا وحيٌ يوحى يهبط على الشاعر فاذا به صاحب
رسالة يؤديها . يغنيها بالعربية مرة وبالاعجمية اخرى على وزن وقافية هنا وعلى غير هذا الوزن
وعلى غير هذه القافية هناك . أرايت الى هذا المصور يخطيء في الاوضاع التشريحية لاعضاء
الوجه او يضيع النسبة بينها . ان فعل ذلك فليس هو من التصوير في شيء وكان شأنه شأن
كل الاطفال يعبثون بالقلم والورق . ولكنه ان اكتفى بالقواعد التشريحية وبالاوضاع

الطبيعية للأعضاء لما زادت قيمته عني وعنك أيها القارئ الكريم ان كنت مثلي لا تكاد تحسن رسم خط مستقيم

لا ليس المصور مفتتاً اذا هو اهل الاصول وضرب بالقواعد عرض الحائط . وليس هو بالعبقري ان قال هذا حسي

يجب ان يسبغ على القواعد والاصول روحاً تعطي العيون الحافظاً تعبر في الصورة عما في ضميره . ويلبس الوجه معنى ليس في الاصول والقواعد بل في نفسه وفي نفسه هو دون سواه . فيبرز لنا الجمال ، نعجب به ونحسبه من بسائط الاشياء التي في متناول ايدينا ولكننا لا نستطيع ان نحاكيه — كذلك الشاعر . وعند ما قلنا ان الشعر ليس بالكلام المقفى الموزون لم نقصد الى الاباحية في اللغة او الفوضى في قواعدها ولم نرم الى فتح الباب على مصراعيه يدخله كل ناظم لا يملك من حطام الادب الا كلاماً مرصوفاً موزوناً ذا قوافٍ يضرب باللغة وقواعدها واصول الكتابة فيها عرض الحائط ، يستر جهله وتفضح الجرائد غفلته بدعوى «الشعر العصري» او «الادب الجديد» وما الى ذلك من سقط المتاع

لا . ان لم يكن الشاعر متبحراً في اللغة متضلعا من القواعد فليس بشاعر . ان لم تكن لغته اللغة الفصحى فليس بشاعر . ولكنه ليس بالشاعر ايضاً ان اكتفى بالقواعد والاصول لغة وبياناً وبديعاً — لا . لن يكون من «الشاعر» في شيء ان قال هذا حسي . فهذه كلها اثواب واعضاء جسم عار . أما الروح التي تنفخ في الجسد الحياة فتجعل الرجل يتألم ويحزن ويفرح ويفتخر ويطرب ويغنى فهذه هي روح الشاعر . وهذه الروح مخلوقة فيه توحى اليه ان غن فيغني مدفوعاً بسليقته مسوقاً بطبيعته يكمل من فطرتها بالدرس ويهذب من بداوتها بالملاحظة . فانه ان كان «مدفوعاً الى السقم السقيم» ومضطرباً الى ركوب الاسنة المخاطر فمضطرب على الشعر الشاعر يضرب على قيثارته لانه مقدر له ان ينشد ويقول الشعر لانه محتم عليه ان يقوله

قرأت من زمن ليس بالقصير مقالاً لا ديب ينعي فيه على العصر الحالي خلوه من الشعراء المبرزين وينسب الامر الى طغيان الروح المادية والى تفوق العلوم التحليلية على الخيال والعواطف . وهذا رأي قال به كتاب كثيرون فيما مضى ثم عاد زعيمهم — وهو افرنجي — فأنكره وأقر بخطأه . فلا شك ان العلم الطبيعي تقدم كثيراً ولا يزال يسرع في تقدمه ولا شك ان الروح المادية قد قويت وطغت واشتد سلطانها فهل في هذا مساس بالشعر ؟ وهل من علاقة بين هذا الامر وذاك ؟

السعي وراء الماديات والاستمتاع بما يغدقه توفر الامور المادية على الناس كان منذ الازل وسيبقى الى الابد . ولكن صورته تختلف ومبلغه يتغير وشكله يتحول ويتبدل فلا يبقى على حال واحدة . والعلم الطبيعي الآن مثل «العلوم» التي تقدمته من كلامية وفقهية ولغوية

وفلسفية يعيش في طريق ويمشي الشعر في طريق آخر. فليس لهذا سلطان على ذاك وليست مملكة العلم والمادة مما يطغى على مملكة الشعر والفن. فالإنسان في تاريخه ليس خاضعاً لأحكام العقل والمنطق او للعلوم الطبيعية التي تريك ان الواحد والواحد اثنان بل يخضع لمواظفه ايضاً فكل منا رجلان او لكل رجل صفتان واحدة تراه ما وصل اليه العلم الطبيعي من الاستكشاف والتفنن في تدليل القوى المحيطة به فهيهيه له كل اسباب راحته المادية، وواحدة تقف حائرة مذهولة تسأل قائلةً وما بعد هذا؟ وهل في هذا راحتي؟ بل تأتي مكرهة ان تمنع بما هو تحت نظرها وتمدُّ خيالها الى ما وراء الطبيعة فتخلق لنفسها ما تشاء. ذلك ان اشباع الروح شيء واشباع الجسد شيء آخر. وذلك ان في كيان البشرية تشوقاً الى الراحة النفسية وتعطشاً الى الجمال لم يجد في العلوم الطبيعية حتى الآن فحول ان يخلقه من العاطفة ومن هتاف الوجدان الداخلي. ذاك مسرح تلعب فيه العلوم الطبيعية ادوارها وهذا مسرح يغني فيه الفن ادواره، ولن يلتقي هذا بذاك

الشاعر يوقظ فينا كل ما في النفس من آمال ومن شعور والعالم يرسم لنا قواعداً ما يقع تحت الحواس الشاعر يوقظ فينا جذوة التصور فينير عواطفنا بكلامه كما يوقدها وينيرها المصور بريشته والوانه فالقول اذاً بان العصر العلمي او المادي يقف في سبيل الفن قول لا يستند الى الحقيقة وليس له ما يسوغه من ماض او حاضر. فالمادة كانت قد طغت منذ ونيف الف سنة وكانت «علوم» ذلك العصر قوية اخذ بها الناس ودرسوها فلم تمنع تلك المادة ذلك العصر ان يخرج لنا المتنبي ونبوغه في فنه — كما ان هذا العصر لم يستطع بمادته وعلمه ان يحول بيننا وبين شوقي ونبوغه في فنه

ليست غاية الشاعر ان يحلل ويضع المقدمات يتبعها بالنتائج انما غايته ان يخلق لنا صورة تامة تتمثل لنا بشراً سوياً مرة وعاطفة مرة اخرى واملاً ومطمحاً مرات عديدة ليس الشاعر بالكميائي او بالعالم التجريبي او التحليلي وليس بالمنطقي. انما هو مصور ينقل لنا بالكلام ما يضعه المصور في اللوح بالالوان. بل هو ابلغ منه اذ تكفي جملة واحدة يقولها حتى تثير في انفسنا صورة ذهنية قد لا تكون مشابهة للحقيقة ولكنها تؤدي المعنى الذي رعى اليه الشاعر خذ امرؤ القيس يصور لنا الليل فيقول

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكل كل

فلو أراد الفيلسوف أو العالم التحليلي ان يشرح الصورة شرحاً تحليلياً لقال ان ليل امرؤ القيس غريب فهو يبدأ موجاً وهذا الموج كالستور المرخية ثم ينتهي فرساً يتمطط وتزداد ما خيره امتداداً ويبعد صدره. ولا أرى امرؤ القيس الا غيباً. واما كافة الناس فيقرأون

البيتين فتبدو لهم من خلال هذه الالفاظ صورة ليل بهيم مخيف طويل. وهذا كل ما أراده الشاعر بل خذ اعظم شعراء العالم مثلاً

فلو أراد مبتدئ في الكتابة ان يعصف لنا البخيل لكتب في البخل وقبحه واسبابه ونتائجه وتأثيره في الناس وفي البخيل نفسه كتابة لا تدع زيادة لمستزيد في كل مقومات البخل وفي كل آثاره في المجتمع الانساني ولكنه لا يعطينا صورة البخيل

واما شكسبير فينطق « شيواك » ويجعله يشكو ويطلب ويغضب ويرجو فاذا بالبخيل قد تمثل لنا انساناً. وانطق « اولسو » بالحب والحرب فتجسدت لنا الغيرة. وهكذا يخلق لنا ناساً يتكلمون ويمشون ويأكلون ويشربون فتتمثل لنا صور الخديعة والعقوق والتردد والتضحية والمكر فلا تميز الصورة عن الاسم الذي سمي شكسبير رجلاً به

ولكنه لم يعط لغير شكسبير ان يكون عالمياً لان الصور التي رسمها لنا هي في كل زمان وفي كل بلد وفي كل قوم. فالحسد والغيرة والبخل والعقوق لا تتغير مهما تغير في ابن آدم ومهما تغير في الاقليم ومهما تغير في الزمن

أما الشعراء الآخرون — ومنهم شوقي — فاكتفوا بصور أخرى، بصور هي آمال الشعوب التي نطقوا ببلغتها وعواطفهم متمثلة في احزانهم وآلامهم وافراحهم ومفاسخهم فكانوا في عداد المهملين والنبوغ والعبقرية ماها؟ النابغة في عرفنا رجل يظهر في عصر من العصور وكأنه تمثل ماضية كله وضمه في نفسه وصورة جيله الحاضر جامعاً ضمير قومه كلهم في جسد واحد وقلب واحد. فهو المثال القومي على ارقى درجاته يرى كل فرد آماله وشعوره وعواطفه متجلية فيه فينظر كما بمرآة إلى أعماق نفسه فيراها كما هي. فان حاول هو ابراز الصورة لا يستطيع فينقاد إلى المعبر عنها ويستسلم له. ويسمو النابغة عن المستوى العادي ولكنه في الواقع ونفس الامر مثال لكل ما في هذا المستوى من محاولة إلى التطلع إلى فوق والسير إلى الامام. فهل كان شوقي هذا الرجل؟

تعال معي أيها القارئ الكريم اريكه

ليس الاسلام ديناً فحسب بل ملكاً ضخماً وامبراطورية مترامية الاطراف لا تغرب الشمس عنها

سلطان قام — مثل كل سلطان — بالسيف وبالسياسة وبكفاءة اعلام بارزين

فاذا كان الروماني في ابان الامبراطورية الرومانية يكتفي في حلبة الفخر بقوله انا روماني

فيجمع في نفسه كل عظمة الامبراطورية، كذلك يحق لكل مسلم وامبراطوريته في أوجها ان يفخر بالاسلام ويزدهي وينشد في حب الاسلام

وما كان شوقي بالشاعر النابغة لو انه — وهو مسلم — انساه وحيه مثل هذا الفخر والحب

والاخلاص في خدمة الاسلام

ما كان يجدر بنا ان نعدّه في النوايح لو لم يتجمع في قوله كل ما في ماضي الاسلام من عزّ دنيوي ولو لم يتمثل الاسلام فيرث تراث الاجداد وينظر — وهو في الثلاثين والاربعين من عمره — دولة الاسلام لاتزال في سطوة لا بأس بها، تهاجمها دول اوربا من اليمين ومن اليسار فتصمد لهم تارة بالسيف وأخرى بالسياسة حتى كانت الحرب مع اليونان وفوزها الباهر عليهم فيجمع روح الملايين من المسلمين في قصيدته « بسيفك يعلو الحق والحق اغلب » يخاطب امير المؤمنين

إذ صبح تعريفنا النابغة انه هو الذي يعبر عن شعور قومه فينشد لفظاً ما يخالج اعماق نفوسهم فكراً فهو هو النابغة إذ يتغنى ببطش الترك وقوة الترك وتضحية الترك في سبيل نصر الاسلام فاذا عاب عليه بعضهم قوله « وارمينيا ثكلى وهوران اشيب » لانه لا يليق بامبراطورية عظيمة ان تقتل من رعاياها وتكسر من كبرياء ابنائها، كان على خطأ مبين فشوقي لم ينطق بلسان الرجل تملك عليه مشاعره التقوى والمحبة وفعل الخير، بل نطق بلسان امبراطورية تأتي ان يهاجمها العدو من الخارج ومن الداخل . فاذا ما جاءت حرب البلقان وخيل إلى الناس ان الاسلام قد زال عن البلقان تجلّت عبقرية فعبّر مرة أخرى عن ضمير الاسلام اذ صاح « يا أخت اندلس عليك سلام » بل يقف والرأي العام الاسلامي على لسانه يغلف القول بسبط نبي المسلمين شريف مكة اذ اضطهد حجاج البيت وأساء اليهم ويستعدي عليه امير المؤمنين في استانبول ويقول له « ادبته ادب ... الشريف عليها أم لك العلم ». وهو النابغة ايضاً اذ يأخذ مثل قومه الاعلى فيصيغه حكمة قد لا تكون في ضمير كل احد منهم ولكنها ضمير الاسلام الحق فيذكر المسيحية ويقول فيها وفي سيدها ما لم يؤت باحسن منه الا في القرآن وكانت الحرب العظمى وتخلصى الأتراك عن الخلافة وداول الله الايام بين الناس وطفى على العالم كله روح الوطنية فانكمش شوقي ثم ماد نابغة آخر يعبر عن عواطف قومه ومطمحهم ومثلهم الاعلى بشعر يتغنى فيه بالوطنية فيعود إلى مصر ينقب عن ماضيها فيحييه وينشر حاضرها « وطني ان شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي »

ودع عنك التمسك بالتقديم والتأخير في تاريخ شعره فنحن نصوره صورة مستقلة عن الوقت . كما اننا نصوره كما هو فوق الاحزاب وفي معزل عنها لانه ملك الجميع فلا ينطقه الله الا بما يصح ان يقوله الجميع

بل كيف لا يكون النابغة الذي عرفنا وهو ان طربنا غنينا بشعره أو فرحنا انشدنا شعره أو رثينا رجعنا الى شعره أو افتخرنا زهونا بشعره أو اردنا الحكمة تتخذها مثلاً سائرنا استشهدنا بشعره « رواة قصايدى فاعجب لشعر بكل محلة يرويه خلق »

فاذا كان هذا الذي تغلغل في حياتنا الادبية إلى اعماقها والتصق بكل عواطفنا وجوارحنا

وكان سفيراً مفوضاً مطلق الرأي من لدنا امام الالهة الشعر — إذا كان هذا ليس بالشاعر النابغة
فاين هو ذلك الشاعر ؟

ان الخطأ الذي وقع فيه الذين وزنوا شوقي بالميزان فوجدوه ناقصاً لا يغتفر لمن ينصب
نفسه حكماً ناقداً للشعراء. ذلك انهم لم ينظروا اليه كشاعر عربي فقاسوه بمقياس البيئة العربية
قديمها وحديثها او بمقياس الشعر العربي ما هو جديد منه وما طال عليه القدم بل تأثروا بالنقد
الافرنجبي للشعر الافرنجبي فاخذوا نظر الافرنج الى شعرائهم وطبقوا مذاهبهم على شوقي
وليس هذا من العدل في شيء

فالشعر الافرنجبي شيء والشعر العربي شيء آخر . الادب العربي شيء والادب الانجليزي
شيء آخر والادب الالماني آخر وهكذا . فثمّة رجل ذو ملامح و اخلاق و تاريخ و لغة تجعلنا ندعوه
انجليزيًا . وثمة رجل مثله ولكنه ذو ملامح و اخلاق و لغة و تاريخ آخرين ندعوه افرنسيًا
كذلك ثمة رجل آخر مثلهما ذو تاريخ و لغة و اخلاق تجعله عربيًا . فلا يصح قياس هذا
بذاك . ولا اخذ قاعدة ما عند ذاك لتطبيقها على ما عند هذا . إذا أردنا ان نحكم حكماً صحيحاً
على شوقي فالواجب ان نأخذ شاعراً عربيًا والشاعر العربي ليس بشاعر ان لم يؤثر فيه تاريخه
ولغته وبيئته . فإله وللأوساط الأخرى واللغات الأخرى التي تنتج شاعراً ليس بينه وبين
شاعرنا مشابهة

انه أعطي للقليين — لقليين لا يكادون يعدون على اصابع اليد الواحدة — ان يكونوا
شعراء عالميين ونحن لا نعرف الا شكسبيراً شاعراً عالمياً وأما نوابغ الشعر الآخرون فمحليون .
فكم من شاعر فحل انجليزي لا يعرف الا فرنسيون عنه شيئاً ولو نقل الى لغتهم لما استساغوه
ولكنه شاعر في نظر الانجليز يعبر عن ضمير امتهم وينطق بشعورها وآمالها ومطامحها
كذلك شوقي . فاننا عند ما نقيم انفسنا مقام الحكم الذي ترضى حكومته كان حتماً علينا
ان نرى هل قال بلسان قومه وهل ترجم آمالهم وشعورهم وهل احزنهم إذا رثى وأطربهم إذا
طرب وساق شعره مثلاً إذا نطق . هذا هو الحكم على شاعر في كل آن وفي كل زمان
انه من الضلال ان نطمع في جعل شوقي شاعراً عالمياً فليس هو كذلك ولكنه شاعر
العربية وشاعر الاسلام وكفى بذلك مقاماً يجعله في المقام الاول بين الشعراء . وسيان عندنا
بعد ذلك وافق الحكم قاعدة نقد الشعر الافرنجبي أم لم يوافق

ولسنا من الذين يقسمون الادب إلى قديم أو تقليدي وجديد أو محدث حتى نحكم على شوقي
لا . اننا لا نؤمن بهذا المذهب فلنفسر ما نرمي اليه

انه إذا قام فينا رجل اليوم وأخذ في الشعر مذهباً كمذهب الشعراء منذ ونيف خمسة

قرون فليس بشاعر، أو مذهبهم في صدر الاسلام فليس بشاعر، أو مذهبهم في الجاهلية فليس بشاعر. ذلك لانه لبث ابن ذلك الزمن ونسي حاضر عصره وما فيه من اختلاف في الشعور والعواطف والآمال والمرامي عن العصور الاولى. انه لم يرق فيتكيف بالاحوال وبالمحيط فلا يستطيع ان يكون لسان جيله وترجمان بيئته فلا يتسنى له ان يكون شاعراً وان كان في عداد كبار الناظمين

وكذلك لو قام فينا اليوم رجل ينظم الشعر ناسياً ان هناك في صميم العربية شعراء دعوهم جاهليين ودعوهم اسلاميين وان هناك شعراء نظموا منذ الف سنة ومنذ خمسمائة سنة وانه غير مقيد بشيء من تقاليدهم واسلوبهم وتاريخهم فليس بشاعر
فالشعر — مثل كل الفنون الجميلة ومثل كل شيء في الطبيعة — ذو اصول تمتد إلى ابعد ما للشاعر من نسب فاذا انكرها لم يعد ابناً لها

والشاعر العربي اليوم ليس الا ابناً يرث مما سري في دم اجداده منذ اول يوم نطق فيه بالشعر حتى الآن. فاذا لم يتمثل هذا الميراث ويضمه إلى بيئته الحاضرة ويمزجه بعصره الجاري فليس باهلاً ان ينطق بلسانهم ويترجم عن آمالهم
وما الادب في كل قوم وفي كل بلد الا تاريخ اول اديب منذ بدء الادب الى يومنا هذا
ارأيت الى مدرسة انكليزية لا يبدأون في درس الادب فيها منذ ايام «تشوسر» نازلين الى «سبنسر» «فشكسبير» «فلتون» «فتنسون» حتى الآن

أم رأيت مدرسة افرنسية لا يرجعون بك فيها الى ايام انقسام الشعراء فئتين مختلفتين ويتدرجون خطوة خطوة حتى هذه الايام. ام رأيت اخرى عربية لا يبدأون في تدريس الادب فيها منذ اوائل الجاهلية وشعراء النصرانية حتى الآن؟ فالماضي جزء لا ينفصل عنا وانما الحاضر خلق يميزه عن ذلك الماضي ولكنه لا يفصله عنه. فالشاعر الخلق بالاسم هو من جمع الماضي كله مخبوءاً في دمه ونطق بكل ما في حاضره من عواطف وتصورات. ولا اظن منصفاً يرى في شوقي غير هذا الشاعر

كذلك اخطأ الذين اخذوا بيتاً لشوقي من هنا وآخر من هناك فقالوا لك انه قصر في هذا عن المتني وأخذ المعنى عنه ولم يبلغ شأو البحري في ذاك التركيب والتوى عليه القصد وانه في هذا البيت خالف المؤلف فبالغ وانه في ذاك خرج على المنطق وعلى اللغة فلم يوفق وما هكذا يكون النقد. واني ازعم ان النابغة لا يكون خليقاً بهذا الاسم ان لم يخالف المؤلف ويضرب في بعض الاحايين بالاصول اللغوية عرض الحائط مبالغة في تأدية المعنى او امعاناً في اتقان الصورة التي يثيرها لفظه في ذهنك. وليس النابغة الا رجلاً ارتفع عن المستوى ولكنه ليس بكامل — ومن آيات فنه انه يخطيء ولكن خطأه في قوله يزيد القول حسناً

ويزيدك به إعجاباً وله محبة لخفة روحه وسلامة ذوقه
وانهم يقولون لك في كتب الادب الانكليزي انه لم يخالف القواعد اللغوية عظيم مخالفة
شكسبير لها . ولكنه مات فترك لغته اغنى اللغات تراثاً وزاد في مجموعها الالوف من الالفاظ
ووضع شعرها في اعلى الطبقات

بل نبالغ نحن الآخرين ونقول انه اذا لم يخطيء الرجل النقد فليس بجيب الى قلبك
واذا كان كاه كمالاً في كمال حيل بينك وبين جاذبيته وبقي جافاً تيبس عروقه وتذهب في الهراء
ولا نمل القول وتكراره فالنبوغ في الانسان هو الكفاءة لتمثيل جيله وعصره وترجمة
ما عبرنا عنه بضميرها . فاذا فعل ذلك فهو الزعيم المقدم مهما اخطأ وسرعان ما يغفر له موته
جميع هفواته . افلا ترى ان النوايح لا تذكر لهم السيئات مهما تعددت فخلدوا والى رجال
الكمال اللفظي او الكمال الجسدي جلسوا على الرف فعلاهم الصداً وأكلهم العث . ذلك ان
الروح يحيا اما الجسد فيميت . واننا نقرر في غير وجل انه ما اقفر ادبنا العربي شيء مثل
خلوه من النقد الحقيقي . ذلك النقد الذي يتناول الروح والمعنى والصورة الجلية والارباقي
ويهمل القشور . فانظر الى التاريخ العربي في الأدب انه منزل آهل بعطاء الاشخاص لو كانوا
افرنجياً لرأيت المجلدات تكتب عن كل واحد منهم . بل انظر الى تاريخ الاسلام السياسي فان
تجد في اي امة اعجمية ما تراه فيه من كثرة الفحول المبرزين

فكم من كتاب نقرأ في اللغات الافرنجية عن نابليون وعن شارلمان وعن ولنتون وعن
شكسبير وعن جوته وعن فولتير وهكذا إلى ما لا نهاية له

ولكنك ماذا تقرأ في العربية عن عمر ابن ابي ربيعة وعن الاخطل وعن ابي نواس وعن
المتني وعن خالد ابن الوليد وعن معاوية وعن الحجاج وعن زياد ابن ابيه وعن ابي مسلم وعن
صقر قريش : ذلك اننا عندنا المادة وانما ينقصنا الروح

فينا الكثير من امثال غليوم الثاني ويرون وفوشه ولكن ليس فينا « نيكاسون »
و « ستراشي » و « اندره موروي » و « اميل لودفيج » و « ستيفان زفايك »

شيء آخر يتناوله النقاد أو الذين يترجمون أدباً شاعراً كان أم كاتباً فيقولون لك هذا
مبتكر وهذا ينقصه الابتكار وذلك أخذ المعنى عن ذلك الشاعر أو قلده فيه هذا الكاتب
ان صغار المخلوقات في الادب تنسب إلى نفسها شيئاً اقتبسته من الغير أو تقلد وتنقل
وتدعي الالهام

هذا فريق لا يليق ذكره أو الاهتمام بأمره فليس هو من الادب في شيء
ولكننا نعني شعرائنا وكتابنا الذين ثبتوا على الزمن فاصبحنا وهم قادة الادب فينا

ترى هل الابتكار من مزاياهم وهل في الادب الحقيقي ابتكار — ليست دولة الادب من مملكة العلوم الطبيعية . فالاختراع والاكتشاف ملازمان العلم التجريبي او التحليلي لا ينفصلان عنه لانه شئني . اما الادب فنفسي واحكام النفس معلقة بصاحبها اما كفرد او كامة وما نفسية شعب من الشعوب الا هذه الصورة التي يرسمها لنا الشاعر اما خُلُقاً او املاً او حباً او حزنًا وما هذه النفسية الا نفسيته هو ضم فيها نفسية جيله فصفاها واختصرها وهذبها وارسلها قولاً مأثوراً

لذلك كان الابتكار في الادب معدوماً . فالادب عن قدماء اليونان يكاد يكون هو الادب عند الاوربيين الآن مع هذا الاختلاف البين في اللغات وفي طرق التعبير . الروايات التمثيلية التي تملأ الادب الاوربي مستمدة من الروايات اليونانية مهما غير القوم من لغة ومهما بدّلوا في اشخاص . لان الروح الادبية تكاد تكون واحدة — اما الاسلوب فلا يعد ولا يحصى فالاديب الاوربي المتغذي بكل هذا الماضي من الادب لا يمكنه ان يتجرد عنه ويبتكر . وماذا يبتكر ؟ انه يغير في الاسلوب وفي بيان اللغة ولكن روح الادب الاصلي هو هو فاذا كان الادب العربي ميراثاً لكل ناطق بالضاد فكيف يكون الاديب اليوم اديباً ان لم يتناول ميراثه فيستغلّه . وهل يجدر بشاعرنا اليوم ان يتجرد عن كل الشعر العربي منذ فجر العربية حتى الآن ويتملص مما خالط قلبه وعقله من مادّة تلقاها عنه وينطق او يفكر او يشعر بغير ما آل اليه

لا . انه ان فعل فليس بشاعر عربي
وأديبنا اليوم هو اديبنا البارحة انما تمشّى مع هذا العصر وتكيف وتحول وبقي الاصل كما هو . فالقول عن نقد الشعر بان شوقي أخذ هذا المعنى عن شاعر قديم حيث قال هذا كذا وقال ذاك كذا فقول لا يؤيده تاريخ الادب في كل الامم وليس نقداً بالمعنى المعروف

ولقد عرفنا على الكثير والقليل من مواطن القول ولم نتم صورة شوقي بعد قلنا ان النابغة في عرفنا بشر يسمو عن المستوى العادي ولكنه ليس الها لتساق اليه الصلوات والمدائح وينزه عن الخطأ

فاذا احببنا ان نشبهه بشيء فلعله بألهة اليونان اشبه — آلهة نسبوا اليها اشياء عظيمة ولكنهم جعلوا في طينتها خُلُقاً بشرياً ضعيفاً فكانت تعلو عن الناس في شيء وتسفل اليهم في شيء آخر، فجعلوا لها محبة البشر وحسدهم وجميع ما فيهم من ميول ليست مجردة عن الهوى في معظم الاحيان . وشوقي — في نظرنا — لا يكون النابغة الذي نحاول ان نصف ان لم يحمل نقصاً يشاركه فيه الكثيرون من الناس ولكنهم لا يشاركونه كل شيء آخر

ذلك تعلقه بالسلطان — نعني « الوظيفة »

فقد كانت أمنية شوقي منذ ما بلغ أشده أن يكون في ركاب الحاكم — أمنية تشفع له فيها شوقيته التي لا يهنا لها عيش إلا في ظل « الحكومة » ويشفع له فيها نسبه وقد كان يمتد إلى أصول هبطت بمصر حكمة أو في معية الحاكمين. ولكنها مني لا تليق بعبقريته وحالة لا يطيقها النبوغ إننا نضع الشاعر فوق العروش وعلى ظهور الحاكمين ونأبى له قفصاً ولو كان من الذهب الأبريز إننا نعجب بشوقي وتأخذنا هزة الفخر والطرب عندما نتلو آياته يعز بالاسلام ولكنها تعافه أنفسنا إذ يأتهم « بعبد الحميد الثاني » ويضربه لنا مثلاً ومعياراً لعظمة الخلافة ونغض الطرف خجلاً إذ يشتم بتابع ذلك الخليفة « عباس الثاني » فيقيم ثانياً في المجد والكرامة ليست القصور ولا دور الحكم بالمرتج الخصب لعبقرية الشاعر . أنه طير النيل ولسان العربية وروح الاسلام . فالفضاء والحرية به خليقان

وإذا فهمنا المتنبي يخلد سيف الدولة فذلك لأنه كان يمثل في تلك العصور كلما كانوا يعظمونه في الرجل من بطولة وكرم وحسب وتقدير لا شعر . أما وحال ابطال شوقي غير حال سيف الدولة فاي عذر له

إننا نستقل فيه ما كان يصبو إليه من لقب « شاعر الأمير » ونغتفرها له إذ يقول شاكياً لذلك الأمير :

« أليس من العز الممنوع أن ترى أمير القوافي في رحابك جاثياً »
ونفضل عليه الأخطل وإيامه غير أيام شوقي وبطش بني أمية غير بطش عباس الثاني إذ تلعب برأسه نشوة الخمر فتأخذ العزة بالاثم ويقول

إذا ما ندمني عليّ ثم عليّ ثلاث زججاتٍ لهن هديرٌ
خرجتُ أجرُ الذيل تيهاً كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

ولكنها هفوة وقع فيها قبله غير واحد من النوابغ فما جعلوا القاعدة مثلاً يصح أن يحتذى وما اغتفرت لهم إلا لما أولوه للامم التي نطقوا بلسانها من فضل يثبت على الدهور

وكانت الحرب العظمى فني شوقي واعتزل الأهل والوطن وأبت العناية البارة ببنائها العبقريين إلا أن تكون في خدمته . فليس للرجال العظام من مطهر وحافز وملهم مثل العزلة . وما أدى نبي رسالته قبل أن يعتزل الناس زمناً — فكان الوحدة رفعتة إلى مستوى نفسه مجلس يناجيها ويستوحىها خير ما نظم . فعاد إلينا بعد الاعتزال وقد تهرّد لتصوير الجمال النفسي فقال في الاندلس العربية وفي فراعنة مصر وفي جبال لبنان وأودية الشام ما يجعله في عداد الخالدين

وكانه شعر بدنو ساعة الرحيل وخاطبته الالهة الشعر قائلة انت ابني الحبيب وبك قد سررت فاتم لي فرحي . انهم ينعون على الادب العربي خلوه من الشعر التمثيلي وان شاعرنا يلتزم وزناً واحداً في قافية واحدة في قصيدة واحدة فلا يلبث ان يتشكى كميته الجري فيسقط وما هكذا ادب الافرنج

قم ارني انك النابغة الحق تقمصت روح عصره فيه فرأى من حوله ميدان التمثيل قد رحب بعد ضيق واتسعت مسارحه لغير الروايات الافرنجية تُنقل ولا يحسن نقلها او تمثيلها فنهض واذا به يضيف الى الادب العربي سفرأ من ابلغ اسفاره . وعندنا ان هذا الضرب من الشعر قد فتح ابواب الادب العالمي لابناء العرب على مصاريحه

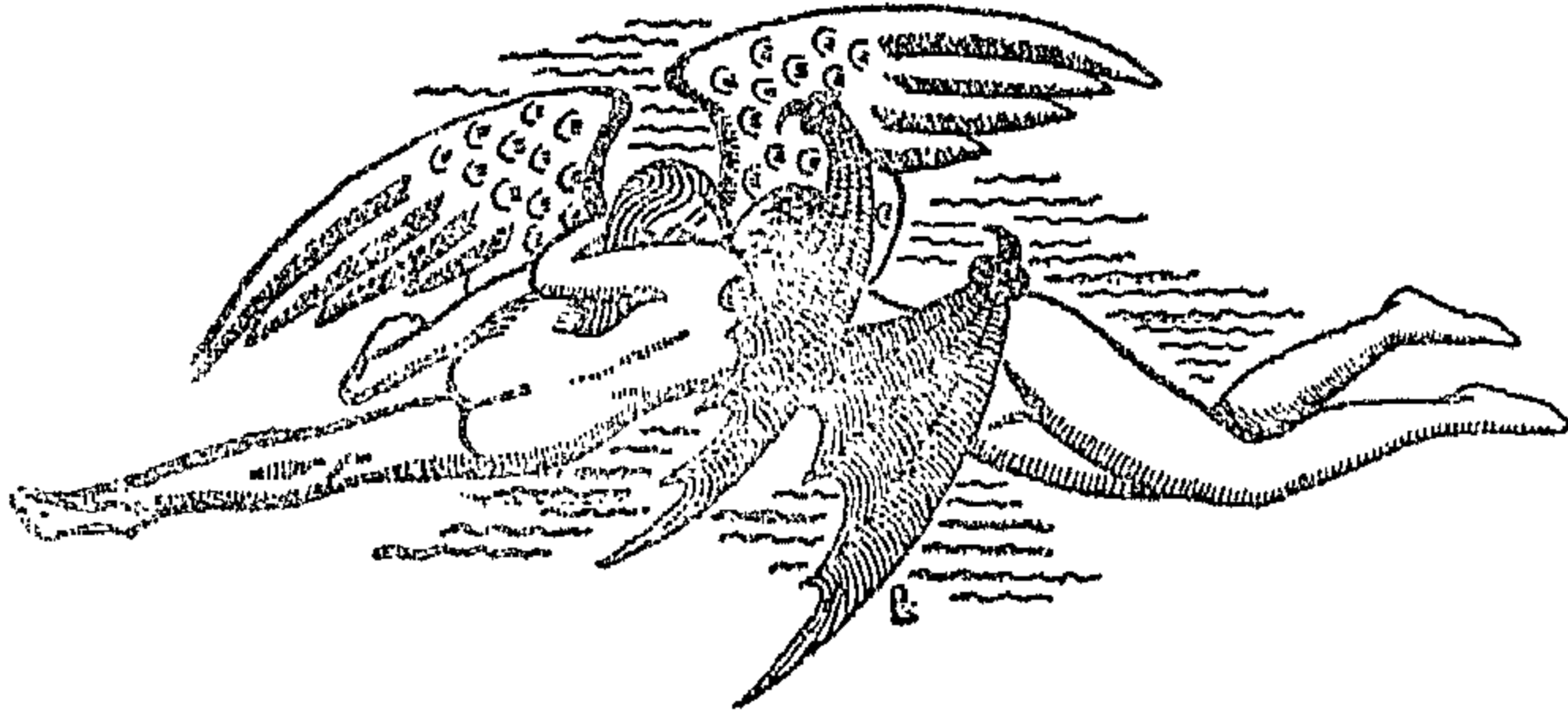
فاليونان والرومان وابناؤهم اوريو اليوم ما بلغوا الذروة في الادب الا من هذا الباب — فحسب شوقي انه مهتد الطريق وانارها وعسى ان يلهم الله من يرى هذا النور فيتم ما بدأ به شاعرنا العظيم

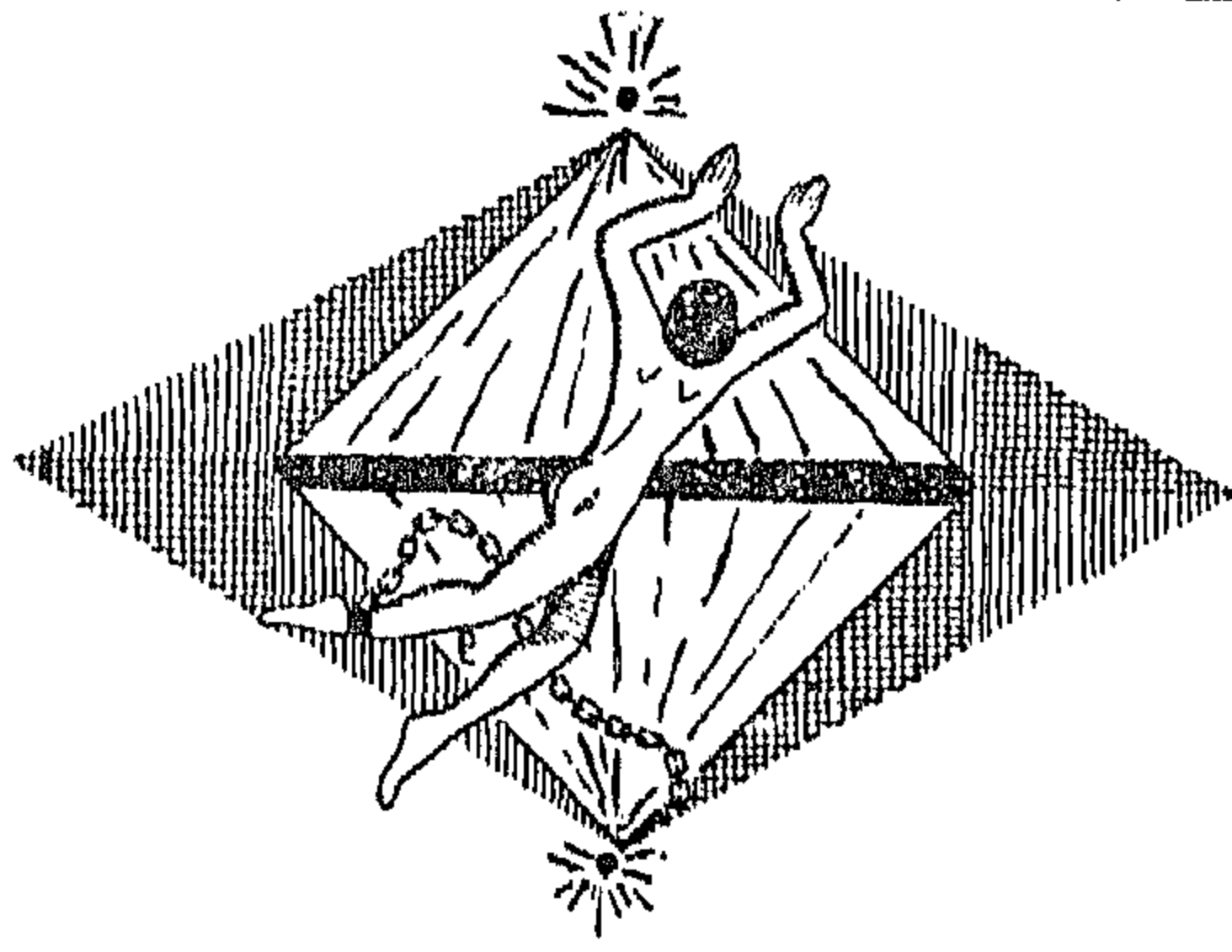
فجمال الشاعرية بل مجال الادب الخلق بالاسم هو هنا . فالصور متوفرة وما على الفنان الا ان يبرزها اما خلقاً — وما اكثر صور الاخلاق — او حكمة أو عاطفة أو غناء يثير الشجون

على اننا نعتز باننا لم نقرأ كل روايات شوقي التمثيلية وان نقد مثل هذا الفن يقتضي وقتاً طويلاً للتمحيص والموازنة حتى تعرف منزلة شوقي منه

ولكنه — كما قدمنا — يكفي ان دلنا على الطريق وقادنا الى حيث يمتنع الاقدام ويكره الاحجام فمثل شوقي لا يُبكي — فانه فينا ومنا مهما بقينا . انه منار يهدي واستاذ يرشد — موضع نحر الانفس ومحط آمال العواطف

سلام عليه يوم عاش فينا شاعراً وسلام عليه يوم هو في الخالدين شاعر





موت الشاعر

لعل محمد طه المرشدي

مَالُوا بِمَصْبَاحِ الْبَيَّانِ صَبَاحًا
وَمَضَوْا بِهِ إِلَّا شُعَاعًا لَمْ يَزَلْ
تَهْفُؤُ النَّجُومُ إِلَى سَنَاهُ وَتَغْتَدِي
وَعَلَى جَوَائِبِ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا
هَذَا شُعَاعُ الْعَبَقَرِيَّةِ لَمْ يَزَلْ
قَدَرُ الْخُلُودِ لَهُ وَبَارَكَ أَفْقُهُ
أَجْرَى الْبَيَّانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ
وَحَبَّأَ بِهِ الشُّعْرَاءَ مِنْ أَلْحَانِهِ
لَمَّا مَشَى فِي الْأَرْضِ فَجَرَّ صَخْرَهَا
وَأَنَارَ فِي شَرْفِ السَّمَاءِ نَجُومَهَا
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا ضُحًى وَكَأَنَّمَا

وَمَشَوْا بِهِ فِي الدَّاهِبِينَ رَوَاحًا
فِي الْأَرْضِ مُؤْتَلِقَ السَّيْنِ وَفَضَّاحًا
نَشَوَى كَأَنَّ مِنْ الْأَشْعَرِ رَاحًا
شَفَقَ تَقْلِيدُهُ السَّمَاءَ وَشَاحًا
يُؤَلِّي الْحَيَاةَ طَلَاقَةً وَسَمَاحًا
رَبُّ ارَادَ بِهِ هُدًى وَصَلَاحًا
غَدَقًا مِنَ السَّحْرِ الْمُبِينِ قَرَّاحًا
فَشَدَّوْا بِالسَّيْنَةِ الطُّيُورِ فِضَّاحًا
مَاءً وَلَضَّرَهَا رَبِّي وَبَطَّاحًا
فَتَسَلَّوْنَ مِنْ آيَاتِهِ الْأَلْوَااحَ
فِي كُلِّ دَاجِيَةٍ رَى مِصْبَاحَهَا

قُلْ لَابْنِ هَانِيٍّ لَازَوْتَ لَكَ كَرَمَةً
قَدْ كُنْتُ فِي أَمْسٍ نَزِيلَ رَحَابِهَا
أَلْقَى وَأَسْمَعَ عَبَقَرِيًّا مِنْهُمْ مَآ
يُؤَلِّي النُّفُوسَ بِشَاشَةٍ وَيُنِيلُهَا
أَنَسْتُ زَمَانًا بِالْبَيَّانِ وَأَهْلِيهِ
وَقَفْتُ بِي الدُّنْيَا عَلَى جَنَابَتِهَا

فَقَدَّ الرَّبِّيعُ هَزَارَهَا الْعَبْدَاحَا
فَنَزَلْتُ أَشْرَفَ مَا أَبْلَغُ سَاحَا
طَلَّقَ الْحَيَاةَ مَا جِدَا مَسْمَاحَا
أَدْبَا وَيَسْقِيهَا الْوَدَادَ حُورَاحَا
حَتَّى تَبْدُلَ أُنْسُهَا أُرَاحَا
فَرَأَيْتُ حُزْنَآ وَاسْتَمَعْتُ نُوَااحَا

يَغْشَى الرَّبِّي وَيُجَلِّلُ الْأَدْوَا
تَسْتَقْبِلُ الْأِمْسَاءَ وَالْإِصْبَاحَا
يَنْزُو وَيَقْطُرُ أَدْمَعًا وَجِرَاحَا
كَمْ عَبَّ مِنْ دَفَاقِهِ وَامْتِنَا
وَصَغَا الرَّبِيعُ بِوَجْهِهِ وَأَشَاحَا
يَسْرِي نَسِيمًا أَمْ يَهْبُ رِيَا

أَمْضَى زَمَانُ النَّابِغِينَ وَرَاحَا ؟
عَهْدُ الرِّسَالَةِ بِالْقَرِيضِ وَطَاحَا
اللَّهُ هَيَّاهُ لَنَا وَأُتَا
يَوْمًا وَلَا لَقِي الْخِيَالَ جَنَاحَا
صُورًا وَمَثَلَهَا مَنِيَّ وَطَمَاحَا
حَتَّى لَيْسَ نَطِيقُ وَحْيَهَا إِفْصَاحَا
فَتَرَى بِهَا الْغَادِينَ وَالرُّوَّاحَا
وَالزَّهْرَ لَطْفًا وَالْعَبِيرَ نَفَاحَا
يُعْجِي مَدَاهُ الْخَائِضِ السُّبَّاحَا
فِيرُدُّ عَنْ غَمَرَاتِهِ الْمَسَاحَا
وَإِذَا تَمَرَّدَ ، ذَرَهُ اللَّمَّاحَا
وَإِذَا قَسَا فَالْعَاصِفَ الْمُجْتَاحَا
وَيُوجُّ مِنْهَا ثَوْرَةً وَكَفَاحَا
مِثْلَ الْحَيَاةِ كَاثِبَةً وَمَرَّاحَا
مَاءً ، وَأَنَا جَاهِمًا لَفَّاحَا
يَجْلُو الرُّؤْيَى وَيُصَوِّرُ الْأَشْبَاحَا
مِنْ دُونِهِ هَدْيًا وَلَا إِصْلَاحَا
كَالشَّعْرِ رِيَا لِلنَّفُوسِ وَرَاحَا

فَلَقَدْ فَقَدْتَ الرَّامِي النَّضَّاحَا
جَاءَتْهُ مَا عَرَفْتَ لَدَيْهِ جَمَاحَا

وَشَهِدْتُ ظِلَّ الْمَوْتِ فَوْقَ ظِلَالِهَا
وَجَمْتُ وَكَانَتْ بِالطُّيُورِ شَوَادِيَا
وَذَوْتُ أَزَاهِرُهَا وَنُفَّرَ طَيْرُهَا
يَبْكِي مِنَ الصَّدْرِ الْوَرُودِ الْجَدُولِ
لَمَّا نَحَيْتُهَا تَزَايِلَ حُسْنِهَا
سَيِّئَانِ بَعْدَكَ يَا بَنَ هَانِيَّ ذَهْرُهَا

قُمْ وَابْنُكَ لِلشَّعْرِ النَّبُوغِ وَقُلْ لَهُ
وَاهْتَفْ بِصَوْمَعَةِ الْبَيَّانِ فَقَدْ خَلَا
وَلَّى بِسَرِّ الْعَبْقَرِيَّةِ شَاعِرُ
لَمْ تَسْعِدِ الْفَضْلَ حَتَّى بِمِثْلِ يَرَاعَهُ
شَعْرٌ حَوَى الدُّنْيَا وَنَسَّقَ حُسْنَهَا
يَسْتَتْلِيهِمْ الْأَكْوَانُ وَحْيَ جَمَاهَا
وَيُزِيحُ عَنْ مَاضِي الْعُصُورِ سِتَارَهَا
هُوَ مِثْلُ هَذَا الطَّيْرِ فِي صَدْحَاتِهِ
وَأَرَاهُ كَالْبَحْرِ الْخِضَمِ عُبَابُهُ
وَيُظَنُّهُ الْمَلَأُحُ طَوْعَ شِرَاعِهِ
يَهْدِي ، إِذَا هَدَى ، الثَّرَى أَصْدَافُهُ
وَأَرَاهُ حِينَ يَرِقُّ عَاطِرَ نَسْمَةٍ
شَعْرٌ يَشْفُ عَنْ الْحَيَاةِ وَدَاعَةٍ
وَيُبَيِّنُ مِنْ غَضَبِ النَّفْسِ وَصَفْوَهَا
وَيَفِيضُ مِنْ نَبْعِ الْقُلُوبِ فَاثَةً
وَالشَّعْرُ مِرَاةُ الْحَيَاةِ وَلَمْ يَزَلْ
وَالشَّعْرُ مِنْ أَدَبِ النَّفْسِ وَلَنْ تَرَى
وَلَقَدْ تَذَوَّقْتَ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ

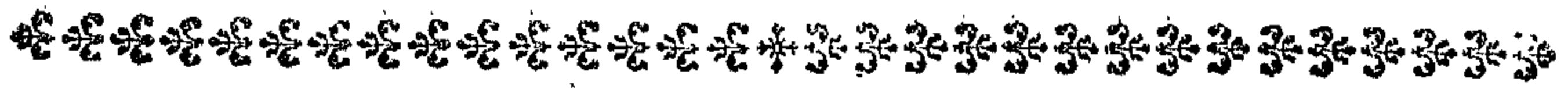
قُلْ لِلْكِنَانَةِ عَنْ رِمَائِكَ أَقْصِرِي
صَيَّادَ أَسْرَابِ الْجَمَالِ إِذَا رَنَا

يدني القصي من الشوارد لفظه
من كل معنى بالروائع حافل
وقصيدة كالروض باكره الحيا
من الطبيعة يستزيد جمالها
ذهب الذي غنى خبائل روضها
المرقص الزهرات فوق غصونها
والمُسعد الأيكات منه بمنهم
أوحى له المرح الوجود فصاغه
لما جلا سر الحياة لقلبيه
سبحان من أهدى الخيال يراعه
فتسمعه فلم يزل من شغره

ويروض منها النافر المراحا
يسجلى كما تجلى الشموس صباحا
فاهتز ريحانا ورف أقلا
غورا كآيات الكتاب وضاحا
حتى مددنا الى النسيم الرأحا
والمستخيف عبيرها الفواحا
كانت به الجنات قبل شجاحا
شدوا، وعامة النواح فناحا
أفضى بأسرار القلوب وباحا
وهدى له الإبداع والإسجاحا
شاد يهز بسحره الأرواحا

يا نازحا عنا نزلت بعالم
فاحلل بجنات الخلود ورو من
واملا من الزهر المنور والجنى
سترى الرسول على مطر روضها
يسغى (بحسان) إليك وأنتما
يختال في برديّة من بردة
يستاف من ميلاده شوقية
فاشرح هواك له وبث لواعجها
أبلغ إلى (صبري) التحية والهوى
وامسح دموعك عن أسيرة (حافظ)
وتساق أقداح المسرة معهما
واذكر على الأرض الشقية رفقة
في عالم ما زال في غلوائه
أشرق بوجهك في غياهب ليله
وأضئ على شطر الحياة منارة
وكنم الغداة وحسب روحك أن ترى

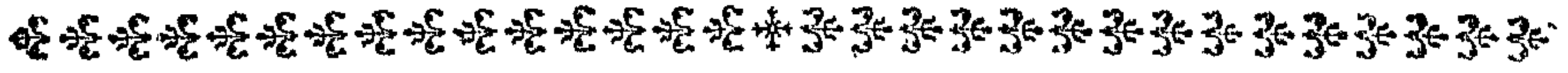
تلقى الأوبة فيه والنزاحا
عين النعيم فتوادك المستاحا
كفيتك واطرح عبئك الفداحا
يهدي إليك بيابها المفتاحا
وضحان من فجر النبوة لاحا
حالك القريض خيوطها أمداحا
الله كان لمسكها النفاحا
كانت لمن دموعك الشراحا
عنا وحي جبينه الوضاحا
فلقد لقيت بقربه الأفراحا
فلكم ملأت بدمعك الأقداحا
باتوا عليك يقلبون الرأحا
ومنى على رث الحيطام تلاحي
يخلع دجاء اذا جبينك لاحا
وأطلع بكل دجية مستباحا
من نور مجدك هذه الأوضاحا



حول حافظ وشوقي

وأثرهما في احياء الشعر العربي

د- سماعيل مظهر



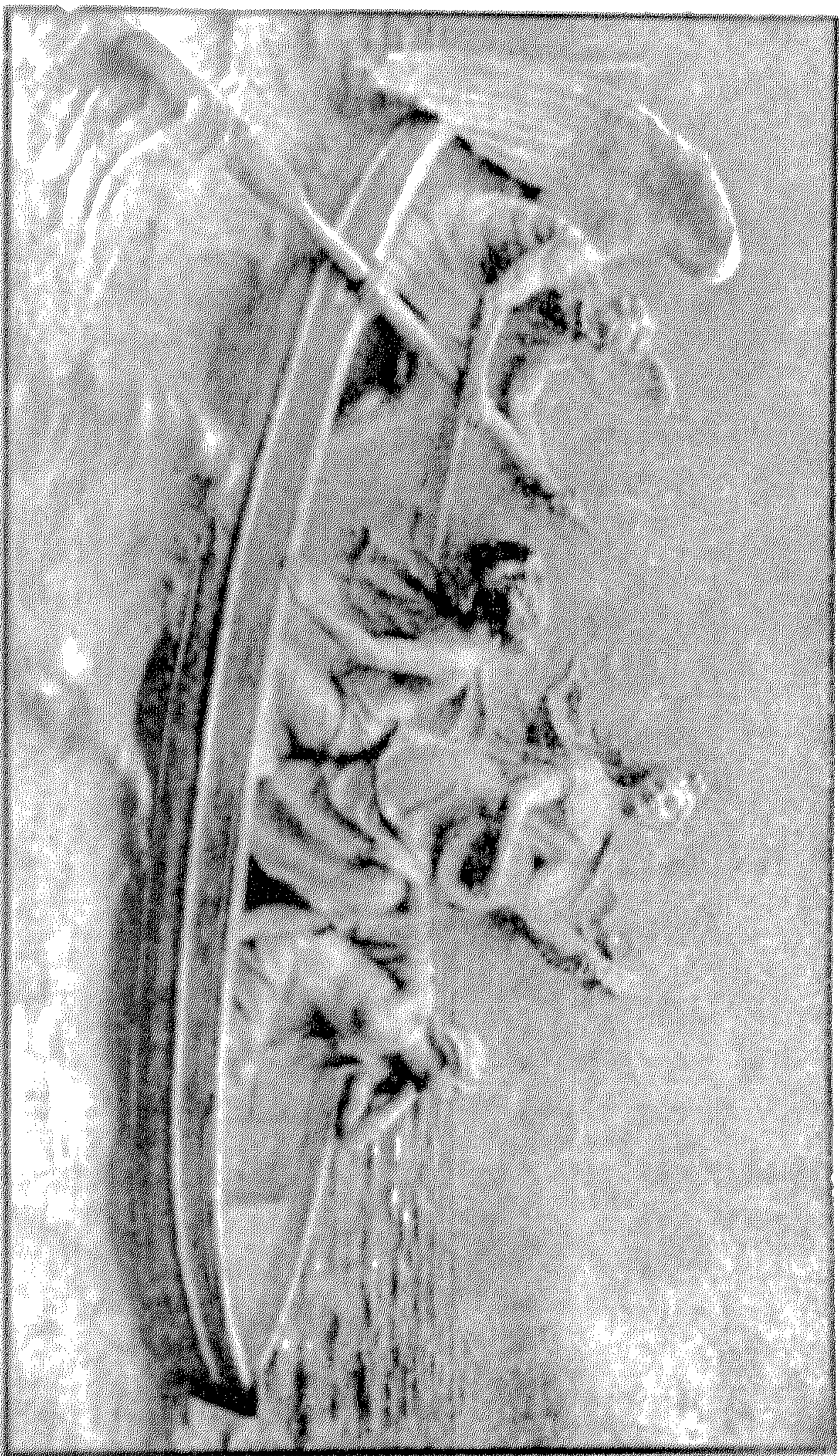
عاش حافظ وشوقي في عصر انتقال كثير فيه الكلام في الجديد والقديم ، وانتجى فيه النقد الادبي مناحي جديدة ، واتخذ معايير حديثة غير تلك التي عكف عليها ادباؤنا ، وسلك طرقاً مشعبة كانت تتاجاً للتوسع في المعرفة ولتأثير الاساليب العلمية الحديثة في النقد الادبي . وعلى كثر ما تكلمنا في القديم والحديث ، وفي النقد ، لم نستطع حتى اليوم ان نحدد العلاقة بينهما او ان نميز بين ما نعني بالحديث والقديم ، ولم نتمكن ، بعد من ان نضع لاصطلاح التجديد حدوداً محدّدة ومقاييس معينة نهتدي بها في ادبنا الجديد على ما يقولون . وأنت تقرأ في الادب القديم شعراً لم يشق له المجددون غباراً حتى اليوم ، كما تقرأ في الشعر الحديث قطعاً وقصائد يعاف القديم والحديث معاً ان تنسب الى الشعر ، بل هي بتراتيل المعابد اشبه منها بالشعر الذي يفتنهم بنا ابواب الحياة كما يقول هيكل . لهذا ارجع الى اختيار قطعة من الشعر القديم في الوصف نتخذها اساساً للبحث الذي زيد ان نمضي فيه علمنا نخلص من ذلك الى نتيجة يحسن الركون اليها في تحديد معايير النقد وفي التفريق بين معقولي الحديث والقديم . وهي قطعة في وصف فيل قالها ابو الحسن الجوهري واليك هي ، ثم احكم أيها الى الحديث اقرب ام الى القديم : —

فيل كرضوى حين يد	بس من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت	اكفانها برقاً ورعدا
رأس كقلة شاهق	كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدلا	ل مصعراً للناس خددا
يزهى بخرطوم كنه	ل الصولجان يرد ردا
يسطو بساريتي لج	ين يحطان الصخر هددا
اذناه مروحتان اسد	سندتا الى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضي	قتا لجمع الضوء عمدا

فكُّ كفوة الخلد يج ياك طول الدهر حقد
تلقاه من بُعد فتح سبه غماماً قد تبدى
متناً كبنيات الخو رنق مائلاً في الدهر كد
ذنباً كمثل السوط يض رب حوله ساقاً وزندا
يخطو على مثل أعمد ة الخباء اذا تصدى
او مثل اميال تضد ن من الصخور الصم لضدا
متملكاً فكأنه متطلباً ما لا يؤدى
متلفعاً بالكبرياء كأنه ملك مفدى
اذكى من الانسان ح تى لو رأى خلا لسدا

فقد تخيل بعض الادباء وان شئت فقل جلهم ، وكان تخيلهم خطأ ، ان كل قديم وكل ما ينسج على منوال القديم لا يمت الى نهضة الأدب الجديدة بسبب ولا يتصل معها بفكرة او اسلوب ، وان كل ما يخرج الأدب الحديث من الآثار لا يكون جديداً « ناهضاً » الا اذا تنكب طريق الأدب القديم وخالف اساليبه . وهذا في الواقع هو المحور الذي دار من حوله النقد في تصور القديم والحديث والحقيقة أن بين كل قديم وكل حديث اسباباً لا تقطع وعرى لا تفصم او تفصم عروة الأدب في مجموعته . وأنت ان اردت ان تقف على السبب الذي يرجع اليه ما يخرج الادب الجديد من آثار تبلغ نهاية السخف حيناً وغاية ما يصل اليه التفريط في توخي الأساليب المنتقاة حيناً آخر ، فلا تذهب بعيداً واعرف ان السبب ينحصر في انك لم تدرس القديم دراسة وافية ولم تستوعب اساليبه العليا، ولم تقف على نواحيه الكثيرة وطرائقه ومعايره اللغوية والأسلوبية . وكذلك اذا اردت ان تعرف السبب في اننا لا نستسيغ القديم بكليته فاعرف ان سبب ذلك هو اختلاف الاوضاع الاجتماعية وتشعب نواحي المعرفة والمخترعات والمكتشفات وتباين الذوق وتراخي حدود التصور الى آفاق لم يبلغها القدماء . على ان الخطأ يأتي من ناحية واحدة هي اننا لا نتخذ من مجموع هذه الحالات مقياساً يقف عنده حكمنا على القديم والحديث . أما اذا حاولت ان تنكر هذه الحقائق فهذه قطعة قديمة نريد ان يبين لنا اديب ما فيها من راحة القديم الذي يعافه الحديث . فاذا استطاع فنحن اول المؤمنين بأننا فيما نذهب اليه على خطأ واننا بعيدون عن الصواب

أما ما نريد ان نستطرد اليه ، ونتخذ فيه هذه القطعة شاهداً ، فتحدد أمرين احدهما فلسفي والاخر ادبي ، لهما اقوى الاواصر باعتبارات تقوم اليوم في الادب العصري . اما الاعتبار الاول فذو علاقة بمعايير النقد الادبي . فان اكثر الناقدين يتوخون النظر الى الكمال في نقد المؤلفات والآثار الادبية التي يتناولونها . وهم اذ يعجزون عن ان يجدوا لفكرة الكمال



رحلة الزمان

يُمثل الزمان شيخ مجتهد تمسك بجذائف التاراب — ثم أمر أدة تنغور الإمام فحي تمثل الزجاء (المستقبل) ثم أخرى تضرب على آلة موسيقية تمثل الطرب (الحاضر) وثالثة مسندة رأسها بذراعها لتعيد الذكريات فهي تمثل الذكريات (الماضي)

امام صفحة ٥٥١

مقطف دسمبر ١٩٣٢

معياراً صحيحاً، ينظرون دائماً الى المثل العليا في الشعر او النثر وقيسون عليها الآثار التي ينتقدونها، فيذهبون في الغلو او القسوة في النقد ابعد مذهب. على ان اتخاذ المثل العليا في المنتجات الادبية معياراً للنقد، ان كان ضرورة عقلية تقسرها عليها اذواقنا وتحملنا عليها مطالعنا، الا ان الناقدين يجب ان لا يذهبوا في تقديمهم الى الحد الاقصى من القياس على المثل العليا، بل يجب أن يتخذوا معياراً اكثر من هذا تسامحاً واقرب الى التجاوز، ليتمكن ان ينتج النقد نتائجاً وأن يصفو من كثير مما ينتابه من مظاهر التحامل والمفاضلة التي كثيراً ما يلجأ النقاد اليها عجزاً وجرياً وراء اساليب النقد القديمة. اما ذلك المعيار فينحصر في أن يكون النقد مقصوداً على قياس النسبة بين الآثار المنقودة وبين المثل العليا. فاذا توخى النقاد ذلك استقام النقد وخلص من كثير من المغالاة التي تلابس النقد في العصر الحاضر. وهذا يذكرني بفكرة بها الاديب « مكس نورداو » في احد مؤلفاته اذ قضى بأن ادراك الحقائق نسبي، وان هذه القاعدة عامة تنصرف على كل ضروب المعرفة الانسانية من علم وأدب وفن. ومثّل على ذلك بعدد من المكفوفين اخذوا يصفون فيلاً، فادرك كل منهم من الفيل بقدر ما احس من الجزء الذي وضع يده عليه. فالذي امسك برأسه قال انه « كقطة شاهق » والذي قبض على خرطوميه قال انه « كمثل الصولجان » والذي لمس اذنه قال انه « كروحة اسندت الى الفودين عقدا » ومن وضع يده في فيه قال إنه « كفوهة الخليج » ومن امسك بذنبه قال انه « كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزنداً » ومن احس قوائمها قال إنه « كاعمدة الخباء ». وهكذا فكل مصيبون ولكن بقدر ما وقع تحت حسهم منه، ولكن الحقيقة خفيت عليهم اجمعين. وهذا مثل النقاد في كل ضروب المعرفة الانسانية. فاذا راعينا ذلك خلصنا بالنقد الى الناحية التي تنقذنا من كثير من فوضى الادب في هذه الايام

اما الاعتبار الثاني فيتعلق بفكرة التجديد وتحديد العلاقة بين القديم والحديث والمعيار الذي يجب ان يقوم في دوائر الادب العليا ليكون اساساً لادراك العلاقة بينهما والتفريق بين هذين المعقولين. ولا زريد ان نذهب في هذا الامر مذهباً غير مقرر، بل نعود الى مبدأ قرره في انجلترا الاستاذ « جلبرت مري » G. Murray استاذ اللغة اليونانية في جامعة اكسفورد في كتابه « نشوء شعر الملاحم عند اليونان » The Rise of the Greek Epic ونكتفي بتلخيص ما ذهب اليه لعلنا بعد النقد نقبله كتصور يمكن ان يحدد العلاقة الادبية التي تقوم بين القديم والحديث: قال الاستاذ « مري » في ص ٢٣ — ٢٨ من طبعة اكسفورد سنة ١١١ ما ملخصه: يقرر الاستاذ « مري » أن اوربا وقعت تحت آصار الآداب القديمة حيناً من الدهر. وان الاساليب الاغريقية قد بلغت حوالى القرن الخامس قبل الميلاد، كما ان الاساليب الرومانية قد بلغت خلال الفترة التي تقدمت ميلاد المسيح والفترة التي تلت ميلاده، اقصى مبلغ من كمال الوضع

وانتقاء السياق وسيولة المعاني وسبك القوالب الكلامية في الشعر والنثر، وأن هذه الأساليب قد اتخذت مثلاً علياً حاول أن ينسج عليها الكتاب والشعراء، كما اتخذها النقاد أساساً يقيسون عليه أقدار الكتاب والشعراء فكان الدنوم من هذه الأساليب أو البعد عنها، أصبح المعيار الأصيل للنقد الأدبي ثم يقول إن أغريق العهد الأول ورومان العهد الثاني، قد استطاعوا أن يخرجوا من صور الأدب ما لم يستطع أخلافهم خلال ألف كاملة من السنين، وأن أدباء عصر الانحطاط كانوا يشعرون بهذه الحقيقة شعوراً كاملاً. ويعتقد الأستاذ مري أن هذه الحقيقة فيما يختص بالأدب بيّنة لا تحتاج إلى دليل، ولذلك ذهب يدلل عليها من فروع المعرفة الأخرى كالطب مثلاً الذي ظل حتى عصر النهضة الأوروبية واقفاً عند الحدود التي وصل إليها جالينوس وأبقراط ومضى في تدليله على هذه الحقيقة حتى وصل إلى التاريخ، فقضى بأن أي مؤرخ يحاول الآن أن يتخذ أسلوب ثوقديدس « Thucydides » اليوناني اماماً له في تدوين التاريخ أو شرح حوادثه، وأن كل قصصي يحاول أن يحذو حذو « اسخولس » إنما يشعر وشيكاً بأنه عاجز عن مجازاة الأساليب القديمة، لأنها لدى الحقيقة ليست مثلاً تحتذى في الأسلوب الأدبي، من حيث الجمال أو السداد. غير أننا إذا أردنا أن نفهم ما هو « الأسلوب » وآمناً بأن الأسلوب هو « الشكل » الذي يعبر عنه بالقلب الكلامي، وأن الشكل يتضمن « الروح » لأن لكل أسلوب روحاً خاصة تستمد منه روح الكاتب، استطعنا بعد هذا أن نعرف الحقيقة وأن نفقه تصور القديم فقهاً كاملاً. فإن ما نعني بالقديم ينحصر في عدد من المؤلفات تضمنت من الحيوية ما جعل الناس يستسيغونها ويشعرون بنفع من قراءتها، في حين أن غيرها من الكتب التي عاصرتها قد عجزت عن أن تبعث في الناس نفس هذا الشعور، وفقدت كل قيمتها الأدبية أو العلمية أو الفلسفية. ينبغي أن يكون في الكتاب الذي يحفظ قيمته التي سنة والإنسانية على اختلاف شعوبها مقبلة على قراءته والانتفاع به ولا تزال تطلب منه المزيد، سرٌّ غير معروف ولا مدرك. والإنسان بطبعه يميل إلى استجلاء هذا السر أو الوقوف على حقيقة الباعث الذي يحفظ لذلك المؤلف قيمته فيجعلها ثابتة على الزمان. وهذا في الواقع هو السبب الذي يحملنا على أن ندرس القديم في الأدب والفلسفة والفنون. أما السبب في بقاء هذه المؤلفات على الدهر، فيرجع إلى أن الشكل أو القلب، ثم الروح التي يحملها الأسلوب، تعيشان أكثر مما تعيش المادة. ومحصل هذا أن هنالك صفات تجعل الآثار الأدبية تعيش ولا تموت. والذي يعيش ندعوه نحن قديماً (كلاسيكاً) هذا ملخص رأي ذلك الأديب الكبير. والخطأ الذي تقع فيه إنما ينحصر في أننا لم نميز بين القديم الخالد والقديم الفاني. ولم نفرّق بين القديم ذا الروح والقديم الميت. بل أطلقنا القديم إطلاقاً تناول كل ما وصل إلينا عن القدماء، وحاولنا أن نفلت بأساليبنا منه جميعاً من غير تمييز بين مراتب القديم ومن غير أن نكون تصويراً يحدد اصطلاح القديم تحديداً يهديننا

السبيل السوي في الانتاج أو النقد. والحقيقة اننا يجب ان نعتقد ان القديم روح تبعث في الجديد حياة تكمن في تضاعيفه، إنما يسبغ عليها الأسلوب الجديد ثوباً جديداً فيظهر هذا وتختفي تلك. فإذا أضفنا إلى هذا ما ذهبنا إليه من قبل أن الأدب حياة تنظم الطبيعة حلقاتها في سلسلة متواصلة على مرّ العصور، لم نجد بداً من أن نقول بأن القديم والحديث اصطلاحان يربطان بين طرفي حقيقة واحدة، وأن حاجة الأدب إليهما ضرورة لا يستطيع أن يتخلى عنها طرفا الأدب، ونعني بهم دعاة القديم ودعاة الجديد

تعاصر حافظ وشوقي في هذا العصر، الذي لا يخرج عن أنه عصر انتقال وتطور. عصر لم تتميز فيه المقولات الأدبية، ولم تحدد فيه التصورات ولا الاصطلاحات، ولم يتخذ فيه النقد معايير قيمة يصح السكون إليها في تقدير الآثار الأدبية أو الشخصيات. لهذا نجد أن من افدح الظلم أن نمضي في تقديمها من غير أن نقدر الأحوال التي احاطت بهما وجعلتهما يتراوحان بين كفتي ميزان تشيلان أو ترجحان على مقتضى ظروف لم تمكنهما يوماً من أن يكونا فيها حكيمين أو بالآخرى زعيمين يتحملان مسؤولية الزعامة بما يترتب عليها أو ينتج عنها من الآثار. ولقد ظلم حافظ، كما ظلم شوقي، حينئذ، ولسوف يظلمان ميتين، بما خلعنا عليهما من القاب، لو علما الحقيقة أو علما ما سوف يترتب عليها لنبذها ولرضيا أن يعيشا غير متوجحين بها. وما قولنا شاعر النيل في أحدهما، وأمير الشعراء في الثاني، إلا مجرد تفريط في البذل وافراط في الغلو، سوف يحملاهما ما لا يجب أن يحملا من مسؤوليات النقد الذي لم يخلص شيء في هذا الوجود من سلطانه الثابت. وأول ما يخطر على ذهننا ازاء ذلك سؤال طبيعي. فإذا كان شاعر النيل وأمير الشعراء، قد عاشا في طور انتقال وتطور، فاي أثر تركا في حركة الانتقال وأي غذاء ذهني أو مذهبي غدياً به حركة التطور؟

لقد كانا في الوطنية كلا على السياسيين أو الوطنيين. كان شاعر النيل كلاً على مصطفى كامل وكان أمير الشعراء كلاً على الخديو. وتراوح كل منهما بين الكفتين على غير أساس من الفكرة أو الإيمان أو قيادة ناحية بعينها من نواحي السياسة أو الوطنية بثها في شعره. بل أن كل ما أخرجنا في السياسة من الآثار لم يتعد أن يكون نواحاً على الماضي أو بكاءً على الحاضر أو مثلاً يضرب للعظة. أما أن يكون لهما أثر في تكوين الفكرة السياسية أو زعامة ناحية منها، فتلك دعوى لا نظن أن ناقدًا يستطيع أن يدعيها لأحدهما أو أن أحدهما كان يستطيع أن يدعيها لنفسه في العشرين السنة الأخيرة كان شوقي وحافظ في أوجهما الأعلى. وفي العشرين السنة الأخيرة شهدت مصر أول بوادر الاتصال بحرية الفكر في العلم والفلسفة. فيها خرجت الصحافة على تقاليد القديمة وخرج المفكرون على الأساليب التي ورثوها عن القدماء. فيها ترجمت كتب عامية كان مجرد ذكر اسمها أو اسم مؤلفيها تمجيداً وكفراً، وفيها هوجمت التقاليد العتيقة

بعنفٍ وشدة في بعض النواحي ، فلم يتحرك الشاعران ، وكأنهما في غور من كهف الزمان ، بل لم يحرك حافظ إلا اسم أرسطوطاليس عند ما نشر الأستاذ لطفي بك السيد ترجمة كتابه الاخلاق ، وأرسطوطاليس كما نعلم جميعاً كان سنادة الكنائس والشيخ في نصرانية العصور الوسطى ، وسنادة اصحاب المذاهب في صدر الاسلام ، وعلى تتالي عصور عديدة . بل لانذهب بعيداً اذا قلنا ان حافظاً لم يحركه أرسطوطاليس ولا كتابه في الاخلاق ، بل حركته علاقة الصداقة والود . ورابطة الحزبية مع مترجم الكتاب . وان هذا لا دخل في التدليل على ان شاعر النيل وأمير الشعراء ، كلاهما كان بعيداً عن ان يمدَّ حركه التحرير الفكري بببت واحد من الشعر ، وكذلك موقف شوقي ازاء أرسطوطاليس وترجمته لا يختلف كثيراً عن موقف حافظ وكانت امامهما الطبيعة عطرة فياحة ، عبقة وضاحة . كان امامهما الانسان بما فيه من اسرار ومخايل وحقائق ، فلا نظرا في الطبيعة ولا شديداً بالانسان ، فكأنهما قد انكرا في شعرهما الحياة ، حياة الطبيعة ، وحياة ابنها الشاعر . وكانت امامهما مشكلات مصر الاجتماعية التي تطورت بتطور الفكر والاتصال بالمدينة الغربية الحديثة . كانت امامهما مشكلة المرأة وحرية التعليم ونظام الطبقات وعلى رأسها جميعاً مشكلة الفلاح الاجتماعي . أكل التطفل الاجتماعي في مصر عظم الفلاح ولحمه ومص دمه الزكي ، وحطت عليه الامراض بأنواعها وانتابته النوائب والكوارث وناء عليه الفقر وعملت فيه الخصاصة ، ولا يزال حتى اليوم يعاني من آثار ذلك الخراب والدمار والجوع . كل هذا والشاعران في شغل بالرائاء والنواح على الكثيرين ممن يهتمون اكبر مسؤولية فيما وصلت اليه حالة الفلاح من الانحطاط في هذا العصر

وكان امامهما بعد كل ذلك مختلف ابواب الحياة مادية وعقلية . فهل ارضيا الفن ام نصرا الدعوة الى العلم الصرف أم اخذا بيد الفلسفة ؟ ليس شيء من هذا بواقع في حياة شاعرينا العظيمين . وان دعوى تحاول نقض هذا لا تحتل النقد ساعة واحدة

اذن فماذا كان الأثر الذي تركاه في حياة مصر والشرق ؟ كانا الجسر الذي عبر عليه الادب من القدماء الى ابناء الزمان الحاضر ، احيا سنة الاسلاف وسارا بها الى الاخلاف في صورة لا تختلف كثيراً عن الصورة التي طبع بها اسلافنا الشعر ، ولا تقرب قيد أنملة من مثاليات العصر الحديثة ولقد كان فرقهما من التعرض للشؤون الاجتماعية التي لها صلة بالدين عظيماً حتى انك لن تقع في شعرهما على بادرة تدل على تعبير عن دعوة لاصلاح حال الزوجية والقضاء على تعدد الزوجات او زواج الاطفال او نظام الحالات الشخصية التي ظل يحتكم فيها شرع الأئمة حتى عصرنا هذا الا قليلاً . هذا في حين ان الشعر أداة قوية وفأس بارة تقطع في اصول الاشياء حسنة وقبيحة ، بقدر ما تقطع كل ادوات الادب الاخرى مجتمعة

هذا في النواحي الاجتماعية . فهل كان لها أثر ثابت في تغيير أساليب الشعر ومناهجه القديمة

أو صبه في قوالب جديدة لم يألفها القدماء ؟ وهل نهض بالشعر خلاً وثاقه من معايير العتيقة ؟

للشعر القديم اساليبه ومعايره ومثالياته . كما ان له حدوده التي لم يخرج عنها أو يكون قد افلت من ذلك الاطار الذي وضعه القدماء للشعر ليكون شعراً ذا قيمة ووزن قياساً على ما تكون في اذهانهم من تصورات هي بحكم الحالات الاجتماعية وضيق افق المعرفة وعدم تحيز اسلوب الفكر الحر ، غاية ما استطاع القدماء أن يكونوا من معايير الشعر وغيره من مختلف المعلومات والفنون . ولقد تكونت شاعرية حافظ وشوقي من الاكباب على نماذج القدماء ، فقد نهلا من اساليب شعراء العصر العباسي ومن اساليب شعراء الاندلس قدراً كبيراً صبغ شعرهما بصبغة قديمة تسمع فيها رنات شعرية نعث بها في دواوين شعراء الصدر الاول من المخضرمين ونخامة الالفاظ التي امتاز بها كثير منهم ، ممزوجة بكثير من رقة الاندلسيين ، حتى في الرثاء وهو يملأ نصف ديوان حافظ وثلاث ديوان شوقي ، فانك تجدتهما قد اكبأ على الاسلوب القديم وذكر صفات الميت والطعن في خصومه او خصوم الشاعر ، وعلى الجملة تستطيع ان تقول انهما لم يفلتا من القيود التي قيد بها القدماء الشعر . اما ا كبر ميزة امتاز بها الشعر القديم فارتباطه بالارضيات ، سواء في الوصف ام في الخيال ، ولم يتعال قط الى المثل الآلهية العليا ، التي امتاز بها كثير من الشعراء المحدثين في الشرق والغرب . ولقد عكف القدماء على الاكثار من ذكر الحسيات ، سواء في ذلك الشعر الذي ندعوه جاهلياً ، ام الشعر الذي ندعوه شعر ما بعد الاسلام ، فان اروع ما في معلقة امرئ القيس او الاعشى خلاعة شنيعة ، واكثر ما في شعر زهير حكيم كالتى تجري على ألسنة الوفود اذا مثلت امام الملوك صيغت شعراً ، وكلها ممسوسة بالحسيات والشهوات ، وعلى الجملة بكل ماهو ارضي دون ماهو سماوي . اذن نقضي بان شاعرينا قد عكفا على اساليب القدماء صياغة وموضوعاً ومكانتهما تنحصر في انهما احيا الشعر في عصر اتخذتهما فيه الطبيعة حلقتين من حلقاتها الحية لتعبر من فوقهما جسر الزمان وتسل من طريقهما بين الاسلاف والاخلاف . لم يحدثا من انقلاب جديد لا في الاسلوب ولا في الفكر ، ولم يحاولا ان يدرسا الحالات القائمة من حولهما لا في الناحية الاجتماعية ولا في الناحية العلمية او الفلسفية . اما ما حاولا في هذه الناحية فلا يخرج عن انه خرج في شعرهما مكدوداً مهزولاً ، شأن من يرى الاشباح عن بعد كبير ، فحاول ان يصفها ويميز تفاصيلها ، ولكنه لا يصف الا اشباحاً تتخيل له في نهاية الافق العريض

ذهبت من قبل في الشعر مذهباً مؤداه ان العرب عرفوا الشعر بانه الكلام الموزون المقفى أي الكلام الذي يجري على بحر من محور الشعر الموضوع ، وينتهي بقافية واحدة ، وعندهم

ان كل ما يجري هذا الجرى من الكلام شعر . والحقيقة ان هذا التعريف الذي ينصرف على اكثر ما قاله العرب من الكلام الموزون المقفى أبعد الاشياء عن تعريف الشعر . فقد يكون كلام موزون مقفى وبينه وبين الشعر بعد ما بين الموت والحياة من الفروق ، وقد يكون كلام منشور يمت الى الشعر بأقرب الاسباب . اذن فالوزن والقافية لا يكونان الشعر ، بل على الضد من ذلك يستعين الشعر بالوزن والقافية لتكون له تلك الانغام الموسيقية التي تميز الشعر عن بقية ضروب الكلام . واذن تكون الشاعرية اصل اداتها الوزن والقافية ، على الضد مما ذهب اليه العرب من القول ، بأن الوزن والقافية اصل اداتهما الشاعرية . واذا جارينا العرب على تعريفهم فقد وسعنا حدود الشعر ، ولكن قتلنا الشاعرية . واذن وجب ان نضع تعريفاً للشعر هو عندي ما قال به الاستاذ « كرتوب » استاذ الشعر في اكسفورد ومن كبار الادباء والمؤلفين ، وهو ان « الشعر عبارة عن الهام يصدر عن شاعر موهوب . اما مصدر ذلك الهام فأمر يعدو حدود البحث والانتقاد » . وانما تزيد الشاعرية او تنقص بمقياس حده الاوسط مقدرة الناقد على تتبع مصدر الهام في الشاعر ، فاذا استطاع النقد ان يصل الى عمق يعرف عنده مصدر الهام ، فالشاعرية ناقصة غير كاملة ، واذا عجز النقد عن ان يصل اليه ، فالشاعرية قريبة من الكمال . وانت تنظر في ديوان من دواوين الشعر فيستوقفك بيت او ابيات انت تشعر بأن الشاعر نفسه لم يدر كيف صب معناه في ذلك القالب من الكلام واللغة ، وتشعر بأن المعنى والتصوير من صنع الهام لا من قوة الصناعة . من صنع الطبع لا من التلعب . وانما تقاس شاعرية الشاعر بقدر ما في شعره من اثر هذا الهام . وعلى هذا لا يبعد ان يكون الشعر عبارة عن تعبير عن الوجدانيات بالماديات من طريق الهام . لا من طريق الصناعة ولا التكلف . ولا شك عندي في ان هذا المذهب ينقص من مجموع ما يعتبر شعراً في كل لغات العالم ، لا في اللغة العربية وحدها . ونحن لو اردنا ان نستخلص الشعر الحقيقي من دواوين الشعراء ، لقل الشعر قلّة لا نتصورها ، ولكن نكون قد فزنا بالشعر الذي يؤثر في النفوس ويقوي مشاعرها ويحفز عزيمتها ويهذبها ويذكها ويخلق فيها الاخيلة الجديدة ويحرك القلوب ، ونكون قد خرجنا من الشعر بأثرة التهذيبي ونكون قد فصلنا بين الشعر الوجداني الصحيح والنظم ، وفرقنا بين معقولين من معقولات الادب ، لكل منهما مركزه وخطره من مستحدثات العقل الانساني . ولن تقع في العالم كله على ديوان يزيد فيه الشعر الصحيح على الشعر المنظوم اي يزيد فيه الهام على الصناعة . وشاعرانا لا يعدوان هذه القاعدة . ولكن قد يتفاضلان في شيء واحد . فان ما في شعر شوقي من الوجدانيات يرجح ما في شعر حافظ وما في شعر حافظ من جزالة لفظ وقوة سبك يزيد ولا شبهة على ما في شعر شوقي

وانت لا تنكر ان الوجدان اكثر ما ينطلق مع الرثاء . واكثر ما يأتي به شاعرانا ،

لا ينطلق من الوجدان وإنما ينطلق من الأرض السابعة . فمرثية شوقي الأولى في مصطفى كامل هي بذاتها قصيدته التي سماها شهيد الحق ، مع اعتبار فوارق الزمان والظروف . واليك نتفاً منها

إلام الخلف بينكمو إلاما وهذي الضجة الكبرى علاما ؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض وتبدون العداوة والخصاما
واين الفوز ؟ لا مصر استقرت على حال ، ولا السودان داما ؟
واين ذهبتمو بالحق لما ركبتم في قضيته الظلاما
لقد صارت لكم حكماً وغناً وكان شعارها الموت الزؤاما
الى ان يقول : شهيد الحق قم تره يتيماً بارض ضيّعت فيها اليتامى
اقام على السفاه بها غريباً ومراً على القلوب فما اقاما
سقمت فلم تبت نفسي بخير كأن مبهجة الوطن السقاما
ولم ار مثل نعشك اذ تهادى فغطى الأرض وانتظم الاناما

وتجري القصيدة كلها هذا المجرى . وعندي ان هذا الرثاء نظم لا يخرج عن انه كلام محبوس في قوافٍ وأوزان . وإذا أردت ان ندلك على هذا فاقراً مرثية شاعرنا علي محمود طه في فوزي المعالوف لترى الفارق بين شعر الصناعة وشعر الوجدان :

رفت عليه مورقات الغصون وحفنه العشب بنواره
ذلك قبر لم يشده المنون بل شاده الشعر بآثاره
بناه من لبنات الفنون وزانه المجد باحجاره
التي به الشاعر عب الشجون واودع القلب باسراره (١)

قابل الآن بين الأرض السابعة التي تخرج منها مرثية شوقي والسماء السابعة التي يهبط منها خيال المرثية الثانية . ان في الأولى نظماً وصناعة ، اما في الثانية ففيها الوجدان والقلب . في الأولى الحضيض وفي الثانية العلاء . وان كان في هذا دليل على صحة ما نذهب اليه من معايير الشعر ونقده ، ففيه دلالة اخرى على ان الشعر العربي قد ولد ميلاداً جديداً . اخذ يخاطب السماء بعد ان كان يخاطب الأرض ، ورفع رأسه إلى قمة العلاء ، بعد ان كان مطأطأ الرأس الى الحضيض ، ولا يكاد يرى ما تحت قدميه في الأولى يخاطب شوقي الجماهير والسياسيين والملوك . وفي الثانية يخاطب الشاعر الشعر وآلهته والموت وسلطاناه والفن وعظمته وشجون القلب وجارف الدمع وسياه :

« ودهر على العالم دارت رحاه فلم تدع رسماً لاطلاله »

تستطيع أن تصيغ كل ما في القصيدة الأولى نثراً فلا يخرج عن كلام الجرائد الذي تقرأه كل يوم ولا تشعر بانك تجهد نفسك في الصياغة ولا في اخراج المعنى . اما اذا حاولت ذلك

في المراثية الثانية ، فانت مكدود الوجدان تأثر النفس ، تختلف على روحك الآثار وتلابسك حالات لست تدريها . وهذا هو الشعر ، وما دونه النظم والصناعة

تتكوّن صناعة النظم من عناصر يمكنك ان تحسبها ، وفي مقدورك ان تحددها . تتكوّن من الاوزان والقوافي والموسيقى واللفظ والمعنى وروح الشعر . اما «الشعر» فمِمّ يتكوّن ؟ اما يتخذ الشعر هذه العناصر أدوات يستعين بها على أن يبرز مصوغاً في قوالب هي الصناعة الشعرية اما الشعر فليس من هذه القوالب في شيء . أنه « جوهر » عرضه الصناعة ، وأنت اينما بحثت عن الجوهر لتدركه بحواسك فانك عاجز ما لم تستعن بوجدانك وروحك ، لا بحسك وحده . فاذا وقعت على الشعر الصحيح رأيت أنه ليس الوزن ولا القافية ولا اللفظ ولا المعنى ولا الموسيقى ، اما هو شيء غير هذه جميعاً . مثلك لو أخذت قطعة من المادة بين يديك وحاولت على قول القدماء ان تميز فيها بين الجوهر والاعراض . فليس الجوهر هو الثقل ولا اللون ولا الطول ولا العرض ولا الضورة ولا أي شيء مما يجري مجرى الاعراض المحمولة في الجواهر . اما الجوهر فاین هو ؟ هو موجود ادراكاً ، لان الاعراض محمولة فيه . اما وجوده حساً ، فذلك ما ليس في استطاعتنا ان نصل اليه . اما اذا ادركت هذا ، فانت مفرق اذن بين « الشعر » ، وبين صناعة النظم

طوى الشعر العربي صفحته مرتين ، ونشرها مرتين خلال تاريخ اللغة العربية . بظهور الاسلام طوى الشعر العربي صفحته الجاهلية ونشر صفحته الاسلامية الاولى ، ثم طوى صفحته هذه بسقوط الدولة العربية عن عرش الخلافة وظلت مطوية حتى هذا العصر الذي قدر لحافظ وشوقي ان يكونا الرائدین اللذين يفتحانها مرة أخرى . على ان هذا الحكم يظهر جائراً اذا لم نبين عما نقصد من ان حافظاً وشوقي كانا رائدي الشعر الذي يفتحان صفحته بعد ان طويت هذه القرون الطوال بعد ان سقطت الاندلس وخرجت من يد العرب ، طغى على الشعر العربي روحان متناقضان احدهما دنيوية وأخرى أخروية . طغت على فئة من الشعراء روح الاستجداء بالشعر يتخذونه وسيلة لقضاء الحاجات الدنيوية ، وعكف اهل الاسلام على الفقه وعلى العلوم الاسلامية يتخذونها سلوى عن خروج الحكم من ايديهم وسقوط دولتهم . وشملت فئة أخرى روح التصوف فكان منهم شعراء غلب عليهم التصوف وروح التفقه في الدين من طريق غيبي ، فكانوا يتخذون الشعر طريقاً الى بث روحهم والى الغاز الشعر ليتوجهوا به الى الطريق الاعلى ، ولكن في قوالب دنيوية ، ومثلهم ابن الفارض ، لاني لا اذكر من اهل الباطن وغالبهم عاج الشعر ، ليكون وسيلة لتأدية رسالته من فاقه من حيث الدنو من روح الشعر بقدر ما قرب اترا به من روح التفقه . اضف الى هذا اثر العجمة الذي اذاعه الخارجون عن السليقة العربية في ابواب الادب العربي ، وزد الى هذا وذاك اغراض السياسة عليها اللعنة ، فان السياسة خلال كل العصور ما

أبرزت من أثر ثابت اللهم إلا إفساد ما أنبتت روح المجتمع من الامجاد ، وما اشادت روح المجتمع الانساني من شيء إلا وكان طعنة لمفاسد السياسة . واذكر بجانب كل هذا نظام القطاعات الذي وقعت تحت عبئه اكثر ممالك الاسلام ، بما فيه من روح الاستبداد والاستعباد واحتكام الجهل ذي القوة ، بالعلم ذي الضعف والاستكانة ، وطلب العالم والاديب والفيلسوف رزقه من افراد جهلاء وان كانوا امراء ، ومن جماعات اشد من هؤلاء جهلاء ، و تلك المصيبة انست ما تقدمها وما لها مع طول الدهر نسيان

ولقد ارخى ذلك الليل البهيم سدوله على جوانب العالم العربي من العراق الى مراکش ومن شمال سورية الى مصر ، وعصفت بالعروبة الروح المغولية فانت على كل ما فيه من صور الادب ، ولم تترك فيه قائماً ولا صعيداً ، ولم يفلت من اثر تخريبها إلا بضعة الآثار التي نجدها اليوم بين ايدينا من مخلفات العرب والمستعربين ، تلك المخلفات التي نجت من ذلك السد العظيم الذي اقامه هؤلاء كوا على نهر دجلة بمجلدات المكتبة العربية في بغداد . واتى زمان استعجم فيه أهل البربر وسوريا كرهاً في الروح المغولية ، وانت اليوم تشعر في كثير من مجامع سوريا انك في قطعة من فرنسا ، وانك في جزائر واق الواق اذا هبطت تونس والجزائر او مراکش ، وكنت تشعر وانت في مصر انك في حلقة اذكار عاشت فيها كل التقاليد الدخيلة على الاسلام والعروبة ، ولم يبق من اسس المجد الذي اقامته الدولات العربية إلا كتاب الدواوين محبوسين في اقفاص من استبداد الامراء وارادتهم ، مكرهين على ان يعيشوا بعيدين عن التأثير في اهل زمانهم ، او ان يحيا من الادب العربي ما دارت عليه رحي المغول في كل انحاء العالم العربي فتركته خرائب واطلالاً

وعجز القدر عن ان يضيف إلى تلك السلسلة التي تصل دائماً بين ماضي الانسانية وحاضرها حلقات جديدة من ابناء آدم وحواء قروناً ، استطاع بعدها ان يضيف اليها حلقتين هما حافظ وشوقي ، فوصل بهما بين ماضي الادب العربي وحاضره ، واحيا بهما روح العروبة الصحيحة بعد ان عدت تلك العاديات عليها . وفي هذا يتكبر كل ما يمكن ان نعزو اليهما من عظمة خالدة اما الموازنة بينهما فلا نستطيع ان نقول فيها إلا ان كلا منهما يمتاز بناحية خاصة ، وان لشوقي المنزلة الاولى على كل حال . ولو اننا أردنا ان نستطرد إلى نقد شعرهما اذن لضائق المقتطف عن ان تسع ما نكتب ، وانا لنبقى على ذلك لفرص أخرى عسى ان تتاح لنا

ولقد اختتم الشعر العربي بموت الشاعرين العظميين عهداً وفتح عهداً ، ولا اغالي اذا قلت ان الشعر العربي سوف يفوق فيه كل الصور التي تتالت عليه منذ فجر التاريخ الى اليوم . سيغزو الشعر العربي نواحي الطبيعة وابواب الحياة ، ويؤثر في المجتمع ذلك التأثير الثابت الذي لن يحدته إلا الشعر ، غير مشوب بأرجاس الذات والتهالك على الارضيات

حافظ واللغة العربية

للشيخ عبد القادر المغربي^(١)

الفجيرة في حافظ هي فجيرة اللغة العربية فيه ولم ينشأ الجمع العلمي إلا لخدمة هذه اللغة. والحرص على ارضائها : فاذا بكت اللغة بكى الجمع . واذا صاححت اللغة : واثكلاه واوحيداه صاح الجمع صياحها : واثكلاه واوحيداه ! وهذه لغة الضاد في موت (حافظ) اقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السلماينة : تبكي في مأتماها هذا حافظاً وتندبه « لبنان^(٢) يبكيه وتبكي الضاد من حلب الى الفيحاء الى صنعاء » وان اجتماعنا هذا صورة مصغرة للمأتم الكبير الذي اقامته اللغة لتأبين حافظ. وأقولنا في هذه الحفلة انما هي صدى نديها وعويلها :

« لقد^(٣) رزئت أم اللغات وحيدها فان لم تكنه فالأب البر والجددا »
« مشيت تتلو في خلف نعشك كلما دما باسمها الداعي اجدا لها وجدا »
« فلما بلغت القبر خررت لوجهها تضج وتشكو من تباريحها الجهدا »
حافظ ايها السادة هو الشاعر الشاعر . وهو فوق ذلك لغوي وأخباري أما كونه شاعراً فأمر لا يجبهه احد . ومن يجهل ان « حافظاً » كان اذا قال شعراً لا يلبث أن تتناقله الافواه . وتتلمظ بحلاوته الشفاء ؟ . شعر حافظ يمزج بالعاطفة فيولد فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيولد فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان فيغرس فيه ملكة الفصاحة مدارس كتب الأدب . واستظهار الفصيح من نواذر اللغة ، لا يمنح النفس واللسان ملكة الفصاحة بقدر ما يمنحها شعر ك شعر حافظ : نقي اللفظ منسجم الأسلوب مشرق الديباجة يعبر عن خواج النفس الوطنية الثائرة فيحفرها نحو مطامعها العظمى . وينير امامها الطريق الى مثلها الاعلى . شعر حافظ كالمصباح يمشي نوره بين ايدي ابناء امته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون . شعر مثل شعر « حافظ » يحيي لغتنا ويحقق قوميتنا ويثبت اقدامنا في اوطاننا . كان (حافظ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أمته . لا لخدمة شهرته . وإن فتى عربياً او فتاة عربية تحفظ من شعر حافظ قصيدة (غادة اليابان) او قصيدة « خرج الغواني يحتجب » ن وبت ارقب جمعته »

فتستفيد منها ملكة في اللغة الفصحى . وحمية في حب الوطن . اكثر من مئة قصيدة غامضة المعنى .

(١) من محاضراته في حفلة تأبين حافظ في الجمع العلمي العربي بدمشق وقد نشرت في مجلته
(٢) من مرثية احمد شوقي في حافظ (٣) من مرثية احمد محرم في حافظ

اعجمية الأسلوب . ولولا اني اتكلم عن (حافظ) من ناحيته اللغوية لسردت لكم شواهد تؤيد ما ذكرت على ان احداً منكم قلما يجهل ذلك من امره . ومعظمكم يستظهر الكثير الطيب من شعره نحن معشر العرب اصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر اوضاع اجتماعنا ولم نخل لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة ايضاً . لم نخل من تنسين هائل يوائها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التنين هو فكرة مشؤومة ترمي الى احياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى . ها هي اللغة العربية في حدود سنة (١٩٠٠) اي منذ ثلاثين سنة تقف على ضفاف النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الاعضاء والهة ذاهلة . تندب نفسها . وتشكو مصابها : « يا ويح أهلي أبلي تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون ما دأني »

داؤها ايها السادة هو ما خامر نفوس أبناءها من زهدهم فيها . وانصرافهم عنها إلى غيرها من اللغات الاجنبية . والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة إحياء اللغة العامية تلك الفكرة الممثلة في أحد دهاة الانكليز (المستر ويلمور)

هبط (المستر ويلمور) مصر في ذلك الحين . وقام بدعاية واسعة النطاق للغة العامية المصرية . وخطب في الموضوع وكتب . وحاور وناظر . وألف كتاباً نشره على المصريين . يدعوهم إلى فكرته . ويقنعهم بصحة رأيه . ومما يؤسف له أن يجد (ويلمور) أنصاراً له من الشعبويين . شايعوه على رأيه . وأقاموا ضجة في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة . وكادت تكون لويلمور ولا شياعه الغلبة لو لم تصدمهم نهضة حماة اللغة الفصحى . وفي طليعتهم فقيدنا بالامس (حافظ ابراهيم) فيرفع صوته في وسط تلك الضجة . منشداً قصيدته الخالدة . على لسان اللغة الفصحى : تخاطب ابناءها وتسألهم إغاثتها . فتقول :
أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادي بوادي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتمو بما تحته من فرقة وشتات
ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :

أرى كل يوم في الجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير أناة
وأسمع للكتّاب في مصر ضجة فأعلم أن الصالحين نعاني
ثم تحضهم على الاخذ بالحزم في دفع الضر عنها :

فيا ويحكم أبلي وتبلى محاسني ومنكم وإن عزّ الدوائ أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
ثم ذكرتهم بجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :

سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يعزّ عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته لهنّ بقلب دائم الحسرات

وعاتبهم على ميلهم الى اللغة العامية المزوجة بالالفاظ الافرنجية

أيهجرني قومي عفا الله عنهمو الى لغة لم تتصل برؤاة
سرت لوتة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات
جاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
وعادت اللغة الفصحى إلى وصف مزاياها والتساؤل لماذا عفا عنها بنوها . وهي لم تقصر في
خدمة دينهم وحضارتهم . فقالت :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق اسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدقاتي

ثم عيرت أبناءها بالغريبين الذين عزوا لما عزت لغاتهم فقالت :
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعةً وكم عز اقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفشناً فياليتكم تأتون بالكلمات
ثم ختمت شكواها بتقديم إنذار مخيف إلى الكتاب الحسني الظن بلغات الإفرنج وآداب الإفرنج فقالت :

الى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكائي
فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبئ في تلك الرموس رفائي
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بمات

كانت هذه القصيدة من شعر (حافظ) من أمضى الاسلحة التي شهرت في وجهه (المستر
ويامور) فأخفقت دعوته . وطويت رايته . ونكص على عقبيه إلى بلاده . وكان أمير الشعراء (احمد
شوقي بك) يشير إلى هذا الموقف المحمود الذي وقفه (حافظ) في وجه دعوة (ويامور) فقال في رثائه له :

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها وإمام من نجلت من البلغاء
ما زلت تهتف بالفصيح وفضله حتى حميت أمانة القدماء

وكما حنق (حافظ) على (ويامور) حنق أيضاً على المستر (بلنست) الانكليزي الذي اشتهر في الدفاع عن
القضية المصرية ضد قومه الانكليز : فان هذا الرجل كان يرفع من شأن القصص العربية السخيفة العبارة
ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القصص المسمى (إبيك) وانها إيلياذة عربية صغيرة
فما كان قوله هذا ليسر (حافظاً) بل كان يحسبه خدعة ودعوة إلى اللغة العامية

ثم إن فوز (حافظ) في هذه المعارك نشطه إلى متابعة العمل في نصرة اللغة . فاستمر
يحجي فصيحها . وينثر الدر من كلماتها إلى آخر نسمة من حياته . بل كان في مجالسه . وبين طلاب
الادب المطيفين به — كأنه (استاذ سيّار) يصحح أغلاطهم . ويرشدهم الى الفصيح من
القول . والصحيح من الاساليب . اما مقدرة حافظ اللغوية العملية فتتجلى لنا في الالفاظ الفصيحة
التي كان يودعها قصائده ومصنفاته . وقد شهد له بهذه المقدرة (الشيخ ابراهيم اليازجي) :
فقد كان يستجيد ذوق حافظ في اللغة . واختيار فصيح كلماتها . قال الشيخ عبد العزيز البشري

« إن (حافظاً) لا يرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لان هذه المعاني تقع للدهاء والعامية . وإنما جلال الشعر وبهاؤه في اشراق الديباجة . ونصاعة القول »
وقال خليل بك مطران : « لحافظ غرام باللفظ لا يقلُّ عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على البيت الذي جاد معناه . فإذا فاتته الابتكار في تصور المعنى . لا يفوته الابتكار في تصويره باجزل الالفاظ . وأبلغ الاساليب » . إذن يمكننا القول بان (حافظاً) كان لغويًا من الوجهة العملية التطبيقية كما كان لغويًا من الوجهة العاطفية القومية

وكثيرون من نقاد الادب المعاصرين حمدوا الله على أن كان أسلوب (حافظ) في شعره غير أسلوبه في نثره . فقد كان رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة والسلاسة . أما في نثره فأمره على العكس . كان يتأنق فيه وينضب نفسه في انتقاء كلماته . لكنه لم يوفق الى جعله سهلاً سلساً . فلم يعد نثره مقبولاً الا لدى الخاصة وجهازة الادب

على أن بعضهم مهد لحافظ طريق العذر : كالاستاذ لطفي جمعه فإنه قال :
« ان (حافظاً) على كلِّ قد احسن الى قراء العربية وكتّابها : وذلك لانه أنعش أسلوب الكتابة . وحفز الهمم للبحث عن الالفاظ الجزلة . وأثري كتابة الصحف أثراً نافعاً »
ثم إن عناية (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على اشدّه في ترجمة (البؤساء) فلم يرض ذلك أنصار الادب الحديث . وإنما أَرْضَى أنصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فإنه رحمه الله كان يعجب بكتابة حافظ وما تضمنته من الالفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدى إلى استخراج كتاب البؤساء فندعو الله ان يزيد بؤساً حتى يزيدنا من هذا الادب الجميل »
ولا غرو ان يرحب مجمعنا العلمي بنثر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لاننا معشر أعضاء المجمع أول ما يهمننا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحة . وان تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يميتة الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعوبية

واللغات كما تنمو باضافة كلمات أجنبية اليها تنمو بأحياء القديم الفصيح من كلماتها . وقد تظن (حافظ) إلى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات . وان كتابه (الاقتصاد السياسي) الذي ألفه أو ترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) لينتقف الطلاب على هذا العلم . ويقرر لهم قواعده لكنه أودعه من (الالفاظ الكتابية) ما جعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب علم واقتصاد . وكذلك شأنه في كتابه (سطيح) الذي نقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصة نسب روايتها الى من سماه (سطيحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكان ينبغي ان تستجمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الاساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الالفاظ الجزلة وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه إلى العربية بؤساء (فيكتور هيغو) . وفيكتور هيغو جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتادها طبقته . فالسوقي العامي مثلاً لا يتكلم بلغة العالم الأديب . ولا العكس . وطريقة (هيغو) هذه مطابقة للمبدأ

الذي قرره أديب العرب الأكبر (الجاحظ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوقه وألفاظ العامة أن تروى كما هي أي مغلوطة ملحونة والأذهب رونقها وضعف تأثيرها وشاعرنا (حافظ) رحمه الله كان كلفه بفصيح اللغة وجزل ألفاظها يحمله على أن يترجم كلام السوقه من أبطال البؤساء بعبارة نخمة الألفاظ لا ينطق بها عادة إلا الفصحاء فالبنساء الذي يبني رصيف الشارع إذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات (تيامن ثم تياسر) و (ركب المحجة) و (ما أخلقك يا فلان بكذا) . هكذا (حافظ) ترجم لنا كلام البنساء الافرنسي . ووصف لنا فرساً بأنه (سحير . عصب . أهنع . أدك . مفتوح اللبان) و(فلان لبث معلقاً بخيط من الاجل تحت شقي مقص الفناء) ... الى غير ذلك مما حملة ولوعه به على استعماله في غير موطنه . مواطن هذه الكلمات كتب الادب و (المقامات) . لا القصص والروايات . فحافظ بهذا الاعتبار خلق لغويًا كاتبًا . بل كاتبًا مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً . اما هو في الشعر فعلى العكس : اذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة تدل على شرهه وحرصه . فمن ثم لم يكن لغويًا في شعره . كما كان لغويًا في نثره . ولكن هذا الشره الى غريب اللغة في النثر إن كان ساء اقواماً فإنه لم يكن ليسوء مجتمعنا العلمي الذي يحرص على ان تحيي اللغة العربية بإحياء الفصيح من كلماتها . والقديم الرائع من تعابيرها . لذلك كانت فجيعة المجامع اللغوية بحافظ من جهة لغته ونثره تعادل بل تفوق فجيعة الامة العربية به من جهة نظمه وشعره

وصفنا لكم (حافظاً) العضو في مجامع اللغة والادب أما (حافظ) العضو في مجالس الانس والطرب فاليكم طرفاً مما يتسع له المقام :

يظهر أن أهل (حافظ) تنبأوا يوم ولادته بأن سيكون مولودهم كثير الحفظ لاخبار العرب وأشعارهم ومستملح نوادرهم فسموه (حافظاً) . روى اصدقاء (حافظ) انه كان يعمل على وضع مصنف في المرقص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من اروع ابياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب . حتى بلغ نصفه . فاختار لبعض الشعراء مثلاً قوله :

ولا بد لي من جهلة في وصاله فهل من كريم اودع الحلم عنده

واختار لغيره غيره وهكذا . وان اتسع (حافظ) في حفظ بليغ اشعار العرب على هذه الصورة اثر فيه ذوقاً في اللغة العربية . فكان انتق الشعراء المعاصرين عبارة . وأصحهم تركيباً . وأكثرهم تدقيقاً في اختيار الفصيح الرائع من الألفاظ . وليس هذا فقط بل إن حفظه لاخبار العرب جعله نديماً ظريفاً : غير مملول المجلس . ولا مأجوم الحديث

وقد استحسن الدكتور (زكي مبارك) ان نطلق على (حافظ) ومن كان على شاكلة من حفظ اخبار العرب — كلمة (محدث) قال . وهو الذي يسميه الافرنسيون Censeur وانا

لا اوافق الدكتور على ما قال : لان لقب (المحدث) غلب في لغة الاسلام على راوي احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمة اخرى احق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبة الى التبحر في الاخبار. والاتساع في الرواية

وقد كان (الجاحظ) اكبر (اخباري) قام في الاسلام. وبعده المسعودي والحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة وغيرهم كثيرون . وسمي (الجاحظ) هذا العلم (علم الخبر) وأثر عنه انه قال (علم الخبر هو علم الملوك) . وعلى هذا يمكننا ان نقول : ان حافظاً كان اكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا . كما كان (اناثول فرانس) اكبر استاذ في هذا العلم عند الافرنسيين . وكان (حافظ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوق في هذا العلم : استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتب اليه هذين البيتين :

قل للرئيس جزاه الله صالحةً بأن شاعره بالباب ينتظر
إن شاء حدثه أو شاء اتحفه بكل نادرة تُروى وتبتكر

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه في زيارته الاخيرة لبلدهم — انه ابرع اخباري واطرف نديم عرفوه في حياتهم. ولولا وقار (مأتم التأين) لروينا لحضراتكم شيئاً من ملحمة الادبية مما يدل على شدة ذكائه . وقوة حفظه

على انني مهما اغفلت ذكر خبر من اخبار حفظه . لا احب ان يفوتني ذكر خبر مستغرب اتفق له مرة في نسيانه : . ذلك ان (حافظاً) يحفظ اخبار الاولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقة وثبوت . ولسكنه مع هذا ذهل مرة عن خبر (قصر الجزيرة) الذي كان للخدوي اسماعيل ثم اتخذ فندقاً لكبار السياح ثم صار قصراً لآل لطف الله — فروى لنا (حافظ) ان هذا القصر اصبح (بستان حيوان) . وذلك قوله من قصيدة^(١) وصف فيها ذلك القصر :

كنت بالامس جنة الحوريا قص — فأصبحت جنة الحيوان

ولعمري ان نسيان (حافظ) لخبر هذين القصرين اللذين هما على مرمى سهم من نظراته . وطالما لمحهما في غدواته وروحاته — أمرٌ مستغرب جداً زويه في غرائب أخباره بعد مماته . كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته . وهذا النسيان من (حافظ) يشبه ما روى عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده انه استأذن يوماً على بعض إخوانه . فسأله الحاجب عن اسمه . فأطرق يتذكر رحم الله (الشيخ عبده) ورحم (حافظاً) . وهل ترون الزمان . أيها الاخوان . يخلف علينا مثلها في العلماء والشعراء ؟ إن فعل نكن حقاً من السعداء

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٢)

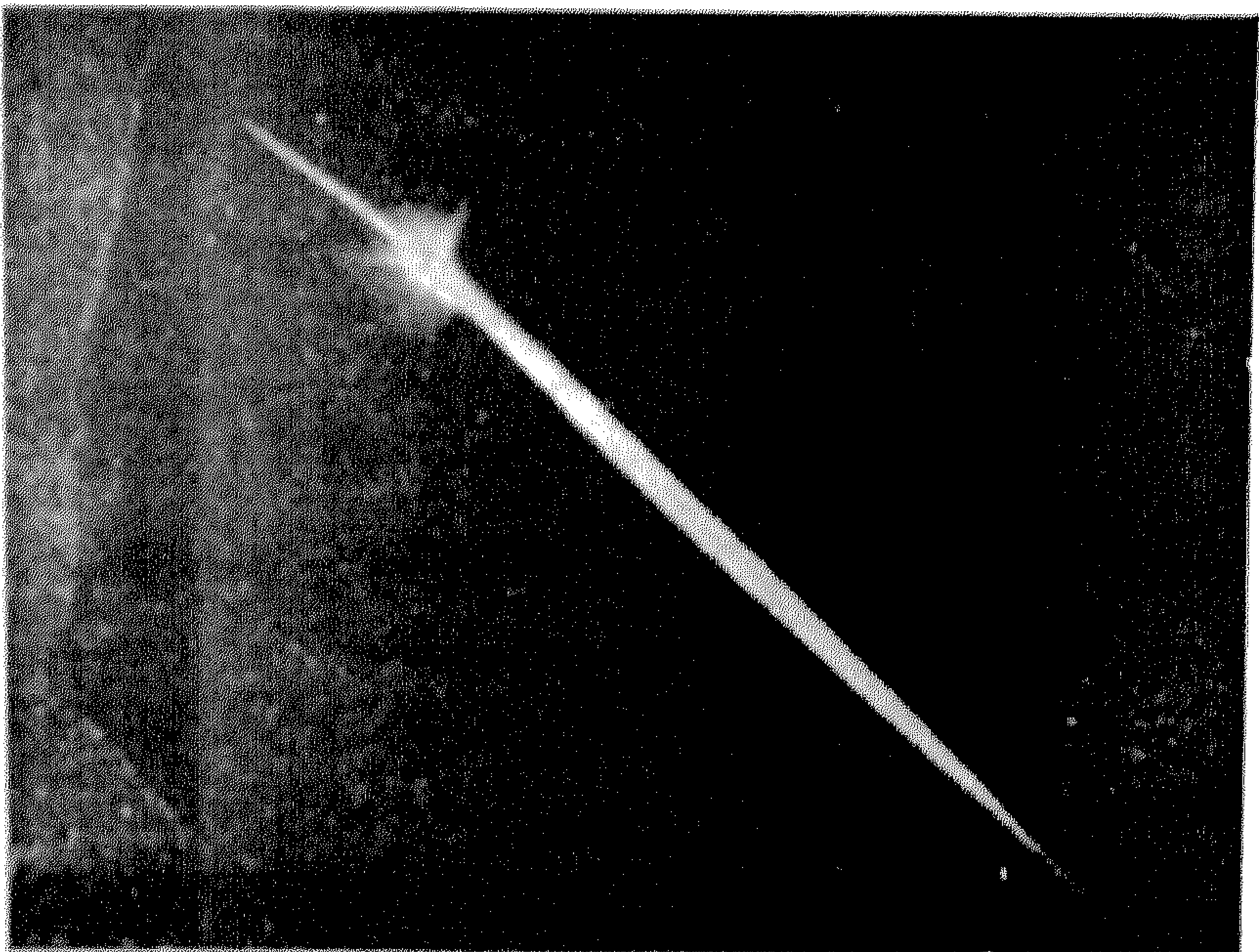
الشهب



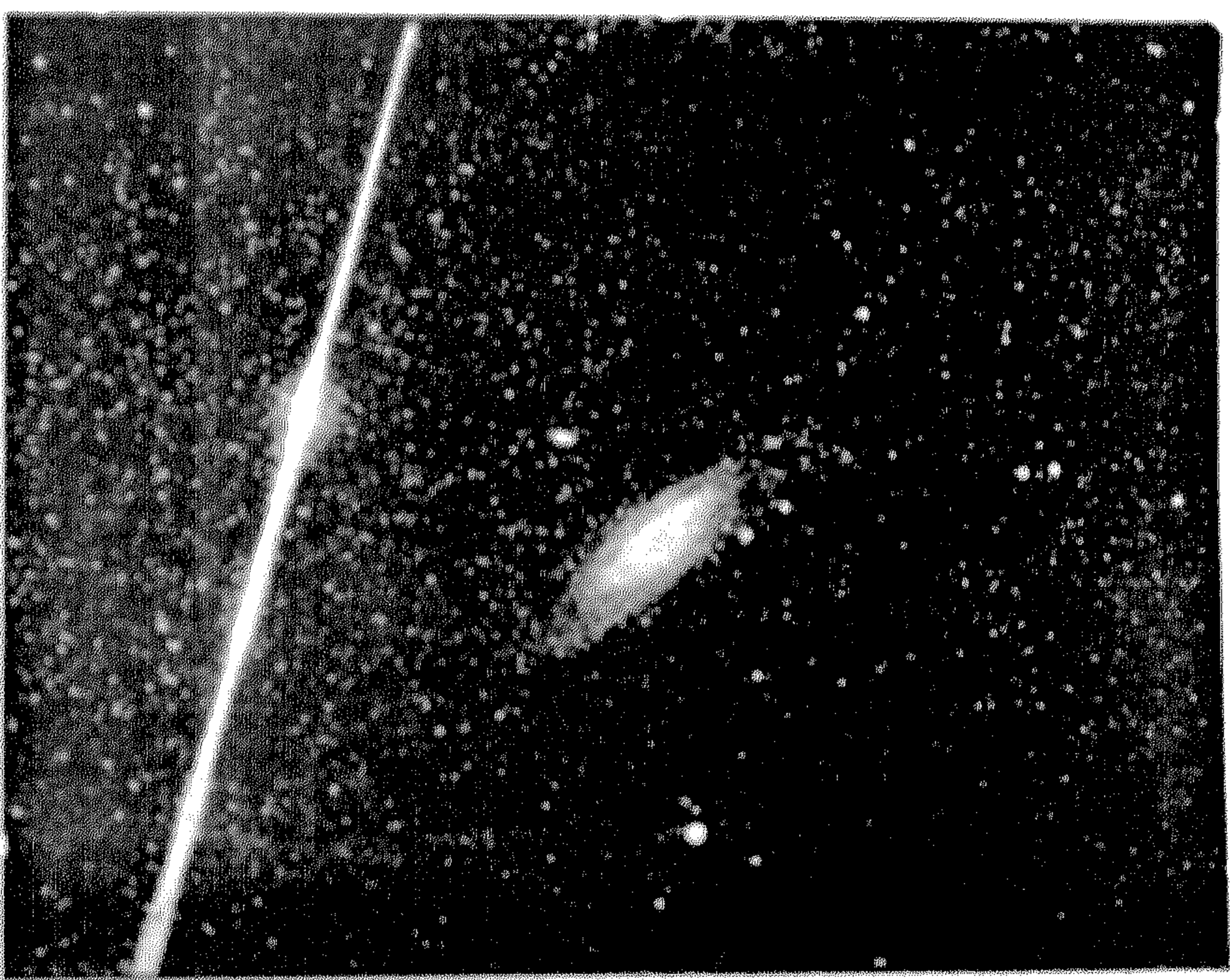
الشهاب ما يرى في الليل كأنه كوكب انقضى من ناحية في السماء واختفى في ناحية أخرى . وقد اصطلح الذين كتبوا في علم الفلك الحديث بالعربية^(١) على ان النيزك شهاب كبير ينقض كالشهب ولكنه ينفجر أو يسمع لانهجاره صوت شديد ثم يختفي . والرُّجُم شهب او نيازك تصل الى الارض كججارة معدنية مفردة رَجُم

ومنظر الشهب المنقضة من اروع المشاهد الطبيعية وأبقاها أثراً في النفس . قال الدكتور نمر في المقالة المشار اليها في الهامش : « فلن ننسى هول ليلة شهدناها ايام الصبوة وقد انقضت شهبها حتى غصبت بها الآفاق وانبهرت بسناها الآفاق . وكان الرجال يهللون ويكبرون والنساء راخيات الشعور ينادين بالويل والاطفال تضيح والمدينة في هرج ومرج كأن الأرض خربت وكواكب السماء تساقطت . والذي يعتري العامة الآن كان يعتري الناس من قديم الزمان ولذلك علقوا حدوث هذه الحوادث بأنباء لها وقع وشأن . روى مؤرخو العرب ان ليلة وفاة الخليفة ابراهيم بن محمد في شهر اكتوبر سنة ٩٠٢ للمسيح انقضت كواكب السماء حتى استنار بها الفضاء وخيل للناس ان عيون السماء تبكي على الخليفة نجوماً . وروى المؤرخون الفرنسيون ان شهب السماء انقضت انقراضاً عظيماً في ٢٥ ابريل سنة ١٠٩٥ حتى كأنها منهل المطر او متناثر البرد فتطيروا بها وخافوا من انقلاب عظيم في النصرانية » ووصف السر روبرت بول Ball الفلكي الانكليزي وابل الشهب المنقضة في ١٣ و ١٤ نوفمبر سنة ١٨٦٦ قال ما ترجمته : كان الليل حالكا لغياب القمر والسماء صافية وامتازت الشهب المنقضة بكثرتها وشدة تألقها . ففي تلك الليلة المشهودة كنت اقوم بعمل العادي وهو رصد السدم بمنظار رأس العاكس . وكنت اعلم ان علماء الفلك تنبأوا بانقراض وابل من الشهب ولكنني لم اكن اتوقع ذلك المشهد الرائع الذي رأيت . وكانت الساعة نحو العاشرة اذ سمعت من احد مساعدي صوتاً حوّلني من المنظار الى قبة السماء فرأيت شهاباً منقضياً تاركاً وراءه خطاً طويلاً من الضياء ثم تلاه آخر ثم جعلت الشهب تنقض جماعات فدل ذلك على ان تنبؤ العلماء قد صبح او كاد ولبثنا ساعتين او ثلاثاً نتمتع بمشهد لن يمحي من ذاكرتي . وزاد عدد الشهب المنقضة حتى اصبحتنا لاندري لكثرتها في أية ناحية نراقبها فكانت تارة تنقض فوق رؤوسنا وطوراً الى اليسار او الى اليمين . ولكنها كانت كلها منبعثة من نقطة عند الافق . فلما تقدم

(١) الدكتور فارس نمر في مقالة عنوانها « الشهب والنيازك والرجم » في مقتطف مارس ١٨٨٤ صفحة ٣٥٥ وكتاب الظواهر الجوية في الباب التاسع والدكتور صروف في بسائط علم الفلك صفحة ٧٤



شهاب اجتاز لوحة التصوير في خمس دقيقة
أمام صفحة ٥٦٧



نيزك وهو الشهاب الذي ينفجر ويسمى لا تجاره دوي
مقطف ديسمبر ١٩٣٢

الليل وارتفعت كوكبة الاسد فوق الافق الشرقي ، ورأينا مساري الشهب صادرة منها «
ووصف احد الكتّاب وابل الشهب الذي شوهد في شمال اميركا الشمالية في ٩ فبراير سنة
١٩١٣ قال ما خلاصته : «ظهر بغتة في الشمال الغربي جسم ناري احمر واصفر ذهبي له ذنب
فسار الهويناء في خطٍ افقي الى ان بلغ اقصى الجنوب وغاب عن الابصار . ولم يكده يغيب
حتى ظهر مجموع من الاجسام النارية اقتفت اثره ، وسارت سيره كأنها سرب من المركبات
النارية ، مؤلف من اجسام مجموعة مثنى وثلاث ورباع . ولكل منها ذيل يحرقه وراءه . ولما
غاب ظهر مجموع ثالث . والغريب بطء سيرها ^(١) — لبعدها — وانتظامها مثنى وثلاث
ورباع . ولما مر نصفها ظهر جسم كبير جداً . . . فلما غاب آخرها سُمِعَت خمسة اصوات
او ستة كالرعد آتية من الشمال الغربي » . ويرى الدكتور فشر احد علماء مرصد هارفرد ان مشهد
هذا الوايل اروع مشاهد الشهب التي وُصفت

﴿ حجمها ﴾ الشهب اجسام مادية مظلمة منشورة في رحاب الفضاء او تدور في افلاك معينة
حول الشمس ، تلتقي بها الارض في مسيرها حول الشمس بسرعة ١٨ ميلاً ونصف ميل في
الثانية . ومعظم هذه الاجسام دقيق الحجم لا يزيد عن الرمل الدقيق او رشاش البنادق او
الحصى الصغير . فاذا دخلت جو الارض وهي سائرة بسرعة كسرعة الارض او تفوقها ،
اصطدمت بالغلاف الهوائي ، فتخف سرعتها ، وتحوّل طاقة حركتها الى طاقة حرارة
— تتباين حرارة هذه الاجسام اذ تتألف من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ درجة سنتغراد — فلا تلبث
ان تضي . فهي اذاً لا تضي الا بعد ان تدخل جو الارض على نحو سبعين ميلاً فوق سطحها
وتختفي في الغالب ، بعد ان تنفذ مادتها ، على خمسين ميلاً ، بعد مسير يبلغ طوله نحو ٣٥
ميلاً — لانها لا تنقض في خط عمودي — وقد قدر الاستاذ شاپلي مدير مرصد جامعة
هارفرد ان نحو عشرة ملايين من هذه الاجسام تدخل جو الارض كل يوم ، ولكننا لا نرى
منها الا طائفة قليلة ولو استعملنا المنظار ، لان بعضها ضئيل النور جداً . على ان بعض هذه
الاجسام كبير الحجم لا يتلاشى في اثناء تألقه لدى مروره في الهواء فيصل الى سطح الارض
ويصدمها صدمة عنيفة يحدث فيها غوراً كبيراً وهي الرُّجُم كما مرّ

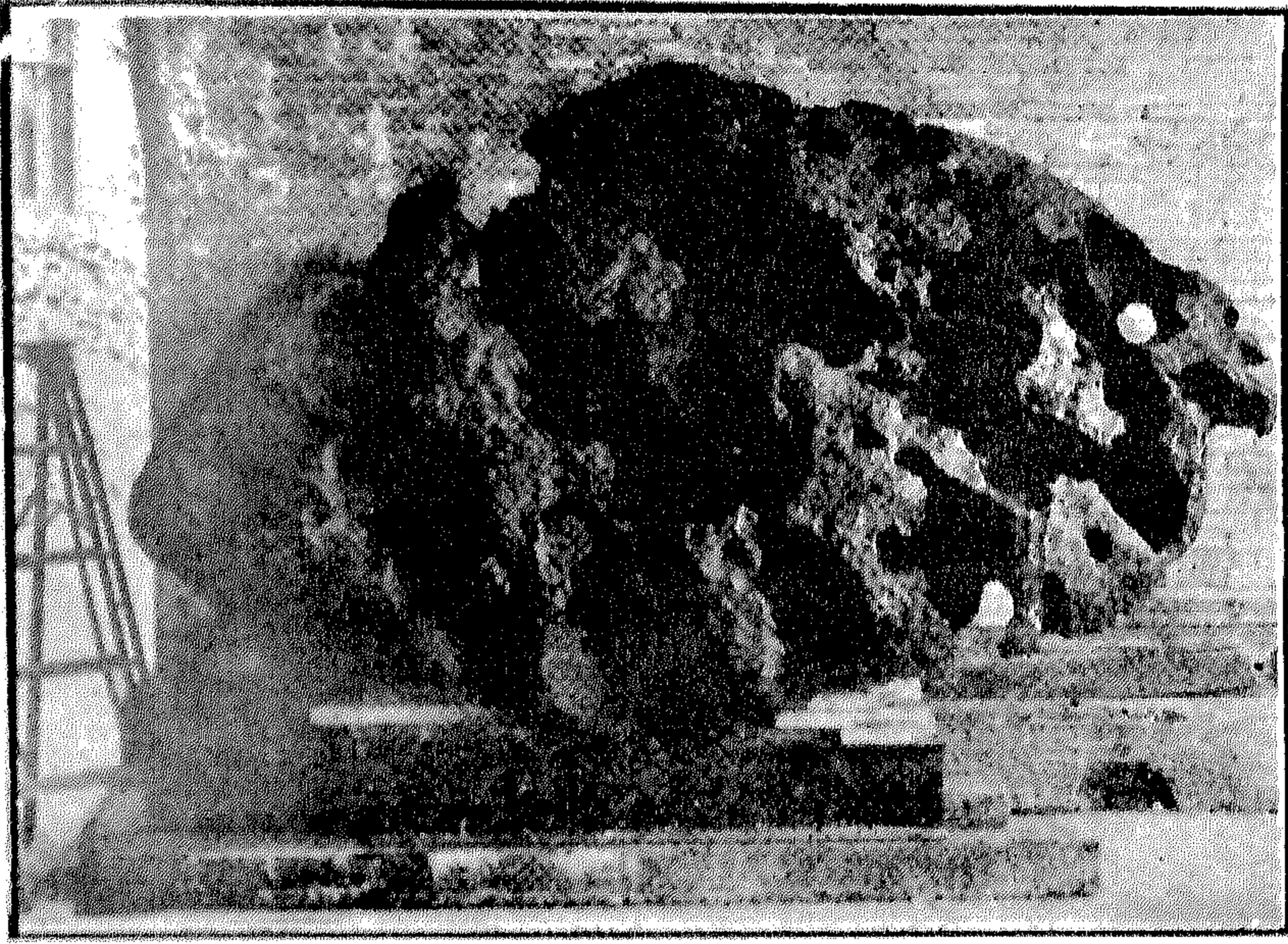
ففي ولاية اريزونا غور يقال له غور الشيطان يبلغ قطره ٤٠٠٠ قدم وعمقه ٦٠٠ قدم
وهو يشبه فوهة بركان ويقال انه نشأ من انقراض رجم ضخم في العصور السابقة للتاريخ ولا
يعلم ما يقاربه في العصور الحديثة . وانما انقض رجم في سيبيريا سنة ١٩٠٨ يقال انه أحدث
ريحا حارة في اثناء انقضاضه ذوت لها الاشجار في البقعة المجاورة لمكان وقوعه . ولما كان ثلاثة
ارباع سطح الارض مغموراً بالماء فالمرجح ان كثيراً من الرُّجُم يقع في البحار ويغوص الى اغوارها

(١) قدر الدكتور تشانت سرعتها بستة اميال في الثانية اي ٢١٦٠٠ في الساعة وهي سرعة عظيمة انما
بدت بطيئة للمراقب على سطح الارض اذا قيست بسرعة الشهب العادية لانها مرت في طبقات الجو العليا

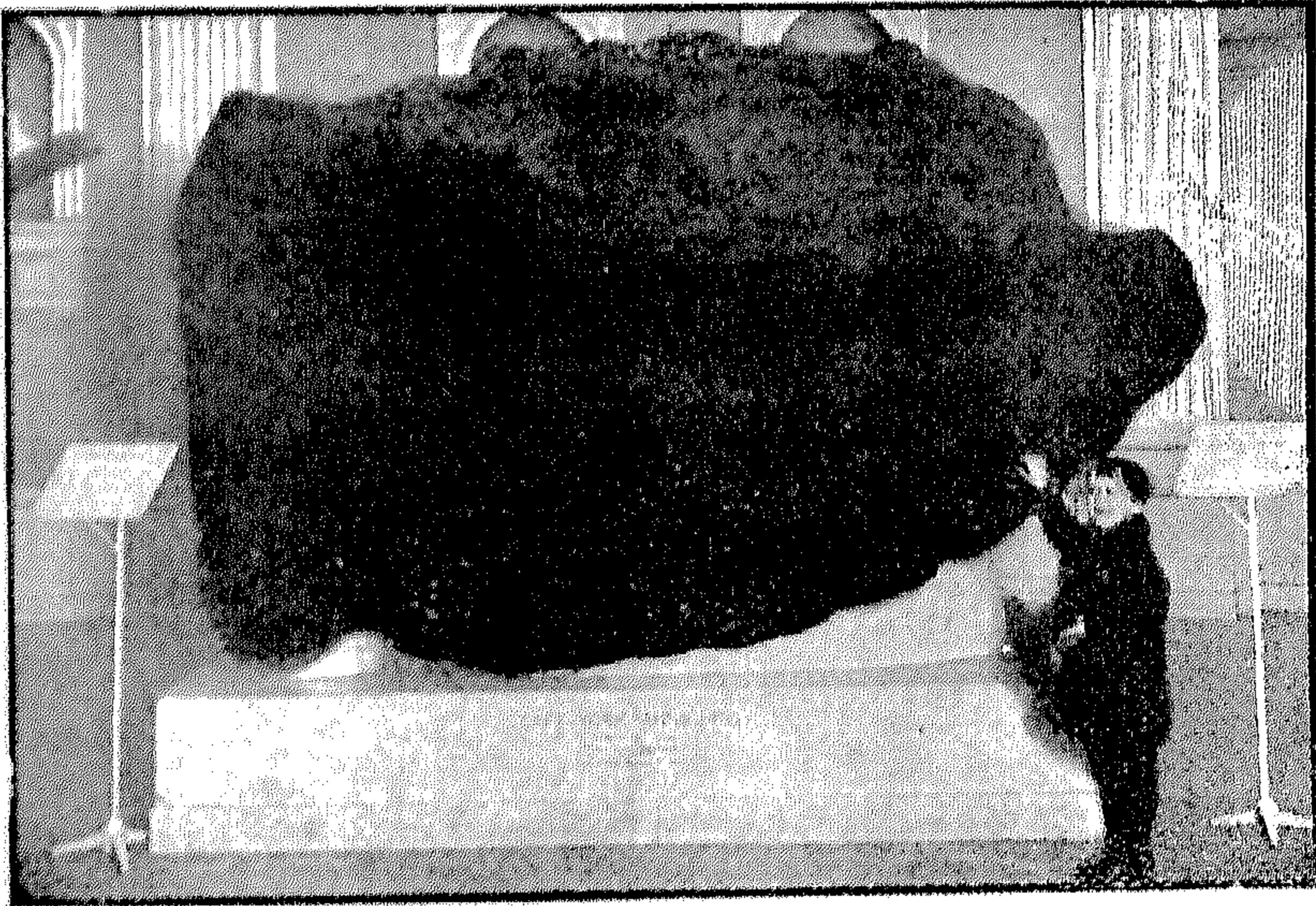
ويقال ان القومندور پيري — مكتشف القطب الشمالي سنة ١٩٠٩ — كان في سنة ١٨٩٤ يقضي الشتاء في جرينلندا فسار به بعض رجال الاسكيمو ليروه «قطع الحديد الضخمة». فعرف پيري انها بقايا ثلاثة رُجُم كبيرة . ولكنه لم يجد ما يمكنه من معرفة تاريخ انقضاها وانما نقل اليه بالسماع انها انقضت نحو مائة سنة قبل ذلك . وكان رجال الاسكيمو يدعونها «الكب» و «المرأة» و «الخيمة» وفقاً لشكلها . وعاد پيري في السنة التالية لنقلها ففاز بنقل الكب والمرأة بعد ما لقي الامرّين . واما الخيمة فاستعصت على رجاله حتى كانت سنة ١٩٠٣ ففاز بنقلها فلما وزنت بلغت ٣٦ طناً ونصف طن ، وهي محفوظة في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك

﴿مادتها﴾ ان الرجم التي نقلت الى متاحف التاريخ الطبيعي — كرجم پيري — مركبة من صخور مبلورة او حديد او من مزيجهما . ولكن هل الشهب الصغيرة التي تتلاشى قبل وصولها الى الارض مركبة من صخور مبلورة وحديد كذلك ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال لا تجيء الا عن طريق السبكتروسكوب (آلة الحلّ الطيفي) على شريطة ان يقام التلسكوب ويوجه الى الشهاب المنقض ، لكي يصوّر طيف نوره . ولكن هذا متعذر لان الشهاب ينقض فجأة ولا يلبث منقضاً الا لحظة من الزمان لا تكفي لتوجيه السبكتروسكوب اليه . وقد تمكن بعض الفلكيين من تصوير شهاب منقض في اثناء تصويرهم لطيفوف النجوم ، واما اختلط طيف الشهاب بطيفوف النجوم ، فتعذر عليهم تبين الواحد من الآخر . وفي سنة ١٩٢٤ فاز العالمان الالمانيان هاس Haas وشواسمان Schwassmann بتصوير طيف شهاب منقض فتبين فيه خطّي عنصر الكالسيوم المعروفين بحرفي K, H وخطوط عنصر الحديد . وحديد الرجم يكون عادة خليطاً من الحديد والنيكل وعناصر اخرى . ولم يسفر البحث في بناء الشهب عن وجود اي عنصر جديد فيها غير موجود على الارض

(اصلها) ذهب بعض العلماء الى ان الشهب اجسام انطلقت من براكين القمر قبلما خمدت ولكن علماء الفلك لا يأخذون بهذا الرأي الآن . ويرى غيرهم انها بقايا سيار تهشم او هي مخلفات من المادة التي تكوّنت منها الارض . ثم ان بعضهم يقول انها اجزاء من ذوات الاذئاب وعلى ذلك جلسة علماء الفلك الآن . فقد كشف الباحثون ان طائفة كبيرة من الشهب تسير في افلاك معينة حول الشمس وان هذه الافلاك تتفق في كثير من الاحيان مع افلاك بعض المذنبات . فالشهب التي انقضت سنة ١٨٨٥ من بقايا مذنب بيلا Biela الذي اكتشفه القبطان بيلا النمساوي سنة ١٨٢٦ فلما ظهر هذا المذنب سنة ١٨٤٥ انشطر قطعتين تباعدتا ولما ظهر سنة ١٨٥٢ كان البعد بين شطريه قد زاد فلما حان ظهورها سنة ١٨٧٢ انقضت الشهب انقضاضاً عظيماً من المكان الذي كان ينتظر ظهورها فيه . فترجح ان جانباً منه تمزق أو تفرقت دقائقه فسهل جذبها واحترقت من احتكاكها بجو الارض . ومع ذلك يبقى عدد من الشهب لا نستطيع تعليله بما تقدّم اي انها ليست من اجرام المجموعة الشمسية . وقد اثبت البحث انها اتصلت بنا من اعماق الفضاء . ذلك ان



أكبر الرجم التي وجدت في اميركا . طوله عشر اقدام وعلوه ست اقدام ونصف
قدم ومخافته اربع اقدام وثلاث بوصات ووزنه ١٠٧ ر ٣١ ارجال انكليزية



أحد الرجم التي نقاهها پيري من جرينلندا الى متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك
وقد وقف جنبها صبي عمره ١٣ سنة لبيان حجمها

كل جسم لا تزيد سرعته على ٢٦ ميلاً في الثانية لا يستطيع ان يفلت من جذب الشمس فيسير في فلك اهليلجي — تزيد استطالته أو تقل بحسب سرعته — حول الشمس . فاذا دخل جوتنا جسم تزيد سرعته عن ٢٦ ميلاً في الثانية ثبت لنا انه قادم من خارج المجموعة الشمسية . وقد قيست سرعة بعض الشهب ففماقت ٢٦ ميلاً في الثانية وبلغت سرعة بعضها ٧٥ ميلاً في الثانية

﴿ وابل الشهب ﴾ وثمة احيان لا تنقض الشهب مفردة متفرقة بل تنقض كوابل . وقد قصّ فون همبولدت (Humboldt) العالم الطبيعي الألماني في اسناره انه استيقظ في فجر ١٢ نوفمبر سنة ١٧٩٩ ليرى وابل الشهب فقطى اربع ساعات يشاهد الشهب تنقض من الشمال إلى الجنوب فوق الافق الشرقي بعضها كبير كالقمر وبعضها في حجم المشتري . فكانت تترك وراءها خطوطاً من الضياء وكان بعضها ينفجر . وفي ١٢ نوفمبر سنة ١٨٣٣ شوهد وابل من الشهب في الولايات المتحدة الاميركية فاشار حينئذ العالمان الاميريكان اولمستد Denison Olmstead وتويننج A. C. Twining إلى انهما شاهدا الشهب تنبعث من ناحية كوكبة الاسد . فكان ذلك حافزاً للعلماء إلى البحث وجعلوا ينقبون في المؤلفات القديمة ليطلعوا على وصف انقضا الشهب في العصور الماضية . فوضع الاستاذ نيوتن احد اساتذة جامعة يابل جدولاً يبدأ سنة ٩٠٢ — وهي السنة التي اشار اليها الدكتور نمرلدى ذكر انقضا الشهب يوم وفاة الخليفة ابراهيم بن محمد — فتبين له ان انقضا وابل الشهب من كوكبة الاسد يقع مرة كل ٣٣ سنة ، وتنبأ بان الوابل التالي يقع في ١٣ نوفمبر ١٨٦٦ — وهو الوابل الذي وصفه السر روبرت بول فثبت من بحث الاستاذ نيوتن امران : الاول ترجيح وجود منطقة من الشهب تدور حول الشمس وتقرب من الارض في كل نوفمبر . وان الارض تخترقها مرة كل ثلاث وثلاثين سنة في الشهر عينه وهذا تعليل ان وابل الشهب الاسدي Leonids نسبة إلى كوكبة الاسد لا ترى منقضة كوابل الا مرة كل ثلاث وثلاثين سنة في شهر نوفمبر . ولكن هذا لا يمنع ان نرى بعض الشهب الاسدية كل سنة في نوفمبر اذ تقرب الارض من هذه المنطقة

ولما حاز ميعاد وابل الشهب الاسدي سنة ١٨٩٩ لم تنقض كما كان ينتظر وظن ان السيارات الخارجية جذبت الشهب فكانت بعيدة عن الارض لما مرّت الارض في منطقتها وتنسب شهب الوابل إلى الكوكبة التي تنقض منها فالشهب الاسدي تنقض من كوكبة الاسد حوالي ١٣ نوفمبر وشهب المرأة المسلسلة Andromedids تنقض من كوكبة المرأة المسلسلة Andromeda حوالي ٢٧ نوفمبر والشهب الفرساوسية تنقض من صورة فرساوس Perseus في ١١ يوليو و ٢٠ اغسطس وشهب التنين Draconids تنقض من كوكبة التنين Draco في ٢ يناير وشهب اللورا (السلياق) Lyrids تنقض من كوكبة اللورا Lyra في ٢٠ ابريل وشهب الدلو Aquarids تنقض من كوكبة الدلو Aquarius في ٦ مايو و ٢٨ يوليو وشهب الجبار Orionids تنقض من كوكبة الجبار Orion في ١٠ و ٢٤ اكتوبر



الشخصية

من الناحية النفسية

للكونتور ابراهيم ناهي



﴿ الشخصية ﴾ — ماهي الشخصية ؟ ان مشكلة الشخصية عند الفلاسفة تدور على حقيقة وجود الذات ، وهل هناك شيء ثابت يسمى الذات او الروح او النفس ؟ "فوليم" جيمس يشير الى ما يسميه تيار الوعي ويقول ان تجارب المرء الخاصة ، في سبيل ذلك المجري ، تتوحد في احساس يُشعر بما يسمى بالذاتية Selfhood والفلاسفة الحديثون امثال ميرنجتون وبرنجل باتيسون ، وبرادلي ، يؤمنون بحقيقة الذات ، ويبرهنون على ذلك في بحوث طويلة ، وينقسمون مذاهب لها مريدون واشياع

ومن الوجهة الاجتماعية ، يعرف العالم لوران Laurent الشخصية بأنها صفة التفرد ، والنزعة الخاصة originality ، ولست ذا شخصية مطلقاً حتى يكون لك اسلوبك الخاص ، فان كنت اديباً ، فلا يهم أن تقرأ أو تلاحظ ، أو تنقد ، وانما المهم أن يكون لك تفكيرك الخاص واسلوبك الذي تتفرد به وتتميز ، وان كنت سياسياً ، او زعيماً وطنياً فالمثل الاعلى هو غاندي فله طريقته الخاصة في الدعوة ، وفي النضال ، وهو متفرد بمغزله ، وعريه ، وشكله ، وقد تفرد اخيراً بأسلوبه في الموت على ان الذي نحن بصدده الليلة ، والذي يهمنا من الناحية العملية هو وجهة نظر الاستاذ ماريون وتعريفه للشخصية بأنها مرادفة للارادة المتحررة ، الارادة التي خلصت من العقبات ، والمناقضات التي تعترضها في افق العقل ، وتكبلها : الارادة التي تحررت بعد الموازنة ، والتحجيص ، وتقليب الرأي : الارادة المتزنة الهادئة الواثقة ، الماضية الى غرضها في اطمئنان وعظمة ، الارادة المتحررة لا الرغبات ، ولا الميول ، فما الرغبات والميول إلا سحب قلقة مضطربة غير ثابتة ، ملازمة للغرائز ، وما هي الا غمامة تتلبد في افق الروح ، ولا تخطر لها

الارادة المرادفة للشخصية ، المرادفة للشعور بالذات ، والكرامة ، والقوة ، هي غرض المربين ، وعماد الدين يسعون في تكوين امة من الاعم وانشاء جيل قوي العزيمة متين الخلق زيد ان نكون شخصيات قوية ، مع الاعتراف بأن المواهب الخارقة غير متاحة لكل فرد ، وانها شغل الهية من السماء تختار افراداً دون افراد غير اننا بدرسنا للعوامل المسكونة للشخصيات

(١) من محاضرة القيت في جمعية الشبان المسيحية في القاهرة وقد تناول ابراهيم المصري الموضوع من الناحية النفسية ونشر بحثه في البلاغ

القوية وفهم الاسرار التي ادت الى بروزها ، والاشياء التي تضعفها او تكبلها او تلاشيها ، نستطيع ان نفهم الجوانب الخفية في النفس ، ونفوس في اغوارها السحيقة للبحث عن كنوز مخبئة ، فنسمو بأنفسنا وبغيرنا ونبني اجيالاً قوية كاملة

اما العوامل النفسية في بناء الشخصية وقوتها ، فلي ان اذكر منها فقط ما يتعلق ببعثي ، فأقول ان ذوي الشخصيات البارزة تفردوا فيما تفردوا به بأنهم درسوا انفسهم ، ودرسوا انفس الناس ، وانتهوا من المقارنة ، على نور الاخلاص التام ، والتحرر الكامل من الغرور ، الى رأي ، الى طريقة يفهمونها في سبيل الكمال . والواقع ان درس النفس من اشق الامور فأغلب الناس ذوي الشخصيات المادية مفتونون بأنفسهم متحيزون لصفاتهم ، يصفون عليها الواناً من العظمة ليست لها . ولذلك يقفون عند حد ولا يتقدمون ابداً بينما الآخرون يبحثون في اغوار المنجم عن الماس ، فيبرزونه ويصقلونه ، حتى يصير خاطفاً للابصار ، ويتعهدون احسن ما فيهم كما يتعهد البستاني اجمل اشجاره بالري والتشذيب ، وبينما هم في ذلك الصقل النفسي ، يمشون نحو الكمال والتفرد ، يكون لذلك اثره في وجوههم ومشيتهم وحديثهم واثاراتهم وانا لا نعلم على وجه من الدقة كيف تطبع الروح الجسد على هذا النمط ، ولكن الواقع اننا لا نكشف انفسنا بكلماتنا بل على الضد من ذلك نتكلم لنسدل قناعاً على حقيقتنا ، وعند ما نشير او نمشي ، او نأتي بحركة ما على غير قصد ، نكشف اخفى ما في طبائعنا ، والاستاذ فانس على حق حين يسمي الجسد مرآة الشخصية ، ويريك في كتابه البديع^(١) كل دقائق الشخصية في تلك المرآة ﴿فشيئة﴾ الشخص مثلاً تدل على مقدار الارادة والقوة الحيوية وضبط النفس وهي تضع الانسان في مكانه في الهيئة الاجتماعية وتدل على جنسه وعلى حرفته وقليلاً ما تخطيء ، فالجندي الذي ترك الجيش مثلاً نستطيع ان نميزه مهما تكاف غير مشيته على ان المشية مع ذلك لا تدل على قوة الذهن في شخص من الاشخاص

﴿الصوت﴾ الصوت لا يهم علوه ولا انخفاضه في الدلالة على الشخصية ولكن العلماء الحديثين يعنون بشيء واحد ، ويسترعون انتباهنا له ، فيقولون انه بصرف النظر عن دلالة الصوت على ابناء امة من الامم واستحالة التقليد مهما طالت اقامة شخص غريب بين قوم ليسوا بقومه ومهما تعلم لغتهم واتقنها — كل هذا يقولون انه لا يدل على شخصية الانسان دلالة رنين الصوت الموسيقي. the timber, instrumental sound of the speakers voice. فثماما تجتمع نبرات une فتحدث لنا حزناً أو مفرحاً فاننا لو ارهفنا السمع قليلاً ، وعودنا آذاننا بالمرآة ، أمكننا ان نصيب في الحكم على كثير من الناس . مثلاً ، عرفت من عهد قريب رجلاً يتحدث بنغمة مختنقة مترنة بلا رنين ، وعند ما يحاول ان يقنمني تتغير

النعمة إلى صوت جاف كصوت للصلب ، وعلى الإطلاق كان يخيم الغموض والابهام على كل هذا ، فلم اكن مطمئناً اليه ، واستنتجت على الفور انه رجل ذو روح مختنقة جافة مبهمه ككالة صوته وقد صدق ظني فيما بعد . كذلك تعرفت إلى آخر صوته كرنين النحاس فاذا بمعاملاته لاصحابه — على ثقافته وسعة علمه — لها هي الاخرى هذا الرنين وعنفه

وثالث تعرفت اليه ، وكان لصوته رنة الناي الحنون ، فتبين لي بعد معاشرتي اياه ، ما استقر في اعماق روحه من الرقة ، والذوق الفني ، وحب الجمال ، والاحساس به والخلاصة أننا بمرارة قليلة لا نخطيء تقدير الشخصية من نبرات الصوت

﴿ الايدي ﴾ اما اليدان فقد قرأت كتاباً للكاتب النمساوي المشهور ستيفان زفيج يدعى ٢٤ ساعة في حياة امرأة ، اجاد فيه وصف ، شخصيات الناس من ايديهم دون النظر في وجوههم ، واره في ذلك مصيباً كل الصواب فان اليد تدل على شخصية صاحبها في احدى حالات ثلاث وهي ساكنة ، أو وهي تشير ، أو وهي تصافح . اما الحالة الاولى فاهم ما فيها الزاوية التي بين الاصابع مجتمعة ، والمعصم . فقد ترى يداً تشابه يد القرد ، واخرى كمخالب الطير المفترس ، وثالثة لا تراها حتى تشعر بالقسوة السكامة في صاحبها وغيرها تدل على نبل الاصل ولا يمكن ان تخطيء مهما تقلب الزمان بصاحبها . اما الحالة الثانية وهي الاشارة فتدل بوضوح على مبلغ الاحساس والرشاقة ، والثقافة ، والعصبية

اما المصافحة فهي اوضح من كل هذا ، فهذا يصافحك من قلبه وهذا يدعك تصافحه ، وذلك يزج في يدك حربة لا يداً وآخر يفلت يده بسرعة فلمسة اليد البسيطة للذي يدقق تكشف اغواراً سحيقة من الروح لا يدري صاحبها انه مزق سترها ، بهذه المصافحة من دون ان يشعر اما الجمجمة ، من تركيب الرأس والفك والعينين ، فهي بلا شك المرآة التي لا جدال في صحتها وصدقها . ولا سبيل إلى الاستفاضة اليوم فان الموضوع مغرٍ بالتوسيع فيه ولكنني أقول عن الرأس ان الشائع ان الاذكاء هم كبار الرؤوس وهذا ليس بصحيح دائماً ، وان بروز الجبهة ايضاً دليل الذكاء وهذا ليس بصحيح دائماً وانما الصحيح ان الخط الممتد من الحاجب إلى مؤخر العنق في الاذكاء يكون مقوساً تقويساً كافياً ومتناسباً^(١) وحافظاً للنسبة معقولة بينه وبين الخط الواصل بين الاذنين ، اما الناس ذوو الرؤوس المسطحة المنخفضة فليسوا على شيء من التفرد ولا الذكاء . اما من جهة العينين فقرب احدهما من الاخرى يدل على ضيق الذهن والخسة بعكس العيون البعيدة في الوجه الفسيح ، فهي تدل على العبقرية او على شبهها وهو الجنون ولعل اهم ما في العين هو الالق . البريق . النور الذي تشعه ، ويدل على الصحة والحيوية ، والقوة ، والعصبية ، والاحساس بالحياة ، وما هو مضحك وغريب فيها

(1) Having a good sweep and symmetry

اما الفك ، فهناك الفك العنيف الدال على الوحشية ، كفك الغورلاً ، والمتوسط القوة الذي لو تكلم لقال اني قوي وقادر على التغلب على اي عقبة كائنة صعوبتها ما كانت ، والفك المنتهي الى ذقن شوهاء ، مدفونة في العنق ، تدل على تشوه خلقي بل على شخصية ضعيفة عاجزة ان هذا الموضوع الشائق موضوع مميزات الجسد ودلالاتها على الشخصية لا ينتهي واني لاشعر اني امشي وراءه فهو يصرف عنايتي عن سواه من الامور التي اود بسطها الليلة

قامت ان الارادة القوية والشعور بالذات والكرامة غرض التربية فاذا صرفت النظر عن الناحية الروحية قلنا اننا نحتاج في تربية الشخصية الى سلامة الدم وسلامة الاعصاب وسلامة الغدد الصماء ﴿ سلامة الدم ﴾ نظرة واحدة ايها السادة الى مواطنينا الفلاحين تحزن وتبكي ، اذا لبثوا في القرى اصيبوا بالبلهارسيا والانكلستوما التي تسبب فقر الدم ، فيصاب المخ ضمن اعضاء الجسد ، فتضعف قواه ويبدد الدهن ، واذا انتقلوا الى المدن بهرتهم بملاهيمها ، وضجيجها ونساءها فتتلقفهم الامراض السرية وهم لا يعرفون عنها شيئاً ، فتنتقل الى دماء ابنائهم وتكمن فيها حتى اذا كبر الشاب شعر بأعراض مبهمه ذهنية ، او جسدية ، فاذا تنبه طبيبه الى تحليل الدم وجد انه يحمل نصيبه من جهل ابيه ، وقد لا يفطن الطبيب لكونه المرض . فيتغلغل في الجسم ويسري الى المجموع العصبي فينفث فيه سمه ويهدم الشاب في الوقت الذي ننتظر منه كمال الشخصية ونضوجها ا هل نريد شخصيات قوية مستقلة النزعة ، علينا ان نعنى بفلاحينا ونحافظ على سلامة دمائهم ، ولا نكل عن محاربة ادوائهم

﴿ سلامة الاعصاب ﴾ نظرة اخرى الى المدن تحزن وتبكي . كلكم تسمعون عن ويلات المخدرات . ان المخدرات تهدم المجموع العصبي وتبيد الارادة ابادة . اي الشخصيات تكونون في شباب خائر القوى محطم الاعصاب ا اي شخصيات تكونون من هشيم تذروه الرياح ومن حطام مؤذن بالرواح ا تريدون شخصيات قوية اتقذوا الشباب من آفته

﴿ الغدد الصماء ﴾ هنا اصل الى اهم الابحاث الجديدة . الى علاقة الشخصية بناحية كانت خافية ، فالتقى عليها البحث الجديد اي نور قوي كشف !

تسمعون ايها السادة عن الغدد الصماء ، فما هي ؟ هي غدد تفرز افرازاً يتصل بالدم مباشرة ، يسمى الهورمون Hormone وتتعاون الغدد معاً في حفظ توازن الصحة والخلق ، والذي يهمنا اليوم : الغدة الدرقية ومركزها تحت الحنجرة ، وغدة فوق الكلى ، والغدة النخامية ، وهي في الجمجمة ، والخصيتان في الرجل والمبيضان في المرأة . هذه كلها تتعاون معاً وقد تتعارض مفرزاتها كما تتعارض مجاذيف القارب ، ولكنها تؤدي كلها الى عرض واحد ، وتتآزر تآزراً قوياً مع المجموع العصبي في حفظ توازن الجسم ، ولا يمكن ان يختل افراز واحدة منها من دون ان يختل الآخر ، واذا اختل نظامها اصيب المجموع العصبي بضعف ظاهر ، ومن هنا أثرها في الشخصية

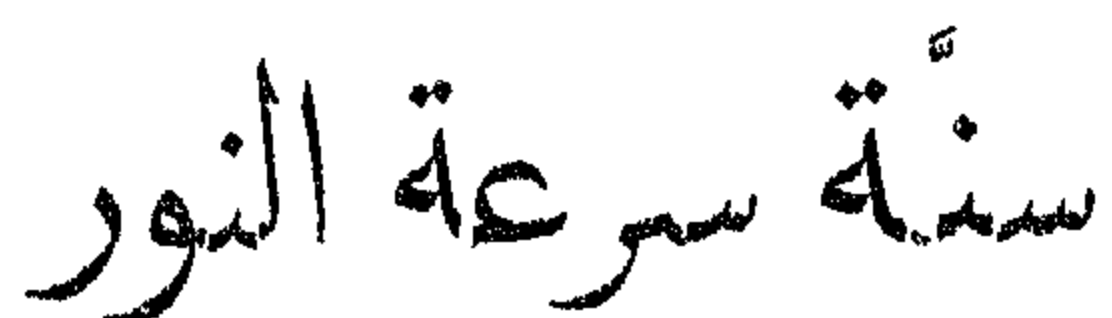
ومن العجيب الذي كشفته الحرب ان الجنود الذي يصابون بما يسمونه صدمة القنابل ، يصابون بالنوراستنيا ، ويعقب ذلك اختلال في افراز الغدة الدرقية ، وصاحبها غدة فوق الكلوى ، وتتورمان ويريد افرازها ، وينقص افراز الخصيتين ، ويحدث ضعف تناسلي . فغدة فوق الكلوى هي غدة الخوف والقلق ، فاذا ازداد هذان ازداد افرازها ومرضت ، وتبعتهما صديقتها الغدة الدرقية ، فاذا رأينا رجلاً كهذا رأينا رجلاً سريع دقات القلب ، مرتجف الاطراف ، نحيلاً ، غزير العرق اما عكسه ، الذي يقل فيه افراز الغدة الدرقية قلة مرضية وهو الذي اريد ان اتناوله اليوم في بحثي ، فطراز تروته كثيراً ، وهو طراز الشخصية البليدة الكسولة ، فاذا كان طفلاً صباح به ابوه كل ساعة وهو لا يدري ما علمته — يدعوه الى الدرس ، وتضربه امه وتلقبه بالبليد — وما ذنب المسكين ، واذا كان رجلاً فهو بطى الفهم ، قليل الجلد ، كثير النسيان ، يتكلم فيما لا فائدة فيه ، ولا يتحدث عن نفسه بشيء ، ولا يستطيع صب الفكر او الجهد على عمل ما ولا يعتمد عليه في شيء ويكسوه الشحم في امكنة خاصة ، فاذا كان رجلاً وجدت له سنام فوق ظهره كسنام الجمال واذا كانت سيدة اكثر الشحم في الردين وممظم الرجال يصابون بالصلع الباكر والشيب ، وسقوط شعر الحاجب ، وتكون حرارتهم دائماً تحت المتوسط الطبيعى . يجب ان نغز هؤلاء الاشخاص ، ولا نهمهم بضيايع الشخصية بلا مسوغ فانهم يتحسنون بالعلاج اذا تناولوا خلاصة الغدد باشارة الطبيب

واخيراً هل لكل الامراض تأثيرهادم للشخصية وهل كل ما يهدم الجسد يهدم الشخصية ؟ الواقع ان الشخصية اذا تم تكوينها ، لا يؤثر فيها المرض ولكن يحول دون تكوينها اذا لم يكن قد تم فملاً . على ان هناك مرضاً واحداً له تأثير غريب في الحيوية ، ذلك هو السل . اني اوجه انظاركم اليها السادة الى العيون الواسعة البراقة الجميلة ، في المسلولين ، وإلى صفاء ذهنهم وجمال نفوسهم ، واذكر لكم ان الشاعر شيلر كان مريضاً بالسل ، ولكن ذلك المرض العجيب زاد ذهنه صفاءً ، وعبقريته حدة . ثم ان توكسين السل منبه للقلب . منبه للمجموع العصبي . منبه للمجموع التناسلي ، يبعث الامل . ورحم الله شوقي حين قال

الى الحياة سكنت وهي مصارعٌ وإلى الاماني يسكن المسلول !

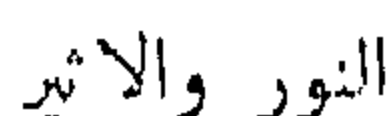
ولكن ذلك التنبيه يتلاشى مع الاسف في وسط الدمار المريع الذي يحدثه المرض في طغيانه واذكر لكم ايضاً ان الشاعر كيتس مرض بالسل ومات بعد سنتين من مرضه انتج في خلالها جل انتاجه الخالد ﴿ ختام ﴾ والآن كلمة اخيرة ا ان غاندي ، يضرب لنا مثلاً بصيامه ، في ان قهر الجسد ، الى حد محدود يساعد على تقوية الروح ، معظمهم للشخصية ، بينما الاسترسال في الاعتناء بالجسد وتدليله هادم للشخصية مضعف لارادتنا

اننا لانستطيع ان نكون كلنا غاندي ولكن امامنا المثل السامي فلنسر على منواله والسلام



النور والاثير — سرعة النور — استقلالها عن مصدر النور — ماذا حلَّ محل الاثير

النقود الخرد



لو نجحت عملية (ميكافون - موري) التي شرحناها في المقال المنشور في مقتطف اكتوبر الماضي، اي لو ظهر فرق بين رحلتي الشعاعتين في الوقت والمسافة كما كان منتظراً، لحسبوها برهاناً دامغاً على وجود الاثير . وثمة يتيسر لهم ان يستخرجوا سرعة الارض بالنسبة اليه وهي تمخر فيه . ولكن خيبة العملية وتعليلها بتقلص الارض في اتجاه حركتها تركا الاثير كما كان فرضاً بلا برهان لان نتيجتها لم تنف وجوده وليس فيها شيء يناقض وجوده حتى « نظرية التقلص » لا تناقض وجوده ولا تنفيه . الاثير فرض كوسيلة لانتقال النور ، والعملية المشار اليها لا تثبت الاستغناء عن هذه الوسيلة . وانما شيء آخر يثبت هذا الاستغناء سنذكره فيما بعد

ولو لم تتدارك «نظرية التقلص» حيرة اهل العلم في فشل العملية لما وجد العلماء تعليلاً لها الا وجود الاثير باعتبار ان طبقة منه ملازمة لسطح الارض كملزمة طبقة الهواء له. وفي هذه الطبقة الاثيرية سارت شعاعتها جهاز ميكافون كما يسير القطار وكل جسم متحرك على سطح الارض، وكما تسير الطائرة في طبقة هواء الارض، فلا يكون لسرعة الارض حساب في سرعة الاجسام المتحركة على سطحها وفي جوها، كما ان الماشي على ظهر السفينة لا يحسب لسرعة السفينة حساباً مع سرعته. وما رجحت نظرية التقلص على نظرية ملازمة طبقة الاثير لسطح الارض الا لان هذه النظرية اضعف جداً من نظرية التقلص بسبب ان الاثير مفروض انه لطيف جداً جداً فلا يعقل ان سطح الارض يجر معه طبقة منه، الا اذا كان الاثير خاضعاً لسلطة جاذبية الارض تخضوع طبقة الهواء لها. وهذا الفرض ضعيف ايضاً لافتراض ان طبيعة الاثير مختلفة كل الاختلاف عن طبيعة المادة والا لمامكن اكتشافه وتحقيق وجوده لا شتر اكه حينئذ بنواميس المادة او ببعضها

ثم ان ما يرجح نظرية تقلص هو البرهان الذي بسطناه في المقال السابق على اقتحام نواة الذريرة (Atom) في جوها الكهربائي المغنطيسي واستخرجنا منه قيمة تقلص هذا الجو بعبارة رياضية . واما اذا كانت ثمة نظرية تقضي على نظرية الاثير او على الاقل تغني العلم عنها فهي نظرية ان النور ليس الا موجات كهربائية مغنطيسية تسير في جو جاذبي . وليس هنا محل لبسط هذه النظرية التي يسلم بها علماء هذا العصر جميعاً . وفخواها ان النور نوع من انواع التشعيع العديدة التي تصدر امواجاً (وما هي الا حطام الكهارب المندثرة المنحلة فكأنها ابسط صور المادة) ولذلك تنتشر في الفضاء بلا واسطة ، لانها ليست حركة امواج في شيء متموج بل هي الشيء المتموج نفسه . ولذلك يستغنى بها عن الاثير . هذه نظرية اهل العلم الآن

سرعة النور

كان من نتائج عملية ميكافن تحقيق ان النور سرعة ثابتة لا تتغير اي لا تزيد ولا تقل بل هي على وتيرة واحدة في كل مكان وكل زمان والى اي جهة ولا ساطة لعوامل القوة عليها من هذا القبيل . فهي على سطح الارض وعلى سطح اي جرم وفي كل خلاء بين الاجرام على حد سواء . ثم ان الاشعة تنتشر الى جميع الجهات بالتساوي . وليس لمصدر النور ساطة على النور ولا سرعة النور مستمدة من مصدره ولا مصدره يكسبه سرعة مع سرعته ولا هو خاضع لنواميس الحركة والقوة أي لا يدخل تحت قانون الاستمرارية Inertia والمسارة Acceleration ولذلك لولا تقلص الجسم المتحرك في اتجاه حركته كالارض مثلاً لظهر لنا ان شعاعة النور الواردة من الشرق تبلغ الينا قبل الشعاعة الواردة من الشمال أو الجنوب وبالاخرى قبل الواردة من الغرب لاننا نستقبل تلك بسرعة ٣٠ كيلو متراً في الثانية وندير عن الشعاعة الغربية بسرعة ٣٠ كيلو متراً . ولكن السرعة الارضية (وكل سرعة جرمية) تحدث تقلصاً في الجرم يقابل هذا الفرق بين سرعة النور وسرعة الجرم بحيث لا يظهر لنا فرق في سرعة النور من أي جهة جاء حتى يتراءى لنا كأن الارض ثابتة لا تتحرك بسرعة ٣٠ كيلو متراً . وانما يظهر هذا الفرق بين سرعة الارض وسرعة النور لشخص يقيم خارج الارض . لو كان شخص في الشمس يستطيع أن يرقب حركة الارض والنور العابر على سطحها لرأى أي نقطة من سطح الارض تستقبل رأس لمعة نور شرقية قبل موعد وصولها بثلاثين كيلو متراً في الثانية أي أن سرعة النور تصبح عند تلك النقطة ٣٠٠ الف الا ٣٠ كيلو متراً

بعد هذا البيان يفهم القارى أن استقرار سرعة النور على حالة واحدة الى جميع الجهات لا يراد به أن سرعة الارض لا يحسب حسابها إذا كانت الارض مقبلة (أو مدبرة) إلى النور الوارد من أي جرم بل يراد به أن سرعة الارض لا يحسب حسابها مع سرعة النور بالنسبة لاهل

الارض الذين وهم على سطح الارض مشتركون معها في سرعتها كما ان المقيمين في السفينة الماخرة لا يحسبون حساب سرعتها مع سرعة شخص ماشٍ على ظهر السفينة لان السفينة بالنسبة اليهم وإلى ذلك الماشي على ظهرها تعتبر كأنها راسية وإنما هي تعتبر سائرة بالنسبة الى البحر والشاطئ . وإنما يحسب حساب سرعة الارض مع سرعة النور بالنسبة لاي جرم آخر خارج عن الارض ولا شركة له بحركتها . فساكن المريخ مثلاً لا بد ان يدخل حساب سرعة الارض مع سرعة النور في حالتي اقبال الارض أو أدبارها عن اتجاه النور بل نحن سكان الارض متى شئنا أن نحسب سرعة الارض بالنسبة إلى سرعة أي نجم آخر بيننا وبينه تباعد أو تقارب فلا بد أن ندخل سرعة أرضنا في حساب سرعة النور الوارد إلينا من ذلك النجم لان حركة ذلك النجم غير مشتركة مع حركة الارض

ومن ذلك يتضح أن مسافة المرآة الشرقية في جهاز ميكلسن لم تقصر بالنسبة إلى غيرها من موجودات الارض لان كل ما على الارض متقلص مثلاً فبقيت نسبة المسافات بينها واحدة لم تتغير . لذلك لا نستطيع تمييز ذلك التقلص . وإنما مسافة المرآة الشرقية قصرت بالنسبة إلى الشمس (أي إلى مَنْ في الشمس يراقب ما يحدث على الارض — على افتراض المستحيل) . وما اكتشفنا هذا التقلص بالرغم من اختفائه عنا وكتمان الطبيعة له عن ملاحظتنا إلا بواسطة عملية ميكلسن . أي أن رجوع الشعاعتين معاً بالرغم من اختلاف مسافتهما كان كاشفاً لحدوث ذلك التقلص

فعملية ميكلسن التي فشلت في اكتشاف علاقة الارض بالاثير نجحت نجاحاً عظيماً في اكتشاف ظاهرة طبيعية خطيرة الشأن بُنيت عليها نظرية النسبية وهي ظاهرة تقلص الجسم المتحرك في اتجاه حركته

قد يسأل القارئ : لو استطاع ميكلسن أن يقيس مسافة كل من المراتين بعد أن يغير وضعهما فهل كان ممكناً أن يكتشف إن أحدهما صارت أقصر مسافة من الأخرى أو أقصر مما كانت ؟ نجيب : هب أن ميكلسن يستطيع بطريقة عجيبة أن يجد مقياساً لضبط هذا الفرق الزهيد فالمقياس نفسه يتقلص ايضاً متى قاس به المسافة شرقاً غرباً ويعود إلى طوله الاول متى قاس المسافة جنوباً شمالاً . ولذلك يستحيل عليه وهو على الارض ان يختبر الفرق بين المسافتين . وإنما يختبره شخص ليس على الارض اذا كان في مكانه أن يرصد أشياء الارض ويضبط أقيسها . فما من وسيلة لاكتشاف هذا التقلص الا نتيجة عملية ميكلسن التي خالفت المنتظر من وصول إحدى الشعاعتين قبل الأخرى

ولا يخفى على القارئ أن مقدار هذا التقلص زهيد جداً كزهادة سرعة الأرض بالنسبة إلى سرعة النور فلا يمكن أن تلاحظه عين. وإذا شاء القارئ أن يعلم كم يتقلص قطر الأرض الذي هو في اتجاه سيرها فليبدل الأرقام بالحروف في عبارة لورنتز التي استخرجناها في المقال السابق هكذا

$$\frac{1}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}$$

والنتيجة بعد التحويل من كيلو مترات إلى قراريط هي قيراطان ونصف. هذا على اعتبار أن الرقم (١) في المعادلة يعبر عن طول قطر الأرض

ولكي يقصر قطر الأرض حتى يصير نصفه يجب أن تكون سرعة الأرض نحو ١٦١٠٠٠ كيلو متر. يمكن استخراج ذلك إذا ضربت عبارة لورنتز بنصف. ولو بلغت سرعة الأرض أو أي جرم إلى حد سرعة النور أي ٣٠٠ ألف كيلو متر لتلاشت الأرض من الوجود. ولتحقيق ذلك رياضياً اجعل $v = c$ في عبارة لورنتز فتراها بعد البسط = صفراً. ولذلك يستحيل أن توجد سرعة تساوي سرعة النور أو تفوقها. فإذ سرعة النور أعظم سرعة في الوجود ولا تفوقها سرعة. وهذه خاصة أخرى للنور ليست لغيره من الأجسام. ولأن النور متناهي السرعة وثابت السرعة صالح مقياساً للابعد السحيقة. فاصطلح الفلكيون على قياس أبعاد الأجرام بالمسافات التي يقطعها النور في الثانية أو الدقيقة أو الساعة أو اليوم أو العام الخ فيقال أن الجرم الفلاني يبعد عنا كذا ساعات أو أياماً أو سنين من سني النور

استقلال سرعة النور عن سرعة مصدره

من النواميس الطبيعية أن الجسم المتحرك يمنح سرعته لكل جسم مرتكز عليه أو متعلق به. فإذا كنت في قطار أو في الترام وهو يسير بسرعة كذا في الثانية وعمد السائق إلى توقيفه اندفع جسمك إلى الامام لأنه لا يزال مكتسباً سرعة القطار فيندفع بقوة استمرار السرعة التي كانت للقطار. وإذا كانت على أرض القطار بطيخة مثلاً تدرجت إلى الامام للسبب نفسه. وإذا كنت في سيارة تسير بسرعة ١٥ متراً في الثانية مثلاً واطلقت من مسدس قذيفة بسرعة ١٠٠ متر في الثانية إلى الامام انقضت الرصاصة بسرعة ١١٥ إذ تضاف إليها سرعة السيارة التي كانت ممنوحة لها قبل انطلاقها. وإذا اطلقت الرصاصة إلى الوراء انقضت بسرعة ٨٥ متراً إذ

تنقص من سرعتها سرعة السيارة التي كانت ممنوحة لها (إلى الامام لا الى الوراء) قبل انطلاقها تكاد تكون هذه السنة الطبيعية غريزة في ذهن الانسان إذ ترى الغلام مثلاً وهو يقذف من يده قذيفة كعبر او كرة إلى ابعد مدى يستطيعه — نراه يركض الى الامام مسافة ثم يقذف القذيفة وهو راكض لكي يزيدها سرعة على السرعة التي ينشئها عضل يده عند القذف بمقتضى هذه السنة نفسها تسمع صفير القطار او دويته وهو مقبل عليك اقوى مما تسمعه وهو مدبر عنك لان امواجه الامامية تكتسب مع سرعتها سرعة القطار ولان القطار منعه سرعة إلى الامام لا الى الوراء . لهذا السبب عينه تكون امواج الصوت الامامية متقاربة بعضها الى بعض والامواج الخلفية متباعدة على نحو ما شرحناه في المقال السابق . فهل النور خاضع لهذه السنة ؟ أي هل يكتسب مع سرعته سرعة الجسم الذي صدر منه ؟ ام هو مستقل عنه فلا يأخذ من سرعته في مسيره الى الامام (بخط اتجاه الجسم المنير) ولا يخسر من سرعته في مسيره الى الوراء (عكس اتجاه الجسم المنير) ؟ اذا كان النور يكتسب من الجسم المنير الذي اصدره سرعته كما يكتسب الصوت سرعة القطار والرصاصة سرعة السيارة في المثالين السابقين حينئذ تنحل قضية عملية ميكافين بتعليل آخر غير تعليل التقلص — تعليل افضل وأصح منه لانه بسبب هذا الناموس (ناموس منع السرعة) لا بد ان تعود الشعاعتان في وقت واحد لانهما صادرتان من مصدر ارغبي او تحت حكم مصدر ارضي وسأترتان في حين ارضي فشأنهما كشأن شخصين يسيران على ظهر سفينة الواحد الى مقدمها والاخر الى جنبها — يسيران مسافتين متساويتين بسرعة واحدة ثم يعودان فيلتقيان حيث افترقا . سواء كانت السفينة راسية او ماخرة لأنه لا شأن لحركة السفينة بسرعتها ما دام لا يخرجان منها بل هما باقيا فيهما . كذلك لا شأن لسرعة الارض بشعاعتين صادرتا من مصباح على الارض الواحدة في اتجاه سير الارض والاخرى في اتجاه معامد له ثم عادتا عن مرأتين متساويتي البعد فلا بد ان تتلاقى الشعاعتان عند مصدرهما في وقت واحد هذا اذا فرضنا ان النور يكتسب مع سرعته سرعة مصدره

ربما كان بعض القراء يستصعب التسليم بأن القذيفة المنطلقة من جرم الى اي جهة فوق ذلك الجرم تكون سرعتها واحدة ما دامت حركتها مقصورة على سطح ذلك الجرم كأن لا شأن لسرعته مع سرعتها . مع ان « ناموس منع السرعة » هو سبب هذه النتيجة فاذا كان القارئ يشك في ذلك فنضرب له مثلاً

تصور سفينة طويلة (٦٠ متراً) تمخر البحر بسرعة مترين في الثانية مثلاً . وعلى ظهرها في منتصف المسافة بين مقدمها ومؤخرها شخص اطلق في وقت واحد رصاصتين

بسرعة ١٠ امتار في الثانية الواحدة الى هدف في المقدم والاخرى الى هدف في المؤخر . فهل تبلغ احدهما الى هدفها قبل الاخرى ام تصيبان الهدفين في وقت واحد ؟ والجواب انها تصيبان الهدفين في وقت واحد . ولو كان المجال يتسع لعملية رياضية لانبجلى هذا الجواب للقارىء كل الجلاء ، ولوجد ان الوقت الذي تستغرقه الرصاصتان في رحلتيهما هو ٣ ثوان . ولا متحان صحة هذه النتيجة نقول : في ٣ ثوان تقطع السفينة $3 \times 2 = 6$ امتار والرصاصة الاولى تقطع $3 \times (2 + 10) = 36$ سرعتها مع سرعة السفينة والرصاصة الثانية تقطع $3 \times (2 - 10) = 24$ سرعتها الا سرعة السفينة . فالفرق بين مسافتي الرصاصتين في الجو هو ١٢ متراً نصفه كان مقدار ابتعاد الهدف عن الرصاصة الاولى في اثناء العملية . والنصف الآخر مقدار اقتراب الهدف الآخر نحو الرصاصة الثانية . ولهذا اصابت الرصاصتان الهدفين في وقت واحد فترأى لمطلقهما انهما قطعتا مسافتين متساويتين في وقت واحد . ذلك حقيقي بالنسبة اليه ولكن بالنسبة لشخص آخر يراقب التجربة على الرصيف ليس الامر كذلك

لنفرض ان الهدفين على حافة الرصيف والمسافة بينهما تساوي طول السفينة تماماً اي ٦٠ متراً . وفي منتصف هذه المسافة شخص على الرصيف يراقب . ثم نفرض ان السفينة مرت محاذية للرصيف . فلما صار الشخص ذو المسدسين تجاه موقف الشخص الذي على الرصيف اطلق الرصاصتين على الهدفين . فاذا كان هذا الرقيب يستطيع ضبط موعد اصابة الرصاصتين للهدفين رأى ان الرصاصة المطلقة الى الهدف المقابل للمقدم اصابته قبل ان تصيب الاخرى هدفها ، لان الاولى مكتسبة سرعة السفينة مع سرعتها والهدف ثابت لا يسير مع السفينة فبلغت اليه في ثانيتين ونصف واما الاخرى فكانت تخسر من سرعتها سرعة السفينة فبلغت الى هدفها في ٤ ثوان ونصف

وحاصل هذا الشرح ان «ناموس منح السرعة» الذي نحن بصدد تعديل الفرق الذي تحدثه سرعة الجرم المتحرك بين مسافتي قذيفتين تُقذفان من نقطة عليه الى اي جهتين فتقطع القذيفتان مسافتين متعادلتين في وقت واحد . ولذلك نرى ان قنبلة المدفع كيفما توجهت قطعت نفس المسافة بالنسبة الى سطح الارض لا بالنسبة الى الفضاء (ان كان في الفضاء جسم ثابت ينسب اليه) ولولا ان الارض تكسب القنبلة سرعتها اذا سايرتها وتختلس منها بقدر سرعتها اذا حاكمتها سيراً ، لكانت القنبلة التي تسير بسرعة تضاهي سرعة الارض على محورها (نحو ١ ميل في الثانية) اذا انقضت الى الشرق تهادى مضاعف مداها واذا انطلقت الى الغرب سقطت امام فم المدفع

هل ينطبق ناموس منح السرعة على النور ؟

بناءً على هذا الناموس الطبيعي اي ان الجسم المنطلق عن جرم آخر ينطلق بسرعة واحدة الى جميع الجهات (اللهم ضمن سطح هذا الجرم) سواء كان الجسم الذي ينطلق عنه ساكناً او متحركاً ، وانما الفرق في السرعة بين انقذافه مع اتجاه الجرم وانقذافه ضده او الى جانبه يظهر لرقيب خارج عن ذلك السطح غير متحرك بحركته — بناءً على هذا الناموس زعم العالم الطبيعي السويصري ريتز ان النور الصادر من مصدر ارضي (كما في جهاز ميكلسن) لا بد ان يسير الى كل الجهات بسرعة واحدة كمسير القنبلة على سطح الارض الى اي جهة بسرعة واحدة وكمسير الرصاصتين على ظهر السفينة . ولذلك في رأيه فشلت عملية ميكلسن في استكشاف سرعة الارض في بحر الاثير . ويستحيل ان تستكشف باي عملية أخرى ايضاً للسبب عينه . فان صحت نظرية ريتز هذه تسقط نظرية فرتجولد (تقلص الارض في اتجاه حركتها) . وبسقوط هذه تسقط « نظرية النسبية » برمتها لانها مبنية على نظرية استقلال سرعة النور عن سرعة مصدره . ولكن العلامة الفلكي الهولاندي دي ستر De Sitter برهن برصد النجوم المزدوجة ان سرعة انتشار النور لا يمكن ان تتوقف على سرعة الجرم الذي يبعث النور . وقد اعتمد العلماء على هذه الحقيقة لانهم وجدوا مؤيدات كثيرة لها . وثبت لهم ان اشعة النور تمتاز باستقلالها في سرعتها عن سرعة اي جرم تصدر منه . ليس لمصدرها تأثير عليها . فنظرية ريتز ساقطة .

ولا يوضح الفرق بين سرعة النور وسرعة الرصاصة في السفينة او القنبلة على سطح الارض نقول : اننا ونحن على الارض لا نحسب حساباً لسرعة الارض مع سرعة الاجسام التي عليها لانها (اي الارض) يسيرها تسترد من الجسم المتحرك عليها السرعة التي منحها اياه ولكننا نحسب حساب سرعتها مع سرعة النور لانها لا تمنح النور شيئاً من سرعتها . فاذا عبرت شعاعة نور على سطح الارض مع اتجاه سير الارض طرحنا سرعتنا من سرعة النور واذا عبرت معاكسة لخط مسير الارض أضفنا سرعتنا الى سرعتها . وانما نحسب في الحالتين حساب تقلص الارض

$$\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}$$

فتتعدل المسافتان لوقت واحد

فاذا كنا نرى ان اشعة النور تقطع على سطح الارض مسافات متعادلة الى جميع الجهات فليس ذلك لان سرعة الارض سقطت من الحساب بل لان تقلص الارض عوض الفروق

التي نحسبها لسرعة الارض . فكأن التقلص قام مقام منح السرعة اذاً ، ناموس سرعة النور يختلف عن ناموس سرعة الاجسام ويمتاز عليه بهذا الاستقلال . واستقلاله هذا جعل النسبية مبدأً او ناموساً قائماً بذاته أيضاً . ولذلك لم يبق بدٌّ من مراعاة عبارة لورنتز المذكورة آنفاً في كل معادلة من معادلات الميكانيكيات تصحيحاً لها . ولايضاح ذلك فصل آخر

ماذا حل محل الاثير

هذا الموضوع يستلزم كلمة موجزة جداً في موضوع الجاذبية وهي اهم نقطة في «النسبية الخاصة» . فسّر فارادي الجاذبية بانها جوٌّ ينشُرهُ الجسم حوله . ولهذا الجو خاصّة تجعل جسماً آخر ينجذب إلى الجسم الاول كما هي الحال بين الشمس وسياراتها مثلاً ، أو بين الارض والقمر . وقد فرض فارادي هذا الفرض لازالة ما علق في الاذهان من ان الجسم الواحد يجذب الآخر ، لان الجذب عن بعد بغير واسطة غير معقول . ففرض له الجو الجاذبي . فالذي يجذب القمر والحجر إلى الارض ليس الارض نفسها وانما الجو الجاذبي الذي نشرته الارض حولها يدفع القمر او الحجر نحوها . فالارض انشأت الجو حولها . والجو تولّى وظيفة الجذب او حركة الانجذاب . فالارض لا تجذب الحجر بل هو ينجذب اليها بواسطة الجو الجاذبي

يستفاد مما تقدم ان فكرة استحالة الفعل عن بعد بغير واسطة حملت فرادي ان يفترض هذا الجو لكي يتخلص من المستحيل في امر واقع (الجذب عن بعد) . فاذاً الجو الجاذبي مجرد فرض فقط لتسهيل حل ذلك اللغز اي لغز الانتقال او الفعل عن بعد بلا واسطة . فلما اكتشف مكسويل ان النور امواج كهربائية مغنطيسية قال العلماء استغنيانا عن الاثير . ولكنهم ما لبثوا ان فرضوا الجو الجاذبي بدل الاثير ليكون واسطة لنقل الامواج الكهربائية المغنطيسية ومنها امواج النور كما يكون واسطة لنقل فعل الجذب او الانجذاب . اذن ، ما استغنوا عن فرض حتى اضطروا الى فرض آخر بدله مثله . فكأنهم ابدلوا الاسم فقط فجعلوا لفظ «الجو الجاذبي» بدل لفظ «الاثير» . وليس الجو الجاذبي حقيقة اثبت من الاثير بل هو شيء مفروض كما ان الاثير شيء مفروض . ولا يزال مثله حقيقة مجهولة

على ان الجو الجاذبي يختلف عن الاثير بكونه غير مالى الفضاء على نمط واحد بل تتفاوت حدته بتفاوت الابعاد عن الجسم المحدثه . فكأنهم باختلاق هذا الجو قد نقحو نظرية فرض الوسيط بين الفاعل والمفعول به — الجاذب والمجذوب او المموج والمتموج او وسيلة الموج . فهو اذاً وسيط على كل حال سواء سُمّي اثيراً او جوّاً جاذبياً . وبهذا الفرض الجديد اصبح الاثير اقرب إلى المادة منه إلى الروح الاثيرية او الاثير الروحاني

وجودي

لا صمد محرم

وجودي، لست لي، فامن تكون؟
أسر أنت عن نفسي مصون
يُصيب حقائق الأشياء عاصي
وتعصيف بي حوائيك الظنون
أمن نفسي على نفسي غطاء؟
فكيف أنا؟ أشك أم يقين؟

وجودي، ما عرفتُك غير معنى
تغلغل في الخفاء، فما يبين
غريق في الظلام، ولا مخلص
ولا جسر يلاذ به أمين
أقيم عليه سور من عباب
تضلل على جوانبه السفين
أطل، ويضرب التيار وجهي
فأين أنا؟ أحر أم سجين؟

وجودي، أين أنت؟ ألا سبيل
التيك، فيهدأ العاني الحزين؟
ومن أنا في بني الدنيا؟ وما لي
وللدنيا، وما وعت القرون؟
أشغلني الحياة بكل حي
وتولعني بمن طوت المنون؟
أريد هواده، وتشور حولي
هموم، ما لعاصفها سكون
وتسلبني خطوب الدهر نفسي
فما خطبي؟ أحي أم دفين؟

وجودي، ما وجدتك غير خصم
تسلي قوى الخصوم ولا يلين
قرين مضر لا بد منه
إذا ما رأيتني، فضي القرن
تطيل عداوتي، وأنا المعادي
وتهدم قوتي، وأنا المعين
أريد الصمت أستبقيك جهدي
وتنطقني الحوادث والشؤون
وما لي أرقب العقب فأشقى؟
أجد أم مجنون؟

وجودي، ما الوجود، وما ورأي؟
إذا عدت النوى، ومضى الرهين؟

رَأَيْتُ الْمَرْءَ لَا يُغْنِيهِ عَقْلُ
سَأَلْتُ الْعِلْمَ كُلَّ فَتَى عَلِيمٍ
وَمَا تُغْنِي الشُّرُوحُ ، وَإِنْ تَنَاهَتْ
وَمَا الْعُقُلَاءُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
وَلَا يَهْدِيهِ فِي الْأَحْيَاءِ دِينُ
فَلَا سَمَحَ أَفَادَ ، وَلَا ضَمِينُ
إِذَا اسْتَعْنَصْتُ عَلَى الْعَقْلِ الْمَتُونُ
إِذَا اسْتَتَوَى عَلَى الدُّنْيَا الْجُنُونُ

دَعَيْنِي ، مَا الدَّيَارُ وَمَا الْقَطِينُ ؟
وَضَعْتُ ، وَفِي يَدَيِ الْكَزْزُ الثَّمِينُ
لَغَالٍ فِي النَّوَائِجِ لَا يَهْوُنُ
وَيَمْنَعُ رُكْنَهُ الْأَدَبُ الْحَصِينُ
وَمَا أَنَا فِي بَنِي وَطَنِي ظَنِينُ
دُيُونِي ، حِينَ تُلْتَمَسُ الدُّيُونُ
فَمَا أَدْبِي ؟ أَشَدُّ أَمْ رَنِينُ ؟
دِيَارَ الشَّرْقِ ، هَلْ بَكَ مِنْ قَطِينٍ ؟
ظَمِئْتُ ، وَفِي فِي الْأَدَبِ الْمَصْفَى
ظَلَمْتُ أَبِي وَنَفْسِي إِنَّ مِثْلِي
كَرِيمٌ تَدْفَعُ الْأَخْلَاقُ عَنْهُ
أَقُولُ فَيُفْزِعُ الشُّعْرَاءُ صَوْتِي
لِرَبِّي مَا عَمِلْتُ وَعِنْدَ قَوْمِي
أَمِنْ أَدْبِي تَبَيْتُ الطَّيْرُ تَبْكِي ؟

وُجُودِي ، أَيْنَ كُنْتَ ؟ وَلَيْتَ شِعْرِي ؟
لَسْتُ أَعْجَبْتُني فَرَضِيَتْ حِينًا
كَبَرْتُ وَمَا عَرَفْتُ مَكَانَ نَفْسِي
عَلَى طُولِ الْمَقَامِ ، مَتَى تَبِينُ ؟
لِذَلِكَ مَا جَنَى الرَّأْيُ الْغَبِينُ ؟
فَمَا أَذْرِي أَشَيْخُ أَمْ جَنِينُ ؟

وُجُودِي ، حَانَ مَوْعِدُ كُلِّ صَادِرٍ
نَهَانِي عَنْ حَيَاةِ السُّوءِ عَلَمِي
أَشَدُّ عَلَى الْفُنُونِ يَدِي ، وَإِنِّي
يَصُونُ الْحُرَّ مُهْجَتُهُ فَيَسْبِقُ
رَأَيْتُ الْعِزَّ أَجْمَعَ فِي رِاعٍ
وَأَبْطَأَ مَوْعِدِي ، فَتَى يَحِينُ ؟
بِمَا يَصِمُ الرِّجَالُ ، وَمَا يَزِينُ
لَنِي زَمَنُ جَهَالَتِهِ فَنُونُ
وَيُهْلِكُ نَفْسَهُ الضَّرْعُ الْمُهِينُ
يَصُونُ جَلَالَتهُ خُلُقُ مَتِينُ

وما يَبْقَى الْمَرْزُورُ بِغَيْرِ نَابٍ وَلَوْ أَنَّ السَّحَابَ لَهُ عَرِينُ

سَلِّ (الْهَرَمَ) الْخُلْدَ بَعْدَ (خَوْفِ) خَصِيمِ الدَّهْرِ تَسْتَعِصِي ذُرَاهُ يُزَلْزَلُ رَاحِفَ الْأَخْدَاتِ مِنْهُ فَتَى الدَّوَلَاتِ ، يُلْهِمُهَا هُدَاهَا وَيَنْهِي الْمَالِكِينَ ، فَلَا غُرُورُ نَصِيحٌ لَا يَغْشَى ، وَلَا يُدْأَجِي زَهَاهَا نَبَتْ الْمَالِكِ فِي ثَرَاهُ مَشِيْعٌ نَعِشَهَا ، إِنْ كَانَ مَوْتُ ثَرَى دَارَتْ عَلَيْهِ رَحَى اللَّيَالِي حَمَى (فِرْعَوْنَ) دُمَّرَ كُلُّ عَالٍ أَمِاذَنَةُ الْخُلُودِ يُطِلُّ مِنْهَا تَمَرٌ بِهِ الْعَصُورُ ، فَمُسْتَسِيرٌ بِنَاهُ الْعَبَقْرِ فِي صِبَاهَا تَدِينُ لَهُ الصَّوَاعِقُ ، وَهُوَ رَاسٌ تَشَكَّتْ طُولَ صُحْبَتِهِ اللَّيَالِي

أَيَضْرَعُ لِلْخُطُوبِ وَيَسْتَسْكِنُ ؟ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَمَا يَكُونُ وَقُورٌ فِي زَلَا زَلَاهَا رَزِينُ وَيُوقِظُهَا إِذَا غَفَتِ الْعُيُونُ إِذَا قَهَرُوا وَالشُّعُوبَ ، وَلَا فَتُونُ وَقَاضٍ لَا يَضِلُّ ، وَلَا يَخُونُ وَطَاحَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّرِينُ (١) وَإِنْ يَكُ مَوْلَدٌ ، فَهُوَ الشَّبِينُ (٢) قَمَاقِفَتْ ، وَلَا أَنْقَطَعَ الطَّحِينُ وَهَيْبَ بِنَاؤُهُ الْعَالِي الْمَكِينُ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا نَزَلَ الْأَذِينُ ؟ يُحَاذِرُ أَنْ يَرَاهُ ، وَمُسْتَسْتَبِينُ بِنَاهُ شَبَابُهَا اللَّيْقُ الْفَطِينُ بِمُصْطَدَمِ الصَّوَاعِقِ ، لَا يَدِينُ وَمَلَّ جِوَارَهُ الرَّصْدُ الْكَمِينُ

وُجُودِي ، أَنْتَ لِي وَلِكُلِّ حُرٍّ حَنِينُ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا خُلُودٌ إِذَا عَزَّ السَّبِيلُ عَلَى أَنْاسٍ خَدِينُ جَلَالَةٍ ، نَعْمَ الْخَدِينُ خُلُودٌ مَا بَنَيْتَ ، وَلَا حَنِينُ فَأَنْتَ إِمَامُهُمْ ، وَأَنَا الضَّمِينُ

احمد محرم

(١) الدرين ما اسود وقدم من النبات

(٢) الشبين من يقوم بخدمة العريس في العرس ، والامر متقارب

المنذر بن ماء السماء

ملك الحيرة

٥١٤ - ٥٦٣ م

بقلم يوسف رزق الله غنيمه وزير مالية العراق سابقاً

هو المنذر الثالث ابن امرئ القيس سمي ابن ماء السماء بلقب امه ماء السماء ذلك اللقب الذي غلب على اسمها لجمالها وحسنها^(١) او لكرمها ورقة طبعها^(٢) وقيل سميت به نسبةً إلى السماوة وكانت تدعى بماء فسمتها العرب ماء السماء^(٣) وقيل كان اسمها ماوية او مارية بنت عوف ابن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط^(٤) ويقال بل هي ربيعة اخت كليب والمهلهل التغلبيين^(٥) وروى بعضهم ان المنذر لقب ماء السماء لجوده وسخائه كما يملأ قطر الغيث الارض. وعرف المنذر بذى القرنين لضعفيتين كانتا له من شعره^(٦)

لحكم هذا الملك عهدان تتخللهما فترة فالعهد الاول في زمن قباذ وهو بدء ملكه في الحيرة تولى عرشها بعد وفاة أبيه سنة ٥١٤ وهي السنة السادسة والعشرون من حكم قباذ وعلى ذكر قباذ نقول انه تزين بتاج الاكسرة سنة ٤٨٨ وفي سنة ٤٩٦ طرده جاماسب وحكم دولة الساسانيين. وعاد قباذ ثانية إلى الحكم سنة ٤٩٨ وما كان لقباذ من استيلاء جاماسب على دولته حدث للمنذر الثالث. فان الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي استولى على الحيرة بمعاونة قباذ وطرد المنذر الثالث في سنة ٥٢٩ وبقي عليها حتى سنة ٥٣١ وفي هذه السنة طرد كسرى انوشروان الحارث بن عمرو الكندي واعاد المنذر الى حكم الحيرة وبقي عليها حتى وفاته سنة ٥٦٣ وهذا هو عهد حكمه الثاني^(٧)

قبل ان نأتي على تاريخ الحيرة في عهد المنذر بن ماء السماء لنقل كلمة في خلق هذا الملك :

(١) حمزة الاصفهاني ٧٠ (٢) شيخو : النصرانية وآدابها ٨٨ (٣) معجم البلدان مادة سماوة قال ياقوت ان ماء السماء هي ام النعمان . اما السماوة فهي بادية بين الكوفة والشام قفرى . وقال السكري السماوة ماء لكاب (٤) الطبري ٩٢:٢ وحمزة الاصفهاني ٧٠ ذكر الطبري اسمها مارية والاصفهاني ماوية (٥) النصرانية وآدابها ٨٨ (٦) الطبري ٩٢:٢ (٧) ابو الفداء ٧٤:١ ويجعل كوسن دي برسفال بدء حكم ابن ماء السماء سنة ٥١٣ ونهايته سنة ٥٦٢

كان المنذر قوي الشكيمة لا يستميله الوعد ولا يلويه الوعيد يخوض غمارات الموت غير هيب ولا وجل وينزل معامع القتال ثابت الجأش كالأسد الضرغام فيلقي الرعب في قلوب أعدائه وتنهزم فلول جيوشهم موليّة الادبار هلمعة لان الرجل كان ظالماً عاتياً فتناً كآيسفك الدماء مذراراً لاشباع اطماعه ونفسه الوثابة وإرضاء لواهمة الحادة الخيال وكان يظهر بين الفينة والفينة جواداً كريماً تعف عن نفسه الشرّ شأن الرجال الذين يقضون ايامهم في اضطراب وقلق . فيتجلى في اخلاقهم مظهران متشاكسان مظهر القسوة ومظهر العطف على البشرية المتألّمة

في بدء ملك المنذر كان قباز ملك الفرس قد عقد الصلح مع الهياطلة بعد حروب دامت بين الفرس والهياطلة عشر سنوات (٥٠٣ — ٥١٣) فاتيح له أنذار ان يوجه انظاره إلى علاقته بالروم لأن الروم كانوا قد استفادوا من انهماك الفرس بحرب الهياطلة فتقدموا من الترخوم الفارسية وعززوا حصونهم في مدينة دارا ولم يصغ الانبراطور انسطاس إلى الاعتراضات التي بعث بها اليه قباز على لسان وفد اوفده اليه وتابع يوسطنوس الاول (Justin I) (٥١٨ — ٥٢٧) سياسة سلفه العدائية تجاه الفرس . وقصارى القول توترت العلاقات بين الدولتين واشتملت نار الحرب بينهما في ارمينية الفارسية (١)

وكان الانبراطور يوسطنوس الاول يخطب ودّ المنذر بن ماء السماء ويحاول ان يعقد معه معاهدة صلح وولاء . فأرسل اليه وفداً في هذه المطاوي للمفاوضة يخبرنا احد كتبة السريان شمعون اسقف ارشم أنه في ٢٠ كانون الثاني (يناير) سنة ٥٢٤ غادر مدينة الحيرة مع القس ابراهام الذي كان قد اوفده الامبراطور يوسطنوس الاول إلى المنذر ملك العرب ليفاوضه في عقد معاهدة صلح فالتقى الوفد بالمنذر في رملة Ramla (٢)

نجهل الدواعي التي حدثت بالانبراطور إلى إرسال هذا الوفد في ذلك التاريخ وغزوات المنذر بلاد الروم كانت بعد ذلك التاريخ على ما نحسب إلا اننا نرتئي أن يوسطنوس أراد أن يتحالف مع ملك الحيرة ليأمن حدود برية الشام في زمن كانت علاقته بالفرس غير مرضية والحرب على قاب قوسين او اندلعت نيرانها في ارمينية الفارسية

ومما يذكره لنا شمعون الارشمي في رسالته هذه انهم (اي هو والقس ابراهام وجرجس او سرجيس اسقف الرصافة) (٣) علموا أنذار أن المنذر أخذ رسالة من ذي ثواس الحميري ملك اليمن اليهودي يستحثه فيها على اضطهاد النصارى وقتلهم في الحيرة كما فعل هو

(1) Sykes : His. of Persia : I:480-481 (2) Duval : Litt. Syriaque 148-151

(٣) السمعاني المكتبة الشرقية ١: ٣٦٤ طبعتر رسالة شمعون الارشمي بالسريانية وترجمت الى اليونانية والبرتغالية

بنصاري نجران^(١) فأثر كلام ملك اليمين في المنذر وأراد أن يعتنق ايمان المتنصرين من جيشه فدعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود ايمانهم فقام احد ضباطه فقال له : « ان تنصرنا قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فهيهات أن تقنعنا بالعدول عن ديننا وعلى كل ان كان رفقاءي لا يثبتون في مذهبهم فاني لا أجدده مطلقاً ولست أخاف العذاب ولا الموت كما تحققت ذلك لما رأيتني في وقائع الحروب اذا لم يك سيفي اقصر من سيف سواي » فلما سمع المنذر كلامه عرف انه لا يستفيد شيئاً فعدل عن قصده وترك كلا من جنوده يتبع دينه^(٢) . وفي سنة ٥٢٨ كانت الحرب سجلاً بين الروم والفرس وكان جيش الروم بقيادة بلساريوس Belisarius فني بخسائر فرأى الملك يوستنيانوس Justinian (٥٢٧-٥٦٧) خليفة يوستنوس الاول تقوية جيشه فقواه . وكان الجيش الفارسي بقيادة فروز مهران يتقدم الى دارا^(٣) ونرى في هذه التضاعيف المنذر بن ماء السماء يغزو الحارث بن ابي ثمر ملك غسان وينتصر عليه ويغنم الغنائم الكثيرة والمال الوافر ويمعن في اجتياح سورية ويتقدم الى انطاكية ويستولي عليها ويقدم الى الالهة العزى ضحايا بشرية اربعمئة راهبة كما ذكره الكتبة السريان وسلب ومهب وقتل وألقى الرعب في القلوب^(٤)

لم يطل الأمد على المنذر في حكمه بعد هذه الواقعة بل قام عليه الحارث بن حجر آكل المرار الكندي^(٥) وطرده من الحيرة واستولى عليها بمؤازرة كسرى قباد لأنه شايبه في المزدكية مذهب مزدك بن بامدادان الزنديق الذي ظهر في ايام قباد المذكور فرأاه قباد المذكور ودان بالمزدكية الآمرة الناس بالتساوي في الاموال والاشترائك في النساء أي مذهب الشيوعية^(٦) وكان المنذر قد رفض المزدكية فاغتاظ منه قباد ونقم عليه^(٧) . وقال حمزة الاصفهاني^(٨) في هذا الموضوع . فضعف ملك العرب لأن مادة قوة ملوك العرب كانت من جهة ملوك الفرس فعندها ملكت بكر بن وائل عليها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فهرب المنذر من دار ملكته الحيرة ومضى حتى نزل إلى الجرساء الكلبي وأقام عنده وكانت هذه الحوادث نحو سنة ٥٢٩ . ثم أن أمراً القيس الثالث^(٩) (والد المنذر بن ماء السماء) كان يغزو قبائل ربيعة فينكي بهم

(١) راجع عن هذا الاضطهاد الطبري ١٠٥: ٢ وابن الاثير ١٧١: ١ (٢) شيخو: النصرانية وآدابها ٨٩ (٣) Sykes : His. of Pers iaI:481 (٤) تاريخ ميخائيل الكبير طبعة شابو ١٧٨: ٢ وتاريخ زكريا الخطيب طبعة لندن ٢٤٤: ٣ (٥) قال القلقشندي : في كتابه نهاية الارب في معرفة انساب العرب ص ٣٣١ كندة قبيلة من كهلان وكندا هذا ابوههم واسمه نور وانما سمي كندة لانه كند اباه اي كفر نعمته وكندة هذا هو ابن اخي جذام ولحم وعادله وبلاد كندة باليمن وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن ومنهم امرؤ القيس الشاعر المشهور . آه . وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك يأكل القوي الضعيف فسد امورهم وساسهم احسن سياسة واتزع من اللخمين ارضهم (٥٠٣ م) ثم ملك بعده ابنه عمرو المقصور ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى ولاه قباد على العراق زمناً (٦) ابو الفداء ٧١: ١ (٧) ابن الاثير ١٧٥: ١ (٨) كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانباء ٧١ (٩) يذكر الاصفهاني اسمه امرء القيس البدء ونظنه غلطاً والاصح الثالث

ومنهم أصاب ماء السماء وكانت امرأة أبي حوط الخطائر ثم أنه ترك الحزم في غزوة من غزواته فثارت به بكر بن وائل فهزموا رجاله وأسروه فبقيت تلك العداوة في نفوس بكر بن وائل إلى أن وهى امر الملك قباذ فعندها أرسلت بكر إلى الحارث بن عمرو الكندي فلكوه وحشدوا له ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب (١)

بقي الحارث بن عمرو بن حجير آكل المرار الكندي ملكاً على الحيرة حتى مات قباذ وتولّى تاج الأكرسة كسرى أنوشروان العادل سنة ٥٣١ وانتفض على مزدك فقتله وقتل أشياعه شر قتلة وطهر البلاد من الزندقة وبلغه أن الحارث آكل المرار دان بالزندقة وحامى الزنادقة بمعنى أن المزدكيين الذين طاردتهم كسرى وخشوا قصاصه هربوا ملتجئين إلى الحارث في الحيرة فبعث كسرى إلى المنذر بن ماء السماء من اشخصه إليه فقواه برجال من الاساورة وردّه إلى الحيرة ملكاً (٢) وكان الحارث يومئذ في الانبار فبلغه الامر فخرج هارباً في صحابته وولده فرباً بالشوية وتبعه المنذر بالخيول من تغلب وايد وبهر فلاحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجأته وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار فقدموا بهم إلى المنذر (٣) فأمر المنذر بقتلهم بجفر الاملاك في ديار بني مرينا العباديين بين دير هند الكبرى والكوفة فقتلوا . ورثاهم امرؤ القيس الشاعر الذائع الصيت وهو حفيد الحارث آكل المرار وكان مع هؤلاء الذين قبضت عليهم تغلب من بني قومه وهو أفلت واليك مرثيته (٤)

ألا يا عينُ بكسي لي شنيئا وبكسي لي الملوك الذاهبين
ملوكاً من بني حجير بن عمرو يساقون العشية يقتلون
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنزع الحواجب والعيونا (٥)

وفي هذه الموقعة يقول عمرو بن كلثوم في معلقته (٦)

(١) يفهم من رواية الاصفهاني ان اختلال الحارث الكندي الحيرة كان بالرغم عن قباذ ويؤيد هذه الرواية ما جاء في تاريخ الطبري ٨٦: ٢ ان الحارث بن عمرو بن حجير الكندي ملك الحيرة بمؤازرة خاله تبع بن حسان بن تبع بن ملكي كرب ابن تبع الاقرن (٢) حمزة الاصفهاني ٧١ (٣) ابن الاثير ١: ١٧٥ (٤) الاغانى ٨: ٦٢ وشعراء النصرانية ٧ (٥) وجاء في معجم البلدان في مادة (دير بني مرينا) وفي شعراء النصرانية ص ٥٧ ان امراً القيس قال هذا الشعر في وقعة يختلف وصفها عما جاء في الاغانى كما اثبتناه في النص اعلاه وهو ان قيس بن سلمة حفيد الحارث آكل المرار اغار على المنذر فهزمه حتى ادخله الخورنق ومعه ابنه قابوس وعمرو ولم يكن ولد له يومئذ المنذر ابن المنذر فكث المنذر ذو القرنين وهو ابن ماء السماء حولا ثم اغار عليهم بذات الشقوق فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجير بن عمرو كانوا يتصيدون وكان معهم امرؤ القيس الشاعر ولكنه أفلت وقدم المنذر في الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الابيض شهرين ثم ارسل اليهم ان يؤتي بهم فحشي ان لا يؤتى بهم حتى يؤخذوا من رسله فارسلوا اليهم ان أضربوا اعناقهم حتى ما اتاكم الرسول فأتاهم الرسول وهم عند الجفر فضربوا اعناقهم به (٦) الاغانى ٨: ٦٢

فآبوا بالنّهاب وبالسّبّايا وأبنا بالملوك مصفدينا
 كان الحارث آكل المرار قد فرّق ولده في قبائل العرب فلّك ابنه حجراً على بني أسد
 وغطفان وملك ابنه شرحبيل (قبل يوم الكلاب) على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة
 وطوائف من بني دارم بن تميم والرياب وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط
 وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم ابن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية وملك ابنه
 عبد الله على عبد القيس وملك ابنه سلامة على قيس^(١) فكان المنذر بن ماء السماء يتحين الفرص
 للانتقام من اعقاب الحارث فوقع خلاف بين ابني الحارث شرحبيل وسلامة آلت الى حرب
 وقتال وبعد وقائع دامية في يوم الكلاب التّجأ أحدهم سلامة ببني تغلب فاخرجت تغلب سلامة من
 بينهم فلجأ الى بكر بن وائل فلما صار عند بكر اذعنت له وحشدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك
 فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فأبوا ذلك فخلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم
 فليذبهم على قلة جبل اواره حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم بمجموعهم فالتقوا باواره
 فاقتتلوا اقتتالاً شديداً وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر واسر يزيد بن شرحبيل الكندي فأمر
 المنذر بقتله. وقتل في المعركة بشر كثير واسر المنذر من بكر اسرى كثيرة فأمر بهم فذبخوا
 على جبل اواره فجعل الدم يحمى فليل له ابيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه لارض لم يبلغ دماؤهم
 الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء ان يحرقن بالنار
 فتشفع رجل من قيس فأطلقهن المنذر واشتهرت هذه الموقعة عند العرب بيوم اواره الاول^(٢)
 لا نعلم متى حدثت موقعة يوم اواره. هل بعد عودة المنذر الى حكم الحيرة توّاً أو بعد
 غزوته سوزية للمرة الثانية في عهد كسرى انو شروان كما سيجيء ذكرها. وبعد زوال ملك
 الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار قال امرؤ القيس يرثي ملك جده ويصف تباريح الزمان:

أبعد الحارث الملك بن عمرو له مُلكُ العراق الى عمان
 مجاورة بني شمعجي بن جرّم هواناً ما اتيج من الهوان
 ويمنحها بنو شمعجي بن جرّم معيزهم حنانك ذا الحنان^(٣)

وبقي المنذر بن ماء السماء يطارد آل آكل المرار ويبطش بهم وهم يهابونه. ومنهم امرؤ
 القيس الشاعر الطائر الشهرة. فلبثوا عهداً عند الحرث بن شهاب حتى بعث اليه المنذر مائة
 من رجاله يوعد به بالحرب ان لم يسلم اليه بني آكل المرار فأسلمهم ونجا امرؤ القيس. فخرج
 على وجهه وأقبل على فرسه الشقراء لاجئاً الى ابن عمته عمرو بن المنذر بن ماء السماء. لان ام
 عمرو هند بنت عمرو بن حجر بن آكل المرار وذلك بعد قتل ابيه واعمامه وتفرق اهل بيته
 وكان عمرو يومئذ خليفة لابيّه المنذر بيقه وهي بين الانبار وهيت فمدحه وذكر صهره ورحمه

(١) الاغاني ٦٢ : ٦٣ (٢) ابن الاثير ٢٢٨ : ١ (٣) شعراء النصرانية ٦٧

وانه قد تعلق بحباله ولجأ اليه فأجاره عمرو ومكث عنده زمناً ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه واندبه عمرو . فهرب الى هانيء بن مسعود بن عامر احد رؤساء بني شيبان فلم يجره وقال له انا في دين الملك فأتى سعد بن ضباب الايادي سيد قومه فأجاره^(١)

وذكر مؤرخو الروم مثل ننوز وبروكوب وغيرهما ان امرء القيس وهم يسمونه قيساً قبل وروده على القيصرييوس تينيانوس اوفد اليه وفداً يطلب منه النجدة على بني اسد وعلى المنذر ملك العراق^(٢)

ذكر سايكس^(٣) ان في سنة ٥٣١ اتخذت التدابير في بلاد فارس لاجتياح سورية بمحاذاة العرب بامرة المنذر بعد ان اخفقت مفاوضات الصلح مع الروم الا ان القائد الساهر بلساريوس وقف على هذا الخبر وسير عساكره سيراً حثيثاً وجعله حائلاً بين الغزاة وانطاكية . ولما فشل الجيش الفارسي في تحقيق جُلِّ مقصدهم انجأوا عن البلاد الرومية وكان في نية القائد الرومي ان يفسح لهم المجال في جلائهم هذا الا ان عسكره ضجّ صاخباً وأراد ان يطارد الفرس فوافقهم مرغماً ولكنهم خسروا وتخرج موقعتهم ولم يتمكن قائدهم من الخلاص من هذه الورطة الا بمهارة عسكرية . وكانت هذه آخر موقعة من الحروب وجاء خبر موت قباذ آئذ فكفّ الجيش الفارسي وانجلي يفهم من رواية سايكس ان في اخريات أيام قباذ كان المنذر في رأس العرب الذين نصروا الفرس في هذه الحرب مع ان مؤرخي العرب ذكروا ان المنذر كان على غير وئام مع قباذ وان الحارث آكل المرار كان قد اغتصب ملك الحيرة بمؤازرة قباذ نفسه كما مرّ بنا قبيل هذا . فان صحّت رواية سايكس هذه فلا نجد لتعليقها سبيلاً الا ان العلائق بين المنذر وقباذ كانت قد بدأت بالتحسن وكان ملك الفرس محتاجاً الى المنذر وكان المنذر يرجو خيراً من التقرب من خسرو قباذ وربما كان يطمع في الغزو . ومع هذا فان بعض المؤرخين يروون ان زحف المنذر على سورية في هذه السنة عينها ٥٣١ كان نجدة لكسرى أنوشروان وليس لقباذ والواقع ان في هذه السنة مات قباذ وملك أنوشروان وعقد يوسطنيانوس معاهدة صلح مع الفرس^(٣) لانه كان يرمي الى ايجاد صلوات سلم في الشرق ليتسع له مجال الحرب والفتح في ايطالية وافريقية ولم يدخل اسم المنذر في هذه المعاهدة

لم يدم الصلح طويلاً بين أنوشروان ويوسطنيانوس اذ ساء أنوشروان أخبار النصر الذي ناله الروم في افريقية وايطالية فاعز الى حامله المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة أن يغزو سورية وكان آئذ اختلاف بينه وبين الحارث بن جبلة الغساني في ملكية طريق الماشية في جنوبي تدمر يدعي المنذر انها من مملكته وينازعه في ذلك ملك غسان فاهتبل المنذر هذه الفرصة وحارب الحارث وانتصر أنوشروان للمنذر وانتصر الروم للحارث فثارت الحرب بين الدولتين وغزا أنوشروان سورية وآسية الصغرى

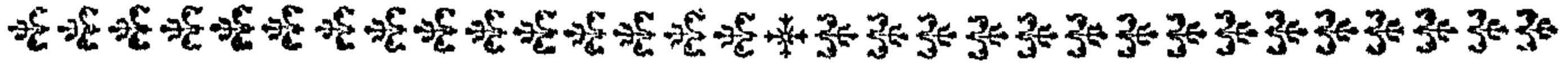
(ستأتي البقية)

(١) الاغانى ٦٧: ٨ (٢) شعراء النصرانية ٣٥ (٣) Sykes : His. of Persia 1 : 482 (3)



علم الجغرافية الاجتماعية

والاتجاهات الحديثة في الجغرافية



الاتجاهات الحديثة

كانت الجغرافية في نظر القدماء تشمل كل العلوم التي تتناول الارض وما عليها من الاحياء . يقابلها في عرفهم الفلك للأجرام الفلكية والرياضة للأرقام والفلسفة للعقل . ولكن فروع العلم التي كانت تنطوي عليها الجغرافية اخذت تنفصل عنها إذ جعل رجال الاختصاص يوجهون الى مباحثهم الخاصة عناية خاصة ، فنشأت علوم الطبيعة والكيمياء والجولوجية والجغرافية الطبيعية وغيرها . وإذا فيصح ان نقول ان الجغرافية « أم العلوم »

واشتد الاتجاه إلى التخصص في القرن التاسع عشر ، فظن بعضهم انه لم يبق للجغرافية الا الاهتمام بمواقع البلدان وتجاريتها . والواقع ان معظم ما كان يدرس في فرع الجغرافية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر لم يخرج عن تعيين المواقع وذكر حاصلات البلدان . ومعظم الذين تعلموا الجغرافية في ذلك العهد ، أو على تلك الطريقة ، لا يدركون قيمة الجغرافية في نظر العلم الحديث ، وقد يبدو لهم ان ينتقصوا من مكانتها

ولا ريب في ان علم الجغرافية خسر خسارة كبيرة لما انفصل عنه علماء من الطبقة الاولى تلبية لباعث الاختصاص فصاروا يحسبون في عداد الجولوجيين والانثربولوجيين والاقليميين (Climatologists) وفقدت من مكانتها بانفصال هؤلاء عنها حتى كادت الجامعات الاميركية لا تعنى بتدريس الجغرافية على انها علم مستقل ، او بتخصيص اساتذة لها بين اساتذة العلوم الاخرى ولكن ما لبثت هذه الغيمة ان انقشعت وتحولت دوائر العلم إلى الاعتراف بفائدة الجغرافية كعلم مستقل ، في المانيا اولاً ثم في فرنسا ثم في انكلترا والولايات المتحدة الاميركية . وهي الآن تدرس في كل الجامعات ولاساتذتها مقام لا يفوقه مقام الاساتذة في العلوم الاخرى . وقد فازت الجغرافية بهذه المكانة ، لان كبار المربين اعترفوا بانها تتناول ميداناً من المعرفة جديراً بكل عناية ولكنها تحولت عما كانت عليه . فالجغرافية الآن لا تقتصر على تعيين مواقع البلدان وذكر حاصلاتها . بل اتجهت الى ثلاث نواح هي : الجغرافية الانسانية والجغرافية الاقتصادية والجغرافية المحلية والتاريخية اما توزيع النباتات والحيوانات الجغرافي فصرف النظر عنه لان علماء الاحياء يرونه من اختصاصهم ، ولان علماء الجغرافية يريدون ان يقصروا مباحثهم على اثر البيئة في حياة الناس وميدان البحث الجغرافي - أي اثر البيئة في طبيعة الناس وتوزيعهم على سطح الارض واعمالهم

وصفتهم — يجعلها في مكان بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية . لذلك تراها في المدارس والجامعات الفرنسية وبعض جامعات اميركا — مشيفن وكليفورنية — في عداد العلوم الاجتماعية . اما في المانيا وبعض جامعات اميركا — برنستن وكورنل — فتحسب في عداد العلوم الطبيعية . واما في جامعة شيكاغو فتراها قد ذكرت في عداد العلوم الطبيعية والاجتماعية على السواء . وما يبعث على الدهشة انك لا تكاد تقف على ذكر الجغرافية في دائرة معارف العلوم الاجتماعية التي تنشر الآن في بضعة مجلدات . ولعل تأخر علماء الاجتماع عن اقامة الوزن الصحيح للجغرافية بين العلوم الاجتماعية ناشىء عن ان الجغرافية الاجتماعية نفسها لم تبلغ بعد درجة وافية من النمو ولما كانت الجغرافية الاجتماعية تعتمد على التاريخ والاجتماع والاقتصاد في جمع الحقائق اللازمة لها ، فلا يستغرب تأخر نموها . على ان المراقبين لنموها يرون فيها ، إذا بلغت اشدها ، علماً ذا فائدة اجتماعية كبيرة . وما يلي من هذه المقالة بيان موجز لاغراضها وحدودها

الجغرافية الاجتماعية : مبرراتها واساليبها

الجغرافية الاجتماعية تتناول اثر البيئة في جماعات كبيرة من الناس دون الافراد والجماعات القليلة كالأسر . وتعنى بوجه خاص بالتحوّل الذي يصيب المثل الاجتماعية في بلدان مختلفة وما اثر البيئة في هذا التحوّل . وإذا فتتقل مراكز الحضارة وقيام الامم والجماعات وانحطاطها من المباحث التي تسترعى عناية الجغرافيين الاجتماعيين كل الاسترطاء . وإذا قصر الجغرافي الاجتماعي بحثه على بلاد واحدة تناول بحثه اثر البيئة في ما يحده بين مناطق البلاد من الاختلاف في كفاءة التعليم ، والصحة الاجتماعية ، والاجرام ، والاثر في سياسة البلاد ، والحضارة بوجه عام . ومن افتن ابواب هذا البحث للرب ، الموازنة بين ما تنجبه المناطق المختلفة من الزعماء فالجغرافية الاجتماعية تضم نواحي من مختلف فروع الجغرافية العامة . فهي تأخذ من الجغرافية الاقتصادية اثر الثروة ومصادرها في الحياة الاجتماعية ومثلها ولكنها لا تتناول الا لما وجوه الجغرافية الاقتصادية بالمعنى المألوف . وتتناول من الجغرافية المحلية الموازنة بين المناطق المختلفة في بلاد ما ، في شكل سطح الارض ، وحالة التربة والاقليم ، ولكنها تعنى بوجه خاص بناحية يهتمها الجغرافي المحلي Regional Geographer هي ناحية عدد الزعماء الذين تنجبهم مقاطعة ما ، وعدد السكان الذين يملكون بيوتاً ، وانتشار التعليم والامية ونسبة السكان في المدن إلى السكان في الريف واثر ذلك في المثل الاجتماعية ومحاولة ربط نسبة الامية والمواليد والاجرام بالفروق الجغرافية بين المناطق

اما في الجغرافية التاريخية فالجغرافي الاجتماعي لا يوجه عناية كبيرة إلى العلاقة بين الجو وشكل سطح الارض أو بين حالة التربة ونتائج المعارك التاريخية وما عقبت على اثرها من معاهدات

السلام . وإنما هو يعنى عناية خاصة بالبواعث الجغرافية التي كانت ذات أثر في نهوض الأمم وخططها، وفوز السلالات أو تضعفها وتلاشيها، وتغيّر المثل الاجتماعية الذي يصحب هجرة السلالات من بلاد إلى بلاد، وانتشار اللغات والعقائد السياسية، وطرق الانتفاع بمصادر الثروة الطبيعية وليست الجغرافية السياسية إلا ناحية من الجغرافية الاجتماعية ولكن الجغرافي الاجتماعي يترك للمختص بالجغرافية السياسية درس الحدود بين البلدان ومواقع العواصم وغير ذلك في النبذة المتقدمة المأمة بميدان الجغرافية الاجتماعية . أما أغراضها الأساسية فهي الانتفاع بما يعرف من البيئة وأثرها لفهم طبائع الشعوب وعاداتها وأعمالها

ولذلك ثلاثة أساليب : الأول أن نتناول شعبين من أصل واحد ونشأة واحدة ولكن أحدهما هجر بلاده الأصلية إلى بلاد أخرى ثم نوازن بين طبائعهما وعاداتهما ومثلهما، ونحاول تعليل ذلك بأثر البيئة الجديدة في الشعب المهاجر . والثاني أن نتخذ بيئتين متماثلتين في أكثر نواحيهما ولكنهما مختلفتان في بعض النواحي ثم نحاول أن نكشف أثر هذا الاختلاف في اجتماع الشعبين الذين يقطنونهما . والثالث أن نتناول أوضاعاً اجتماعية معينة مثل مقام المرأة أو أحوال الصحة الاجتماعية وندرسها في بيئات مختلفة محاولين أن نربطها بصفة خاصة من صفات البيئة إذا كان ذلك ممكناً . فالجغرافي الاجتماعي مثلاً يحاول أن يتبين هل إنجاب الزعماء العظام مرتبط أي ارتباط بنوع خاص من الأقليم كالإقليم البارد الشديد التقلب . أما وقد بينا اتساع ميدان البحث وتعقيد فلاحظ أن نجد الجغرافية الاجتماعية لا تزال تحبوعلى طريق النماء . ومع ذلك يمكن إعلام الباحثين فيها — مثل الزورث هنتنغتن^(١) والاستاذ ستيفن فشر استاذ الجغرافية في جامعة إنديانا وصاحب هذا المقال — من وضع طائفة من النظريات يصح أن تتخذ أساساً للبحث

نظريات الجغرافية الاجتماعية

١ — ترتقي الحضارة ارتقاءً سريعاً حيث تكون أحوال الإقليم مؤاتية . فإذا نقلت بزور الحضارة إلى إقليم غير مؤاتٍ، انحطت إلا إذا جدت بهجرة أقوام من بلدان ذات إقليم مؤاتٍ . فإذا شاءت الشعوب القاطنة في بلد مؤاتٍ الإقليم، أن تنشر الحضارة وتعززها في بلاد غير مؤاتية الأقليم، وجب عليهم ألا يكتفوا بإرسال الزعماء والأغنياء لدى افتتاح البلاد بل يجب إمداد البلاد بمجموعات تجدد حياة الحضارة فيها جيلاً بعد جيل

٢ — تحول التربة الخصبة أو الأحوال المؤاتية لسهولة العيش دون تعزيز الديمقراطية . ففي بلدان من هذا القبيل تتجمع الأرض — وغيرها من أشكال الثروة — في أيدي أفراد قلائل في حين أن سواد الأمة يبقى في حالة فقر وخطط . أما في البلدان التي ليست خصبة التربة، فالميل أقوى إلى التساوي — مساواة نسبية — بين طوائف الأمة في الثروة والتعليم والسلطان

(١) صاحب مقالة « علم التنجيم الجديد » راجع مقتطف يناير وفبراير ١٩٣١

٣ — ان الحاصلات الطبيعية التي يسهل استخراجها من بطن الارض كالنفط والفحم والذهب هي من عوامل الدمار الاجتماعي في الجماعة التي تستخرجها ويجب ان تحسب في الموازنة الاجتماعية في ناحية الدين لا في ناحية مصادرة الثروة

٤ — ان استعمال مصادر الثروة الطبيعية تتوقف على صفات الشعب وبوجه خاص على نشاطهم الطبيعي وبراعتهم الميكانيكية ، اكثر من توقفها على قرب مصادر الثروة من المناطق الآهلة . فمعظم الفحم والنفط مثلاً يستعمل في اماكن تبعد كثيراً عن مناجم الفحم وآبار النفط . وعلى الضد من ذلك نجد ان استعمال الفحم والنفط حيث يستنبطان نادر الا اذا كان على مقربة من اماكن استنباطها جماعة متصفة بالنشاط والبراعة الميكانيكية والصناعية

٥ — ان جانباً ضئيلاً جداً من سطح الكرة الارضية ينجب عدداً كبيراً من الزعماء بالنسبة إلى عدد السكان . وذلك لان الاستفادة من مواهب الزعماء يقتضي وجود شعب يقدر المواهب قدرها ويعنى بتشجيع المبتكرين . ومعظم شعوب الارض لا يستطيعون تشجيع النوابع مادياً وأدبياً لتأخرها الاقتصادي . ولكن ثمة بقاع يتعذر فيها كسب الرزق ولكنها تنجب زعماء اذا كانت أحوال البيئة الاجتماعية مؤاتية لانجابهم وإذا كانت البلدان المجاورة في حاجة إلى هؤلاء الزعماء ٦ — وتندر البلدان التي توجه فيها بيئة اجتماعية كاملة . لان عنصراً أو آخر من عناصر البيئة الاجتماعية الصالحة مفقود في هذه البيئة أو تلك . واهم هذه العناصر موقع جغرافي حسن يمتاز به بجو بارد متقلب حافز للنشاط الجسدي والعقلي ، ولكنة على جانب من الدفء والرطوبة في بعض فصول السنة حتى يصلح للزراعة . ولا بد كذلك من سلاسة سليمة من ناحية الوراثة ، واسباب تسهيل تبادل الافكار

٧ — في المدن تباين بين طوائف السكان اكثر من التباين الذي نجده بين سكان ريف فسيح ليس في جوارهم مدن وذلك لان الفرص التي تتاح في المدن لطلاب العمل اكثر تبايناً من الفرص التي تتاح في الريف ٨ — الفروق في المثل الاجتماعية في مدينة ما او في حي من مدينة فروق في الغالب وهي تختلف باختلاف الاقبال على الحي ، ووسائل المواصلات التي تربطه بالاحياء الأخرى ، وصفات زعمائه وهذه الاختلافات تتم بواسطة انتخاب اجتماعي فيقطن ابناء الأمة الواحدة في حي واحد او احياء متجاورة

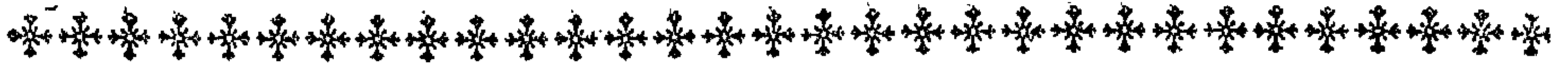
٩ — يقوى الانتخاب الاجتماعي بارتقاء اسباب المواصلات . ففي المناطق التي تكثر الهجرة اليها نجد متوسط الحماسة والنشاط الذهني والتفاؤل عالياً جداً . كذلك نجد اصحاب المواهب التجارية المالية متجمعين في مراكز التجارة والمال ، واصحاب المواهب العقلية في جوار الجامعات ومراكز التعليم ، والتشاور سائداً في المناطق التي اخذت تفقد سكانها كافي المناطق الزراعية

١٠ — ليس ثمة منطقة كاملة من حيث هي بيئة اجتماعية ومهما تتوافر فيها العناصر اللازمة لا بد لها من سد ما ينقصها بما يرد اليها من غيرها . وكل وسيلة تمكن هذا التبادل تفيد فائدة اجتماعية كبيرة . وإذا فُضِرَ الضرر على اسباب المواصلات المختلفة ضار من الناحية الاجتماعية

انقضى النهار

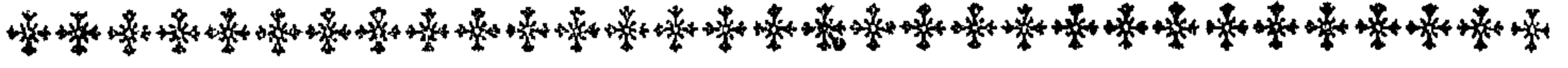
ترجمة قصيدة الشاعر الكبير كي لو نغفلو

لقد انقضى النهار وأخذ الظلام يهوي من اجنحة الليل
 كريشة سقطت من جناح عقاب في اثناء الطيران
 ارى انوار القرية تتألا من خلال المطر والضباب
 فيستولي علي شعور أسي لا تستطيع نفسي أن تصدّه
 شعور أسي وتوق لا يمت إلى الألم بصلة
 ولكنه لا يشبه الحزن إلا كما يشبه الضباب المطر
 اقرني لي قصيدة ، أو أغنية ساذجة صادرة من صميم القلب
 تسكن اضطرابي وتبدد أفكار النهار
 لا تقرأي لي من شعر الفطاحل ، ولا من الملشدين السمويين
 الذين يسمع صدى خطواتهم العاتية في اروقة الزمان
 لأن أفكارهم العنيفة ، مثل ايقاع الموسيقى الحربية
 تبعث في الحياة حب النضال والجهاد ، وأنا الليلة انوق الى الراحة
 اقرأي لي من شاعر متواضع ، تفجرت أغانيه من قلبه
 كما تنهمر الشآبيب من غيم الصيف أو الدموع من الاجفان
 من شاعر ظل في ايام العمل والكفاح وليالي الاضطراب
 يسمع في قرارة نفسه موسيقى الالحان العجيبة
 أغاني يقرئ الى هدوئها نبض العناء الذي لا يستقر
 فتجىء كالطمانينة التي تتبع الصلاة
 ثم اقرأي لي من كتاب ثمين الشعر الذي تختارينه
 وأضيفني الى روعة قوافي الشاعر روعة صوتك الرخيم
 اذا يصبح الليل حافلاً باصداء الموسيقى ، فتطوي متاعب النهار
 خيمها ، كما تفعل العرب ، وتتسلل في سكينه الظلام



حفني بك ناصف

تاريخ حياته



هو محمد الحفني ابن الشيخ اسماعيل ابن الشيخ خليل بن ناصف ، كان أبوه من أهل العلم وتوفي قبل ولادة ابنه بشهرين أو ثلاثة . ولد المترجم بركة الحج^(١) في ٥ محرم سنة ١٢٧٢ هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٨٥٥ م ، وما ترعرع حتى دفع الى كتاب البلدة فتعلم الخط وحفظ القرآن جميعه ولما كان فقيه المكتب يفرط في ضرب تلاميذه ، وكان هو منذ نشأته يأبى الضيم وينزع إلى الحرية والعلم — وقد بقي كذلك حتى وفاته — فقد هرب إلى الازهر فمكث فيه عشر سنين متتابة ، جود القرآن في الاولى منها وحفظ المتون المعتاد حفظها ، وتعلم في التسع الباقية فقه الشافعي والصرف والنحو وعلوم البلاغة والعروض والقافية والمنطق والتوحيد والتفسير والحديث ، وحصل على إجازة برواية الحديث من الشيخ الأشموني . على أنه لم يقنع بدراسة هذه العلوم المدرسية ، فأخذ يتعلم خارج الازهر علم الميقات ومبادئ الفلسفة والانشاء والشعر والأدب وغير ذلك ، وسافر في غضون تلك المدة إلى الحجاز والشام للحج وزيارة المشاهد المقدسة وذاعت شهرته في الازهر بالنحو والشعر ، وأصبح — بطريقة غير رسمية — يعلم به شرح ابن عقيل على الألفية ، وكان نوابغ الطلبة يسألونه في النحو عما شاءوا فلم يعجز عن الجواب مرة واحدة ، اما في الشعر فقد كان لقصائده القدر المعلن في كل الحفلات الأدبية التي كانت تقام في بعض أروقة الازهر فيتبارى فيها شعراؤه من كل صوب ، وكان الازهريون يستكثرون عليه تلك القصائد ويظنون أنه قد يكون سرقة من الدواوين القديمة ، فاقترح عليهم أشعرهم في ذلك الوقت — فضيلة الشيخ عبد الرحمن قرآنة — أن يساجله في شعر حدد موضوعه واختار بحره وقافيته فساجله على مشهد من الطلبة حتى صنعا أكثر من مائة بيت في أقل من ساعة ، ومن ذلك الوقت آمن الجميع بشاعريته وأخذ طلاب الشعر من الازهريين يلتفون حوله ويعرضون عليه قصائدهم فيزيد فيها أو ينقص

وكان يود أن يقضي حياته في الازهر بين تعلم وتعليم ، ولكن مدرسة دار العلوم كانت قد انشئت في ذلك الوقت ففضل أن ينتظم فيها حتى لا تفوته علومها الحديثة ، وقد كان مستوى التعليم في تلك المدرسة أرقى مما هو الآن ، فامتحن مع مائة وخمسين طالبا من أبناء الازهريين

(١) سميت بركة الحج لأنها كانت محط رحال المحمل قبيل سفره إلى الحجاز كل عام ، وربما وقع الاختيار عليها لأنها كانت على حدود الجزء المعمور من الدلتا ، وقد أدى عدد كبير من أهلها فريضة الحج ، وأهم مزارعها البلح (البركاي)

قُبِلَ منهم أربعة عشر كان هو أولهم ، ولم يزل حافظاً لهذه الأولوية حتى تخرج من المدرسة بعد سنوات أربع تعلم فيها فقه أبي حنيفة والحساب والهندسة والتاريخ والجغرافية والطبيعة والكيمياء ووظائف الاعضاء والهيئة ومبادئ اللغة الفرنسية ، وذلك زيادة على التوسع في العلوم التي كان يدرسها من قبل .

وفي تلك الاثناء كانت الثورة العربية قد نشبت فقام بنصيبه فيها بالخطابة والدعاية السياسية وانتظم في سلك المتطوعين وبقي شهراً في قشلاق عابدين تدرَّب فيه على الرماية وبعض فنون الجندية ، وكان يجيد السباحة والغطس إلى حد غير مألوف بين الازهرين

وأول منصب تولاه بعد خروجه من المدرسة تعليم الخرس والعميان ، فتيسر له في ثلاث سنين أن جعل الخرس يكتبون كل ما يريدون من المعاني ويفهمون ما يكتبه الناس لهم ، فقامت الكتابة عندهم مكان الكلام والسمع وتيسر له تعليم الكبار من العميان الألفية كلها ورسالة الفضالي في التوحيد ومنظومة الشيخ أحمد قاسم في علم الميقات ، وقد نبغ منهم الشيخ مصطفى الفلكي الميقاتي ، وكان المترجم كلما حاول الانتقال من هذه المدرسة وقف في طريقه المفتش أنسي بك خوفاً على المدرسة أن تقف حركتها

ثم انتقل كاتباً خصوصياً (سكرتيراً) لشفيق بك منصور وكان هذا ميالاً للتأليف والتصنيف ولكنه لم يكن يعرف من علوم اللغة العربية ما يمكنه من ذلك ، فساعد المترجم من حيث اللغة والمادة ، كما ساعد غيره في وضع عدة كتب وترجمة أخرى

وانتخب مع الشيخ حمزة فتح الله ومحمود بك رشاد للوفود الى مؤتمر المستشرقين في مدينة فيينا تحت رئاسة ارتين باشا ، وقدم كل من الثلاثة بحثاً علمياً ، فلم يقبل في محاضر جلسات المؤتمر ولم يطبع في مجموعته سوى رسالته هو (مميزات لغات العرب)

ولما استعفى شفيق بك من عمل النيابة انتقل المترجم إلى مدرسة الحقوق معاماً للانشاء القضائي والانشاء العام والبلاغة والمنطق وآداب المناظرة ، وقد مكث في تلك المدرسة خمس سنوات نبغ على يديه فيها أشهر المنشئين والمترافعين والمترجمين والشعراء^(١)

وقد كلفت وزارة المعارف في تلك المدة تأليف كتب سهلة يتعلم التلاميذ فيها قواعد النحو والصرف والبلاغة ، تغنيهم عن تلك المطولات الخالية من التبويب والتي لا تلائم اذهان الطلبة بحال ، فألف كتباً خمسة جرى عليها العمل من ذلك الوقت الى الآن ، وتعلم بها الوف الناشئين في مصر وغيرها . وكانت مصلحة المساحة ترجع اليه لتصحيح اسماء البلدان في اطالسها ثم نقل إلى القضاء الاهلي ومكث فيه عشرين سنة كان فيها ضماناً للعدل والانصاف ومثالاً للصبر

(١) نذكر منهم مصطفى كامل وقد أتم دراسته بتولوز ، وطه حسين وعبد الهادي الجندي وأحمد شوقي وأحمد لطفي السيد وأحمد زكي وعبد الخالق ثروت واسماعيل صدقي وتوفيق نسيم وطالعت حرب وأحمد زكي أبو السعود



حفني ناصف رحمه الله

امام صفحة ٥٩٩

مقتطف ديسمبر ١٩٣٢

والجلد وعنوانا لالزاهة والشجاعة ولا يزال أهل البلاد التي تولى القضاء فيها يتحدثون بأنصافه ودقة بحضه
وكان في خلال تلك المدة قد فكر مع غيره في إتمام التعليم من الترددي في الهوة التي تدفعه
اليها الاستعمارية البريطانية بتفكيرها مهمته على تخرج الموظفين دون انشاء ثقافة حقيقية ،
وقد رأى هو وزملاؤه ان يبدأوا سعيهم بانشاء الجامعة المصرية واخذوا في الدعوة الى هذا
المشروع . وادرك الانجليز خطورة الفكرة فعمدوا من ناحيتهم كل ما يستطيعون لمنع انشاء
الجامعة ، فأوحوا إلى صنائعهم ان يطبوا ويزمروا بالدعوة الى نشر التعليم الاولي كي يضيع
بين ضجيجهم صوت الداعين الى انشاء الجامعة ، وعين سعد باشا زغلول اذ ذاك وزيراً
فاستقال من عضوية مجلس ادارة الجامعة في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ ونقل المترجم من مصر الى
قنا في ابريل سنة ١٩٠٨ ليتخلصوا من نشاطه وكفاءته

ومع ذلك ظل المترجم وزملاؤه (ومنهم علي علوي باشا ومحمد بك فريد ، وقد طلب
اليه مجلس الادارة ان يتنحى عن العمل في لجنة الجامعة نظراً لتطرف لونه السياسي فقبل ،
وعبد العزيز جاويز بك وقاسم امين بك وعبد العزيز فهمي باشا) ينادون بانشاء الجامعة
المصرية ويحبون البلاد ويخطبون في الناس ويجمعون الاموال من نقد وعقار ووقف ، وكل
عملهم في النهاية بالنجاح وان يكن نجاحاً محدوداً ، فانشئت الجامعة ولكن الدراسة فيها كانت
مقتصرة على الحقوق والآداب . واختير المترجم بعد ذلك لتعليم الادب العربي وتاريخه ،
فدرسه سنتين مع اشتغاله بالقضاء ، ووضع خلال تلك المدة ثلاثة اجزاء من كتاب الادب
العربي ضمنه ابحاثاً لم تكن مطروقة من قبل ، وسافر بعد ذلك الى مؤتمر المستشرقين في اثينا
وقدم لهم من المباحث ما فاز بتقديرهم واعجابهم

واصدر وهو وكيل بمحكمة طنطا على محب باشا مدير الغربية اذ ذاك ، حكماً مدنياً
له حيثيات توجب محاكمة المدير جنائياً ، وكان من اثر مثل هذه الاحكام ان بقي في طنطا
بضع سنوات بدون ارتقاء في المنصب او ازدياد في المرتب ، وحدث ان احيل الشيخ حمزة
فتح الله المفتش الاول للغة العربية الى المعاش ، فاتجهت الانظار الى المترجم وألحت عليه وزارة
المعارف في قبول ذلك المنصب فوافق في النهاية ، على ان صوت الوشاة حال دون ترقيه ، فلم
يزدد مرتبه قرشاً واحداً في السنوات الثلاث التي قضاها في المعارف

وكان يوجه اكبر عنايته في تلك المدة الى تنقية اللغة العربية من الانفاظ العامية والدخيلة
ووضع اصطلاحات صحيحة للعلوم التي كانت تدرس باللغة الاجنبية ثم تقرر تدريسها بالعربية ،
وتنقيح مناهج اللغة العربية ووضع كتب جديدة للمطالعة واخرى في مادة اللغة نفسها ، ولكن
ذلك لم ييسر له كله فقد رأت الوزارة ان الطواف اليومي في المدارس اهم عمل يقوم به المفتشون
وكان في ادوار حياته كلها يميل الى الاندية الادبية ، فقد كان وكيلاً لجمعية الاعتدال

التي انشأها اصحاب المقتطف في اول وفودهم على مصر لمحاربة الخمر وحث الناس على الاعتصام بالآداب القويمة ، وكان لها من الشأن ما لا يدركه القارىء الآن نظراً لضئالة شأن أكثر الجمعيات التي تعمل الآن لتحقيق مثل هذا الغرض ، وأسس في قنا نادياً يدعو الى الاخلاق الفاضلة كانت تلقى فيه المحاضرات كل اسبوع ، وكان اكبر العاملين في نادي طنطا وقد اتى فيه بضع محاضرات قيمة ، وانشأ في القاهرة نادي دار العلوم للمباحث اللغوية والآداب العربية ، وقد سار النادي خطوات واسعة في سبيل اصلاح اللغة ولولا الاشاعات التي دارت (قُبيل الحرب) عن سعد زغلول باشا في آخر وزارته واتهام النادي بأنه متشيع له لا يخرج هذا النادي كتباً جيدة وقواميس مستحدثة . وقد كان المترجم من اوائل الذين فكروا في انشاء مجمع لغوي ، وقد تكون هذا المجمع فعلاً وعقد بضع جلسات في دار الكتب المصرية ، ولكن الاحوال حالت دون استمراره ونموه . وكان المترجم يعني بتثقيف أولاده وبناته وبوجه خاص كبراهم ملك ، وهي أول سيدة مصرية طالبت برد حقوق المرأة باعتدال . وقد أصبحت بعد زواجها واقامت بها بالفيوم توقع قصائدها ومقالاتها في الصحف باسم « باحثة البادية » . ثم ختم اعماله العلمية بذلك العمل الضخم الا وهو تصحيح رسم المصحف العثماني . ولكي يدرك القارىء شيئاً عن قيمة ذلك العمل وما بذل في سبيل اتمامه من الجهد والتضحية أرى ذكر الادوار التي مرَّ عليها : —

كان الخديوي السابق عباس حلمي يلجح في قراءة القرآن . وسأل مرة هل ثمة ما يمنع طبع المصاحف بحسب قواعد الاملاء الحديثة ، فلما آتس بعض كبار علماء الازهر من سموه رغبة في تنفيذ ذلك الرأي ، سارعوا الى تحبيذه والافتاء بجوازه وتفضيله ، وانفرد المترجم أول الامر بالمعارضة في ذلك مراعاة لاصول القراءات وخوفاً ان تتعدد المصاحف في شتى البلاد الاسلامية فيجر ذلك الى تفكيك روابط الالفه التي يوثقها القراءان بين افراد المسلمين على اختلاف شعوبهم ونحلهم . ثم اقتنع بعض الفضلاء بهذا الرأي فناصروه فانتهى وقد ادى النقاش في درسهم خط المصحف على النمط الذي كتب به اول مرة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، الى تبين اخطاء في رسم الحروف وقد اخذت تتكرر وتزداد بتوالي الطبع من ذلك العهد حتى ما بعد الحرب ، فوجب العودة الى الصواب . وقد اسند هذا العمل الى اشد المتحمسين له كما هي العادة . وكان المترجم اذ ذاك مفتشاً اولاً للغة العربية بوزارة المعارف ، فكان يقوم به الى جانب عمله الرسمي ، وكان يعاونه الاستاذان احمد الاسكندري ومصطفى العناني ، وكانوا يقطنون ثلاثتهم حلوان فكانوا يجتمعون بمنزلنا هناك ثم جاءت الحرب العظمى ١٩١٤ بويلاتها فعمدت الحكومة المصرية في ذلك الحين الى الاقتصاد المعكوس فتبرعت للجيش الانكليزي بثلاثة ملايين من الجنيهات وتخلت له عن اجر الانتقال في السكك الحديدية وسنت قانوناً تحيل بمقتضاه الى المعاش كل موظف بلغ الستين من عمره ، ولم يطبق

هذا القانون على اصفياء الحكومة حينئذ بل طبق على المغضوب عليهم ذوي الشخصيات البارزة الذين لا تلين في الحق قناتهم ولا يطأطئون رؤوسهم للمتظاهرين بالسيادة والسلطان وصدر القانون المذكور فأصر عدلي باشا يكن وزير المعارف على تنفيذه فيما يختص بأحوال المترجم على المعاش رغم معرفة الوزير ان ذلك التنفيذ يهدد مشروع تصحيح رسم المصحف بالقضاء عليه وما تحرر المترجم من قيود منصبه حتى تفتحت امامه سبل الرزق فعرض عليه بعض رؤساء الحكومة ان يعيدوا اصدار جريدة المؤيد ويسندوا اليه راسه تحريرها مقابل الف جنيه ينقدها سنوياً — وهو مبلغ غير قليل باعتبار قوة الشراء في ذلك العهد — فرفض هذا العرض نفوراً من التورط في مناصرة سياسة الحكومة وما يحف بها ، ورغبة في التفرغ لاتمام مشروع المصحف (وقد عرضت راسه التحرير بعد ذلك على المرحوم محمود بك رشاد فرفضها هو الآخر) . وعرض عليه بعض المحامين ان يشتركوا في فتح مكتب للمحاماة فرفض وعرض عليه منصب رئيسي في ادارة التعليم بأحدى الجمعيات الخيرية الكبيرة فرفض ، وبلغ من اكبابه على تصحيح رسم المصحف ان لم يبق له وقت يجمع فيه اشعاره وازجاله ونثره وأبحاثه ورسائله ومقاماته ويرتبها في كتب يشرف على طبعا بنفسه كما يفعل غيره من الادباء والشعراء ، وقد كانت كل هذه الاعمال خليقة بأن تدر عليه بعض المال فضلاً عن قيمتها الأدبية وقل دخله بعد حالته على المعاش فأنزل مستوى معيشته كثيراً . وكان يعرف انه لن يعيش أكثر من بضعة سنوات أخرى فلم يدفعه ذلك الى العمل لكسب بضعة آلاف من الجنيهات يتركها لاسرته الكبيرة ، بل زادته هذه المعرفة اكباباً على تصحيح رسم المصحف ، وقد نجح في اتمامه وأصلح بنفسه آخر مسودات المطبعة ، ثم كأنه شعر ان مهمته قد انتهت فأسلم نفسه للموت بعد أشهر قليلة قضاه في المرض والاحزان

وقد كانت الحكومة سخية . . . في تقدير المكافأة التي صرفتها لورثته على هذا العمل الذي استغرق من وقته ست سنوات (اذ ان العمل فيه بدا قبل حالته على المعاش) والذي تخلى في سبيلها عن بضعة آلاف من الجنيهات كان يستطيع ان يكسبها من اشتغاله بشيء آخر . أتدري بكم قدرت مجهوده ؟ بمائة جنيه أي بمعدل ۱۳۰ قرشاً في الشهر . هذا هو الاجر الذي دفعته الحكومة مقابل ذلك العمل الضخم الذي ربح منه مئات الوف من الجنيهات والذي تذيع به دعايتها في طول البلاد الاسلامية وعرضها . هذا ما دفعته الحكومة لمصالح رسم القرءان . وهي التي دفعت بضعة آلاف من الجنيهات لمدرس انجليزي لانه ألف كتاباً صغيراً في الجغرافيا . . . ولكنك تفتح المصحف فتجد في آخره ان هذا العمل قد تم في عهد الحكومة وعلى نفقة الحكومة وبناء على رغبة الحكومة . صدق من قال . رب ساع لقاعد

عصام الدين حفني ناصف

ملك الخشب

نحن اليوم نعيش في عصر عملي يتطلب النشاط والدأب والعمل على النماء المادي، ويقتضي الاستقلال الصناعي والتجاري، لأن حياة الأمم أصبحت الآن في الأسواق، وفي أيدي القامعين بها، والتاجر الكبير في هذه الأيام درجة من درجات المقياس الذي يعلو أو يهبط بحياة الأمة التي هو منها، وقد يستطيع السياسي الآن أن يقلب شأنًا من شؤون الحياة الأهلية في شعبه، ولكن التاجر هو الذي يستطيع وحده أن يقف في وجهه ويحول بينه وبين مأربه، وهم يقولون أن المانيا لم تستطع أن تثير الحرب الكبرى إلا بعد أن سبرت غور تجارها ومالييها وأهل العمل والقوة الصناعية فيها، إذ كان هؤلاء هم جيوب الأمة وهم خزائنها، وهم كل ذخايرها واسلحتها، والأمة التي تكثر منهم، وتزيد لنفسها في عدادهم، هي الأمة التي تتسلح بأكثر الأسلحة في معركة الحياة والناس اليوم يستبشعون الحرب الكبرى ويستنكرون بلائها، لكثرة الدماء التي سفكت في ميادينها، والثروات العظيمة التي ضاعت في سبيلها، ولكن الحرب كانت قائمة قبل أن تنشب المعركة في الميدان، غير أنها لم تكن حرباً يلبس لها الناس الأردية العسكرية ويحشدون لها المدافع والذخائر الحربية، وإنما كانت حرباً قائمة في الحوانيت، وفوق المكاتب، وفي بيوتات التجارة والمال، وكان يتدرع أهلها فيها بأسلحة أدق من المدفع، وأحذق من القنبلة، فلما سئمت الأمم هذه الحرب التجارية الخفية الصامتة، انطلقت تثير حرباً ضاحكة غير خافية، وكان التجار وأهل العمل والمال هم الذين يملكون إنهاءها أو إطالة عمرها وقد كان نابوليون يقول ساخراً من الإنجليز أنهم شعب من أصحاب الحوانيت، فأكبرها الإنجليز منه وعدوها مديحاً لهم، ثم لم يستطع نابوليون المزهو العظيم أن يغلق حانوتاً واحداً منها ونحن شعب أولي في كل ما يتعلق بالعمل، لأننا لا نزال بعد في دور الطفولة الاجتماعية، ولا يزال يعوزنا النشاط العملي الذي نستطيع به أن نكافح القوة التجارية التي يطالعبنا بها الأجنبي في الأسواق المالية، ولسنا نملك المواهب التي تجعل التاجر الأوروبي المثل الأعلى في التجارة لأننا لا نستطيع أن نجاريهم في التجارة من ناحيتها النفسية، فالتجارة من الأعمال التي لا غناء لها عن تعرف أسرار النفوس ونزعاتها، ونواحي التأثير فيها واساليب اقناعها وارضائها. ومن هنا أصبح التاجر الوطني الذي ينجح في وسطنا هذا، ويزكومتجره، لا بد أن يكون رجلاً ذا ارادة قوية، ومن أكبر العارفين بعلم النفس لأنه لم يهزم في السوق التجارية الممتلئة بحجارة



اسعد باسيلي

امام صفيحة ٦٠٣

مقتطف دسمبر ١٩٣٢

تجار الغرب ودهاته ، وعرف كيف يقاوم العوامل الاهلية العديدة التي تحول دون النجاح وبعد ، لعلي اذا سوّدت هذه الصفحة اديت عملاً جليل الفائدة يسود بالنفع على الناس ولكن هذا النفع الذي يتأتى من عظة بليغة أو درس في الاجتماع اسوقه الى الناس لا يكون اعظم أثراً من مشروع للحياة يشترك فيه الناس بأيديهم وعقولهم واموالهم للاستحواذ على منافذ جارية يتسع بها نطاق التجارة الوطنية والاقتصاد وتنمو الثروة الاهلية

ان الحياة المادية ذات العواقب المأموسة لا تنتخب في الغالب رجالها من بين رجال التفكير ، لان مهمة نشر المعرفة وتفهم الآراء تملأ اربابها ولكنها مع جليل اثرها في الانسانية لا تستطيع ان تنافس في مضمار الحياة المادية ، تلك المهمة التي يؤديها للعمران اولئك الذين سخروا البحار وسيطروا على الاركان القصية في العالم لغرض التضامن الاقتصادي والمالي . اما المثل الذي نريد ان نسوقه الى الناس فقد شئنا ان نتخير من بين رجال التجارة العصاميين الذين كانت لهم مواهبهم الفكرية والادبية ومزاياهم الشخصية مصدر استرشاد ونجاح في حياة العمل

كان اسعد باسيلي اول ظهوره في الحياة العملية اديباً سليم التفكير ، وللادب تأثير قوي في النفس حتى لا يستطيع المشتغل به ان يتخلى عنه الى حرفة اخرى ، ولعل اشتغاله بالادب كان نتيجة شعوره القوي بانه خلق لرأسه عمل واسع وان من حقه ان يعرب عن آرائه وان يرشد وان يتولى توضيح النقاط الغامضة فيما يلاحظه ويسمعه من احوال الناس واحاديثهم ، فلم يكن الادب سبيله الى الحياة وانما كانت ارادته وقوة شخصيته وذكاؤه رأس نجاحه

فانت ترى ان هذا الرجل القدوة بين رجال الاعمال عندما اراد ان يضع اساس مجده المادي كان يعيش بذهنية رجل بحانة قوي الميل الى الاشتغال بالدراسات الفلسفية العالية . وفي وسع الذين يميلون الى مراجعة الابحاث العلمية التي كانت تنشر في ابان النهضة الاخيرة لهدم القديم ولبحث الآراء والمبادئ الجديدة وعلى الاخص في مجلة « الجامعة » التي تولى إصدارها الكاتب الاجتماعي الكبير فرح انطون : نقول في وسع هؤلاء ان يطلعوا على نخبة قيمة من الموضوعات الفلسفية التي كان المترجم يعلن فيها وقتئذ رأيه في « العلم والدين » وما الى ذلك من الآراء الجريئة التي كان يجاري فيها مذهب الفيلسوف سبنسر ومذاهب غيره من الفلاسفة ويبني على احكامهم ونعتقد انه لو خيّر وقتئذ ان يكون ذلك الباحث المشتغل بالمباحث العالية لما كان اقل

توفيقاً . وربما كان نجاحه يعود دلي الجليل بنتائج اجل من نجاح الكثيرين من المعاصرين اذا لم يسلك اسعد باسيلي سبيل العمل المادي إذ ذاك بعقلية محدودة كسائر المشتغلين بالتجارة . وتحليه عن سبيل العلم والادب انما يرجع الى مذهبه الوضعي وعقيدته التي لا تؤمن الا بالحقائق المأموسة على ان مذهبه الوضعي باعتباره من رجال الاعمال لم يحل دون تدينه وصدق ايمانه وهو ممن يرون « ان للدين اصولاً عميقة في الانسان لا سطحية كما يتوهم البعض وان هناك حقيقة

اساسية قام عليها بنيان الاديان ». ثم انظر اليه يقول في ختام فصل ممتع منشور في الجزء الاول من السنة الثالثة من مجلة الجامعة بعنوان « اتجاه العقل إلى ما وراء حدود العلم »

« وهناك ملاحظة أخرى لا ينبغي ان نضرب عنها صفحاً وهي ان العلم مهما اتسعت دائرة اكتشافاته فهو عاجز عن ان يروي كل الارواء ظاهراً العقل البشري إلى المعرفة . فمهما امعنا في الاكتشاف العلمي فانه يبقى لدينا ولدى من يأتي بعدنا مسألة وهي : ماذا يوجد بعد ذلك ؟ ومهما تقدمنا في التعليل عن أصل الكائنات فلا يمكننا ان نجد مناصاً من هذا السؤال : ما الذي يعلل لنا التعليل نفسه ؟ فاذا كان العلم أشبه بدائرة تتسع شيئاً فشيئاً فنموه لا يكون من شأنه إلا أنه يزيد نقط اتصاله بالمجهول الذي يساوره من كل جانب ويلزم عن هذا ان يوجد على الدوام طريقان ينتجهما الفكر البشري وهما العلم والدين

« اذن فالعقل سيشغل في المستقبل كما يشغل في الحال ليس فقط بالبحث عن الحوادث الوضعية وعلاقتها بعضها ببعض بل بشيء لا يستطيع اثباته بالدلة الواقعة تحت الحواس ولا بد من افتراض وجوده عند النظر إلى الحوادث واعتبار علاقتها بعضها ببعض . وينتج عن هذا انه ما دام العلم وحده لا يستطيع ان يشغل جميع القوى الانسانية وما دام العقل يوجه انتباهه ابدأً إلى ما وراء حدود العلم ، فسيبقى محل للدين على الدوام لان الدين يمتاز بكون موضوعه وراء دائرة العلم والاختبار »

هذا نموذج للذهن المبدع الذي سلك به اسعد باسيلي سبيل العمل المادي ، ولما تخلى نهائياً عن الاشتغال بالدراسات الادبية والعلمية وأقبل على تجارة الخشب احرز في الزمن القصير مركزاً وثقة واتساعاً في الاعمال لا يتوفر لغيره في الزمن الطويل . وظل يشق طريقه بين الصفوف حتى سيطر على سوق الخشب وتراجعت إلى الوراء جميع البيوت التجارية التي كانت تدعي احتكاره ، واستولى نهائياً على هذه التجارة كما يستولي القائد المحنك على الميدان الواسع قطعة قطعة ، وكان في ذلك موفقاً دائماً النجاح فأصبح صاحب الكلمة العليا في سوق الخشب ، وربما قامت وارداته منه مقام الضعف من واردات سائر التجار . وحسبنا ان نعترف باننا لانستطيع الاشارة اليه دون ان نلقبه بملك الخشب ، ونستطيع ان نقول ان البيئة تحدد المطامع ، فاوان اسعد باسيلي كان في اميركا لأحرز بحق هذا اللقب وكانت دوائره ومكاتبه تضيق عنها ناطحات السحاب كسائر بيوت التجارة الاميركية التي تتحدث عنها الصحف إلى الجماهير في العالم فيصيب الانسان لشدة ما يعتريه من الدهشة لقراءتها ذهول كالذي يستولي على بعض من تفاجئهم الانباء الخارقة وبعد ، فقد تمتد الطريق وتطول امام الذين يبتغون الوصول إلى الغاية ، ولكن الذين لا يكفون ولا يقفون يخلفون من ورائهم خطاً مستقيماً هو سبيل النجاح في الحياة ، هو الخط نفسه الذي يخلفه البطل بين الصفوف دليل جهاده المقرون بالفوز ، وهو الخط الذي يتركه في التربة محراث المزارع مبشراً بالانتاج قلنا ان الطريق تمتد وتطول امام الذين يبتغون الوصول إلى الغاية ، ونضيف إلى ذلك ان

رأس النجاح الاقدام . وفي امثال الاميركيين المعاصرين ان فرضاً على المرء ان يخاطر وان عاقبة هذه المخاطرة محمودة لانها تعلم الجرأة . والتاجر الجريء موفور النجاح لان لا جرأة بلا بصيرة واسعد باسيلي قد شق طريق المجد باقدامه وشجاعته وهو قدوة صالحة لمن ينبغي ان يسلك سبيل التجارة أو الاقتصاد . وهو يجمع إلى مواهبه وصفاته الممتازة حباً للخير وللانسانية ، ويرى في الاحسان وسيلة تقوى بها ارادته في العمل . وحياة الضمير في دائرة العمل المادي اقوى منها في سائر الاعمال الاخرى . وانت إذا تصفحت بنظرك شخصية اسعد باسيلي الكبيرة ، ولحظت ميله إلى التفكير ، وكرهه لطرق الاعلان عن نفسه وعن اعماله الكثيرة في سبيل الخير ، اقتنعت بان انوار المدينة العظيمة تبدو للساري كالبصيص

وأسعد باسيلي اليوم في حدود الستين ، وقد ولد في مدينة طرابلس الشام من ابوين صالحين ، وكان لو والده مقام كبير بين التجار ومقام ممتاز في طائفته اذ كان رئيساً لجمعية الخيرية ، وقد ورث الابن عن والده مواهب الذكاء والنشاط والاستقامة والشرف ، والاستقامة والشرف هما العنصران اللذان لا تنهض الاخلاق الطيبة الا بهما . وهو بعد ذلك قطع الحياة عملاً وصلاً وبرا يحمل في قلبه جميع المبادئ النبيلة فهو ليس تاجراً فحسب لا يحفل الا بالشؤون المالية ولا يعنى الا بمسائل التجارة ومهامها ، بل هو لا يألو جهداً في اكتساب قلوب الذين طحتهم الحياة ، وقتلتهم مناكيد العيش وقد استطاع ان يقف من تجار الأخشاب في الطبيعة ، ويشق طريقه الى الذروة ، عاملاً بمبادئ النظام والترتيب والادارة الحسنة التي يشرف عليها بنفسه ، فارتفعت شهرته وطال اسمه حتى عين وكيلاً للغرفة التجارية المصرية لمدينة الاسكندرية ، فالبث قليلاً حتى احلته الاعضاء المحل الاول فيها ، وعرضت عليه رآستها فأبى قانعاً بالوكالة لاسباب لا يجهلها كثيرون من القاسمين على تدبير الغرفة ، وتستمد الغرفة منه انضج آرائها ، وتسلم اليه قيادها في كل الشؤون ، وهو فوق ذلك عضو من الاعضاء المحلفين بمحكمة الاسكندرية التجارية ، وأكبر شخصية محترمة مثقفة في الجمعية الخيرية للسوريين الارثوذكس ، وهو بعد متوقد الذهن ، ثاقب الرأي ، جهم الاطلاع لا تفوته من شؤون التجارة والعلم والادب بادرة ، لانه درس وطالع كثيراً فهو لذلك يعد بحق من اكبر الشخصيات البارزة في هذا البلد

وأخيراً ، ان اسعد باسيلي عصامي قبل كل شيء ، والعصاميون في هذا البلد قليل ، لان العصر لا يعين على العصامية ، ولا يساعد على انتاجها ، وانما يجتهد في مكافحتها وخذلانها ، والناس جبّلوا على ان يكونوا حرباً لكل من يريد ان يسمو عليهم قوة وعملاً ، وارادة واستقلالاً . فاذا رأيت يوماً عصامياً بينهم ، فاعلم انه استطاع ان يهزم العصر بأسلحة اشد من اسلحته وعرف كيف يتخلص من ضروب الكفاح والعداء التي حشدها الجيل لمقاومته

نقولا شكري
الاسكندرية

باب شؤون ربة المنزل وتدير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ارشادات صحية لربات المنازل

للدكتور محمد زكي شافعي
السكرتير الفني بمصلحة الصحة العمومية

— ٢ —

من المسائل التي وجهت اليها العناية مؤخراً وهي ذات شأن كبير لربة المنزل في هذا الدور من حياتها الزوجية — العناية بالجهاز التناسلي . ومما يؤسف له أنه لا يوجد إلا القليلات من الزوجات اللاتي لا يرددن الشكوى من هذه الناحية . أما العناية بهذا الجهاز فأمر تدعو اليه ضرورة تزويد اول منزل للطفل بكافة الوسائل الصحية ويدعو اليه ايضاً ما لهذا الجهاز من التأثير العام في صحة المرأة حتى أنه يعتبر أهم معيار لحالتها من الصحة او الاعتلال وتبدأ العناية الجدية بهذا الجهاز من يوم أن يبدأ الطمث في الظهور وما الطمث إلا ظاهرة طبيعية اريد بها استدامة المحافظة على الرحم غرضاً نظيفاً ومستعداً لقبول الجنين . وهذه الظاهرة هي من أهم حوادث تاريخ حياة الفتاة لانها الحد الفاصل بين الطفولة ومظاهر الانوثة ومن وقتها ينمو جسمها نمواً سريعاً وتتسع مداركها العقلية ولذلك يقال لها « ادركت » ويكمل نموها بعد هذه الظاهرة بثماني سنوات او عشر سنوات أي في السن ما بين العشرين والخامسة والعشرين . ورأيي أن هذه هي أوفق سن للزواج

ويستمر الطمث بعد البلوغ مدة ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة تقريباً حيث تبلغ المرأة سن اليأس ويجب الابتعاد اثناء الطمث عن الرياضة او الاعمال العنيفة وتجنب شرب المشروبات والاستحمام في البحر والاستحمام بالماء البارد او غسل الاقدام بها — وتمتنع السيدة بتاتا عن

الاستحمام عند ما يكون الافراز تاماً ولا بد لها من استشارة الطبيب عن حدوث اي نقص او تغير في حالة الطمث او عند امتناعه او الشعور بأي ألم في خلاله لان الألم قد يكون عرضاً لمرض يمكن تلافيه في اوله ويستعصي متى ازم. وقد لاحظنا أن الكثير من السيدات يتحملن هذا الألم ويستهنّ به حتى يمر الدور — شأنهن في كل ما يصادفهن من متاعب الحياة ولكن هذه الخطئة ليست من الحكمة في شيء وعليهنّ ايضاً ان يتجنبنّ البرد او السهر في أثناء هذا الدور

ولا أوصي بالنظافة العامة او الخاصة لان هذه امرها بديهي والجسم مثل كل شيء آخر يحتاج الى تكرار النظافة لان قطعة الاثاث مثلاً اذا نظفت امكن حفظها من الاتساخ بتغطيتها بينما الجسم لا ينفع معه هذا الاحتياط لانه دائم الافراز لمادة دهنية من مسام دقيقة حتى ولو لازمنا الفراش . ومن هذه المسام تخرج بعض فضلات الجسم التي تلحق به الضرر لو بقيت فيه . واذا لم نتداركه بتنظيف الجلد سدت هذه المسام التي قيل عنها بحق انها منافذ الصحة واذا سدت بالاقذار كانت مصدر خطر على الصحة ويكفي من ضرر سدها ان الجسم لو خدش تسربت اليه من الخدش بعض الجراثيم التي تحملها هذه الاقذار وقد تكون سبباً في تسمم الجسم تسمماً عاماً كما ان سدّ هذه المنافذ يعرض الانسان الى الاصابة بالبرد والنزلات ويؤدي الى ضعف مقاومة الانسان للأمراض الاخرى

هذا فيما يتعلق بالنظافة العامة واما النظافة الخاصة فيكفي فيها الغسل في الصباح والمساء بالماء الساخن والصابون والحذر من استعمال المحاقن فقد تكون سبباً لاستيطان بعض الجراثيم في الجهاز التناسلي مما ينشأ عنه الالتهاب المزمن وأجد نفسي مقيداً بحكم التقاليد لعدم الاسترسال في هذا الموضوع وإن كان من المباحث الحيوية التي يجب على الفتاة أن تعلم كل شيء عنها لان كل ما تعانيه معظم السيدات ناشئ عن الجهل بهذه الامور وهذا الجهل ناشئ عن الخجل من السؤال عما يجهلن واعتبار البحث في الشؤون التناسلية خدشاً للآداب . وكنت اودّ لو أفضي اليكم بمعلومات جمة تفيد الزوجين وتزيل الكثير من أسباب الشقاء وتدعو إلى ان يرفرف الهناء على بيوتنا ولكن لنترك ذلك لمن يأتون بعدنا فقد يكونون أقدر منا على ذكر الحقائق ومجابتها مهما كانت — ولا حيلة لجيلنا الحاضر الا أن يردد قوله تعالى « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » إلى ان تتيح درجة التطور لحفدتنا ان يتمشوا مع ضرورات التطور العملية

ومما يسرّ له الانسان أن ربات المنازل يتمتعن الآن بنصيبيهن من الحرية في الحياة اكثر مما

كانت عليه جداتنا ولكنهن وان كن يعنين وهن فتيات بالالعب الرياضية الا أنهن — كربات منازل — لا يمارسها الا نادراً . ولا أقصد بهذا القول اننا نخلق أمة رياضية بين طرفه عين وانتباهتها أو ان مثلي سيعيش حتى يرى في كل بيت من بيوت أعيان الريف ملعب « تنس » وفي كل حي من أحياء المدن نادياً لشتى الالعب تقصده ربات المنازل في أوقات الفراغ للترويض — غير أنني أريد ان يتأصل في نفوس السيدات حب الرياضة لذاتها فلا يغفلن عن ممارستها كما نشاهد أحياناً من ان بعض الفتيات يولعن قبل الزواج بالعزف على المعزف ثم لا تلمسه أصابعهن بتاتاً بعد الشهر الاول من الزواج . انني أتمنى ان ينشأ جيل قوي من أمهات قويات البنية . أما اقل أنواع الرياضة كلفة وأنفعها فهو المشي ولا سيما في جو بلادنا طوال السنة ولا أقصد بالمشي — أيها السادة — التبخر بل أقصد المشي السريع الذي يسبب اعتدال القامة بما يحدثه من تمديد الصدر واعتدال الظهر وحفظ الكتفين دواماً الى الخلف . مثل هذا المشي يقوي العضلات وينشط الهضم حتى ان من يتعود المشي يمكنه هضم أي غذاء . وهو يلين الامعاء ولذلك فانه أشد فائدة من أي نوع من الحبوب الملية . المشي يضيء البشرة بأبهج الالوان ويورد الوجنات ويجعل العيون تلمع لمعانها الساحر وهو بالاختصار من أهم الوسائل المؤدية للحصول على الجمال الذي تعتبره كل فتاة أغلى ما تملك . وهو يستعصي عليها بكل الطرق الصناعية ولكنه يأتي اليها طائعاً متى توفرت لديها الصحة هذا ولا يمنعها الحمل من ممارسة المشي باعتدال

ويجب في جميع الاحوال أن تكون الرياضة في الهواء الطلق لان استنشاق الهواء النقي ينقي الدم ويمده بالاكسجين الضروري للحياة كما ان ضوء الشمس من أزم الضرورات لحفظ الصحة وجدير بي ان أذكر هنا ان الغرض من المشي الحركة المطردة ولذلك لا يعتبر الوقوف رياضة وكلنا مجربون ان من يقف طويلاً يشعر بالتعب والقلق لان الجسم لم تتركب في طبيعته القدرة على الوقوف مدة طويلة ولذلك فان الوقوف الطويل يسبب تمدد الاوردة في الاطراف السفلى وغيرها عند الانسان . ولكن الطيور التي خلقت للوقوف الطويل كالنعامة ومالك الحزين وأبي قردان خلت أرجلها من العضلات والاعية الدموية ولم تتركب الا من العظام والوتار ان المشي فضلاً عن تنشيطه للدورة الدموية وتقويته للعضلات يدفيء الجسم شتاءً ويدعو الى افراز الكثير من العضلات فلا تشكو السيدة من آلام المفاصل او العضلات التي كثرت الشكوى منها الآن بسبب سهولة المواصلات للغني والفقير على السواء فلا تجد انساناً يخطو بضع خطوات بل الكل يفضلون المركبات الكهربائية والحافلات مع ان الحركة لازمة لكل كائن حي فالدنيا وكل شيء في الكون في حركة دائمة والجسم كلما اذا وقف ركذ وأسن

ولا علاج للعصبية والعصبيين او للمترهلات او للمتبرمات بالحياة احسن او اوفق من المشي بغير افراط ولا سيما للضعيفات

وعلى ذكر العصبية أذكر انهن انواع . ولكن اكثر الانواع ذيوياً واتعبها المصابات بالهستيريا فان هذا المرض يظهر لصاحبه انها مصابة بشئ الامراض ومتألمه بأي نوع من الالم كالآلام المفاصل والاسنان والاعصاب والعضلات والتهاب الزائدة الدودية وحويلة المرارة وقرح المعدة والتهاب الأمعاء وبالاختصار كل الامراض ولهذا المرض أسباب عديدة اهمها بالنسبة للمتزوجات كثرة الحمل او كثرة الاجهاض والامث الغزير وكل ما يدعو الى الضعف العام سواء كان بسبب جثماني كالانيميا أو بسبب عقلي أو نفسي او للعقم وهذا السبب الاخير قد يكون اهم الاسباب بمصر . والهستيريا مرض قابل للبرء وعلاجه نفسي

ومن الاسباب الداعية لنهاكة الاعصاب السهر الطويل والمواظبة على السينما التي تعرض فيها الروايات المزعجة والحياة الغير الصحية والمعيشة في دور أو غرف لا تتوافر فيها شروط التهوية التهوية — ايها السادة — واقصد بذلك تهوية غرف النوم لأن التهوية بصفة عامة أصبح الكثيرون يعرفون ضرورتها للمنازل — يجب على ربة المنزل ان تترك جميع منافذ المنزل مفتوحة طوال الليل صيفاً ولا تغلق نهاراً الا اذا كان الجو حاراً ومتى خفت الحرارة تفتح المنافذ ثانياً وفي شتاء بلادنا يمكن تعود النوم بعيداً عن تيار الهواء مع ترك احدى النوافذ مفتوحة ولكن من لا يطبق ذلك يمكنه ان يغلق درف المنافذ الخشبية فقط أو يترك الجزء الاعلى منها مفتوحاً

انه من الغفلة ان ينام الانسان في غرفة غير مهواة لانه يستنشق طوال الليل سمّاً زخافاً وهو ما تخرجه الرئتان اثناء النوم . ولم يسمع بأن التهوية الصحيحة ادت الى اصابة اي انسان بالبرد وهو نائم . والواقع انه لا يمكن للانسان ان ينام نوماً هائلاً في غرفة رديئة التهوية بل يكون نومه مضطرباً لا يفيد الجسم كثيراً من الراحة لانه يكون في الحقيقة مخدراً بسم الهواء الفاسد — فالردهة التي نحن فيها الآن لو لم تكن مجهزة بجميع الوسائل الحديثة للتهوية فان أي خطيب مهما بلغ موضوعه من البهجة ومهما كانت مقدرته الخطابية لا يقاظ مشاعركم يعجز عن استرعاء سمعكم لانكم كنتم تشعرون بالكسل والتراخي والقلق وثقل الرأس

ايها السادة

ما اسعد الحياة وما اجملها اذا شعر الانسان لدى عودته من متاعب يومه الى منزله — بالغة ما بلغت متاعبه — اذا شعر بالشرائح الصدر والسكينة وملأت خياشيمة الراحة الطبيعية للهواء النقي غير المزيّف بأي رائحة صناعية مهما كانت عطرة . وأشرقت عليه شمس السعادة من سماء شريكة حياته المتمتعة بالصحة المزداثة بالعقل المدبر والخلق العظيم — ليس من شك في ان هذه هي زينة الحياة الدنيا والنعم بكل معانيه

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف. ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنناظر ك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تفضل على المطولة

نقد شوقي

حضرة الفاضل الاستاذ فؤاد صرّوف

تحية واحتراماً. وبعد فقد قال الاديب مصطفى الرافعي في فصل له عن شوقي بالمقتطف الاخير: «دع غلطته في قوله — تميل عني — فان صوابها تمل اذ هي جواب ان الشرطية» هكذا قال الاديب الرافعي معقباً على بيت شوقي:

ان رأيتني تميل عني كأن لم تك بيني وبينها اشياء

والذين يعرفون النحو يعلمون ان الخطأ انما هو في تصحيح الرافعي لا في البيت المنتقد لان رفع جواب الشرط المسبوق بفعل ماضٍ صحيح مستحسن كجزم الجواب على السواء لم يخطئه أحد قط من علماء اللغة والنحاة. وأشار الاديب الرافعي الى البيت الآتي:

عيسى الشعور اذا مشى رد الشعوب الى الحياة

وظن ان «الشعور» هنا زائدة من قبيل الامور في البيت الآخر:

ولو زلت غُيب عمرو الامور وأخلي المنابر سحبانها

والصواب ان «عيسى الشعور» في البيت السابق من تشبيه الاضافة المعروف في البلاغة وليس ثمة حشو ولا اقحام في تركيب الكلمات، فالبيت معناه ان الشعور اذا مضى في الشعوب ردها الى الحياة كما كان عيسى يحيي الموتى. ومثل هذا ان يقال: «خمر الريق» في تشبيه الريق بالخمير على الاضافة، او يقال: «موت الغباء» في تشبيه الغباء بالموت على هذا المعنى. اما ما عدا ذلك من المأخذ في مقال الاديب الرافعي فلا أرى ان اناقشه فيه عباس محمود العقاد

الجاحظ في مصر

تفضل المقتطف فكتب كلمة عن كتابنا «ادب الجاحظ» في عدده الصادر في نوفمبر الماضي دل فيها محرره الفاضل على ما انطبع عليه من أدب فائق وخلق كريم. وقد أشار إلى قولنا في هذا الكتاب (ص ٧٩): ووقعت في كتاب على أنه (أي الجاحظ) وفد على مصر وأقام بها زمناً وأجرى بها اختبارات فيما عثر عليه من حيوانها» وقال: وحبذا الحال لو أشار إلى الفقرة

التي نص فيها على ذلك أو يحصل ذلك من معناها . ومن قبل قد أبدى هذه الملاحظة في جريدة البلاغ صديقنا الفاضل الدكتور زكي مبارك ، غير انني إذ ذاك لم أرَ وجهها للمناقشة في أمر غير محتمل لها ولا سيما في الصحف السيارة . فلما تفضل حضرة المفضل محرر المقتطف بهذه الإشارة رأيت من الواجب ابانة هذه المسألة واثارة الطريق اليها

كتب كثير من أصحاب الاخبار ان الجاحظ صاحب صديقه العظيم الفتح بن خاقان في رحلته إلى الشام وزار بها كثيراً من المدن ، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الرحلة في بعض كتبه ولا سيما كتاب الحيوان منها . وكما أشار إلى هذه الرحلة أشار كذلك إلى وفوده على مصر في كتابه الحيوان أيضاً . فقد قال في ص ٥ ج ٤ من كتاب الحيوان « كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة » (حرره أبو بكر السروكني) وقد كان وجود هذا الاسم بازاء عبارة الجاحظ مثاراً للشك في وفوده على مصر ، أما أنا فلست أرى لهذا الشك من معنى يصل به إلى النفي المطلق . وعندي أن أبا بكر السروكني هذا لم يكن إلا رجلاً من المشتغلين بنسخ الكتب وقد وقع له كتاب الحيوان منسوخاً بقلم رجل قبله فأخذ في نسخه حتى وصل إلى هذه الجملة فلعله رأى تحريفاً من الناسخ السابق فأقامه ثم كتب على الهامش وحرره أبو بكر السروكني ، وقد بحثت عن تعريف لهذا السروكني فلم أقف له على أثر ، ولهذا فأنا أرجح وفود الجاحظ إلى مصر كما أرجح أن السروكني لم يكن أكثر من ناسخ للكتاب

حسن السندوبي

ترجمة الشاهنامه

سيدي الفاضل رئيس تحرير المقتطف

اقدم خالص التحية . وبعد فقد اطلعت في مقتطف اكتوبر في باب المراسلة والمناظرة على كلمة العالم الفاضل يوسف غنيمه وزير مالية العراق قبلاً راقني فيها ادب النقد ، وراعتني سعة العلم . واني ابادر الي شكره والاعتراف بفضلته في التنبيه الى ما رآه من تحريف او خطأ في بعض الاسماء التي ذكرت في حواشي الترجمة العربية للشاهنامه

بعض هذه المآخذ من سقطات الطباعة مثل « الآثار السورية » بالسين لا بالشين . وقد ذكرت في مواضع اخرى من الكتاب بالشين على صوابها . ومثل جعل استرداد هرقل الصليب من الفرس « سنة ٥٢٨ » مكان سنة ٦٢٨ . وبقيّة المآخذ التي ذكرها الناقد الفاضل جاءت غلطاً مني او اختياراً لصيغة من صيغ مختلفة . واني اعترف بأن رأي الناقد في ترجيح صيغة على اخرى اسد من رأيي وسأتابعه حين يعاد طبع الكتاب

ثم اكرر شكري وثنائي لحضرة العالم الفاضل آملاً ان يزيدنا من نقده . وأرجو ان تتفضلوا بقبول احترامي

الجامعة المصرية

عبد الوهاب عزام

مكتبة المقتطف

لبشر فارس

رسالة باريس

كتب في الادب الفرنسى

في الشعر الفاجر

Edition Le Trianon

1. La Poésie priabique

لم يعرض ناقد قط للبحث في الشعر القائم على الفسق . ومما يعجب له أن قاضياً باريسياً رفيع المكان أقبل على هذا البحث فلم يحفل بأقاويل الناس . وقد نبّه القراء في المقدمة انه خلع عذار الحياء راضياً من دون ان يبرز صنفحة الوقاحة . فإنّ هو الا ناقد جامع للتاريخ والاخلاق وعلم النفس

وليس الشعر الذي يتدبره في هذا الكتاب بالنسيب فالبعد بين النوعين شاسع . فبينما النسيب يقوم على المغازلة والتشبيب بالمعشوقة في عبارات رقيقة واسلوب ظريف اذ ذاك الشعر يقوم على الناحية الجثمانية من الحب ولا يعبأ الا بالاحساسات

على ان ذلك الشعر ليس بالغريب عن ادبنا . فدواوين العرب لا تخلو من الفجور وان خطر لك ان تثبت قولي فعليك بالفرزدق وابي نواس وابن الرومي . الا ان هذا الجانب من الشعر العربي يختلف في العرض عن ذلك الشعر من حيث ان اصحاب هذا كانوا يجلسون الفجور فيترنم الناس باشعارهم وينشدونها في المحافل والمواكب ولربما اخذتهم العزة باللائم فجعلوا تلك القصائد صلوات يتقربون بها الى اله يسمونه (فللوس) . الا ان ذلك لم يكن الا في العصور الخوالي ايام اليونان والرومان . واما في العصور المتوسطة فلم ينظم ذلك الشعر الا لهواً ودعاية

سيرة أبي

2. La vie de mon père

ان اول من فخص عن دخلات المزارعين الفرنسيين رجل يقال له Restif de la Bretonne ولهذا الرجل الذي عاصر فولتير وروسو مائتان وخمسون مجلداً . ومما يؤسف عليه أن جلّها

ليس بشيء . فلم يبق من تأليف الرجل إلا بضعة كتب منها الكتاب الذي قرأت عنوانه لساعتك على أن صاحبه ذهب فيه الى البحث عن اخلاق القرويين فبسط حياتهم الساذجة وعواطفهم المخلصة واحساساتهم المعدودة وشعورهم النقي وعقيدتهم الخالصة وقناعاتهم وودائعهم وهو في ذلك نافذ العين بعيد النظر . ومن اجل ذلك قيل له الخفاش . وقد كان يقول ان « سيره ابي » مؤلف سماوي ثم صرح أنه لم يقرأه قط إلا بكى . وكان معاصروه يقدمونه . وكان فيمن أعجب به (شيار) الشاعر الالماني . إلا ان صاحبنا كان متفاوت الاسلوب فله تارة عبارة بليغة مشرقة المعاني وطوراً غث مختل الاداء . وكان فوق ذلك يعتمد على سرعة قلمه فكثيراً ما زل

قصة سلامبو

Salambo—Editions Mornay, Paris

إن قصة (سلامبو) لفلوبير الذي حدثتك عنه قبلاً تسوق لنا حروب اهل قرطجنة وتستند اليها لتعقد لنا حوادث شتى تدور حول قائد الجيش القرطجني وابنته وحول قواد الجيوش البربرية والليبيين الناصبين للحرب لقرطجنة . وموضوع القصة حادث تاريخي لا يجهله احد إلا ان اسلوبها كأنه الوشي الفارسي . ومن اجل ذلك اعرض عن الموضوع لا حدثك عن الاسلوب إن (فلوبير) عزم ان يبرز قصته في البيئة التي جعلها لها فلم يبلغ ما في نفسه إلا بعد طول عناء لانه لم يدخر جهداً في الفحص عن ماضي قرطجنة . وعلماء التاريخ والملل والآثار مجمعون على انه لم يترك واردة ولا شاردة إلا اثبتها في (سلامبو) . ومما لا ريب فيه ان الرجل دس في قصته ضروب الخرافات الاسيوية ونواحي الدين الفنيقي . فأشار الى عزة الآلهة بآل وذكر النزاع الذي كان بين العنصر المذكور والعنصر المؤنث وذلك النزاع الذي عليه قامت العقائد حين ذاك . ثم مثل الحب تمثيلاً حقيقياً بالشرف اذ جعله عنيفاً صليباً شهوانياً مع لطف ورقة ثم ان الرجل ذهب في التحليل مذهباً بعيداً فصور الشرق القديم مع ما ضم بين جنباته من عجائب فطابق بين الآلهة المجردة والاصنام التي لا يعبدوها إلا شعب فطري وبين الخرافات المضحكة والعقائد الرفيعة وبين العواطف البربرية والشعور الدقيق وبين صنوف الفسق وضروب التخشن . ثم بسط كيف كان يحارب القوم فوصف إلال الحرب وانواع الحصار والنزال والبراز ثم اشار الى غلاظة اكبادهم وقسوة قلوبهم وخشونة جوانبهم متى شمروا للحرب ولقد افرغ (فلوبير) هذا التحليل في قالب الفصاحة وبلغ به حد الإعجاز اذ ساق الشيء الكثير في جلباب الفن المشرق

حج البيت

Le Pèlerinage de la Meque—Edition Rieder, Paris

ان صاحب هذا الكتاب المراقب العام لمجلس الصحة البحرية في مصر واسمه دوجيه Duguet . فهو أهل ان يؤلف في شأن الحجاج لطول اختلاطه بهم وفحصه عنهم ولا سيما انه يعيل اليهم ويعظم عملهم لاخلاصهم في تقوى الله وحبهم له وقد قسم الرجل الكتاب الى قسمين احدهما موقوف على الناحية الدينية والاخر على الناحية الطبية . اما الاولى فلا حاجة لنا ان نعرض لها ففائدتها منصرفة الى الافرنج لانهم يجهلون في الغالب شعائر الحج الاسلامي وقراء المقتطف لا يجهلونها فيما اظن . واما الناحية الثانية فلا بد ان نقف عليها لاستقامة بحثها وغزارته

يبدأ صاحب الكتاب بالاشارة الى سبب انتشار الكوليرا والحمى وغيرها في الحجاج من حين الى حين . ثم يذكر ان الوباء قد تفشت فيهم اربعين مرة من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٩١٢ على ان وباء سنة ١٨٩٣ كان اثقلها وطأة . ثم يعرض الرجل ما حاولته الامم منذ ذلك الحين في اتقاء الوباء ودفعها فيذكر الاجتماعات التي عقدتها تارة في البندقية وطوراً في باريس ثم المفاوضات التي جرت بين الدول الاوربية وبين حكومة القسطنطينية فيبرز لنا تركيا في جلبابها البالي اذ يخبرنا كيف كانت تحول بين الدول وبين مساعيها حتى انقادت لهم سنة ١٩٠٠ فشيد سدّ طور . وأما حديث الرجل عن شئون الصحة في الحج الحالي فما يبسط الآمال في قلوب الناس . فهذه تنقلب شيئاً فشيئاً الى بلد نظيف وهذي مصالح الصحة تنتشر انتشاراً في مكة وبجانبها رش الطرق وبناء خزان عظيم للماء العذب واختطاط ثلاثة سبل الى عرفة . والفضل في ذلك راجع الى عناية الوهابيين بالشؤون الصحية واهتمام الدول الاسلامية امثال مصر والشام والعراق بسلامة رعاياها وتداخل الاوربيين تارة ليشرفوا على اهل مستعمراتهم وطوراً ليتقوا تقشي الوباء في انحاء المعمور

بيت الاجداد

La Maison des Aïeules — Edition Floury Paris

حدثتك من زمن عن (لوتي) Loti قصصاً وبسطت لك ما كان بين جنبيه من السأم وكيف كان يرغب في اللذات وينقاد الى الشهوات . على انه اتفق لي اليوم ان اقرأ قصتين له انكرته فيهما . وهاتان القستان تقعان في بضع صفحات واظن (لوتي) الفهما لاهياً فلم يكن الغرض الذي قصد اليه في تأليفهما مثل الغرض الذي رمى اليه في جميع ما صنف . الا انه لا يجدر بنا ان ننظر فيهما نظراً في القصص عامة لانهما بعيدتان كل البعد عن فن القصص ولاك ان تفصل في ذلك

إن (لوتي) يحدثنا في القصة الأولى عن منزل تعاقبت السنون عليه أقام به أجداده زماناً ثم باعوه . فلما أرى (لوتي) سعى في استرداد المنزل حتى اشتراه . ولم يعم أن رحل إليه في يوم شديد المطر . على أن تلك الرحلة موضوع القصة . ولا تحسبن أن (لوتي) ذهب في وصف الرحلة مذهب مفتن لا مذهب وصاف فإنه يحدثنا عنها في سذاجة ويعمد في حديثه إلى أسلوب داني القطوف لا كلفة فيه ولا تألق . وكأن ذكرى صباه المتمثلة في جنبات ذلك المنزل أثرت فيه إلى حد ذهل عنده صنعة الأدب فانطلق يكتب معتمداً على شعوره . والشعور يؤدي المعاني والصور في ديباجة ليس لسهولة غاية

وفي القصة الثانية يذكر لنا (لوتي) كيف صنعت له وصيفته «عروسة» أيام طفولته وكيف علق العروسة ولزمها حتى ملأها فأودعها خزانة كان يجمع فيها لعبه المختلفة . على أنك ترى أن القصتين لا شأن لهما . وكأنني بك تعتقد على السخر منك والتهاون بك ويشهد الله أني ماسقت إليك هذا الحديث إلا لتعلم أن الفرنسيين يعنون بتأليف كتبهم المتفوقين وإن لم تكن جليلة وعندي أن هاتين القصتين لا يقبل عليهما إلا الأطفال وإن قرأها الرجال لا يطمئنوا إليهما ولا يفرحوا بهما إلا إذا مثلتا لهما أيام طفولتهم وصباهم وفي مثل هذا التذكار كثير هناء وبعض السلى قصص انجليزية منقولة إلى الفرنسية

Collection du Paon Blanc -- Edition Rodière, Paris

ان بحثنا هنا عن كاتبين من الانجليز . اما الأول فيقال له (كونراد) Conrad وهو بولوني المنشأ . والغريب في أمره انه يعتمد أحياناً إلى أسلوب في التعبير يختلف عن الأسلوب الانجليزي قليلاً أو كثيراً . ومن أجل هذا ترى طائفة من نقاد الأدب يابون أن ينزلوه منزلة الكاتب القدير على أن كونراد أراد أن يجعل قصصه كمثل ملحمة متصلة السلك ولكنه لم يقو على أن يحكم نواحيها ويلائم بين أطرافها . فجاء تأليفه مضطرباً مختلاً . إلا أن الرجل فطن للأمر فحاول أن يصلح ما فسد في مصنفاته فاعتمد على أساليب فيها من التكلف والاعتساف ما فيها غير أن (لكنراد) قصصاً قصيرة لا اختلال فيها ولا اضطراب والسبب في ذلك أن الرجل لا يعمل فكره فيها ليناسب بين فقر ملحمة عديدة النواحي بل يرسل الكلام رسالاً وفي هذه القصص قصة عنوانها شباب Jeunesse وموضوعها رحلة سفينة تضم بين جوانبها فتى غربياً لا يبلغ إلى شواطئ الشرق حتى تتغير طبيعته . ثم إن في هذه القصص قصة عنوانها قلب الظلمات Coeur des Ténèbres وليس موضوعها إلا النضال الذي بين التقدم الغربي وبين بربرية القبائل المقيمة بآسيا . والقصتان قائمتان على الخبرة اليومية . إلا أن الثانية تعتمد على الاخبار لتنطلق في التفكير المجرد فتذيع بعض الآراء وتكشف عن دقائق العواطف

وأما الكاتب الثاني فيدعى (موم) Somerset Maugham وهو من خير كتاب اليوم في

انجلترا ومن أبعدهم صيتاً . وما اظن كاتباً مسرحياً يقوى على مزاحمته فان رواياته لا تنفك تتمثل في انجلترا ويقال ان مثلها في الرواج مثل روايات شكسبير والله اعلم
ولسنا نعرض هنا لتأليف (موم) المسرحي فانا نبحت في كتاب له عنوانه الارخبيل ذو النساء الساحرات L'archipel aux Sirènes . وغرض (موم) من القصص التي جمعها في هذا الكتاب الفحص عن تأثير اقليم جزائر الباسيفيك في الغربيين . وهذه القصص الغاية في البحث النفساني الذي يخلص الى السرائر والخفايا وينقب عن الاسباب البعيدة . على ان (موم) كأنه يبالغ في قصصه فكثيراً ما يخيل اليك انه يصف مشاهد لم يقع عليها بصره ويسوق اخباراً لم يظفر بها سمعه والحقيقة ان (موم) يحدثنا عن بلدهيات ان نتصوره وعن قوم يشق علينا ان نتعرف طبائعهم صيادو اللآلي

Pêcheurs de Perles Edition Albin Michel Paris

كأنني الملح الى عقد من اللؤلؤ يزين جيدك فدعيني اسوق اليك يا سيدتي القارئة هذا السؤال : اتعلمين ما ثمن هذا العقد ؟ اني لأرجو منك ألا تجاوبي على سؤال من فورك بل سماع سماع : لقد رحل صحافي فرنسي يقال له Albert Landre الى البحرين ارادة ان يشاهد صيد اللؤلؤ فيها وها هو عاد الى باريس واذا ع بين الناس مشاهداته فألف كتاباً لا يقرأه احد الا يغتم : ان في البحرين جماعة من العرب والسودان والصوماليين يغوصون في البحر ليصطادوا اللآلي . وكلما غاصوا عادوا واضلاعهم تريد ان تنقصف والدم ينصب من خياشيمهم وآذانهم ولم يلبثوا بعد الغوص الطويل ان يدركهم الصمم ويصيبهم العمى ويخامر قلوبهم داء عياء . ثم ان الشيخوخة تدهمهم وهم ابناء ثلاثين سنة واما صرعة الموت فتزل بهم والله لم يبلغهم الاربعين وقد ابنت ان ابسط لك كيف تهدد انواع الاسماك الغواصين خشية ان يروك حديثي وحسبك ما اخبرتك به كي تعلمي ما ثمن العقد الذي يزين جيدك . فاذا كرتي اولئك الغواصين من حين الى حين وارثي لهم !
مأساة الدردنيل

La Tragédie des Dardanelles — Edition Grasset, Paris

من ذا الذي نسي مأساة الدردنيل ايام الحرب الكبرى ؟ فهذا الكتاب يذكرنا اياها : افلتت دراعتان المانيتان من الاسطول الفرنسي في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ وانطلقتا الى القسطنطينية تحول بين روسيا وبين الحلفاء . وتباطأت الانجليز في مطاردهما ولم تقصد اليهما الا في شهر مارس سنة ١٩١٥ فلم تهجم الا على حائط ممدد ثابت . ولما عزم الحلفاء على الشر العنيف ارسلوا الى البر جيشهم فقتل تقتيلاً ثم انهم حاولوا شراً آخر فخابوا خيبتهم الاولى وما زالوا يقاومون الاتراك والعطش يجهدهم والحر ينهك قواهم حتى انصرفوا والفشل حليفهم من بعد ماضحوا بمائة الف جندي . وليس هذا الكتاب موقوفاً على سرد الحوادث الحربية ولكنه يعرض للسياسة ويبحث عما صنع القواد والساسة امثال غورو وتشرشل ولورد كيتشنر

مجلة ابولو

للشعر والنقد الادبي في كل بلاد اصاب قسطاً وافراً من الارتقاء الفكري والفني مجلة ابولو اكثر
تدشيراً المختار من ثمرات القرائح فتكون الصلة بين جمهور القراء وجمهور الشعراء . وتفتح صفحاتها
في باب خاص لنقد الشعر ، فتصقل من ذوق القراء بما يبينه النقاد من حسنات الشعر ومساويه
وما يرسمونه من اثر للنزعات الخاصة التي ينفرد بها كل جيل من الادب عن كل جيل سواه .
ولسنا في حاجة إلى تعديد هذه المجلات ، انما نكتفي بذكر المجلات الثلاث المعروفة باسم «عطارد»
Mercury التي تصدر في نيويورك ولندن وباريس

والشعر العربي الآن في أشد الحاجة الى مثل هذه المجلة . فالمجلات الشهرية تضيق دون
نشر كل مختار من ثمرات القرائح ، فتكتفي بالنزر . والصحف اليومية أنشئت لنشر الانباء
المحلية والعالمية اولاً وقراءها يتناولونها في الغالب للاطلاع على هذه الانباء ، وقلمها تتاح لهم
مطالعتها مطالعة روية وأناة ، لان العصر عصر سرعة واندفاع ، ولا ينتهي القارئ الواحد
من مطالعة صحيفة واحدة في طريقه الى المكتب صباحاً ، حتى تصدر الاخرى مساء وفيها
انباء جديدة لا بد له من قراءتها اذ شاء الامام باحوال العالم . فالصحف اليومية بطبيعتها
الخاصة لا تصلح لنشر الشعر . وما نشر منه في صحفنا العربية متفاوت الطبقات ، اختلط فيه
احياناً كثيرة نابل الشعر بحابله

لذلك كان لا بد للشعر العربي من مجلة خاصة به ، تكون في آن واحد رسول الشعراء الى
مريدي الشعر من ابناء العربية في كل الاقطار — وهم كثر — وعينا واقفة للادباء المرصدين ، تقول لمن يجيد
اجدت وتبين موضع الاجادة والاحسان ، وتقول لمن يشط شططت وتشير في رفق واقناع
الى مكان الشطط والزلل . فتقوم بذلك ما التوى في اذهاننا من فهم لمعاني الشعر السامية ،
وتصحح من موازين الادب ما اختل

واننا نرى ان اشد ما نحتاج اليه الآن ، في حياتنا الادبية ، النقد المنصف النزيه الصادر
عن تمكّن وفهم لاصول الادب واساليبه وصلته بالحياة

ونظن ان كل ذلك خطر للدكتور ابو شادي ، قبما اقدم على اخراج مجلته « ابولو »
«للهوض بالشعر العربي وخدمة رجاله والدفاع عن كرامتهم وتوجيه مجهوداتهم توجيهاً فنياً سامياً»
وقد صدر من «ابولو» حتى الآن ثلاثة اعداد ، والرابع وشيك الظهور ، تبيننا في خلال صفحاتها ،
رغم ما حوته من غث الشعر وسمينه ، انها سائرة في سبيل الغاية التي يجب ان تكون غايتها ،
وهي تحبب الشعر إلى الجمهور ، ونشر المختار منه بصرف النظر عن اسم الشاعر ولقبه ، ونقد
اساليب الشعر ومعانيه لتقويم معايير في اذهان خاصة القراء وعامة على السواء

وقد أنشأ الدكتور أبو شادي « جمعية أبولو » فضمت طائفة من أكبر الشعراء المعاصرين وكان شوقي رحمه الله أول رئيس لها ، فاختر خليل مطران خلفاً له . ومن أعضائها أحمد محرم والدكتور ناجي وعلي محمود طه وحسن كامل الصيرفي ومحمود أبو الوفا وغيرهم من كبار الشعراء والكتّاب امام المجلة سبيلان : الاول ارضاء كل من يبعث بشعر اليها فتنشره فيرضى عنها ويكون داعية لها فتروج وتذيع وهو السبيل السهل . واما الآخر فاختيار الجيد من الشعر فقط وصرف النظر عن الباقي ، فتغضب بذلك كثيرين . وهو السبيل الوعر . ولكن المجلة اذا سلكته انصفت الادب الصحيح وتقدمت نحو غرضها السامي وان ما نعرفه عن ايمان منشئها بمكانة الشعر السامية في العمران ، وتقدير رئيس جمعيتها وجميع أعضائها وجرأتهم في الحق يحملنا على الاعتقاد ان مجلة أبولو سالكة السبيل الوعر « ولا بد دون الشهد من ابر النحل »

مشكلات التربية في مصر

تأليف علي حسن الهاك — طبع بمطبعة خضير بمصر — صفحاته ١٢٩ قطع وسط

مشكلات التربية في مصر هي لبُّ المشكلات القومية . فالتمشي مع تحقيق الآمال السياسية واستثمار خصب الارض بالوسائل الحديثة في الصناعة والزراعة ، وتشغيل العاطلين من المتعلمين ، وتحسين الصحة العامة ، ورفع مستوى المعيشة في الريف ، كل ذلك يرتدُّ الى التربية — وهي اعداد المتعلم للحياة — ما غرض التربية الذي نرمي اليه وما الوسائل التي نتوسل بها لتحقيق الغرض ؟ ويزيد هذه المشكلات تعقيداً اننا نقيم في بقعة يلتقي عندها الخافقان ، حضارة الشرق من من ناحية وحضارة الغرب من ناحية ، تمتُّ الى الاولى بصلة الحنين والتاريخ والتقاليد ، وتحتاجنا الثانية بعلومها وفنونها واسلحتها وملاهيها . فهل نرمي في التربية الى تخرج مصري غربي كابناء الغرب ، او نرمي الى تخرج مصري شرقي اي هل نقتبس حضارة الغرب كما هي ، او نأخذ بأساليب الحضارة الشرقية معرضين عن الحضارة الغربية

اذا وضح المثل الاعلى للجيل الذي نريد ان ننشئه هان الجواب عن هذه المسائل . وقد وضع مؤلف الكتاب في هذا الموضوع فصلاً من ابلغ واحكم ما قرأنا ومما قاله :

« حقاً ان النظرة السطحية لتحكم لا ول وهامة بان المدنية الغربية بأنظمتها الاقتصادية والاجتماعية قد كسبت اليوم وربحت الموقعة . فالأمم الشرقية ان لم تكن قد حكمت فعلاً بالسلاح فقد حكمت في الواقع بتغلغل كل ما هو غربي في الصميم من الحياة المادية والعقلية والاجتماعية » لذلك تجد مع الأسف ان سبيل الثقافة الغربية قد طغى على الشرق بقوة لا تدانيها قوة الجيوش والاساطيل والطائرات وأسلحتها الفتاكة . هي غزوة أشد خطراً وفعلاً من الغزوات

الحربية لسلطانها الثابت على الجماعات والافراد وتحويل طابع الحياة من لون الى لون مختلف كل الاختلاف «فهل يصح ان نقف أمام هذا الانقلاب مستسلمين الى سطوته وسحره؟ وهل تلك غايتنا التي فيها الفائدة والسعادة؟ ان بذلك الاستسلام تفقد كل أمة شرقية صفاتها الخاصة على مر الايام. وسوف يأتي يوم غير بعيد لا زى فيه الشرق وميزاته إلا لما في بطون الكتب وآثاراً في المتاحف

«ولكن هناك ظاهرة أخذت تشق طريقها بهدوء ووقار بين جلبة المدنية الحديثة. تلك هي الفلسفة الشرقية القديمة وروحها الخاص إذ قد أخذت المدنية الغربية تحفر قبرها بيدها وبدأت المدنية الشرقية تتحرر من كابوس نيرها لا على اصوات المدافع وصليل السيوف بل على قيثارة هادئة تناجيها من اعماق الماضي الشرقي البعيد بانغام قديمة كلها حنان ورفق. فأصبحت ترى العظمة الغربية في عواصم اوربا وامريكا تكلم بالغار جيين تاغور أشاعر الهند وفيلسوفها في جلبابه الفياض ووقاره وعظمتها الروحية. اي تمجده في عقر دارها. واصبحت تسمع بالمواني وهي تزخر، والطرق وهي تفيض بجيوش حافلة اوربية لتحظى بنظرة من غاندي العاري الذي غزا اوربا بعظمة نفسه المطمئنة الوادعة وإيمانه الراسخ المتين

ثم قال : ولتتشارك ريشتنا الثقافتين في صنع صورة مثلنا الاعلى بحيث تظل مشكاة الماضي القديم هادية لنا في طريق الاخذ بكل ما هو غربي واذا تناولنا التربية في ذلك المحيط القومي الامثل فلنجعل مثاها الاعلى خليطاً من العظمتين ، ولنرم الى مصري قوي في جسمه ناضج كل النضوج في ملكاته . صلب في عزمته . متين في خلقه ، مرن في تصرفه نقاذ ببصره مؤمن بالله وبالفضيلة نزاع الى الخير والمعروف ، ولنتخير من نظام التربية الغربية ما ينهض بنا من غير اصطدام بتقاليدنا وفلسفتنا وادياننا »

ثم يتناول المؤلف بهذه الروح العالية ، والبصر النافذ ، والاسلوب السهل ، شؤون التربية في البيت والمدرسة على اختلافها ، وفيها كلها يصوغ من معرفته الدقيقة وخبرته الواسعة آراءً حكيمة تجمع بين صحة النظر وامكان التطبيق فهي جدرة بكل عناية . وعندنا ان هذا الكتاب يجب ان يطلع عليه كل مشتغل بالتعليم والتربية في القطر المصري . بل كل مضطلع بالشؤون العامة . وليس وجوب الاطلاع على كتاب وضعه مدرس حطة من مقام الوزير او المدير او غيره من اصحاب المناصب الكبيرة ، « فمدرس المستقبل سوف يكون اكبر الموظفين شأنًا في الدولة » كما يقول الاستاذ جاكس . ومدرس اليوم اذا احسن الفهم واخلص القول — كما فعل صاحب هذا الكتاب — خليف بان تسترعي آراؤه كل اهتمام . وقدماً قال ولنغتن القائد البريطاني : كسبت معركة واترلو في باحات ايت بن وهارو (وهما مدرستان من اشهر مدارس الانكليز) ومعزى هذا القول لا يحتاج الى زيادة بيان

جرمة سلفستر بونار

تأليف اناتول فرانس — ترجمة نعيمه غازار — نشرتها المطبعة العصرية بمصر — صفحاتها ٣١١ قطع وسط
الذين يحسنون اللغة الفرنسية من غير انبائها يرون في كتابة اناتول فرانس مثالا لا بدع
ما امتازت به تلك اللغة واسلسه. ومن المحتمل انه لم يقم منشئ فرنسي من خمسين سنة الى الآن
ولقي من الاعجاب به والاهتمام بامرهم اكثر مما لقي اناتول فرانس. وهذا الاعجاب والاهتمام غير
محصورين في فرنسا بل اشتركت فيهما بلدان كثيرة وترجمت مؤلفاته الى غير لغة واحدة
وقد احترموا بعضهم احتراماً فائقاً حتى كادوا يعبدونه لانهم حسبوه ابلغ منشئ في اللغة
الفرنسية في العصر الحاضر فقال الناقد جول ليمر « ان انشاء هذا الرجل عين الكمال في حسن
الديباجة وغاية ما وصل اليه النبوغ اللاتيني » والاعجاب بانشائه عام لسلاسته وانسجامه وما
فيه من الظرف والتنوع والدقة والنقد اللاذع الجريء. وانتقصة بعضهم حاسباً اياه منفسداً
لاخلاق الشبان وانه من اساتذة الفوضى الذين قاموا في فرنسا بعد رينان واكثرهم تضليلاً
على انه مهما اختلف الآراء في مقامه كعلم للنش لا يختلف اثنان في سمو مقامه كاديب
ومنشئ ومؤلف روائي

ومن اول الروايات التي نشرها هذه الرواية — سنة ١٨٨١ — ويقول بعضهم انها ابلغ ما
كتب فاحلتها الاكاديمية الفرنسية في اعلى مقام وتوجتها. وهي قصة بل قصتان تدوران حول
شخص واحد اسمه سلفستر بونار وهو فيلسوف من اعضاء اكاديمية التدوين كان عزباً غريب
الاطوار شديد الذكاء كثير التهمك يطيل الالتقاء في كل الموضوعات بكلام رقيق منسجم غاية
في الدقة والظرف واللين فكانه اناتول فرانس نفسه كما ود ان يكون بعد ثلاثين سنة او كما كان
قد صار فعلاً. ويذهب احد النقاد « الى ان كثيراً من كتب اناتول فرانس قد يفقد في الاجيال
المقبلة بعض ما له من المعزة في النفوس ولكن كتاب « سلفستر بونار » يبقى مقروءاً الى ابعد
العصور التالية لما فيه من التهمك الجميل والعلم الواسع من غير غرور والركة البسامة والغرام بكل
ما هو سام جميل في الانسان والطبيعة

فنشكر مترجمه عنايته بنقله الى اللغة العربية. ونقول اننا عهدنا الى احد الادباء المنزهين
عن الغرض بالمقابلة بين الترجمة والاصل فاشاد بامانة النقل ودقته
وقد وضع الشاعر محمود ابو الوفا مقدمة بليغة للقصة على اثر معاونته الناشر في تهذيبها

نحر ابي فراس وابي الطيب

رسالة وضعها الاديب عبد الغني باجقني وتقدم بها لاجتياز امتحان شهادة الآداب العليا
في الجامعة السورية بدمشق الشام. وقد اجاد الكاتب في الموازنة بين الشاعرين في اساليب الفخر
وتعليق ذلك تعليلاً يقره التاريخ ويرتضيه الذوق الادبي. وتطلب الرسالة من مكتبة الشرق بدمشق

مطبوعات جديدة

﴿طبقات الارض﴾ هذا كتاب مدرسي وضعه رئيس تحرير هذه المجلة وفقاً للمنهج الذي اقرته وزارة المعارف العمومية للسنة الثالثة الثانوية جاء فيه على مبادئ علم الجولوجية فبسط أولاً بناء الكرة الارضية ثم الافعال التي تنتابها خارجية وداخلية فتغير من معالم سطحها مثل الرياح والامطار والانهار والامواج والبراكين والزلازل وما إلى ذلك وختمه بفصل موجز في الجولوجية التاريخية وعمر الارض والحقب التي توالى على اشكال الحياة على سطحها والانسان في خلال العصور الجليدية . والكتاب في ١٨٠ صفحة تحتوي على رسوم كثيرة وثمنه ٥ قروش صاغ

﴿مبادئ علم النبات﴾ وضع الكاتبان العالمان محمود مصطفى الدمياطي والدكتور خربوش كتاباً موجزاً في مبادئ علم النبات يشتمل على مقرر السنة الاولى للمدارس الثانوية طبقاً للمنهج وزارة المعارف . وكلاهما من المشتغلين بهذا العلم نظراً وعملاً وتدریساً، فكتابهما يجب ان يكون عوناً كبيراً للطلاب على تفهم مبادئ هذا العلم الجليل الذي يمت الى الزراعة باقوى صلة . والكتاب موضح بعشرات الرسوم التي تقرب معانيه الى القراء فليس في صفحاته غامض الا وهو مجلوه بهذه الرسوم . ومما يثلج الصدر ان الفاظ هذا العلم كتبت كلها باللغة العربية فلا يستطيع مكاتب التيمس ان يقول بتعذر وضع أي كتاب علمي باللغة العربية كما فعل

﴿التربية بالقصص﴾ غني حامد القصبي المهندس في تنظيم القاهرة باخراج طبعة جديدة من كتابه «التربية بالقصص» وهو من خير الكتب التي تعطى للصغار لمطالعتها فيتعلمون الاسلوب العربي الجزل، والفضائل التي تروى عن رجال الشرق والغرب . وغني عن البيان ان «التربية بالقصص» من افضل الوسائل في تثبيت المعاني الادبية المجردة في نفوس الصغار . وهذه الطبعة مضبوطة بالشكل الكامل ومزينة بصور كثيرة ترغب الصغار في القراءة

﴿الطفل الشاذ﴾ احمد عطية الله، مؤلف هذا الكتاب من شباننا الذين لا يكفون عن البحث والتأليف والنشر . بل انه غامر بماله الخاص في نشر «دائرة معارف التربية» في حين ان كثيرين من اصحاب الاموال لا يهمهم ان يبذلوا في هذا السبيل قرشاً واحداً . وآخر مؤلفاته بحث نفسي في الطفل الشاذ وتربيته . وقد قسمه الى اربعة اقسام عامة هي : — معنى الشذوذ . الشذوذ الجسمي . الشذوذ العقلي . الشذوذ الخلقى . وأجل تحت كل موضوع ما يقال فيه من الناحية النفسية النظرية والناحية العملية . فيحسن ان تقتنيه رببات الاسر المتعلمات لأن فيه من الحقائق والارشادات ما يمكنهن من الاضطلاع بتربية الصغار على افضل وجه . والكتاب على صغر حجمه مفيد كل الفائدة . وثمنه قرشان

الجزء الخامس من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
٥٠٣	الاضداد في الطبيعة
٥١١	خبز الذرة والحلبة . للدكتور علي حسن
٥١٦	عيد ميلاد في الجحيم (قصيدة) لعباس محمود العقاد
٥١٧	دراسة علماء الغرب . للاستاذ ابري
٥٢٠	القراءة المفيدة
٥٢٧	مكانة الشعر في كيان الامم . للدكتور عبد الرحمن شهنيدر (مصورة)
٥٣٥	شوقي او الشاعر . للاستاذ سامي الجريديني (مصورة)
٥٤٦	موت الشاعر . لعلي محمود طه المهندس
٥٤٩	حول حافظ وشوقي . لاسماعيل مظهر (مصورة)
٥٦٠	حافظ واللغة العربية . للشيخ عبد القادر المغربي
٥٦٦	الشهب (مصورة)
٥٧٠	الشخصية . للدكتور ابراهيم ناجي
٥٧٥	سنة سرعة النور . لنقولا الحداد
٥٨٣	وجودي . (قصيدة) لاحمد محرم
٥٨٦	المنذر بن ماء السماء . ليوסף رزق الله غنيمه
٥٩٢	علم الجغرافية الاجتماعية
٥٩٦	انقضى النهار . (قصيدة) للشاعر الاميركي لونغفلو
٥٩٧	حفني بك ناصف . لعصام الدين حفني ناصف (مصورة)
٦٠٢	ملك الخشب . لنقولا شكري (مصورة)
٦٠٦	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * ارشادات صحية لربات المنازل . للدكتور شافعي
٦١٠	باب المراسلة والمناظرة * نقد شوقي . الجاحظ في مصر . ترجمة الشاهنامة
٦١٢	مكتبة المقتطف * كتب في الادب الفرنسي . سيرة أبي . قصة سلامبو . حج البيت . بيت الاجداد . قصص انجليزية منقولة الى الفرنسية . صيادو الآلىء . مأساة الدردنيل . مجلة ابولو . مشكلات التربية في مصر . جريمة سلفستر بونار . نجر ابي فراس و ابي الطيب . طبقات الارض . مبادئ علم النبات . التربية بالقصص . الطفل الشاذ

JUNE—DECEMBER 1932

يونيو الى ديسمبر سنة ١٩٣٢

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لنشرها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الحادي والثمانين

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by : FUAD SARRUF

VOL. LXXXI

FOUNDED 1876 BY DRS Y. SARRUF & F. NIMR

فهرس المجلد الحادي والثمانين

وجه	وجه	وجه
٣٤١	٧٥	(١)
٤٥٦	(ب)	٣٠٥
(ح)	* باسيلي اسعد	٤٧٩
٢٦٦	٦٠٢	٩٤
٥٤٩	٩٠	١٤٩
٥٦٠	بريان	٤٠٤
٣٠٦	بنو اسرائيل خروجهم	٦٠٦ و ٤٧٦
١٢٠	والاساطير	* الازمة الاقتصادية
٤٢٢	* بيكار وطبقات الهواء	العالمية ٢١٨
٢٠	العليا ٣١٧	الاشعة الكونية تحليل
الحضارات القديمة تصوير	* البيولوجيا — الجديد	جديد ٣٧٥
٢٤٧	فيها ١٣٧	الاشعة الكونية مباحث
الحضارة الغربية وانصاف	(ت)	جديدة ٣٩٩
اليهود ٢٢٨	التاريخ الاسلامي فلسفته ١٨٥	الاضداد في الطبيعة ٥٠٣
الحضارة الفينيقية القديمة	تشتية الحيوانات	الاطيان وتقدير ايجارها ١٠١
٣٤٣ و ٤٧١	وتصنيفها ٣٨١	الافاعي سرعتها ١١٩
* حفي ناصف ٥٩٧	التعريف الجبركية والرخاء ١٠٧	الله في الحياة ٣٢٤
الحياة والكهربائية ٤٦١	التيغوس لقاح ضدها ٣٧٨	الله والمرأة كيف خلقها ٦٥
* الحيرة: الحياة الاجتماعية	(ث)	الانتاج الزراعي ٤٨٤
فيها ٢٨٨ و ٤١٥	ثعلبان . مفرد او مثني ٣٥٤	انسان نيندرتال بفلسطين ٣٧٤
(خ)	(ج)	* انطاكيا ومشاهدها ٨٥
خبز الذرة والحلبة ٥١١	الجاحظ في مصر ٦١٠	انقضى النهار (قصيدة) ٥٩٦
	الجريمة والعبقرية ٤٥٢	
	الجسم اشعة الفتاكة ٣٧٧	
	الجغرافية الاجتماعية علم ٥٩٢	

وجه	وجه	وجه
العرب نوابغهم في العلوم	(ش)	(د)
الرياضية ١٧٣	الشاعر . قبره ٤٠١	* دارون ومذهبه ١
* علم الاحياء — الجديد	* الشاعر موته (قصيدة) ٥٤٦	الدبلوماسية ٦٧
فيه ١٣٧	الشاهنامه: ترجمتها ٣٥٢ و ٦٦١	الدمقراطية في الازمات ٢٥
العلم والجرائم ١٧٦	الشاي وصحة الفلاحين ٣٦٠	(ذ)
العلم والفلسفة والاخيلة	الشخصية ٥٧٠	الذرة تحطيمها ٢٤٦
الشعرية ١٥٦	الشرابين علاج لتصلبها ١٢٢	الذرة بعد تحطيمها ٤٣٢
العلم وفوضى العالم ١٦٥	* الشعر مكانته في كيان	الذرة القوة الكامنة فيها ٢٥٣
العناصر المجهولة آخرها ١٢٣	الامم ٥٢٧	الذكاء بحث طريف ٣٧٣
عيد ميلاد في الجحيم	شعر غربي (متفرقات) ٤٣٠	(ر)
(قصيدة) ٥١٦	* الشفق القطبي المصطنع ٣٧٦	الراهبة (قصيدة) ٢١٦
(غ)	الشمس سرعة دورانها ٣٧٦	الربو والحمى المصطنعة ٢٤٨
خاندي في عهد الدراسة ٤٤٠	* الشهب ٥٦٦	* رُس رونلد سيرته ٤١٠
الغدد الصماء	* شوقي ٣٨٥	الروما تزم المستعصي . مصل
والوراثة ١٩٧٣٠	* شوقي أو الشاعر ٥٣٥	ضده ٢٤٩
(ف)	شوقي وحافظ ٥٤٩	رومية الى بغداد رسالة ٤١
* القضاء بين النجوم ١٢٥	الشيخوخة املاح تؤخرها ٣٧٨	رينموث . جرمه ٢٥٠
(ق)	(ص)	(ز)
القاهرة تستولي على بغداد ٣٣٣	الصداع وهرمون التناسل ٣٧٩	الزراعة ترقية منتجاتها ٢٣٢
* القبة والطير ٤٦	الصوفية وعلماء الغرب ٥١٧	الزهرة تجديد العناية
* قبر شاعر (قصيدة) ٤٠١	(ض)	بسكنها ٣٧٥
قبيلة عربية من أصل ايطالي ١٦١	الضوء سرعته ١٢١	(س)
القراءة المفيدة ٥٢٠	(ط)	* السابحات في الهواء ٣٧٣
القضايا الاجتماعية الكبرى	الطبيعة الاضداد فيها ٥٠٣	السرطان تحليل زيادته ٥٠١
٣٩٨ ٣٠١ ١٩١ ١٤	الطلبة الشرقيون مؤتمروهم ٤٩٧	السرعة ٢٥٩
قلب راقصة (قصيدة) ٢٨٥	(ع)	السكر ومكروب النزلة
(ك)	العالم احوج ما يحتاج اليه ١٢١	الصدرية ١١٩
الكبد تصويرها بالاشعة ٢٤٨	العالم مصيره الاقتصادي ٩	* سلاتين باشا ٤٦٤

وجه	وجه	وجه
(ن)	مساعدات تاريخية ٣٥٦	كتب جديدة * ١١٠-١١٨
* النجوم الفضاء بينها ١٢٥	المسرح الاغريقي نشأته ٣٢٠	٢٣٧-٢٤٥ و ٣٦٣-٣٧١
نجيمة جديدة ٥٠١	مشرفة واراؤه في النور ٢٣٠	* و ٤٨٨-٤٩٦ و ٦١٢-٦٢١
النحاس نظير جديد له ١٢٠	* مصر وأصول الحضارة ١٤٦	الكساح والاشعة ٢٥٠
* النور سر ناموسه ٣١٠	* مصر حالتها الصحية ١٣٠	كمال الدين حسين الامير
النور سنة سرعته ٥٧٥	ر ٢٧٧	والجمعية الزراعية ٣٥٨
(و)	المعنى التائه (قصيدة) ١٧١	* الكوميديا الالهية ٢٠١
وجودي (قصيدة) ٥٨٣	المكروبات طريقة عجيبة	(ل)
* الوراثة تصوير عواملها ٢٤٩	لقتلها ١٢٢	* لنين ٥٧
الوراثة قياس عواملها ١٢٠	مملكة الخيال (قصيدة) ٣٦	(م)
(لا)	المنذر بن ماء السماء ٥٨٦	المادة بناؤها الكهربائي ٣٧٢
* اللاسلكي التلفون ٧٨	المواد ائمنها ٥٠٠	الماس والكهربائية ٣٧٧
(ي)	موت عزرائيل (قصيدة) ٣٣١	المأساة مولدها ٤٣٦
اليونان زلزلتها ٥٠١	الميكروكسمس ٥٢	مدينة الاحلام (قصة) ٢٠٦

شركة مصر لغزل ونسج القطن الاكتتاب في زيادة رأس المال

يتشرف مجلس ادارة « شركة مصر لغزل ونسج القطن » بان يعلن
حضرات مواطنيه بأنه قرر ان يطرح

١٢٥٠٠ سهم

من اسهم هذه الشركة للاكتتاب العام في المدة من اول الى آخر
ديسمبر سنة ١٩٣٢ بواقع سعر السهم الواحد اربعة جنيهات مصرية تدفع حال
الاكتتاب في بنك مصر او فروعها طبقاً لشروط طلبات الاكتتاب
وهذه الاسهم لها نصيب في ارباح الشركة اعتباراً من اول يناير ١٩٣٣
وهذا المقدار هو قيمة ما تبقى من الاكتتابات السابقة وكان قد تأجل اصداره
لفرصة اخرى . وهذا الاكتتاب يقفل حتماً في يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٢

عضو مجلس الادارة المنتخب

محمد طلعت حرب

راديو مصر

بأول شارع فاروق عند اتصاله بالعتبة الخضراء بعمارة الاوقاف

حرف « هـ » تليفون رقم ٥٣٢٥٢

اذاعات غنائية . موسيقى . طرب . اسطوانات منتقاة مساهمة في النهضة
الاقتصادية . شعاره « معونة المصنوعات المصرية ، ومساعدة التجار المصريين » .
مبدؤه نشر الثقافة العامة بين المصريين وبه قسم محاضرات مفتوح الابواب
دائماً لكبار المحاضرين

ويطلب باستمرار بلاسيهات ووكلاء لخدمة التجار بنشر اعلاناتهم

فلاحة الارز والدنيبة والذرة الحلو

طبعة ثانية

كتاب عملي فريد في موضوعه استيفاء واثقاً وفيه ابحاث جديدة عن
زراعة الارز شتلاً بمصر واسبانيا
تمنه : قروش ويطلب من المكاتب بمصر ومن مؤلفه احمد الالفي
بتفتيش الامير سيف الدين بوسته فارسكور



معجم الحيوان

للصديق امين معلوف باشا

كان العلامة الدكتور امين معلوف باشا في طليعة العلماء العرب المعاصرين ، الذين عنوا بوضع معجم للحيوان ، يتوخى فيه ايراد الاسماء العربية مستخرجة من مظانها . مع ما يقابلها من الاسماء العلمية والاسماء السائرة في اللغتين الانكليزية والفرنسية

ونشر فصولاً كثيرة في هذا الموضوع في المقتطف في سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ بعنوان « معجم الحيوان »

وقد قضى معلوف باشا العشرين السنة الاخيرة يدون في اوراقه كل شاردة وواردة يقع عليها في اثناء مطالعته ، ثم يحققها من الناحيتين العلمية واللغوية ويضيفها الى مجموعته . وقد صحت عزيمته الآن على اخراج كتاب جامع لاسماء الحيوان يشتمل على الاسم العلمي والاسم الانكليزي وما يقابلهما بالعربية وتحلية اشهر الحيوانات وصورها فيكون مرجعاً يليق بنهضة اللغة العربية في القرن العشرين

ويسرنا ان العلامة معلوف باشا قد عهد الى المقتطف في اخراج هذا السفر النفيس ، فرأينا ان نجعله هدية لمشتري المقتطف عن سنة ١٩٣٢ — ولكنه لا يرسل الا الى كل مشترك يسدد حسابه

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب سوف يصبح علماً في طريق ارتقاء اللغة العربية العلمية . وثمنه بعد توزيعه على المشتركين المسددين خمسون غرشاً صاغاً . ولا يبعد ان يصبح من الكتب النادرة في خلال سنتين ، لان العدد المطبوع منه محدود

Al-Muktataf



طَبَقَاتُ الْأَرْضِ

أو بسائط الجولوجية

وفقا للمنهج الذي أقرته وزارة المعارف العمومية

للسنة الثالثة الثانوية

بقلم

فؤاد صروف

ثمان النسخة خمسة قروش تضاف إليها اجرة البريد وهي قرش صاغ
ويطلب من المؤلف بإدارة المقتطف بمصر

خطاط جلالة الملك

الحامي نجيب بك هو أويني

واضع كتاب التزوير الخطي

مستعد لفحص الأوراق المطعون فيها بالتزوير واعطاء تقارير فيها. ويتولى عمل كليشيات
واختام. ويطلب منه ومن مكتبة امين افندي هندية بالموسكي بمصر ومن المكاتب المشهورة
تأليفه وهي : (١) كتاب التزوير الخطي وهو اول كتاب وضع لمعرفة الخطوط والاختام
المزورة والصحيحة عربية وافرغية لا يستغني عنه احد من المحامين والقضاة والخبراء
واصحاب الاشغال وهو علمي عملي ثمنه ٥٠ قرش صاغ. (٢) كرايسه السلاسل الذهبية الرقعة
والنسخ والثلاث والفارسي لتعليم الخطوط الجميلة بأسهل اسلوب مبتكر ووقت قصير. (٣) المجلة
وهي مجلة الاحكام العدلية مشروحة ومشكلة بقلمه وهذه المجلة والتزوير الخطي مقرران
وسميا في سورية وغيرها والكراريس الخطية مقررة من قديم لدى وزارة المعارف في
تركيا وغيرها من البلاد العربية ومنشرة في المدارس المشهورة في جميع البلاد
يكفي كتابة كلمة «مصر» عند مخبرة هواويني. او مخاطبة تليفون ٥٠٣٣٠

اعلان مهم للمزارعين استعملوا

الاسمدة الازوتية الاكثر فائدة لجميع ذراعاتكم

نترات الجير الالماني الابيض اللون

الذي يحتوي على ١٥ ر ٥ في المائة آزوت

نتر و سلفات الالماني

الذي يحتوي على ٢٦ في المائة آزوت

سلفات النشادر الالماني

الذي يحتوي على ٢٠ ر ٦ في المائة آزوت

الطبرهات من

محل ثابت ثابت

الوكيل العام لنقابة المامل الالمانية للاسمدة الازوتية

بالقاهرة : بشارع المناخ بلك فرنسيس

تليفون ٤٢٣ - ٥٤ - تليفونيا : النبات

بالاسكندرية : بشارع اسحق النديم عمرة ٧

تليفون عمرة ١١ - ٣٤ - تليفونيا : النبات

